

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِنْتِعَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ
الدُّنْيَا ، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفّاً لِلَّهِ ، أَوْ
أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ .

مَوَارِدُ الظُّمآنِ لِدرُوسِ الزَّمَانِ

خطب وحكم واحكام وقواعد ومواعظ وآداب واخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمَّد السَّليمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الخامس

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَوَائِدُ عَظِيمَةُ النَّفْعِ

وَقَفَّ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا إِنَّا سَأَلُوكَ أَمْجِبِينَا أَنْتَ قَالِ سَلُوا وَلَا
تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ وَالْعُمُرَ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّلِبَ حَثِيثٌ فِي طَلْبِهِ ،
قَالُوا فَأَوْصِنَا ، قَالَ تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ الْبُعْيَةَ ، ثُمَّ
قَالَ الْآيَامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَارِ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَةَ تَمُرُّ مَرَّ
السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الْكُسَالَى وَالْحَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوَطَّنَ مَرْكَبَ
الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الْحُسْرَانُ اهـ . قَالَ
بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا : تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةُ بِالتَّوَانِي فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامَةٍ
فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمَّوَهُ بِفَقْرٍ وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمَّوَهَا نَدَمَهُ
أَيُّهَا الْأَخُ تَدَبَّرْ أَمْرَكَ فَإِنَّكَ فِي زَمَنِ الرَّبْحِ وَوَقْتِ الْبَذْرِ وَاحْذَرْ أَنْ يَخْدَعَكَ
الْعَدُوُّ عَنْ نَفْسِ هَذَا الْجَوْهَرِ فَتَنْفِقُهُ بِكَفِّ التَّبْدِيرِ ، وَاللَّهُ لِعَنْ فَعَلْتَ لَتَغْرَسَنَّ
شَجَرَةَ النَّدَامَةِ فَيَتَسَاقَطُ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنْهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ وَاحْذَرْ مِنْ
إِخْتِلَاسِ الْأَعْدَاءِ لَهُ ، وَالْأَعْدَاءُ أَرْبَعَةٌ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَالْدُنْيَا ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ
بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى .

شِعْرٌ : إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُوا إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفُ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

ملاحظة : لا يسمح لأي إنسان أن يختصره أو يتعرض له بما يُسمونه تحقيقاً لأن الاختصار سبب لتعطيل الأصل والتحقيق أرى أنه إتهام للمؤلف ، ولا يُطبع إلا وفقاً لـ الله تعالى على من يتنفع به من المسلمين .

(فائدة عظيمة النفع لمن وفقه الله)

ما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله ، وفهمه معناها ، ووفقه للعمل بمقتضاها ، والدعوة إليها .

الذكرُ أصدقُ قولٍ فافهم الخبراً
فأعمل به إن تردّ فهماً ومعرفةً
وتحمد الله في يوم المعاد إذا
لله درُّ رجالٍ عاملين به
آخر : جميع الكتب يُدرك من قراها
سوى القرآن فافهم واستمع لي
لأنه قولٌ من قد أنشأ البشراً
يأذا النهى كي تنال العز والفخراً
جاء الحساب وعم الخوف وانتشراً
فيما يدق وما قد جل واشتهراً
ملا ل أو فتور أو سأمه
وقول المصطفى يا ذا الشهامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهَا أَعْمَالًا صَالِحَةً
تُرِيحَ وَتَحْمَدِ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢)

الملائكة يكتبان ما تلفظ به فاحرص على أن لا تنطق إلا بما يسرك يوم
القيامة . أشرف الأشياء قلبك ، ووقتك ، فإذا أهملت قلبك وضيعت وقتك ،
فماذا يبقى معك ، كل الفوائد ذهبت .

شعرا : إني أبشك من حديثي إن الحديث له شجون
غيرت موضع مرقدي ليلا ففارقني السكون
قل لي فأول ليلة في القبر كيف تكون

(٣)

إعلم أن قصر الأمل عليه مدار عظيم ، وحسن الأمل ذكر
الموت ، وحسن حسنه ذكر فجأة الموت وأخذ الإنسان على غرة
وغفلة ، وهو في غرر وفتور عن العمل للأخرة . نسأل الله أن
يوقض قلوبنا إنه على كل شيء قدير . اللهم صلى على محمد وآله
وسلم .

شعرا : سل الله عقلا نافعاً واستعد به من الجهل تسأل خير معط لسائل
فبالعقل تستوفي الفضائل كلها كما الجهل مستوف جميع الرذائل

فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفْعِ

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ يَا أُخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ ،
وَقَهْرِهِ ، وَذَلِكَ لِخَصَلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مُظَلٌّ مُبِينٌ ، لَا مَطْمَعَ فِيهِ
بِمُصَالِحَةٍ وَاتِّقَاءِ شَرِّهِ أَبَدًا ، لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ وَيُقْنِعُهُ إِلَّا هَلَاكَكَ أَصْلًا فَلَا وَجْهَ
إِذَا لِلْأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ وَالْعَفْلَةِ عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا
بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى
عَدَاوَتِكَ ، وَمُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرْمِيكَ بِسِهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ
عَنْهُ ، ثُمَّ هُوَ لَهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عَدَاوَةٌ عَامَّةٌ ، وَمَعَ الْمُجْتَهِدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ
عَدَاوَةٌ خَاصَّةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانٌ نَفْسُكَ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى ،
وَالدُّنْيَا ، وَهُوَ فَارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ ، وَهُوَ يِرَاكُ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ
وَهُوَ لَا يَنْسَاكَ ، فَإِذَا لَابَدٌ مِنْ مُحَارَبَتَيْهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإِلَّا فَلَاتًا مِنَ الْفَسَادِ
وَالهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ ، وَمُحَارَبَتُهُ بِالِاسْتِعَادَةِ بِاللَّهِ وَالْإِكْتَارِ مِنْ ذِكْرِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْتَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيمَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُؤَالَيْنَ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُنَادِينَ بِمُؤَالَاتِهِمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ مَرْضَى قُلُوبٍ وَيُخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَوْ اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِمْ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ ، لِأَنَّ الْمَرِيضَ يُعِدِّي الصَّحِيحَ وَلَا عَكْسَ ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْبِدْعِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الَّذِينَ يَجِبُ الْبُعْدُ عَنْهُمْ وَهَجْرَانُهُمْ ، الْجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ ، وَالْمُعْتَرِثَةُ ، وَالْمَأْتَرِيذِيَّةُ ، وَالْخَوَارِجُ ، وَالصُّوفِيَّةُ ، وَالْأَشَاعِرَةُ ، وَمَنْ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيقَةِ السَّلَفِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهُمْ وَيُحْذَرَ عَنْهُمْ وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فائدة عظيمة المنفعة

الْعِلْمُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَمَا جَاءَ عَنِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِيرَاثٍ ، وَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ قَائِدٍ ، وَالاجْتِهَادُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ بَضَاعَةٍ وَلَا مَالٍ أَحْسَنُ مِنْ عَمَلِ الرَّجُلِ فِي يَدِهِ وَلَا مُصِيبَةٌ أَعْظَمُ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَلَا عَوِينٌ أَوْثَقُ مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ مُشَاوَرَةُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أَوْحَشَ مِنَ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْكَفْرِ وَالنَّفَاقِ .

[وقف لله تعالى]

« فَضْلٌ فِي تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ »

وَيَجِبُ اجْتِنَابُ النَّمِيمَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاظٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَجْبَةِ الْبَاغُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَنْتَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ » وعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَلَا أَنْبُكُمْ مَا الْعِضَةُ هِيَ النَّمِيمَةُ ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وعن عبد الرحمن بن عُثْمَانَ وَأَسْمَاءِ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنهم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَجْبَةِ الْبَاغُونَ الْبِرَاءِ الْعَنْتَ رَوَاهُمَا أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِيءُ مِنْ بَوْلِهِ » الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

فَالنَّمِيمَةُ نَقْلُ كَلَامٍ بَعْضِ النَّاسِ لِبَعْضٍ لِقَصْدِ الْإِفْسَادِ ، وَإِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، فَالَّذِي خُلِقَ ذَمِيمٌ لِأَنَّهُ بَاعَثَ لِلْفِتَنِ وَقَاطَعَ لِلصَّلَاتِ ، وَزَارَعَ لِلْحَقْدِ ، وَمُفْرَقٌ لِلْجَمَاعَاتِ ، يَجْعَلُ الصَّادِقِينَ عَدُوِّينَ ، وَالْأَخْوِينَ أَجْنَبِيَّينَ ، وَالزَّوْجِيْنَ مُتَنَافِرِيْنَ ، فَهَذِهِ الْمَعْصِيَةُ مَعْصِيَةُ النَّمِيمَةِ ،

ولا يَرْضَاهَا لِنَفْسِهِ إِلَّا مَنْ انْحَطَّتْ قِيَمَتُهُ وَدَنَوَتْ نَفْسُهُ ، وَكَانَ عِنْدَهَا حَقِيرًا ، وَصَارَ كَالذُّبَابِ يَنْقُلُ الْجَرَائِمَ .

وَأَمَّا مَنْ كَانَ يَشْعُرُ بِنَفْسِهِ ، فَلَا يَرْضَى لَهَا هَذِهِ الْحَالَةَ ، وَهِيَ حَرَامٌ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا ، سَوَاءً كَانَتْ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَصْحَابِ أَوْ عِنْدَ أَرْبَابِ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، وَهِيَ شَرُّ أَنْوَاعِ النَّمِيمَةِ وَأَشَدُّ خَطَرًا فَإِنْ هَذِهِ هِيَ السَّعَايَةُ وَلَا يَخْفَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ فَكَمْ جَرَتْ مِنْ وَبَلَاتٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَبْرِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْغَافِلِينَ طَاهِرِي الْقُلُوبِ سَلِيمِي الصُّدُورِ فَقَضَتْ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَمْ نَكَلَتْ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَصْبَحُوا عُرْضَةً لِلْمَحَنِّ وَالنَّوَائِبِ وَكَمْ ضُرَّتْ بِصَالِحِينَ مُطْمَئِنِّينَ فَأَوْدَعَتْهُمْ السُّجُونَ وَسَلَبَتْهُمْ الْحُقُوقَ ، وَجَعَلَتْ لِلْفَسَقَةِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ، وَكَمْ حَرَمَتْ أَطْفَالَ مِنْ قُوتِهِمْ وَسَلَبَتْ مِنْهُمْ نَعِيمَهُمْ بِدُونِ جِنَايَةٍ اقْتَرَفُوهَا أَوْ كَانَتْ بَيْنَ زَوْجَيْنِ ، أَوْ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْأَقْرَبَاءِ ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ النَّمِيمَةَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَشَدُّ مِنَ النَّمِيمَةِ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَصْحَابِ ، لِإِفْضَائِهَا إِلَى قَطِيعَةِ الرَّجْمِ وَالطَّلَاقِ غَالِبًا ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّمِيمَةُ بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْإِفْسَادِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَمِنْ ذَلِكَ النَّمِيمَةُ لِرَفْعِ الثِّقَةِ مِنْ مُزَاجِمٍ فِي تِجَارَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ زِرَاعَةٍ وَمِنْ ذَلِكَ النَّمِيمَةُ لِانْتِزَالِ شَخْصٍ عَنِ مَكَانَتِهِ وَاحْتِرَامِهِ عِنْدَ فِئَةٍ مِنَ النَّاسِ . هَذَا مُعْظَمُ أَنْوَاعِ النَّمِيمَةِ ، وَهِيَ كَمَا تَرَى مِنْ شَرِّ مَا مُنِيتَ بِهِ الْفَضِيلَةُ وَرُزِنَتْ بِهِ الْإِنْسَانِيَّةُ فَلَيْتَى اللَّهُ ذُورًا الْأَلْسِنَةِ الْحِدَادِ وَلَا يَنْطِقُوا إِلَّا بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ لِخَلْقِ اللَّهِ ، وَيَكْفِيكُمْ فِي هَذَا قَوْلُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » رواه البخاري ومسلم .

فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ النَّمِيمَةَ دَاءٌ وَبَيْلٌ ، وَشَرُّ خَطِيرٌ تَتَرْتَبُ عَلَيْهِ كُلُّ هَذِهِ
الشُّرُورُ وَالْمَفَاسِدُ فَعَلَى مَنْ نُقِلَتْ إِلَيْهِ النَّمِيمَةُ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ لَهُ : قَالَ فِيكَ
فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا ، أَوْ فَعَلَ فِي حَقِّكَ كَذَا وَنَحْوُ ذَلِكَ أَنْ لَا يُصَدِّقَ النَّاقِلَ
لِأَنَّ النَّمَامَ فَاسِقٌ لَا يَصِيحُ الْوُثُوقُ بِخَبْرِهِ .

ثانياً : أَنْ يَنْهَى النَّاقِلَ وَيُنْصَحَهُ إِنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ خَيْرًا وَيَعْتَقِدُ أَنْ يَتَأَثَّرَ
بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ فَيَذْكُرُ لَهُ مَا يَتَرْتَبُ عَلَى نِمَامَتِهِ مِنْ إِيْذَاءِ الْأَبْرِيَاءِ وَظُلْمِ
النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَيُحَذِّرُهُ مِنْ عَاقِبَةِ وَشَايِتِهِ وَأَنَّهُ رُبَّمَا يَنْكَشِفُ
أَمْرُهُ عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَقْتَضِ مِنْهُ شَرَّ قِصَاصٍ أَوْ يُظْهِرَ كَذِبَهُ عِنْدَ مَنْ
يُنْقَلُ إِلَيْهِ فَيَنْعَكِسُ غَرَضُهُ وَأَنَّهُ رُبَّمَا نَمَّ عَلَى رَجُلٍ أَقْوَى مِنْهُ فَيَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ
بِمَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ وَإِنَّ النَّمَامَ سَاقِطُ الْمُرُوءَةِ فِي أَنْظَارِ النَّاسِ ، مَبْغُوضًا
عِنْدَهُمْ حَتَّى أَقْرِبَائِهِ الَّذِينَ فِيهِمْ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ ، فَرُبَّمَا يَرْتَدُّعُ بِذَلِكَ .

ثالثاً : أَنْ لَا يَظُنُّ بِأَخِيهِ الْعَائِبِ السُّوءِ وَخَيْرِ عِلَاجٍ يَقْضِي عَلَيْهِ أَنْ
يَنْصَرِفَ النَّاسُ عَنِ النَّمَامِ وَلَا يَسْتَمِعُونَ لَهُ لِأَنَّهُ حَسُودٌ وَأَكْثَرُ مَنْ يُعَادِي أَهْلَ
الْفِضْلِ وَالِدِينَ الْحُسَّادُ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ أَعْمَالَهُمْ ، وَتَجِدَ الْحَسُودَ إِذَا عَجَزَ
أَنْ يَصِلَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِرَامُ يَعِيْبُهُمْ وَيَتَنَقَّصُهُمْ .

قال الشاعر :

إِذَا بَعَدَ الْعُنْفُودُ عَنْهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ بِوَجْهِ قَالٍ مُرٌّ وَحَامِضٌ

آخر :

وَقَدْ يَنْبَحُ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهُ مَهَامِهِ تُعْشِي نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ

قال الشاعر : (وَدُوُّ النَّفْصِ فِي الدُّنْيَا بِدِي الْفِضْلِ مَوْلَعٌ)

ويقول الآخر :

لا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَدَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

ويقول الآخر :

وكذا المتأيا ما يَطَّانَ بِمَنْسَمٍ إِلَّا عَلَى أَعْنَاقِ أَهْلِ السُّودِدِ

ويقول الآخر :

إِنَّ الْوَرَى أَعْدَاءُ مَنْ فَضَلَ الْوَرَى

آخر :

الْمَرْءُ يُقْلَى إِنْ عَلَا حَسِداً وَيُهْوَى إِنْ هَوَى
كَالْعُصْنِ يُرْجَمُ مُشْمِراً أَبَداً وَيُسْقَى إِنْ ذَوَى

آخر : وما زالت الاشراف تُهَجَى وتُمدحُ

ويقول الآخر :

وَيَبِيتُ قَوْمٌ يُحَسِّدُونَ مُحَمَّداً وَذُو الْفَضْلِ لَا تَلْقَاهُ إِلَّا مُحَسِّداً

آخر :

وكأئما شَرَفَ الشَّرِيفِ إِذَا انْتَمَى جُرْمَ جَنَاهُ عَلَى اللَّيْمِ الرَّاضِعِ

آخر :

مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدِ إِنَّ الْحِسَانَ مَظَنَّةٌ لِلْحُسِّدِ

آخر في التحذير عن النَّمِيمَةِ وَالْغَيْبَةِ وَالْبُهْتِ الخ

تَنَحَّ عَنِ النَّمِيمَةِ واجْتَنِبْهَا فَإِنَّ النَّمَّ يُحِيطُ كُلَّ أَجْرٍ
يُشِيرُ أَخُو النَّمِيمَةِ كُلَّ شَرٍّ وَيَكْشِفُ لِلْخَلَائِقِ كُلِّ سِرٍّ
وَيَقْتُلُ نَفْسَهُ وَسِوَاهُ ظُلْمًا وَلَيْسَ النَّمُّ مِنْ أَفْعَالِ حُرِّ

آخر :

وَيَحْرُمُ بُهْتٌ وَاعْتِيَابٌ نَمِيمَةٌ وَإِفْشَاءُ سِرِّ ثُمَّ لَعْنُ مُقَيِّدِ

آخر :

وَصَاحِبُ النَّمِّ كَالدَّاءِ الْعِيَاءِ إِذَا
يُمِيدُ وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ
مَا ارْفَضَ فِي الْجِلْدِ يَجْرِي هَاهُنَا وَهَنَا
وَمَا يَرَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفْنَا
آخر :

وَلِدَيَانَاتِ أَهْلِ يَعْرِفُونَ بِهَا وَلِنَمَامَةِ بَيْنِ النَّاسِ فُسَاقُ
رُويَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَذَكَرَ عِنْدَهُ وَشَايَهُ
فِي رَجُلٍ آخَرَ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ شَيْئًا حَقَّقْنَا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَقُولُ فِيهِ وَنَنْظُرُ
فِيمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْهِ .

فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا ﴾ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٍ
بِنَمِيمٍ ﴾ وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ فَقَالَ : الْعَفْوُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَعُودُ إِلَيْهِ
أَبَدًا .

إِذَا وَاشَى أَتَاكَ بِقَوْلٍ زُورٍ فَلَا تَدْعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلٍ وَاشِيٍ
وَلَا تُخْبِرْ بِسِرِّكَ كُلِّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ فَاشِيٍ
وَلَا تَصْحَبْ قَرِينَ السُّوءِ وَانظُرْ لِنَفْسِكَ مَنْ تُقَارِنُ أَوْ تُمَاشِي

وَرَفَعَ إِنْسَانٌ رِفْعَةً إِلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ يُحْتَهُ عَلَى أَخْذِ مَالِ يَتِيمٍ
وَكَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِ الرِّفْعَةِ : النَّمِيمَةُ قَيْحَةٌ ، وَإِنْ كَانَتْ
صَحِيحَةً ، وَالْمَيْتُ رَحِمَةُ اللَّهِ ، وَالْيَتِيمُ جَبْرَةُ اللَّهِ ، وَالْمَالُ ثَمَرَةُ اللَّهِ ،
وَالسَّاعِي لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ حَدِيثًا فَاغْلَمَ أَنَّهُ
يَنْقُلُ إِلَى غَيْرِكَ حَدِيثَكَ وَوَشَى رَجُلٌ بِرَجُلٍ إِلَى أَحَدِ الْوَلَاةِ فَقَالَ أُحِبُّ أَنْ
نَقْبَلَ مِنْكَ مَا قُلْتَ فِيهِ عَلَى أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ مَا قَالَ فِيكَ قَالَ لَا قَالَ فَكُفَّ عَنِ
الشَّرِّ يُكْفَى عَنْكَ .

شِعْرًا : لَا تُفْشِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى امْرِئٍ
يُفْشِي إِلَيْكَ سِرًّا رَأً يَسْتَوِدُعُ
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
فَكَذًا بِسِرِّكَ لَا أَبَالَكَ يَصْنَعُ
آخِر :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ إِلَّا النَّمَامَةَ وَالطَّاعُونَ وَالْهَرَمَا
آخِر : لَا تَقْبَلَنَّ نَمِيمَةً بُلِّغْتَهَا
وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكَهَا
إِنَّ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نَمِيمَةً
سَيَنْمُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا

وقال ابن المبارك ولقد الزنا لا يكتُم الحديث أشار به إلى أن كل من
لم يكتُم الحديث ، ومشى بالنميمة دل على أنه ولقد زنا استنباطاً من قوله
تعالى ﴿عُتِلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ والزنيم هو الدعي .

وروى أن بعض السلف زار أخاه ، وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً
يكرهه ، فقال له : يا أخي أطلت الغيبة ، وأتيتني بثلاث جنابات ،
بغضت إلي أخي ، وشغلت قلبي بسبه ، واتهمت نفسك الأمانة اهـ .
شِعْرًا :

لِسَانُ الْفَتَى حَتْفُ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ
وَإِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرَ هَذَرُهُ
وَكَمْ فَاتِحَ أَبْوَابِ شَرِّ لِنَفْسِهِ
كَذَا مَنْ رَمَى يَوْمًا شَرَارَاتٍ لَفْظُهُ
وَمَنْ لَمْ يَقْيِدْ لَفْظُهُ مُتَحَمِّلاً
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَاءٌ صَيَانَةٍ
وَكُلُّ امْرِئٍ مَا بَيْنَ فِكْهِهِ مَقْتُلُ
فَإِنَّ لِسَانَ الْبَلَاءِ مُوَكَّلُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ قَفْلٌ عَلَى فِيهِ مُقْفَلُ
تَلَقَّتْهُ نِيرَانُ الْجَوَابِ تَشَعْلُ
سَيَطُوقُ فِيهِ كُلُّ مَا لَيْسَ يَجْمَلُ
فَمَنْ وَجَّهَهُ غُصْنُ الْمَهَابَةِ يَدْبُلُ

فلا تَحَسَبَنَّ الْفَضْلَ فِي الْحِلْمِ وَحَدَهُ
وَمَنْ يَنْتَصِرُ مِمَّنْ بَغَى فَهُوَ مَا بَغَى
وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ الْقِصَاصَ بِعَدْلِهِ
فَإِنْ كَانَ قَوْلٌ قَدْ أَصَابَ مَقَاتِلًا
وَقَدْ قِيلَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ وَخَزَنِهِ
وَمَنْ لَمْ يُقِرِّبْهُ سَلَامَةً غَيْبِهِ
وَمَنْ يَتَّخِذُ سُوءَ التَّخْلُفِ عَادَةً
وَمَنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الْوَقِيعَةُ طَالِبًا
وَعَدْلٌ مُكَافَأَةٌ الْمُسِيءِ بِفِعْلِهِ
وَلَا فَضْلَ فِي الْحُسْنَى إِلَى مَنْ يُحْسِنُهَا
وَمَنْ جَعَلَ التَّعْرِيفَ مَحْضُولَ مَرْجِهِ
وَمَنْ آمَنَ الْآفَاتِ عَجْبًا بِرَأْيِهِ
أَعْلَمِكُمْ مَا عَلَّمْتَنِي تَجَارِيهِ
إِذَا قُلْتَ قَوْلًا كُنْتَ رَهْنَ جَوَابِهِ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُسْلِمًا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ صِفَاتِ الشَّرِّ وَخِصَالِ السُّوءِ مَا وُجِدَتْ فِي قَوْمٍ إِلَّا
كَانُوا أَهْلًا لِعُزَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ فَاسْتَحَقُّوا الشَّقَاءَ وَالذِّلَّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَإِنَّ مِنْ أَقْبَحِ الْخِصَالِ وَأَشْنَعِ الْخِلَالِ الْعِيبَةَ وَالنِّمَمَةَ وَقَدْ
انْهَمَكَ النَّاسُ فِيهِمَا وَصَارَتْ مَجَالِسُهُمْ لَا تَعْمُرُ إِلَّا بِهِمَا يَسْمَعُ الْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ الْكَلِمَةَ يُفْرِجُ بِهَا مِنْ كُرْبِهِ وَيُخَفِّفَ بِهَا مِنْ آلامِهِ فَيَنْقُلُهَا إِلَى صَاحِبِهَا
قَصْدَ الْإِيْقَاعِ بِهِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ يَا عِبَادَ اللَّهِ غَايَةُ الدَّنَاءَةِ ،
وَمُنْتَهَى الْخِسَّةِ وَالنَّدَالَةِ وَاللَّامَةِ ، الْأَشْهَامَةَ تَحْمِلُ النَّمَامَ عَلَى كِتْمَانِهِ سِرًّا
أَخِيهِ الْأَمْرُوءَةَ تَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَنْمَّ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، إِنَّ النَّمَامَ لَا يَعْرِفُ

لِلشَّهَامَةِ سَبِيلًا ، وَلَا لِلْمُرُوءَةِ طَرِيقًا ، إِنَّ مَنْ يَنْمُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِيُبَدِّلَ
الْوَدَّ جَفًا وَبُغْضًا وَالصَّفْوَ كَدْرًا وَحَقْدًا وَيَفْتَحَ أَبْوَابَ الشُّرُورِ وَالْجِنَايَاتِ عَلَى
مِصْرَاعَيْهَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَائِبِ ، وَاشِدِّ الرَّزَايَا عَلَى هَذَا
الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِي ، وَكَذَلِكَ الْغَيْبَةُ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ الْحَسَنَاتِ ، وَأَنْتَ إِذَا
قُلْتَ فِي أَحْيِكَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَأَنْتَ لَهُ بِهَا مُغْتَابٌ وَهُوَ لَا يَكْرَهُ كَلِمَةً إِلَّا إِذَا
كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً عَيْبًا ، ذَلِكَ الْعَيْبُ الَّذِي أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَكْشِفَهُ لِلنَّاسِ تُرِيدُ
مِنْهُمْ أَنْ يَحْقِرُوهُ وَيَزْدَرُوهُ وَيَحْتَرِسُوا مِنْهُ أَنْ يَكُونَ يَوْمًا لَهُمْ مِنَ الْأَصْحَابِ
أَنْتَ تُرِيدُ مِنْهُمْ أَنَّهُ أَنْ خَطَبَ مِنْهُمْ مَنَعُوهُ لِتَحْقِيرِكَ إِيَّاهُ عِنْدَهُمْ تُرِيدُ مِنْ
غَيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يُبْعَدَ مِنْهُمْ وَيَكُونَ مُنْطَوِيًا عَنْهُمْ لِمَا لَقَّتَهُمْ مِمَّا ذَكَرْتَهُ فِيهِ
وَيَكُونَ فِي وَحْشِيَةٍ مِنْهُمْ وَتُرِيدُ مِنْ غَيْبَتِكَ أَنَّهُ إِذَا احتَاجَ لَا يُدْلِي عَلَيْهِمْ
بِشَيْءٍ يَقْضِي فِيهِ حَاجَتَهُ بَلْ تُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَرُدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ إِذَا سَلَّمَ
لِمَا عِنْدَهُمْ لَهُ مِمَّا لَقَّتَهُمْ مِنَ الْأَزْدِرَاءِ وَالاحتِقَارِ وَإِنْ كَانَ صَانِعًا فَيَسَبِّبُ
غَيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يَجْفُوا صُنْعَتَهُ فَتَقِفَ ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا فَتُرِيدُ بِغَيْبَتِكَ أَنْ تَخْسَرَ
تِجَارَتَهُ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ ، وَتُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ أَوْ بَنَاتٌ يُرْغَبُ فِي
تَزْوِجِهِمْ أَنْ يَأْتَفَ النَّاسُ مِنْهُمْ فَيُورُونَ ، هَذَا وَاللَّهِ شَيْءٌ يُؤْلِمُ النَّفُوسَ
الزُّكِّيَّةَ لِأَنَّهَا مَضَارٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا تَنْزِلُ بِمَنْ تَغْتَابُهُ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُصَدِّقَ
الْمُغْتَابَ وَأَنْ يَرُدَّهُ خَائِبًا وَلَا يَنْظُرَ بِأَحْيِهِ الْمُسْلِمِ إِلَّا خَيْرًا .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَافِنَا مِنْ مِحَنِ الزَّمَانِ ،
وَعَوَارِضِ الْفِتَنِ ، فَإِنَّا ضَعْفَاءُ عَنْ حَمَلِهَا ، وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِهَا ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا
لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجَّجْنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ
الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ
وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

وَيَحْمِلُ وِزْرًا عَنْكَ ظَنٌّ بِحَمْلِهِ
عَنْ النَّجْبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَنَنَايِهِ
فَكَافِيهِ بِالْحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَارِهِ
بِخَيْرٍ وَكَفَّرَ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
فَيَا أَيُّهَا الْمُعْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيَ
ثَوَابُ صَلَاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِيهِ
فَعَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيتُ عَدُوَّهُ
يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهُ فِي غَفْلَاتِهِ
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
بِامْعَانِهِ فِي نَفْعٍ بَعْضِ عُدَاتِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاخِطًا
عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلُ يَسْتَوْجِبُ الْأَجْرَ وَالثَنَّا
وَيُحْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
وَمَنْ يَتَّصِفُ يَنْفَخُ ضِرَامًا قَدْ أَنْطَفَى
وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ الْمَسَاوِي لِذَاتِهِ
فَلَا صَالِحٌ يُجْزَى بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَلَا حَسَنٌ يُثْنَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ
يَظَلُّ أَخُو الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَالِ مَمَاتِهِ

وَلَا يَسْتَجِي مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدَّعِي
بَأَنَّ صِفَاتِ الْكَلْبِ دُونَ صِفَاتِهِ
وَقَدْ أَكَلَا مِنْ لَحْمٍ مَيِّتٍ كِلَاهُمَا
وَلَكِنْ دَعَى الْكَلْبَ اضْطِرَارًا اقْتِيَابَهُ
تَسَاوَيْتُمَا أَكَلًا فَأَشَقَّاكُمَا بِهِ
غَدًا مَنْ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ تَبَعَاتِهِ
وَمَا لِكَلَامٍ مَرَّ كَالرَّيْحِ مَوْقِعُ
فَيَبْقَى عَلَى الْإِنْسَانِ بَعْضُ سِمَاتِهِ

« فَضْلٌ »

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى النَّيْمَةِ إِمَّا إِزَادَةَ السُّوءِ بِالْمَحْكِي عَنْهُ ،
أَوْ إِظْهَارَ الْحُبِّ لِلْمَحْكِي لَهُ أَوْ التَّفَرُّجَ بِالْحَدِيثِ أَوْ الْخَوْضَ فِي
الْفُضُولِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَمِنْ آفَاتِ الْكَلَامِ كَلَامُ ذِي اللِّسَانَيْنِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ
لِكُلِّ مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ بِكَلَامٍ يُوَافِقُهُ فَيُظْهِرُ لَهُ إِذَا قَابَلَهُ أَنَّهُ صَدِيقُهُ الْحَمِيمُ
الْحَرِيصُ عَلَى مَصْلَحَتِهِ السَّاعِي فِي مَنْفَعَتِهِ وَيُظْهِرُ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِعَدُوِّهِ وَأَنَّهُ
حَرَبٌ عَلَيْهِ مِثْلُهُ فَيَغْتَرُّ بِقَوْلِهِ وَيَتَخَدِّعُ بِوَشْيِهِ فَيُفْضِي إِلَيْهِ بِخَبِيثِهِ وَيُبَوِّحُ لَهُ
بِأَسْرَارِهِ وَيُحَدِّثُهُ عَنْ عَدُوِّهِ وَبِمَا نَقَمَ مِنْهُ ، وَمَا عَابَ عَلَيْهِ ، وَمَا دَبَّرَهُ ضِدًّا
عَدُوِّهِ أَوْ اتَّقَى بِهِ شَرَّهُ وَكَيْدَهُ ، وَمَكْرَهُ وَخِدَاعَهُ فَإِذَا فَارَقَهُ ذَهَبَ إِلَى عَدُوِّهِ
وَأَعْلَمَهُ بِخَبِيئَةِ أَمْرِهِ وَبِمَكْتُومِ سِرِّهِ وَطَعَنَ فِي عَرَضِهِ وَنَالَ مِنْ شَرَفِهِ وَأَظْهَرَ
لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُ وَأَنَّهُ لَهُ الصَّدِيقُ الْوَفِيُّ فَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ إِلَيْهِ وَيَنْطَلِقُ فِي ذَمِّ
الْآخِرِ وَالنَّيْلِ مِنْ عَرَضِهِ ثُمَّ يُحَدِّثُ هَذَا بِمَا فَكَّرَ فِيهِ وَقَدَّرَ وَبَيَّتَ وَدَبَّرَ
فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى الْأَوَّلِ وَيَقْصُهُ عَلَيْهِ قَصًّا يُؤْغِرُ صَدْرَهُ وَيُشْعِلُ فِي قَلْبِهِ نَارَ
الْعَدَاوَةِ ، فَيَزِدُّهُ الْعِدَا ، وَتَرْبُو الْبَغْضَاءُ وَالشُّحْنَاءُ ، وَهَكَذَا بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ
وَالْحَزْبَيْنِ فَمِثْلُ هَذَا مُنَافِقُ كَذَّابٌ نَمَامٌ خَدَّاعٌ غَشَّاشٌ مَكَارٌ ظَالِمٌ .

شعرا :

صَافِي الْكَرِيمِ وَخَيْرٌ مَن صَافَيْتُهُ
مَن كَانَ ذَا دِينٍ وَكَانَ عَفِيفًا
إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ تَضَعُضَعَ حَالُهُ
فَالطَّبْعُ مِنْهُ لَا يَزَالُ شَرِيفًا
وَاحْذَرِ مُوَآخَاةَ اللَّيْمِ فَإِنَّهُ
يُؤَدِّي الْقَبِيحَ وَيَكْتُمُ الْمَعْرُوفَا
وَالنَّاسُ مِثْلُ دَارِهِمْ مَيَّزَتْهَا

آخر :

لَا تَمْدَحَنَّ إِمْرَأَ حَتَّى تُجَرِّبَهُ
فَرَبَّمَا قَامَ إِنْسَانٌ مَقَامَ فِيمَةَ
فَالذَّالُّ وَالذَّالُّ فِي التَّصْوِيرِ وَاحِدَةٌ
وَالدَّالُ أَرْبَعَةٌ وَالذَّالُّ سَبْعُمَائَةٌ

يشار بذلك إلى الأعداد الأبجدية في قول فالذال أربعة والذال سبعمائة

وَرَسْمُهُمَا وَاحِدٌ إِلَّا أَنَّ الذَّالَ تَتَمَيَّزُ بِنَقْطَةٍ فَقَطْ .

شعرا :

وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ وَدُّهُ بِلِسَانِهِ
حَوُونَ بِظَهْرِ الْعَيْبِ لَا يَتَدَمَّمُ
يُضَاحِكُنِي عُجْبًا إِذَا مَا لَقَيْتُهُ
وَيَصْدِفُنِي مِنْهُ إِذَا غَبْتُ أَسْهُمُ
كَذَلِكَ ذُو الْوَجْهِينِ يُرْضِيكَ شَاهِدًا
وَفِي غَيْبِهِ إِنْ غَابَ صَابٌ وَعَلَقَمُ

آخر :

تَطَلَّبْتُ فِي الدُّنْيَا خَلِيلًا فَلَمْ أَجِدْ
وَمَا أَحَدٌ غَيْرِي لِذَلِكَ وَاجِدُ
فَكَمْ مُضْمِرٍ بَعْضًا يُرِيكَ مَحَبَّةً
وَفِي الرَّئِدِ نَارٌ هُوَ فِي اللَّمْسِ بَارِدُ

آخر :

تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نُسْرُ بِقُرْبِهِ
وَصَارَ زَعَافًا بَعْدَ مَا كَانَ سَلْسَلَا
وَحُقَّ لِحَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ
وَلَا لِأَمْتِهِ الدَّارُ أَنْ يَتَحَوَّلَا
أَخْرَجَ : لَا أَشْتَكِي زَمَنِي هَذَا فَاطْلِمُهُ
وَإِنَّمَا أَشْتَكِي مِنْ أَهْلِ ذَا الزَّمَنِ
هُمُ الذِّيَابُ الَّتِي تَحْتَ الثِّيَابِ فَلَا
تَكُنْ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِمُؤْتَمِنٍ
أَخْرَجَ : مَنْ عَاشَ غَيْرَ مُدَاجٍ مَنْ يَعَاشِرُهُ
أَسَاءَ عَشْرَةَ أَصْحَابٍ وَإِخْوَانٍ
كَمْ صَاحِبٍ يَتَمَنَّى لَوْ نُعِيَتْ لَهُ
وَإِنْ تَشَكَّيْتُ آخَانِي وَفَدَّانِ

وَمِنَ الْآفَاتِ الْمَهْلِكَةِ الَّتِي يَتَأَكَّدُ تَجَنُّبُهَا فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ الْمَدْحُ
وَلَهُ سِتُّ آفَاتٍ أَرْبَعٌ فِي الْمَادِحِ وَاثْنَتَانِ فِي الْمَمْدُوحِ : الْأُولَى أَنَّهُ قَدْ
يُفْرِطُ فَيَنْتَهِي بِهِ إِلَى الْكُذِبِ . الثَّانِيَةُ أَنَّهُ قَدْ يَدْخُلُهُ الرِّيَاءُ إِذْ لَا يَكُونُ قَلْبُهُ
كَذَلِكَ . الثَّلَاثَةُ أَنَّهُ قَدْ يَقُولُ مَا لَا يَتَحَقَّقُهُ وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ
الرَّابِعَةُ أَنَّهُ قَدْ يَمْدَحُ الظَّالِمَ وَالْفَاسِقَ وَالْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ وَهَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ
الْخَامِسَةُ أَنَّهُ يُحَدِّثُ فِي الْمَمْدُوحِ كِبْرًا وَاعْجَابًا ، وَهَذَا مُهْلِكَتَانِ ،
السَّادِسَةُ : أَنَّهُ يُحَدِّثُ فِي الْمَمْدُوحِ فَتُورًا وَيَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ ، عِنْدَمَا يُثْنِي
عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ ، وَيَحْضُلُ مَعَهُ فَرَحٌ وَسُرُورٌ ، فَيَقِلُّ اجْتِهَادُهُ وَتَشْمِيرُهُ عَنِ
الْعَمَلِ لِأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ النِّهَايَةَ وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي دَمِّ الْمَدْحِ
فِي الْوَجْهِ لَمَنْ خِيفَ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ مِنْ إِعْجَابٍ وَنَحْوِ .

مِنَ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعَ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِبُهُ فِي الْمَدْحِ
فَقَالَ « أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ » متفق عليه ، وَالْإِطْرَاءُ الْمَبَالِغَةُ فِي
الْمَدْحِ .

وَقَدْ بَالِغَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى أَسْيَادِهِمْ بِمَا يُرْضِيهِمْ ،
طَمَعًا فِي الدُّنْيَا ، أَوْ اتِّقَاءَ شَرِّهِمْ ، وَلَوْلَا التَّحْذِيرُ عَنْ مِثْلِهَا لَمَا سَقَنَاهَا
نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ : قَالَ الْمُتَنَبِّي :

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمِلُهُ
وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ
وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

ويقول الآخر نسأل الله العافيه :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار

فاحكم فأنت المالك القهار

ولو اعتصم بالله وعلم أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله جل وعلا لأغناه
وكفاه ، وحال بين من يخشاه ويئنه ، قال تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله
فهو حسبه ﴾ وقال ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾
وعلام يخضع المؤمن أو يتدلل لمخلوق مثله ، يحتاج إلى ما يحتاج إليه .
شعرا :

الحمد لله ليس الرزق بالطلب ولا العطايا لدى عقل ولا أدب
إن قدر الله شيئا أنت طالبه يوماً وجدت إليه أقرب السبب
آخر :

صرفت عن الكثرات وجه توجهي إلى وحدة الوجه الكريم الممجد
فما خاب مصروفاً إلى الحق وجهه وقد خاب من أضحى إلى الخلق يجتدي

آخر : لو أنني خيرت كل فضيلة ما اخترت إلا صالح الأعمال
كل الأمور تزول عنك وتفضي إلا العمل لله فهو الباقي

آخر : مولاك يكفيك فالزم باب طاعته

فقد كفى الناس أحياء وأمواتا

من يعتمد غيره يرجع بمحرمة

كالمبتغي بالفلا الصحراء أحواتا

نصحتك لا تسأل من الناس والتمس بكفيك فضل الله فالرزق أوسع

فلو سئل الناس التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

آخر : لا تخضعن لمخلوق على طمع

فإن ذلك نقص منك في الدين

وَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
فَإِنَّمَا الْأَمْرُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنَّوْنِ

يشير إلى قول الله جَلَّ وَعَلَا «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» .

وعن أبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَبِحَاكٍ قَطَعْتَ عُقَّ صَاحِبِكَ» يَقُولُهُ مِرَارًا «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُهُ كَذًّا وَكَذَا. إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكُ، وَحَسْبِيهِ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَيَّ اللَّهُ أَحَدًا» متفق عليه .

وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ الْمُقَدَّادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَمَدَ الْمُقَدَّادُ فَجَنَّا عَلَيَّ رُكْبَتَيْهِ فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ» رواه مسلم .

وَقَدْ ذَكَرَ شُرَاحُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَدَّاحِينَ الْمَعْنِيِّينَ هُنَا هُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَدْحَ النَّاسِ عَادَةً يَسْتَأْلُونَ بِهِ فَأَمَّا مَنْ مَدَحَ عَلَى الْأَمْرِ الْحَسَنِ وَالْفِعْلِ الْجَمِيلِ تَرْغِيبًا وَتَنْشِيطًا وَتَحْرِيفًا لِلنَّاسِ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِ فَلَيْسَ بِمَدَّاحٍ وَخِتَامًا فَإِنَّ التَّمْدِيحَ مَدْرَجَةٌ إِلَى الْكُذِبِ وَالْمُسْلِمُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ نَبِيهَا حَذِرًا حِينَمَا يُثْنَى عَلَيْهِ غَيْرِهِ فَلَا يَذْكُرُ إِلَّا مَا يَعْلَمُ مِنْ خَيْرٍ وَلَا يَجْنَحُ إِلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدْحِ فَمَهْمَا كَانَ الْمَمْدُوحُ جَدِيرًا بِالثَّنَاءِ فَإِنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي مَدْحِهِ ضَرْبٌ مِنَ الْكُذِبِ عَلَى أَنَّ الْمَمْدُوحَ إِنْ كَانَ رَزِينًا الْعَقْلَ انْتَقَدَ الْمُتَجَاوِزَ لِلْحَدِّ فِي مَدْحِهِ كَمَا قِيلَ .

وَمَدْحُكَ الشُّخْصَ بِالْأَخْلَاقِ يَعْدِمُهَا
وَقَالَ الْآخِرُ : لِلْحَرِّ ذِي اللَّبِّ تَبْكِيْتُ وَتَخْجِيلُ

إِذَا الْمَرءُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعَالِهِ
فَمَادِحُهُ يَهْدِي وَإِنْ كَانَ مُفْصِحًا

وَأَجَابَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ الْمُبَالِغِ فِي مَدْحِهِ بِقَوْلِهِ :
كُفَيْتَ أَدَى يَا مَنْ تَعَدُّ مَحَاسِنِي
عَلَانِيَتِي هَذَا وَلَمْ تَدِرْ بَاطِنِي
وَأَجَابَ الْآخَرُ بِقَوْلِهِ :

وَلَوْ عَلِمَ الْخَلَائِقُ سُوءَ فِعْلِي
لَمَا رَدُّوا إِلَيَّ مِثْلِي سَلَامًا
وَحَيْثُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ لَا يُحِبُّ الرِّيَاءَ وَالشُّهُرَةَ وَطَلَبَ الْمَدْحِ وَالشَّنَاءِ يَقُولُ :
أَرَى الْغَرَّ فِي الدُّنْيَا إِذَا قِيلَ فَاضِلُّ
تَرَفَّى عَلَى رُؤْسِ الرِّجَالِ وَيَخْطُبُ
وَإِنْ كَانَ مِثْلِي لَا فَضِيلَةَ عِنْدَهُ
يُقَاسُ بِطِفْلِ فِي الشُّوَارِعِ يَلْعَبُ

وَأَمَّا الثَّنَاءُ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ فَشَنَاعَةٌ وَفِطَاعَةٌ وَقَدْ قِيلَ لِحَكِيمٍ
مَا الَّذِي لَا يَحْسُنُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا فَقَالَ مَدْحُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ وَقَالَ مُعَاوِيَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ مِنْ سَيِّدِ قَوْمِكَ فَقَالَ أَنَا فَقَالَ لَوْ كُنْتَهُ لَمَا قُلْتَهُ قَالَ
بَعْضُهُمْ .

وَمَا حَسَنَ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرءُ نَفْسَهُ
وَلَكِنَّ أَخْلَاقًا تَذُمَّ وَتَمْدَحُ

وَمَا كُلُّ حِينٍ يَصْدُقُ الْمَرْءَ ظَنُّهُ
وَلَا كُلُّ أَصْحَابِ التَّجَارَةِ يَرْبِحُ
وَلَا كُلُّ مَنْ تَرَجَّوْ لَغَيْبِكَ حَافِظًا
وَلَا كُلُّ مَنْ ضَمَّ الْوَدِيعَةَ يَصْلِحُ

وَرُبَّمَا آلَ حُبِّ الْمَدْحِ بِصَاحِبِهِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ دَيْدَانُهُ مَدْحُ نَفْسِهِ إِمَّا
لِتَوْهُمِهِ أَنَّ النَّاسَ عَقَلُوا عَنْ فَضْلِهِ وَأَحْلَوْا بِحَقِّهِ مِنَ الْمَدْحِ فَتَسَوَّقَهُ
الْمُنَافَسَةُ إِلَى مَدْحِ نَفْسِهِ وَقَتَحَ بَابَ الْأَسْتَهْزَاءِ عَلَيْهِ وَإِمَّا لِيُخَدِّعَهُمْ
بِتَدْلِيْسِ نَفْسِهِ بِالْمَدْحِ وَالْأَطْرَاءِ فَيَعْتَقِدُ الْجُهَالُ أَنَّ قَوْلَهُ حَقٌّ مُتَّبَعٌ وَصِدْقٌ
مُسْتَمَعٌ وَإِمَّا لِتَلَذُّدِهِ بِسَمَاعِ الثَّنَاءِ وَسُرُورِ نَفْسِهِ بِالْمَدْحِ وَلَايِيٍّ وَاجِدٍ مِنَ
الثَّلَاثَةِ كَانَ مَدْحُ النَّفْسِ فَهُوَ الْجَهْلُ الصَّرِيحُ وَالنَّقْصُ الْفَضِيحُ ، وَالْكِبْرُ
الْقَبِيحُ لِأَنَّهُ نَاشِيءٌ عَنِ عَقْلِ فَاسِدٍ .

وقد قال بعض الشعراء :

وَدَعْوَةُ الْمَرْءِ تُطْفِي نُورَ بَهْجَتِهِ
هَذَا بِحَقِّ فَكَيْفَ الْمُدَّعِي زَلَّأ

وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَرَشِدَ إِخْوَانَ الصِّدْقِ الَّذِينَ هُمْ أَصْفِيَاءُ
الْقُلُوبِ الَّذِينَ يَثِقُ بِدِينِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ فَهُمْ مَرَايَا الْمَحَاسِنِ وَالْعُيُوبِ لِيُنَبِّهُوهُ
عَلَى مَسَاوِيهِ الَّتِي صَرَفَهُ حُسْنُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ عَنْهَا فَإِنَّهُمْ أَمَكُنْ نَظْرًا وَأَسْلَمُ
فِكْرًا وَيَجْعَلُونَ مَا يُنَبِّهُونَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَسَاوِيهِ عِوَضًا عَنْ تَصْدِيقِهِ الْمَدْحَ فِيهِ .

قال الشاعر :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ وَلَوْ أَتَى مِنْ نَاقِصٍ
فَالدُّرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ

آخر :

خَصَائِصُ مِنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثٌ فَخُذْهَا مِنْ لِسَانِي بِالْوَائِقَةِ
وَدَادُ خَالِصُ وَوَفُورُ عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٌ لِحَالِكَ بِالْحَقِيقَةِ
فَإِنْ تَمَّتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ أَيُّهُ وَاسْلُكْ طَرِيقَهُ

وقد روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
« المؤمن من مرآة المؤمن ، إذا رأى فيه عيباً أصلحه » وكان عمر رضي الله
عنه يقول رجم الله امرأ أهدى إلينا مساوينا لنصلحها . وقيل لبعض
الحكماء أتعب أن تهدي إليك عيوبك قال نعم ممن يريد براءتي من
العيوب لا من عدو يشمت بالذنوب .

ومما يقارب هذا القول ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أنه قال لابن عباس من ترى نوليه حمص فقال رجلاً صحيحاً منك لا
تسوء به الظن بأنه ليس من أهل الكفاية نصيحاً لك مخلصاً في طاعتك
قال عمر تكون أنت ذلك الرجل قال ابن عباس لا تتفع بي مع سوء
ظنك بي لما حملت كلامي على التعريض ، وسؤال الولاية .

وأما قول يوسف عليه السلام (اجعلني على خزائن الأرض فلأنه
قصد بذلك التنبيه على استقلاله بما سأل أن يفوض إليه لمصلحة لا
يقوم بها غيره وهي العلم بجميع الجهات المتعلقة بهذه الخزائن من
حسن الاستخراج وحسن التصرف وإقامة العدل الكامل مع الحفظ التام
لذلك فهو لما رأى الملك استخلصه لذلك وجعله مقدماً عليه وفي المحل
العالي وجب عليه النصيحة التامة للملك والرعية ، وأما طلب ما يحصل
به الشاء من وجه يستحب فذلك محمود ، وهو طريق إبراهيم عليه الصلاة

وَالسَّلَامُ حَيْثُ قَالَ (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ أَي اجْعَلْنِي
بِحَيْثُ أَفْعَلُ مَا إِذَا مُدِحْتُ بِهِ يَكُونُ مَا دِحِّي صَادِقًا وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ
إِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَطُنُّونَ وَيُكْثِرُونَ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ
شعرا :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبْقَى مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً فَسَارِعْ إِلَى حَمْدِ الإِلهِ وَشُكْرِهِ
وَلَا تَعْصِبَنَّ اللَّهُ فِيمَا رَزَقْتَهُ فَيَنْزِعُ عَنْكَ اللَّهُ وَاسِعَ رِزْقِهِ

آخر :

إِذَا رَبُّنَا أُعْطَاكَ دُنْيَاً فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ أَهْلَ الدِّينِ قَبْلَ التَّفَلُّتِ
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ وُلَّتْ

آخر :

تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الأُمُورَ بِعِلْمِهِ وَذَلَّ لَهُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَمَنْ قَسَمَ الأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِهِ

وَفَضَّلَ بَعْضَ النَّاسِ فِيهَا عَلَى بَعْضٍ

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الحِرْصَ فِيهِ يَزِيدُهُ

فَقُولُوا لَهُ يَزْدَادُ فِي الطُّولِ وَالعَرَضِ

آخر :

وَدَاوِ وَلَازِمِ قَرَعَ بَابِ مُؤَمِّلًا

فَمَا خَيْبَ المَوْلَى رَجَاءَ مُؤَمِّلٍ

وَصَابِرٍ فَمَا نَالَ العُلَا غَيْرُ صَابِرٍ

وَقُلْ وَاعِظًا لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلُّمِ

مَعَ الصَّبْرِ إِحْدَى حُسْنَيْنٍ مُنَاكَ أَوْ

مَنَايَا كِرَامِ فَاصْبِرْني وَتَحْمَلِي

وَدَاوِ لِسُقْمِ القَلْبِ وَاعْمُرْ حَرَابَهُ بِذِكْرِكَ مَوْلَانَا فَسَبِّحْ وَهَلِّلْ

اللهم اكتب في قلوبنا الايمان وايدنا بتور منك يا نور السموات والارض ،
 اللهم وافتح لدعائنا باب القبول والاجابة واغفر لنا وارحمنا برحمتك الواسعة
 انك انت الغفور الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين .

مَوْعِظَةٌ

أَيْنَ مَنْ عَمَرَ الْعَمَائِرَ وَالْفِلَلَ وَاحْتَرَسَ ، أَيْنَ مَنْ عَمَرَ الْحَدَائِقَ وَغَرَسَ
 وَنَصَبَ لِنَفْسِهِ سَرِيرَ الْعِزِّ وَجَلَسَ وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْعُتُوِّ وَالطُّغْيَانِ وَعَنْ الْحَقِّ
 انْتَكَسَ وَظَنَّ فِي نَفْسِهِ الْبَقَاءَ وَلَكِنْ خَابَ الظَّنُّ فِي النَّفْسِ ، أَفَلَقَهُ خَوْفُ
 الْمَوْتِ وَاخْتَلَسَ وَأُنزِلَ بِالْقَهْرِ عَنْ ظَهْرِ الْفَرَسِ وَحُمِلَ إِلَى دَارِ الْبَلَاءِ
 فَأَنْطَمَسَ وَتَرَكَهُ فِي ظَلَامٍ ظُلْمَةٌ مِنَ الْجَهْلِ وَالْدَّنَسِ فَالْعَاقِلُ مَنْ اعْتَنَمَ
 الْوَقْتَ قَبْلَ أَنْ يُخْتَلَسَ وَصَبَرَ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ الْحَيَاةُ
 شعرا :

وَيَنْقَطِعُ النَّفْسُ ، وَأَكْثَرُ مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ أَنْ يُوفِّقَكَ وَيُعِينِكَ .

شعرا :

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّهِ لِلْعَبِيدِ مُسْعِفًا تَهَيَّا لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُرَادُهُ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَأَكْثُرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ
 آخر :

فَكَابِدْ إِلَى أَنْ تُبْلَغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ طِلَاعَ أَنْجِدِ
 وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَبْهَلًا وَلَا تُعْبَسَنَّ بِالنِّعَمَتَيْنِ بَلْ أَجْهِدِ
 فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ
 شعراً :

نَيْبِي وَنَجْمَعُ وَالْآثَارُ تَنْدَرِسُ
 وَنَأْمَلُ اللَّبْثَ وَالْأَعْمَارُ تُخْتَلَسُ

ذَا اللَّبِّ فَكَّرَ فَمَا فِي الْعَيْشِ مِنْ طَمَعٍ
 لَا بُدَّ مَا يَنْتَهِي أَمْرٌ وَيَنْعَكُسُ
 أَيْنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَمَنْ
 كَانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُوا هَيْئَةً جَلَسُوا
 وَمَنْ سِيُوفُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ
 تُخْشَى وَدُونَهُمُ الْحُجَابُ وَالْحَرَسُ
 أَضْحَوْا بِمَهْلَكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ
 صَرَغَى وَصَارُوا بِبَطْنِ الْأَرْضِ وَأَنْطَمَسُوا
 وَعَمَّهُمْ حَدَثٌ وَضَمَّهُمْ جَدَثٌ
 بَاتُوا فَهُمْ جُثَّتْ فِي الرَّمْسِ قَدْ حُسُوا
 كَأَنَّهُمْ قَطُّ مَا كَانُوا وَمَا خُلِقُوا
 وَمَاتَ ذِكْرُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا
 وَاللَّهُ لَوْ عَايَنْتَ عَيْنَاكَ مَا صَنَعْتَ
 أَيْدِي الْبَلَى يَهُمُوا وَالِدُودُ يَقْتَرِسُ
 لَعَايَنْتَ مَنْظِرًا تُشْجِي الْقُلُوبُ لَهُ
 وَأَبْصَرْتَ مُنْكَرًا مِنْ دُونِهِ الْبَلَسُ
 مِنْ أَوْجِهِ نَاطِرَاتٍ حَارَ نَاطِرُهَا
 فِي رَوْنِقِ الْحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ يَنْطَمِسُ
 وَأَعْظَمَ بَالِيَاتٍ مَا بِهَا رَمَقُ
 وَلَيْسَ تَبْقَى لِهَذَا وَهِيَ تَنْتَهَسُ
 وَالسُّنِ نَاطِقَاتٍ زَانَهَا أَدْبُ
 مَا شَأْنَهَا شَأْنَهَا فِي الْمَنْطِقِ الْخَرَسُ

حَتَامَ يَأْذُ النَّهْيَ لَا تَرْعَوِي سَفَهَا
وَدَمْعُ عَيْنَيْكَ لَا يَهْمِي وَيَنْبَجِسُ

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهَذَاكَ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ
عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ يَا كَرِيمُ وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ أُمَّةٍ بَقَلْبٍ سَلِيمٍ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ الشُّتْمُ وَهُوَ رَمِيْ أَعْرَاضِ
النَّاسِ بِالْمَعَائِبِ الْقَبِيحَةِ وَذِكْرِهِمْ بِقَبِيحِ الْقَوْلِ حَضْرًا أَوْ غَيْبًا . عَنْ
سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ يَضْمَنْ لِي
مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَبَابُ الْمُسْلِمِ
فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ
وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّ
مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ
وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ » .

وَفِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ : « وَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ
يَخْمِسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » .

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ : ذَكَرْتُ رَجُلًا بِسُوءٍ عِنْدَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ
فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ أَغْرَوْتَ الرُّومَ قُلْتُ لَا قَالَ أَغْرَوْتَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ

والتَّركَ قُلْتُ لا قالَ أَفَسَلِمَ مِنْكَ الرُّومُ وَالسُّنْدُ وَالهِندُ وَلَمْ يَسَلِّمْ مِنْكَ أَخُوكَ
المُسلِمَ قالَ فَلَمْ أَعُدْ بَعْدَها ، وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مُولِعاً بِلُحُومِ الغَوافِلِ عِياباً
لِلناسِ إِلاَّ وفيه مِنَ العُيوبِ ما لَوِ اشْتَغَلَ بِإِصلاحِ بَعْضِها لَكَانَ أَوْلَى بِهِ ،
وَأَحْفَظُ لَوَقْتِهِ ، وَأَسَلِّمْ لِدِينِهِ ، وَأَسَلِّمْ لِعِرْضِهِ فَإِنَّهُ إِذا عابَهُم عابُوهُ وَأَكْثَرُوا
فِيهِ وَيَسْتَمِرُّونَ فِي البِذاءةِ وَالوَقاحَةِ ولا يَمَلُّ بَلْ يَفْرَحُ .

شِعْراً : إِذا أَنْتَ عَيْبَتِ النَّاسَ عابُوا وَأَكْثَرُوا
عَلَيْكَ وَأَبَدُوا فِيكَ ما كانَ يُسْتَرُ
وَإِما ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عُيوبَهُمْ
ولا عَيْبَ إِلا مِثْلَ ما فِيكَ يُذَكِّرُ
فإِنْ عَيْبَتَ قوماً بِالذِّي فِيكَ مِثْلُهُ
فَكَيْفَ يَعْيبُ العُورَ مَنْ هُوَ أَعورُ
وَإِنْ عَيْبَتَ قوماً بِالذِّي لَيْسَ فِيهِمْ
فَذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَاللَّهِ أَكْبَرُ

آخر :

قَبِيحٌ مِنَ الإِنسانِ يَنْسى عُيوبَهُ وَيَذْكَرُ عَيْباً فِي أُخِيهِ قَدِ اخْتَفَى
وَلَوْ كانَ ذا عَقْلٍ لَمَّا عابَ غَيْرَهُ وفيهِ عُيوبٌ لَوْ رآها بِها اكَتَفَى

آخر :

وَمَطْرُوفَةٌ عَيْنَاهُ عَنِ عَيْبِ نَفْسِهِ وَإِنْ بانَ عَيْبٌ مِنْ أُخِيهِ تَبَصَّرا

آخر :

أَتَبَصَّرُ فِي العَيْنِ مِنْني القَدَا وَفي عَيْنِكَ الجِذْعُ لا تُبَصِّرُ
وَلَا أَحْسَنَ مِنَ الإِغراضِ عَنِ السَّفِيهِ وَالذَّنبي قالَ بَعْضُهُمْ .
إِذا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ ذَنْباً فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سِواءُ

آخر :

وَمَنْ رَدَّ الْكَلَامَ عَلَى سَفِيهِ كَمَنْ دَفَعَ السَّلَاحَ إِلَى عَدُوِّهِ

آخر :

لَوْ كُلَّ كَلْبٍ عَوَى الْقَمْتَهُ حَجْرًا لَأَصْبَحَ الصَّخْرُ مِثْقَالًا بِدَيْنَارٍ

آخر :

أَوْ كَلَّمَا طَنَّ الذُّبَابُ رَجْرَثُهُ إِنَّ الذُّبَابَ إِذَا عَلَيَّ كَرِيمٌ

آخر :

فَمَا كُلُّ كَلْبٍ نَابِحٍ يَسْتَوْزِي وَلَا كُلُّ مَا طَنَّ الذُّبَابُ أُرْوَعُ

آخر :

وَلَوْ كَلَّمَا كَلْبٌ عَوَى مِلْتُ نَحْوَهُ أَجَاوِ بِهِ إِنَّ الْكِلَابَ كَثِيرٌ

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ . قَالَ « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعَبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ » ثُمَّ قَالَ لَهُ « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ » ثُمَّ تَلَا : « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثُمَّ قَالَ « أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » ثُمَّ قَالَ « قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ ؟ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمُوَأْخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي

النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ أَوْ قَالَ : عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ .

شِعْرًا :

أَلَا أَحْفَظُ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرِّ فِي قَتْلِهِ
وَإِنَّ اللِّسَانَ دَلِيلُ الْفُؤَادِ يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

آخر : اغمض لسانك لا ينسل عن فمه

فَإِنَّهُ فِي عُيُوبِ الْخَلْقِ طَعْمَانُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ يَأْجُوجِ اللِّسَانِ إِذَا

لَمْ يُبَيِّنْ مِنْ دُونِهِ كَالسِّدِّ أَسْنَانُ

آخر :

لِسَانُ الْمَرْءِ لَيْثٌ فِي كَيْمِينَ إِذَا تَحَلَّى عَلَيْهِ لَهُ إِغَارَةٌ
فَصْنُهُ عَنِ الْخَنَاءِ بِلِجَامٍ صَمْتٌ يَكُنْ لَكَ مِنْ بَلِيَّاتٍ سِتَارَةٌ

آخر :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ واحترز من لفظه

فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ

آخر :

إِحْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فَتُبْتَلَى إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

آخر :

لِسَانَكَ لَكَ الْمَمْلُوكُ مَا دُمْتَ صَامِتًا

وَأَنْتَ لَهُ الْمَمْلُوكُ حِينَ تَكَلِّمُ

آخر :

يَكُوبُ الْفَتَى فِي النَّارِ حَصْدُ لِسَانِهِ وَإِرْسَالُ طَرْفِ الْمَرْءِ أَنْكَى فَقَيْدِ

آخر : ما إن ندمت على سكويتي مرة

وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقُلْتُ : مَا النَّجَاةُ ؟ فَقَالَ « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعَكَ بَيْتُكَ ، وَابْنُكَ
عَلَى خَطِيئَتِكَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَخَرَجَ البَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بُسْرٍ
أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ « أَمْسِكْ
هَذَا » وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ وَقَالَ « تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ هَلْ يَكُفُّ
النَّاسَ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » ، وَالْمُرَادُ بِحَصَائِدِ
الْأَلْسِنِ جَزَاءُ الْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ وَعُقُوبَاتُهُ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَزْرَعُ بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ
الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَحْصُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا زَرَعَ فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا مِنْ قَوْلٍ
أَوْ عَمَلٍ حَصَدَ الْكِرَامَةَ وَمَنْ زَرَعَ شَرًّا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ حَصَدَ النَّدَامَةَ
وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ
النَّاسَ النَّارَ الْأَجُوفَانِ الْقَمُّ وَالْفَرْجُ » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَخَرَجَ
البُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ » .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَنْ
الْمُفْلِسُ ؟ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ إِنَّ
الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ
شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيَأْخُذُ
هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ
أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابَهُ الْفُحْشُ وَهُوَ كُلُّ مَا اشْتَدَّ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْمَعَاصِي وَكَذَلِكَ الرِّيَاءُ نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ .

شعرا: مَنْ شَاءَ عَيْشَارَ خَيْرًا يَسْتَفِيدُ بِهِ فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالًا
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ بِتَقَى وَ الْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَالًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ .

وَيُسْنُ لِمَنْ شَتِمَ وَهُوَ صَائِمٌ أَنْ يَقُولَ : « إِنِّي صَائِمٌ » سِوَاءً فِي رَمَضَانَ أَوْ غَيْرِهِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَانَ صَوْمٌ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُقِلْ إِنِّي صَائِمٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
شِعْرًا :

تَزَوَّدَ مَا اسْتَطَعْتَ لِذَارِ خُلْدٍ
فَخَيْرُ الزَّادِ زَادُ الْمُتَّقِينَ
وَلَا يَغْرُرُكَ فِي الدُّنْيَا ثَرَاءٌ
هُنَاكَ تَرَى أَجُورَ الْعَامِلِينَ
تَبَصَّرْ يَا هَذَاكَ اللَّهُ إِنَّا
نَسِيرُ عَلَى طَرِيقِ السَّابِقِينَ
فَإِنَّ الْمَوْتَ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ
وَبَطْنُ الْأَرْضِ مَثْوَى الْعَالَمِينَ
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّأَةَ كَانُوا
مُلُوكًا فِي الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ
أَصَاعُوا الْعُمَرَ فِي لَهْوٍ وَظُلْمٍ
وَحَادُوا عَن طَرِيقِ الْمُتَّقِينَ
وَلَمْ يَجِدُوا لِدْفَعِ الْمَوْتِ عَنْهُمْ
نَعِيمُ الْخُلْدِ لَا يَفْنَى فَسَارِعٌ
سَيِّئًا فَاسْتَكَانُوا صَاغِرِينَ
لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنا وَسَهِّلْ
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سَبْلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنا يَا مُنْقِذَ الْغَرْقى وَيَا مُنْجِي
الْهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَدَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَثَلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ
عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

موعظة

قال ابن الجوزي رحمه الله : الحذر الحذر من المعاصي فإنها
سنة العواقب ، والحذر الحذر من الذنوب خصوصاً ذنوب الخلوات ،
فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه سبحانه ولا ينال لذة المعاصي
إلا دائم الغفلة ، فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عند التذاده
يقف بازائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى
بعين علمه قرب الناهي وهو الله فيتنعض عيشه في حال التذاده فإن غلبه
سكر الهوى كان القلب متنعصاً بهذه المراقبات وإن كان الطبع في شهوته
فما هي إلا لحظة ثم خزي دائم وندم ملازم وبكاء متواصل وأسف على
ما كان مع طول الزمان حتى إنه لو تيقن العفو وقف بازائه حذر العتاب
فأف للذنوب ما أفبح آثارها وأساء أخبارها انتهى .

شعرا : أبيضن لي فتى ترك المعاصي
أطاع الله قوم فاستراحوا
آخر : خيلني إني ما غطت سوى الذي
يقوم طوال الليل تجري دموعه
آخر : من مثل ربك تعصيه وتهجره
يا ناقض العهد يا من حاله قبحت
وأرهنه الكفالة بالخلاص
ولم يتجرعوا غصص المعاصي
أنى مخلصاً لله رب البرية
على ما مضى من موبقات وزلتني
ويُسبل الستر ياذ العذر فارتدع
مع الإله بلا خوف ولا جزع

ضَيِّعَتْ عُمْرَكَ تَسْوِيفًا بِلا عَمَلٍ تُمَسِّي وَتُصْبِحُ بَيْنَ الْجِرْصِ وَالطَّمَعِ
وَتَسْمَعُ الْوَعْظَ لَا تَنْهَاكَ زَاجِرَةٌ بَلْ أَنْتَ فِي غَفْلَةٍ عَن ذَاكَ فَاسْتَمِعْ
فَقُمْ لِتَقْرَعَ بَابًا لِلَّذِي كَثُرَتْ لِلسَّائِلِينَ عَطَاً يَاهُ وَأَنْتَ مَعِي
لَعَلَّهُ أَنْ يَرَانَا تَائِبِينَ لَهُ يَمُنُّ بِالْعَفْوِ عَن عِصْيَانِنَا الشَّنِيعِ

والله أعلم وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم .

فصل في « تحريم الظلم »

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ الظُّلْمَ
مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ وَعَاقِبَتُهُ سَيِّئَةٌ وَهُوَ مَنْبُغُ الرِّدَائِلِ وَمَصْدَرُ الشَّرُورِ ، وَحَدُّ الظُّلْمِ
أَنَّهُ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَهُوَ انْحِرَافٌ عَنِ الْعَدَالَةِ وَمَتَى فَشَى
وَشَاعَ فِي أُمَّةٍ أَهْلَكَهَا وَإِذَا حَلَّ فِي قَرْيَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ دَمَّرَهَا . وَهُوَ وَالْفَسَادُ قَرِينَانِ
بِهِمَا تَخْرُبُ الدِّيَارُ وَتَزُولُ الْأُمُصَارُ وَتَقِلُّ الْبَرَكَاتُ وَيَجْلُ الْفِشْلُ مَحَلَّهَا وَهُوَ
ظُلْمَاتٌ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ فِي غِيَاهِهِ وَتَضِلُّ بِهِ الْأَفْهَامُ وَيُظْهِرُ الْفَسَادُ وَيَنْتَشِرُ بِسَبَبِهِ
الْفَرْعُ بَيْنَ النَّاسِ .

وَأَعْظَمُ الظُّلْمِ وَأَشَدُّهُ وَأَخْبَثُهُ الشَّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
وَقَالَ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا
كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَقَالَ
تَعَالَى ﴿وَلَا نَحْسَبَنَّ اللهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الْآيَاتِ وَقَالَ
﴿وَيَوْمَ يَعْزُزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الْآيَةِ .

هَذَا مِمَّا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي حَقِّ الظَّالِمِينَ وَأَمَّا السُّنَّةُ فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الظُّلْمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَأَظْلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ مُشْرِكًا بِرَبِّ الْوَرَى فافهَمَهُ فَهَمَ مُوَحِّدٍ وَظَلَّمَ النَّاسِ أَنْوَاعَ يَجْمَعُهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ» .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَيْسَ أَنْ يُعْبَدَ الْأَصْنَامُ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّهُ سَيْرَضَىٰ مِنْكُمْ بِدُونِ ذَلِكَ بِالمُحَرَّمَاتِ وَهِيَ الْمَوْبِقَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اتَّقُوا الظُّلْمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَجِيءُ بِالحَسَنَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرَىٰ أَنَّهَا سَتَجِيهُ فَمَا زَالَ عَبْدٌ يَقُولُ يَا رَبِّ ظَلَمْتَنِي عَبْدُكَ فَيَقُولُ امْحُوا مِنْ حَسَنَاتِي وَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ مَا يَبْقَىٰ لَهُ حَسَنَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ» .

إِنْ تَمَطَّلَ الْيَوْمَ الْحُقُوقَ مَعَ الْغِنَى فَعَدَا تُودِّيَهَا مَعَ الْإِفْلَاسِ وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ الْقَمَىٰ عَلَيْهِ مَحَبَّةً فِي النَّاسِ

« وَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ كَسَفَرٍ نَزَلُوا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ مَعَهُمْ حَطَبٌ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ لِيَحْطَبُوا فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ احْتَطَبُوا فَأَعْظَمُوا النَّارَ وَطَبَّحُوا مَا أَرَادُوا وَكَذَلِكَ الذَّنُوبُ » رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُسْلِمٍ الْهَجْرِيِّ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ نَحْوَهُ بِإِخْتِصَارٍ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْهُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « اتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعٍ . فَقَالَ « إِنْ الْمُفْلِسُ مَنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عُثْمَانَ عَنْ سَلْمَانَ وَسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى عَدَّ سِتَّةً أَوْ سَبْعَةً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَحِيفَةٌ حَتَّى يُرَى أَنَّهُ نَاجٍ فَمَا تَرَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتَّبِعُهُ حَتَّى مَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ وَيُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُونَهُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ . أَنَّهُ قَالَ ﴿ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا ﴾ الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .
 وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « لَا تَظَلَمُوا فَتَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ ، وَتَسْتَسْقُوا فَلَا تَسْقُوا ، وَتَسْتَنْصِرُوا فَلَا تُنصَرُوا » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنَّ كُنَّا مُقَصِّرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بَعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وَخَالِصِ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنْنَا ، فَبِكَامَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْنَا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(مَوْعِظَةٌ)

عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا مَنْ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحِبُّوهُ ، فَإِنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ تُحِبُّوا رَسُولَهُ ﷺ الَّذِي لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ لَوْلَاهُ لَكُنْتُمْ مِنْ حَطَبِ جَهَنَّمَ تَلْتَهُبُ بِكُمْ أَبَدَ الْأَبَدِينَ ، وَأَنْ تُحِبُّوا أَحِبَّابَ اللَّهِ ، وَأَحِبَّابَهُ هُمُ الَّذِينَ لَزِمُوا طَاعَةَ مَوْلَاهُمْ وَتَبَاعَدُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ كَمَا يَتَبَاعَدُ الْإِنْسَانُ عَمَّا يَقْتُلُهُ مِنْ سُمٍّ وَنَحْوِهِ بَلِ السُّمُّ أَهْوَنُ وَأَخْفُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَاصِي كَيْفَ لَا وَالْمَعَاصِي لَا تَسْلِمُ فَاعْلَمُوا إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ إِنْ لَمْ يَتَجَاوَزُوا عَنْهُ مَوْلَاهُ ، مَضَى فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَسُ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا بَارِئِينَ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجُودُونَ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الْجُودِ وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا

كَانُوا لِذَلِكَ يَحْزَنُونَ وَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ يُحِبُّونَ رَسُولَهُمْ فَوْقَ حُبِّتِهِمْ لِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ حُبُّ أَحَدِهِمْ لِأَخِيهِ أَعْظَمَ مِنْ حُبِّهِ لِأَثَانِهِ وَمَالِهِ يُحِبُّ لَهُ
مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلِذَلِكَ كَانُوا فِي كُلِّ الْمَنَافِعِ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خُلُقَ الْإِيثَارِ ، كَمَا
حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾
سَلَّ التَّارِيخَ عَنْهُمْ يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَخْبَارًا مَا سَمِعْتَ قَطُّ بِمِثْلِهَا يُخْبِرُكَ أَنَّهُمْ كَانُوا
سَادَةَ الدُّنْيَا يَعْتَرَفُ بِذَلِكَ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ اعْتِرَافَ إِقْرَارٍ وَإِذْعَانٍ يُخْبِرُكَ
أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اتَّجَهُوا لِعَزْوِ جِهَةٍ يَنْهَزُ أَهْلَهَا وَيَنْهَمُ وَيَنْهَمُ مَسَافَةً عَظِيمَةً
وَكَيفَ لَا يُعْزَهُمْ رَبُّهُمْ وَقُلُوبُهُمْ كَانَتْ وَقَفًا عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ ﷺ وَحُبِّ
كُلِّ مَا يَرْضِيهِ مِنْ مَبَارٍ ، هَؤُلَاءِ كَانُوا عِبِيدَ اللَّهِ عَبْدِيَّةً مَا رَأَتْ الدُّنْيَا
عَبْدِيَّةً مِثْلَهَا فِي سَائِرِ الْعَبِيدِ عَدَا الرُّسُلِ الْكِرَامِ لِذَلِكَ كَانُوا يَحْنُونَ لِمَطَاعَتِهِ
حَنِينًا لَا يَنْقُضِي عَجْبَهُ وَهُوَ مُخْلِصٌ وَشَدِيدٌ كَانُوا لَا يَشْبَعُونَ مِنَ الْعِبَادَةِ بِالنَّهَارِ
فَيَسْتَقْبِلُونَ اللَّيْلَ بِعِزَائِمِهِمْ بَعَثَتْهَا هَمٌّ عَالِيَةٌ ، لَا تَكَلُّ وَلَا تَمَلُّ مِنَ الْعِبَادَةِ ،
بَلْ هِيَ فِي الْعِبَادَةِ كَالسَّمَكِ فِي الْبَحْرِ ، وَاللَّيْلَ عَلَى ذَلِكَ شَهِيدٌ وَمَنْ الَّذِي
يَقُولُ إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ خَيْرٌ لِمَنْ خَلَقَهُ هُمْ سَلَفُنَا
الصَّالِحِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَقْفُوا آثَارَهُمْ ، وَنَكُونَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ
الْمَحَبَّةِ الْفَائِقَةِ وَالطَّاعَةِ الْفَرِيدَةِ لِمَوْلَانَا .

قال بعضهم يصف السلف :

مُسْتَوْفِرِينَ عَلَى رَحْلِ كَانَتْهُمْ
رَكْبٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَمْضُوا وَيَنْتَقِلُوا
عَفَتْ جَوَارِحُهُمْ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ
فَالصِّدْقُ مَذْهَبُهُمْ وَالْحَوْفُ وَالْوَجَلُ

آخر :

تَنَعَّمَ قَوْمٌ بِالْعِبَادَةِ وَالثَّقَى
أَلَذَّ النَّعِيمِ لَا اللَّذَاذَةَ فِي الْحَمْرِ
فَقَرَّتْ بِهِ طَوْلَ الْحَيَاةِ عُيُونُهُمْ
وَكَانَتْ لَهُمْ زَادًا إِلَى الْقَبْرِ

آخر:

دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الطَّاعَاتِ تَفَعُّلَهَا
وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ
مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ
مَنْ اسْتَتَمَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
وَكُلِّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ

آخر:

إِعْلَمْ بَأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ مُنْفَرِدٌ
لَا يَطْلُبُونَ وَلَا تُطَلَّبُ مَسَاعِيهِمْ
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّالُهُ قَصَدُوا
وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادُ
فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَادُ
فَجَلَّهُمْ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادُ

آخر:

يَا بَاغِيَ الْإِحْسَانِ يَطْلُبُ رَبُّهُ
انظُرْ إِلَى هَدْيِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِي
وَاسَلُّكَ طَرِيقَ الْقَوْمِ أَيْنَ تَيَمَّمُوا
لِيَقْوَزَ مِنْهُ بِغَايَةِ الْأَمَالِ
كَانُوا عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ الْخَالِ
خُذْ يَمَنَةً فَالِدَرْبُ ذَاتُ شِمَالِ

تَاللهِ مَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ سِوَى

سُبُلِ الْهُدَى فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ

دَرَجُوا عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ وَهَدِيهِ

وَبِهِ اقْتَدَوْا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

نِعَمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ يَبْغِي الْهُدَى

فَمَالُهُ فِي الْحَشْرِ خَيْرُ مَالِ

الْقَانِتِينَ الْمُخْبِتِينَ لِرَبِّهِمْ

النَّاطِقِينَ بِأَصْدَقِ الْأَقْوَالِ

التَّارِكِينَ لِكُلِّ فِعْلٍ سِيءٍ
 وَالْعَامِلِينَ بِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ
 أَهْوَاءَهُمْ تَبِعَ لِدِينِ نَبِيِّهِمْ
 وَسِوَاهُمْ بِالضِّدِّ مِنْ ذِي الْحَالِ
 مَا شَابَهُمْ فِي دِينِهِمْ نَقْضٌ وَلَا
 فِي قَوْلِهِمْ شَطْحُ الْجَهُولِ الْغَالِ
 عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا وَلَمْ يَتَكَلَّفُوا
 فَلِذَاكَ مَا شَابُوا الْهُدَى بِضَلَالِ
 وَسِوَاهُمْ بِالضِّدِّ فِي أَحْوَالِهِمْ
 تَرَكُوا الْهُدَى وَدَعَا إِلَى الْإِضْلَالِ
 فَهُمْ الْأَدِلَّةُ لِلْحَيَارَى مَنْ يَسِرُّ
 بِهُدَاهُمْ لَمْ يَخْشَ مِنْ إِضْلَالِ
 وَهُمْ النُّجُومُ هِدَايَةً وَإِضَاءَةً
 وَعُلُوَّ مَنْزِلَةٍ وَبُعْدَ مَنْالِ
 يَمْشُونَ بَيْنَ النَّاسِ هَوْنًا نَطَقَهُمْ
 بِالْحَقِّ لَا بِجَهَالَةِ الْجُهَّالِ
 جِلْمًا وَعِلْمًا مَعَ تَقَى وَتَوَاضَعِ
 وَنَصِيحَةٍ مَعَ رُبَّةِ الْإِفْضَالِ
 يُحْيُونَ لَيْلَهُمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ
 بِتِلَاوَةِ وَتَضَرُّعِ وَسُؤَالِ
 وَعَيْونُهُمْ تَجْرِي بِفَيْضِ دُمُوعِهِمْ
 مِثْلَ انْهَمَالِ الْوَابِلِ الْهَلَالِ

فِي اللَّيْلِ رُهْبَانٌ وَعِنْدَ جِهَادِهِمْ
 لِعَدُوِّهِمْ مِنْ أَشْجَعِ الْأَبْطَالِ
 وَإِذَا بَدَأَ عِلْمُ الرَّهْبَانِ رَأَيْتَهُمْ
 يَتَسَابِقُونَ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 بِوُجُوهِهِمْ أَثَرُ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ
 وَبِهَا أَشْعَةُ نُورِهِ الْمُتَلَالِ
 وَلَقَدْ أَبَانَ لَكَ الْكِتَابُ صِفَاتِهِمْ
 فِي سُورَةِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ الْعَالِ
 وَبِرَابِعِ السَّبْعِ الطَّوَالِ صِفَاتُهُمْ
 قَوْمٌ يُحِبُّهُمْ ذُؤُوبًا إِذْ لَالِ
 وَبِرَاءَةِ وَالْحَشْرِ فِيهَا وَصَفُهُمْ
 وَبِهَلْ أَتَى وَسُورَةِ الْأَنْفَالِ

اللَّهُمَّ أَذِقْنَا عَفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَأَسْأَلُكَ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ ، وَعَامِلَنَا بِلُطْفِكَ
 وَإِحْسَانِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعَدُ عَن طَاعَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَثَبْتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا
 وَقَوَّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا
 وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم « ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب : وعزتي لأنصرك ولو بعد حين رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبخاري مختصراً بلفظ :

« ثلاث حق على الله أن لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وفي رواية للترمذي « ثلاث دعوات لا شك في إجابتهم ، دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده » وروى أبو داود هذه بتقديم وتأخير .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة » رواه الحاكم وقال رواه متفق على الاحتجاج بهم إلا عاصم بن كليب فاحتج به مسلم وحده .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوة المظلوم مستجابة » وإن كان فاجراً فجزأه فجزأه على نفسه » رواه أحمد بإسناد حسن ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه ، يظهر الغيب رواه الطبراني وله شواهد كثيرة .

وعن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام ، يقول الله وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين » رواه الطبراني : شعرا :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيئلي بظالم

آخر: وأظلم أهل الظلم من بات مشركاً بخالقه فاحذر هديت عن الشرك
قال بعضهم يصف دعوة المظلوم وهو في الحقيقة لغز .

وسائرة لم تسر في الأرض تبغي
محلًا ولم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لم تحد الركاب ولم تنخ
لورود ولم يقصر لها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب
بجثمانه فيه سمير وهاجع
إذا وفدت لم يردد الله وفدها
على أهلها والله راء وسامع
تفتح أبواب السماوات دونها
إذا قرع الأبواب منهن قارع
وإني لأرجو الله حتى كأنما
أرى بجميل الظن ما الله صانع
آخر :

ألا رب ذي ظلم كمنت لحربه
فأوقعه المقدور أي وقوع
وما كان لي إلا سلاح تركع
وأدعية لا تتقى بذروع
وهيات أن ينجو الظلوم وخلفه
سهام دعاء من قسي ركوع

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها

هَنَا التَّقْوَى هَا هُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ « بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَجْحَرَ
أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ »
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَتْ صُحُفُ
إِبْرَاهِيمَ قَالَ كَانَتْ أَمْثَالاً كُلِّهَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلِّطُ الْمُتَبَلِّغُ الْمَغْرُورُ إِنِّي
لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ وَلَكِنِّي بَعَثْتُكَ لِتُرَدَّ عَنِّي دَعْوَةُ
الْمَظْلُومِ فَإِنِّي لَا أُرِدُّهَا وَإِنْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا
عَلَى عَقْلِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا
نَفْسَهُ وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ
مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ .

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ ظَاعِنًا إِلَّا لِثَلَاثٍ تَزُودُ لِمَعَادٍ أَوْ مَرَمَةٍ
لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا
عَلَى شَأْنِهِ حَافِظًا لِلِسَانِهِ وَمَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا
يَعْنِيهِ .

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «كَانَتْ
عِبْرًا كُلِّهَا ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ يَفْرَحُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ
ثُمَّ هُوَ يَضْحَكُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ
رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا ثُمَّ اطمأنَّ إِلَيْهَا عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا
ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي . قَا « أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ،
فَإِنَّهَا رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قَالَ « عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ
الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ نَوْرَ لَكَ فِي الْأَرْضِ ، وَذِخْرُ لَكَ فِي
السَّمَاءِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قَالَ « يَاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ ، فَإِنَّهُ

يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قَالَ : « عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قَالَ : « أَحِبَّ الْمَسَاكِينَ وَجَالِسَهُمْ » .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي ، قَالَ « انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ تَحْتَكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدِرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قَالَ « قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قَالَ « لِيُرِدَّكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعَلَّمَهُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَجِدْ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي وَكَفَى بِكَ عَيْبًا أَنْ تَعْرِفَ مِنَ النَّاسِ مَا تَجْهَلُهُ مِنْ نَفْسِكَ وَتَجِدْ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي » ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ لَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَاللَّفْظُ لَهُ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْأَسْنَادِ .

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوِّهَا وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ » عِبَادَ اللَّهِ مَا لِلأُنْسِ عَنْ شُكْرِ نِعْمِ اللَّهِ الْمُتَتَالِيَةِ قَاصِرَةٌ ، وَمَا لِلْعِيُونِ إِلَى زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ نَاطِرَةٌ ، وَمَا لِلْأَقْدَامِ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَايَةِ الْوَاضِحَةِ حَائِرَةٌ وَمَا لِلْعَزَائِمِ وَالْهَمَمِ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَاتِرَةٌ وَمَا لِلنُّفُوسِ لَا تَتَزَوَّدُ مِنَ التَّقْوَى وَهِيَ مُسَافِرَةٌ وَمَا لَهَا لَا تَتَأَهَّبُ وَتَسْتَعِدُّ لِلنُّقْلَةِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ ، أَرْكُونًا إِلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَرَّقَتْ الْجُمُوعَ وَكَسَرَتْ أَعْنَاقَ الْأَكَاسِرَةِ وَقَصَّرَتْ آمَالَ الْقِيَاصِرَةِ وَأَدَارَتْ عَلَى أَهْلِهَا مِنْ تَقْلِبِهَا الدَّائِرَةَ أَمْ

اغتراراً بالاقامة ، ومطايا الأيام بكم في كل لحظة سائرة أم تسوئفا بالتوبة
والأعمال فهذه والله الفكرة والصفقة الخاسرة لقد رانت على القلوب قبائح
الأعمال ، وضربت عليها وعلى المسامع من الذنوب أقفال فيا خجلة من
سئل فعدم الجواب أو بجواب يستحق عليه ألیم العذاب ويا حسرة من
نوقش عن الدقيق والجليل في الآخرة الحساب ، ويا ندامة من لم يحصل
إلا على الغضب من الكريم الوهاب ويا خيبة من ماله إلى نار تلتهب إلى
إحراقه التهابا ، فمتى تقبلون على الله بقلوب صادقة لا تنتهون من مفارقة
الذنوب بعزيمة صادقة ، لا في الصادقين تيقنون أنه ثابت لكم قدم ، ولا
في التائبين صحت لكم توبة واقلاع وعزم وندم . ولا عند تلاوة كتاب الله
تقشع منكم الجلود ولا عند سماع المواعظ ترق منكم القلوب ، التي هي
أقسى من الجلمود فبماذا ترجون لحاق السعداء وكيف تطمعون في الفوز
والنجاه معهم غدا وأنتم تتبعون الخطايا بالخطايا وتبارزون .

الله بها في البكر والعشيا ، فيا حسرة نفوس أطمأنت إلى الدنيا دار
الغرور ، ويا خراب قلوب عمرت بأمانى كلها باطل وزور ، ويا نفاذ أعمار
ينقص منها كل يوم وساعة ولا يزداد ويا خيبة مسافر يسير السير السريع وهو
بلا زاد ، فالبدار البدار عباد الله بالتوبة البدار والغنيمة الغنيمة قبل خروج
وقت الاختيار ، وإيتان وقت لا تقال فيه العثار :

نسير إلى الأجال في كل لحظة وياأما تطوى وهن مراحل
ولم نر مثل الموت حقا كأنه إذا ما تخطته الأمانى باطل
ترحل من الدنيا بزد من التقى فعمرك أيام تعدد قلائل

آخر : هي الدنيا حقيقتها محال تمر كما يمر بك الخيال
وكم قد عر زخرفها رجالات غرور ذوي الظما بالقاع آل

آخر : سَوَاءٌ مَنْ أَقَلَّ التُّرْبُ مِنَّا وَمَنْ وَارَى مَعَالِمَهُ التُّرَابُ
وإنَّ مُزَايِلَ العَيْشِ إِخْتِصَارًا مُسَاوٍ لِلَّذِينَ بَقُوا فَشَابُوا
وَأَوْلْنَا العَنَاءَ إِذَا طَلَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا وَآخِرْنَا الذَّهَابُ
آخر :

قَدْ نَادَتِ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا لَوْ كَانَ فِي العَالَمِ مَنْ يَسْمَعُ
كَمْ أَمِلَ خَيْبَتُ أَمَالِهِ وَجَامِعَ بَدَدَتْ مَا يَجْمَعُ
آخر : خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ
دَخَلْتُ إِلَيْهَا قَطُّ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ

تَبَلَّغْتُ فِيهَا بِالْيَسِيرِ وَقَدْ كَفَى
وَحَصَلْتُ فِيهَا مَا عَمَرْتُ بِهِ قَبْرِي
يُؤَنِّسُنِي فِيهِ إِذَا مَا سَكَنَتْهُ
وَنَعْمَ رَفِيقٌ صَاحِبٌ لِي إِلَى الحِشْرِ
فِيَا عَامِرَ الدُّنْيَا رُوَيْدَكَ فَاقْتَصِرْ

فَإِنَّ سِهَامَ المَوْتِ تَأْتِي وَمَا تَذْرِي
وَيَاكَ وَالتَّفْرِيطَ فَالغَبْنَ كُلَّهُ

آخر : لِمَنْ مُنِعَ الدُّنْيَا وَرَاحَ بِهَا أَجْرٍ

عَلَى مِثْلِ هَذَا كُلِّ جَمْعٍ مَالُهُ وَصَالٌ وَتَفْرِيقٌ يَسِرُ وَيُؤْلَمُ
وَإِنْ مُنِعَ العِيَابُ أَنْ يَقْدُمُوا لَنَا فَاتَا عَلَيَّ غِيَابًا سَوْفَ نَقْدَمُ
آخر : يَا مَنْزِلًا لِعَبِّ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ فَاَبَادَهُمْ بِتَفْرِيقٍ وَسَيَجْمَعُوهُ
ذَهَبَ الدِّينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَ الدِّينَ حَيَاتِهِمْ لَا تَنْفَعُ

آخر : وَعَظْمَتِكَ أَجْدَاثٌ وَهِنَّ صُمُوتٌ وَأَصْحَابُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتٌ
أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بِلَاغِهِ لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

آخر :

يَا نَفْسُ مَا هِيَ إِلَّا صَبْرُ أَيَّامٍ
يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ الدُّنْيَا مُبَادِرَةً
كَأَنَّ مُدَّتَهَا أَضْعَافُ أَحْلَامٍ
وَحَلَّ عَنْهَا فَإِنَّ العَيْشَ قُدَّامٍ

آخر :

تَفَنِّ اللِّذَازَةَ مَمَّنْ نَا لَدَّتْهَا
تَبْقَى مَعَبَّةٌ وَسُوءٍ مِنْ تَطَلُّبِهَا
مِنَ الحَرَامِ وَيَبْقَى الأَثْمُ وَالْعَارُ
لَا خَيْرَ فِي الذِّدِّ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

آخر :

بَنِي الدُّنْيَا أَقْلُوا هَمَّ فِيهَا فَمَا فِيهَا يَوُؤُلُ إِلَى الفَوَاتِ
بِنَاءٍ لِلْخَرَابِ وَجَمْعُ مَالٍ لِيَفْنَى وَالتَّوَالُدُ لِلْمَمَاتِ
اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلِاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَنَا وَاهْدِنَا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ
الصَّالِحِ لِيَوْمِ المَعَادِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ
مَظْلُومًا ؛ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قَالَ « تَحِجِّزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ عَنِ
الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ » رواه البخاري .

فالمَظْلُومُ فِي حَقِّهِ أَوْ مَالِهِ يُمْنَعُ عَنِ الظُّلْمِ وَيُرْفَعُ عَنْهُ الحَيْفَ بِكُلِّ
مَا يُسْتَطَاعُ مِنَ الوَسَائِلِ والقَصْدُ أَنْ تَكُونَ اليَدُ مَعَ يَدِ المَظْلُومِ حَتَّى يَأْخُذَ
حَقَّهُ وَأَمَّا نَصْرُ الظَّالِمِ فَمَنْعُهُ عَنِ الظُّلْمِ فَإِنْ أَرَادَ اسْتِلابَ مَالٍ حُلَّتْ بَيْنَهُ
وَبَيْنَهُ وَأَخَذَتْ بِيَدِهِ .

وَإِنْ أَرَادَ البَطْشَ بِبِرِّيءٍ ضَرَبْتَ عَلَى يَدِهِ إِنْ كَانَتْ يَدُكَ أَقْوَى مِنْ
يَدِهِ وَتَرَاعِي الحِكْمَةَ لِئَلَّا يَنْقَلِبَ ظَالِمًا لَكَ وَإِنْ كَانَتْ النُّصِيحَةُ رَادِعَةً

سَلَكْنَهَا وَإِلَّا فَتَسْتَعْمِلُ مَعَهُ الْقُوَّةَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ، وَطُرُقُ الظُّلْمِ كَثِيرَةٌ جَدًّا وَوَسَائِلُهُ جَمَّةٌ وَكُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ .

وَلَا يَخْتَصُّ الظُّلْمُ بِأَرْبَابِ الوَطَائِفِ وَالْمَنَاصِبِ وَأَرْبَابِ الْحُكْمِ وَالسُّلْطَانِ ، حَيْثُ أَنْ كَلَا مِمَّنْ عَدَا هَؤُلَاءِ رَبُّ بَيْتٍ أَوْ بِيوتٍ ، وَزَعِيمٌ أَسْرَةٍ وَفِي الْأَسْرَةِ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ وَالخَادِمُ وَالْأَجِيرُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ حُقُوقٌ فِي أَعْنَاقِ الْمَسْئُولِينَ وَسَيُسْأَلُونَ عَنْهَا بَلْ إِنْ الْإِنْسَانُ لِيَعْدُ ظَالِمًا إِذَا تَعَدَّى عَلَى حُقُوقِ نَفْسِهِ الشَّخْصِيَّةِ فَقَدْ يَكُونُ مُبَدَّرًا وَحَالَتُهُ تَدْعُو إِلَى الْاِقْتِصَادِ وَقَدْ يَكُونُ مُقْتَرًا وَحَالَتُهُ تَدْعُو إِلَى التَّيْسِيرِ فَمِنْ ظَلَمِ الْإِنْسَانِ لِأَهْلِهِ سِيَاسَتُهُمْ بِالْقَسْوَةِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُهُمْ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ مَدْعَاةٌ لِاخْتِرَامِهِمْ لَهُ أَوْ يَنْخُلُ عَلَيْهِمْ فَلَا يُنْفِقُ النِّفَقَةَ الْوَاجِبَةَ كَأَمْثَالِهِمْ أَوْ لَا يُحْسِنُ مُعَاشَرَتَهُمْ فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ مُسْتَلْقِيًا عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَبِيَانَهُ يَلْعَبُونَ حَوْلَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ .

أَحَدُ عُمَّالِهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: كَيْفَ أَنْتَ مَعَ أَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : إِذَا دَخَلْتُ سَكَتَ النَّاطِقُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ اعْتَرِلْ عَمَلْنَا فَإِنَّكَ لَا تَرْفُقُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فَكَيْفَ تَرْفُقُ بِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ ظُلْمِهِ لِأَوْلَادِهِ أَنْ يَتْرَكَهُمْ بِلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ وَلَا تَوْجِيهِ وَمَعَ هَذَا فَرُبَّمَا وَجَدْتَهُ يَأْمُرُ النَّاسَ الْبَعِيدِينَ عَنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِ الْمَثَلُ شِعْرًا :

كُمْرُضِعَةٍ أَوْلَادٌ أُخْرَى وَضِيَعَتْ بَنِي بَطْنِهَا هَذَا الضَّلَالُ عَنِ الْقَصْدِ
آخِر :

كَتَارِكَةٍ يَبْضُهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسَةٍ يَبْضُهَا أُخْرَى جَنَاحًا

وَمَنْ ظَلَمَهُ لِحَيْرَانِهِ أَنْ لَا يَقُومَ بِحَقِّ الْجَوَارِ لَهُمْ ، وَلَا يُؤَاسِينَهُمْ بَلْ وَلَا يَكْفُ شَرَّهُ وَشَرَّ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ وَلَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ بِالْجَارِ فَقَالَ (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ، وَالْجَارِ الْجُنُبِ) وَأَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ فَقَالَ « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُؤْصِنُنِي بِالْجَارِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ » وَقِيلَ إِنَّ فُلَانَةَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَهِيَ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ ، تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا خَيْرَ فِيهَا ، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ »

شعرا :

يُلُومُونَنِي إِنْ بَعْتُ بِالرُّحْصِ مَنَزِلِي وَلم يَعْلَمُوا جَاراً هُنَاكَ يَنْغِصُ
فَقَلْتُ لَهُمْ كَفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّمَا بِجِيرَانِهَا تَغْلُو الدِّيَارُ وَتَرُحِّصُ
وَمَنْ ظَلَمَ الْقَضَاةَ الْحَيْفَ مَعَ أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ أَوْ شَهَادَةَ الشُّهُودِ وَشَرُّ أَنْوَاعِ
الظُّلْمِ ظُلْمُ وِلَاةِ الْأُمُورِ لِرِعِيَّتِهِمْ وَأَذَا انْتَشَرَ الظُّلْمُ فِي أُمَّةٍ سَلَبَتْ الْأَمْنَ
عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَانْتَشَرَتْ فِيهَا الْمَفَاسِدُ وَسُوءُ
الْأَخْلَاقِ ، وَفُشَّتْ فِيهَا الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ وَأَكَلُ الْقَوِي الضَّعِيفَ ، وَقَلَّتْ
فِيهَا الْيَدُ الْعَامِلَةُ ، وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْجَهْلِ وَتَذَهَبُ مِنَ الْأُمَّةِ الشَّجَاعَةُ
وَالْحَمِيَّةُ ، وَيَحِلُّ مَحَلُّهَا النِّفَاقُ وَالْمَلَقُ ، وَيُثْمِرَانِ النَّمِيمَةُ وَنَقْلُ الْكَلَامِ
وَالغَضَبِ وَالسَّرِقَةِ وَالْإِخْتِلَاسِ وَنَهَبِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالرِّبَا وَالتَّطْفِيفِ فِي
الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ وَالتَّغْرِيرِ بِالْعَامِلِ وَالغِشِّ وَالْخِيَانَةِ لِلْوَدِيعِ وَالْأَجِيرِ
وَالْجَعِيلِ وَالْمُقَارِضِ وَالشَّرِيكِ وَالْوَكِيلِ وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي تَوَعَّدَ
اللَّهُ أَهْلَهُ ، وَقَالَ فِيهِمْ ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ وَلَكِنَّهَا دَرَجَاتُ
مُتَفَاوِتَةٌ وَالْجَزَاءُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ وَلَقَدْ وَصَلَ النَّاسُ الْيَوْمَ فِي ظُلْمِ
بَعْضِهِمْ بَعْضاً إِلَى حَدِّ تَقْصُرُ عَنْ شَرْحِهِ الْعِبَارَةُ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَتَهَيَّبُونَ
ظُلماً إِلَّا إِذَا رَأَوْا بِجَانِبِهِ إِقَامَةَ الْحَدِّ الشَّرْعِيِّ فَذَا مِنْ أَحَدِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ

الشَّرْعِيَّةِ بَطْشَ بَطْشِ الْجِيَارَيْنِ ، فَإِذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ قَذْفَ شَخْصٍ قَذْفَهُ ،
مَهْمَا كَانَ نَقِيَّ الْعَرَضِ وَإِذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ سَبَّ أَنْسَانٍ وَشْتَمَهُ سَبَّهُ وَشْتَمَهُ
بَلْ وَلَعْنَهُ وَالْعِيَاذَ بِاللَّهِ وَإِذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ غِيْبَةَ غَافِلٍ أَوْ بَهْتَهُ إِغْتَابَهُ وَبَهْتَهُ
وَإِذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ضَرْبَهُ مَالَ عَلَيْهِ وَضَرْبَهُ ضَرْبًا لَا رَحْمَةَ مَعَهُ وَإِذَا هَمَّتْ
بِأَكْلِ مَالِهِ نَفَذَ ذَلِكَ بِغَايَةِ الْجُرْأَةِ وَالْوَقَاحَةِ وَيَطْرِقُ شَتَى مَسْلُكُهَا يَهُونُ وَإِنْ
سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَطْعَنَ بِنَسَبِ أَنْسَانٍ وَحَسَبِهِ طَعَنَ طَعْنًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
الْأَبْدَانُ وَإِذَا زَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَقْتُلَ إِنْسَانًا أَرَأَى دَمَهُ فِي الْحَالِ غَيْرَ مُفَكِّرٍ
وغيرَ مُتَنَدِّمٍ وَهَكَذَا مَنْ تَوَعَّلَ فِي الظُّلْمِ وَأَمِنَ الْعُقُوبَةَ لَا يَقُومُ فِي نَفْسِهِ
لَوْ أَنَّ مِنَ الظُّلْمِ إِلَّا نَفْذُهُ مُسْرِعًا كَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَلَا بِالْمَوْتِ وَلَا بِأَنَّ
الْجَزَاءَ وَاقِعٌ عَلَى الْأَعْمَالِ وَلِذَلِكَ تَرَى نِيرَانَ الظُّلْمِ تَلْتَهَبُ فِي أَنْحَاءِ
الدُّنْيَا بِحَالَةٍ تُزْعِجُ النَّاطِرِينَ وَلَقَدْ غَفَلَ النَّاسُ عَنْ عَوَاقِبِ الظُّلْمِ دُنْيَا
وَأُخْرَى وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ شِقَاءَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلِيَدُ الظُّلْمِ وَأَثْرُ مِمَّا لَهُ مِنْ آثَارِ
مَا دَنَا مِنَ الظُّلْمِ أَحَدٌ وَلَوْ لِيَهَيْمَ لَا يُحَسِبُ لَهُ أَدْنَى حِسَابٍ فَالظُّلْمُ يَتَغَيَّرُ
مِنْهُ قَلْبُ الْمَظْلُومِ وَيَتَفَاوَتُ التَّغْيِيرُ بِتَفَاوَتِ مَا لِلظُّلْمِ مِنْ مِقْدَارٍ وَعَلَى قَدْرِ
ذَلِكَ الظُّلْمِ يَكُونُ الغَضَبُ وَالانْتِقَامُ ، خُصُوصًا إِذَا كَانَ الْمَظْلُومُ ضَعِيفًا لَا

نَاصِرَ لَهُ .

شِعْرًا :

خَفِيَ اللَّهُ فِي ظُلْمِ الْوَرَى وَاحْتَرَنَهُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ يُهْمِلُ خَلْقَهُ
وَخَفَ يَوْمَ عَضِّ الظَّالِمِينَ عَلَى الْيَدِ
وَلَكِنَّهُ يُمَلِّي لِمَنْ شَاءَ إِلَى الْعَدِ

آخِرُ :

إِذَا مَا الظُّلْمُ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَبًا
فَكَلَهُ إِلَى صَرْفِ الْيَالِي فَإِنَّمَا
وَلَجَّ عُتُورًا فِي قَبِيحِ اكْتِسَابِهِ
سَيِّدُو لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ
يَرَى النُّجْمَ تَيْهًا تَحْتَ ظِلِّ رِكَابِهِ
قَدْ رَأَيْنَا ظَالِمًا مُتَمَرِّدًا

فَعَمَّا قَلِيلٍ وَهُوَ فِي غَفْلَاتِهِ
فَأَصْبَحَ لَا مَالَ وَلَا جَاهَ يُرْتَجَى
وَجُوزِي بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فَاعِلًا
شِعْرًا :

يَا غَافِلَ الْقَلْبِ عَنْ ذِكْرِ الْمَنِيَّاتِ
فَاذْكُرْ مَحَلَّكَ مِنْ قَبْلِ الْحُلُولِ بِهِ
إِنَّ الْحَيَامَ لَهُ وَقْتُ إِلَى أَجَلٍ
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَفَاقٍ لِنَفْسِهِ وَفَاقٍ بِالتَّحْفِظِ أَبْنَاءَ جِنْسِهِ وَأَعَدَّ عُدَّةً تَصْلُحُ
لِرُمْسِهِ وَاسْتَدْرَكَ فِي يَوْمِهِ مَا ضَيَّعَهُ فِي أُمْسِهِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ
مِنَّا مِنَ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ اِمْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الشَّرِّ وَوَسَائِلِهِ . وَضَجَّتْ وَمَا فِيهَا
مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي الْإِنْسَانِ وَإِنْ شِئْتَ فَرَزْ أَيْ جِهَةً مِنْ جِهَاتِ
العَالَمِ تَرَى مَا يَتَقَطَّعُ لَهُ قَلْبُكَ حَسْرَاتٍ افْتَنَ النَّاسُ بِزُخَارِفِ الدُّنْيَا
فَاسْتَوْلَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَمَلَكَتْهَا فَنَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ وَأَصْبَحَتِ الْمَعَاصِي
أَمْرًا مألُوفًا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَعَلِيْبَ الْمَسْتَقِيمُونَ عَلَى أَمْرِهِمْ فَلَمْ
يَسْتَطِيعُوا إِزَالَتَهَا فَمَادَى الْمُجْرِمُونَ عَلَى انْتِهَاكِ الْأَدَابِ فَتَفَاقَمَ الْخَطْبُ ثُمَّ
تَفَاقَمَ إِلَى أَنْ التَّهَبَّتِ الدُّنْيَا بِالمُوبِقَاتِ خَفَّ الزَّنَى الَّذِي هُوَ مِنْ كَبَائِرِ
الذُّنُوبِ حَتَّى صَارَ الْغَيُورُ الْمُنْكَرُ لَهُ الْمَقْبُحُ يُسَمَّى رَجْعِيًّا لَا يَعْرِفُ الْحُرِّيَّةَ

مَعَ أَنَّ الزَّنَى مِنْ بَيْنِ الْمَعَاصِي عَارٌ تَسْوَدُ لَهُ الْوُجُوهُ ، وَتَتَكَسَّرُ لَهُ
الرُّؤُوسُ ، وَتَنهَدُمُ بِهِ بُيُوتُ الْمَجْدِ الْعَالِيَةِ ، وَهَانَ التَّعَامُلُ بِالرَّبِّبَا مَعَ أَنَّهُ
مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَعَاصِي قَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ فَاعِلُهُ الْمُسْتَمِرُّ عَلَى التَّعَامُلِ بِهِ
بِالْحَرْبِ وَقَارَفَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْمُسْكِرَاتِ مَعَ أَنَّ الْخَمْرَ أُمُّ الْخَبَائِثِ
وَهَذِهِ شَهَادَةُ الزُّورِ قَدْ هَانَتْ مَعَ أَنَّهَا مِنْ عَظَائِمِ الذُّنُوبِ وَهَذِهِ فَاحِشَةُ
اللُّوَاطِ قَدْ انْتَشَرَتْ انْتِشَارَ الْوَبَاءِ ، مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَحْكِي عَنْ أُمَّةٍ كَانَتْ
تَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَّهَا خُسِفَ بِهَا ، وَأَمْطِرَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ وَأَمَّا
الْأَرْضُ فَهَانَ اغْتِصَابُهَا مَعَ أَنَّ الْمُغْتَصَبَ يَكُونُ طَوْقًا لِمُغْتَصَبِهِ فِي دَارِ
الْإِنْتِقَامِ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ وَالْأَعْرَاضُ فَحَدَّثَ عَنْ الْاسْتِخْفَافِ بِهَا وَانْتِهَاكِهَا
وَلَا حَرَجَ وَهَذَا الْغِشُّ قَدْ صَارَ عَادَةً لَا يَكَادُ يَسْلِمُ مِنْهُ مُعَامِلٌ مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » وَهَذَا حَلْقُ اللَّحِيَةِ قَدْ
أَصْبَحَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ كَأَنَّهُ وَاجِبٌ مَعَ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِأَعْفَائِهَا هَذَا وَأَضْعَافُ أَضْعَافِهِ حَاصِلٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ الْحَالِكِ
الَّذِي عَادَ فِيهِ غُرْبَةُ الدِّينِ .

شعراً :

سَمَّوكَ يَا عَصْرَ الظُّلَامِ سَفَاهَةً
عَصْرَ الضِّيَاءِ وَأَنْتَ شَرُّ الْأَعْصُرِ
وَتَقَدَّمَتْ فِيكَ الْحَضَارَةُ حَسْبَمَا
قَالُوا يَا وَحْشِيَّةَ الْمُتَحَضِّرِ
وَالْعِلْمُ قَدْ يَأْتِي بِكُلِّ بَلِيَّةٍ
وَيَسِيرُ نَحْوَ الْمَوْتِ بِالْمُسْتَبْصِرِ

آخر :
ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا انحطت البازات وارتفع البط

آخر :
لقد أحرّ الصدّير عن مستحقه وقدم غمر جامد الذهن خامده

آخر :
إذا لم يكن صدر المجالس سيّداً فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل مالي رأيتك راجلاً فقلت له من أجل أنك فارس

آخر :
لا يعرّنكم علو لئيم فاعلوه لا يستحق سبال
فارتفاع العريق فيه فضوح وعلو المصلوب فيه نكال

آخر :
هذا الزمان على ما فيه من عوج حكي انقلاب ليايه بأهليه
غدير ماء تراً في جوانبه خيال قوم تمشوا في نواحيه
فالرأس ينظر منكوساً أسافله والرجل تنظر مرفوعاً أعاليه

آخر :
وعاش يدعوى العلم ناس وما لهم من العلم حظ لا بعقل ولا نقل

آخر :
وقت علا قدر الوضيع به وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً ويطفو فوقه جيفه

اللهم أرزقنا حُبك وحبّ من يحبك وحبّ العمل الذي يقربنا إلى
حُبك وألهمنا ذكرك وشكرك ووفّقنا للقيام بحقك وخلصنا من حقوق
خلقك ورضنا باليسير من رزقك يا خير من دعاه دأع وأفضل من رجاه
راج ، يا قاضي الحاجات ومجيب الدعوات هب لنا ماسألناه وحقّ رجاءنا
فيما تمنيناه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ما في صدور الصامتين

أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فَضْلٌ

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالظُّلْمُ لَا يُبَاحُ بِحَالٍ حَتَّى أَنْ اللَّهَ
تَعَالَى قَدْ أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْدِلُوا عَلَى الْكُفَّارِ فِي قَوْلِهِ ﴿كُونُوا
قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ وَالْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يُعَادُونَ الْكُفَّارَ بِأَمْرِ اللَّهِ فَقَالَ تَعَالَى لَا
يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُكُمْ لِلْكَفَّارِ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا بَلْ اعْدِلُوا عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَحِينَئِذٍ فَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَيْسَ لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَفْعَلَ مَا بِهِ يُظْلَمُ غَيْرُهُ بَلْ
إِمَّا أَنْ يُؤَدِّي قِسْطَهُ فَيَكُونُ مُحْسِنًا وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنْ آدَاءِ قِسْطِهِ مِنْ ذَلِكَ
الْمَالِ امْتِنَاعًا يُؤْخَذُ بِهِ قِسْطُهُ مِنْ سَائِرِ الشُّرَكَاءِ فَيَتَضَاعَفُ الظُّلْمُ عَلَيْهِمْ .

فَإِنَّ الْمَالَ إِذَا كَانَ يُؤْخَذُ لَا مَحَالَةَ وَامْتَنَعَ بِجَاهِهِ أَوْ رِشْوَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا
كَانَ قَدْ ظَلَمَ مَنْ يُؤْخَذُ مِنْهُ الْقِسْطُ الَّذِي يَخُصُّهُ ، وَلَيْسَ هَذَا بِمَنْزِلَةِ أَنْ
يُدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ الظُّلْمَ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ لِغَيْرِهِ فَإِنَّ هَذَا جَائِزٌ ، مِثْلَ أَنْ يَمْتَنَعَ
عَنْ آدَاءِ مَا يَخُصُّهُ ، فَلَا يُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْهُ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ . .

وَهَذَا كَالْوِظَائِفِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تُؤْضَعُ عَلَى الْقَرَى ، مِثْلَ أَنْ يُؤْضَعَ
عَلَيْهِمْ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ فَيَطْلُبُ مَنْ لَهُ جَاهٌ بِأَمْرَةٍ أَوْ مَشِيخَةٍ أَوْ رِشْوَةٍ أَوْ
غَيْرِ ذَلِكَ أَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُمْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَخْذِ جَمِيعِ الْمَالِ وَإِذَا
فَعَلَ ذَلِكَ أَخْذَ مَا يَخُصُّهُ مِنَ الشُّرَكَاءِ فَيَمْتَنِعُ مِنْ أَخْذِ مَا يَنْبُوهُ وَيُؤْخَذُ مِنْ
سَائِرِ الشُّرَكَاءِ فَإِنَّ هَذَا ظُلْمٌ مِنْهُ لِشُرَكَائِهِ لِأَنَّ هَذَا لَمْ يَدْفَعْ الظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ
إِلَّا بِظُلْمِ شُرَكَائِهِ وَهَذَا لَا يَجُوزُ .

وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ أَنَا لَمْ أَظْلِمُهُمْ بَلْ ظَلَمْتُهُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ
الْحَصَّتَيْنِ لِأَنَّهُ يُقَالُ أَوْلًا هَذَا الطَّالِبُ فَدَى يَكُونُ مَأْمُورًا مِمَّنْ فَوْقَهُ أَنْ يَأْخُذَ
ذَلِكَ الْمَالَ فَلَا يُسْقِطُ عَنْ بَعْضِهِمْ نَصِيبَهُ إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ مِنْ أَحَدِهِمْ مَنْ نَصِيبِ
الْآخِرِ فَيَكُونُ أَمْرُهُ بَأَنَّ لَا يَأْخُذُ أَمْرًا بِالظُّلْمِ .

الثَّانِي أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ أَنَّهُ الْأَمْرُ الْأَعْلَى فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَطْلِبُهُ
مِنْهُمْ وَإِنْ أَضَلَّ الطَّالِبُ ظُلْمًا فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْدِلَ فِي هَذَا الظُّلْمِ وَلَا يَطْلِمَ فِيهِ
ظُلْمًا ثَانِيًا فَيَتَّقَى ظُلْمًا مُكَرَّرًا فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا كَانَ قِسْطُهُ مِائَةَ فَطُوبَى
بِمِائَتَيْهِ كَانَ قَدْ ظَلِمَ ظُلْمًا مُكَرَّرًا بِخِلَافِ مَا إِذَا أَخَذَ مِنْ كُلِّ قِسْطُهُ ، وَلِأَنَّ
النَّفُوسَ تَرْضَى بِالْعَدْلِ بَيْنَهَا بِالْحِرْمَانِ وَفِيمَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ظُلْمًا وَلَا تَرْضَى
بِأَنْ يُخْصَّ بَعْضُهَا بِالْعَطَاءِ أَوْ الْإِعْفَاءِ .

الثَّلَاثُ أَنَّهُ إِذَا طَلَبَ مِنَ الْقَاهِرِ أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَضَعُ
قِسْطَهُ عَلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَمَرَهُ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَطْلِمُ فِيهِ غَيْرَهُ .

وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَطْلِبَ مِنْ غَيْرِهِ مَا يُظْلِمُ فِيهِ غَيْرَهُ وَإِنْ كَانَ هُوَ لَمْ
يَأْمُرْ بِالظُّلْمِ كَمَنْ يُؤَلِّي شَخْصًا وَيَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَطْلِمَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَطْلِمُ
فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُؤَلِّيَهُ وَكَذَلِكَ مَنْ وَكَّلَ وَكَيْلًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَطْلِمَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ
يَطْلِمُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُؤَلِّيَهُ وَمَنْ طَلَبَ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يُؤْفِيَهُ دَيْنَهُ مِنْ مَالِهِ
الْحَلَالِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُؤْفِيَهُ إِلَّا مِمَّا ظَلَمَهُ مِنَ النَّاسِ وَكَذَلِكَ إِذَا طَلَبَ
مِنْهُ أَنْ يُعْفِيَهُ مِنَ الظُّلْمِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُعْفِيَهُ إِلَّا بِظُلْمِ غَيْرِهِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ
يَطْلِبَ مِنْهُ ذَلِكَ ا هـ .

وَقَالَ فِي تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ عَنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِينَ لَمَّا عَدَّ بَعْضَ الْكَبَائِرِ
قَالَ وَمِنْهَا الدُّخُولُ عَلَى الظُّلْمَةِ بِغَيْرِ قَصْدٍ صَحِيحٍ بَلْ إِعَانَةٌ لَهُمْ وَتَوْفِيرًا

وَمَحَبَّةً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « سَتَكُونُ أَمْرَاءُ ، مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ بِكُذِبِهِمْ ، فَلَيْسَ مِنِّي ، وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَلَنْ يَرِدَ عَلَى الْحَوْضِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّازُ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ وَابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَهَذَا لَفْظُهُ وَسَاقَ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ تَمَّ قَالَ قَدْ يَقُولُ مَنْ اعْتَادَ الدُّخُولَ عَلَى الْمُلُوكِ الظَّالِمَةِ وَالْقَضَاةِ الْحَوْنَةِ إِنَّمَا قَصْدِي بِذَلِكَ نَصْرُ مَظْلُومٍ أَوْ مُسَاعَدَةٌ ضَعِيفٍ أَوْ دَفْعُ ظُلَامَةٍ أَوْ التَّسَبُّبُ فِي مَعْرُوفٍ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَهَذَا لَا يَخْلُو إِذَا كَانَ يَكُونُ مِمَّنْ يَتَنَاوَلُ مِنْ مَآكِلِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ ، وَيُشَارِكُهُمْ فِي مَقَاصِدِهِمْ وَمَآرِبِهِمْ ، وَيَقْبَلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مِنْ الْجِهَاتِ الْمَحْرَمَاتِ أَوْ وُجُوهِ الْمَظَالِمِ وَالْمُكُوسِ وَالْمُضَادَرَاتِ ، وَيُدَاهِنُهُمْ فِيمَا يَرَاهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ، فَهَذَا لَا يَحْتَاجُ النَّظْرَ فِي سُوءِ حَالِهِ إِلَى دَلِيلٍ إِذْ يَشْهَدُ كُلُّ ذِي بَصِيرَةٍ أَنَّهُ ضَالٌّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَأَنَّهُ مِنَ ﴿الْآخِسِرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ﴿مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ، وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يُمَكِّنُ مَنْ يَأْكُلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، أَنْ يُنْكَرَ قَبِيحَ أَعْمَالِهِمْ ، وَأَنِّي يَرْجِعُ الظَّالِمُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَرَى مِتَّةً فِي الصُّحْبَةِ وَاللُّقْمَةِ عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنْهُ الْكَلَامُ وَيَبَاطِنُهُ قَدْ امْتَلَأَ مِنْ مَالِهِ الْحَرَامِ . وَاخْتِصَارُ الْكَلَامِ فِي مِثْلِ هَذَا أَلِيقٌ وَالسَّلَامُ وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَعْفُ عَنْ مَآكِلِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِذْرَارًا وَلَا صِلَةً وَيُنْكَرُ عَلَيْهِمْ مَا قَدْ يَرَاهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُتَنَكَّرِ

فَهَذَا فِي مَحَلِّ اشْتِبَاهِ وَالْحَالَةَ مِيزَانَ يُعْلَمُ بِهَا صِحَّتُهُ مِنْ سِقَمِهِ وَهُوَ أَنْ يَرَى أَنَّهُ كَالْمُكْرَهِ فِي دُخُولِهِ عَلَيْهِمْ وَكَلَامِهِ مَعَهُمْ وَيَوَدُّ أَنْ لَوْ كُفِيَ بغيرِهِ وَلَوْ انْتَصَرَ الْمَظْلُومَ بِسِوَاهُ وَلَا يَتَّبِعُ بِصُحْبَتِهِمْ وَلَا بِالاجْتِمَاعِ عَلَيْهِمْ وَلَا فِي فَلَاتِ لِسَانِهِ قُلْتُ لِلسُّلْطَانِ وَقَالَ لِي السُّلْطَانُ وَانْتَصَرَ بِي فَلَانَ فَانصرتُهُ وَطَلَبَ مِنِّي الْمُسَاعَدَةَ فَلَانَ فَسَاعَدْتُهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَلَوْ قَدَّمَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَوْ قَرْبَةً وَاعْتَقَدَهُ وَقَامَ بِمَا كَانَ هُوَ قَائِمٌ بِهِ مِنَ السُّلْطَانِ الْمَعْرُوفِ لَمَا شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، بَلْ يَجِدُ عِنْدَهُ انْشِرَاحًا بِذَلِكَ وَفَرَحًا بِهِ إِذْ كَفَاهُ اللَّهُ التَّعَرُّضَ إِلَى هَذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ بِمَا لَا يَثِقُ بِصِحَّةِ قَصْدِهِ فِيهِ ، وَلَا يَقْطَعُ بِاخْتِلاصِ نِيَّتِهِ فِي الْقِيَامِ بِهِ أَنْتَهَى .

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدْنِسُهُ بِالْمُؤَبَقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفِ الْعِلْمِ يَرْفَعُ بَيْنًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ

آخر :

فَمَا لَكَ وَالْبَقَاءَ بَدَارِ ذُلِّ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ الْقَضَاءِ إِذَا نَحَانَ الْأَمِيرُ وَكَاتِبَاهُ وَقَاضِي الْأَرْضِ دَاهَنَ فِي الْقَضَاءِ فَوَيْلٌ لَكُمْ ثُمَّ وَيْلٌ لَكُمْ ثُمَّ وَيْلٌ لِقَاضِي الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ

آخر :

عَنُوا يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ شَبَابًا فَلَمَّا حَصَلُوهُ وَحَشَرُوا وَصَحَّ لَهُمْ اسْنَادُهُ وَأُصُولُهُ وَصَارُوا شَيْوِخًا ضِعْفَهُ وَأَدْبَرُوا وَمَالُوا عَلَى الدُّنْيَا فَهُمْ يَحْلُبُونَهَا بِأَخْلَافِهَا مَفْتُوحَةً لَا تُصَرَّرُوا

فِيَا عُلَمَاءَ السُّوءِ أَيْنَ عُقُولُكُمْ
وَأَيْنَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الْمُتَخَيَّرُ
آخر :

رَأَيْتُ فَقِيهَ الشَّكْلِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ وَيَقْنَعُ مِنْ حَالِ الْفَقَاهَةِ بِالْإِسْمِ
فَقُلْتُ وَقَدْ وَافَى بِتَضْلِيلِ عِمَّةٍ تَضَلَّعَ جَهْلًا مَا تَضَلَّعَ بِالْعِلْمِ

آخر : عَجِبْتُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ كَيْفَ تَشَاغَلُوا
عَنِ الْعِلْمِ وَاسْتَغَشَوْا ثِيَابَ الْمَمَالِكِ

يَطُوفُونَ حَوْلَ الظَّالِمِينَ كَأَنَّمَا
يَطُوفُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَقَتَ الْمَنَاسِكِ
آخر :

دَعِ الْمَنَاصِبَ لِلنَّاسِ يُشْغَفُونَ بِهَا وَاضْرِبْ عَلَى النَّفْسِ لَا تَسْمَعْ دَعَاوِيهَا
لَا يَعْرِفُ الزُّهْدَ إِلَّا كُلُّ مَنْ عَزَفَتْ نَفْسٌ لَهُ عَنْ هَوَى الدُّنْيَا وَطَارِيهَا
وَاسْتَدْرَكَ الْعُمَرَ فِي الْقُرْآنِ يَقْرُؤُهُ وَفِي الصَّحِيحِينَ مَعَ كُتُبِ ثُدَانِيهَا

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى
الرُّشْدِ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا
اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا وَشَيِّدْ فِيهَا بُيُوتَهُ وَوَطِّدْ فِيهَا أَرْكَانَهُ
وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا بِطَاعَتِكَ وَأَمْتِثْ أَمْرَكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

إِذَا فَهِمْتَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ شِنَاعَةِ الظُّلْمِ وَقُبِحِ عَاقِبَتِهِ وَمَا وَرَدَ مِنْ

الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ عَلَى مُرْتَكِبِهِ وَأَنَّ مَنْ مَاتَ قَبْلَ رَدِّ الْمَظَالِمِ أَحَاطَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُصْمَاؤُهُ فَهَذَا يَأْخُذُ بِيَدِهِ وَهَذَا يَقْبِضُ عَلَى نَاصِيَتِهِ وَهَذَا يُمْسِكُ يَدَهُ وَهَذَا يَتَعَلَّقُ بِلِسَانِهِ وَهَذَا يَتَعَلَّقُ بِرَقَبَتِهِ هَذَا يَقُولُ ظَلَمَنِي فَغَشِيَنِي وَهَذَا يَقُولُ ظَلَمَنِي فَبَخَسَنِي وَهَذَا يَقُولُ خَدَعَنِي وَهَذَا يَقُولُ قَذَفَنِي وَهَذَا يَقُولُ أَكَلَ مَالِي وَهَذَا يَقُولُ شَتَمَنِي وَهَذَا يَقُولُ اغْتَابَنِي وَهَذَا يَقُولُ كَذَبَ عَلَيَّ وَهَذَا يَقُولُ قَطَعَ رَجَمِي .

وَهَذَا يَقُولُ جَاوَرَنِي فَأَسَاءَ مُجَاوِرَتِي ، وَهَذَا يَقُولُ رَأَيْتُ مَظْلُومًا فَلَمْ يَنْصُرْنِي وَهَذَا يَقُولُ رَأَيْتُ عَلَى مُنْكَرٍ فَلَمْ يَنْهَنِي وَهَذَا يَقُولُ جَحَدَ مَالِي وَهَذَا يَقُولُ مَظَلَّنِي بِحَقِّي وَهَذَا يَقُولُ جَحَدَ وَدِيْعَتِي وَهَذَا يَقُولُ بَاعَنِي وَأَخْفَى عَنِّي عَيْبَ السَّلْعَةِ وَهَذَا يَقُولُ سَرَقَ مَالِي وَهَذَا يَقُولُ قَطَعَ مِنْ مُلْكِي .

وَهَذَا يَقُولُ شَهِدَ عَلَيَّ بِالزُّورِ وَهَذَا يَقُولُ سَخَّرَ بِي وَهَذِهِ زَوْجَةٌ تَقُولُ لَمْ يَعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ الْأُخْرَى وَهَذِهِ تَقُولُ أَكَلَ صَدَاقِي وَهَذَا يَقُولُ تَعَدَّى عَلَيَّ مَحَارِمِي ، وَهَذَا يَقُولُ نَشَرَ زَوْجَتِي ، وَهَذِهِ تَقُولُ نَشَرَ زَوْجِي .

وَهَذَا يَقُولُ غَدَرَ بِي وَهَذَا يَقُولُ خَانَ بِي وَهَذَا يَقُولُ دَلَسَ عَلَيَّ وَهَذَا يَقُولُ نَجَشَ عَلَيَّ فِي السَّلْعَةِ الَّتِي أُرِيدُ شِرَاءَهَا ، وَهَذَا يَقُولُ كَادَنِي وَهَذَا يَقُولُ مَنَعَنِي النَّوْمَ بِمَلاهِئِهِ مِنْ مِذْيَاعٍ وَتَلْفِزِيُونِهِ وَبِكَمِهِ وَسَيْنَمَائِهِ فَبَيْنَمَا أَنْتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمُخِيفَةِ الَّتِي لَا يُرَى فِيهَا بَعْضُكَ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ تَعَلَّقَ بِكَ مِنَ الْغُرَمَاءِ، الَّذِينَ أَنْشَبُوا فِيكَ مَخَالِبَهُمْ وَأَحْكَمُوا فِي تَلَابِيئِكَ أَيْدِيَهُمْ وَأَنْتَ مَبْهُوتٌ مُتَحِيرٌ مُضْطَرِبٌ الْفِكْرَ وَالْعَقْلَ مِنْ كَثْرَتِهِمْ وَمُطَالَبَتِهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ جَالَسْتَهُمْ أَوْ عَامَلْتَهُمْ أَوْ صَاهَرْتَهُمْ أَوْ شَارَكْتَهُمْ وَلَوْ

مُدَّةً قَلِيلَةً إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَقَّ عَلَيْكَ مَظْلَمَةٌ وَقَدْ ضَعُفَتْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ وَمَدَدَتْ
عُنُقَ الرَّجَاءِ إِلَى سَيِّدِكَ وَمَوْلَاكَ لَعَلَّهُ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ .

إِذْ قَرَعَ سَمْعَكَ نِدَاءُ الْجَبَّارِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ (الْيَوْمَ
تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْخَلِعُ قَلْبُكَ
وَتَضْطَرُّبُ أَعْضَاؤُكَ مِنَ الْهَيْبَةِ وَتَوْقِنُ نَفْسُكَ بِالْبَوَارِ وَتَذَكَّرُ مَا أَنْذَرَكَ اللَّهُ
اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ ، حَيْثُ قَالَ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا
يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي
رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْبِدْتُهُمْ هَوَاءً ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ
سَبِيلٍ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ
خَفِيٍّ ﴾ الْآيَةَ ، فَيَالِهَا مِنْ مُصِيبَةٍ ، وَمَا أَشَدَّهَا مِنْ حَسْرَةٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ،
إِذَا جَاءَ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا لِلْفَضْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ وَشُوفِهِ الظَّالِمِ
بِالْخِطَابِ وَعَلِمَ أَنَّهُ مُفْلِسٌ فَقِيرٌ عَاجِزٌ مَهِينٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَرُدَّ حَقًّا أَوْ
يُظْهِرَ عُذْرًا .

فَعِنْدَ ذَلِكَ تُؤَخِّدُ حَسَنَاتُهُ الَّتِي تَعَبَ عَلَيْهَا فِي عُمُرِهِ ، لَيْلًا وَنَهَارًا
حَضْرًا وَسَفْرًا وَتُنْقِلُ إِلَى الْخُصَمَاءِ عَوْضًا عَنْ حُقُوقِهِمْ وَتَقْدِّمُ حَدِيثَ أَبِي
هُرَيْرَةَ فِي بَيَانِ الْمُفْلِسِ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلْيَنْظُرِ الْعَاقِلُ إِلَى الْمُصِيبَةِ فِي مِثْلِ
ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي رَبَّمَا لَا يَسْلَمُ لَهُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَإِنْ سَلِمَ شَيْءٌ
ابْتَدَرَهُ الْعُرْمَاءُ وَأَخَذُوهُ فَكَيْفَ تَكُونُ حَالُ مَنْ رَأَى صَحِيفَتَهُ خَالِيَةً مِنْ
حَسَنَاتٍ طَالَمَا تَعَبَ فِيهَا ، فَإِذَا سَأَلَ عَنْهَا قِيلَ لَهُ نُقِلَتْ إِلَى صَحِيفَةِ
خُصَمَائِكَ الَّذِينَ ظَلَمْتَهُمْ وَيَرَى صَحِيفَتَهُ مَشْحُونَةً بِسَيِّئَاتٍ لَمْ يَعْمَلْهَا ،

فَإِذَا سَأَلَ عَنْهَا وَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: هَذِهِ سَيِّئَاتُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
 طَالَمَا تَمَضَّمْتْ بِهَتِّكَ أَعْرَاضَهُمْ وَتَنَاوَلْتَ أَمْوَالَهُمْ وَقَذَفْتَهُمْ وَشَتَمْتَهُمْ
 وَقَصَدْتَهُمْ بِالسُّوءِ وَخُتَّتَهُمْ فِي الْمُبَايَعَةِ وَالْمُجَاوَرَةِ وَالْمُعَامَلَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
 أَنْوَاعِ الظُّلْمِ: اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا، بِكَ، وَبِمَلَائِكَتِكَ، وَبِكُتُبِكَ
 وَبِرُسُلِكَ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

شِعْرًا: وَفِي النَّاسِ مَنْ ظَلَمَ الْوَرَى عَادَةً لَهُ
 وَيَنْشُرُ أَعْذَارًا بِهَا يَتَأَوَّلُ
 جَرِيءٌ عَلَى أَكْلِ الْحَرَامِ وَيَدَّعِي
 بِأَنَّ لَهُ فِي جِلِّ ذَلِكَ مَحْمَلُ
 فَيَا أَكَلَ الْمَالِ الْحَرَامِ ابْنُ لَنَا
 بِأَيِّ كِتَابٍ حَلَّ مَا أَنْتَ تَأْكُلُ
 أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ اللَّهَ يَدْرِي بِمَا جَرَى
 وَبَيْنَ الْبَرَايَا فِي الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ
 حَنَائِيكَ لَا تَظْلِمُ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ
 وَبِالْبَعْثِ عَمَّا قَدْ تَوَلَّيْتَ تُسْأَلُ
 وَتُوقَفُ لِلْمَظْلُومِ يَأْخُذُ حَقَّهُ
 فَيَأْخُذُ يَوْمَ الْعَرْضِ مَا كُنْتَ تَعْمَلُ
 وَيَأْخُذُ مِنْ وَزْرِ لِمَنْ قَدْ ظَلَمْتَهُ
 فَيُوضَعُ فَوْقَ الظَّهْرِ مِنْكَ وَيُجْعَلُ
 فَيَأْخُذُ مِنْكَ اللَّهُ مَظْلَمَةَ الَّذِي
 ظَلَمْتَ سَرِيعًا عَاجِلًا لَا يُؤَجَّلُ

تَفِرُّ مِنَ الْخَصْمِ الَّذِي قَدْ ظَلَمْتَهُ
وَأَنْتَ مَخُوفٌ مُوجِفُ الْقَلْبِ مُوجِلُ
تَفِرُّ فَلَا يُغْنِي الْفِرَارُ مِنَ الْقَضَا
وَإِنْ تَتَوَجَّلُ لَا يُفِيدُ التَّوَجُّلُ
فَيَقْتَصِرُ مِنْكَ الْحَقُّ مَنْ قَدْ ظَلَمْتَهُ
بِلَا رَأْفَةٍ كَلَّا وَلَا مِنْكَ يَخْجَلُ
وَحُكْمِي أَنَّ الرَّشِيدَ حَسَبَ أبا الْعَتَاهِيَةَ فَكَتَبَ عَلَى جِدَارِ الْحَبْسِ
أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ سُؤْمٌ
وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلْمُ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمُضِي
وعند الله تَجْتَمِعُ الخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا
غَدَاً عِنْدَ الْمَلِيكِ مَنْ الظُّلْمُ
تَنَامٌ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ الْمَنَايَا
تَنْبَهُ لِلْمَنِيَةِ يَا نَوُومٌ
لَهَوْتُ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى
وَمَا حَيُّ عَلَى الدُّنْيَا يَدُومُ
تَرُومُ الخُلْدُ فِي دَارِ الْمَنَايَا
وَكَمْ قَدْ رَامَ غَيْرُكَ مَا تَرُومُ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنِ أُمَّمِ تَقْضَتْ
سَتُخْبِرُكَ الْمَعَالِمُ والرُّسُومُ

فَأَخْبِرَ الرَّشِيدُ بِذَلِكَ فَبَكَى شَدِيدًا وَدَعَا أَبَا الْعَتَاهِيَةَ فَاسْتَحَلَّهُ
وَوَهَبَ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ لِحَبْسِهِ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ شَرْعِيٍّ .

آخر :
مَا دَارَ دُنْيَاً لِلْمُقِيمِ بِدَارٍ وَبِهَا النُّفُوسُ فَرِيْسَةُ الْأَقْدَارِ
مَا بَيْنَ لَيْلٍ عَاكِفٍ وَنَهَارِهِ نَفْسَانِ مُرْتَشِفَانِ لِلْأَعْمَارِ
طُولُ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَى كَقَصِيرِهَا وَالْيُسْرُ لِلْأَنْسَانِ كَالْإِعْسَارِ
وَالْعَيْشُ يَعْقِبُ بِالْمَرَاةِ حُلُوَّهُ وَالصَّفْوُ فِيهِ مُخْلَفُ الْأَكْدَارِ
وَكَأَنَّمَا تَقْضِي بُيُوتُ الرَّدَى لِفَنَائِنَا وَطَرًّا مِنَ الْأَوْطَارِ
وَالْمَرْءُ كَالطَّيْفِ الْمُطِيفِ وَعُمُرُهُ كَالنُّوْمِ بَيْنَ الْفَجْرِ وَالْأَسْحَارِ
حَطَبٌ تَضَاءَلَتْ الْحَطُوبُ لَهُوْلِهِ أُحْطَارُهُ تَعْلُو عَلَى الْأَحْطَارِ
نُلْفِي الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاخَ لَهُوْلِهِ وَتَلُوذُ مِنْ حَرْبٍ إِلَى اسْتِشْعَارِ
إِنَّ الَّذِينَ بَنَوْا مَشِيدًا وَانْتَوُوا يَسْعَوْنَ سَعْيَ الْفَاتِكِ الْجِبَارِ
سَلَبُوا النَّضَارَةَ وَالنَّعِيمَ فَاصْبَحُوا مُتَوَسِّدِينَ وَسَائِدَ الْأَحْجَارِ
تَرَكُوا دِيَارَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَتَوَسَّدُوا مَدْرًا بِغَيْرِ دِنَارِ
حَلَطَ الْحِمَامُ قَوِيَّهُمْ بِضَعِيفِهِمْ وَغَنِيَّهُمْ سَاوَى بَدِي الْأَقْتَارِ
وَالخَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثَارِهِمْ لَا بُدَّ مِنْ صُبْحِ الْمُجِدِّ السَّارِي
وَتَعَاقَبُ الْمَلَوْنِ فِينَا نَائِرٌ بِأَكْرَمَ مَا نَظَمْنَا مِنَ الْأَعْمَارِ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ يَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ يَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ
الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَنْخُلُ
وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلَا مُعَقَّبَ لِحِكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ
ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتَثْبِتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَيَنْصَرِفُونَ عَنْ ذِكْرِهِ وَيَجْتَرُونَ عَلَى مَعَاصِيهِ بِشَدِيدِ غَضَبِهِ وَعَظِيمِ سَخَطِهِ وَحَذَرَهُمْ بِأَسْهُ وَأَنْتِقَامَهُ فَمَا بَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ الْقُرُونِ الْأُولَى عَمَدُوا إِلَى مَحَارِمِ اللَّهِ فَارْتَكَبُوهَا وَمَأْمُورَاتِهِ فَاجْتَنَبُوهَا ثُمَّ عَادُوا بِمَرِّ الشُّكُوى مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَانْتِزَاعِ الْبَرَكَةِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَمْوَالِ .

أَحْسِبْتَ أَنَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ تُهْمَلُ وَتُتْرَكُ فَلَا تُعَاقَبُ ، وَتَظَلُمُ وَتَتَقَلَّبُ فِي النَّعِيمِ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تُحَاسِبُ أَنْسَيْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » كُلُّ هَذَا مِنْ جَهَالَتِكَ وَأَنْطِمَاسِ بَصِيرَتِكَ وَلَكِنْ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَسِيرِي اللَّهُ عَمَلَكَ ثُمَّ تَرُدُّ إِلَيْهِ وَيُجَازِيكَ بِمَا تَسْتَحِقُّ ، جَهَلْتَ فِي حَالِ النَّعِيمِ وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ لِيَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ ، وَلَكِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، وَأَصْبَحْتَ بَعْدَ زَوَالِهَا مِنْكَ تَشْكُو لِمَنْ ؟ تَشْكُو لِمَنْ عَصَيْتَهُ بِالْأَمْسِ تَشْكُو لِمَنْ خَالَفْتَ أَوْامِرَهُ وَفَعَلْتَ نَوَاهِيَهُ مَعَ عِلْمِكَ إِنَّهُ الْمُنتَقِمُ الْجَبَّارُ تَشْكُو لِمَنْ حَارَبْتَهُ بِالْمَعَاصِي الْمُتَنَوِّعَةِ وَقَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَلَوْ شَاءَ لَمَنْعَهَا عَنْكَ لِأَنَّهُ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ تَشْكُو لِمَنْ تَأْكُلُ نِعْمَهُ فِي أَرْضِهِ مُسْتَعِينًا بِهَا عَلَى مَعَاصِيهِ أَلَيْسَ عَمَلُكَ هَذَا فِي مُنْتَهَى اللَّامَةِ وَالْخَسَاسَةِ يُمِدُّكَ بِالنَّعْمِ وَتَبَارِزُهُ بِالْمَعَاصِي ، أَلَيْكَ صَبْرٌ عَلَى جَهَنَّمَ وَرَمْهَرِيرُهَا ، أَلَيْكَ طَاقَةٌ بِالْوَيْلِ وَالغَسَاقِ وَالرَّقُومِ وَالْحَمِيمِ وَالضَّرْبِيعِ ، عِبَادَ اللَّهِ هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْإِنْهَمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَقَتْلِ كُلِّ الْوَقْتِ فِي جَمْعِهَا وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْآخِرَةِ وَانْتِشَارِ الْمَعَاصِي بِسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ مَا هُوَ وَاللَّهُ

إِلَّا بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا، قَالَ تَعَالَى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، بِمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِي النَّاسِ﴾ الْآيَةَ . عَبَادَ اللَّهُ إِنَّ غَلَاءَ الْأَسْعَارِ ، وَانْتِشَارَ
 الْأَمْرَاضِ ، وَمَا رَأَيْتُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَالْتَعْقِيدِ فِي الْمُمْتَلَكَاتِ وَالتَّقَاطُعِ
 وَالْعُقُوقِ ، مَا هُوَ وَاللَّهِ إِلَّا جَزَاءُ عَمَلِنَا وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ فَقَدْ تَمَادَيْنَا
 فِي الْمَعَاصِي . وَاللَّهُ يَغَارُ عَلَيَّ أَوْامِرِهِ أَنْ تُجْتَنَّبَ وَمَحَارِمِهِ أَنْ تُرْتَكَبَ قَالَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ » الْحَدِيثُ .

تَيَقَّنْتُ أَنِّي مُذْنِبٌ وَمَحَاسِبٌ
 وَلَمْ أَدْرِ هَلْ نَاجٍ أَنَا أَوْ مُعَاقِبٌ
 وَمَا أَنَا إِلَّا بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَاقِفٌ
 فإِمَّا سَعِيدٌ أَمْ بِذُنُوبِي مُطَالِبٌ
 وَقَدْ سَبَقَتْ مِنِّي ذُنُوبٌ عَظِيمَةٌ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا تَكُونُ الْعَوَاقِبُ
 فَيَا مُنْقِذَ الْغُرُقَى وَيَا كَاشِفَ الْبَلَا
 وَيَا مَنْ لَهُ عِنْدَ الْمَمَاتِ مَوَاهِبُ
 أَعِثْنَا بِفُقْرَانٍ فَإِنَّكَ لَمْ تَزَلْ
 مُجِيبًا لِمَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ

اللهم أحيينا في الدنيا مؤمنين طائعين وتوفنا مسلمين تائبين واغفر لنا
 ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله
 وصحبه أجمعين .

فصل

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا
 نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ
 وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَالَ الزُّبَيْرُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيُّ رَسُولٍ اللَّهُ يُكْرَهُ عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا ، مَعَ
خَوَاصِّ الذُّنُوبِ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَعَمْ لِيُكْرَرَنَّ عَلَيْكُمْ حَتَّى
يُؤَدِّيَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ » قَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخْتَصِمُ حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَتَا » تَفَرَّدَ
بِهِ أَحْمَدُ رَجَمَهُ اللَّهُ ، وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ رَأَى
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ فَقَالَ « أَنْتَدِرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ يَا
أَبَا ذَرٍّ » ؟ قُلْتُ : لَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَكِنَّ اللَّهَ
يَدْرِي ، وَسَيُحْكُمُ بَيْنَهُمَا » .

فَتَفَكَّرُ الْآنَ فِي نَفْسِكَ إِنْ خَلَّتْ صَحِيفَتُكَ عَنِ الْمَظَالِمِ وَعَفَى اللَّهُ
عَنْكَ وَرَحِمَكَ فَأَيُّقُنْتَ بِسَعَادَةِ الْأَبَدِ كَيْفَ يَكُونُ سُرُورُكَ وَأَعْتَابُكَ فِي
مُنْصَرَفِكَ مِنْ فَضْلِ الْقَضَاءِ وَقَدْ خَلَعَ عَلَيْكَ خِلْعَةَ الرِّضَا وَعُدَّتْ بِسَعَادَةٍ
لَيْسَ بَعْدَهَا شَقَاءٌ وَنَعْمَ بَدَنُكَ بِنَعِيمٍ لَا يَدُورُ بِحَوَاشِيهِ الْفَنَاءُ وَعِنْدَ ذَلِكَ
طَارَ قَلْبُكَ سُرُورًا وَأَنْسَأَ وَابْتَهَاجًا وَفَرَحًا وَصِرْتَ مِنَ الْحِزْبِ الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ وَاسْتَنَارَتْ وَأَشْرَقَتْ فَتَصَوَّرْ مَشِيكَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ رَافِعًا رَأْسَكَ خَالِيًا
مِنَ الْأَوْزَارِ ظَهْرُكَ ، يُعْرِفُ فِي وَجْهِكَ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ، وَالخَلْقُ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَإِلَى حَالِكَ وَيَغْبِطُونَكَ فِي حُسْنِكَ وَجَمَالِكَ وَالْمَلَائِكَةُ يُمَشُونَ بَيْنَ
يَدَيْكَ يُبَشِّرُونَكَ بِمَا يَسُرُّكَ .

وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ بِأَنْ خَرَجْتَ الصَّحِيفَةَ مَمْلُوءَةً مِنْ
الْمَظَالِمِ وَمَقْتَهُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ وَنَكَسَ هَذَا الْمُجْرِمُ رَأْسَهُ مُسَوِّدًا الْوَجْهَ أَرْزَقَ

العَيْنِينَ وَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ بِنَاصِيَّتِهِ يَسْحَبُونَهُ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى مَلَأٍ مِنْ الْخَلْقِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ وَيُقَالُ لَهُ وَلَا مِثْلَهُ (لَا تَدْعُوا
الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا فَمَا أَكْبَرُ جُرْمَ مَنْ يَسْتَتِرُ وَيَحْتَرِزُ عَنْ
مَلَأٍ مِنْ الْخَلْقِ خَشْيَةَ الْإِفْتِضَاحِ عِنْدَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْمُضْمَحَلَّةِ
الْمُنْقَرِضَةِ ثُمَّ لَا يَخْشَى مِنَ الْإِفْتِضَاحِ عِنْدَ عَلَامِ الْغُيُوبِ وَفِي ذَلِكَ الْمَلَأِ
الْعَظِيمِ مَعَ التَّعَرُّضِ لِسَخَطِ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَالِقِ الْحَبِّ وَالتَّوَى
شعرا :

تَوَارَى بِجُدْرَانِ الْبُيُوتِ عَنِ الْوَرَى
وَأَنْتَ بَعَيْنِ اللَّهِ لَوْ كُنْتَ تُنْظَرُ
وَتَخْشَى عُيُونَ النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا بِهَا
وَلَمْ تَخْشَ عَيْنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَنْظُرُ
آخر :

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا
فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَيْلِ
وَيَرَى مَنَاطَ عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا
وَالْمُخَّ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ النَّحْلِ
وَيَرَى مَكَانَ الدَّمِ مِنْ أَعْضَائِهَا
مُتَنَقِّلًا مِنْ مَفْصِلٍ فِي مَفْصِلِ
وَيَرَى مَكَانَ الْمَشْيِ مِنْ أَقْدَامِهَا
وَخَطِيطِهَا فِي مَشْيِهَا الْمُسْتَعْجِلِ
وَيَرَى وَيَسْمَعُ حِسَّ مَا هُوَ صَوْتُهَا
فِي قَعْرِ بَحْرِ غَامِضٍ مُتَجَدِّولِ

أَصْوَاتُهَا مَرْفُوعَةٌ عِنْدَ النِّدَا
أَرْزَاقُهَا مَقْسُومَةٌ لِسُؤْلِ
اغْفِرْ لِعَبْدٍ تَابَ مِنْ فَرَطَاتِهِ
مَا كَانَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
آخر:

إِنَّ الْقُلُوبَ يَدُ الْبَارِي تُقَلِّبُهَا
فَأَسْأَلُ مِنَ اللَّهِ تَوْفِيقًا وَتَثْبِتًا
مَنْ يُظِلُّ لِلَّهِ لَا تَهْدِيهِ مَوْعِظَةٌ
وَأَنْ هَدَاهُ فَلَوْ كَانَتْ عِنْتِنَا

فَهَذِهِ غُرَبَةُ الْإِسْلَامِ أَنْتَ بِهَا
وَاسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ خَيْرًا يَمُنُّ بِهِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَخْلُوقٌ لَطَاعَتِهِ
وَسَوْفَ تَرْضَى غَدًا إِنْ كُنْتَ مُعْتَصِمًا
فَكُنْ صَبُورًا إِذَا فِي اللَّهِ أُؤْذِنَا
عَلَيْكَ وَاصْبِرْ وَلَوْ فِي الدِّينِ عُودِنَا
فَإِنْ أَجَبْتَ فَلِلْخَيْرَاتِ أُؤْتِينَا
بِالْوَاحِدِ الْفَرْدِ لَا بِالشَّرْكِ إِنْ جِئْنَا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَاهْمُنَا ذَكَرَكَ
وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ »

أَخْوَانِي أَيْنَ رُفَقَاؤُنَا وَأَخْوَانُنَا أَيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَا وَجِيرَانُنَا أَيْنَ
أَصْدِقَاؤُنَا أَيْنَ زُمَلَاؤُنَا وَأَقْرَانُنَا أَيْنَ عُلَمَاؤُنَا الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ أَيْنَ آبَاؤُنَا

وَأَجْدَادُنَا رَحَلُوا وَقَلَّ وَاللَّهِ بَعْدَهُمْ بَقَاؤُنَا. هَذِهِ مَسَاكِينُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ قَدْ
 نَسِينَاهُمْ وَنَسِيَهُمْ مُحِبَّهُمْ وَجَفَاهُمْ . أَيْنَ أَصْحَابُ الْقُصُورِ الْحَصِينَةِ ،
 وَالْأَنْسَابِ الْعَالِيَةِ الرَّصِينَةِ وَالْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ الرَّزِينَةِ ، قَبِضَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ
 الْمَنِيَا فَظْفَرَتْ ، وَنُقِلُوا إِلَى أَجْدَاثٍ مَا مُهَدَّتْ إِذْ حُفِرَتْ وَرَحَلُوا بِذُنُوبِ
 لَا يَذُرُونَ هَلْ غُفِرَتْ أَوْ بَقِيَتْ فَالصَّحِيحُ مِنْهُمْ بِالْحَزَنِ قَدْ سَقِمَ وَالْمَدْعُو
 إِلَى دَارِ الْبَلَى أَسْرَعَ وَلَمْ يَقُمْ وَالكِتَابُ قَدْ سَطَرَ بِالذُّنُوبِ فَرُقِمَ . وَلِذِيذِ
 عَيْشِهِمْ بِالتَّنْغِيصِ قَدْ خُتِمَ وَفِرَاقِهِمْ لِأَحْبَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ قَدْ حُتِمَ وَالْوَلَدُ قَدْ
 ذَلَّ وَوَيْتِمٌ ، فَتَفَكَّرُوا فِي الْقَوْمِ كَيْفَ رَحَلُوا ، وَتَذَكَّرُوا دِيَارَهُمْ أَيْنَ نَزَلُوا ،
 وَاسْأَلُوا مَنْزِلَهُمْ عَنْهُمْ مَاذَا فَعَلُوا فَانْتَبَهَ مِنْ رُقَادِكَ قَبْلَ أَنْ تَصَلَ مَا
 وَصَلُوا يَا مَنْ غَفَلَ وَسَهَى وَلَهَى وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى .

شِعْرًا :

إِنَّ الْحَيِّبَ مِنَ الْأَحْبَابِ مُخْتَلَسٌ	لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَّابٌ وَلَا حَرَسٌ
فَكَيْفَ تَفْرُحُ بِالْدُنْيَا وَلَذَّتْهَا	يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفْسُ
أَصْبَحْتَ يَا غَافِلًا فِي النَّقْصِ مُنْعَمَسًا	وَأَنْتَ دَهْرَكَ فِي اللَّذَاتِ مُنْعَمِسٌ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتَ ذَا جَهْلٍ لِعِرَّتِهِ	وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ
كَمْ أَخْرَسَ الْمَوْتُ فِي قَبْرِ وَقَفْتُ بِهِ	عَنِ الْجَوَابِ لِسَانًا مَا بِهِ خَرَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورٌ لَهُ شَرَفٌ	وَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرَسُ

آخِرُ :

لَنَا كُلَّ يَوْمٍ رَنَّةٌ خَلْفَ ذَاهِبٍ
 وَمُسْتَهْلِكٌ بَيْنَ النَّوَى وَالنَّوَابِ

وَقَلْعَةُ إِخْوَانٍ كَانَا وَرَاءَهُمْ
 نُرَامِقُ أَعْجَازَ النُّجُومِ الْغَوَارِبِ

نُودِعُ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي عَلَى شَفَا
مِنَ الْحَرْبِ لَوْ سَالَمَنَ مَنْ لَمْ يُحَارِبِ
وَنَأْمُلُ مِنْ وَعْدِ الْمُنَى غَيْرَ صَادِقِ
وَنَأْمُلُ مِنْ وَعْدِ الرَّدَى غَيْرَ كَاذِبِ
إِلَى كَمْ نُمْنَى بِالْفُرُورِ وَنَشْنِي
بِأَعْنَاقِنَا لِلْمُطْمَعَاتِ الْكَوَاذِبِ
نِرَاعُ إِذَا مَا شَيْكَ أَحْمُصُ بَعْضِنَا
وَأُقْدَامُنَا مَا بَيْنَ شَوْكِ الْعَقَارِبِ
وَنَمْشِي بِأَمَالِ طُؤَالِ كَأَنَّا
أَمْنَا بَنَاتِ الْخَطْبِ دُونَ الْمَطَالِبِ
نَعَمْ إِنَّهَا الدُّنْيَا سُؤْمٌ لِبَطَاعِمِ
وَحَوْفٌ لِمَطْلُوبِ وَهَمٌّ لِبَطَالِبِ
وَإِنَّا لَنَهَوَاهَا مَعَ الْغَدْرِ وَالْقِلَا
وَنَمْدَحُهَا مَعَ عِلْمِنَا بِالْمَعَائِبِ
وَمَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ ظَهْرًا لِرِجْلِهِ
فَيَا قَرَبَ مَا بَيْنَ الْمَدَى وَالرَّكَائِبِ
تَحِلُّ الرِّزَايَا بِالرِّجَالِ وَتَنْجَلِي
وَرُبَّ مُصَابٍ مُقْبِلٍ عَنِ مَصَابِ

آخر :

عَزَى بَعْضُهُمْ أَخَا فَقَالَ :

تَصَبَّرْ فَإِنَّ الْأَجْرَ أَسْنَى وَأَعْظَمُ وَلَا زِمَ لِمَا يَهْدِي لِمَا هُوَ أَقْوَمُ
وَلَوْ جَاَزَ فَرَطُ الْحُزْنِ لِلْمِرَّةِ لَمْ يُفِدْ فَمَا بَالُنَا لَا نَسْتَفِيدُو نَائِمُ

وَإِنِّي عَنْ نَدْبِ الْأَجْبَةِ سَاكِتٌ وَإِنْ كَانَ قَلْبِي بِالْأَسَى يَتَكَلَّمُ
وقال آخر مات له طفل :

فَإِنْ كُنْتُ تَبْكِيهِ طَلَاباً لِنَفْعِهِ فَقَدْ نَالَ جَنَاتِ النَّعِيمِ مُسَارِعاً
وَإِنْ كُنْتُ تَبْكِي أَنَّهُ فَاتَ عَوْدُهُ عَلَيْكَ بِنَفْعٍ فَهُوَ قَدْ صَارَ شَافِعاً
آخر :

جَاوَزْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَزَ رَبُّهُ شَتَانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ يَا ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ يَا وَاحِدُ أَحَدٍ يَا فَرْدٌ صَمْدٌ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَنْصُرَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تَعْلَى كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالِدِّينِ وَأَنْ تَشْمَلَ
بِعَنَائِكَ وَتَوْفِيقِكَ كُلَّ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وَأَنْ تَمَلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ
رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَأَنْ تُلْهِمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَنْ تَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا إِلَى مَا
تَرْضَاهُ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا وَأَنْ تُهَوِّنَ أَمْرَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَأَنْ تَغْفِرَ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ » فِي تَحْرِيمِ الْقَتْلِ وَإِثْمِ الْقَاتِلِ

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَبِأَنَّكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْقَتْلَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ
وَأَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَشَدِّ الْأَثَامِ بَلْ هُوَ أَغْلَظُهَا جَمِيعاً بَعْدَ الْأَشْرَاكِ بِاللَّهِ وَمَا
زَالَ النَّاسُ مِنْذُ تَكُونُوا جَمَاعَاتٍ وَظَهَرَ فِيهَا بَيْنَهُمْ تَعَارُضُ الرِّغْبَاتِ
وَالشَّهَوَاتِ وَتَمَكَّنَتْ بِهَا فِي النُّفُوسِ بَوَاعِثُ التَّعَدِّي يَرُونَ أَنَّ جَرِيمَةَ
الْقَتْلِ مِنْ أَكْبَرِ الْجَرَائِمِ وَذَلِكَ أَنَّهَا سَلَبَتْ لِحَيَاةِ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ بَغَيْرِ حَقِّ
وَتَيْبِيمِ لِأَوْلَادِهِ وَتَرْمِيلِ لِنِسَائِهِ وَجُرْمَانُ لِأَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَإِضَاعَةُ لِحُقُوقِهِ ،

وَقَطَعَ لِأَعْمَالِ حَيَاتِهِ ، وَالْحَيْلُولَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَالْوَصَايَا وَغَيْرِ ذَلِكَ
وَأَيُّصَالِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ لَهُمْ شَيْءٌ وَأَنْتَ إِذَا تَبَعْتَ الْمَعَاصِي
مَعْصِيَةَ مَعْصِيَةٍ لَا تَجِدُ لَوَاحِدَةً مِنْهَا فَسَاداً يُسَاوِي فَسَادَ الْقَتْلِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ
إِذَا مَاتَ وَمَجِيَ مِنَ الْوُجُودِ ذَهَبَ كُلُّهُ وَلَمْ يَبْقَ نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِيهِ وَلَيْسَ ذَلِكَ
الْمَعْنَى فِي أَيِّ مَعْصِيَةٍ وَلِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الْكَبِيرَةُ تَلِي الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَوَرِدَ عَنْ
أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِذَا أَصْبَحَ
إِبْلِيسُ بِثِّ جُنُودَهُ فَيَقُولُ مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ قَالَ فَيَجِيءُ
هَذَا فَيَقُولُ لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ أَمْرَأَتَهُ فَيَقُولُ يُوشِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَ وَيَجِيءُ
هَذَا فَيَقُولُ لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ فَيَقُولُ يُوشِكُ أَنْ يَبْرَهُمَا وَيَجِيءُ
هَذَا فَيَقُولُ لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ فَيَقُولُ أَنْتَ أَنْتَ وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ
لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ فَيَقُولُ أَنْتَ أَنْتَ وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي
صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ .

وَأَيْضاً تَحَدَّى لِشُعُورِ الْجَمَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الَّذِي فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنْ اعْتِقَادِ أَنْ
الْحَيَاةَ جَعَلَهَا اللَّهُ حَقًّا لِكُلِّ حَيٍّ يَتَمَتَّعُ بِهِ وَلَا يَجُوزُ انْتِزَاعُهُ مِنْهُ إِلَّا بِحَقِّ
شُرْعِيٍّ .

وَأَيْضاً جَرِيْمَةُ الْقَتْلِ مُزْعِرَةٌ لِمَا تَرْجُو هَذِهِ الْجَمَاعَةُ ، مِنْ هُدُوءِ
الْحَيَاةِ وَاسْتِقْرَارِهَا وَأَيْضاً هَدْمٌ لِعِمَارَةِ شَادَهَا اللَّهُ تَتَكَوَّنُ مِنْهَا وَمِنْ أَمْثَالِهَا
الْعِمَارَةُ لِهَذَا الْكَوْنِ .

وَهَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَوَّلِ اعْتِدَاءٍ وَقَعَ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى
أَخِيهِ ، وَيُصَوِّرُ لَنَا كَيْفَ كَانَ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ كِلَاهُمَا يَعُدَّانِ الْقَتْلَ جَرِيْمَةً
آثْمَةً تَسْتَوْجِبُ غَضَبَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ وَأَنَّ الْقَاتِلَ لِشُعُورِهِ بِهَذَا كَانَ يُعَالِجُ فِي

نَفْسِهِ الْأَقْدَامَ عَلَى هَذِهِ الْجَرِيمَةِ عِلَاجَ الْكَارِهِ الْمُتَحَرِّجِ ، حَتَّى ﴿طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ مِنْ أَجْلِ الْأَعْتِدَاءِ الَّذِي لَا مُوجِبَ لَهُ وَلَا مُبَرَّرَ عَلَى الْمُسَالِمِينَ الْوَادِعِينَ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ شَرًّا وَلَا مُدَافَعَةً . . . ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أَنْ جَرِيمَةَ قَتْلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ بِلَا مُبَرَّرٍ مِنْ قِصَاصٍ أَوْ دَفْعٍ لِفَسَادِ عَامٍ كَجَرِيمَةِ قَتْلِ النَّاسِ جَمِيعًا ، وَأَنَّ حِمَايَةَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتِحْيَاءَهَا بِهِذِهِ الْحِمَايَةِ فِي آيَةِ صُورَةٍ مِنْ صُورِهَا وَمِنْهَا الْقِصَاصُ كَأَنَّهَا اسْتِحْيَاءٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا .

ذَلِكَ أَنَّ الْأَعْتِدَاءَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هُوَ اعْتِدَاءٌ عَلَى حَقِّ الْحَيَاةِ الَّذِي يَصُونُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا حَيَاتَهُمْ فَلَا اسْتِهْتَارُ بِهَذَا الْحَقِّ اعْتِدَاءً عَلَى كُلِّ مَنْ يُدْلِي بِهِ وَيَتَحَصَّنُ بِهِ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَيْهِ مُحَافَظَةً عَلَى الْحَقِّ الَّذِي تُصَانُ بِهِ دِمَاءُ النَّاسِ وَأَرْوَاحُهُمْ فَلَيْسَتْ نَفْسٌ مُفْرَدَةٌ هِيَ الَّتِي تُقْتَلُ إِنَّمَا هُوَ حَقُّهَا فِي الْحَيَاةِ الَّتِي يُشَارِكُهَا فِيهَا النَّاسُ ، وَلَيْسَتْ نَفْسٌ مُفْرَدَةٌ هِيَ الَّتِي تُصَانُ إِنَّمَا هِيَ كُلُّ نَفْسٍ مُسْتَحِقَّةٌ لِلصِّيَانَةِ بِمَا اسْتَحَقَّتْ بِهِ تِلْكَ النَّفْسُ الْوَاحِدَةُ .

وقد اختلف العلماء هل للقاتل من توبة أم لا فروى البخاري عن سعيد بن جبير قال اختلف علماء الكوفة فيها فرحلت إلى ابن عباس رضي الله عنه ، فسألته عنها ، فقال نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ الآية وهي من آخر ما نزل ، وما نسخها شيء .

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ مَا كَفَّ
بَصْرُهُ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَنَادَاهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ مَا تَرَى فِي رَجُلٍ قَتَلَ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا ؟ فَقَالَ ﴿ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَلَعَنَهُ ،
وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ . قَالَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ ﴿ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ
اهْتَدَى ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ثَكَلْتُهُ أُمُّهُ وَأَنْتَى لَهُ التَّوْبَةُ وَالْهُدَى وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ ، لَقَدْ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « ثَكَلْتُهُ أُمُّهُ ، قَاتِلُ
مُؤْمِنٍ مُتَعَمِّدًا ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذُهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ ، تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ
فِي قَبْلِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ يَلْزَمُ قَاتِلَهُ بِشِمَالِهِ وَيَبِيدُهُ الْأُخْرَى رَأْسُهُ يَقُولُ يَا
رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَا قَتَلْتَنِي ؟ » وَأَيْمُ الَّذِي نَفْسُ عَبْدِ اللَّهِ بِيَدِهِ لَقَدْ أَنْزَلْتَ هَذِهِ
الْآيَةَ فَمَا نَسَخْتَهَا مِنْ آيَةٍ حَتَّى قُبِضَ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا نَزَلَ
بَعْدَهَا مِنْ بَرَهَانٍ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« يَجِيءُ الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذٌ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ سَلْ
هَذَا فِيمَ قَتَلْتَنِي قَالَ فَيَقُولُ قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ قَالَ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَهُ بُؤُ
بِأَيْمِهِ قَالَ فَيَهْوِي فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا ، أَوْ
الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ ، وَلِأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ
أَبِي الدَّرْدَاءِ كَذَلِكَ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ ، لَقِيَ اللَّهَ
مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَشَرِّ الدُّنْيَا وَالْهُوَى وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالضِّيَاءِ فِي الْمُخْتَارَةِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه . أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَيْبَى اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لِقَابِلِ الْمُؤْمِنِ تَوْبَةً » .

وَرُوِيَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بغيرِ حَقٍّ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْأَصْبَهَانِيُّ ، وَزَادَ فِيهِ « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا وَرَجَّحَ الْمَوْقُوفَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا » وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما . إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفْكَ الدِّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ جِلَّةٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ مَا أَطْيَبُ وَمَا أَطْيَبَ رِيحُكَ مَا أَعْظَمَكَ وَمَا أَعْظَمَ حُرْمَتِكَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِحُرْمَةِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حُرْمَتِكَ مَا لَهُ وَدَمُهُ . وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم « لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ
مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ
وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ « لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ
لَكَبَّهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ » .

وَعَنْ جُنْدِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِثْلَ
مِنْ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُهْرِيقَهُ ، كَمَا يَذْبَحُ بِهِ دَجَاجَةٌ ، كُلَّمَا تَعَرَّضَ
لِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ حَالَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَجْعَلَ

فِي بَطْنِهِ إِلَّا طَيِّباً فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ
وَرَوَاتُهُ ثِقَاتٌ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ كُنْتُ أَجَالِسُ بَرِيرَةَ بِالْمَدِينَةِ فَكَانَتْ تَقُولُ
لِي : يَا عَبْدَ الْمَلِكِ إِنِّي أَرَى فِيكَ خِصَالاً ، وَإِنَّكَ لَخَلِيقٌ أَنْ تَلِيَ الْأَمْرَ
فَإِنَّ وَلِيَّتَهُ فَاحْذَرِ الدُّنْيَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
« إِنَّ الرَّجُلَ لِيُدْفَعُ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا ، بِمِثْلِ مِجْحَمَةٍ مِنْ
دَمٍ يُهْرِيقُهُ مِنْ مُسْلِمٍ بَغَيْرِ حَقٍّ » أَنْتَهَى .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ « أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ
سُنَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَطْلُبٌ دَمِ امْرِئٍ بَغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ،

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَسَادَ إِذَا فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا فِي الدُّنْيَا فَأَعْظَمُ فَسَادِ الدُّنْيَا قَتْلُ النَّفُوسِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَلِهَذَا كَانَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ بَعْدَ أَعْظَمِ فَسَادِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ الْكُفْرُ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ مُشْرِكًا ، أَوْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بِثَّ جُنُودَهُ ، يَقُولُ مَنْ أَضَلَّ مُسْلِمًا الْبَسْتَةَ التَّاجِ ، قَالَ فَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ أَمْرَأَتَهُ فَيَقُولُ يُوشِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدِيهِ ، فَيَقُولُ : يُوشِكُ أَنْ يَبْرَهَمَا ، وَيَجِيءُ هَذَا : فَيَقُولُ لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ ، فَيَقُولُ : أَنْتَ أَنْتَ ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ . فَيَقُولُ : أَنْتَ أَنْتَ وَيُلْبِسُهُ التَّاجِ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يَخْرُجُ عَنَقُ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ : وَكَلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةٍ ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِيِدٍ وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَيَقْدِفُهُمْ فِي حَمْرَاءِ جَهَنَّمَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ بَرَزَانَ .

فِيَاكَ قَتْلُ النَّفْسِ ظُلْمًا لِمُؤْمِنٍ
فَذَلِكَ بَعْدَ الشَّرِكِ كُبْرَى التَّفْسِدِ
كَفَى زَاجِرًا عَنْهُ تَوْعُدُ قَادِرٍ
بِنَارٍ وَلَعْنٍ ثُمَّ تَحْلِيدٍ مُعْتَدٍ
فَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى
بِنَفْيِ مَتَابِ الْقَاتِلِ الْمُتَعَمِّدِ

اللهم يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تَنْفَعُهُ الطاعةُ أُيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ العَفْلةِ وَبَيِّهْنَا لِإِعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقَّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاَعَصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَنْتَهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ القَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَأْمِنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةِ تَمَحُّوْ بِهَا عَنَّا كُلِّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَمِمَّنْ يَرَى أَنَّهُ لَا تَوْبَةَ لِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا أَبُو هُرَيْرَةَ وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ عَمْرٍو وَأَبُو سَلَمَةَ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ نَقَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُمْ ، وَبِالتَّالِيِ قُلُوْ لَمْ يَرِدْ فِي بَيَانِ ضَخَامَةِ هَذَا الذَّنْبِ ذَنْبُ القَتْلِ ، وَعَظْمِيهِ الَّذِي لَا يَتَنَاهَى إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا ، مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

لَكَانَ فِيهَا كِفَايَةٌ وَمَوْعِظَةٌ وَزَجْرٌ ، فَفِيهَا مِنَ الوَعِيدِ الشَّدِيدِ الَّذِي تَرْجُفُ مِنْهُ القُلُوبُ وَتَنْصَدِعُ لَهُ الأَفئِدَةُ وَيَنْزَعِجُ مِنْهُ أَوْلُو العُقُولِ ، فَقَرَنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القَتْلَ بِالشَّرْكِ ، وَبَيَّنَ أَنَّ جَزَاءَهُ جَهَنَّمُ وَأَنَّهُ خَالِدٌ فِيهَا وَأَنَّ مَعَ ذَلِكَ العَذَابِ وَالخُلُودِ غَضَبُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا وَلَمْ تَسْكُتِ الآيَةُ ، بَلْ أَضَافَتْ إِلَى ذَلِكَ اللَّعْنَ ، وَهُوَ الطَّرْدُ وَالإِبْعَادُ عَنِ الرَّحْمَةِ وَلَمْ تَنْتَهِ الآيَةُ إِلَى هَذَا الحَدِّ مِنْ بَيَانِ عِظَمِ جَزَاءِ القَاتِلِ بَلْ صَرَّحَتْ تَصْرِيحًا لِإِحْفَاءِ فِيهِ بِأَنَّ عَذَابَ ذَلِكَ القَاتِلِ سَيَكُونُ نَوْعًا وَحِدَهُ فِي الشَّدَّةِ لَا يُمَاتِلُهُ عَذَابُ أَيِّ مَعْصِيَةٍ مَا عَدَا الشَّرْكَ ، فَذَنْبُهُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَعُقُوبَتُهُ أَشَدُّ العُقُوبَاتِ هَذَا مِمَّا وَرَدَ فِي قَتْلِ الْإِنْسَانِ غَيْرِهِ وَأَمَّا قَتْلُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ المَعْرُوفُ عِنْدَنَا اليَوْمَ بِالانتِحَارِ فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ وَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ أَفْظَعُ أَنْوَاعِ القَتْلِ لِأَنَّ جِرْصَ الْإِنْسَانِ عَلَى حَيَاتِهِ أَمْرٌ فِطْرِيٌّ يَبْعُدُ

كُلُّ الْبُعْدِ أَنْ تَتَوَزَّ عَلَيْهِ عَوَامِلُ الْغَضَبِ وَالْإِنْتِقَامِ .

وَنَفْسُ الْإِنْسَانِ لَيْسَتْ مِلْكَاً لَهُ فَهُوَ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ وَلَا عُضْواً مِنْ أَعْضَائِهِ ، بَلْ وَلَا خَلِيَّةً مِنْ خَلَايَاهُ ، وَإِنَّمَا نَفْسُهُ وَدِيْعَةٌ وَأَمَانَةٌ عِنْدَهُ اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ التَّفْرِيطُ فِيهَا وَلَا التَّصَرُّفُ فِيهَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ فَكَيْفَ بِالْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهَا بِالتَّخَلُّصِ مِنْهَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ فَالْمُسْلِمُ يُرَادُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ صَلْبَ الْعُودِ قَوِيَّ الْعِزْمِ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّدَائِدِ وَلَمْ يُبَحِّ لَهُ أَنْ يَهْرَبَ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَيَخْلَعَ ثَوْبَهَا لِبَلَاءٍ نَزَلَ بِهِ ، أَوْ أَمَلَ أَنْ يَحْلُمَ بِهِ فَخَابَ أَمَلُهُ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ لِلْجِهَادِ لَا لِلْقُعُودِ وَلِلْكَفَاحِ لَا لِلْفِرَارِ ، وَإِيْمَانُهُ بِاللَّهِ وَخُلُقُهُ بِأَيَّامِ عَلَيْهِ أَنْ يَفِرَّ مِنْ مِيْدَانِ الْحَيَاةِ وَمَعَهُ السَّلَاحُ الَّذِي لَا يُفْلُ ، وَالذَّخِيْرَةُ الَّتِي لَا تَنْفَدُ ، سِلَاحُ الْإِيْمَانِ الْمَكِيْنِ ، وَذَخِيْرَةُ الْخُلُقِ الْمَتِيْنِ الَّذِي اسْتَمَدَّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وَفَقْنَا اللَّهَ وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ إِلَى الْإِقْتِدَاءِ بِهِمَا وَالتَّمَسُّكِ بِهِمَا عِلْماً وَعَمَلًا .

وَإِذَا كَانَ جَزَاءُ قَاتِلِ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا مَا سَمِعَتْ فَإِنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَوِّرُ لَنَا جَزَاءَ قَاتِلِ نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِداً مُخَلِّداً فِيهَا أَبَداً ، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، خَالِداً مُخَلِّداً فِيهَا أَبَداً ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيْدَةٍ فَحَدِيْدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلِّداً فِيهَا أَبَداً » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ ، فَهَذَا الْحَدِيثُ يُصَرِّحُ بِالْخُلُودِ الْمُؤَبَّدِ فِي حَقِّ قَاتِلِ نَفْسِهِ وَيُفِيدُ أَنَّ قَاتِلَ نَفْسِهِ فِي أَيِّ آلَةٍ مِنْ

الآلاتِ الْقَاتِلَةِ يُعَذِّبُ نَفْسَهُ بِتِلْكَ الْآلَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَسْتَعْمِلُهَا هُنَا كَمَا اسْتَعْمَلَهَا هُنَا عِنْدَمَا قَتَلَ نَفْسَهُ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَذَابَانِ عَذَابُ النَّارِ وَعَذَابُ الْآلَةِ الْمَذْكُورَةِ نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الَّذِي يَخْنِقُ نَفْسَهُ يَخْنِقُهَا فِي النَّارِ ، وَالَّذِي يَطْعَنُ نَفْسَهُ يَطْعَنُ نَفْسَهُ فِي النَّارِ ، وَالَّذِي يَفْتَحُهَا يَفْتَحُهَا فِي النَّارِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ « هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي قُلْتَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَدْ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِلَى النَّارِ » فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ قِيلَ لَهُ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنْ بِهِ جِرَاحَةٌ شَدِيدَةٌ فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَأَخَذَ ذُبَابَ سَيْفِهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ « اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ « إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » وَعَنْ جُنْدِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « كَانَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ ، فَجَزِعَ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ فَقَالَ اللَّهُ بَادِرْنِي عُنْدِي بِنَفْسِهِ فَحَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ بِهِ جِرَاحَةٌ فَاتَى قَرْنًا لَهُ فَأَخَذَ مَشْقَصًا فَذَبَحَ بِهِ نَفْسَهُ فَلَمْ

يُصَلِّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .
وَعَنْ أَبِي قَلَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَأَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ حَلَفَ عَلَيَّ يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ
كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدِبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ
عَلَيَّ رَجُلٌ نَذَرُ فِيمَا لَا يَمْلِكُ وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ
فَهُوَ كَقَتْلِهِ وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدِبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ .

وَجَاءَ فِي تَرْوِيعِ الْمُسْلِمِ عِدَّةُ أَحَادِيثَ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَتْتَهِيَ ، وَإِنْ كَانَ
أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ » .

وَقَالَ ﷺ « مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ فِيهَا بَغَيْرِ حَقٍّ ، أَخَافَهُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَقَالَ ﷺ « مَنْ أَخَافَ مُؤْمِنًا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُؤْمِنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .
شِعْرًا :

فَيَا عَجَبًا نَدْرِي بِنَارِ وَجَنَّةِ	وَلَيْسَ لِدِي نَشْتَاقُ أَوْ تِلْكَ نَحْدَرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ خَوْفٌ وَشَوْقٌ وَلَا حَيَا	فَمَاذَا بَقِيَ فِينَا مِنَ الْخَيْرِ يُذَكَّرُ
وَلَيْسَ لِحَرِّ صَابِرِينَ وَلَا بَلَى	فَكَيْفَ عَلَى النَّيْرَانِ يَا قَوْمُ نَضْبَرُ
وَقَوْتُ جَنَانَ الْخُلْدِ أَعْظَمُ حَسْرَةً	عَلَى تِلْكَ فَلْيَسْخَسِرِ الْمُتَحَسِّرُ
فَأَفِ لَنَا أِفِ كِلَابٍ مَزَابِلِ	إِلَى بَنِيهَا نَعْدُوا وَلَا نَتَدَبَّرُ
نَبِيعُ خَطِيرًا بِالْحَقِيرِ عِمَايَةً	وَلَيْسَ لَنَا عَقْلٌ وَلُبٌّ مُنَوَّرُ

قَطُوبِي لِمَنْ يُوتَى الْقِنَاعَةَ وَالتُّقَى وَأَوْقَاتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَعْمُرُ
 آخِر: تَوَرَّعٌ وَدَعٌ مَا أَنْ يَرِيْبَكَ كَلَّهُ جَمِيْعاً إِلَى مَا لَا يَرِيْبَكَ تَسْلِمُ
 وَحَافِظٌ عَلَى أَعْضَائِكَ السَّبْعِ جُمْلَةً وَرَاعَ حُقُوقَ اللَّهِ فِي كُلِّ مُسْلِمٍ
 وَكُنْ رَاضِياً بِاللَّهِ رَبّاً وَحَاكِماً وَفَوَّضْ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ وَسَلِّمْ

آخِر:

لِكِسْرَةٍ مِنْ رَغِيْفِ الْخَبْزِ تُشْبِعُنِي وَشَرْبَةِ مِنْ قَرَا حِ الْمَاءِ تُرْوِينِي
 وَخِرْقَةٍ مِنْ خَشِيْنِ الثَّوْبِ تَسْتُرُنِي حَيّاً وَإِنْ مِتُّ تَكْفِيْنِي لِتَكْفِيْنِي
 لَا أَبْغِي وَصَلَّ مَنْ يَبْغِي مُفَارَقَتِي وَلَا أَلِيْنُ لِمَنْ لَا يَبْغِي لِيْنِي

آخِر:

فَنِعْتُ بِالْقُوْتِ فِي زَمَانِي وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ
 خَوْفاً مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا فَضَّلْتُ فُلَانٍ عَلَى فُلَانِ
 مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيّاً فَلَا أَبَالِي إِذَا جَفَانِي
 وَمَنْ رَأَى بَعِيْنَ نَقِيصِ رَأَيْتُهُ بِالذِي رَأَى
 وَمَنْ رَأَى بَعِيْنَ تَمِّ رَأَيْتُهُ كَامِلِ الْمَعَانِي

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ طَلَبَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَالْتَمَسْ
 الرِّزْقَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِنْ جِلِّهِ وَإِيَّاكَ وَمَا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ فَتَمَتَّعِ الدُّنْيَا
 قَلِيْلًا ؛ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ إِنَّ جَمْعَكَ لِلْمَالِ مِنْ جِلِّهِ عِبَادَةٌ إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ
 إِعْفَافَ نَفْسِكَ ، وَالْقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْحُقُوقِ ، وَاحْذَرُ مِنْ

تَرَكَ الْعَمَلَ ، وَافْعَلَ الْأَسْبَابَ الَّتِي بِهَا يَحْصُلُ الرِّزْقُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ
 أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ حَتَّى صَارَ كَلًّا عَلَى الْخَلْقِ يَعُدُّهُ
 أَهْلُهُ ثِقْلًا وَيَرَاهُ صَاحِبَهُ بَغِيضًا ، وَلَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا وَكَرَهُ لُقْيَاهُ قَالَ تَعَالَى
 حَائِثًا عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
 مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ
 اللَّهِ﴾ وَالْمُؤْمِنُ الْمُحْتَرِفُ الْكُسُوبِ الَّذِي يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ مُكْرَمٌ
 مَحْبُوبٌ مُحْتَرَمٌ ، عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَالْأَوْلَادُ ، وَكَانَ نُوحٌ وَدَاوُدُ يَحْتَرِفَانِ التِّجَارَةَ
 وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَعَى الْغَنَمَ ، وَمُوسَى كَانَ أَجِيرًا عِنْدَ
 صَاحِبِ مَدْيَنَ وَكَانَ اَدْرِيسُ خِيَاطًا ، وَمَا أَبْعَدَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الشَّرِيفَةِ عَنْ
 الْكَسَلِ وَالْبَطَالَةِ وَكَانَ السَّلْفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عُمَّالًا مُكْتَسِبِينَ ، فَكُلُّهُمْ
 مَا بَيْنَ غَنِيِّ شَرِيفٍ وَفَقِيرٍ شَرِيفٍ عَفِيفٍ ، لَا تَشْغَلُهُمُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ
 وَلَا يَمْنَعُهُمُ الدِّينُ عَنْ طَلَبِ الْكَسْبِ ، وَالْقِيَامِ بِالْوَجِيبَاتِ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا
 مِنْ أَقْوَى النَّاسِ تَوَكَّلًا عَلَى اللَّهِ وَرِضَى بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَاهُ وَهَذَا
 أَمْرُ اللَّهِ بِهِ وَرَضِيهِ .

شِعْرٌ :

لِمَنْ تَطَلَّبَ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْدِ بِهَا رِضَى الْمَلِكِ الْقُدُوسِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
 آخِرٌ : وَكُنْ بِالَّذِي قَدْ خُطَّ بِاللُّوْحِ رَاضِيًا

فَلَا مَهْرَبَ مِمَّا قَضَاهُ وَخَطَّهُ

وَإِنْ مَعَ الرِّزْقِ اشْتِرَاطُ التِّمَاسِيهِ

وَقَدْ يَتَعَدَّى إِنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ

فَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِي فَمِ الطَّيْرِ قُوَّتَهُ

وَلَكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطَّيْرِ لِقَطْعَهُ

آخر :

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالْتَمَنِّي وَلَكِنْ أَلِقِ دَلُوكَ بِالذَّلَاءِ
تَجِيءُ يَمَلُّهَا طَوْرًا وَطَوْرًا وَتَجِيءُ بِحِمَاةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

آخر :

لَا تَقْعُدَنَّ بِكِسْرِ الْبَيْتِ مُكْتَتِبًا
يَفْنَى زَمَانِكَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ
وَاحْتَلَّ لِنَفْسِكَ فِي رِزْقِ تَعِيشُ بِهِ
فَإِنَّ أَكْثَرَ عَيْشِ النَّاسِ بِالْحَيْلِ
وَلَا تَقُلْ إِنَّ رِزْقِي سَوْفَ يُدْرِكُنِي
وَإِنْ قَعَدْتُ فَلَيْسَ الرَّزْقُ كَالْأَجَلِ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَا تُعَذِّبْنَا وَوَفِّقْنَا وَلَا تَخْذُلْنَا وَلَا تَسْلِبِ الْإِيمَانَ مِنَّا لَا
مَلْجَأَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا مُعْوَلَ لَنَا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في التحذير من الزنا وآثاره في الدنيا والآخرة

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَايَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا مِنْ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ رَكَّبَ فِي الْإِنْسَانِ شَهْوَةَ الْفَرْجِ تَرْكِيئًا قَوِيًّا
وَجَعَلَ لَهَا عَلَيْهِ سُلْطَةً شَدِيدَةً فَإِذَا هَاجَتْ كَانَتْ أَشَدَّ الشَّهَوَاتِ عِصْيَانًا
عَلَى الْعَقْلِ فَلَا تَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا فَمَنْ لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ قَوِيًّا الْإِرَادَةَ
شُجَاعًا أَنْقَادَ لَهَا صَاحِرًا وَأَطَاعَهَا ذَلِيلًا وَلَوْلَا قُوَّةُ هَذِهِ الشَّهْوَةِ الَّتِي جَعَلَهَا
اللَّهُ ، وَشِدَّةُ سُلْطَانِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ ، لَأَبَى أَنْ يَحْتَمِلَ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ

مَشَاقِّ البَيْتُوتَةِ وَتَكَالِيفِ الزَّوْجِيَّةِ وَتَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ وَالكَدِّ وَالتَّعَبِ مِنْ أَجْلِهِمْ
وَالرُّضَى بِالآلَامِ الَّتِي تَتَّبَعُهُ إِذَا مَرَضُوا أَوْ أُصِيبُوا بِمَكْرُوهِ .

فَخَلَقَ اللهُ هَذِهِ الشَّهْوَةَ مِنْ القُوَّةِ مِنْ أَوْضَحِ الدَّلَالَةِ عَلَى قُدْرَةِ
الخَالِقِ وَكَمَالِ عِلْمِهِ وَخِبْرَتِهِ وَجَلِيلِ حِكْمَتِهِ فَإِنَّ الإنسانَ مَسْئُوقٌ إِلَى
التَّنَاسُلِ رَغْمَ أَنفِهِ وَمُسَخَّرٌ عَلَى اِحْتِمَالِ كُلِّ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ النَّصَبِ
وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ رَاضٍ كُلِّ الرِّضَا .

وَكَذَلِكَ المَرْأَةُ لَوْلَا مَا جَعَلَ اللهُ فِيهَا مِنْ هَذِهِ الشَّهْوَةِ القَوِيَّةِ مَا
كَانَتْ تَسْتَطِيعُ حَمْلَ عِبءِ الوِلَادَةِ وَالحَمْلَ وَمَشَاقِّ تَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ وَهُمْ
صِغَارٌ وَالسَّهَرُ فِي اللَّيَالِيِ وَالقِيَامَ عَلَى حِرَاسَتِهِمْ وَدَفْعِ الأَضْرَارِ المَكْرُوهَةِ
عَنْهُمْ وَهُمْ أَطْفَالٌ صِغَارٌ وَاحْتِمَالِ مَا يَغْتَرِبُهُمْ مِنَ الآلَامِ وَعَدَمِ الرَّاحَةِ
وَأَيْضاً فَإِنَّ اللهُ قَدْ خَلَقَ النِّسَاءَ عَلَى حَالَةٍ مِنَ الضَّعْفِ لَا يَقْدِرْنَ مَعَهَا عَلَى
اِحْتِمَالِ تَكَالِيفِ الحَيَاةِ وَمَشَاقِّ الجِهَادِ فِي مُعْتَرَكِهَا .

فَسَخَّرَ اللهُ لَهُنَّ الرِّجَالَ يَحْمِلُونَ عَنْهُنَّ كُلَّ مَا يَعْجَزْنَ عَنْ اِحْتِمَالِهِ
فِي سَبِيلِ حَيَاتِهِنَّ بِدَافِعِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ القَوِيَّةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا العَزِيزُ الحَكِيمُ
جَلَّ وَعَلَا ، وَلَوْلَاهَا لَمَا كَانَ لِلنِّسَاءِ هَذَا السُّلْطَانُ عَلَى النُّفُوسِ .

وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ مِنْ أَنَّ شَهْوَةَ الفَرْجِ لَهَا مِنَ القُوَّةِ وَالتَّأثيرِ هَذِهِ
المَكَانَةَ وَأَنَّهَا إِنَّمَا خُلِقَتْ لِجِوَدِ ارَّادَةِ اللهِ فَاعْلَمْ أَنَّ العَقْلَ مَسْئُوقٌ عَنْ
تَضْرِيْفِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ ، وَالوُقُوفِ مَعَهَا عِنْدَ الحَدِّ الذِّي خُلِقَتْ مِنْ أَجْلِهِ
وَلَا يَتْرُكُهَا تَهْيِجُ الوَسَائِلِ المُخْتَلِفَةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُبْعَدَ عَنْ كُلِّ المَنَاطِرِ
وَالأَسْبَابِ الَّتِي تُحَرِّكُهَا وَتَبْعُثُهَا إِلَى مَا هُوَ مَمْنُوعٌ شَرْعاً . وَالأَسْبَابُ الَّتِي

تُثِيرُ هَذِهِ الشَّهْوَةَ وَتَهَيِّجُهَا ، مِنْهَا النَّظْرُ وَالخَلْوَةُ بِالْأَجْنِبِيَّةِ ، وَحَدِيثُ
النَّفْسِ ، وَتَقْدَمُ الْكَلَامُ عَلَى النَّظْرِ وَالخَلْوَةِ .

وَشَرُّ مَضَارِّ شَهْوَةِ الْفَرْجِ الزَّانَا وَاللُّوَاطِ فَالزَّانَا أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ بَعْدَ الشَّرْكِ
وَالْقَتْلِ وَهُوَ فَاحِشَةٌ مُهْلِكَةٌ وَجَرِيمَةٌ مُوبِقَةٌ وَفَسَادٌ لَا تَقِفُ جَرَائِمُهُ عِنْدَ حَدٍّ
وَلَا تَنْتَهِي آثَارُهُ وَتَنْتَاجُهُ إِلَى غَايَةٍ وَهُوَ ضَلَالٌ فِي الدِّينِ وَفَسَادٌ فِي الْأَخْلَاقِ
وَأَنْتِهَاكٌ لِلْحُرْمَاتِ وَالْأَعْرَاضِ وَاسْتِهْتَارٌ بِالشَّرْفِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَدَاعِيَةٌ
لِلْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَةِ .

وَإِلَيْكَ مَا قَالَ أَحَدُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَنْهُ : عَارُهُ يَهْدِمُ الْبُيُوتَ الرَّفِيعَةَ
وَيُطَاطِيءُ الرُّؤُسَ الْعَالِيَةَ وَيَسْوَدُّ الْوُجُوهُ الْبَيْضَ وَيَصْبُغُ بِأَسْوَدَ مِنَ الْقَارِ
أَنْصَعَ الْعَمَائِمَ بَيَاضاً وَيُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ الْبَلِيغَةَ وَيَبْدُلُ أَشْجَعَ النَّاسِ مِنْ
شَجَاعَتِهِمْ جُبْنًا لَا يُدَانِيهِ جُبْنٌ وَيَهْوِي بِأَطْوَلِ النَّاسِ أَعْنَاقًا وَأَسْمَاهُمْ مَقَامًا
وَأَعْرُقُهُمْ عِزًّا إِلَى هَاوِيَةٍ مِنَ الذَّلِّ وَالْأَزْدِرَاءِ وَالْحَقَارَةِ لَيْسَ لَهَا مِنْ قَرَارٍ .

وَهُوَ أَقْدَرُ أَنْوَاعِ الْعَارِ عَلَى نَزْعِ ثَوْبِ الْجَاهِ مَهْمَا اتَّسَعَ وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ
مَهْمَا بَعُدَتْ وَإِلْبَاسِ ثَوْبِ مِنَ الْخُمُولِ يَنْبُو بِالْعُيُونِ عَنْ أَنْ تَلْفَتَ إِلَى مَنْ
كَانَ فِي بُيُوتِهِمْ لَقْتَةً احْتِرَامٍ وَهُوَ أَيُّ الزَّانَا لُطْخَةٌ سَوْدَاءٌ إِذَا لَحِقَتْ تَارِيخُ
أَسْرَةٍ غَمَرَتْ كُلَّ صَحَائِفِهِ الْبَيْضِ وَتَرَكَّتِ الْعُيُونَ لَا تَرَى مِنْهَا إِلَّا سَوَادًا
حَالِكًا .

وَهُوَ الذَّنْبُ الظُّلُومُ الَّذِي إِنْ كَانَ فِي قَوْمٍ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ
قَارَفَتِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ بَلْ يَمْتَدُّ شَيْئُهُ إِلَى مَنْ سِوَاهَا مِنْهُمْ فَيَشِيئُهُنَّ جَمِيعًا شَيْئًا
يَتْرُكُ لَهُنَّ مِنَ الْأَثْرِ فِي أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ مَا يَقْضِي عَلَى مُسْتَقْبَلِهِنَّ النَّسَوِيِّ
وَهُوَ الْعَارُ الَّذِي يَطْوُلُ عُمُرُهُ طَوْلًا فَقَاتَلَهُ اللَّهُ مِنْ ذَنْبٍ وَقَاتَلَ فَاعِلِيهِ اهـ .

وَقَالَ آخَرُ إِنَّ الزَّانِيَّ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنْ سَمَاءِ الْفَضِيلَةِ إِلَى حَضِيضِ
الرَّذِيلَةِ وَيُصْحِحُ بِمَكَانٍ مَنْ غَضِبَ اللَّهُ وَمَقْتَبِهِ عَظِيمٍ وَيَكُونُ عِنْدَ الْخَلْوِ

مَمْقُوتًا وَفِي دُنْيَاهُ مَهِينُ الْجَانِبِ عَدِيمِ الشَّرَفِ مُنْحَطٌ الْكَرَامَةِ سَاقِطَ الْعَدَالَةِ
تَزْدَرِيهِ الْعَامَّةُ مِنَ الْفَاسِقِينَ وَإِنْ كَانَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ وَيَسِيرٍ فِي رِكَابِهِمْ .

وَتَبَعْدُ عَنْهُ الْخَاصَّةُ مِنْ ذَوِي الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالشَّرَفِ ، مَخَافَةَ أَنْ
يُلَوِّثَهُمْ وَيُعْدِيَهُمْ بِجَرَبِهِ وَلَا تُقْبَلُ رِوَايَتُهُ وَلَا تُسْمَعُ شَهَادَتُهُ وَلَا يُرْغَبُ فِي
مُجَاوَرَتِهِ بَلْ يَبْتَغَدُ عَنْهُ كُلُّ الْبُعْدِ وَيَكُونُ مَتَّهَمًا فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَجَمِيعِ
حَالَاتِهِ وَلَا يُرْغَبُ فِي مُصَادَقَتِهِ وَمُخَالَطَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ .

إِنْ سَارَ قَالَ النَّاسُ أَيْنَ يَذْهَبُ هَذَا الْمُجْرِمُ وَإِنْ قَعَدَ قَالُوا لِمَ قَعَدَ
هَذَا الْفَاسِقُ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَإِنْ صَاحَبْتَهُ أَوْ عَامَلْتَهُ أَخَذُوكَ بِذَنْبِهِ وَرَمَوْكَ
بِمَا رَمَوْهُ بِهِ عَالِيًا وَإِنْ جَاوَرْتَهُ فَأَعْظَمُ النَّاسِ إِخْلَاصًا لَكَ وَمَعْرِفَةً بِكَ شَكٌّ
فِي نَزَاهَتِكَ وَأَبْعَدُ عَنْ زِيَارَتِكَ يَخْشَى أَنْ يُظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ بَيْتَ هَذَا الْفَاسِقِ
وَلَوْ جَاءَ إِلَيْهِ لِأَمْرِ ضَرُورِيٍّ أَكْثَرَ التَّلَفُّتِ عَسَى أَنْ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ وَهُوَ حَوْلَ
بَابِ هَذَا الدَّنَسِ النَّذِيلِ الْمُجْرِمِ .

وَإِنْ مَشَتْ مَعَهُ أَنْثَى مِنْ أَقَارِبِهِ ظَنُّوْهَا أَجْنَبِيَّةً مِنْهُ جَرِيًّا عَلَى مَا اشتهَرَ
بِهِ وَعَلِمَ عَنْهُ وَإِنْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ إِنْسَانٍ شَرِيفٍ لِأَمْرِ ضَرُورِيٍّ إِشْمَازًا مِنْهُ
وَحَرِصَ عَلَى التَّخْلُصِ مِنْهُ بِسُرْعَةٍ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ وَهُوَ عِنْدَ بَابِهِ وَإِنْ مَشَى مَعَ
شَرِيفٍ لِحَاجَةٍ فِي النَّهَارِ وَدَّ الشَّرِيفُ أَنَّهُ كَانَ بِاللَّيْلِ لِثَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ وَهُوَ
يَمْشِي مَعَ هَذَا الدَّنَسِ الْعِرْضِ السَّاقِطِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَّفْتَ فِيهِ مِنَ
الْآيَاتِ مُنْتَفِعِينَ ، وَإِلَى لِدَيْدِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، وَلِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ
وَبِالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا :

رَأَيْتَكَ فِيمَا يُخْطِئُ النَّاسُ تَنْظُرُ
وَرَأْسُكَ مِنْ مَاءِ الْخَطِيئَةِ يَقْطُرُ
تَوَارِي بِجُدْرَانِ الْبُيُوتِ عَنِ الْوَرَى
وَأَنْتَ بَعَيْنِ اللَّهِ لَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ
وَتَخْشَى عُيُونَ النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا بِهَا
وَلَمْ تَخْشَ عَيْنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَنْظُرُ
وَكَمْ مِنْ قَبِيحٍ قَدْ كَفَى اللَّهُ شَرَّهُ
أَلَا إِنَّهُ يَغْفُو الْقَبِيحَ وَيَسْتُرُ
إِلَى كَمْ تَعَامَى عَنِ أُمُورٍ مِنَ الْهُدَى
وَأَنْتَ إِذَا مَرَّ الْهَوَى بِكَ تُبْصِرُ
إِذَا مَا دَعَاكَ الرُّشْدُ أَحْجَمْتَ دُونَهُ
وَأَنْتَ إِلَى مَا قَادَكَ الْغِيَّ تَبْدُرُ
وَلَيْسَ يَقُومُ الشُّكْرُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ
وَلَكِنْ عَلَيْكَ الشُّكْرُ إِنْ كُنْتَ تَشْكُرُ
وَمَا كُلُّ مَا لَمْ تَأْتِ إِلَّا كَمَا مَضَى
مِنَ اللَّهْوِ فِي اللَّذَاتِ إِنْ كُنْتَ تَذْكُرُ
وَمَا هِيَ إِلَّا تَرْحَةٌ بَعْدَ فَرْحَةٍ
كَذَلِكَ شَرِبُ الدَّهْرِ يَصْفُو وَيَكْدُرُ
كَأَنَّ الْفَتَى الْمُعْتَرَّ لَمْ يَدْرِ أَنَّهُ
تَرُوحٌ عَلَيْهِ الْحَادِثَاتُ وَتُبْكِرُ
أَجْدَكَ أَمَا كُنْتَ وَاللَّهُوَ غَالِبٌ
عَلَيْكَ وَأَمَا السَّهُوُ مِنْكَ فَيَكْثُرُ

وَأَمَّا بُنُو الدُّنْيَا فَمِى عَفَلَاتِهِمْ
 وَأَمَّا يَدُ الدُّنْيَا فَتَفْرِى وَتَجْزُرُ
 وَأَمَّا جَمِيعُ الخَلْقِ فِيهَا فَمَيَّتْ
 وَلَكِنَّ آجَالًا تَطُولُ وَتَقْصُرُ
 لَهَوْتُمْ وَكُمْ مِنْ عِبْرَةٍ قَدْ حَضَرْتَهَا
 وَأَنْتَ تَرَى فِي ذَلِكَ أَنَّكَ تَتَجَرُّ
 خَدَعْتَ عَنِ السَّاعَاتِ حَتَّى غُبْتُهَا
 وَغَرَّتْكَ أَيَّامٌ قِصَارٌ وَأَشْهُرُ
 فَيَا بَايِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي
 وَيَا عَامِرَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَعْمُرُ
 وَمَالِكَ إِلَّا الصَّبْرُ وَالْبِرُّ عُدَّةٌ
 وَإِلَّا اِغْتَبَارٌ ثَائِبٌ وَتَفَكُّرُ

وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذُّنُوبِ مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي
 دَارِ الْقَرَارِ ، وَأَمَّا كَانَتِ التَّوْبَةُ كَذَلِكَ لِأَنَّ بِهَا يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لَا
 فَرْقَ بَيْنَ صِغَارِهَا وَالْكِبَارِ وَلِأَنَّ التَّائِبَ إِذَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ بِأَنَّ اجْتَمَعَتْ
 شُرُوطُهَا وَأَنْتَفَتِ الْمَوَانِعُ يُصْبِحُ بِالتَّوْبَةِ أَمِينًا عَلَى دِينِهِ لَا يُخَلُّ بِوَاجِبٍ مِنْ
 وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ فَتُوبُوا عِبَادَ اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا لِتَسْتَبِيرَ قُلُوبُكُمْ وَأَبْدَانُكُمْ
 بَدَلَ ظُلُمَاتٍ كَانَتْ مُخَيَّمَةً عَلَيْهَا تُثْقَلُكُمْ عَنِ طَاعَةِ مَوْلَاكُمْ وَسَتَجِدُونَ بِإِذْنِ
 اللَّهِ انْشِرَاحًا فِي صُدُورِكُمْ بَدَلَ انْقِبَاضِهَا وَضَيْقِهَا فَإِنَّ الذُّنُوبَ تُؤَثِّرُ عَلَى

الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ انْقِبَاصاً يَشْتَدُّ عَلَى الْمُصِرِّ عَلَى الذُّنُوبِ حَتَّى يَضِيقَ بِهِ
فَسِيحُ الْأَرْحَاءِ وَلَكَ أَيُّهَا التَّائِبُ الْعَامِلُ بِالطَّاعَاتِ الْأَمَلُ الْقَوِيَّ بِتَوَالِي
الطَّاعَاتِ لِأَنَّ الْخَيْرَاتِ تُتَّجُّ بِإِذْنِ اللَّهِ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَكَ الْأَمَلُ الْقَوِيَّ بِأَنَّ
تَنْقَادَ لَكَ الْأَرْزَاقُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَنِعَةً فَتُصْبِحُ فِي يُسْرِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ فِي
اعْسَارٍ وَلَكَ الْأَمَلُ فِي أَنْ الْعَدَاوَاتِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ تُصْبِحُ
بِإِذْنِ اللَّهِ حَبّاً يَلْفُتُ الْأَنْظَارَ ذَلِكَ أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِي هِيَ أَسْبَابُ
الشُّرُورِ وَالْعُقُوبَاتِ الْمُؤَلِمَاتِ وَأَنَّ الْمَرْءَ بِالتَّوْبَةِ مِنْهَا يُرْضَى بِدِيْعِ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتِ فَتَأْكُذُ أَيُّهَا الْأَخُ أَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ الْيَنْبُوعُ الْفِيَاضُ لِكُلِّ خَيْرٍ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَا تَشْكُ فِي أَنْ اللَّهُ تَعَالَى يُفِيضُ مِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ مَا
يُفِيضُ عَلَى مَنْ أَخْلَصَ الْعَمَلَ لِجَلَالِهِ فَتُبَّ أَيُّهَا الْأَخُ وَاصْدُقْ فِي التَّوْبَةِ
وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَكَ بِهَا رِضْوَانَهُ وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ حِزْبِ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ ﴿ لَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فَتَعِيشُ وَتَمُوتُ وَتُبْعَثُ فِي رِعَايَةِ رَبِّكَ
وَلُطْفِهِ وَغَيْرِكَ مِمَّنْ لَمْ يَتُوبُوا فِي آهَانِهِ الْبَالِغَةِ يَتَقَلَّبُونَ فَعَلَيْكَ بِالْإِعْتِمَادِ
عَلَى اللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَاللَّجَاءِ إِلَيْهِ دَائِماً مُتَضَرِّعاً مُتَمَلِّقاً خُصُوصاً فِي آخِرِ اللَّيْلِ .

شِعْراً :

إِذَا وَجَدَ الْإِنْسَانَ لِلْخَيْرِ فُرْصَةً وَلمَ يَعْتَمِهَا فَهوَ لَاشْكَ خَاسِرُ
وَهَلْ مِثْلُ تَالِي اللَّيْلِ لِلْعَفْوِ مَوْسِمُ وَلَكِنْ فَأَيْنَ الْعَامِلُ الْمُتَبَادِرُ

شِعْراً :

لَيْسَتْ ثُوبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدَرَقَدُوا
وَبِتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجْدُ
فَقُلْتُ يَا أَمَلِي فِي كُلِّ نَائِيَّةٍ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضَّرِّ أَعْتَمِدُ

أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا
مَالِي إِلَى حَمْلِهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالذُّلِّ مُبْتَهَلًا
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ
فَلَا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبُّ خَائِبَةً
فَبَحْرُ جُودِكَ يُرْوِي، كُلُّ مَنْ يَرِدُ
آخر :

عَطَاءُ ذِي الْعَرْشِ خَيْرٌ مِنْ عَطَائِكُمْ
وَسَيِّئُهُ وَاسِعٌ يُرْجَى وَيُنْتَظَرُ
أَنْتُمْ يُكَدِّرُ مَا تُعْطُونَ مِنْتَّكُمْ
وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَا مَنْ وَلَا كَدْرُ
لَا حُكْمَ إِلَّا لِمَنْ تَمْضِي مَشِيئَتُهُ
وَفِي يَدَيْهِ عَلَى مَا شَاءَهُ الْقَدَرُ
آخر :

شَادَ الْمُلُوكُ قُصُورَهُمْ فَتَحَصَّنُوا
عَنْ كُلِّ طَالِبِ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ
غَالُوا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ لِعِزِّهَا
وَتَتَوَقَّوْا فِي قُبْحِ وَجْهِ الْحَاجِبِ
فَإِذَا تَلَطَّفَ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِمْ
رَاجٍ تَلَقَّوْهُ بِوَعْدِ كَاذِبٍ
فَاقْصِدْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ
يَاذَا الضَّرَاعَةَ طَالِبًا مِنْ طَالِبٍ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَغْدُو مُشْمَرًا فِي طَاعَتِكَ

وَيَرْوُحُ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

(أدلة على تحريم الزنا)

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وَقَالَ
تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا .

وَمِنَ السُّنَّةِ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا يَزْنِي الزَّانِي جِئِنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ »
الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « لَا يَجِلُّ دَمٌ أَمْرِي مُسْلِمٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَّا بَأْحَدِي ثَلَاثِ الثَّيْبِ الزَّانِي وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ ، الْمَفَارِقُ
لِلْجَمَاعَةِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ « لَا يَجِلُّ دَمٌ أَمْرِي مُسْلِمٌ ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا فِي أَحَدِي ثَلَاثِ زَنًا بَعْدَ احْتِصَانٍ فَإِنَّهُ يُرْجَمُ وَرَجُلٌ خَرَجَ
مُحَارِبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ ، أَوْ يُصَلَّبُ ، أَوْ يُنْفَى مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ
يُقْتَلُ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم قال «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيَفْرَجُ عَنْهُ فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ، إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارًا» وفي رواية « إِنَّ اللَّهَ يَدْنُو مِنْ خَلْقِهِ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَسْتَغْفِرُ إِلَّا لِبَغْيٍ بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارٍ » رواه أحمد والطبراني .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ - جِئْنَا نَزَلَتْ آيَةُ الْمَلَاعِنَةِ - « أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللَّهُ جَنَّتَهُ وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ » رواه أبو داود والنسائي وابن جبان في صحيحه .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ « أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ » قُلْتُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ ، ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ « أَنْ تُقْتَلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ » قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ « أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ » رواه البخاري ومسلم ورواه الترمذي والنسائي .

وَعَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ « مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانَا ؟ » قَالُوا حَرَامٌ حَرَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ « لِأَنَّ يَزِيدِي الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ

يَزْنِي بِامْرَأَةٍ جَارِهِ « رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَرَوَاتُهُ ثِقَاتٌ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ
وَالْأَوْسَطِ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنْهُمَا لَوْ لَمْ أَسْمَعُهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَمِعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبِ عَمَلِهِ فَاتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَّاهَا فَلَمَّا أَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا ارْتَعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ قَالَتْ لِأَنَّهُ عَمِلَ مَا عَمِلْتُهُ وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاجَّةُ فَقَالَ تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ فَأَنَا أُحْرَى أَذْهَبِي فَلَكَ مَا أُعْطَيْتِكَ وَاللَّهِ لَا أُعْصِيهِ بَعْدَهَا أَبَدًا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَاصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَرَ لِلْكِفْلِ ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ « رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَأَبْنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِذَا ظَهَرَ الزُّنَا وَالرِّبَا فِي قَوْمٍ ، فَقَدْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابًا » رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلِفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيُخُونُهُ إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ ، حَتَّى يَرْضَى » ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ « فَمَا ظَنُّكُمْ ؟ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى وَأَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ حَدِيثٍ وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنٌ خَمْرُ
 سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرٍ الْغُوطَةِ قِيلَ وَمَا نَهْرُ الْغُوطَةِ قَالَ نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ
 الْمَوِمِسَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِمْ .
 شِعْرًا :

تَبَيَّتْ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْمَسَاوِي فَأَنْتَ بَعْفَلَةٌ وَاللَّهُ بَشَا
 يُدِيمُ عَلَيْكَ إِحْسَانًا وَفَضْلًا وَأَنْتَ تُدِيمُ لَوْمًا أَيْنَ كُنْتَا
 وَبِالْعِصْيَانِ تَحْطُرُ بِاخْتِيَالٍ سَكَرْتَ مِنَ الْعُرُورِ وَمَا صَحَوْنَا
 أَفْقٌ مِنْ غَفْلَةٍ وَأَنْبَ لِرَبِّ تَنَلَّ مِنْهُ السَّمَّاحَ إِذَا أَنْبَتَا
 وَتَظْفَرُ بِالْقَبُولِ وَبِالْأَمَانِي وَفِي الدَّارَيْنِ بِالإِسْعَادِ فُرْتَا
 اللَّهُمَّ أَرْحَمَ غُرْبَتَنَا فِي الْقُبُورِ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فصل

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا يَعْلَمُ أَنَّ الزَّانَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَأَنَّ فِيهِ فَسَادًا لِلزَّانِي
 وَالزَّانِيَةِ أَمَا فَسَادُهُ لِلزَّانِيَةِ فَهُوَ وَاضِحٌ لِأَنَّهَا بِذَلِكَ الْجُرْمِ الْعَظِيمِ - جُرْمُ
 الزَّانَا - تَجِدُ حَلَاوَةً ، فَتُفْسِدُ كُلَّ مَنْ اتَّصَلَ بِهَا ، فَيُصْبِحُونَ فِي تَعَلُّقِهِمْ
 بِالنِّسَاءِ كَالْكَلْبِ الْمَسْعُورِ هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تُفْسِدُ فِرَاشَ
 زَوْجِهَا إِنْ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ وَرُبَّمَا ادْخَلَتْ عَلَيْهِ أَوْلَادًا مِنَ الزَّانَاةِ يُنْفِقُ
 عَلَيْهِمْ طُولَ حَيَاتِهِ وَيَرْتُونَ مِنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَيَتَفَوَّضُونَ حَرَمَ الزَّوْجِ ، وَرُبَّمَا
 تَوَلَّوْا عَقْدَ نِكَاحِ أَهْنٍ ، أَوْ صَارُوا مَحَارِمَ لَهْنٍ فِي حَجِّ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ نَسَأَلُ
 اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَمِنْ جِهَةٍ فَسَادِ الزَّانِي ، فَإِنَّهُ بِالزَّانَا يَنْكَلِبُ ، وَيَتَوَلَّعُ فِيهِ ، وَكُلُّ
 أَنْثَى يَتَعَدَّى عَلَيْهَا يَحْلُو لَهَا هَذَا السَّفَاحُ فَتُفْسِدُ كَالأُولَى كَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ .

تَنَبَّهُوا بَعْدَ أَنْ كَانُوا غَافِلِينَ فَيُفْسِدُونَ مِنَ النِّسَاءِ كَثِيرَاتٍ وَهَكَذَا فَالزَّانِي لِيَصْرُ يَسْرِقُ ثَرَوَةَ النَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَادٍ يَعُولُونَهُمْ ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَعْدَى عَلَيْهَا غَيْرُ مُتَزَوِّجَةٍ ، فَقَدْ أَفْسَدَ حَيَاتَهَا ، بِهَتْكَ عَرَضِهَا ، وَصَرَفِ أَنْظَارِ رَاغِبِي الزَّوْاجِ عَنْهَا ، فَتَعِيشُ بَعْدَ جُرْمِ الزَّانَا عَيْشَةً ذُلِّ وَهَوَانٍ لَا زَوْجَ يُحْصِنُهَا وَلَا عَائِلَ يَعُولُهَا هَذَا مُضَافًا إِلَى سُوءِ السُّمْعَةِ وَإِلَى الْجِنَايَةِ عَلَى شَرَفِهَا وَأَهْلِهَا فَيَقْفُونَ مِنْهُ مَوْقِفَ الْأَنْتِقَامِ غَالِبًا وَرُبَّمَا قَضَوْا عَلَيْهِ أَوْ عَلَى إِبْتِهَامِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَقْضُوا وَبُتَ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الشَّرْعِ فِيمَا جَلَّدُ مِائَةٍ ، وَإِمَّا رَجُمُ يُؤَدِّي بِالنَّفْسَيْنِ ، هَذَا عَاقِبَةُ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ عَصَمَنَا اللَّهُ وَأَيَّاكُمْ مِنْهَا وَمِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُفَكِّرَ وَيَعْرِفَ عَوَاقِبَ الْجِنَايَاتِ عَلَى الْأَعْرَاضِ لِيَحْذَرَ وَيَحْذَرَ عَنْهَا أَجْنَبِيَّةً أَوْ قَرِيبَةً وَلَا أُدْرِي كَيْفَ يُقَدِّمُ الزَّانِي عَلَى الزَّانَا وَهُوَ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ خَافِيَةٌ وَأَنَّ جَزَاءَهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ تَوْبَةً نَصُوحًا الْهَاطِيَّةَ نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ مِنْهَا وَلَا أُدْرِي كَيْفَ يَزْنِي وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّهُ سَيُجَازَى عَلَى فِعْلِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، وَمَنْ كَانَ الزَّانَا مِنْ أَعْمَالِهِ فَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى عَلَى مَحَارِمِهِ وَلَا يُرْغَبُ فِي مُصَاهَرَتِهِ وَلَا مُجَاوَرَتِهِ وَلَا مُشَارَكَتِهِ وَلَا مُعَامَلَتِهِ وَلَا الْأَجْتِمَاعَ مَعَهُ فِي مَحَلِّ عَمَلِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ، وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ إِذَا ظَهَرَ الزَّانَا وَالرَّبَّاءُ فِي قَرْيَةٍ ، فَقَدْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ ﴾ رَوَاهُ الْحَاكِمُ اللَّهُمَّ احْمِنَا مِنَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مُحَمَّدُ اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورِ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اللَّهُمَّ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا

برحمتك الواسعة انك انت الغفور الرحيم وصلى الله على محمد وآله
وصحبه أجمعين .

فصل

وَمَنْ مَضَارَّ الزَّانَا وَآثَارِهِ السَّيِّئَةَ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ ضَيَاعَ النَّسْلِ
وَالْجِنَايَةِ عَلَيْهِ فَالزَّانِي وَالزَّانِيَةُ لَوْ أَدْرَكَمَا مَا قَدْ يَتَرْتَّبُ عَلَى زُنَيْتِهِمَا الْبُيُوتُ
تَنْقِضِي عَلَى الْفُورِ مِنَ الْآثَامِ وَالشُّرُورِ لِهَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَفْنِيَا مِنَ الْوُجُودِ
وَلَا يَرْتَكِبَا تِلْكَ الْجَرِيمَةَ الشَّنْعَاءَ فَقَدْ يَتَرْتَّبُ عَلَى عَمَلِهِمَا وَجُودٌ وَوَلَدٌ قَدْ
تَحْنَقُهُ تِلْكَ الْفَاسِقَةَ فِي مَهْدِهِ وَقَدْ تُسْقِطُهُ جَنِينًا .

وَقَدْ تَلَدَهُ انْسَانًا كَامِلًا ثُمَّ تَطَرَّحَهُ فِي شَارِعٍ أَوْ مَسْجِدٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ
مُعَرَّضًا لِمَحَنِ الْحَيَاةِ وَمَصَائِبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ لَا يَعْرِفُ لَهُ أَمَّا تَحْنُو عَلَيْهِ ،
وَلَا أَبَا يَرْحَمُ طُفُولَتَهُ ، وَيَحْفَلُ بِتَرْبِيَتِهِ ، وَقَدْ يُوْوَلُ إِلَى حَضَانَةِ إِنْسَانٍ غَيْرِ
مُسْتَقِيمٍ فَيُرَبِّيهِ عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ عَلَى أَخْلَاقٍ فَاسِدَةٍ فَيَنْشَأُ عَضْوًا
ضَارًّا بِالْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ وَذَلِكَ بَلَاءٌ عَظِيمٌ وَضَرَرٌ مُبِينٌ .

فَإِنْ كَانَتْ الْمَرْبِيَّةُ بِهَا ذَاتَ زَوْجٍ كَانَتْ حَيَاتُهَا أَشَدَّ وَجِنَايَتُهَا أَعْظَمَ
فَإِنَّهَا تُدْخَلُ عُنْصُرًا غَرِيبًا بَيْنَ أَبْنَائِهَا تَعِشُ بِهِ زَوْجَهَا فَيُرَبِّي غَيْرَ بَنِيهِ يَكْدُ
يَوْمَهُ وَيَسْهَرُ لَيْلَهُ لِيُنْفِقَ عَلَى مَنْ ظَنَّهُ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ فِي فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ لَهُ
أَبَا وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْوَلَدُ الَّذِي أُدْخِلَ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ نَكْبَةً عَلَى الْأُسْرَةِ
بِتَمَامِهَا فَإِنَّهُ قَدْ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ الْحَقِيقِيِّ وَيَتَّبِعُهُ فِي أَخْلَاقِهِ وَفَسَادِهِ وَاجْرَامِهِ
فَيُفْسِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْأُسْرَةَ بِأَكْمَلِهَا .

وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ ، فَإِنَّ هَذَا الْفَاسِقَ الْمُتَعَدِّيَ ، تَعَدَّى عَلَى
شَرَفِهَا ، وَعَائِلَتِهَا وَأَقَارِبِهَا ، فَأَفْسَدَ حَيَاتِهِمْ ، وَأَهَانَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَاءَ

سَمِعَتْهَا وَسَمِعَتْهُمْ وَعَرَضَهَا لِلْقَتْلِ أَوْ لِلْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ أَوْ عَرَضَ عِرْضَهَا
لِلسُّقُوطِ فِي بُوَّةٍ لَا يُنْقِذُهَا مِنْهَا إِلَّا الْمَوْتُ فَإِنْ قُتِلَتْ فَهُوَ السَّبَبُ الْأَوَّلُ
فِي قَتْلِهَا ، وَإِنْ أَسْقَطَتْ فَهُوَ الْجَانِي ، وَالْإِثْمُ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ ، قَدْ نَالَ مِنْهُ
ذَلِكَ الْغَادِرُ الْمُعْتَدِي الْحَظَّ الْأَوْفَرَ .

وَلَوْ قِيلَ لِهَذَا الْمُجْرِمِ الْفَاسِقِ الزَّانِي هَلْ تَرْضَى عَمَلَكَ أَنْ يُعْمَلَ
بِنَاتِكَ وَأَخَوَاتِكَ وَزَوْجَاتِكَ لَبَطَشَ بِالْقَائِلِ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا يَقْدِرُ عَلَى
الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى
يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فَمَا أَبْعَدَ هَذَا الْمُعْتَدِي عَنِ
الْعَمَلِ بِهَذَا الْحَدِيثِ .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ أَنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي الزَّانَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ
مَهْ ؟ فَقَالَ « أُذْنُهُ » فَذَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، فَقَالَ « اجْلِسْ » فَجَلَسَ ، فَقَالَ « أَتُحِبُّهُ
لَأُمَّكَ ؟ » قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ
لَأُمَّهَاتِهِمْ » قَالَ « أَتُحِبُّهُ لِإِبْنَتِكَ ؟ » قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي
اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ » قَالَ « أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ »
قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ » قَالَ
« أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ » قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ « وَلَا النَّاسُ
يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ » قَالَ « أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ » قَالَ : لَا وَاللَّهِ قَالَ « وَلَا النَّاسُ
يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ » قَالَ . فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ « اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ،
وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ » قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ،
وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَا مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشَّرْكِ
أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ فِي رَجْمٍ لَا يَحِلُّ لَهُ » .

وَمِنْ مَضَارِ الزَّانِ أَنَّ هَذَا الْوَلَدَ الْمُدْخَلَ عَلَى الْبَرِيءِ مِنْهُ يَرِثُ مِنْ مَالِهِ وَيَكُونُ مُحَرَّمًا لِبَنَاتِهِ وَزَوْجَاتِهِ وَلَا يَحْتَجِبْنَ عَنْهُ .

وَمِنْ مَضَارِهِ أَنَّهُ إِضَاعَةٌ لِلْمَالِ الَّذِي نُهِيَ عَنِ إِضَاعَتِهِ .
وَمِنْ مَضَارِهِ إِخْتِلَاطُ الْأَنْسَابِ وَإِفْسَادُ الْأَخْلَاقِ وَأَنَّهُ يُفْضِي إِلَى فَنَاءِ الْأُمَّةِ وَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الشَّقَاقِ وَالْفَسَادِ وَأَنَّهُ يُوقِعُ فِي الْأَمْرَاضِ وَيَنْشُرُهَا وَمِنْ آثَارِهِ السَّيِّئَةِ عَلَى الْبَدَنِ السَّيْلَانُ وَالسَّلُّ الرَّئِيْبِيُّ ، وَالزَّهْرِيُّ وَالتَّشْوِيشُ وَالْقُرُوحُ الْأَكَالَةُ .

وَمِنْ آثَارِ السَّيِّئَةِ أَنَّهُ يَضْرِبُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ إِلَى مَرَضِهِ وَانْحِرَافِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُعْمِي الْقَلْبَ وَيَطْمِسُ نُورَهُ وَأَنَّهُ يُحَقِّرُ النَّفْسَ وَيَقْمَعُهَا وَأَنَّهُ يُسْقِطُ كَرَامَةَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ يُؤَثِّرُ فِي نَقْصَانِ الْعَقْلِ وَأَنَّهُ يَمْحَقُ بَرَكَاتِ الْعُمُرِ وَأَنَّهُ يُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ اللَّهِ ، وَمِثْلَهُ سَائِرُ الْمَعَاصِي ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْمُعَافَاةَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَالسَّرُّ فِي كَثْرَةِ الزَّانِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ مَوْتُ غَيْرَةٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى نِسَائِهِمْ ، لَا يُبَالُونَ بِهِنَّ ، وَلَا تَتَحَرَّكُ مِنْهُنَّ شَعْرَةٌ غَيْرَةٌ وَحَمِيَّةٌ ، يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ يَرَى امْرَأَتَهُ بِعَيْنِهِ تَتَزَيَّنُ وَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ ، إِلَى حَيْثُ لَا يَعْلَمُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَتَرْكَبُ مَعَ أَيِّ سَائِقٍ شَاءَتْ ، وَتَدْخُلُ عَلَى أَيِّ خِيَاطٍ أَرَادَتْ وَتَذْهَبُ إِلَى أَيِّ دُكْتُورٍ بِاسْمِ الْكُشْفِ وَالْعِلَاجِ وَزَوْجِهَا مَشْغُولٌ بِدُنْيَاهُ لَا يَهْتَمُّ لَهَا تَرَى فِي خُرُوجِهَا رَجَالًا أَجْمَلَ مِنْهُ وَأَقْوَى مِنْهُ وَأَنْظَفَ مِنْهُ .

وَمِنْهُمْ الْأَفْصَحُ الْأَحْلَى كَلَامًا مِنْهُ وَهَذَا يُحَادِثُهَا وَذَلِكَ يُسَامِرُهَا وَقُلْ -

وَلَا تُبَالِ - : إِنْ بَعْضُهُمْ يُغَارِزُهَا ، وَكَثِيرًا مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهَا الْأَيْدِي الْبَخَائِنَةِ فَهَلْ هِيَ حَجْرٌ كَلًّا إِنَّهَا بَشَرٌ وَنَاقِصَةٌ عَقْلٌ وَدِينٌ فَقَلٌّ مَنْ تَقْوَى عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ شَهَوَاتِهَا فَلَا تَقِفُ مَخَافَةَ اللَّهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هَيْجَانِهَا الْحَيَوَانِيِّ .

بَلِ الرَّجُلُ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْهَا عَقْلًا وَدِينًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ نَفْسِهِ إِذَا هَاجَتْ ، وَطَلَبَتْ هَذَا الشَّيْءَ وَأَصْبَحَتْ تَشْعُرُ بِلَذَّةٍ لَمْ تَشْعُرْ بِهَا فِي حَيَاتِهَا . أَمَّا الْبِكْرُ فَوَاضِحٌ وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَإِنَّ لَذَّةَ الْحَلَالِ عِنْدَهَا نَاقِصَةٌ لَا تُسَاوِي لَذَّةَ الْحَرَامِ وَلَا تُدَانِيهَا فَإِنَّ الْمَمْنُوعَ أَحَبُّ وَالَّذِي كَمَا قِيلَ :

وَزَادَنِي كَلْفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مَنَعْتَ
أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا

لَا سِيَّمَا وَابْلِيسُ يُسَاعِدُ عَلَيْهِ وَالنَّفْسُ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ وَالْهَوَى . فَإِذَا ذَاقَتْ هَذِهِ اللَّذَّةَ الْجَدِيدَةَ اشْتَدَّ حِرْصُهَا عَلَيْهَا كُلِّ وَقْتٍ وَجِيئِيذٍ تَكُونُ هِيَ الطَّالِبَةُ لَا الْمَطْلُوبَةُ فَتَصْبِحُ تَفْتِكُ بِالرِّجَالِ فَتُكَا وَكُلُّ رَجُلٍ يَزْنِي يَنْكَلِبُ فَيَفْتِكُ بِالنِّسَاءِ .

وَكُلُّ امْرَأَةٍ يَفْتِكُ بِهَا الرَّجُلُ تَنْكَلِبُ فَتَفْتِكُ بِالرِّجَالِ وَيَكُونُ فِي هَذَا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ مَا لَا يَعْلَمُ مَدَاهُ إِلَّا اللَّهُ وَفِي هَذِهِ الْجُيُوشِ الْفَاسِدَةِ الْجَرْبُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَوْبَاءِ الْكَثِيرَةِ مَا لَا يَعْلَمُ لَهُ قَدْرٌ وَلَا حَصْرٌ وَبِاخْتِلَاطِهِمْ وَالْحَالُ هَذِهِ تَسْرِي أَمْرَاضَهُمْ إِلَى الْأَصِحَّاءِ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِصِمَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا وَأَنْ يَقْمَعَ أَهْلَهَا وَالرَّاضِينَ بِهَا وَالْقَادِرِينَ عَلَى إِزَالَتِهَا وَلَمْ يُزِيلُوهَا .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَيَمْلَأْ كَيْفَكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلْهُدَايَةِ وَجَنَّبْنَا أَسْبَابَ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ اللَّهُمَّ
 ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَلَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
 رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الزَّانَا أَعَادَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ
 مِنْهُ تَخْتَلِفُ دَرَجَاتُهُ فِي غِلْظِهِ فَلَيْسَ الزَّانَا فِي امْرَأَةِ الْكَافِرِ الْمُحَارِبِ مِثْلُهُ
 فِي امْرَأَةِ الْمَعَاهِدِ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي امْرَأَةِ الْمَعَاهِدِ ، مِثْلُهُ فِي امْرَأَةِ الْمُسْلِمِ
 وَلَيْسَ هُوَ فِي امْرَأَةِ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَيْسَ لَكَ بِجَارٍ مِثْلُهُ فِي امْرَأَةِ الْجَارِ
 وَلَيْسَ هُوَ فِي امْرَأَةِ الْجَارِ مِثْلُهُ فِي امْرَأَةِ الْجَارِ الْقَرِيبِ مِنْكَ وَامْرَأَةِ الْأَقْرَبِ
 أَشَدُّ مِنْ امْرَأَةِ الْقَرِيبِ وَامْرَأَةُ الْمَجَاهِدِ أَشَدُّ مِنْ امْرَأَةِ غَيْرِهِ وَغَيْرُ ذَاتِ
 الزَّوْجِ لَيْسَ الزَّانَا بِهَا كَالزَّانَا بِذَاتِ الزَّوْجِ وَهَكَذَا تَتَفَاوَتْ دَرَجَاتُهُ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الزَّانَا أَنْ يَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ
 جَارِهِ فَإِنَّ مَفْسَدَةَ الزَّانَا تَتَضَاعَفُ بِتَضَاعُفِ مَا يَنْتَهِكُهُ مِنَ الْحُرْمَةِ ، فَالزَّانَا
 بِالْمَرْأَةِ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ ، أَعْظَمُ إِثْمًا وَعُقُوبَةً مِنَ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا إِذْ فِيهِ
 انْتِهَاكُ حُرْمَةِ الزَّوْجِ وَإِفْسَادُ فِرَاشِهِ وَتَعْلِيْقُ نَسَبِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
 أَنْوَاعِ أَذَاهُ فَهُوَ أَعْظَمُ إِثْمًا وَجُرْمًا مِنَ الزَّانَا بِغَيْرِ ذَاتِ الْبَعْلِ ، فَإِنْ كَانَ
 زَوْجُهَا جَارًا لَهُ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ سُوءُ الْجَوَارِ .

وَقَدْ ثَبَّتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ « وَلَا بَائِقَةَ أَعْظَمُ مِنَ الزَّانَا بِأَمْرَاتِهِ فَالزَّانَا بِعِائَةِ امْرَأَةٍ لَا زَوْجَ لَهَا أَيْسَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الزَّانَا بِامْرَأَةِ الْجَارِ ، فَإِنْ كَانَ الْجَارُ أَخَاهُ ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ أَقَارِبِهِ ، انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ قَطِيعَةَ الرَّجْمِ فَيَتَضَاعَفُ الْأَثْمُ فَإِنْ كَانَ الْجَارُ غَائِبًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ كَالصَّلَاةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ تَضَاعَفَ الْأَثْمُ .

حَتَّى إِنَّ الزَّانِيَّ بِامْرَأَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوقَفُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُقَالُ خُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَمَا ظَنُّكُمْ ؟ » أَيُّ مَا ظَنُّكُمْ أَنْ يَتْرَكَ لَهُ مِنْ حَسَنَاتٍ قَدْ حُكِّمَ فِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا شَاءَ عَلَى شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ حَيْثُ لَا يَتْرَكَ الْأَبُ لِابْنِهِ وَلَا الصَّدِيقُ لِصَدِيقِهِ حَقًّا يَجِبُ عَلَيْهِ .

فَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ رَحِمًا مِنْهُ انْصَافَ إِلَى ذَلِكَ قَطِيعَةَ رَحِمِهَا ، فَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ الزَّانِي مُحْصَنًا ، كَانَ الْأَثْمُ أَعْظَمَ فَإِنْ كَانَ شَيْخًا كَانَ أَعْظَمَ إِثْمًا ، وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ ﴿ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فَإِنْ اقْتَرَنَ بِذَلِكَ وَقُوعُهُ فِي شَهْرِ حَرَامٍ ، أَوْ بَلَدٍ حَرَامٍ ، أَوْ وَقْتٍ مُعَظَّمٍ عِنْدَ اللَّهِ ، كَأَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ وَأَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ تَضَاعَفَ الْأَثْمُ وَالْعُقُوبَةُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمَفْسَدَةُ الزَّانَا مُنَاقِضَةٌ لِصَلَاحِ الْعَالَمِ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا زَنَتْ أَدْخَلَتْ الْعَارَ عَلَى أَهْلِهَا وَرُؤُوسِهَا وَأَقَارِبِهَا وَنَكَسَتْ رُؤُوسَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ ، وَإِنْ حَمَلَتْ مِنَ الزَّانَا ، فَإِنْ قَتَلَتْ وَلَدَهَا جَمَعَتْ بَيْنَ الزَّانَا وَالْقَتْلِ وَإِنْ أَبْقَتْهُ حَمَلَتْهُ عَلَى الزَّوْجِ فَأَدْخَلَتْ عَلَى أَهْلِهَا وَأَهْلِهِ

أَجْنِيَاءَ لَيْسَ مِنْهُمْ فَوَرِثَهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ وَرَأَاهُمْ وَخَلَا بِهِمْ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِمْ
وَلَيْسَ مِنْهُمْ وَأَمَّا زَنَا الرَّجُلَ فَإِنَّهُ يُوجَدُ اخْتِلَاطُ الْإِنْسَابِ أَيْضاً وَأَفْسَادُ الْمَرْأَةِ
الْمُصُونَةِ وَتَعْرِيفُهَا لِلتَّلْفِ وَالْفَسَادِ فِيهِ هَذِهِ الْكَبِيرَةُ خَرَابُ الدُّنْيَا
وَالدِّينِ .

وَمِنْ خَاصِّيَّتِهِ أَنَّهُ يُوجِبُ الْفَقْرَ وَيَقْصُرُ الْعُمَرَ وَيَكْسُو صَاحِبَهُ سَوَادَ
الْوَجْهِ وَثَوْبُ الْمَقْتِ بَيْنَ النَّاسِ .

وَمِنْ خَاصِّيَّتِهِ أَيْضاً أَنَّهُ يُشْتِتُ الْقَلْبَ ، وَيُمْرِضُهُ ، وَيَجْلِبُ الْهَمَّ
وَالْحَزْنَ وَالْخَوْفَ وَيَبَاعِدُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمَلِكِ وَيُقَرِّبُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلَيْسَ بَعْدَ
مَفْسَدَةِ الْقَتْلِ أَعْظَمَ مِنْ مَفْسَدَتِهِ وَلِهَذَا شُرِعَ فِيهِ الْقَتْلُ عَلَى أَشْنَعِ الْوُجُوهِ
وَأَفْحَشِهَا وَأَصْعَبِهَا وَلَوْ بَلَغَ الْعَبْدُ أَنَّ امْرَأَتَهُ أَوْ حُرْمَتَهُ قُتِلَتْ كَانَ أَسْهَلَ عَلَيْهِ
مِنْ أَنْ يَبْلُغَهُ أَنَّهَا زَنْتٌ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ خُطْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ
الْكُسُوفِ أَنَّهُ قَالَ « يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ ، أَنْ
يَزْنِي عِبْدَهُ أَوْ تَزْنِي أُمَّتُهُ ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ،
لَصَحِحْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ » .

وَفِي ذِكْرِ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ بِخُصُوصِهَا عَقِبَ صَلَاةِ الْكُسُوفِ سِرٌّ بَدِيعٌ
لِمَنْ تَأَمَّلَهُ فَظُهُورُ الزَّانَا مِنْ أَمَارَاتِ خَرَابِ الْعَالَمِ وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ
كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِأَحَدِ ثَنَكُمُ
حَدِيثاً لَا يُحَدِّثُكُمْوهُ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبُ الْخَمْرُ
وَيَظْهَرَ الزَّانَا وَيَقِلُّ الرَّجَالُ وَتَكْثُرُ النِّسَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيَمُ
الْوَاحِدُ وَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ أَنَّهُ عِنْدَ ظُهُورِ الزَّانَا يَغْضَبُ

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَيَسْتَدُّ غَضَبُهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤَثِّرَ غَضَبُهُ فِي الْأَرْضِ
عُقُوبَةً .

وَحَصَّ سُبْحَانَهُ حَدَّ الزَّانَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحُدُودِ بِثَلَاثِ
خَصَائِصٍ ، أَحَدُهَا الْقَتْلُ فِيهِ بِأَشْنَعِ الْقَتْلَاتِ وَحَيْثُ خَفَفَهُ فَقَدْ جَمَعَ فِيهِ
بَيْنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْبَدَنِ بِالْجَلْدِ وَعَلَى الْقَلْبِ بِتَغْرِيبِهِ عَنْ وَطَنِ سَنَةً ،
الثَّانِي أَنَّهُ نَهَى عِبَادَهُ أَنْ تَأْخُذَهُمُ بِالزَّانَاةِ رَأْفَةً فِي دِينِهِ بِحَيْثُ تَمْنَعُهُمْ مِنْ
إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ .

الثَّلَاثُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَ أَنْ يَكُونَ حَدُّهُمَا بِمَشْهَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا
يَكُونُ فِي خَلْوَةٍ حَيْثُ لَا يَرَاهُمَا أَحَدٌ وَذَلِكَ أَبْلَغُ فِي مَصْلَحَةِ الْحَدِّ وَحِكْمَةِ
الزُّجْرِ .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ سَبَبًا إِلَى الْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ
خُرُوجُ النِّسَاءِ إِلَى الْأَسْوَاقِ مُتَبَرِّجَاتٍ لِسَانَ حَالِهِنَّ يَدْعُو إِلَيْهِنَّ الْفَسَقَةَ
فَخُرُوجُهُنَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ إِلَى الْأَسْوَاقِ خَطَرٌ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْأَخْطَارِ فَقَلَّ
أَنْ تَسْلَمَ الْمَرْأَةُ مِنَ التَّعَرُّضِ لَهَا إِذَا خَرَجَتْ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا وَقَدْ يَكُونُ مَعَهَا
أَبُوهَا أَوْ أُخُوها وَلَا تَسْلَمُ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ دُخُولِ الْأَجَانِبِ عَلَى الْمَرْأَةِ فَإِنَّ الْأَجْنَبِيَّ إِذَا وَقَعَتْ
عَيْنُهُ عَلَى الْمَرْأَةِ فَأَعْجَبَتْهُ أَوْ أَعْجَبَهَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ الْأُمُورِ الَّتِي تُخْشَى
عَوَاقِبُهَا وَأَخْطَرُ الْأَجَانِبِ عَلَى الْمَرْأَةِ أَقَارِبُ زَوْجِهَا وَأَقَارِبُ أَبَوَيْهَا فَإِنَّهُمْ
يَتَرَدَّدُونَ غَالِبًا وَرُبَّمَا كَانَ يَجْمَعُهُمْ بَيْتٌ وَاحِدٌ وَتَارَةً تَكُونُ وَحْدَهَا فِي الْبَيْتِ
عِنْدَ دُخُولِ أَحَدِهِمْ .

وَفِي ظِلِّ ذَلِكَ التَّرَدُّدِ وَالتَّزَاوُرِ وَالاِجْتِمَاعِ يَكُونُ مَا يَكُونُ مَعَ الدَّوَامِ

وَالْأَسْتِمْرَارِ . وَمِنَ الْأَسْبَابِ وَجُودُ الْخَدَامِينَ وَالْخَدَامَاتِ وَالْمُرَبِّيَاتِ وَالسَّوَابِقِينَ
وَالطَّبَّاحِينَ وَالْخِيَاطِينَ وَالْخِيَاطَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَمِنَ الْأَسْبَابِ تَأْخِيرُ مَنْ بَلَغَ مِنَ الشَّابَّاتِ وَالشَّبَّانِ فَإِنَّهُ بِمَجْرَدِ بُلُوغِهِ
تَهَيَّجُ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ هَيَّجَانِ النَّيْرَانِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِجَانِبِهِ حَلَالٌ يُطْفِئُ ذَلِكَ
الْهَيَّجَانَ رَبَّمَا أَطْفَأَهُ بِمَا يُعْقِبُ لَهُ الْعَارَ فِي الدُّنْيَا وَيُعْقِبُهُ فِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ
يُتَبَّ النَّارَ .

وَمِنَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ إِعْوَاجُ الْأَزْوَاجِ وَخِيَانَتُهُمْ بِالْإِتِّصَالِ بِغَيْرِهِمْ
عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّ زَوْجَهَا أَصْبَحَ لِغَيْرِهَا
أَصْبَحَتْ لِغَيْرِهِ مُقَلِّدَةً لَهُ فِي ذَلِكَ وَمُتَّبِعَةً لِطَرِيقَتِهِ فَسَقَطَتْ فَبَاعَتْ عِرْضَهَا
تَسْفُلًا مِنْهَا وَانْتِقَامًا مِنْ زَوْجِهَا الَّذِي فَتَحَ أَمَامَهَا بَابَ الْأَثْمِ وَسَارَ أَمَامَهَا
فِي مَهَاوِي الْخَطِيئَةِ وَالْمَرْأَةُ غَالِبًا عَلَى دِينِ زَوْجِهَا ، أَفَلَا يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ
هُوَ الْفَاسِقُ الْأَيْمُ لِأَنَّهُ الَّذِي سَنَّ لَهَا هَذِهِ السُّنَّةَ السَّيِّئَةَ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً
فَعَلِيهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَبَّمَا كَانَ مِثْلًا سَيِّئًا
يُقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ وَرَبَّمَا قَلَّدَتْهُ بَنَاتُهُ وَأَوْلَادُهُ وَأَخْوَاتُهُ وَقَدِيمًا قِيلَ فِي
الزَّوْجَةِ .

لَا تَطَّلِعْ مِنْكَ عَلَى رَبِّبَةٍ

آخِرُ : فَيَتَّبِعُ الْمَقْرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ

وَلَا تَجْلِسْ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ خَلَائِقَ الْفُسَّاقِ تُعْدِي

وَرَوَى الْقَاسِمُ بْنُ بَشِيرٍ فِي أَمَالِيهِ وَأَبْنُ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا « عَفُّوا تَعَفُّ نِسَاؤُكُمْ » وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ
عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ

أَحْيِهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا « قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا هَاتِكَا حَرَمَ الرَّجَالِ وَتَابِعَا

طُرُقَ الْفَسَادِ فَأَنْتَ غَيْرُ مُكْرَمٍ

مَنْ يَزْنِي فِي قَوْمٍ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ

فِي أَهْلِهِ يُزْنِي بِرُبْعِ الدِّرْهَمِ

إِنَّ الزَّانَا دَيْنٌ إِذَا اسْتَقْرَضْتَهُ

كَانَ الْوَفَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ

وَإِنَّهُ لَيَنْدُرُ جِدًّا أَنْ تَرَى فَاجِرًا مِنْ بَيْتٍ عَفِيفٍ أَوْ عَفِيفًا مِنْ بَيْتٍ

فَاجِرٍ وَإِنْ وُجِدَ ذَلِكَ عَلَى نُذْرَتِهِ فَلَا بُدَّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَأْثِيرِ بَيْتِهِ

أُخْرَى غَيْرِ بَيْتِهِ الْمَنْزِلِ الَّتِي هِيَ الْمَزْرَعَةُ الْأُولَى لِبُذُورِ الْأَخْلَاقِ .

شعرا :

أَرَى صَاحِبَ النَّسْوَانِ يَحْسَبُ أَنَّهَا سَوَاءٌ وَبُونَ بَيْنَهُنَّ بَعِيدٌ

فَمِنْهُنَّ جَنَّاتٌ يَفِيءُ ضِلَالُهَا وَمِنْهُنَّ نِيرَاةٌ لَهَنَّ وَقَوْدٌ

آخر :

بَعْضُ النِّسَاءِ وَإِنْ عُرِفْنَ بِعِفْمَةٍ جِيفٌ عَلَيَّهِنَّ النَّسُورُ الْحُومُ

الْيَوْمَ عِنْدَكَ جَيْدُهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لِعَيْرِكَ عَطْفُهَا وَالْمُعْصَمُ

كَالْحَايِ تَنْزِلُهُ وَتُصْبِحُ رَاحِلًا عَنْهُ وَيَنْزِلُ فِيهِ مَنْ لَا يَعْلَمُ

وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْعِفَّةِ وَالْجِرْصِ عَلَى التَّحَلِّيِ بِفَضِيلَتِهَا وَالْإِتِّعَادِ عَنْ

مَوَاقِعِ الرَّيْبِ هُمْ الْعُلَمَاءُ وَالْعُظَمَاءُ لِأَنَّهُمْ قُدُوةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ .

أَقْوَالُهُمْ مَأْثُورَةٌ ، وَأَفْعَالُهُمْ مَنْظُورَةٌ ، وَهَفَوَاتُهُمْ عَظَائِمٌ ، وَزَلَّاتُهُمْ

مِنْ أَكْبَرِ الْجَرَائِمِ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا أَقْدَارَهُ أَنْفُسِهِمْ وَيَقْدِرُوا لَهَا مَوْضِعَهَا مِنْ

الْكَرَامَةِ .

أَدْرِكُوا الْعِلْمَ وَصُونُوا أَهْلَهُ عَنِ ظُلُومِ حَادٍ عَنِ تَبْجِيلِهِ
إِنَّمَا يَعْرِفُ قَدْرَ الْعِلْمِ مَنْ سَهَرَتْ عَيْنَاهُ فِي تَحْصِيلِهِ
آخِرُ: يَا خَائِفَ الْمَوْتِ لَوْ أَمْسَيْتَ خَائِفَهُ

كَأَنْتَ دُمُوعَكَ طُولَ الدَّهْرِ تَنْبِجِسُ
أَمَّا يَهُوْلُكَ يَوْمٌ لَا دِفَاعَ لَهُ

إِذْ أَنْتَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ مُنْغِمِسُ
أَمَّا تَهُوْلُكَ كَأَنَّ أَنْتَ شَارِبُهَا

وَالْعَقْلُ مِنْكَ لِكُوبِ الْمَوْتِ مُلْتَبِسُ
لِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْأَقْوَامُ كُلَّهُمْ

وَلِلْبَلَى كُلِّ مَا بَنَوْا وَمَا غَرَسُوا
إِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا

فَالْمَوْتُ فِيهَا لِخَلْقِ اللَّهِ مُفْتَرِسُ
إِنَّ الْخَلَائِقَ فِي الدُّنْيَا لَوِ اجْتَهَدُوا

أَنْ يَحْبَسُوا عَنْكَ هَذَا الْمَوْتَ مَا حَبَسُوا
إِنَّ الْمَيِّتَةَ حَوْضٌ أَنْتَ تَكْرَهُهُ

وَأَنْتَ عَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ تَنْغَمِسُ
مَالِي رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا قَدْ افْتَنُّوا

كَأَنَّ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُمْ عُرْسُ
إِذَا وَصَفَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ ضَحِكُوا

وَإِنْ وَصَفَتْ لَهُمْ أَخْرَاهُمْ عَبَسُوا
مَالِي رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا وَإِخْوَتَهَا

كَأَنَّهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ مَا دَرَسُوا
اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ وَخَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ

مِنَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

اللَّهُمَّ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ وَجَنَّبْنَا أَسْبَابَ سَخَطِكَ وَمَعَاصِيكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في إثم فاحشة اللواط

إِعْلَمْ وَوَفَّقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لَمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكَ مَا يَكْرَهُهُ وَلَا
يَرْضَاهُ أَنَّ اللُّوَاطَ رَذِيلَةٌ مِنْ أَسْوَأِ الرَّذَائِلِ وَخَصَلَةٌ مِنْ شَرِّ الْخِصَالِ الَّتِي
لَا تَلِيْقُ بِالْإِنْسَانِ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَ الْأُنْثَى مَحَلًّا
لِقَضَاءِ تِلْكَ الشَّهْوَةِ وَمَكَانًا لِذَلِكَ الْعَمَلِ الْخَاصِّ فَهُوَ مَسْوُوقٌ بِفِطْرَتِهِ إِلَى
ذَلِكَ الْمَعْنَى .

وَاللُّوَاطُ - أَعَادَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْهُ - خُرُوجٌ عَنِ ذَلِكَ ، وَاعْتِدَاءٌ صَرِيحٌ
عَلَى الطَّبِيعَةِ الَّتِي رَكَّبَهَا اللَّهُ وَذَلِكَ شَرٌّ وَبِئْسَ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَفِيهِ عَارُ الزَّانِ
وَإِثْمُهُ وَعَقَابُهُ بَلْ هُوَ أَشَدُّ عَارًا وَأَعْظَمُ جُرْمًا وَنَحْنُ بِالْبِدَاهَةِ نُنْذِرُكَ أَنَّ عَارَ
امْرَأَةٍ يُزْنَى بِهَا لَيْسَ كَعَارِ رَجُلٍ يُلَاطِ بِهٍ كَمَا أَنَّ احْتِقَارَنَا وَبُغْضَنَا إِيَّاهَا
مَهْمَا كَانَ شَدِيدًا أَخْفُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ نُفْرَتِنَا مِنَ اللُّوَاطِيِّ وَمَقْتِنَا لَهُ .

وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ الزَّانَا وَإِنْ خَالَفَ مُقْتَضَى الشَّرِيعَةِ لَمْ يُخَالَفِ
مُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الَّتِي رَكَّبَهَا اللَّهُ فِي الْإِنْسَانِ بِخِلَافِ اللُّوَاطِ فَقَدْ خَالَفَ
مُقْتَضَى الشَّرِيعَةِ وَالطَّبِيعَةِ مَعًا . وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى تَحْرِيمِ
اللُّوَاطِ وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَعَابَ مَنْ فَعَلَهُ وَذَمَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ، أَتُنكِّمُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ،

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٠﴾ وَفِي قِصَّةِ قَوْمِ لُوطٍ يَبْدُو انْجِرَافَ الْفِطْرَةِ وَاصِحاً حَتَّىٰ أَنْ لُوطاً لِّيَجِيبَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَدْعُ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ فِيهَا وَأَنَّهٗمْ فِي هَذَا الْانْجِرَافِ الشَّنِيعِ غَيْرِ مُسْبُوقِينَ .

قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ : مَا نَزَا ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ ، حَتَّىٰ كَانَ قَوْمُ لُوطٍ ، وَقَالَ الْوَلِيدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَصَّ عَلَيْنَا خَبَرَ قَوْمِ لُوطٍ مَا ظَنَنْتُ أَنْ ذَكَرًا يَعْلُو ذَكَرًا .

وَعَجَبٌ أَنْ نَرَىٰ تِلْكَ الْعَادَةَ الشَّائِنَةَ الْقَبِيحَةَ تَنْتَقِلُ مِنْ أَوْلِيَّكَ الْأَشْرَارُ الَّذِينَ خَسَفَ اللَّهُ بِهِمْ - إِلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ مَعَ إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُوجَدُ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْأُخْرَى ، فَإِنَّكَ لَا تَكَادُ تَجِدُ حَيَوَانًا مِنَ الذُّكُورِ يَأْتِي ذَكَرًا مِثْلَهُ اللَّهُمَّ إِلَّا قَلِيلاً نَادِراً كَبَعْضِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَإِلَىٰ ذَلِكَ تُشِيرُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ لَهُمْ : إِنْ تِلْكَ الْفَاحِشَةُ لَمْ يَسْبِقْكُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ وَالْعَالَمُ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ فَيَشْمَلُ الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ قَالَ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ ..

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ تَسُوْفُهُ شَهْوَتُهُ إِلَىٰ أَنْ يَفْعَلَ مَا تَأْبَاهُ نَفْسُهُ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمَاءِ فَمَاذَا يَكُونُ حَالُهُ أَلَيْسَ مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَائِبِ أَنْ تَنْحَطَّ دَرَجَةُ الْإِنْسَانِ فِي شَهْوَةِ الْفَرْجِ عَنِ دَرَجَةِ الْحَيَوَانِ .

اللَّهُمَّ إِنْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعَارِ مَا لَا تُطِيقُهُ النَّفْسُ الْكَرِيمَةُ وَلَا تَحْتَمِلُهُ الطَّبَاعُ السَّلِيمَةُ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي رَذِيلَةِ اللُّوَاطِ سِوَى ذَلِكَ لَكَفَىٰ بِهَا ذِمًّا يَصْرِفُ النَّاسَ عَنْهَا وَيُرْهِدُهُمْ فِيهَا وَلَكِنَّهَا فَوْقَ ذَلِكَ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَضَارِّ وَالْمَفَاسِدِ مَا يُؤْذِي الْمُجْتَمَعَ الْإِنْسَانِي .

وَإِلَيْكَ الْبَيَانُ أَوَّلًا إِذَا فَشَتْ تِلْكَ الْعَادَةُ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَأَصْبَحَتْ

دَاءٌ خُلْفِيًّا فِيهَا لَا تَلْبُثُ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْفَنَاءِ بِانْقِرَاضِ نَسْلِهَا ، وَلَوْ بَعْدَ
حِينٍ ، لِأَنَّ الرَّجَالَ فِيهَا تَنْصَرِفُ عَنِ النَّسَاءِ ، فَيَقِلُّ النَّسْلُ تَدْرِيحِيًّا
وَتَنْقَرِضُ الْأُمَّةُ فِي وَقْتٍ مَا .

ثَانِيًا أَنَّ اللَّائِطَ يَسْتَعْنِي بِالذَّكْرِ عَنِ الْمَرْأَةِ فَإِنْ كَانَ مُتَزَوِّجًا يُهْمَلُ
زَوْجَتَهُ ، فَيُعَرِّضُهَا لِلْخَنَا وَالْفَسَادِ ، وَإِنْ كَانَ أَعَزَبَ ، لَمْ يُفَكِّرْ فِي
الْحُصُولِ عَلَى زَوْاجٍ وَإِذَا عَمَّتِ اللَّوَاطِيَةُ أُمَّةً اسْتَعْنَتْ رِجَالَهَا عَنِ نِسَائِهَا
وَأَصْبَحَتْ النَّسَاءُ ضَائِعَاتٍ لَا يَجِدْنَ مَوْثِلًا وَلَا يَظْفَرْنَ بِمُعِينٍ يَرْحَمُ
ضَعْفَهُنَّ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْخَطَرِ الْإِجْتِمَاعِيِّ وَالْعُمْرَانِيِّ مَا فِيهِ .

وَقَالَ فِدَاءُ اللَّوَاطِيَةِ مَالُهُ الْإِنْصِرَافُ عَنِ النَّسَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ آتِيَانَ
النِّسَاءِ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْوِلَادَةِ عَادَةً مَرْدُودَةٌ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا ضِيَاعُ النَّسْلِ كَمَا
قَدَّمْنَا .

ثَالِثًا : أَنَّ اللَّائِطَ لَا يُبَالِي أَنْ يَسْتَهْوِيَ الْأَحْدَاثَ الَّذِينَ لَا يُدْرِكُونَ
الْعَارَ وَلَا يَعْرِفُونَ الْفَضِيحَةَ فَيُمِرُّهُمْ عَلَى فَسَادِ الْأَخْلَاقِ وَيُولِّدُ عِنْدَهُمْ ذَلِكَ
الدَّاءَ فَإِذَا مَا بَلَغُوا حَدَّ الرَّجُولَةِ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ مُنْعَمِسِينَ فِي الرَّذِيلَةِ فَيَضِيعُ
الْحَيَاءُ مِنْ وُجُوهِهِمْ وَلَا يُبَالُونَ بِارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ ، وَلَا يَتَعَفَّفُونَ
عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ الدِّينِيَّةِ وَيَكُونُ ذَلِكَ الْوِزْرُ فِي عُنُقِ اللَّائِطِ الَّذِي عَمِلَ عَلَى
إِفْسَادِ أَخْلَاقِهِمْ وَكَانَ سَبَبًا فِي انْتِزَاعِ مَاءِ الْحَيَاءِ مِنْ وُجُوهِهِمْ وَذَلِكَ عَظِيمٌ
عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ يَفْعَلْهُ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ عَلَيْهِ وَزْرَيْنِ
وَزْرُ ذَلِكَ الْعَمَلِ الشَّائِنِ وَوَزْرُ إِفْسَادِ الْغُلَامِ الَّذِي لَمْ يُكَلَّفْ لِبَيْتِكَ الشُّهُوَةَ
الْفَاسِدَةَ الَّتِي تُخَلِّفُ وَرَاءَهَا ذَلِكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينِ اهـ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أُيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَنُبِّهْنَا
لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا
انْطَوَاتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا
مِنَا ، وَأَمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : والدليل من السنة على تحريم اللواط وعظم جرمه وعقوبة فاعله
قوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ
وَالْمَفْعُولَ بِهِ » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي .

وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ » رواه ابن ماجه
الترمذي، وقال : حديث حسن غريب ، والحاكم وقال : صحيح
الاسناد ، وقال صلى الله عليه وسلم « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ
لُوطٍ ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ
لُوطٍ » رواه النسائي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا ، أَوْ امْرَأَةً
فِي دُبُرِهَا » رواه الترمذي والنسائي وابن جبان في صحيحه ، ومما جاء
في آتيان النساء في أدبارهن ما يلي .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال هي اللوطية الصغرى يعني الرجل يأتي امرأته في دبرها وعن
عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا فإن
الله لا يستحي من الحق ولا تأتوا النساء في أدبارهن رواه أحمد والبخاري ،
ورجالهما رجال الصحيح .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عشر خصال من
أعمال قوم لوط تصفيئ الشعر ، وحل الأزار ورمي البندق والحذف
بالحصا ، واللعب بالحمام الطيارة والصفير بالأصابع ، وفرقة الأكعب
واسبال الأزار وحل أزر الأقيبة وادمان شرب الخمر وآتيان الذكور وستريده

عَلَيْهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ مُسَاحِقَةُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ « رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّائِبُ وَالْمَرْكُوبُ وَالرَّاكِبَةُ وَالْمَرْكُوبَةُ وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ » حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ مَحَاشِرِ النِّسَاءِ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرَوَاتُهُ ثِقَاتٌ وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ وَالْبَيْهَقِيُّ كِلَاهُمَا عَنْ الْحَارِثِ بْنِ مَخْلَدَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا » وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ ، وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ أَتَى حَائِضًا ، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا ، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ ، كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَنْ أَتَى صَبِيًّا فَقَدْ كَفَرَ .

وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمٍ لُوَطٍ نَقَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ ، حَتَّى يَحْشُرَهُ مَعَهُمْ » وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيهِ « وَإِذَا كَثُرَ اللُّوَطِيُّ رَفَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَنِ الْخَلْقِ ، فَلَا يُبَالِي فِي أَيِّ وَادٍ هَلَكُوا » وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل

وَلَمَّا كَانَتْ فَاحِشَةُ اللُّوَاطِ شَأْنَهَا فِي الْقَبْحِ كَمَا ذَكَرَ اخْتَلَفَ أَيْمَةُ الْإِسْلَامِ فِي عُقُوبَتِهَا لِمَنْ ثَبَّتَ عَلَيْهِ فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا كَالزَّنَا تَمَامًا أَي يُرْجَمُ فِيهَا الْمُحْضَنُ ، وَيُجْلَدُ غَيْرُهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ وَيُغْرَبُ ، وَقَالَ آخَرُونَ يُرْجَمُ

الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا عَمَلًا بِالْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ » .
 قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ أَطْبَقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي صِفَةِ قَتْلِهِ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وَقَوْلَهُ فِي اللَّوَاطِ ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ، مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ تَبَيَّنَ لَهُ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ نَكَرَ الْفَاحِشَةَ فِي الزَّيْنَةَ أَيُّ هُوَ فَاحِشَةٌ مِنَ الْفَوَاحِشِ ، وَعَرَفَهَا فِي اللَّوَاطِ ، وَذَلِكَ يُفِيدُ أَنَّهُ جَامِعٌ لِمَعَانِي اسْمِ الْفَاحِشَةِ كَمَا تَقُولُ زَيْدُ الرَّجُلِ وَنَعَمَ الرَّجُلُ زَيْدُ أَيُّ أَتَأْتُونَ الْخَصْلَةَ الَّتِي اسْتَقَرَّ فُحْشُهَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ فِيهَا لِظُهُورِ فُحْشِهَا وَكَمَالِهِ غَنِيَّةٌ عَنْ ذِكْرِهَا ، بِحَيْثُ لَا يَنْصَرِفُ الْاسْمُ إِلَى غَيْرِهَا ، ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ شَأْنَ فُحْشِهَا بِأَنَّهَا لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَهُمْ ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ثُمَّ زَادَ فِي التَّكْيِيدِ بِأَن صرَّحَ بِمَا تَشْمِزُ مِنْهُ الْقُلُوبُ وَتَبْنُو عَنْهُ الْأَسْمَاعُ وَتَنْفَرُ مِنْهُ أَشَدُّ النَّفُورِ وَهُوَ آتِيَانُ الرَّجُلِ رَجُلًا مِثْلَهُ يَنْكُحُهَا كَمَا يَنْكُحُ الْأُنْثَى ، فَقَالَ ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ ﴾ ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى اسْتِغْنَائِهِمْ عَنْ ذَلِكَ .

وَأَنَّ الْحَامِلَ لَهُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدُ الشَّهْوَةِ لَا الْحَاجَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا مَالَ الذَّكَرِ إِلَى الْأُنْثَى مِنْ قَضَاءِ الْوَطْرِ وَلَذَّةِ الْاسْتِمْتَاعِ وَحُصُولِ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي تَنْسَى الْمَرْأَةُ لَهَا أَبْوْنَهَا ، وَتَذَكَّرُ بَعْلَهَا ، وَحُصُولِ النَّسْلِ الَّتِي هُوَ حِفْظُ هَذَا النَّوْعِ الَّتِي هُوَ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ وَتَحْصِينِ الْمَرْأَةِ .
 وَقَضَاءِ الْوَطْرِ وَحُصُولِ عِلَاقَةِ الْمُصَاهَرَةِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ النَّسَبِ وَقِيَامِ الرَّجُلِ عَلَى النِّسَاءِ وَخُرُوجِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمَاعِهِمْ

كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَمُكَائِرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْبِيَاءِ
بِأَمْتِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ النِّكَاحِ .

والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله وتربي عليه بما لا يمكن
حضر فساده ولا يعلم تفصيله إلا الله عز وجل ثم أكد سبحانه قبح ذلك
بأن اللواطية عكسوا فطرة الله التي فطر الله عليها الرجال وقلبوا
الطبيعة ، التي ركبها الله في الذكور وهي شهوة النساء دون الذكور ، فقلبوا
الأمر ، وعكسوا الفطرة والطبيعة ، فأتوا الرجال شهوة من دون النساء .

ولهذا قلب الله سبحانه عليهم ديارهم ، فجعل عاليها سافلها ، وكذلك
قلبواهم ونكسوا في العذاب على رؤسهم ثم أكد سبحانه قبح ذلك ، بأن حكم
عليهم بالاسراف ، وهو مجاوزة الحد ، فقال ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ فتأمل هل
جاء مثل ذلك أو قريب منه في الزنا ؟ .

وأكّد سبحانه عليهم ذلك بقوله ﴿ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ ثم أكد سبحانه عليهم الذم بوصفين في غاية القبح ،
فقال ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ وسماهم مُفسدين في قول نبيهم
﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وسماهم ظالمين في قول
الملائكة لإبراهيم عليه السلام ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، إِنَّ أَهْلَهَا
كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات ومن ذمه الله بمثل
هذه المذمات ولما جادل فيهم خليله إبراهيم الملائكة وقد أخبروه
بإهلاكهم ، قيل له ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ،
وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ .

شِعْرًا :

وَكُنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
بِإِرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ
وَمُرْتَمٍ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَهُمْ
عَنِ السُّوءِ وَأَزْجُرْ ذَا الْخَنَا عَنِ خَنَائِهِ
وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الْكِتَابِ بِحِكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِئِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ
فَإِنْ يَهْدِي مَوْلَانَا بِوَعْظِكَ وَاحِدًا
تَنَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
وَالْأَفْقَدُ أَذْيَتُ مَا كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ وَمَا مُلِّكَتَ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ
لِخِدْمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ مِنْ قَبْلِتِ أَعْمَالِهِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ ذَنْبُ اللَّوَاظِ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ يُغْضِبُ رَبَّ الْعِبَادِ إِنْهَا
لِفَاحِشَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَعِجُ لَهَا السَّمَاءُ وَيَجْلُ بِهَا الْبَلَاءُ فَكَشِفُ
حَالٍ ، وَسُوءُ مَالٍ ، وَدَاءُ عَضَالٍ وَقُبْحُ أفعالٍ وَعَيْبٌ دُونَهُ سَائِرُ الْعُيُوبِ ،
عَيْبٌ تَمُوتُ بِهِ الْفَضِيلَةُ ، وَتَحْيَا بِهِ الرَّذِيلَةُ وَتَتَفَتَّتْ عَلَى أَهْلِهَا الْأَكْبَادُ ،
وَتَذُوبُ مِنْ أَجْلِهَا حَيَاةُ الْقُلُوبِ ، فَعَمَلٌ مَسْبُوبٌ ، وَوَضْعٌ مَقْلُوبٌ ،
وَفَاعِلٌ مَلْعُونٌ ، وَمَفْعُولٌ بِهِ عَلَيْهِ مَغْضُوبٌ ، وَخُلُقٌ فَاسِدٌ ، وَشَرَفٌ
مَسْلُوبٌ ، وَعِرْضٌ مُمَزَّقٌ ، وَكِرَامَةٌ مَعْدُومَةٌ ، وَزُهْرِيٌّ ؛ وَجَرَبٌ ، دُو
أَلْوَانٍ ، وَقَدَرٌ وَأَنْتَانٌ ، وَوَسَاخَةٌ دُونَهَا كُلُّ وَسَاخَةٍ ، اللَّهُمَّ إِنْ فِي هَدِيهِ

الْفِعْلَةَ الشَّيْئَةَ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعَارِ مَا لَا تُطِيقُهُ الطَّبَاعُ السَّلِيمَةَ ، كَانَتْ أُمَّةٌ قَدِيمٌ عَصْرُهَا ، بَاقٍ ذِكْرُهَا ، كَثِيرٌ شَرُّهَا تَسْكُنُ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ ، تَرْتَكِبُ هَذِهِ الْفَاحِشَةَ الشَّيْئَةَ ، وَالْجَرِيمَةَ الْفَظِيحَةَ عَلَنًا ، فِي نَوَادِيهِمْ وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ أَزْوَاجٍ ، وَلَا يُبَالُونَ بِمَنْ يَعْتَبُ عَلَيْهِمْ ، وَيُسْنَعُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ اللُّؤَامِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ لُوطًا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَحَذَّرَهُمْ مِنْ فِعْلِ فَاحِشَةِ اللُّوَاطِ ، وَبَالَغَ فِي انذَارِهِمْ ، وَتَحذِيرِهِمْ ، وَكَانَ الْجَزَاءُ وَالْجَوَابُ مِنْهُمْ عَلَى هَذِهِ النَّصِيحَةِ أَنْ قَالُوا « أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ » وَمَقْصُودُ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ بِهَذَا الْوَصْفِ السُّخْرِيَّةِ ، وَالتَّهْكُمِ ، بِلُوطٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُهُ الْفَسَاقُ وَالْمَرْجَةُ الْمُعَاصِرُونَ ، لِبَعْضِ الصُّلَحَاءِ إِذَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ ، وَوَعظَوْهُمْ ، أَخْرِجُوا عَنَّا هَذَا الْمُتَدَيِّنِ ، أَوْ هَذَا الْمُتَزَهِّدِ ، وَهَذَا بُرْهَانٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ قُلُوبَهُمْ مُمْتَلِئَةٌ مِنَ الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالغَيْظِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَلَيَمُوتُوا بَغِيضِهِمْ وَبِاللَّهِ دَرُّ الْقَاتِلِ :

إِذَا بَعُدَ الْعُنُقُودُ عَنْهُ وَلَمْ يَصِلْ
وَيَقُولُ الْآخِرُ :

دَعِ الْحَسُودَ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ
إِنْ لُمْتَ ذَا حَسَدٍ نَفْسَتْ كُرْبَتَهُ
كَفَاكَ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ فِي كَبِيدِهِ
وَإِنْ سَكَتَ فَقَدْ عَذَّبْتَهُ بِيَدِهِ

آخِرُ :

ضَارِي الطَّبَاعِ سُرُورُ النَّاسِ يُخْزِنُهُ
وَلَا انشِرَاحَ لَهُ إِلَّا إِذَا آذَى

آخِرُ :

فَدَمٌ يَدُمُ فُنُونَ الْعِلْمِ مُحْتَقِرًا
بِهَا وَمَنْ جَهَلَ الْأَشْيَاءَ عَادَاهَا

آخر :

أَصَمَّكَ سُوءُ فَهْمِكَ عَنْ حِطَابِي وَأَعَمَّكَ الضَّلَالُ عَنْ اهْتِدَائِي
قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ﴾ .

وقال آخر :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ

بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ
فَقَلِبَتْ مَدِيئَتُهُمْ أَي قَوْمٌ لُوطٌ وَأُتْبِعُوا بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ
لِلْمُسْرِفِينَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَتَدْرِي لِمَاذَا ذَكَرَ اللَّهُ أَخْبَارَهُمْ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ
وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ إِنَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِنَعْتِبَرِ بِمَا أَصَابَهُمْ ، وَنَحْذَرُ كُلَّ
الْحَذَرِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَقُبْحِ الْفِعَالِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا
هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ « سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يَقَعُ ذِكْرُ عَلِيٍّ ذِكْرٌ وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنَّ اللَّهَ جَلٌّ وَعَلَا يَرَاهُ . وَقَدْ نَهَاهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُخَالَفَةِ الْعَقْلِ ،
وَالدِّينِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ مَرَضٍ خَطِيرٍ ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ ، وَخِزْيٍ ، وَعَارٍ ،
هَذَا بِالْحَقِيقَةِ فِعْلٌ تَتَرَفَّعُ عَنْهُ طِبَاعُ الْكِلَابِ . وَالْبِغَالِ ، وَالْحَمِيرِ بَلْ
وَالْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَمَا ظَهَرَ الْإِلْوَاطُ فِي أُمَّةٍ إِلَّا أَذَلَّتْ وَأُخْزِيَتْ ، وَسَلِبَ
عِزُّهَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِهْلَاكَ قَرْيَةٍ فَسَقَ فِيهَا الْمُتْرَفُونَ فَاسْتَحَقَّتْ
الْخَرَابَ وَالذَّمَّارَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴾ فَانْتَبَهُوا أَيُّهَا الْأَخْوَانُ
وَتَنَاصَحُوا وَاحْفَظُوا أَوْلَادَكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُمْ وَعَنْ هَمَالِكُمْ
لَهُمْ أَحْرَصُوا عَلَيْهِمْ فَوْقَ جِرْصِكُمْ عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَنْجُوا مِنَ التَّبْعَاتِ
وَتَسَلَّمُوا مِنَ الْعُقُوبَاتِ جَعَلْنَا اللَّهُ وَآيَاتِكُمْ مِمَّنْ إِذَا حُوقَ بِاللَّهِ نَدِمَ وَخَافَ

وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْإِنَابَةِ وَالْأَنْصَابِ مَا يُلْحِقُنَا بِصَالِحِ الْأَسْلَافِ وَغَفَرَ لَنَا
وَلَكُمْ وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَتَأْمَلُ خُبْتَ اللُّوَاطِيَّةِ وَفَرَطَ تَمَرُدِهِمْ عَلَى اللَّهِ حَيْثُ جَاؤُا وَابْتَيْهِمْ
لُوطًا ، لَمَا سَمِعُوا بِأَنَّهُ قَدْ طَرَفَهُ أَضْيَافٌ هُمْ مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ صُورًا فَأَقْبَلَ
اللُّوَاطِيَّةُ إِلَيْهِ يَهْرَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ قَالَ لَهُمْ ﴿ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ
أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ فَفَدَى أَضْيَافَهُ بِنَاتِيهِ يُزَوِّجُهُمْ بِهِنَّ ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى
أَضْيَافِهِ مِنَ الْعَارِ الشَّدِيدِ .

فَقَالَ ﴿ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ، هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَلَا
تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ فَزَادُوا عَلَيْهِ وَلَكِنْ رَدَّ جَبَّارٍ
عَيْنِي ، (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَأَنْتَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) فَفَتَتْ
نَبِيُّ اللَّهِ نَفْثَةَ مَصْدُورٍ ، خَرَجَتْ مِنْ قَلْبٍ مَكْرُوبٍ ، فَقَالَ (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ
قُوَّةٌ ، أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) .

فَكَشَفَ لَهُ رُسُلُ اللَّهِ عَنِ حَقِيقَةِ الْحَالِ وَأَعْلَمُوهُ أَنََّّهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ
يُوصَلُ إِلَيْهِمْ وَلَا إِلَيْهِ بِسَبَبِهِمْ فَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ وَلَا تَعْبَأْ بِهِمْ وَهَوْنٌ عَلَيْكَ
فَقَالُوا ﴿ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ وَبَشَّرُوهُ بِمَا جَاؤَا بِهِ مِنْ
الْوَعْدِ لَهُ ، وَمِنْ الْوَعْدِ الْمُصِيبِ لِقَوْمِهِ فَقَالُوا ﴿ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ
اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مَصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ
مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ فَاسْتَبَطَّ نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْعِدَ هَلَاكِهِمْ ، وَقَالَ :
أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ هَذَا فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ .

فَوَاللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلَآكَ أَعدَاءِ اللَّهِ وَنَجَآةِ نَبِيِّهِ وَأَوْلِيَآئِهِ إِلَّا مَا بَيْنَ
السَّحَرِ وَطُلُوعِ الفَجْرِ وَإِذَا بَدِيَآرِهِمْ قَدْ أَقْتَلَعْتَ مِنْ أَصُولِهَا وَرُفِعَتْ نَحْوَ
السَّمَآءِ حَتَّى سَمِعْتَ المَلَآئِكَةَ يَبَآحِ الكِلَابِ وَنَهِيْقَ الحَمِيرِ ، فَبَرَزَ المَرْسُومُ
الَّذِي لَا يُرَدُّ ، مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ الجَلِيلِ ، عَلَى يَدَيِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ جَبْرِئِلُ
بِأَنَّ يَقْلِبَهَا عَلَيْهِمْ ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ .

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ،
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾ فَجَعَلَهُمْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَنِكَآلًا
وَسَلْفًا لِمَنْ شَارَكَهَا فِي أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَجَعَلَ دِيَارَهُمْ بِطَرِيقِ
السَّآلِكِينَ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أَخَذُوا عَلَى غِرَّةٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ،
وَجَاءَهُمْ بِأَسْهُهُمُ وَهُمْ فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْْمَهُونَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ تَقَلَّبُوا عَلَى تِلْكَ اللذَاتِ طَوِيلًا فَأَصْبَحُوا بِهَا يُعَذَّبُونَ .

مَارَبَ كَانَتْ فِي الحَيَاةِ لِأَهْلِهَا

عَذَابًا فَصَارَتْ فِي المَمَاتِ عَذَابًا

ذَهَبَتْ اللذَاتُ وَأَعْقَبَتْ الحَسَرَاتُ وَانْقَضَتِ الشَّهَوَاتُ وَأُورِثَتْ
الحَسَرَاتُ تَمَتُّعُوا قَلِيلًا وَعُذِّبُوا طَوِيلًا رَتَعُوا مَرْتَعًا وَخِيَمًا فَأَعْقَبَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا أَسْكَرَتْهُمْ خَمْرَةُ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ فَمَا اسْتَفَاقُوا مِنْهَا إِلَّا وَهُمْ فِي مَنَازِلِ
الهَالِكِينَ فَنَدِمُوا وَاللَّهِ أَشَدُّ النَّدَامَةَ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ وَبَكَوا عَلَى مَا
أَسْلَفُوهُ بَدَلَ الدَّمُوعِ بِالدَّمِ فَلَوْ رَأَيْتِ الأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ
وَالنَّارُ تَخْرُجُ مِنْ مَنَافِدِ وُجُوهِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الجَحِيمِ ، وَهُمْ
يَشْرَبُونَ بَدَلَ لَذِيذِ الشَّرَابِ ، كُؤُوسَ الحَمِيمِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ وَهُمْ عَلَى
وُجُوهِهِمْ يُسْحَبُونَ ﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ﴿ إِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا
تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَلَقَدْ قَرَّبَ سُبْحَانَهُ

مَسَافَةَ الْعَذَابِ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمْ فِي الْعَمَلِ ، فَقَالَ مُخَوِّفًا لَهُمْ ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ . انتهى .

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ سَبَبًا إِلَى هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ النَّظَرُ إِلَى الْأَمْرَدِ ، فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ « قَالَ زَنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزَنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ ، وَزَنَا الْيَدِ الْبَطْشُ ، وَزَنَا الرَّجْلِ الْخَطَا ، وَزَنَا الْأُذُنِ الْاسْتِمَاعُ ، وَالنَّفْسُ تَمْنَى وَتَشْتَهِي ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ » وَلِأَجْلِ ذَلِكَ بَالِغَ الصَّالِحُونَ فِي الْأَعْرَاضِ عَنِ الْمُرْدَانِ وَعَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ وَعَنْ مُحَاطَاتِهِمْ وَعَنْ مُجَالَسَتِهِمْ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ ذَكْوَانَ لَا تُجَالِسُوا أَوْلَادَ الْأَغْنِيَاءِ فَإِنَّ لَهُمْ صُورًا كَصُورِ الْعِدَارَى فَهُمْ أَشَدُّ فِتْنَةً مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ مَا أَنَا بِأَخَوْفَ عَلَى الشَّابِّ النَّاسِكِ مَعَ سَبْعِ ضَارٍ مِنَ الْغُلَامِ الْأَمْرَدِ يَقَعْدُ إِلَيْهِ وَكَانَ يُقَالُ لَا يَبِيْتَنَّ رَجُلٌ مَعَ أَمْرَدٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَحَرَّمَ قِيَاسًا عَلَى الْمَرْأَةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا خَلَا رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ نَالِثُهُمَا » وَفِي الْمُرْدَانِ مَنْ يَفُوقُ النِّسَاءَ بِحُسْنِهِ فَالْفِتْنَةُ بِهِ أَعْظَمُ وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ فِي حَقِّهِ مِنَ الشَّرِّ مَا لَا يُمَكِّنُ فِي حَقِّ النِّسَاءِ ، وَيَسْهَلُ فِي حَقِّهِ مِنْ طَرِيقِ الرِّيْبَةِ وَالشَّرِّ مَا لَا يَتَسَهَّلُ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ ، فَهُوَ بِالتَّحْرِيمِ أَوْلَى ، وَأَقْوَالُ السَّلَفِ فِي التَّنْفِيرِ مِنْهُمْ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ رُؤْيَيْهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ .

شِعْرًا :

صَنِ الْحُسْنِ بِالتَّقْوَى وَالْأَ فَيَذْهَبُ
فَنُورُ التَّقَى يَكْسُو جَمَالَ وَيَكْسِبُ
وَمَا يَنْفَعُ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ جَمَالُهُ
وَلَيْسَ لَهُ فِعْلٌ جَمِيلٌ مُهَذَّبُ

فِيَا حَسَنَ الْوَجْهِ اتَّقِ اللَّهَ إِنْ تُرِدْ
دَوَامَ جَمَالٍ لَيْسَ يَفْنَى وَيَذْهَبُ
يَزِيدُ التَّقَى ذَا الْحُسْنِ حُسْنًا وَيَهْجَةَ
وَأَمَّا الْمَعَاصِي فَهِيَ لِلْحُسْنِ تَسْلِبُ
وَتَكْسِيفُ نُورِ الْوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ
وَتَكْسُوهُ قَبْحًا ثُمَّ لِلْقَلْبِ تَقْلِبُ
فَسَارِعْ إِلَى التَّقْوَى هُنَا تَجِدِ الْهَنَا
غَدَاً فِي صَفَا عَيْشٍ يَدُومُ وَيَعْدُبُ
فَمَا بَعْدَ ذِي الدُّنْيَا سِوَى جَنَّةٍ بِهَا
نَعِيمٌ مُقِيمٌ أَوْ لَطْفٌ تَتَلَهَّبُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « تَفَرَّغُوا مِنَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ ، فَفَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ
أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أُمُورَهُ
وَجَعَلَ عِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ
قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَفْدُ إِلَيْهِ بِالْوَدِّ وَالرَّحْمَةِ وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ
أَسْرَعُ » وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ يَا أَهْلَ الشَّامِ اسْمَعُوا قَوْلَ أَخِي
نَاصِحٍ فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا
لَا تَأْكُلُونَ وَتُؤْمَلُونَ مَا لَا تَدْرِكُونَ إِنَّ الدِّينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنُوا مَشِيدًا وَأَمَلُوا
بِعَيْدًا وَجَمَعُوا عَتِيدًا فَأَصْبَحَ أَمْلَهُمْ غُرُورًا وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا : وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
أَجِدُّكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيمُهَا وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
لَعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ فِيهَا عَجَائِبًا وَصَاحِبَتِي فِيهَا مَسُودٌ وَسَيِّدٌ
رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ الْمَوَاهِبِ مَرَّةً وَقَدْ طَابَ عَيْشُ وَالسُّرُورُ يُجَدُّدُ

فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا الرَّزَادِيَا ثَوَابِتٌ
وَأَسْفَتْهُمْوَا كَاسًا مِنَ الذَّلِيلِ مُتْرَعًا
وَدَانَتْ لِمَنْ نَاوَاهُمْ بَعْضَ بُرْهَةِ
عَلَى نَكَدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُجَدِّدُ
أَخْر:

أُمِّلُ أَنْ أُخَلِّدَ وَالْمَنَائِيَا
تُدَوِّرُ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ التَّوَاخِي
وَمَا أُدْرِي وَإِنْ أُمْسَيْتُ يَوْمًا
لَعَلِّي لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ
إِنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِكُمْ يَحْمِلُ مَا ثَبَتَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ثُمَّ يَمْضِي
فَلَا يَعُودُ أَبَدًا فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تُحْطُوا كُلَّ يَوْمٍ بِمَكْرَمَةٍ وَتُشَبِّتُوا فِيهِ حَسَنَةً فَلَا
تُؤَخَّرُوا فَإِنَّ الْأَيَّامَ صَحَائِفٌ فَخَلِّدُوا فِيهَا الْجَمِيلَ فَقَدْ رَأَيْتُمْ حِفْظَهَا لِمَا
اسْتَوْدَعَتْ مِنَ الْمَحَامِدِ وَالْمَحَاسِنِ وَالْمَكَارِمِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ.
شِعْرًا:

لَيْسَ الْغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّامِ وَالْيَمَنِ
إِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبُ اللَّحْدِ وَالْكَفَنِ
تَمُرُّ سَاعَاتُ أَيَّامِي بِلَا نَدَمٍ
وَلَا بُكَاءٍ وَلَا خَوْفٍ وَلَا حَزَنِ
سَفَرِي بَعِيدٌ وَزَادِي لَا يُبَلِّغُنِي
وَقَسَمْتِي لَمْ تَزَلْ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُنِي
مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَنِي حَيْثُ أَمَهَلَنِي
وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرُنِي
أَنَا الَّذِي أُغْلِقُ الْأَبْوَابَ مُجْتَهِدًا
عَلَى الْمَعَاصِي وَعَيْنُ اللَّهِ تَنْظُرُنِي
يَا زَلَّةً كُتِبَتْ يَا غَفْلَةً ذَهَبَتْ
يَا حَسْرَةً بَقِيَتْ فِي الْقَلْبِ تَقْتُلُنِي

دَع عَنْكَ عَذْلِي يَا مَنْ كَانَ يَعْذِلُنِي
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بِي كُنْتُ تَعْدُرُنِي
دَعْنِي أَنْوَحَ عَلَى نَفْسِي وَأَنْدِبُهَا
وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ بِالتَّذْكَارِ وَالْحَزَنِ
دَعْنِي أَسِحُّ دُمُوعاً لَا انْقِطَاعَ لَهَا
فَهَلْ عَسَى عِبْرَةٌ مِنْهَا تُخَلِّصُنِي
كَأَنَّي بَيْنَ تِلْكَ الْأَهْلِ مُنْطَرِحاً
عَلَى الْفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنِي
وَقَدْ أَتَوْا بِطَيْبٍ كَيْ يُعَالِجُنِي
وَلَمْ أَرْ مِنْ طَيْبِ الْيَوْمِ يَنْفَعُنِي
وَاشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ الْمَوْتُ يَجْذِبُهَا
مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بِلَا رِقْفٍ وَلَا هَوْنٍ
وَاسْتَخْرَجَ الرُّوحُ مِئِي فِي تَفْرِغِهَا
وَصَارَ فِي الْحَلْقِ مُرّاً جِئِنَ غَرْغَرِي
وَعَمَّضُونِي وَرَاحَ الْكُلُّ وَأَنْصَرَفُوا
بَعْدَ الْإِيَّاسِ وَجَدُّوا فِي شِرَا كَفْنِي
وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى النَّاسِ فِي عَجَلٍ
إِلَى الْمُغْسَلِ يَأْتِينِي يُغْسِلُنِي
وَقَالَ يَا قَوْمُ نَبِيٍّ غَاسِلاً حَذَقاً
حُرّاً أَدِيّاً أَرِيّاً عَارِفاً فَطِنِي
فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَدَنِي
مِنَ الثِّيَابِ وَأَعْرَانِي وَأَفْرَدَنِي
وَاطَّرَحُونِي عَلَى الْأَسْوَاحِ مُنْفَرِداً
وَصَارَ فَوْقِي خَرِيرُ الْمَاءِ يُنْظِفُنِي

وَأَسْكَبَ الْمَاءَ مِنْ فَوْقِي وَغَسَّلَنِي
 غَسْلًا ثَلَاثًا وَنَادَى الْقَوْمَ بِالْكَفْيِ
 وَالْبُسُوفِي ثِيَابًا لَا كُومَ لَهَا
 وَصَارَ زَادِي حُنُوطًا حِينَ حَنَطَنِي
 وَقَدَّمُونِي إِلَى الْمِحْرَابِ وَأَنْصَرَفُوا
 خَلْفَ الْأَمَامِ فَصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَنِي
 صَلَّوْا عَلَيَّ صَلَاةً لَا رُكُوعَ لَهَا
 وَلَا سُجُودَ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي
 وَأَنْزَلُونِي فِي قَبْرِي عَلَى مَهَلٍ
 وَأَنْزَلُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ يُلَجِدُنِي
 وَكَشَفَ الثَّوْبَ عَن وَجْهِ لِيَنْظُرَنِي
 وَأَسْبَلَ الدَّمَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ أَغْرَقَنِي
 فَقَامَ مُحْتَرِمًا بِالْعِزْمِ مُشْتِمِلًا
 وَصَفَّفَ اللَّبْنَ مِنْ فَوْقِي وَفَارَقَنِي
 وَقَالَ هَلُّوْا عَلَيْهِ التُّرْبَ وَاعْتَنِمُوا
 حُسْنَ الثَّوَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ ذِي الْمَنَنِ
 فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ لَا أُمَّ هُنَاكَ وَلَا
 أَبَّ شَفِيقٌ وَلَا أَخٌ يُؤَيِّسُنِي
 وَأَوْدَعُونِي وَلَجُّوا فِي سُؤْلِ الْهَمُّوْا
 مَا لِي سِوَاكَ إِلَهِي مَنْ يُخَلِّصُنِي
 وَهَالَنِي صُورَةٌ فِي الْعَيْنِ إِذْ نَظَرْتُ
 مِنْ هَوْلٍ مَطَّلَعٍ مَا قَدْ كَانَ أَدْهَشَنِي

مِنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ مَا أَقُولُ لَهُمْ
 إِذْ هَالَيْتِي مِنْهُمَا مَا كَانَ أَفْرَعْنِي
 فَاْمُنْ عَلَيَّ بِعَفْوِ مِنْكَ يَا أَمَلِي
 فَإِنِّي مُوْتَقٌ بِالذَّنْبِ مُرْتَهِنِ
 تَقَاسَمَ الْأَهْلِ مَالِي بَعْدَمَا انصَرَفُوا
 وَصَارَ وَزْرِي عَلَى ظَهْرِي فَأَثْقَلَنِي
 فَلَا تَغْرَنَّكَ الدُّنْيَا وَزَيْتُهَا
 وَانظُرْ إِلَيَّ فِعْلَهَا فِي الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ
 وَانظُرْ إِلَى مَنْ حَوَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
 هَلْ رَاحَ مِنْهَا بَغَيْرِ الزَّادِ وَالْكَفَنِ

خُذِ الْقِنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ
 يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ الْعِصْيَانِ وَاكْتَسِبِي فِعْلاً جَمِيلاً لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي
 اللَّهُمَّ أَيَقْظَنَّا مِنْ عَقَلْتِنَا بِفَضْلِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجَاوَزَ عَنْ جَرَائِمِنَا
 بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَالْحَقْنَا بِالذِّينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فِي دَارِ رِضْوَانِكَ وَارزُقْنَا كَمَا
 رَزَقْتَهُمْ مِنْ لَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في التحذير عن تعاطي المسكرات والمخدرات

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مَنْ أَشْرَفَ
 هَبَاتِ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ عَقْلُهُ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّهُ قَالَ
 فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ : أَيُّ فِي الْعَقْلِ ، وَوَرَدَ عَنْ
 الْمُصْطَفَى ﷺ أَنَّهُ قَالَ « مَا اكْتَسَبَ مُكْتَسَبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ
 إِلَى هُدًى ، أَوْ يَرُدُّهُ عَنْ رَدًى ، وَلَا اسْتِقَامَ دِينَهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَقْلُهُ » .

فَالْعَقْلُ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ لِيَمِيزَ بِهِ النَّافِعَ مِنَ الضَّارِّ وَيَفْهَمَ عَنِ اللَّهِ
شَرْعَهُ وَيَفْهَمَ لِمَاذَا حَسَنَ الْحَسَنُ وَقَبَحَ الْقَبِيحُ وَيَفْهَمَ مَا لِلَّهِ مِنَ الْحُقُوقِ وَمَا
لِرُسُلِهِ وَمَا يَنْبَغِي نَحْوَ عِبَادِ اللَّهِ .

فَهُوَ الْجَوْهَرَةُ الَّتِي دُونَ قَدْرِهَا الْأَثْمَانُ وَمَا يُقَدَّرُ بِالْأَثْمَانِ بَلِ الدُّنْيَا
بِأَسْرَهَا لَا قِيَمَةَ لَهَا بِجَانِبِ هَذَا الْعَقْلِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَةَ
بَنِي آدَمَ إِلَى أَنْ خَاطَبَهُمْ جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ الَّذِي صَلَحَ لِأَنْ يَكُونَ مِنْ خَدَمِهِ
تَعَالَى يُؤَدِّي مَا لَهُ مِنْ وَاجِبَاتٍ .

وَهُوَ الَّذِي بِهِ يَكُونُ أَهْلًا لِأَنْ يَكُونَ مِنْ ضُيُوفِهِ تَعَالَى فِي دَارِ
الْكَرَامَاتِ ، بَلْ هُوَ الَّذِي سَمَّا بِهِ إِلَى أَنْ يَرَى رَبَّهُ تَعَالَى فِي دَارِ الرُّضْوَانِ ،
إِنَّ قِيَمَةَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّمَا تُقَدَّرُ بِقَدْرِ مَا لَهُ مِنْ آثَارِ الْعَقْلِ ، لَا يُدَانِيهِ فِيهَا
غَيْرُهُ ، مَهْمَا كَانَ لِذَلِكَ الْغَيْرِ مِنْ مِقْدَارٍ ، إِذْ هُوَ أَجَلُ مَنَحَةٍ مَنَحَهَا اللَّهُ ابْنَ
آدَمَ فِي هَذِهِ الدَّارِ بَلْ لَا تَكُونُ الْجَنَّةُ جَنَّةً إِذَا سُلِبَ الْعَقْلُ فِيهَا مِنَ الْإِنْسَانِ .
إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الدَّرَجَاتِ بِتَفَاوُتِ مَا
لَهُمْ مِنْ عُقُولٍ فَكُلَّمَا كَانَ الْعَقْلُ أَقْوَى كَانَ أَقْدَرَ عَلَى دَفْعِ النَّفْسِ عَمَّا لَهَا
مِنْ فُضُولٍ وَمِنْ هَذَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ أَعْقَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْقَاهُمْ لِلَّهِ أَمَّا
ضَعِيفُ الْعَقْلِ فَيُضَعَفُ دَفْعُهُ لِلنَّفْسِ عَنْ مَا لَهَا مِنْ شَهَوَاتٍ .

هُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُشِيرُ أَسْمَاؤُهَا إِلَى مَعْنَاهَا سُمِّيَ عَقْلًا لِأَنَّهُ يَعْقِلُ
صَاحِبُهُ غَالِبًا عَمَّا لَا يَنْبَغِي وَلِذَلِكَ إِذَا جَنَّ الْإِنْسَانُ رَأَيْتَهُ كَالْوَحْشِ الضَّارِي
يَبْطِشُ بِكُلِّ مَا قَابَلَهُ .

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِامْرِئٍ هِبَةً أَشْرَفَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هُمَا حَيَاةُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَإِنَّ فَقْدَ الْحَيَاةِ أَجْمَلُ بِهِ
آخِرُ : يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ

وِيرْزِي بِهِ فِي النَّاسِ قَلْبُهُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمْتَ أَعْرَاقَهُ وَمَنَاسِبُهُ
وَأَفْضَلَ قَسَمَ اللَّهُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ وَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَضَرَائِبُهُ
آخِرُ: إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَلَمْ تَكُ عَاقِلًا فَأَنْتَ كَذِبِي نَعْلٍ وَلَيْسَ لَهُ رَجُلٌ
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ عُمْدٌ لِعَقْلِهِ وَلَا خَيْرَ كَذِبِي نَعْلٍ وَلَيْسَ لَهُ رَجُلٌ
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ عُمْدٌ لِعَقْلِهِ وَلَا خَيْرَ فِي عِمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلٌ

وَالْمَقْصُودُ مِنْ سِيَاقِ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ حَوْلَ الْعَقْلِ ، هُوَ أَنَّهُ يُوجَدُ قِسْمٌ
مِنَ النَّاسِ قَدْ عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَسْقَطُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ دَرَجَةِ الْكَمَالِ الَّذِي
أَعَدَّهُمُ اللَّهُ لَهُ ، وَأَنْزَلُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى مَرْتَبَةِ الْحَيَوَانِ أَوْ أَنْزَلَ ، وَرَضُوا بِأَنْ
يَكُونُوا مَعَاوِلَ لِهَدْمِ الْفَضِيلَةِ وَيَدًا عَامِلَةً لِشَرِّ الرَّذِيلَةِ وَهَؤُلَاءِ قَدْ اسْتَحْوَذَ
عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَلَعِبَ بِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ أَنْ يُفَارِقُوا عُقُولَهُمْ زَمَانًا بَتَّائُولِ
الْمُخَدَّرَاتِ وَتَعَاطِيِ الْمُسْكِرَاتِ وَلَيْسَ هَذَا الْاِعْتِدَاءُ عَلَى الْعَقْلِ الَّذِي
شَرَّفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً بَلْ وَلَا فِي السَّنَةِ مَرَّةً لِكِنَّهُ عِنْدَهُمْ دَوَامًا نَسَأَلُ
اللَّهَ الْعَافِيَةَ أَمَا عَلِمَ أَوْلِيكَ التُّعَسَاءُ أَنَّ الْخَمْرَ أُمُّ الْخَبَائِثِ وَرَأْسُ الْمُنْكَرِ كُلِّهِ
وَطَرِيقُ الْفَسَادِ الْعَامِ .

فَسَادِ الدِّينِ وَفَسَادِ الْأَخْلَاقِ وَفَسَادِ الْعَقْلِ وَفَسَادِ الْجَسْمِ وَفَسَادِ
الْمَالِ وَفَسَادِ الدُّرِّيَّةِ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا
مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ » رَوَاهُ الْحَاكِمُ ، وَقَالَ صَحِيحُ الْأَسْنَادِ ، فَالْخَمْرُ مُحَرَّمَةٌ
بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْاجْتِمَاعِ .

أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾
إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ

اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمَّنَّا
مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَأَمَّا السُّنَّةُ ، فَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ،
وَكَلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ ، وَشَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا ،
وَبَائِعَهَا ، وَمُبْتَاعَهَا ، وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا ، وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ » رَوَاهُ
أَبُو دَاوُدَ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَاتَ وَلَمْ
يَتُبْ مِنْهَا ، وَهُوَ مُدْمِنٌ لَهَا ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَرَوَى
مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَهْدًا لِمَنْ شَرِبَ الْمُسْكِرَ ، أَنْ يُسْقِيَهُ اللَّهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ »
قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ « عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ » .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ شَرِبَ
الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ، يُحْرَمُهَا فِي الْآخِرَةِ » وَوَرَدَ أَنَّ مُدْمِنَ الْخَمْرِ ، كَعَابِدِ وَثْنٍ
وَرَوَى النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا
يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌ ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ « وَفِي رِوَايَةٍ « ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ،
مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَالْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ ، وَالذُّيُوثُ ، وَهُوَ الَّذِي يُقْرِئُ السُّوءَ فِي
أَهْلِهِ »

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا يَزْنِي الزَّانِي
حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ
الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ،

وفي الحديث « مَنْ زَنَى أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ ، نَزَعَ اللَّهُ مِنْهُ الْإِيمَانَ ، كَمَا يَخْلَعُ الْإِنْسَانَ الْقَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ » وفيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أَنْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ وَلَا يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٌ وَلَا مَنَانٌ وَلَا مُدْمِنٌ خَمْرٌ وَلَا عَبْدٌ وَثِنٍ » .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنٌ خَمْرًا وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرِ وَلَا قَاطِعٌ رَجْمٍ وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ وَهُوَ مَاءٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُؤْمِسَاتِ - أَيِ الزَّانِيَاتِ - يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحٌ فُرُوجَهُنَّ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ أَمْرِنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ آتِيَهُ بِمُدِّيَةِ وَهِيَ الشُّفْرَةُ فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَأَرْسَلَ بِهَا فَأَرْهَفَتْ ثُمَّ أَعْطَانِيهَا وَقَالَ « اغْدُ عَلَيَّ بِهَا » فَفَعَلْتُ ، فَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ إِلَى أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ ، وَفِيهَا زَقَاقُ الْخَمْرِ قَدْ جُلِبَتْ مِنَ الشَّامِ فَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ مِنِّي فَشَقَّ مَا كَانَ مِنْ تِلْكَ الزَّقَاقِ بِحَضْرَتِهِ ثُمَّ أَعْطَانِيهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَنْ يَمْضُوا مَعِي وَأَنْ يُعَاوَنُونِي وَأَمْرِنِي أَنْ آتِيَ الْأَسْوَاقَ كُلَّهَا فَلَا أَجِدُ فِيهَا زِقَّ خَمْرٍ إِلَّا شَقَقْتُهُ فَفَعَلْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ فِي أَسْوَاقِهَا زِقًّا إِلَّا شَقَقْتُهُ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ قَالَ : هِيَ فِي التَّوْرَةِ : إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْحَقَّ لِيُذْهِبَ بِهِ الْبَاطِلَ وَيُبْطِلَ بِهِ اللَّعِبَ وَالْمَزَامِيرَ وَالزُّفْنَ ، وَالْكُبَارَاتِ يَعْنِي الْبَرَابِطَ ، وَالزُّمَارَاتِ ، يَعْنِي بِهِ الدُّفَّ وَالطَّنَابِيرَ وَالشُّعْرَ ، وَالْخَمْرَ مَرَّةً لِمَنْ طَعَمَهَا أَقْسَمَ اللَّهُ بِيَمِينِهِ وَعِزَّتِهِ مَنْ شَرِبَهَا بَعْدَ مَا حَرَّمْتُهَا لِأَعْطَسْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ تَرَكَهَا بَعْدَ مَا حَرَّمْتُهَا لِأَسْقَيْنَهُ إِيَّاهَا فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَاعْفُ عَنَّا
تَقْصِيرَنَا فِي طَاعَتِكَ وَوَفْقَنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْكَ وَثَبَّتْنَا عَلَيْهَا حَتَّى
الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ التَّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَطَهِّرْ مَكْسَبَنَا مِنَ
الرِّبَا وَالسُّنَنَّا مِنَ الكَذِبِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا عَن ذُنُوبِنَا وَقَبَائِحِنَا وَلَا
تُواخِذْنَا بِمَا انطَوَاتِ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْ سِرَائِرُنَا مِن أَنْوَاعِ القَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ
وَاعْفِرْ لَنَا وَوَالِدِينَا وَتَوَفَّقْنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصيدة تحتوي على حكم ومواعظ

تَأْوِينِي هُمْ كَثِيرٌ بِلَابِلُهُ فَوَيْحِي مِنَ المَوْتِ الَّذِي هُوَ وَاقِعٌ
أَيَّامُنُ رَيْبِ الدَّهْرِ يَا نَفْسُ وَاهِنُ فَلَمْ أَرِ فِي الدُّنْيَا وَذُو الجَهْلِ غَافِلُ
فَمَا بَالُهُ يَفِدِي مِنَ المَوْتِ نَفْسَهُ وَلَا يَفْتَدِي مِنَ مَوْقِفِ لَوْرَمِي الرَّدَى
وَبَعْدَ دُخُولِ القَبْرِ يَا نَفْسُ كُرْبَةٌ إِذَا الأَرْضُ خَفَّتْ بَعْدَ نَقْلِ جِبَالِهَا
فَلَا يَرْتَجِي عَوْنًا عَلَى حَمَلِ وَزْرِهِ إِذَا الجَسَدُ المَعْمُورُ زَايِلُ رُوحِهِ
وَقَدْ كَانَ فِيهِ الرُّوحُ حِينًا يَزِينُهُ يُزَايِلُنِي مَالِي إِذَا النَّفْسُ حَشْرَجَتْ
إِذَا كَلَّ عِنْدَ الجُهْدِ يَا نَفْسُ مُنْطَقِي وَيَغْسِلُ مَا بِالجلْدِ مِنَ ظَاهِرِ الأَدَى
وَمَنْ تُفْلِتِ الأَمْرَاضُ يَوْمًا فَإِنَّهُ طَرُوقًا ، فَعَالَ التَّوَمُ عَنِّي غَوَائِلُهُ
وَلِلْمَوْتِ بَابٌ أَنْتَ لِأَبْدٍ دَاخِلُهُ تَعْجِشُ لَهُ بِالمُفْطَعَاتِ مَرَاجِلُهُ
أَسِيرًا يَخَافُ القَتْلَ وَاللَّهُوُ شَاغِلُهُ وَيَأْمَنُ سَيْفَ الدَّهْرِ ، وَالدَّهْرُ قَاتِلُهُ
بِهِ جَبَلًا ، أَضْحَتْ سَرَابًا جَنَادِلُهُ وَهَوَّلُ تُشِيبُ المُرْضِعِينَ زَلَازِلُهُ
وَخَلَى سَبِيلَ البَحْرِ يَا نَفْسُ سَاحِلُهُ مُسِيءٌ ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالبُورِ حَامِلُهُ
خَوَى وَجَمَالَ البَيْتِ يَا نَفْسُ آهْلُهُ وَمَا الغَمْدُ لَوْلَا نَصْلُهُ وَحَمَائِلُهُ
وَأَهْلِي وَكَدْحِي لِأَزْمِي لِأَزَايِلُهُ وَعَايِنْتُ عِنْدَ المَوْتِ مَا لِأَحَاوِلُهُ
وَلَا يَغْسِلُ الذَّنْبَ المُخَالَفِ غَاسِلُهُ سَيُوشِكُ يَوْمًا أَنْ تُصَابَ مَقَاتِلُهُ

وقد تُفَلِّكُ الْوَحْشَ الْجِبَالِ وَرُبَّمَا
 إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ صَارَ حُجَّةً
 وَقَدْ يُنْعِشُ الذِّكْرُ الْقُلُوبَ، وَإِنَّمَا
 أَرَى الْفُضْنَ لَا يَنِمِّي إِذَا جَفَّ أَصْلُهُ
 فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْصَرْتَ هَذَا فَإِنَّمَا
 وَلَا يَسْتَقِيمُ الدَّهْرَ سَهْمٌ لَوَجْهِهِ
 وَفِيكَ إِلَى الدُّنْيَا اغْتِرَاضٌ، وَإِنَّمَا
 فَلَا تَتَنَكَّثُ بَعْدَ الْهَوَى عَنِ بَصِيرَةٍ
 وَتَطْلُبُ فِي الدُّنْيَا الْمَنَازِلَ وَالْعِلَالَ
 كَمَنْ غَرَّهُ لَمْعُ السَّرَابِ بِقِيَعَةٍ
 وَقَدْ خَانتِ الدُّنْيَا قُرُونًا تَتَابَعُوا
 وَتُصْبِحُ فِيهَا آمِنًا ثُمَّ لَمْ تَكُنْ
 وَقَدْ حَتَلْتَنَا بِاللَّطِيفِ مِمَّا الْهَوَى
 رَضِينَا بِمَا فِيهَا سَفَاهًا وَلَمْ يَكُنْ
 وَعَاقِبَةُ اللَّذَاتِ تُخْشَى وَإِنَّمَا
 وَإِنْ فَرَحْتَ بِالْمَرْءِ يَوْمًا حَلَّائِلُ
 فَكَمْ مِنْ فِتْنَى قَدْ كَانَ فِي شِرَّةِ الصَّبَا
 إِذَا مَا سَمَا حَقُّ إِلَيْكَ وَبَاطِلُ
 وَقَدْ يَأْمَلُ الرَّاجِي فَيَكْذِبُ ظَنَّهُ

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَمَيِّنِينَ الَّذِينَ
 أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
 وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الأخياء منهم والميئين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَضْلٌ »

وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَحْرِيمِ الْخَمْرِ ، وَقَلِيلُ الْخَمْرِ وَكَثِيرُهُ كُلُّهُ حَرَامٌ
لَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالطَّحَاوِيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَنْهَاكُمْ عَنْ قَلِيلٍ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ » .

وَرَوَى أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ وَالذَّارِقُطْنِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ
وَرَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أُمِّ
سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ
مُسْكِرٍ وَمُفْتِرٍ وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّارِعُ بِتَحْرِيمِ شُرْبِ قَلِيلِهَا وَكَثِيرِهَا ، بَلْ حَرَّمَ
الِاتِّجَارَ بِهَا وَلَوْ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
أَنْ يَعْمَلَ مُسْتَوِرِدًّا أَوْ مُصَدِّرًا أَوْ صَاحِبَ مَحَلٍّ لِيَبْعَ الْخَمْرَ أَوْ عَامِلًا فِي هَذَا
الْمَحَلِّ كَيْفَ وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا
وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالْمُسْتَرِيَّ لَهَا
وَالْمُسْتَرَاةَ لَهُ .

وَكَذَا يَحْرُمُ إِهْدَاؤُهَا فَقَدْ رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَجُلٌ
يَحْمِلُ الْخَمْرَ مِنْ خَيْبَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَبِيعُهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَحَمَلَ مِنْهَا بِمَالٍ
فَقَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ يَا فُلَانُ إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ
فَوَضَعَهَا حَيْثُ انْتَهَى عَلَى تَلٍّ وَسَجَى عَلَيْهَا بِأَكْسِيَّةٍ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلِّغْنِي أَنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ قَالَ « أَجَلٌ » قَالَ :
لِي أَنْ أَرُدَّهَا عَلَى مَنْ ابْتَعْتَهَا مِنْهُ ؟ قَالَ « لَا يَبِصُحُ رَدُّهَا » قَالَ : لِي أَنْ

أَهْدِيهَا إِلَى مَنْ يُكَافِينِي مِنْهَا؟ قَالَ «لَا» قَالَ: فَإِنَّ فِيهَا مَالاً لِيَتَامَى فِي حَجْرِي . قَالَ «إِذَا أَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ فَأَنَا نَعْوُضُ أَيْتَامَكَ مِنْ مَالِهِمْ» ثُمَّ نَادَى بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْأَوْعِيَةُ يُنْتَفَعُ بِهَا؟ قَالَ «فَحَلُّوا أَوْكِتَهَا» فَانْصَبْتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي بَطْنِ الْوَادِي .

وَيَجِبُ مُقَاتَعَةُ مَجَالِسِ الْخَمْرِ وَشَارِبِيهَا فَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَا يَقْعُدُ عَلَى مَائِدَةٍ تُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمَعْنَاهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ . وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِدُ شَارِبِي الْخَمْرِ ، وَمَنْ شَهِدَ مَجْلِسَهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَشْرَبْ ، وَرَوَّاهُ عَنْهُ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْهِ قَوْمٌ شَرَبُوا الْخَمْرَ فَأَمَرَ بِجَلْدِهِمْ ، فَقِيلَ إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا ، وَقَدْ كَانَ صَائِمًا ، فَقَالَ : بِهِ ابْدُؤُوا ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ، وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ، فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ، حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴾ .

وَرَوَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ وَيَعْتَرِلُ النَّاسَ فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا أَنْ تَدْعُوهُ لِشَهَادَةِ فَدَخَلَ مَعَهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةٌ خَمْرٌ فَقَالَتْ إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِشَهَادَةٍ وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ أَوْ تَشْرَبَ هَذَا الْخَمْرَ فَسَقَتْهُ كَأْسًا فَقَالَ زَيْدُونِي فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ النَّفْسَ فَاجْتَنَبُوا الْخَمْرَ فَأَنَّهَا لَا تَجْتَمِعُ هِيَ وَالْإِيمَانُ أَبَدًا إِلَّا أَوْشَكَ أَحَدُهُمَا أَنْ يُخْرِجَ صَاحِبَهُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَالْحَاكِمِيُّ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَنَاسًا جَلَسُوا بَعْدَ

وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا أَعْظَمَ الْكِبَائِرِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِيهَا عِلْمٌ فَأَرْسَلُونِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَسْأَلُهُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أَعْظَمَ الْكِبَائِرِ شُرْبُ الْخَمْرِ فَأَتَيْتُهُمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ وَوَثَبُوا إِلَيْهِ جَمِيعاً حَتَّى أَتَوْهُ فِي دَارِهِ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنْ مَلَكَأَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذَ رَجُلًا فَخَيْرُهُ بَيْنَ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ أَوْ يَقْتَلَ نَفْسًا أَوْ يَزْنِي أَوْ يَأْكُلَ لَحْمَ خَنْزِيرٍ أَوْ يَقْتُلُوهُ فَاخْتَارَ الْخَمْرَ وَأَنَّهُ لَمَّا شَرِبَهَا لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَرَادُوهُ مِنْهُ » .

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْرَبُهَا فَتُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَلَا يَمُوتُ فِي مِائَتَةِ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا حُرِّمَتْ بِهَا عَلَيْهِ الْجَنَّةُ ، فَإِذَا مَاتَ فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » .

وَفِي تَصْوِيرِ أَمْرِ الْخَمْرِ يَقُولُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَوْ وَقَعَتْ قَطْرَةٌ مِنْهَا فِي بَثْرٍ فَبَيَّنَتْ عَلَيْهِ مَنَارَةَ لَمْ أَوْذَنْ عَلَيْهَا ، وَلَوْ وَقَعَتْ فِي بَحْرِ فَجَفَّ فَنَبَتَ الْكَلَّا لَمْ أَرْعَهُ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَوْ دَخَلَتْ أَصْبُعِي فِيهَا لَمْ تَتَّبِعْنِي قَالَ بَعْضُهُمْ مُحَذِرًا عَنِ الْخَمْرِ :

وَأَنَّ الْعُمَرَ مُعْظَمُهُ تَقَلُّصُ	إِلَامٍ وَأَنْتَ فِي زَهْوٍ وَلَهْوٍ
نَدِيمِكَ مَنْ إِلَى الْفَحْشَا تَرَبُّصُ	تُعَاقِرُ خَنْدَرِيْسَ السُّوءِ دَوْمًا
وَتُوَصِّلُ كُلَّ سِكِّيرٍ تَمَلُّصُ	وَتَهْجُرُ كُلَّ ذِي هَدْيٍ قَوِيمٍ
ضَلَلْتَ عَنِ الْهَدَايَةِ يَا مُنْعَصُ	بِذَا أَطْفَأَتْ نُورَ الْعَقْلِ حَتَّى
لَهُ نُورُ الْهُدَى بِالْحَقِّ حَصْحَصُ	أَنْزِ بِإِنَابَةِ اللَّهِ عَقْلًا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لَنَا قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْتِمِعْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَّبه أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ أَنْمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْخَمْرَ ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَضْرَارِ وَالْأَخْطَارِ ، وَمَا مَنَعَكُمْ مِنْ شُرْبِهَا إِلَّا لِمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ

والشُّرُورِ والأَضْرَارِ، فَشَارِبُ الخَمْرِ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَائِعُهَا ، وَشَارِيهَا ، وَعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا ، وَسَاقِيهَا ،
 وَحَامِلُهَا ، وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ ، وَمُذْمِنٌ شُرْبِهَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بَلْ يَدْخُلُ
 النَّارَ وَيُسْقَى مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ ، عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ ، وَوَرَدَ أَنَّ مُذْمِنُ الخَمْرِ
 كَعَابِدٍ وَثْنٍ فَشَارِبُ الخَمْرِ مُفْسِدٌ لِدِينِهِ ، وَمُفْسِدٌ لِجَسْمِهِ ، وَصِحَّتِهِ ،
 وَجَانٍ عَلَى نَفْسِهِ ، وَعَلَى أَوْلَادِهِ ، وَأَقَارِبِهِ ، وَأَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَمُفْرَطٌ فِي مَالِهِ
 وَمُسْرِفٌ فِيهِ وَعَابِثٌ بِكَرَامَتِهِ ، وَسَاعٍ إِلَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ بِيَدِهِ ، وَرَجُلِهِ ،
 وَلِسَانِهِ ، وَصَائِلٌ ، حَيْثُ ، عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْأَذْيَانِ شَارِبُ الخَمْرِ عَضُوٌّ
 مَسْمُومٌ فِي جِسْمِ مُوَاطِنِيهِ ، إِذَا لَمْ يُبَادِرُوهُ بِالْعِلَاجِ أَوْ يَقَطَعُوهُ أَصَابَهُمْ
 ضَرَرُهُ ، شَارِبُ الخَمْرِ يُزِينُ الشَّرَّ وَيُحَسِّنُهُ ، لِيْنِيهِ ، وَبَنَاتِهِ ، وَأَصْدِقَائِهِ
 وَيَدْعُوهُمْ بِلِسَانِ حَالِهِ وَمَقَالِهِ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ دَاعِيَ الْفَسَادِ مُجَابٌ فِي
 كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأَنْصَارُهُ بِلَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانٍ ، وَإِذَا دَبَّتِ الخَمْرُ فِي رَأْسِ
 شَارِبِهَا فَقَدْ شَعْرَهُ ، وَزَنَى ، وَلاَطَ ، أَوْ لِيَطَ بِهِ ، وَجَاءَ بِأَنْوَاعِ الْفُحْشِ ،
 وَالْفُجُورِ ، وَسَبَّ وَشْتَمَ ، وَقَذَفَ ، وَلَعَنَ ، وَطَلَّقَ وَسَبَّ السُّدَيْنَ
 وَالْمُسْلِمِينَ ، بَلْ رُبَّمَا وَقَعَ عَلَى أُمِّهِ ، أَوْ بِنْتِهِ أَوْ أُخْتِهِ أَوْ عَلَى نِسَاءِ
 جِيرَانِهِ ، أَوْ عَلَى بَهَائِمِهِ ، وَرُبَّمَا كَفَرَ بِاللَّهِ وَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَتَرَكَ
 الصَّلَاةَ ، وَأَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ ، وَسَبَّ الْقُرْآنَ ، وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ مَنْ تَعَاطَى
 الخَمْرَ سَقَطَ مِنْ شَاهِقِي مَجْدِهِ إِلَى مُسْتَوَى الْخَنَازِيرِ ، وَالْقَرْدَةَ يُصَدِّقُ بِهَذَا
 مَنْ عَايَنَ شَارِبَ الخَمْرِ وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الشَّرَابُ وَعَطَى عَقْلَهُ فَتَرَى مَنْ
 يَقُودُهُ مُتَعَبٌ ، يَجْرُهُ كَمَا يَجْرُ الدَّابَّةُ الْحَرُونَ بَلْ الدَّابَّةُ تَمْشِي أَحْيَانًا هَادِئَةً
 إِذَا جُرَّتْ لَا تُتْعَبُ الْقَائِدَ دَائِمًا ، وَأَمَّا السَّكَرَانُ فَيَمِيلُ بِقَائِدِهِ هَكَذَا
 وَهَكَذَا ، حَتَّى يَكْلِفُهُ مَتَاعِبَ عَظِيمَةٍ ، وَالدَّابَّةُ إِذَا رَأَتْ حُفْرَةً اِمْتَنَعَتْ عَنْهَا
 وَتَبَاعَدَتْ عَنْهَا ، أَمَّا شَارِبُ الخَمْرِ فَتَكُونُ الْحُفْرَةُ أَمَامَهُ ، وَيَسْقُطُ فِيهَا ،
 وَالدَّابَّةُ رُبَّمَا دَافَعَتْ عَنْ طَعَامِهَا وَشَارِبُ الخَمْرِ تُسَلِّبُ مِنْهُ النُّقُودَ ، وَلَا

يَحْصُلُ مِنْهُ أَدْنَى مُمَانَعَةٍ ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْبَهِيمَةَ أَرْجَحُ وَأَحْسَنُ حَالًا مِنْهُ ، وَقَدْ قَالَ الْخَبِيرُ بِأَحْوَالِ شُرَابِ الْخَمْرِ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ السَّكِّيرِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى قَهْقَهْتِهِ ، وَضَجِّهِ ، وَالْحَمَارُ يُوَالِي الصَّفَعَاتِ عَلَى قَفَاهُ ، وَلْيَنْظُرْ رَقْصَهُ أَمَامَ الْبُزُورِ ، كَأَنَّهُ قِرْدٌ يَرْقُصُهُ صَاحِبُهُ ، لِيُضْحَكَ مَنْ يَرَاهُ ، وَلْيَنْظُرْهُ وَهُوَ يَجْرِي وَرَاءَ أُمِّهِ ، أَوْ بِنْتِهِ ، لِيَقْضِي مِنْهَا حَاجَتَهُ ، وَمَنَاهُ ، وَلْيَنْظُرْهُ وَأَمْرَأَتَهُ تَكْنِسُ مَلَا بَسَهُ ، وَتَمْسُحُهَا مِنَ الْأَوْسَاحِ ، الَّتِي يَقْدِفُهَا عَلَى ثِيَابِهِ ، وَالْقَادُورَاتِ ، هَذَا قَدْرُ شَارِبِ الْخَمْرِ عِنْدَنَا ، أَمَّا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ كَعَابِدٍ وَثِنٍ مَلْعُونٍ ، نَسَأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَعْصِمَنَا وَأَخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا وَمَنْ سَاطِرِ الْمَعَاصِي وَأَنْ يُلْطَفَ بِنَا وَيُؤَفِّقَنَا شِعْرًا :

أَتَعَصَى اللَّهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا
وَتَحَلُّوا بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ
وَتُنَكِّرُ فِعْلَهَا وَلَهُ شُهُودٌ
فَوَيْلَ الْعَبْدِ مِنْ صُحْفٍ فِيهَا
وَيَا حَزْنَ الْمُسِيِّ لَشُؤْمِ ذَنْبٍ
وَيَنْدَمُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ قَوْتٍ
يَعْضُ يَدَيْهِ مِنْ أَسْفٍ وَحُزْنٍ
فَكُنْ بِاللَّهِ ذَا ثِقَةٍ وَحَادِرٍ
وَيَادِرْ بِالْمَتَابِ وَأَنْتَ حَيٌّ
وَتَقْفُ الْمُصْطَفَى خَيْرَ الْبَرَايَا
عَلَيْهِ مِنَ الْمُهْبَمِينَ كُلِّ وَقْتٍ
وَتَنْسَى فِي عَدِّ حَقًّا لِقَاءَهُ
إِلَيْكَ وَلَسْتَ تَحْشَى مِنْ سَطَاهُ
عَلَى الْإِنْسَانِ تَكْتُبُ مَا حَوَاهُ
مَسَاوِيهِ إِذَا وَافَى مَسَاهُ
وَيَعْدُ الْحُزْنَ يَكْفِيهِ جَوَاهُ
وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجِدِي بُكَاهُ
وَيَنْدَمُ حَسْرَةً بِمَا دَهَاهُ
هُجُومَ الْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَاهُ
لَعَلَّكَ أَنْ تَنَالَ بِهِ رِضَاهُ
رَسُولًا قَدْ حَبَاهُ وَاجْتَبَاهُ
سَلَامٌ عَطَّرَ الدُّنْيَا شَذَاهُ

اللهم يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا الجلال والاکرام اللهم اذقنا عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَأَسْأَلُكَ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلَنَا بِلُطْفِكَ وَأَحْسَانِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعَدُ عَن طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ وَثِّبْ مَحَبَّتَكَ فِي

قُلُوبِنَا وَقُوَّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَضْلٌ: وَأَعْلَمَ أَنَّ الْخَمْرَ نَجِسَةٌ يُغْسَلُ مَا أَصَابَتْهُ مِنْ بَدَنِ أَوْ ثَوْبٍ أَوْ إِنَاءٍ
وَيُصَبُّ عَلَى مَا أَصَابَتْهُ مِنَ الْأَرْضِ مَاءً كَنَجَاسَةِ الْبَوْلِ لِمَا فِي حَدِيثِ أَبِي
ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بَارِضٌ قَوْمٌ أَهْلُ كِتَابٍ يَأْكُلُونَ
الْخِنْزِيرَ وَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ أَفَنَأْكُلُ فِي آيَاتِهِمْ قَالَ « لَا ، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا
غَيْرَهَا ، فَاغْسِلُوهَا ثُمَّ كُلُوا فِيهَا » .

وَلَا يَجُوزُ التَّدَاوِيُّ بِالْخَمْرِ لِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ
سُوَيْدِ الْجَعْفِيِّ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَمْرِ فَنَهَاهُ أَوْ
كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا فَقَالَ أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ « أَنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ »
وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً ،
فَتَدَاوُوا وَلَا تَدَاوُوا بِالْمُحْرَمِ » .

وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ
شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَفِي السُّنَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّوَاءِ الْحَبِيثِ وَفِي السُّنَنِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ الْخَمْرِ يُجْعَلُ فِي الدَّوَاءِ؟ فَقَالَ « إِنَّهَا دَاءٌ ، وَلَيْسَتْ
بِالدَّوَاءِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَيُذَكَّرُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ « مَنْ تَدَاوَى بِالْخَمْرِ فَلَا شِفَاءَ اللَّهُ » .

وَقَدْ نَبَّهَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى جَانِبِ نَفْسِي هَامٌ ، فَقَالَ :
وَهَهُنَا سِرٌّ لَطِيفٌ فِي كَوْنِ الْمُحْرَمَاتِ لَا يُسْتَشْفَى بِهَا فَإِنْ شَرَطَ الشِّفَاءُ
بِالدَّوَاءِ تَلَقَّيْهِ بِالْقَبُولِ وَاعْتِقَادِ مَنْفَعَتِهِ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ بَرَكَةِ الشِّفَاءِ فَإِنَّ

النَّافِعَ هُوَ الْمَبَارَكُ وَأَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ أَبْرُكُهَا وَالْمَبَارَكُ مِنَ النَّاسِ هُوَ الَّذِي يُتَنَفَعُ بِهِ حَيْثُ حَلَّ وَمَعْلُومٌ أَنَّ اعْتِقَادَ الْمُسْلِمِ تَحْرِيمُ هَذِهِ الْعَيْنِ مِمَّا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اعْتِقَادِ بَرَكَتِهَا وَمَنْفَعَتِهَا وَبَيْنَ حُسْنِ ظَنِّهِ بِهَا وَتَلَقِّي طَبْعِهِ لَهَا بِالْقَبُولِ . بَلْ كُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَعْظَمَ إِيمَانًا كَانَ أَكْرَهَ لَهَا وَأَسْوَأَ اعْتِقَادًا فِيهَا وَطَبْعُهُ أَكْرَهَ شَيْءٍ لَهَا ، فَإِذَا تَنَاوَلَهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ كَانَتْ دَاءً لَا دَوَاءَ ، إِلَّا أَنْ يَزُولَ اعْتِقَادُ الْخُبْثِ فِيهَا وَسُوءُ الظَّنِّ وَالْكَرَاهَةِ بِالْمَحَبَّةِ وَهَذَا يُنَافِي الْإِيمَانَ فَلَا يَتَنَاوَلُهَا الْمُؤْمِنُ قَطُّ إِلَّا عَلَى وَجْهِ أَنَّهَا دَاءٌ انْتَهَى .

وَمِنْ ذَلِكَ تِلْكَ الْمَوَادِّ الَّتِي تُعْرَفُ بِاسْمِ الْمُخَدَّرَاتِ مِثْلِ الْحَشِيشِ ، وَالْكُوكَايِينِ ، وَالْأَفْيُونِ وَنَحْوَهَا ، مِمَّا عُرِفَ أَثَرُهَا عِنْدَ مُتَعَاظِمِهَا أَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي الْعَقْلِ فَيَرَى الْبَعِيدَ قَرِيبًا وَبِالْعَكْسِ الْقَرِيبَ بَعِيدًا وَيَذْهَلُ عَنِ الْوَاقِعِ وَيَسْخُلُ مَا لَيْسَ بِوَاقِعٍ وَيَسْبَحُ فِي بَحْرِ مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْأَحْلَامِ وَهَذَا مَا يُرِيدُ مُتَعَاظِمِهَا لِأَجْلِ أَنْ يَذْهَبُوا أَنْفُسَهُمْ وَيَنْسُوا دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ وَيَهَيِّمُوا فِي أَوْدِيَةِ الْخِيَالِ .

وَهَذَا غَيْرُ مَا تُحَدِّثُهُ مِنْ فُتُورٍ فِي الْجِسْمِ وَخَدِرٍ فِي الْأَعْصَابِ ، وَهَبُوطٍ فِي الصَّحَّةِ وَفَوْقَ ذَلِكَ مَا تُحَدِّثُهُ مِنْ خَوَرٍ فِي النَّفْسِ وَتَحَلُّلِ الْإِرَادَةِ ، وَتَمْيِيعِ لِلْخَلْقِ وَتَضْعِيفِ لِلشُّعُورِ بِالْوَاجِبِ مِمَّا يَجْعَلُ هَوَؤُا لَئِ التُّعَسَاءِ الْمُذْمَنِينَ لَهَا أَعْضَاءَ مُضِرَّةً بِالْمُجْتَمَعِ فَضْلًا عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ إِتْلَافِ الْأَمْوَالِ وَخَرَابِ الْبُيُوتِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي فَتَاوِيهِ مَا خُلَاصَتُهُ : إِنَّ هَذِهِ الْحَشِيشَةَ الْمَلْعُونَةَ هِيَ وَأَكْلُوهَا وَمُسْتَحْلُوهَا الْمَوْجِبَةَ لِسَخَطِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَسَخَطِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَعْرُضَةَ صَاحِبِهَا لِعُقُوبَةِ اللَّهِ تَشْتِمِلُ عَلَى ضَرَرٍ فِي دِينِ

المرءِ وَعَقْلِهِ وَخَلْقِهِ وَطَبِيعِهِ وَتَفْسِيدُ الْأَمْزَجَةِ ، حَتَّى جَعَلَتْ خَلْقًا كَثِيرًا مَجَانِينَ ،
وَتَوَرَّثَ مِنْ مَهَانَةِ آكِلِيهَا وَدَنَاءَةِ نَفْسِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

فَضَرَّرَهَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ أَعْظَمُ مِنَ الْخَمْرِ وَلِهَذَا قَالَ الْفُقَهَاءُ إِنَّهُ
يَجِبُ فِيهَا الْحَدُّ كَمَا يَجِبُ فِي الْخَمْرِ ، وَالسُّكْرُ مِنْهَا حَرَامٌ بِاتِّفَاقِ
الْمُسْلِمِينَ .

وَمَنْ اسْتَحَلَّ ذَلِكَ وَزَعَمَ أَنَّهُ حَلَالٌ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَالْأَقْتِيلَ
مُرْتَدًّا لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ .

إِلَى كَمْ ذَا التَّمَادِي بِالدَّسَائِسِ وَأَنْتَ بِحِمَاةِ الْبُهْتَانِ غَاطِسٍ
تُسَاعِدُ كُلَّ نَمَامٍ بِإِفْكِ وَتَغْتَالُ الْأَكَارِمَ وَالْأَوَانِسِ
تَسَابِقُ كُلَّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ فِتَنِ الْوَسَاوِسِ
أَضَعْتَ الْعُمْرَ فِي زُورٍ وَوَزَرَ وَلَهُوَ مَعَ ذَوِي الْغَدْرِ الْأَبَالِسِ
فَعَجَّلَ بِالْمَتَابِ لِئَلَّا يَنْفِرَ لِسْتُحْبِي مِنْ جَنَامَا أَنْتَ غَارِسِ

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

فصل في بعض مضار الخمر

وَنَسُوقُ إِلَيْكَ نُمُودَجًا مِنْ مَضَارِّ الْخَمْرِ مِمَّا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَطِبَّاءُ :

- ١ - أنها فسَادٌ فِي الدِّينِ .
- ٢ - أنها فسَادٌ فِي الْأَخْلَاقِ .
- ٣ - أنها فسَادٌ فِي الْعَقْلِ .
- ٤ - أنها فسَادٌ فِي الْجِسْمِ تُحَطِّمُ قُوَّتَهُ وَتَهْدِمُ بِنْيَتَهُ وَتُسَقِّمُ الْجَسَدَ .
- ٥ - أنها فسَادٌ فِي الدُّرِّيَّةِ .

- ٦ - أنها جنايةٌ على الشرف .
- ٧ - أن الخمر رجسٌ من عمل الشيطان .
- ٨ - أنها نجسة ، تُنجس ما اتصلت به .
- ٩ - أنها تورث الذل والمهانة .
- ١٠ - أن ضررها متعد .
- ١١ - أنها تضر اقتصادياً .
- ١٢ - ما فيها من الضرر الاجتماعي .
- ١٣ - أن الجهاز الهضمي يصاب بالنزلة المعوية الحادة فيحصل فسادٌ في الهضم وخمودٌ في المعدة والتهابٌ في الأمعاء واستحالةٌ في منسوج الكبد وتيسرٌ والتهابٌ وتغيرٌ فيه وأخيراً تفتت الكبد وتلف وتنتهي حياته .
- ١٤ - أن الجهاز البولي والتناسلي يحصل فيه تنبه ، ينشأ عنه التهاب الكلى وفساد منسوجها وضعف الانعاط وضياع محصل النسل .
- ١٥ - الجهاز العصبي : يصاب المخ باضطراب يكون منه الجنون السكري والخوف والخيالات المختلفة كروية الهيات الشيعية والارتعاش وفقد الاحساس والشلل المحدود الذي يؤول إلى شلل عمومي ، وقد تؤدي الخمر إلى الصراع ، والتشنج واستحالة المراكز العصبية المخية الشوكية وعلى العموم يحصل في البنية اضطراب تضعف أمامه عن مقاومة المؤثرات الخارجية .

١٦ - أَنَّهُ يَغْتَرِي الْقَلْبَ الضُّمُورُ وَالِاسْتِحَالَةُ الشَّحْمِيَّةُ فَيُنشَأُ عَنْ ذَلِكَ إِبْطَاءٌ فِي الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ بِالرَّئَةِ تَحْدُثُ عَنْهُ النَّزْلُ الشَّعْبِيَّةُ وَمَوْتُ الفُجَاءَةِ .

١٧ - أَنَّهُ يُسَبِّبُ انسِدَادَ فِي بَعْضِ أَوْعِيَةِ الرَّئَةِ وَذَلِكَ مَا تُعْرَفُ أَعْرَاضُهُ بِالسُّعَالِ .

١٨ - أَنَّهَا تُعْرِقُلُ هَضْمَ الطَّعَامِ فَيُنشَأُ عَنْ ذَلِكَ التُّخْمُ وَالْحُمُوضَةُ فِي المَعِدَةِ وَالْقَيْءُ .

١٩ - تُضْعِفُ المَنَاعَةَ ، وَتُخَدِّرُ الكُرَاتِ الدَّمَوِيَّةَ البَيْضَاءَ الَّتِي جَعَلَهَا اللّهُ حَارِسَةً لِجِسْمِ الْإِنْسَانِ .

٢٠ - التَّعْرِيضُ لِفَجَاءَةِ ذَهَابِ البَصَرِ .

٢١ - مُبَادَرَةُ انْقِطَاعِ شَهْوَةِ الجِمَاعِ وَسُرْعَةِ وَقُوفِ النُّسْلِ .

٢٢ - أَنَّ أَكْثَرَ حَوَادِثِ السِّيَرَاتِ مِنْ شُرَابِ الخَمْرِ وَالمَخْدَرَاتِ وَبِالْحَقِيقَةِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَصُدُّ الشَّارِبَ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ وَيُوقِعُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ وَسَخَطِهِ وَيُعْرِضُهُ لِخِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ يَزْتَكِبُ الكِبَائِرَ وَيَقْتَرِفُ الجَرَائِمَ وَالأثَامَ ، وَيَخْبِطُ فِي الحَرَامِ ، وَيَتَجَنَّبُ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنَ الأَحْكَامِ ، فَيَفْعَلُ نُكْرًا وَيَنْطِقُ بِالعِظَائِمِ مِنَ القَوْلِ وَالزُّورِ وَيَسُبُّ رَبَّهُ وَأمَّهُ وَأَبَاهُ وَيُطَلِّقُ وَيَزْنِي وَيَلُوطُ وَيَعْبَثُ بِالأَعْرَاضِ وَالكِرَامَاتِ وَيَتَلَفُ أَثَانَهُ وَأمُوالَهُ وَيُوسِّخُ ثِيَابَهُ وَيَبُولُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَبْكِي بِلا سَبَبٍ وَيَضْحَكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ فَتَهْزَأُ بِهِ الصَّبِيَّانُ وَيَعْبَثُ بِهِ الفُسَّاقُ وَيَسْخَرُ بِهِ السُّفَهَاءُ وَيَمَقْتُهُ العُقَلَاءُ وَيُبْغِضُهُ أَهْلُهُ لِلْخَطَرِ المَتَوَقَّعِ مِنْهُ فِي سُكْرِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَيَمَقْتُهُ

جِيرَانُهُ وَلَا يَأْمُونُونَ مِنْ وَثْبَاتِهِ إِذَا سَكِرَ وَلَا شَكَّ أَنْ فَتَكَ أُمَّ الْحَبَائِثِ الْخَمْرِ
أَشَدُّ مِنْ فَتَكِ الطَّاعُونَِ وَالْحَرْبِ وَالْمَجَاعَاتِ وَالْعَاهَاتِ لِأَنَّ ضَرَرَ الْخَمْرِ
اِقْتِصَادِيٌّ وَصَحِّيٌّ وَنَفْسِيٌّ وَاجْتِمَاعِيٌّ وَأَخْلَاقِيٌّ .

فَسَارِبُهَا عُضْوٌ مَسْمُومٌ فِي جِسْمِ أُمَّتِهِ وَمُوَاطِنِيهِ إِنْ لَمْ يُعَالَجْ أَوْ يُسَوَّى
لَهُ عَمَلِيَّةٌ وَيُقَطَّعَ ، سَرَى سُمُّهُ وَدَاوَهُ الْفَتَاكُ إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ وَأَثَرَ عَلَى
الْجِسْمِ كُلِّهِ : -

وَقِيلَ لِعَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ : مَالِكَ لَا تَشْرَبُ الْخَمْرَ . فَقَالَ : مَا أَحْبُّ
أَنْ أَصْبِحَ حَكِيمٌ قَوْمِي وَأُمْسِي سَفِيهَهُمْ وَكَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ يَجْمَعُ أَفَاضِلَ
دَوْلَتِهِ وَيُلْقِي عَلَيْهِمْ أَسْئَلَةً عِلْمِيَّةً يَتَعَرَّفُ بِهَا فَضْلَهُمْ فَيَوْمًا حَضَرَ هَذَا
الْمَجْلِسَ رَجُلٌ رَثٌّ الْهَيْئَةَ فَكَانَ إِذَا انْتَهَى الْعُلَمَاءُ مِنْ اجَابَتِهِمْ تَكَلَّمَ بِمَا
لَمْ يَحْمُ حَوْلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ حَالَهُ فِي كُلِّ سُؤَالٍ وَلَمَّا انْصَرَفَ
الْعُلَمَاءُ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرَفَ هُوَ أَيْضًا فَأَشَارَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَنْ لَا يَنْصَرَفَ فَلَمَّا
خَلِيَ أَدْنَاهُ الْمَلِكُ ثُمَّ أَدْنَاهُ حَتَّى اجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ كَأْسًا مِنْ
الْخَمْرِ فَاسْتَعْفَى فَالْحُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْرَبَهَا فَاسْتَعْفَى وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يُرِيدُهَا ثُمَّ
قَالَ لِلْمَلِكِ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي الْآنَ فِي مَجْلِسٍ يَحْسُدُنِي عَلَيْهِ النَّاسُ جَمِيعًا
وَهُوَ إِحْسَانٌ وَمَكَانٌ عَظِيمٌ لَمْ يُوصِلْنِي إِلَيْهِ إِلَّا عَقْلِي فَلَا أَسِيءُ إِلَى عَقْلِي
أَبَدًا بِاِحْتِسَاءِ كَأْسٍ مِنَ الْخَمْرِ يَقْضِي عَلَيْهِ فَازْدَادَ اعْتَجَابُ الْمَلِكِ بِهِ وَازْدَادَ
فَضْلًا عِنْدَهُ عَلَى فَضْلِهِ وَلَعَلَّهُ كَانَ يَخْتَبِرُهُ بِذَلِكَ .

وَخِتَامًا فَإِنَّ الْفَلَاحَ مَرْجُو حُصُولُهُ بِاجْتِنَابِهَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ وَلَا تَنَا فَيَأْخُذُوا عَلَى أَيْدِي السُّفَهَاءِ مِنَّا وَيُزِيلَ مَا
حَدَّثَ مِنْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَأَنْ يُوقِفَنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لَطَاعَتِهِ ، وَيَتُوفَانَا

مُسْلِمِينَ ، وَيُلْحِقْنَا بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ، وَيَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِهِ أَنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

« فصل في التحذير عن المسكرات »

وَإِيَّاكَ شُرْباً لِلْخُمُورِ فَإِنَّهَا
تُسَوِّدُ وَجْهَ الْعَبْدِ فِي الْيَوْمِ مَعَ غَدِ
الْآءِ إِنْ شُرِبَ الْخَمْرُ ذَنْبٌ مُعْظَمٌ
يُزِيلُ صِفَاتِ الْآدَمِيِّ الْمُسَدِّدِ
فَلِحَقِّ بِالْأَنْعَامِ بَلْ هُوَ دُونَهَا
يُخَلِّطُ فِي أَفْعَالِهِ غَيْرَ مُهْتَدٍ
وَيَسْخَرُ مِنْهُ كُلُّ رَأْيٍ لِسُوءِ مَا
يُعَايِنُ مِنْ تَخْلِيْطِهِ وَالتَّبَدُّدِ
يُزِيلُ الْحَيَا عَنْهُ وَيَذْهَبُ بِالْغِنَا
وَيُوقِعُ فِي الْفِحْشَا وَقَتْلِ الْمُعْرَبِدِ
وَكُلُّ صِفَاتِ الدَّمِ فِيهَا تَجَمَّعَتْ
كَذَا سُمِّيَتْ أُمَّ الْفُجُورِ فَاسْنِدِ
فَكَمْ آيَةٍ تُبَيِّنُ بِتَحْرِيمِهَا لِمَنْ
تَدْبُرُ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُمَجْدِ
وَقَدْ لَعَنَّ الْمُخْتَارُ فِي الْخَمْرِ نِسْعَةً
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ خَيْرِ مُرْشِدِ
وَأَقْسَمَ رَبُّ الْعَرْشِ أَنْ لِيُعَذِّبَنَّ
عَلَيْهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ مُحَمَّدِ
وَمَا قَدْ أَتَى فِي حَظْرِهَا بِالِغِ إِذَا
تَأَمَّلْتَهُ حَدَّ التَّوَاتُرِ فَاهْتَدِ

واجمع على تحريمها الناس كلهم
 فكفر مبجها وفي النار خلد
 وإذمانها إحدى الكبائر فاجتنب
 لعلك تحظى بالفلاح وتهتدي
 ويحرم منها النزر مثل كثيرها
 وليست دواء بل هي الداء فابعد
 فما جعل الله العظيم دواءنا
 بما هو محظور بملة أحمد
 وكل شراب إن تكثر مسكر
 يحرم منه النزر بالخمير فاعدد
 ومن أي شيء كان يحرم مطلقاً
 ولو كان مطبوخاً بغير تقييد
 فسيان من بر ومن ذرة ومن
 شعير وتمر أي وكل معود
 سوى لظماً المضطر إن مزجت بما
 يروى وللمغتص اجماً أزردي
 ثمانين فاجلد مسلماً شارباً رضى
 عليها باسكار الكثير المزبد
 ومن مات في حد بغير تزديد
 فلا غرم فيه وليغسل ويلحد

موعظة

عباد الله إن مفتاح سعادة المرء في دنياه وأخراه أن يراقب مولاه

بِحَيْثُ يَكُونُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أحوَالِهِ مُسْتَحْضِرًا عَظَمَةَ رَبِّهِ وَجَلَالَهَ وَلَا يَنْسَاهُ مُؤْمِنًا بِأَنَّهُ تَعَالَى يَرَاهُ أَيْنَمَا كَانَ وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْوَاهُ فَمَنْ كَانَ هَكَذَا أَوْرَثَهُ ذَلِكَ خَشْيَةَ رَبِّهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ ، فَإِذَا خَافَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ خَوْفًا صَاحِبِيحًا وَقَفَ وَلَا بُدَّ عِنْدَمَا حُدَّ لَهُ مِنْ حُدُودٍ يَفْعَلُ أَوَامِرَهُ وَيَجْتَنِبُ نَوَاهِيَهُ ، لَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا إِجْلَالُهُ لِرَبِّهِ ، وَمِنْ أبعَدِ البُعْدِ أَنْ يَقْرَبَ الْمَعْصِيَةَ مَنْ كَانَ هَكَذَا ، لِأَنَّهُ يَسْتَحْضِرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ ، وَيُوقِنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجَازِيهِ عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمَ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ فَإِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ لِلَّهِ تَعَالَى بِهِمْ عِنَايَةٌ فَوْقَ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْمُتَصَوِّرُونَ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَهُ عَنْ مَبْلَغِ هَذِهِ الْعِنَايَةِ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ مَعَهُمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِمَّا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنْ تَقْوَى وَاحْسَانٍ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا . فَمِنْ يَغْلِبُ التَّقِيَّ وَمَعَهُ الْقَاهِرُ الْغَلَّابُ وَمَنْ يُدْلُهُ وَمَعَهُ مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَنْ يُخَوِّجُهُ وَمَعَهُ مَنْ كُلُّ الْعَوَالِمِ تَتَقَلَّبُ فِي بَحْبُوحَةِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ الْبَاهِرُ ، وَمَنْ يُشْقِيهِ وَمَعَهُ مَنْ لَا سَعَادَةَ إِلَّا وَهِيَ مِنْ فَيْضِ كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ . فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ تَنَلُّ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : قَصِيدَةٌ وَعَظِيَّةٌ زُهْدِيَّةٌ أَلْقَى لَهَا سَمْعَكَ .

أَعَارَتْكَ دُنْيَا مُسْتَرِدُّ مَعَارُهَا	غَضَارَةٌ عَيْشٍ سَوْفَ يَذْوِي أَخْضِرَارُهَا
وَهَلْ يَتَمَنَّى الْمُحَكَّمُ الرَّأْيِ عَيْشَةً	وَقَدْ حَانَ مِنْ دُهْمِ الْمَنَايَا مَزَارُهَا
وَكَيْفَ تَلَذُّ الْعَيْنُ هَجْعَةَ سَاعَةٍ	وَقَدْ طَالَ فِيهَا عَايَتُهُ اعْتِبَارُهَا
وَكَيْفَ تَقْرُّ النَّفْسُ فِي دَارِ نُقْلَةٍ	قَدْ اسْتَيْقَنَتْ أَنْ لَيْسَ فِيهَا قَرَارُهَا

وَأَيَّهَا فِي الْأَرْضِ خَاطِرُ فِكْرَةٍ
 أَلَيْسَ لَهَا فِي السَّعْيِ لِلْفَوْزِ شَاغِلٌ
 فَخَابَتْ نَفُوسٌ قَادَهَا هُوَ سَاعَةً
 لَهَا سَائِقٌ حَادٍ حَيْثُ مُبَادِرٌ
 تُرَادُ لِأَمْرٍ وَهِيَ تَطْلُبُ غَيْرَهُ
 أُمْسِرَعَةٌ فِيمَا يَسُوءُ قِيَامُهَا
 تُعْطَلُ مَفْرُوضًا وَتَعْنَى بِفَضْلَةٍ
 إِلَى مَا لَهَا مِنْهُ الْبَلَاءُ سُكُونُهَا
 وَتُعْرَضُ عَنْ رَبِّ دَعَاهَا لِرُشْدِهَا
 فَيَأْتِيهَا الْمَغْرُورُ بَادِرٌ بَرَجَعَةٍ
 وَلَا تَتَخَيَّرُ فَانِيًا دُونَ خَالِدٍ
 أَتَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا تَرَكْتَهُ
 وَتَرَكِ بَيْضَاءَ الْمَنَاهِجِ ضَلَّةً
 تُسَرُّ بِلَهُوَ مُعَقَّبٍ بِنَدَامَةٍ
 وَتَفْتَى اللَّيَالِي وَالْمَسْرَاتُ كُلُّهَا
 فَهَلْ أَنْتَ يَا مَغْبُونٌ مُسْتَيْقِظٌ فَقَدْ
 فَعَجَّلَ إِلَى رِضْوَانِ رَبِّكَ وَاجْتَنَبَ
 تَجَدُّ مُرُورِ الدَّهْرِ عَنْكَ بِلَاعِبٍ
 فَكَمْ أُمَّةٍ قَدْ غَرَّهَا الدَّهْرُ قَبْلَنَا
 تَذَكَّرْ عَلَى مَا قَدْ مَضَى وَاعْتَبِرْ بِهِ
 تَحَامَى ذُرَاهَا كُلَّ بَاغٍ وَطَالِبٍ
 تَوَافَتْ بِيْطْنِ الْأَرْضِ وَأَنْشَتْ شَمْلُهَا
 وَكَمْ رَاقِدٍ فِي عَقْلَةٍ عَنْ مَنِيَّةٍ

وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ أَيْنَ مَحَارُهَا
 أَمَا فِي تَوْقِيهَا الْعَذَابَ أَرْدَجَارُهَا
 إِلَى حَرِّ نَارٍ لَيْسَ يَطْفَى أَوَارُهَا
 إِلَى غَيْرِ مَا أَضْحَى إِلَيْهِ مَدَارُهَا
 وَتَقْصِدُ وَجْهًا فِي سِوَاهُ سِفَارُهَا
 وَقَدْ أَيَقَنْتَ أَنَّ الْعَذَابَ قُصَارُهَا
 لَقَدْ شَفَّهَا طُغْيَانُهَا وَاغْتَارُهَا
 وَعَمَّا لَهَا مِنْهُ النَّجَاحُ نِفَارُهَا
 وَتَتَّعُ دُنْيَاً جَدًّا عَنْهَا فِرَارُهَا
 فَلِلَّهِ دَارٌ لَيْسَ تَحْمُدُ نَارُهَا
 دَلِيلٌ عَلَى مَحْضِ الْعُقُولِ اخْتِيَارُهَا
 وَتَسْلُكُ سُبُلًا لَيْسَ يَخْفَى عَوَارُهَا
 لِبُهْمَاءٍ يُؤْذِي الرَّجُلَ فِيهَا عَثَارُهَا
 إِذَا مَا انْقَضَى لَا يَنْقُضِي مُسْتَشَارُهَا
 وَتَبْقَى تَبَاعَاتُ الذُّنُوبِ وَعَارُهَا
 تَبِينُ مِنْ سِرِّ الْخُطُوبِ اسْتِتَارُهَا
 نَوَاهِيَهُ إِذْ قَدْ تَجَلَّى مَنَارُهَا
 وَتُغْرِي بِدُنْيَا سَاءَ فِيكَ سِرَارُهَا
 وَهَاتِيكَ مِنْهَا مُقْفِرَاتُ دِيَارُهَا
 فَإِنَّ الْمُدَكِّيَ لِلْعُقُولِ اعْتِبَارُهَا
 وَكَانَ ضَمَانًا فِي الْأَعَادِي انْتِصَارُهَا
 وَعَادَ إِلَى ذِي مُلْكَةٍ مُسْتَعَارُهَا
 مُشْمَرَةٌ فِي الْقُصْدِ وَهُوَ سِعَارُهَا

وَمَظْلَمَةٍ قَدْ نَاهَا مُتَسَلِّطٌ
 أَرَاكَ إِذَا حَاوَلْتَ دُنْيَاكَ سَاعِيًا
 وَفِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ يُقْعِدُكَ الْوَنَى
 تُحَاذِرُ إِخْوَانًا سَتَفَنَى وَتَنْقُضِي
 كَأَنِّي أَرَى مِنْكَ التَّبَرُّمَ ظَاهِرًا
 هُنَاكَ يَقُولُ الْمَرْءُ مَنْ لِي بِأَعْصُرِ
 تَبَّهَ لِيَوْمٍ قَدْ أَظْلَكَ وَرَدَّهُ
 تَبْرًا فِيهِ مِنْكَ كُلُّ مُخَالِطٍ
 فَأُودِعْتُ فِي ظِلْمًا ضَنْكَ مَقْرُهَا
 تُنَادِي فَلَا تَدْرِي الْمُنَادِي مُفْرَدًا
 تُنَادِي إِلَى يَوْمٍ شَدِيدٍ مُفْرَعٍ
 إِذَا حُشِرْتُ فِيهِ الْوُحُوشُ وَجُمِعَتْ
 وَزِينَتُ الْجَنَّاتِ فِيهِ وَأُزْلِفَتْ
 وَكُورَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ بِالضُّحَى
 لَقَدْ جَلَّ أَمْرُكَ كَانِ مِنْهُ انْتِظَامُهَا
 فَإِمَّا لِدَارٍ لَيْسَ يَفْنَى نَعِيمُهَا
 بِحَضْرَةِ جَبَّارٍ رَفِيقٍ مُعَاقِبٍ
 وَيَنْدَمُ يَوْمَ الْبَعْثِ جَانِي صِغَارُهَا
 سَتُغْبَطُ أَجْسَادٌ وَتُحْيَا نُفُوسُهَا
 إِذَا حَفُّهُمْ عَفْوُ الْإِلَهِ وَفَضْلُهُ
 يَفْرُ بَنُو الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ الَّتِي
 هِيَ الْأُمُّ خَيْرُ الْبَرِّ فِيهَا عَقُوقُهَا

مُذَلُّ بَأَيْدٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ثَارُهَا
 عَلَى أَنَّهَا بَادٍ إِلَيْكَ أَرْوَارُهَا
 وَتُبْدِي أَنَاةً لَا يَصِحُّ اعْتِدَارُهَا
 وَتَنْسَى الَّتِي فَرَضَ عَلَيْكَ حِدَارُهَا
 مُبِينًا إِذَا الْأَقْدَارُ حُلَّ اضْطِرَّارُهَا
 مَضَتْ كَانِ مَلِكًا فِي يَدَيَّ خِيَارُهَا
 عَصِيبُ يُوَافِي النَّفْسَ فِيهِ اخْتِصَارُهَا
 وَإِنَّ مِنَ الْأَمَالِ فِيهِ انْتِهَارُهَا
 يَلُوحُ عَلَيْهَا لِلْعُيُونِ اغْتِرَارُهَا
 وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الْحَيَاةِ خَمَارُهَا
 وَسَاعَةٌ حَشْرٍ لَيْسَ يُحْفَى اشْتِهَارُهَا
 صَحَائِفُنَا وَإِنشَالُ فِينَا انْتِشَارُهَا
 وَأَذْكِي مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ اسْتِعَارُهَا
 وَأَسْرِعُ مِنْ زُهْرِ النُّجُومِ انْكِدَارُهَا
 وَقَدْ عُطِلَتْ مِنْ مَالِكِيهَا عِشَارُهَا
 وَإِمَّا لِدَارٍ لَا يُفَكُّ إِسَارُهَا
 فَتُحْصَى الْمَعَاصِي كُبْرُهَا وَصِغَارُهَا
 وَتَهْلِكُ أَهْلِيهَا هُنَاكَ كِبَارُهَا
 إِذَا مَا اسْتَوَى أَسْرَارُهَا وَجَهَارُهَا
 وَأَسْكَنَهُمْ دَارًا حَلَالًا عَقَارُهَا
 يُظَنُّ عَلَى أَهْلِ الْحِظْوِظِ اقْتِصَارُهَا
 وَلَيْسَ بَعِيرِ الْبَدْلِ يُحْمَى ذِمَارُهَا

فَمَا نَالَ مِنْهَا الْحِظَّ إِلَّا مُهِينًا
تَهَافَّتَ فِيهَا طَامِعٌ بَعْدَ طَامِعٍ
تَطَامَنُ لِعُغْمَرِ الْحَادِثَاتِ وَلَا تَكُنْ
وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهَا بِمَا تَرَى
رَأَيْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ يَبْغُونَ عُدَّةً
وَحَلُّوا طَرِيقَ الْقَصْدِ فِي مُبْتَغَاهُمْ
وَإِنِ الَّتِي يَبْغُونَ نَهَجَ بَقِيَّةِ
هَلِ الْعِزُّ إِلَّا هِمَّةٌ صَحَّ صَوْنُهَا
وَهَلْ رَابِحٌ إِلَّا أَمْرٌ مُتَوَكَّلٌ
وَيَلْقَى وِلَاةَ الْمَلِكِ خَوْفًا وَفِكْرَةً
عَيَانًا نَرَى هَذَا وَلَكِنَّ سَكْرَةً
تَدْبُرُ مِنَ الْبَانِي عَلَى الْأَرْضِ سَقْفَهَا
وَمَنْ يُمْسِكُ الْأَجْرَامَ وَالْأَرْضَ أَمْرُهُ
وَمَنْ قَدَّرَ التَّدْبِيرَ فِيهَا بِحِكْمَةٍ
وَمَنْ فَتَقَ الْأَمْوَاهَ فِي صَفْحِ وَجْهِهَا
وَمَنْ صَيَّرَ الْأَلْوَانَ فِي نَوْرِ نَبْتِهَا
فَمِنْهُمْ مَخْضَرٌ يَرُوقُ بِصَيْصُئِهِ
وَمَنْ حَفَرَ الْأَنْهَارَ دُونَ تَكْلِيفِ
وَمَنْ رَتَّبَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَ ابْتِضَاضُهَا
وَمَنْ خَلَقَ الْأَفْلَاكَ فَاْمْتَدَّ جَرْمِيًا
وَمَنْ إِنْ أُلْتِ بِالْعُقُولِ رَزِيَّةٌ
تَجِدُ كُلَّ هَذَا رَاجِعٌ نَحْوَ خَالِقِ

وَمَا الْهَلْكَ إِلَّا قُرْبُهَا وَاعْتِمَارُهَا
وَقَدْ بَانَ لِلُّبِ الذِّكْيِ اخْتِبَارُهَا
لَهَا ذَا اعْتِمَارٍ يَحْتَنِبُكَ غِمَارُهَا
فَقَدْ صَحَّ فِي الْعَقْلِ الْجَلِيِّ عِيَارُهَا
وَلَذَّةِ نَفْسٍ يُسْتَطَابُ اجْتِرَارُهَا
لِمَتَّبِعَةِ الصِّفَارِ جَمِّ صِغَارُهَا
مَكِينٍ لَطْلَابِ الْخِلَاصِ اخْتِصَارُهَا
إِذَا صَانَ هَمَّاتِ الرِّجَالِ انْكَسَارُهَا
قُنُوعِ غَنِيِّ النَّفْسِ بَادٍ وَقَارُهَا
تَضَيِّقُ بِهَا ذُرْعًا وَيَفْنَى اضْطِبَارُهَا
أَحَاطَتْ بِنَا مَا إِنْ يُفِيقُ خُمَارُهَا
وَفِي عِلْمِهِ مَعْمُورُهَا وَقِفَارُهَا
بِلَا عَمَدٍ يُبْنَى عَلَيْهِ قَرَارُهَا
فَصَحَّ لَدَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
فَمِنْهَا يُغَدِّي حَبُّهَا وَثِمَارُهَا
فَأَشْرَقَ فِيهَا وَرَدَّهَا وَبِهَارُهَا
وَمِنْهُمْ مَا يَغْشَى اللَّحَاطَ احْمَرَارُهَا
فَتَارَ مِنَ الصُّمِّ الصَّلَابِ انْفِجَارُهَا
غُدُوءًا وَيَبْدُو بِالْعَشِيِّ أَصْفَرَارُهَا
وَأَحْكَمَهَا حَتَّى اسْتَقَامَ مَدَارُهَا
فَلَيْسَ إِلَى حَيِّ سِوَاهُ انْفِثَارُهَا
لَهُ مُلْكُهَا مُنْقَادَةٌ وَائْتِمَارُهَا

أَبَانَ لَنَا الْآيَاتِ فِي أَنْبِيَائِهِ
فَأَنْطَقَ أَفْوَاهًا بِاللَّفَاطِ حِكْمَةً
وَأَبْرَزَ مِنْ صُمِّ الْحِجَارَةِ نَاقَةً
لِيُوقِنَ أَقْوَامٌ وَتَكْفُرَ عُصْبَةً
وَشَقَّ لِمُوسَى الْبَحْرَ دُونَ تَكْلُفٍ
وَسَلَّمَ مِنْ نَارِ الْأَنْوَقِ خَلِيلُهُ
وَنَجَّى مِنَ الطُّوفَانِ نُوحًا وَقَدْ هَدَّتْ
وَمَكَّنَ دَاوُدًا بِأَيْدٍ وَإِبْنَهُ
وَذَلَّلَ جِبَارَ الْبِلَادِ بِأَمْرِهِ
وَفَضَّلَ بِالْقُرْآنِ أُمَّةَ أَحْمَدٍ
وَشَقَّ لَهُ بَدْرَ السَّمَاءِ وَخَصَّهُ
وَأَنْقَذَنَا مِنْ كُفْرِ أَرْبَابِنَا بِهِ
فَمَا بَالُنَا لَا نَتْرُكُ الْجَهْلَ وَيُحْنًا

اللَّهُمَّ تُبَّ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحُ وَنَبْهَنَا مِنْ رَقَدَاتِ
الْغَفْلَاتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُسَامِحُ وَأَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلَّمْنَا مَا
يَنْفَعُنَا فَمِنْكَ الْفَضْلُ وَالْمَنَائِحُ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

فَضْلٌ فِي تَحْرِيمِ حَلْقِ اللَّحْيَةِ

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَالْبُعْدُ عَنْهُ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِهِ
حَلْقُ اللَّحْيَةِ وَقَصُّهَا وَنَتْفُهَا ، لِمَا يَأْتِي مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ .

... قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ
اللَّهُ : قِيلَ الرَّجَالُ بِاللَّحَى ، وَالنِّسَاءُ بِالذَّوَائِبِ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ وَقَالَ ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ
فَاتَّهُوا ﴾ وَقَالَ ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ، فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾
وَقَدْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ثَوْبَيْنِ
مُعْضَفَرَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ « إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسَهَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ ،
فَالْعَاقِلُ الْمُتَدَيِّنُ الْبَصِيرُ الْوَرِعُ يَبْعُدُ كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ تَقْلِيدِهِمْ ، وَالتَّشْبِيهِ
بِهِمْ ، وَالذُّنُوبُ إِلَى مُسْتَوَاهُمْ الْمُنْحَطِّ الشَّاذِّ ، وَإِلَيْكَ مَا وَرَدَ فِي التَّحْذِيرِ
عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ ، وَالْأَمْرُ بِمُخَالَفَتِهِمْ ، لِتَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ ،
وَتَفْهَمَ الْأَدْلَةَ وَتَنْصَحَ مَنْ رَأَيْتَهُ يُقْلِدُهُمْ وَيَتَشَبَّهُ بِهِمْ ، وَتُبَيِّنَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِعْفَاءِ اللَّحِيَّةِ ، وَمُخَالَفَةِ الْمُشْرِكِينَ ، فَعَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
« جُزُوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللَّحَى ، خَالِفُوا الْمَجُوسَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .
وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « خَالِفُوا
الْمُشْرِكِينَ ، وَفَرُّوا اللَّحَى ، وَأَخْفُوا الشَّوَارِبَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَرَوَى الْأَمَامُ
أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَعْفُوا
اللَّحَى ، وَجُزُوا الشَّوَارِبَ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » وَلِلْبَزَّارِ ، « لَا
تَشَبَّهُوا بِالْأَعَاجِمِ ، أَعْفُوا اللَّحَى » .

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ تَشَبَّهُ
بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَقَالَ أَيْضاً « إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبَغُونَ فَخَالِفُوهُمْ » رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَهَ بِغَيْرِنَا ، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا
النَّصَارَى » وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ « مَنْ تَشَبَهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ حُسِرَ
مَعَهُمْ » .

وَفِي كِتَابِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِلَى عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدَ :
وَأَيَّاكَ وَزِيَّ أَهْلِ الشُّرْكِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ رَجَمَهُ اللَّهُ : النَّهْيُ عَنِ التَّشْبُهِ بِالْعَجَمِ لِلتَّحْرِيمِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةَ رَجَمَهُ اللَّهُ :

التَّشْبُهُ بِالْكَفَّارِ مِنْهِيَ عَنْهُ بِالْأَجْمَاعِ . وَقَالَ عَلَى حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ
« مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » : وَقَدْ اِحْتَجَّ الْأَمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِهَذَا
الْحَدِيثِ ، قَالَ : وَهَذَا أَقْلُ أَحْوَالِهِ أَنَّهُ يَقْتَضِي تَحْرِيمَ التَّشْبُهِ بِهِمْ ، وَإِنْ
كَانَ ظَاهِرُهُ يَقْتَضِي كُفْرَ الْمُتَشَبِّهِ بِهِمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ انْتَهَى .

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ اسْحَاقَ وَابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِاعْفَاءِ لِحْيَتِي وَقَصِّ شَارِبِي » .

وَمِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ حَلْقِ اللَّحْيَةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« مَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » : وَمِنْ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعفَاءُ اللّٰحِيَةِ ، وَرَوَى الْاِمَامُ اَحْمَدُ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ بِاَسَانِيْدٍ جَيِّدَةٍ ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيْمَ اللّٰحِيَةِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَيَّ اَنَّهُ كَانَ يُعْفِيهَا ، وَلَا يَأْخُذُ مِنْهَا شَيْئًا ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيْرَ اللّٰحِيَةِ وَعَنْ اَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِحِيْتُهُ قَدْ مَلَأَتْ مِنْهَا هُنَا وَامْرِيْذُهُ عَلَيَّ عَارِضِيْهِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثُ اللّٰحِيَةِ ، تَمْلَأُ عَارِضِيْهِ ، وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ : قُلْنَا لِحَبَابِ ابْنِ الْاَرْتِ اَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْنَا لَهُ : بِمَ كُنْتُمْ تَعْرِفُوْنَ قِرَاءَتَهُ قَالَ : بِاضْطِرَابِ لِحِيْتِهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَسُئِلَ ابْنُ عَمْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : كَيْفَ كُنْتُمْ تَعْرِفُوْنَ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّرِّيَّةِ ؟ قَالَ : بِاضْطِرَابِ لِحِيْتِهِ .

وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُخَلِّلُ لِحِيْتَهُ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَيَّ عَظِيْمَتِهَا وَطُوْلِهَا ، وَعَنْ اَنَسٍ اَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اِذَا تَوَضَّأَ ، اَخَذَ كِفًا مِنْ مَاءٍ فَادْخَلَهُ تَحْتَ حَنْكِهِ ، فَخَلَّلَ بِهِ لِحِيْتَهُ ، وَقَالَ « هَكَذَا اَمْرِيْ رَبِّي » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ اَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ ، اَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ ، فَاِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيْبُ شَيْبَةً فِي الْاِسْلَامِ اِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » رَوَاهُ اَحْمَدُ وَابُو دَاوُدَ .

وَالَّذِي يَخْلِقُهَا قَدْ كَرِهَ الشُّعْرَ الْأَسْوَدَ ، فَضْلاً عَنِ الْأَبْيَضِ الَّذِي هُوَ
نُورُ الْمَسْلِمِ ، وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ ، عَنْ
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كُنَّا نَكْرَهُ أَنْ يَنْتِفِ الرَّجُلُ الشُّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِهِ
وَلِحْيَتِهِ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثَّ اللَّحْيَةِ ، وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ رَفِيقَ اللَّحْيَةِ ، وَكَانَ عَلِيٌّ عَرِيضَ اللَّحْيَةِ ، وَقَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « عَلَيَّكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ
الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ
وَمُحَدَّثَاتُ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ » الْخ وَمِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ
حَلْقِ اللَّحْيَةِ - مَعَ مَا تَقَدَّمَ ، وَأَنَّهُ تَشَبَّهُ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - أَنَّهُ
أَيْضاً تَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ .

وَبِالْأَمْرِ فِي عَدَمِ الشُّعْرِ بِالْوَجْهِ ، وَقَدْ وَرَدَ اللَّعْنُ لِلْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ
الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ، فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ
تَقَدَّمَتْ فِي فَصْلِ مُفْرَدٍ لَهَا .

وَأَيْضاً فَحَلْقُ اللَّحْيَةِ تَغْيِيرٌ لِخَلْقِ اللَّهِ وَتَمَثِيلٌ بِالشُّعْرِ ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« مَنْ مَثَلَ بِالشُّعْرِ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَلَاقٌ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ . قَالَ أَهْلُ
اللُّغَةِ : مَثَلَ بِالشُّعْرِ : صَيَّرَهُ مِثْلَهُ ، بَأَنَ حَلَقَهُ مِنَ الْخُدُودِ أَوْ نَتَفَهُ ، أَوْ
غَيْرَهُ بِالسُّوَادِ .

وَقَدْ عَمَّتْ هَذِهِ الْبَدْعَةُ فِي زَمَانِنَا ، وَانْتَشَرَتْ انْتِشَاراً يُؤَلِّمُ قَلْبَ كُلِّ

مُؤْمِنٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا التَّفَتَ إِلَى وُجُوهِ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَجَدَ الْأَكْثَرَ مِنْهُمْ مُغَيَّرًا لِمَا جَمَلَهُ اللَّهُ بِهِ ، وَجَعَلَهُ - لَوْ أَبْقَاهُ - دَاعِيًا إِلَى وَقَارِهِ وَاحْتِرَامِهِ وَهَيْبَتِهِ ، وَيَتَذَرُ جِدًّا أَنْ تَرَى وَجْهَ الْمُتَأَدِّبِ بِآدَابِ الشَّرِيعَةِ ، الَّذِي لَا يَتَعَرَّضُ لِلْحَيْثِيَّةِ بِحَلْقٍ وَلَا قَصٍّ وَلَا نَتْفٍ ، وَلَا تَسْوِيدٍ لِلشَّعْرِ الْأَبْيَضِ ، عَلَيْهِ مَا زَيَّنَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ سِيمَا الرَّجُولَةِ وَالْوَقَارِ حَيْثُ أَبْقَاهَا ، إِذْ هُوَ بِحَلْقِهَا يُزِيلُ جَمَالَهُ الشَّاهِدِ فِي بَقَائِهَا وَيُنْفِقُ مَالَهُ فِي حَلْقِهَا وَسَيَسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَهْدِمُ رُجُولَتَهُ ، وَيُعَدِّمُ هَيْبَتَهُ وَوَقَارَهُ ، وَيَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يَعِيشَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُتَشَبِّهًا بِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ الْإِفْرَنْجِ ، فَإِنَّ حَلْقَهَا عَلَامَتُهُمْ جَمِيعًا فِي هَذَا الزَّمَانِ كَمَا نُسَّاهِدُ وَأَمَّا أَعْفَاءُ اللَّحْيَةِ فَعَلَامَةُ الْمُرْسَلِينَ وَاتَّبَاعِهِمْ وَأَحْبَائِهِمْ السَّائِرِينَ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِسُلُوكِ مِنْهَاجِهِمْ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : ثُمَّ تَأَمَّلْ لِمَ صَارَتِ الْمَرْأَةُ وَالرَّجُلُ إِذَا أُدْرِكََا اشْتَرَكَا فِي نَبَاتِ الْعَانَةِ ثُمَّ يَنْفِرُ الرَّجُلُ عَنِ الْمَرْأَةِ بِاللَّحْيَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا جَعَلَ الرَّجُلَ قِيَمًا عَلَى الْمَرْأَةِ ، وَجَعَلَهَا كَالْخَوْلِ وَالْعَائِي فِي يَدَيْهِ ، مِيزَهُ عَلَيْهَا بِمَا فِيهِ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْعِزُّ وَالْوَقَارُ وَالْجَلَالَةُ ، لِكَمَالِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَى ذَلِكَ ، وَمُنِعَتْهَا الْمَرْأَةُ لِكَمَالِ الْإِسْتِمْتَاعِ بِهَا وَالتَّلَذُّدِ ، لِيَبْقَى نَضَارَةُ وَجْهِهَا وَحُسْنُهُ لَا يَشِينُهُ الشَّعْرُ . أَنْتَهَى .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلِّ : وَقَالَ فِي الدَّرِّ الْمُخْتَارِ وَأَمَّا الْأَخْذُ مِنْهَا وَهِيَ دُونَ الْقَبْضَةِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمَعَارِبِيِّةِ وَمُخْتَنَةِ الرِّجَالِ فَلَمْ يُبَحِّهُ أَحَدٌ أَهْلُ وَرَدِّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى قَاضِي الْمَدِينَةِ شَهَادَةً مَنْ كَانَ يَنْتَفُ لِحْيَتَهُ وَالْحَلْقُ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ ، لِأَنَّهُ لَا يُبْقَى شَيْئًا مِنْهَا .

وَقَالَ أَبُو شَامَةَ وَقَدْ حَدَّثَ قَوْمٌ يَخْلِقُونَ لِحَاهُمْ وَهُوَ أَشَدُّ مِمَّا نُقِلَ عَنْ
الْمَجُوسِ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْضُونَهَا وَقَالَ فِي التَّمْهِيدِ وَيَحْرُمُ حَلْقُ اللِّحْيَةِ
وَلَا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْمُخَشَّوْنَ مِنَ الرِّجَالِ ا هـ .

قال بعضهم :

أَلَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي جَرِّثُوا بِهِ وَجَزَّ لِبَعْضِ الرَّأْسِ فِعْلَ الْأَسَافِلِ
فَمَا الْعِزُّ فِي حَلْقِ اللَّحَا أَوْ خَنَافِسِ وَلَا شَرْبِ دَخَانِ هَوْتُهُ الْأَسَافِلِ
وَلَكِنَّهُ بِالْعِلْمِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقَى وَجُودٍ وَحِلْمٍ وَأَقْتِنَاءِ الْفَضَائِلِ

آخر :

لَيْسَ السِّيَادَةُ أَشْنَاباً مُفْتَلَةً وَلَا لِحاً أَنْهَكَتْ بِالْمُوسِ وَالتَّيْرِ
لَكِنَّهَا بِالتَّقَى وَالتُّهْمِ يَعْرِفُهَا مَنْ بِالْفَضَائِلِ مَشْهُوراً لَدَى الْبَشْرِ

آخر :

لَعْمُرِكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ دِينِهِ فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى إِتْكَالاً عَلَى النَّسَبِ
فَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسَ وَقَدْ وَضَعَ الشَّرْكَ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبِ

آخر :

لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ فِي الْوَرَى وَزِينَةُ الْمَرْءِ بِتَوْحِيدِهِ
قَدْ يُرْفَعُ الْمَرْءُ بِتَوْحِيدِهِ فِينَا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَّسَبِ

وفي اللحية خصال نافعة : أولاً مخالفة المشركين .

ثانياً تمييز الرجل عن المرأة : ثالثاً : تمييز الرجل عن الصبي
وتغطية ما في منبتها من تشويه أو تشن لا سيما في الكبر رابعاً تعظيم
الرجل الذي يعفيها وتوفيره . خامساً : أن إعفاءها من سنن المرسلين .
سادساً أنه ينظر إلى معفيها بعين التعظيم والأجلال والتقدير . سابعاً :

تَقْدِيمُ مَنْ يُعْفِيهَا عَلَى الْجَمَاعَةِ وَتَعْقِيلُهُ وَالسَّلَامَةُ مِنْ تَضْيِيعِ قِطْعَةٍ مِنْ
العُمَرِ فِي حَلْقِهَا أَوْ قِصِّهَا ثَامِنًا : صِحَّةُ إِمَامَتِهِ بِالْجَمَاعَةِ . تَاسِعًا : إِبْعَادُهُ
عَنْ مُشَابَهَةِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ، وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالْمَخْنَثِينَ .

وَوَصَفَ بَعْضُ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ رَهْطِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : وَدِدْتُ
أَنَا اشْتَرَيْنَا لِلْأَخْنَفِ لِحْيَةً بَعْشَرِينَ أَلْفًا ، فَلَمْ يَذْكُرْ حَنْفَهُ وَلَا عَوْرَهُ ، وَذَكَرَ
كِرَاهِيَةَ عَدَمِ اللَّحْيَةِ ، لِأَنَّ مَنْ لَا لِحْيَةَ لَهُ يُرَى عِنْدَ الْعُقَلَاءِ نَاقِصًا ، وَكَانَ
الْأَخْنَفُ عَاقِلًا حَلِيمًا ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْجَلْمِ ، وَذَكَرَ عَنْ شُرَيْحِ
الْقَاضِي ، قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ لِي لِحْيَةً بَعْشَرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَأَهْلُ زَمَانِنَا
بَعْضُهُمْ يَوُدُّ لَوْ عَدِمَهَا وَسَاقَ آلَافًا مِنَ الْوَرِقِ وَلَا تُفَيْدُ مَعَهُ النَّصَائِحُ مَهْمَا
أُيِّدَتْ بِالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ ، وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ فِي اللَّحْيَةِ إِذَا أُرِيَتْ بِالْكُلِّيَّةِ
وَلَمْ تَعُدَّ الدِّيَّةَ كَامِلَةً ، وَهَؤُلَاءِ الْمُجَاهِرُونَ بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ الْعَظِيمَةِ ،
الْمَعَاكِسُونَ لِهَدْيِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِبْقَائِهَا وَإِكْرَامِهَا ،
الْمُتَشَبِّهُونَ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي حَلْقِهَا ، يَرُونَ الْجَمَالَ وَالتَّمَدُّنَ بِالْقَضَاءِ
عَلَى أَعْظَمِ الْفَوَارِقِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَهُوَ اللَّحْيَةُ عَكْسُ رَأْيِ أَهْلِ الدِّينِ
وَالصَّلَاحِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَابًا ﴾ .

وَأَكْثَرُ حَالِقِي لِحَاهُمْ وَصَلَ بِهِمُ التَّشْبُهُ إِلَى حَدِّ أَنْ أَبْقَوْا شَوَارِبَهُمْ
وَأَقْفَةً لَيْسَ فِيهَا قَصِيرٌ ، وَكَأَنَّهُمْ بِفَعْلِهِمْ هَذَا يُعَانِدُونَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعَاكِسُونَهُ ، حَيْثُ أَنَّهُ يُأْمَرُ بِإِبْقَاءِ اللَّحْيِ وَاحْفَاءِ الشَّوَارِبِ ،
وَزِيَادَةِ عَلَى هَذَا يَجْعَلُونَ مَا يُسَمَّى بِالتَّوَالِيَتِ وَيَفْرِقُونَهُ وَيُكَدِّدُونَهُ ،
وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ وَيُخْنِفُسُ ، فَهَلْ هَذَا التَّشْبُهُ وَالتَّبَعُ لِسَفَاسِيفِ الْأَخْلَاقِ إِلَّا
مِنْ الْإِنْتِكَاسِ وَعَمَى الْبَصِيرَةَ وَالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى وَلَا يَفْهَمُ أَنَّ هَذَا إِزَالَةُ

للجمالِ وَالرُّجُولَةِ وَالْهَيْبَةِ وَالْوَقَارِ وَالْكَمَالِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْاِنْتِكَاسِ .
 وَهَذَا مِنْ نَيْبَةِ تَقْلِيدِ الْاَجَانِبِ ، وَلِهَذَا تَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ اَهْمَلُوا اَمْرَ
 الدِّينِ وَاَسْنَهَانُوا بِحُقُوقِهِ ، وَعَبَثُوا بِوَاجِبَاتِهِ وَاَنْتَهَكُوا حُرْمَاتِ اللّٰهِ ، وَلَمْ
 يُبَالُوا بِاِرْتِكَابِ مَا لَا يَرْضَاهُ اللّٰهُ مِنْ الشُّرُورِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْقَبَائِحِ ، سَائِرُ
 كُلِّ مِنْهُمْ وَرَاءَ شَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ ، وَنَفْسِهِ الْاَمَارَةَ بِالسُّوءِ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللّٰهِ ، اِنَّ اللّٰهَ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ اَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ وَبَا
 لَيْتَ اَنْهُمْ قَلَدُوا الْاَجَانِبَ فَيَمَّا يُفِيدُ وَيَنْفَعُ مِنَ الصَّنَاعَاتِ .

وَكُلُّ مَا يُرَقِّبِي شَأُونَهُمْ ، مِنْ الْفُنُونِ الَّتِي تَعُوذُ اِلَى مَصْلَحَةِ
 الْاِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، لَكِنْ قَلَدُوهُمْ فَيَمَّا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، فِي حَلْقِ اللَّحْيِ
 وَشُرْبِ الدِّخَانِ ، وَلَعِبِ الْقَمَارِ وَالْمَسْكِرَاتِ ، وَالرِّبَا فِي الْبُنُوكِ وَغَيْرِهَا ،
 وَفِي التَّامِيْنَاتِ ، وَفِي الْمَلَاهِي بِاَنْوَاعِهَا ، وَفِي التَّصْوِيرِ وَالتَّبْرُجِ وَالتَّهْتِكِ
 وَاللَّعِبِ بِالْكُرَّةِ ، وَضِيَاعِ الْعُمْرِ عِنْدَ الْمِذْيَاعِ وَالتَّلْفِيزِيُونِ وَالسِّيْنَمَا ،
 وَسَائِرِ اَنْوَاعِ الْمُحْرَمَاتِ الَّتِي قَضَتْ عَلَى الْعُمْرِ وَالْوَقْتِ وَالْمَالِ
 وَالْاِخْلَاقِ ، فَيَا لِالْاَسْفِ عَلَى ذِهَابِ الْعُمْرِ النَّفْسِ الَّذِي لَا قِيَمَةَ لَهُ وَلَا
 خَطَرَ ، وَلَا يُعَادِلُهُ جَوْهَرٌ وَلَا ذَهَبٌ وَلَا فِضَّةٌ وَلَا دُرٌّ وَلَا مُرْجَانٌ ، وَلَا لَوْلُوْ
 وَلَا عُقْيَانٌ عِنْدَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي سَوْفَ يَعْضُونَ اَيْدِيَهُمْ عَلَى ضِيَاعِ
 الْوَقْتِ عِنْدَهَا اِذَا تَوَدَّوْا لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الْعَزِيْزِ الْجَبَّارِ .

اللّٰهُمَّ اجْعَلْ الْاِيْمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا لِلْحَسَنَاتِ
 وَوَقَّفْنَا لِالْاَعْمَالِ الصّٰلِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتُهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ
 فَهَدَيْتُهُ وَدَعَاكَ فَاجَبْتُهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الْاَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيْتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ اَجْمَعِيْنَ .

شِعْرًا: أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَرْشِ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَفْوَاً لِكُلِّ حَطِيئَةٍ
وَحَفْظاً لِدِينِي ثُمَّ دُنْيَايَ ثُمَّ مَا
أَكُنُّ وَمَا أُبْدِيهِ مَعَ أَحْسَنِ نِيَّةٍ
فَأَحْيَا مَحِبًّا لِلنَّبِيِّ وَالِإِلَهِ
وَأَصْحَابِهِ فِي خَيْرِ هَدْيٍ وَسُنَّةٍ
فَمِنْ هَدْيِي خَيْرِ الْخَلْقِ إِعْفَاءَ لِحَيَّةٍ
وَمِنْ هَدْيِهِ يَا صَاحِبَ نُبُسٍ لِعِمَّةٍ
وَقَدْ جَاءَ أَقْوَامٌ عَتَاةٌ تَجَاسَرُوا
عَلَى هَذَمِ أَعْلَامِ الْهُدَى بِوَقَاحَةٍ
وَبِالْيَتَهُمْ لَمَّا عَنِ الْحَقِّ أَعْرَضُوا
بِأَفْعَالِهِمْ مَا عَارَضُوا بِصَرَاحَةٍ
هُمْ مَثَلُوا مِنْ جَهْلِهِمْ بُجُوهِهِمْ
لَقَدْ بَلَّغُوا فِي ذَلِكَ حَدَّ الشَّنَاعَةِ
أَقُولُ لِمَنْ أَمْسَى عَنِ الدِّينِ نَاكِبًا
مُعَانِدَ أَعْلَامِ الْهُدَى لِلشَّرِيعَةِ
يُجَاهِرُ فِي نُكْرٍ وَيُبْدِي تَشْبُهًا
بِأَعْدَاءِ دِينِ يَا لَهَا مِنْ خَسَارَةٍ
يُمَثِّلُ فِي وَجْهِهِ بِحَلْقِ اللَّحْيَةِ
لِعَمْرِي لَقَدْ سَاوَى لِوَجْهِهِ بِعَانَةٍ
فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْوَجْهُ أَسْتَأْ مَشْوَهَا
لَدَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ بِأَقْبَحِ صُورَةٍ
تَعَوَّدَ هَذَا الْخُلُقَ طَبْعًا لِأَنَّهُ
يُلَايِمُ مَا يَغْتَاذُهُ مِنْ خِلَاعَةٍ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرُّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ
عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِتَعْمَائِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

أَخِي اسْتَمَعَ مِنِّي هُدَيْتَ نَصِيحَةَ
أَتَتْ مِنْ أُخِي وَدِ شَفِيقِي عَلَى الَّذِي
إِذَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مَخْلُوقَ لِحْيَةٍ
فَلِلَّهِ فَالْجَا حَامِدًا مُتَضَرِّعًا
لِعَلَّكَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُنَابِدًا
وَتَعْنَى بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
فَكَمْ بَيْنَ مَنْ قَدْ شَابَهُوا خَيْرَ مُرْسَلٍ
وَمَنْ رَدَّ أَمْرَ الْمُصْطَفَى فَاغْتَدَى لَهَا
أَوْ الْقَصُّ أَوْ تَخْرِيقَهَا أَوْ بَكِيهَا
يُغَيِّرُ عَلَيْهَا كُلَّ صُبْحٍ بِمَا حَقَّ
كَأَنَّ لَهُ ثَارًا عَلَيْهَا مُضَاعَفًا
مُهْدَةً فِي كُلِّ صُبْحٍ وَرَوْحَةٍ
إِذَا قُلْتُ لِمَ تَعَصِرُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
أَمَا أُوجِبُ الرَّحْمَنُ طَاعَةَ أَحْمَدٍ
أَمَا قَالَ أَرْخُوا لِلْحَيَاءِ وَوَفُّرُوا
فَاطْرَقَ حَتَّى أَنْ ظَنَنْتُ بِأَنَّهُ
وَيَنْدُمُ عَمَّا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَوْلًا
فَقَالَ بِمَا قَالَ الْكَثِيرُ مُعَانِدًا
فَقُلْتُ أَلَيْسَ الْأَكْثَرُونَ عَنِ الْهُدَى

بِقَوْلِ حَرِيٍّ بِالصَّوَابِ وَنَافِعِ
عَنِ الْكَبِيرِ نَائٍ مَائِلٍ لِلتَّوَاضِعِ
مُقَلِّدِ أَهْلِ الْعَرَبِ صُهَبَ الْمَفَارِعِ
وَقُلْ مَا أَنَّى عَمَّنْ أَنَّى بِالشَّرَائِعِ
لِأَخْلَاقِهِمْ تُحْضَى بِأَعْلَى الْمَوَاضِعِ
مُعْفَى اللَّحَا أَهْلَ الْعُلُومِ الْجَوَامِعِ
بِإِعْفَائِهَا أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ مُتَابِعِ
بِحَلْقِ لَهَا أَوْ نَتْفِهَا بِالْأَصَابِعِ
يَرَى تَرْكَهَا مِنْ مُعْظَمَاتِ الْفَضَائِعِ
إِذَا مَا بَدَا شَعْرٌ عَلَاهُ بِقَاطِعِ
فَمَا نَاصِحٌ مُغْنٍ وَلَا شَفَعٌ شَافِعِ
فَمَا أَمْنُهَا إِلَّا بِجَلْدِ مُمَانِعِ
فَتَحْلِقُهَا حَلَقَ الْعَنِيدِ الْمُدَافِعِ
عَلَيْنَا وَعِصْيَانَ الْعَدُوِّ الْمُقَاطِعِ
فَوَفَّرُ تَكُنْ لِلْمُصْطَفَى بِمَتَابِعِ
سَيَّرَجُعُ عَنِ إِتْلَافِهَا بِمَسَارِعِ
وَيَعْرِزُ فِي جِدِّ مِنَ الْجَزْمِ قَاطِعِ
أَلَسْتُ تَرَى غَيْرِي فَلَسْتُ بِسَامِعِ
تَوَلَّوْا فَضَلَّوْا فِي وَخِيمِ الْبَلَاغِ

وفي تَأْفَهُه الْأَشْيَاءِ لِلضُّدِّ قَلَدُوا وفي الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ صُنُفُ الْبِضَائِعِ
فِيَا بُعْدَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ عِنْدَمَا تُقَارِنُ فِي عَدْلِ عَنِ الْجَوْرِ شَاسِعِ
وَأُحْتَمُّ قَوْلِي حَوْلَ مَا قُلْتُ أَوْلَاً فما في يَدِي حَوْلٌ وَلَسْتُ بِدَافِعِ
سَلَامٌ عَلَى مُعْفِي اللَّحَاكِلِ مَا بَدَا لَنَا شَعْرُهَا مَا بَيْنَ سُودٍ وَنَاصِعِ
وَصَلَّى إِلَهِي كُلِّ مَا ذَرَّ شَارِقُ على أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ جَمِّ الْمَنَافِعِ

وبالتالي فلو لم يكن في حلقها إلا أنه اعتراض على حكمة الله حيث جعلها ميزة للرجل عن الأنثى ثانياً أن من نواقض الإسلام كراهة ما جاء عن الله أو عن رسوله ويخشى على حلقها من ذلك . ثالثاً أن حلقها معصية لله ولرسوله لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد أمر الرسول بإعفائها رابعاً أن حلقها تمثيل بالشعر وتقدم حديث من مثل بالشعر فليس له عند الله خلاق خامساً أنه تشبه باليهود سادساً أنه تشبه بالنصارى سابعاً أنه تشبه بالمجوس . ثامناً أنه تشبه بالنساء تاسعاً أنه تشبه بالمرء عاشراً أنه دليل على أن حلقها يميل إلى غير أمته . الحادي عشر أن من حلقها أوقص منها لِرِضَاءِ الزَّوْجَةِ أَوْ الزَّمَلَاءِ مُلْتَمِسٌ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ لِأَنَّ مَنْ عَصَى أَمْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ .

اللَّهُمَّ تَبَّتْ وَقَوَّ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ
وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى
وَجْهِكَ فِي جَنَاتِ النِّعَمِ يَا حَلِيمٌ وَيَا كَرِيمٌ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة: عِبَادَ اللَّهِ مَا بَالُ الْكَثِيرِ الْيَوْمَ لَا يَسْمَعُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا لَا يَنْتَفِعُونَ ،
أَفِي آذَانِهِمْ صَمٌّ ، أَمْ هُمْ فِي الْأَمْرِ مُتَهَابُونَ ، وَلَايَ شَيْءٍ يَجْتَمِعُونَ ،
وَيَقُومُ فِيهِمُ الْخُطْبَاءُ الْمُجِيدُونَ ، وَالْوَعَاظُ الْمُبْلَغُونَ ، وَيَذْكُرُونَهُمْ أَيَّامٌ

اللَّهُ فَلَا يَخْشَعُ الْوُعَاظُ وَلَا الْمُوعِظُونَ ، وَيُرْغَبُونَ فِي الْخَيْرِ فَلَا
 يُسَارِعُونَ ، وَيُنْذِرُونَهُمْ عَوَاقِبَ السُّوءِ فَلَا يَتَأَثَّرُونَ « فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ
 مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » لَقَدْ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ إِذَا وَعَظُوا تَأَثَّرَ
 الْمُسْتَمِيعُ لَهُمْ تَأَثُّراً عَظِيماً ، وَفَارَقَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ،
 وَالْمُحَرَّمَاتِ ، وَفَارَقَ مَنْ أَصْرَ عَلَيْهَا مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَأَوْلَادِهِ ، وَإِخْوَانِهِ ،
 وَأَبَائِهِ ، وَجَدَّدَ تَوْبَةَ نَصُوحاً ، عَمَّا سَلَفَ لَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، الَّتِي لَا
 يَرْتَضِيهَا الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ ، فَأَيْنَ أَوْلَئِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَلْفِ ، الَّذِينَ ضَيَّعُوا
 تَعَالِيمَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيَّ ، وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ بِهِ ، وَتَرَكُوا الْأَنْقِيَادَ لِكِتَابِ
 اللَّهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَأَمَّلْ كَيْفَ تَرَى أَكْثَرَهُمْ
 أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَعَطَلُوا الْأَحْكَامَ ، وَتَسَاهَلُوا بِأَمْرِ الْحَرَامِ ، يَمْرُؤُونَ
 بِالْمَسَاجِدِ ، وَقَتَّ الصَّلَاةَ ، فَلَا يُعِيرُونَهَا أَيَّ اهْتِمَامٍ أَمَا الْمَلَاحِي
 وَالْمُنْكَرَاتِ فَإِلَيْهَا يُسْرِعُونَ وَعَلَيْهَا يَعْكُفُونَ وَإِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَغَانِي
 وَالْمَجُونِ وَالسُّخْفِ يَتَسَابِقُونَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَيْنَ الْخَوْفُ مِنْ
 الْجِبَارِ ، أَيْنَ الْحَيَا مِنْ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، أَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالْإِعْتِصَامُ
 بِالْقُرْآنِ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ وَأَجْدَادُكُمْ الْعُبَادُ الْكِرَامُ ، الَّذِينَ كَانَتْ
 الْمَسَاجِدُ تَغْصُ بِهِمْ شُيُوخاً وَشُبَّاناً ، وَكَانَتْ تَعُجُّ بِأَصْوَاتِهِمْ تَسْبِيحاً ،
 وَتَحْمِيداً وَتَهْلِيلاً ، وَتَكْبِيراً ، وَاسْتِغْفَاراً ، وَقُرْآناً ، وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ الْمَسَاجِدَ
 قَبْلَ الْأَذَانِ زُرَافَاتٍ وَوَحْدَاناً ، وَلَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ إِلَّا مَعْدُورٌ ، إِمَّا مَرِيضٌ أَوْ
 غَائِبٌ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْمَارُ بِبُيُوتِهِمْ لَيْلاً يَسْمَعُ زَجَلَ التَّسْبِيحِ ،
 وَالتَّهْلِيلِ ، وَالبُكَاءِ وَالْأُنِينَ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
 وَالْأَلْحَاحِ بِدُعَائِهِ ، وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ ، عَكْسُ مَا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ
 الْخَلْفِ ، الَّذِينَ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿ الَّذِينَ إِنْ بَحَثْتَ عَنْهُمْ فِي اللَّيْلِ ، وَجَدْتَهُمْ حَوْلَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ ، مُتَرْبِعِينَ أَمَامَ التَّلْفِيزِيُونَ ، وَغِنَاءِ الْمُطْرَتَيْنِ ، وَإِنْ بَحَثْتَ عَنْهُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَجَدْتَهُمْ فِي فُرُشِهِمْ ، إِثْرَ سَهْرِهِمْ حَوْلَ تِلْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَإِنْ بَحَثْتَ عَنْهُمْ وَقْتَ صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي شُؤُونَ الدُّنْيَا ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَإِنْ أَرَدْتَهُمْ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ ، وَجَدْتَ بَعْضَهُمْ عِنْدَ الْكُورَةِ ، وَالْبَعْضَ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونَ ، وَالْبَعْضَ عِنْدَ الْمَذْيَاعِ ، وَأَغَانِيَةِ وَمَلَاهِيِهِ ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْهُمْ وَقْتَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ ، وَجَدْتَ بَعْضَهُمْ يَمْشِي مُتَرَدِّدًا ، وَالْبَعْضَ فِي الْمَلْعَبِ ، وَالْبَعْضَ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونَ ، أَوْ الْمَذْيَاعِ ، وَأَمَّا الْعِشَاءُ الْآخِرَةَ فِتِلْكَ هُمْ فِيهَا أَقْسَامٌ أَكْثَرُهُمْ حَوْلَ التَّلْفِيزِيُونَ أَوْ فِي الْأَسْوَاقِ ، أَوْ يَلْعَبُونَ وَرَقَةً ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْمُنْكَرَاتِ وَهَكَذَا قَتَلُوا أَوْقَاتَهُمْ الثَّمِينَةَ ، وَضَيَعُوهَا ، وَقَضَوْا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَهُ بِعِبَادِهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ وَالْحَالَةَ هَذِهِ مُخِيفَةٌ لِذَوِي الْعُقُولِ وَالْفُهُومِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ تَوَالَتْ أَسْبَابُ الْهِنَاءِ وَالرَّاحَةِ ، وَالسُّرُورِ ، وَالْأَطْمِئْنَانِ ، وَقَدْ قِيلَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُسْتَدْرَجٌ وَرَوَى عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلَا ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ وَقَالَ قَتَادَةُ مَا أَخَذَ اللَّهُ قَوْمًا إِلَّا عِنْدَ سَكْرَتِهِمْ وَغَرَّتِهِمْ ، وَنِعْمَتِهِمْ ، فَلَا تَعْتَرَوْا بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَغْتَرُّ بِاللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ .

شعرا : كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى فَتُهَوِّنُ غَيْرَ مُصِيبَةٍ فِي الْبَدَنِ

وقال ابن الجوزي رحمه الله : الحذر الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، والحذر الحذر من الذنوب خصوصاً ذنوب الخلوات ، فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه سبحانه ولا ينال لذة المعاصي إلا دائم الغفلة .

فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عند التذاه يقف بازائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي وهو الله .

تواری بجدران البيوت عن الوری وأنت بعين الله لاشك تنظر
فيتنغص عيشه في حال التذاه فإن غلبه سكر الهوى كان القلب
متنغصاً بهذه المراقبات وإن كان الطبع في شهوته فما هي إلا لحظة ثم خزي
دائم وندم ملازم وبكاء متواصل وأسف على ما كان مع طول الزمان .
حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزائه حذار العتاب فأف للذنوب ما أفتح
آثارها وأسوء أخبارها أنتهى كلامه .

عَنْ الزَّلَّاتِ وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ	أَمَا أَنْ الرَّجُوعُ إِلَى الصَّفْحِ
وَلَا تَخْشَاهُ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ	تَبَادِرُهُ بِقُبْحِ الْفِعْلِ سِرًّا
وَأَنْتَ ضَلَلْتَ عَنْ هَذَا الصَّحِيحِ	هَذَاكَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمِ
عَنِ الْبَاقِي الْمَعْرُزِ وَالْمَلِيحِ	وَفِي دُنْيَاكَ تُؤَثِّرُ كُلُّ فَنَانِ

آخر :

يا طالب الطيب من داء تخوفه إن الطيب الذي أهلك بالداء
هو الطيب الذي يرجى لعافية لا من يذيب لك الترياق بالماء
اللهم يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أيقظنا من نوم الغفلة
ونبها لا غتنام أوقات المهلة ووقفنا لصالحنا واعصمنا من قبائحنا وذنوبنا ولا
تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا واكتته سرائرنا من أنواع القبائح

والمعائب التي تعلمها منا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم
والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .
فصل في الحث على صيانة الوقت

وصرفه فيما فيه النفع من صلاة وزكاة وصيام وحج وتسيح
وتهليل وتكبير، وسائر أنواع القربات لله، التي هي عمارة بيته الذي سيسكنه
طويلاً.

ومما يتأكد اجتنابه والتحذير منه في رمضان وغيره الجلوس في
المجالس التي هي كفيلة بالخسران والندامة، كمجالس آيات الله من
الأسطوانات والمذياع وأعظم من ذلك السينما والتلفزيون والفديو والكرة.

أما المذياع فلأنه آله فهو محرم، لدخوله في قوله تعالى ﴿ ومن
الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ الآية وقد فسر لهو الحديث، كثير من
السلف - من الصحابة والتابعين - بالغناء والمزامير، وفسره بعضهم
بالأساطير والقصص من أخبار ملوك الأعاجم والرؤم، وبعضهم فسر
لهو الحديث بكل باطل يلهي ويشغل عن الخير، فإن فسرت هذه الآية
بالغناء والمزامير فهو رأس الملاهي كلها، وإن فسرت بما يجمع ذلك من
كل باطل يلهي ويشغل عن الخير فهو الجامع لذلك، وفوق ذلك
الوصف، ومن المعلوم لدى كل ذي عقل سليم منصف أن الراديو
المقصود الأصلي منه اللهو والغناء، والاشغال عن طاعة الله .

وفي المذياع يجمع بين كلام الله والغناء، وهذا من أعظم
التقص والامتهان لكتاب الله، ومن جهة أخرى فهو استهزاء واستخفاف
بكتاب الله وقد قال جل وعلا وتقدس ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب :
أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم ﴾ وعدم

تَنْزِيهِ كِتَابِ اللَّهِ عَنِ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ وَأَقْبَحِهِ ، وَأَجْوَرِ
الْجَوْرِ وَأَشْنَعِهِ وربما أُغْلِقَ المذاع كراهةً للقران وهذا رِدَّةٌ قال تعالى ﴿ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ : وَأَمَّا سَمَاعُهُ أَيِ
الْغِنَاءِ ، مِنْ الْمَرَاةِ الْأَجْنِبِيَّةِ أَوْ الْأَمْرِدِ ، فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُحْرَمَاتِ ، وَأَشَدِّهَا
فَسَادًا لِلدِّينِ .

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : وَصَاحِبُ الْجَارِيَةِ إِذَا جَمَعَ النَّاسَ
لِسَمَاعِهَا فَهُوَ سَفِيهُ ، تُرْدُ شَهَادَتُهُ ، وَعَظُظَ الْقَوْلِ فِيهِ ، وَقَالَ : هُوَ دِيَانَةٌ ،
فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ ذِيئًا قَالَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ وَإِنَّمَا جُعِلَ صَاحِبُهَا
سَفِيهُاً لِأَنَّهُ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَاطِلِ وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَاطِلِ كَانَ سَفِيهُاً
فَاسِقًا ، قُلْتُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَى الرَّادِيُو ، وَمَا يَأْتِي مِنَ الْخَلَاعَةِ وَالْغِنَاءِ ،
وَالْمُنْكَرَاتِ الْعَظِيمَةِ ، الَّتِي أَنْبَتَ النِّفَاقَ ، وَمَكَّنَتْهُ مِنْ قُلُوبِ الْأَوْلَادِ
وَالشَّبَابِ وَالْكَهُولِ وَالشُّيُوخِ ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ ، وَكَذَلِكَ لَوْ رَأَى
التَّلْفِيزِيُونَ أَوَ السُّيَمَا أَوَ الْمَجَلَاتِ الْخَلِيعَةَ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ
وَالصُّوَرِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالشُّرُورِ وَالْخَلَاعَاتِ فَيَالِلِهِ لِلْمُسْلِمِينَ .

وقال : كَانَ الشَّافِعِيُّ يَكْرَهُ التَّغْيِيرَ ، وَهُوَ الطُّقْطُقَةُ بِالْقَضِيبِ ،
وَيَقُولُ : وَضَعْتُهُ الزَّنَادِقَةَ لِيُشْغَلُوا بِهِ عَنِ الْقُرْآنِ قَالَ : وَأَمَّا الْعُودُ وَالطُّنْبُورُ
وَسَائِرُ الْمَلَاهِي فَحَرَامٌ ، وَمُسْتَمَعَةٌ فَاسِقٌ .

قال ابن القيم : وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ رُقِيَّةَ الزَّانَا : أَيِ الْغِنَاءِ ، فَهُوَ اسْمٌ
مُؤَافِقٌ لِمَسْمَاهِ وَلَفْظٌ مُطَابِقٌ فَلَيْسَ فِي رُقِيَّةِ الزَّانَا أَنْجَعُ مِنْهُ ، وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ
مَعْرُوفَةٌ عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ ، عَنْ

أبي عثمان اللثبي ، قَالَ قَالَ بَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا بَنِي أُمَيَّةَ إِيَّاكُمْ وَالْغِنَاءَ ، فَإِنَّهُ يُنْقِصُ الْحَيَاءَ وَيَزِيدُ فِي الشَّهْوَةِ ، وَيَهْدِمُ الْمُرُوءَةَ ، وانه لَيُنُوبُ عَنْ الْخَمْرِ ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ السُّكْرُ ، فَإِنْ كُنْتُمْ وَلَا بُدَّ فاعِلُونَ فَجَنِّبُوهُ النِّسَاءَ فَإِنَّ الْغِنَاءَ دَاعِيَةُ الزَّانَا ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْأُرْدِيُّ قَالَ : نَزَلَ الْحَطِيبَةُ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ ، وَمَعَهُ ابْنَتُهُ مُلَيْكَةُ ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ سَمِعَ غِنَاءً فَقَالَ لِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ : كُفَّ هَذَا عَنِّي ، فَقَالَ وَمَا تَكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ الْغِنَاءَ مِنْ رَادَةِ الْفُجُورِ ، وَلَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَهُ هَذِهِ ، يَعْنِي ابْنَتَهُ ، فَإِنْ كَفَفْتَهُ وَإِلَّا خَرَجْتُ عَنْكَ ، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : كُنَّا فِي عَسْكَرِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَسَمِعَ غِنَاءً مِنَ اللَّيْلِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بُكْرَةً ، فَجِيءَ بِهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّ الْفَرَسَ لَيُضْهِلُّ فَتَسْتَوِدُّ لَهُ الرَّمَكَةَ ، وَإِنَّ الْفَحْلَ لَيَهْدُرُ فَتَضْبَعُ لَهُ النَّاقَةُ ، وَإِنَّ التَّيْسَ لَيَنْبُ فَتَسْتَحْرِمُ لَهُ الْعِنزُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَغَنَّى فَتَشْتاقُ لَهُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ قَالَ : اخْصُوهمْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : هَذَا مُثَلَّةٌ فَلَا يَجِلُّ فَخَلَّى سَبِيلَهُمْ .

فَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ الْمَفْتُوقُ اللِّسَانَ ، الَّذِي هَابَتْ الْعَرَبُ هِجَاءَهُ ، خَافَ عَاقِبَةَ الْغِنَاءِ ، وَأَنْ تَصِلَ رُقِيَّتُهُ إِلَى حُرْمَتِهِ ، فَمَا الظَّنُّ بِغَيْرِهِ ، وَلَا رَيْبَ أَنْ كُلَّ غَيُورٍ يُجَنَّبُ أَهْلَهُ سَمَاعَ الْغِنَاءِ ، كَمَا يُجَنَّبُهُنَّ أَسْبَابَ الرَّيْبِ .

وَمَنْ طَرَقَ أَهْلَهُ إِلَى سَمَاعِ رُقِيَّةِ الزَّانَا فَهُوَ أَعْلَمُ بِالْإِثْمِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ ، وَمِنْ الْأَمْرِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ الْقَوْمِ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا اسْتَعْصَتْ عَلَى الرَّجُلِ اجْتَهَدَتْ أَنْ يُسْمِعَهَا صَوْتَ الْغِنَاءِ ، فَحَيْثُ تَعْطِي اللَّيَانَ ، وَهَذَا لِأَنَّ الْمَرْأَةَ سَرِيعَةُ الْانْفِعَالِ لِلْأَصْوَاتِ جَدًّا ، فَإِذَا كَانَ الصَّوْتُ بِالْغِنَاءِ كَانَ انْفِعَالُهَا مِنْ وَجْهَيْنِ ، مِنْ جِهَةِ الصَّوْتِ ، وَمِنْ جِهَةِ مَعْنَاهُ ، وَلِهَذَا قَالَ

النبي صلى الله عليه وسلم لأنجسته حاديه « يا أنجسته رويدك رفقا بالقوارير » يعنى النساء ، فإذا اجتمع إلى هذه الرقية الدف والشبابة والرقص بالتحنث والتكسر فلو حبلت المرأة من غناء حبلت من هذا الغناء . فلعمرو الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا ، وكم من حر أصبح به عبداً للصبيان والصبايا ، وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا ، وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا ، وكم من معافى تعرض له فامسى وقد حلت به أنواع البلايا ، وكم أهدى للمشغوف من أشجان وأحزان ، فلم يجد بداً من قبول تلك الهدايا ، وكم جرّع من غصة ، وأزال من نعمة ، وجلب من نقمة ، وذلك منه من إحدى العطايا ، وكم خبأ لأهله من الأم منتظرة ، وغموم متوقعة ، وهموم مستقبلة .

قال : وأما تسميته منبت النفاق فعن ابن مسعود قال : الغناء يُنبت النفاق في القلب ، كما يُنبت الماء الزرع ، والذكر يُنبت الأيمان في القلب ، كما يُنبت الماء الزرع ، فإن قيل : فما وجه أنباته للنفاق من بين سائر المعاصي ؟ قيل : هذا من أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها ، ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها ، وأنهم هم أطباء القلوب ، دون المنحرفين عن طريقهم ، الذين داووا أمراض القلوب بأعظم أدوائها ، فكانوا كالمداوي من السقم بالسقم القاتل ، وهكذا والله فعلوا بكثير من الأدوية التي ركبوها أو باكرها ، فاتفق قلة الأطباء وكثرة المرضى ، وحدثت أمراض مزمينة لم تكن في السلف ، والعدول عن الدواء النافع الذي ركبهُ الشارح ، وميل المريض إلى ما يقوي مادة

المرضى ، فاشتدَّ البلاءُ ، وتفاقمَ الأمرُ ، وامتلاتِ الدُّورُ والطُّرُقُ والأسواقُ
منَ المرضى ، وقامَ كُلُّ جهولٍ يَطبُّ النَّاسَ .

وقال : فاعلمَ أنَّ لِلغِنَاءِ خَوَاصُّ لَهَا تَأثيرٌ في صَنِعِ القُلُوبِ بِالنَّفَاقِ
وَنَبَاتِهِ كَنَبَاتِ الزَّرْعِ بِالمَاءِ ، فَمِنْ خَوَاصِّهِ أَنَّهُ يُلْهِي القَلْبَ وَيَصُدُّهُ عَنِ
فَهْمِ القُرْآنِ وَتَدْبِيرِهِ ، وَالعَمَلِ بِمَا فِيهِ ، فَإِنَّ القُرْآنَ وَالغِنَاءَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي
القَلْبِ أَبَدًا ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّضَادِّ فَإِنَّ القُرْآنَ يَنْهَى عَنِ اتِّبَاعِ الهَوَى ،
وَيَأْمُرُ بِالعِفَّةِ وَمُجَانَبَةِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَأَسْبَابِ الغَيِّ ، وَيَنْهَى عَنِ اتِّبَاعِ
خَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ، وَالغِنَاءُ يَأْمُرُ بِضِدِّ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُحَسِّنُهُ ، وَيُهَيِّجُ النُّفُوسَ
إِلَى شَهَوَاتِ الغَيِّ ، فَيُثِيرُ كَامِنَهَا ، وَيُزْعِجُ قَاطِنَهَا ، وَيُحَرِّكُهَا إِلَى كُلِّ
قَبِيحٍ وَيَسُوِّفُهَا إِلَى وَصْلِ كُلِّ مَلِيحَةٍ وَمَلِيحٍ ، فَهُوَ والخَمْرُ رَضِيْعَا لِبَانٍ
وَفِي تَهْيِيجِهَا عَلَى القَبَائِحِ كَفَرَسِي رِهَانٍ ، فَإِنَّهُ صِنُو الخَمْرِ وَرَضِيْعُهُ ،
وَنَائِبُهُ وَحَلِيفُهُ ، وَحَدِيثُهُ وَصَدِيقُهُ ، عَقَدَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا عَقْدَ الإِخَاءِ الَّذِي
لَا يُفْسَخُ .

وَهُوَ جَاسُوسُ القُلُوبِ ، وَسَارِقُ المُرُوءَةِ ، وَسُوسُ العَقْلِ ، يَتَغَلَّغِلُ
فِي مَكَامِنِ القُلُوبِ ، وَيَطَّلِعُ عَلَى سَرَائِرِ الأَفئِدَةِ ، وَيَدْبُ إِلَى مَحَلِّ
التَّخْيِيلِ ، فَيُثِيرُ مَا فِيهِ مِنَ الهَوَى وَالشَّهْوَةِ وَالسَّخَافَةِ وَالرِّقَاعَةِ وَالرَّعُونَةَ
وَالحِمَاقَةَ ، فَيَبِينُ مَا تَرَى الرَّجُلُ وَعَلَيْهِ سِمَةُ الوَقَارِ ، وَبِهَاءِ العَقْلِ ، وَبَهْجَةِ
الأَيْمَانِ ، وَوَقَارِ الإِسْلَامِ ، وَحِلَاوَةِ القُرْآنِ ، فَإِذَا سَمِعَ الغِنَاءَ وَمَالَ إِلَيْهِ ،
نَقَصَ عَقْلَهُ ، وَقَلَّ حَيَاؤُهُ وَذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ ، وَفَارَقَهُ بَهَاؤُهُ ، وَتَخَلَّى عَنْهُ
وَقَارُهُ ، وَفَرِحَ بِهِ شَيْطَانُهُ ، وَشَكَا إِلَى اللَّهِ إِيمَانَهُ ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ قُرْآنُهُ ،
وَقَالَ : يَا رَبِّ لَا تَجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ قُرْآنِ عَدُوِّكَ فِي صَدْرِي وَاحِدٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ
نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا

تَعْلَمُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
وَلِلَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .
مِنَ النَّوِيَّةِ فِي سَمَاعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسَلُ رَبُّنَا
رِيحًا تَهْزُ ذَوَائِبَ الْأَغْصَانِ
فَتُثِيرُ أَصْوَاتًا تَلْدُ لِمَسْمَعِ الْ
إِنْسَانِ كَالنَّفَمَاتِ بِالْأُوزَانِ
يَا لَذَّةَ السَّمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي
بِلَذَاذَةِ الْأُوتَارِ وَالْعِيدَانِ
أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا
ءَ الْحُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ
وَاهَا لِيَذِيَاكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
مُلِئْتُ بِهِ الْأَذَانِ بِالْإِحْسَانِ
وَاهَا لِيَذِيَاكَ السَّمَاعِ وَطَيْبِهِ
مِنْ مِثْلِ أَقْمَارِ عَلَى أَغْصَانِ
وَاهَا لِيَذِيَاكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
وَاهَا لِيَذِيَاكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقْلُ
ذِيَاكَ تَضَغِيرًا لَهُ بِلِسَانِ
مَا ظَنَّ سَامِعُهُ بِصَوْتِ أَطْيَبِ الْ
أَصْوَاتِ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ حِسَانِ
نَحْنُ النَّوَاعِمُ وَالْخَوَالِدُ خَيْرًا
تُ كَامِلَاتُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَالَنَا
سَخَطٌ وَلَا ضَعْفٌ مِنَ الْأَضْعَانِ
طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَلِكَ طُوبَى
بِي لِلَّذِي هُوَ حَظُنَا لِنُظَانِ
نَزِيهَ سَمَاعِكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ
ذِيكَ الْغِنَا عَنْ هَذِهِ الْأَحَانِ
لَا تُؤْبِرُ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحِ
رَمَ ذَا وَذَايَا ذِلَّةَ الْحِرْمَانِ
إِنَّ اخْتِيَارَكَ لِلْسَّمَاعِ النَّازِلِ أَلْ
أَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ
وَاللَّهُ أَنْ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَكَ
إِيمَانٍ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ
وَاللَّهُ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ ذَابُهُ
أَبْدًا مِنَ الْأَشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ
فَالْقَلْبُ يَبْتُ إِلَهَ جَلَّ جَلَالُهُ
حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارُهُ
عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ
حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ الْأَحَانِ الْغِنَا
فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
ثَقُلُ الْكِتَابُ عَلَيْهِمُوا لَمَّا رَأَوْا
تَقْيِيدَهُ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ

وَاللَّهُ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
 مَا فِيهِ مِنْ طَرِبٍ وَمِنْ أَلْحَانِ
 قُوتِ النُّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوتُ
 الْقَلْبِ أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوتَانِ
 وَلِذَا تَرَاهُ حَظُّ ذِي النُّقْصَانِ كَالِ
 جُهَالِ وَالصِّبَانِ وَالنِّسْوَانِ
 وَالذُّمِّ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنْ الْ—

مَقَلِ الصَّحِيحِ فَسَلِ أَخَا الْعِرْفَانِ
 يَا لَذَّةَ الْفُسَّاقِ لَسْتَ كَلْدَةً أَلْ أَبْرَارِ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ
 نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَنَا رُشْدَنَا وَيُبَصِّرَنَا بَعُيُوبِ أَنْفُسِنَا وَيَشْغَلَنَا بِإِصْلَاحِهَا
 وَيُوفِّقَنَا لِقَبُولِ نَصِيحِ النَّاصِحِ وَإِرْشَادِ الْمُرْشِدِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ اعْتَادَ النَّاسُ أَنْ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا مِنْ نَفَائِسِ الدُّنْيَا لَا يَهْدَأُ
 وَلَا يَنَامُ ، بَلْ يَسْعَى لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ ، لَيْلَهُ ، وَنَهَارُهُ ، سَعْيِ النَّشِيطِ
 الْهُمَامِ ، وَكُلَّمَا سُدَّ فِي وَجْهِهِ بَابٌ ، قَرَعَ بَابًا آخَرَ ، وَإِنْ تَعَدَّدَ الْأَبْوَابُ ،
 كَمَا هُوَ دَابُّ الْحَرِيصِ الْمِقْدَامِ ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى قَدْرِ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ
 السَّعْيُ ، وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ مَصَاعِبٍ وَمَتَاعِبٍ وَالْآمِ وَالْعَجِيبُ أَنَّهُ لَا يَمَلُّ وَلَا
 يَسْأَمُ ، وَإِنْ وَاصَلَ السَّعْيَ سِنِينَ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهُ لَا يَنْشِي عَنْ
 مَطْلُوبِهِ ، وَإِنْ مَسَّ شَرْفُهُ وَأُهِنَّ ، وَإِنْ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ الْوُصُولُ ، اسْتَعَانَ
 بِذَوِي الْوَجَاهَةِ الْمُحْتَرَمِينَ ، وَلَا يَزَالُ هَذَا يُوَاصِلُ السَّعْيَ حَتَّى يَصِلَ
 مُبْتَهَجًا إِلَى مَالِهِ مِنْ مَرَامٍ . أَنْتَ تَطْلُبُ الْجَنَّةَ يَا هَذَا وَلَا تَفِيَسُ أَنْفَسَ مِنْهَا
 لِأَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَبِيدُ ، وَلَآنَ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ

دُونَ أَيِّ تَقْيِيدٍ ، وَلَأَنَّكَ خَالِدٌ فِيهَا أَبَدًا دُونَ أَنْ يُكَدِّرَ ، بَأْيٍ مُكَدِّرٍ ، ذَلِكَ
 الْعَيْشُ الرَّغِيدُ فَهَلْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقٍ وَسَعَيْتَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا ، كَمَا تَسْعَى
 فَقَطْ لِذَلِكَ الْفَانِي مِنَ الْحُطَامِ ، الْمَشَاهِدُ أَنَّكَ لَا تَسْعَى لِتِلْكَ الْجَنَّةِ وَلَا
 يَخْطُرُ لَكَ السَّعْيُ إِلَيْهَا عَلَى بَالٍ ، وَلَوْ أَنَّكَ سَاوَيْتَهَا فِي السَّعْيِ إِلَيْهَا بَأْيٍ
 مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيٍّ لَكُنْتَ مِنْ عُظَمَاءِ الرَّجَالِ ، وَلَكِنْ يَا لِلْأَسْفِ لَمْ يَكُنْ مِنْ
 ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَالسَّعْيُ لِلْجَنَّةِ لَا يَكُونُ بِالْكَلامِ ، وَلَا بِالْأَمَانِيِّ وَالْأَحْلَامِ ،
 وَلَكِنْ بِصَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، وَهَلْ تَزَهَّدْتَ أَنْتَ فِي شَيْءٍ كَمَا تَزَهَّدْتَ فِي
 تِلْكَ الْأَعْمَالِ الْفِخَامِ ، وَلِذَلِكَ أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ خَافَ شَيْئًا مِنْ
 مَوْلِمَاتِ الدُّنْيَا يُبْعِدُ عَنْهُ وَيَفِرُّ ، كُلُّ الْفِرَارِ ، وَيَذْهَبُ هُنُوهُ وَطَمَائِنُتُهُ ،
 وَرُبَّمَا ذَهَبَ نَوْمُهُ اضْطِرَارًا لَا اخْتِيَارًا وَلَا يَطْمَئِنُّ بَعْضَ الْأَطْمِئِنَانِ إِلَّا إِذَا
 اخْتَرَسَ مِنْهُ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْوَانٍ ، وَأَنْصَارٍ ، يَفْعَلُ كُلُّ ذَلِكَ لِئَلَّا
 يَصِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَذَى مَا يُكَدِّرُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ ، وَصَفْوَهَا جَهَنَّمَ يَا هَذَا أَعْظَمُ
 مَخُوفٍ فَهَلْ عَمِلْتَ الْاِحْتِيَاظَ لَهَا كَمَا تَحْتَاطُ لِمُخَوِّفَاتِ هَذِهِ الدَّارِ .

الَّذِي يَتَبَادَرُ مِنْكَ وَيُظْهَرُ أَنَّ إِيمَانَكَ بِهَا ضَعِيفٌ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ أَيَّ
 اِحْتِيَاظٍ لَهَا ، فَلَوْ كَانَ إِيمَانُكَ قَوِيًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَحِيَاءٌ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ
 يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ لَسَعَيْتَ جُهْدَكَ فِي الْأَعْمَالِ
 الصَّالِحَاتِ ، الَّتِي تُحَوِّلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا وَلَا تُزَعِّجُكَ وَأَقْلَقَكَ وَلَمْ تَهْنَأْ بِنَوْمٍ وَلَا
 طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، وَأَمَامَكَ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ ، شِعْرًا :

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَائِنِ تَنْزِلُ
 آخِر: تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي وَمَا كَانَ فِي الصَّبَا مِنَ الذَّنْبِ وَالْعَصِيَانِ وَالْجَهْلِ وَالْجَفَا
 وَكَيْفَ قَطَعْتُ الْعُمَرَ سَهْوًا وَغَفْلَةً فَأَسْكَبْتُ دَمْعِي حَسْرَةً وَتَلْهَفًا
 وَنَادَيْتُ مَنْ لَا يَعْلَمُ السِّرَّ غَيْرُهُ وَمَنْ وَعَدَ الْغُفْرَانَ مِنْ كَانَ قَدْ جَفَا

وَتَابَ إِلَيْهِ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ فَجَادَ عَلَيْهِ بِالْجَمِيلِ تَعَطُّفًا
 أَعْثَىٰ إِلَهِي وَاغْفُ عَنِّي فَإِنِّي أَتَيْتُ كَثِيرًا نَادِمًا مُتَلَهِّفًا
 وَخُذْ بِيَدِي مِنْ ظُلْمَةِ الذَّنْبِ سَيِّدِي وَجُدْ لِي بِمَا أَرْجُوهُ مِنْكَ تَلَطُّفًا
 اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِاتِّبَاعِ الْهُدَىٰ وَجَنِّبْنَا أَسْبَابَ الْهَلَاكِ وَالشَّقَا وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : السَّمَاعُ يُورِثُ النِّفَاقَ فِي قَوْمٍ ، وَالتَّكْذِيبَ
 فِي قَوْمٍ ، وَالْفُجُورَ فِي قَوْمٍ ، وَالرُّعُونََةَ فِي قَوْمٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يُورِثُ عِشْقَ
 الصُّورِ ، وَاسْتِحْسَانَ الْفَوَاحِشِ ، وَادْمَانَهُ يُثْقِلُ الْقُرْآنَ عَلَى الْقَلْبِ ،
 وَيُكْرَهُهُ إِلَى سَمَاعِهِ بِالْخَاصَّةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا نِفَاقًا فَمَا لِلنِّفَاقِ حَقِيقَةٌ ،
 وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ أَنَّهُ قُرْآنُ الشَّيْطَانِ كَمَا سَيَأْتِي ، فَلَا يَجْتَمِعُ هُوَ وَقُرْآنُ الرَّحْمَنِ
 فِي قَلْبٍ أَبَدًا ، وَأَيْضًا فَإِنَّ أَسَاسَ النِّفَاقِ أَنْ يُخَالِفَ الظَّاهِرُ البَاطِنَ ،
 وَصَاحِبُ الْغِنَاءِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَتَهَتَّكَ فَيَكُونَ فَاجِرًا ، أَوْ يُظَهِّرَ النُّسْكَ
 فَيَكُونَ مُنَافِقًا ، فَإِنَّهُ يُظَهِّرُ الرُّعْبَةَ فِي اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَقَلْبُهُ يَغْلِي
 بِالشَّهَوَاتِ ، وَمَحَبَّةِ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ أَصْوَاتِ الْمَعَارِيفِ وَآلَاتِ
 اللُّهُوِّ ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْغِنَاءُ وَيُهَيِّجُهُ ، فَقَلْبُهُ بِذَلِكَ مَغْمُورٌ ، وَهُوَ مِنْ مَحَبَّةِ
 مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ قَفَرٌ وَهَذَا مَحْضُ النِّفَاقِ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، قَوْلُ الْحَقِّ وَعَمَلٌ بِالطَّاعَةِ وَهَذَا
 يَنْبُتُ عَلَى الذِّكْرِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَالنِّفَاقُ قَوْلُ البَاطِلِ وَعَمَلُ الْغِيِّ ، وَهَذَا
 يَنْبُتُ عَلَى الْغِنَاءِ ، وَأَيْضًا فَمِنْ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ قَلَّةُ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَالكَسَلُ
 عِنْدَ الْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مَفْتُونًا بِالْغِنَاءِ إِلَّا وَهَذَا وَصْفُهُ ،
 وَأَيْضًا فَإِنَّ النِّفَاقَ مُؤَسَّسٌ عَلَى الكَذِبِ ، وَالْغِنَاءِ مِنْ أَكْذَبِ الشُّعْرِ ، فَإِنَّهُ

يُحَسِّنُ الْقَيْحُ وَيُزِينُهُ وَيَأْمُرُ بِهِ ، وَيُقَوِّحُ الْحَسَنَ وَيُزَهِّدُ فِيهِ ، وَذَلِكَ عَيْنُ
الْبِفَاقِ وَأَيْضاً فَإِنَّ النِّفَاقَ غِشٌّ وَمَكْرٌ وَخِدَاعٌ ، وَالْغِنَاءُ مُؤَسَّسٌ عَلَى ذَلِكَ ،
وَأَيْضاً فَإِنَّ الْمُنَافِقَ يُفْسِدُ مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ يُصْلِحُ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
بِذَلِكَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ، وَصَاحِبُ السَّمَاعِ يُفْسِدُ قَلْبَهُ وَحَالَهُ ، مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ
أَنَّهُ يُصْلِحُهُ ، وَالْمُغْنِي يَدْعُو الْقُلُوبَ إِلَى فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْمُنَافِقُ يَدْعُوهَا
إِلَى فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ قَالَ الضَّحَّاكُ : الْغِنَاءُ مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ ، مَسْخَطَةٌ لِلرَّبِّ ،
وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مُؤَدِّبٍ وَلَدِهِ : لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ
أَدَبِكَ بُغْضُ الْمَلَاهِي ، الَّتِي بَدَّوْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَعَاقِبَتُهَا سَخَطُ
الرَّحْمَنِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ الثَّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ صَوْتَ الْمَعَارِفِ
وَاسْتِمَاعَ الْأَغَانِي ، وَاللَّهَجَ بِهَا ، يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ ، كَمَا يُنْبِتُ
الْعُشْبُ عَلَى الْمَاءِ ، فَالْغِنَاءُ يُفْسِدُ الْقَلْبَ ، وَإِذَا فَسَدَ الْقَلْبُ هَاجَ فِيهِ
النِّفَاقُ .

قَالَ : وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ قُرْآنَ الشَّيْطَانِ . فَمَا ثُورٌ عَنِ التَّابِعِينَ . وَعَنْ أَبِي
أَمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ ابْلِيسَ لَمَّا أُنْزِلَ إِلَى
الْأَرْضِ قَالَ : يَا رَبِّ أَنْزَلْتَنِي إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلْتَنِي رَجِيماً ، فَاجْعَلْ لِي
بَيْتاً ، قَالَ : الْحَمَامُ . قَالَ : فَاجْعَلْ لِي مَجْلِساً . قَالَ : الْأَسْوَاقُ وَمَجَامِعُ
الطَّرِيقِ ، قَالَ : فَاجْعَلْ لِي طَعَاماً ، قَالَ : كُلُّ مَا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
قَالَ : فَاجْعَلْ لِي شَرَاباً : قَالَ : كُلُّ مُسْكِرٍ ، قَالَ : اجْعَلْ لِي مُؤَدِّناً ، قَالَ :
الْمِزْمَارَ قَالَ : اجْعَلْ لِي قُرْآنًا ، قَالَ : الشُّعْرُ . قَالَ : فَاجْعَلْ لِي كِتَاباً ،
قَالَ : الْوَشْمُ ، قَالَ : اجْعَلْ لِي حَدِيثاً ، قَالَ : الْكَذِبُ ، قَالَ : اجْعَلْ لِي
رُسْلاً ، قَالَ : الْكَهَنَةَ . قَالَ : اجْعَلْ لِي مَصَائِدَ ، قَالَ : النِّسَاءُ .

اللهم خَفِّفْ عَنَّا الْأَوْزَارَ وَأَرْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَشْرَارِ
وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ يَا كَرِيمُ يَا سَتَّارُ

ويا حَلِيمُ ويا جَبَّارُ واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شعرا :

قَدْ أَشْرَقَتْ «رَايَةَ الْإِسْلَامِ» وَالْأَدَبِ وَأَهْجُرُ سَبِيلَ الْأَوْلَى جَادُوا بِشِعْرِهِمْ
يُشَجِّهِمْ ذِكْرُ آرَامٍ نَعْمَنَ بِهِ وَذِكْرُ عَيْنٍ لَهَا فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ
كَمَثَلِ رَيْمٍ يَمِينِ الرَّئِدِ قَدْ عَرَضَتْ
عَيْنُ الْمَهَاةِ رَمْتِي وَهِيَ مُعْرَضَةٌ
لَمَّا تَوَلَّتْ بَقْلِي قُلْتَ وَآسَفِي
لَوْلَا التَّجَلُّدُ مَا أَمْسَيْتُ فِي سَكَنِ
لَعَلَّ رِيحَ الصَّبَا تَأْتِي بِرَائِحَةِ
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا وَصَفْتُ
لَمَّا بُلَيْتُ أَقَمْتُ الْعُذْرَ دُونَهُمْ
فَلَيْتَ ذَا الْعَقْلِ يَرْتِي لِي ، وَيَعْذُرُنِي
إِذْ يَعْذُلُونَ لِصَبِّ يَأْتِ مُكْتَسِبًا
أَوْ يَرْجِعُونَ إِلَيَّ نُصْحَ وَمَوْعِظَةٍ
كَيْمَا يَكُونُ مَرِيضَ الْقَلْبِ مِنْ سَفَهٍ
نِعْمَ الشِّفَاءُ كِتَابُ اللَّهِ مَعَ سُنَنِ
فَأَذْمِينَ الْوَعْظِ وَالْإِرشَادِ مُجْتَهِدًا
أَمَا تَرَى النَّشْرَ قَدْ حَدَثَ رَكَائِبُهُمْ
وَعَرَّهُمْ صَوْتُ مِذْيَاعٍ قَدْ ائْتَلَتْ
بُشُوءَ الدِّعَايَةِ لِلدُّنْيَا وَزُخْرَفَهَا
وَضَلَّلُوا النَّشْرَ بِالْآرَاءِ خَادِعَةً

فَحَيِّهَا مُعَلَّنًا بِالشَّعْرِ وَالخُطْبِ
لِمَنْزِلِ دَارِ الْإِطْلَالِ مِنْ نُوبِ
تَسُومُ بِنْتُ الرَّبِيِّ فِي مَأْمَنَ خَصَبِ
تَلْقَى قُلُوبَ أَوْلَى الْأَخْلَامِ فِي كُرْبِ
أَلَقْتَ إِلَيَّ سَهَامَ الْحُزْنِ وَالشَّجَبِ
فَصِرْتُ ذَا حَيْرَةٍ فِي كَفِّ مُسْتَلَبِ
هَلْ مِنْ جَنَاحٍ فَأَقْفُو مُنْتَهَى طَلْبِي ؟
وَكُنْتُ فِي الْبَيْدِ بَيْنَ الْوَحْشِ لَمْ أَثِبِ
مِنْ نَفْحِ عَنَبِهَا يَشْفِي لِيذِي الْوَصَبِ
أَهْلُ التَّسْيِبِ مِنَ الْأَشْجَانِ وَالْكَأَبِ
عُذْرَ الْخَيْرِ بِسَهْمِ الْفَاتِكِ الْأَرِبِ
وَلَيْتَ أَهْلَ النَّهْيِ وَالِدِينَ وَالْأَدَبِ
يَلْقَوْنَ مِثْلَ الَّذِي أَلْقَى مَنْ التَّصَبِ
مِنَ الْكِتَابِ وَتَذْكِيرِ بِهِدْيِ نَبِيِّ
أَوْ غَفْلَةٍ بَيْنَ خَوْفِ اللَّهِ وَالرَّغْبِ
كَمْ أُبْرَأَ دَنْفِ التَّشْكِيكِ وَالرَّيْبِ
وَأَنْشُرَ مَحَاسِنِ هَذَا الدِّينِ فِي دَابِ
عَنِ التَّقْدِيمِ لِلْعَالِي مِنَ الرُّتَبِ ؟
مِنْهُ الْمَسَامِعُ فِي تَمْجِيدِ كُلِّ غَيْبِي ؟
وَلِلتَّنَافُسِ بِالْأَمْوَالِ وَالنَّشَبِ
وَضِيْعُوا الْوَقْتِ فِي مَلْهَى وَفِي طَرْبِ

لَصَدَّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ بِاللَّقَبِ
 يَا بئسَ مَا وَعَدُوا فِي شَرِّ مُنْقَلَبٍ
 قَوْمٌ يَرَوْنَ الْعُلَى بِالْمَقُولِ الذَّرِبِ
 مِنْ دُونَ نُورٍ مِنَ الْوَحْيَيْنِ مُصْطَحِبِ
 وَتَتَرَكُوا مَجْدَكُمْ نَهْبًا لِمُنْتَهَبِ ؟
 قَعَرَ الْجَجِيمِ مَعَ الطَّاعِي أُنَى لَهَبِ ؟
 وَالْكَفَرَ قَدَّمَ أَهْلَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِي
 يَنْظُرُ لِصَفْوَتِنَا فِي سَالَفِ الْحَقْبِ
 بِالْقَوْلِ ، وَالْفِعْلِ ، وَالتَّعْظِيمِ لِلصُّلْبِ
 مَشَى الْحَمَامَةِ فِي حُسْنٍ وَفِي حَبِيبِ
 فَضَّلَ مَشِيَّتَهُ الْأَوْلَى وَلَمْ يُصِيبِ
 وَتُلْصِقُوا كُلَّ عَيْبٍ فِيهِ بِالْكَذِبِ !
 وَلَا الصَّنَائِعُ فِي نَفْعٍ لِمَكْتَسِبِ
 أَدَّتْ لِمَعْصِيَةِ تُلْقِيكَ فِي الْعَطَبِ
 كَيْمَا يَكُونُ عَدُوُّ الدِّينِ فِي رَهَبِ !
 مِنْ دُونَ دِينٍ فَمَا أَوْهَاهُ مِنْ سَبَبِ !
 وَشَجَعُوا النَّشْرَ مِنْ أُنْبَاءِنَا النُّجْبِ
 وَحَاذِرُوا سَكْرَةَ اللَّذَاتِ وَاللَّعِبِ
 وَيُصْبِحُ الْجَهْلُ وَالْكَفْرَانُ فِي نَصَبِ
 مَنَاهِلُ عَذَبَتْ ، أَخْلَى مِنَ الضَّرْبِ
 مُسْتَقْبَلٌ شَامِحٌ أَعْلَى مِنَ الشُّهْبِ
 لَكَيْمَا الْعِلْمُ لَا يُجْنَى بِإِلَّا تَعَبِ

وَلَقَبُوا الْحَقَّ الْقَابَاً مُشَوَّهَةً
 وَحَارَبُوا الدِّينَ ، وَالْأَخْلَاقَ جُهْدَهُمْ
 وَحَسَّنُوا السُّبُلَ اللَّاتِي يَهْنِمُ بِهَا
 مَا الْعِلْمُ سَبَبُكَ ، وَتَنْمِيْقُ ، وَشَقَشَقَةً
 أَغَايَةَ الْعِزِّ أَنْ تَقْلُوا مَبَادئَكُمْ ؟
 وَهَلْ يُعَدُّ عَزِيزاً مَنْ نَهَائِيْتُهُ ؟
 وَكَمْ غَمِي يَرَى الْإِسْلَامَ أَخْرَنَا !
 يَرَى التَّقَدُّمُ فِي تَرْكِ التَّدْيِينِ لَمْ
 لِذَلِكَ عَابَ عَلَى الْإِسْلَامِ يَهْدُمُهُ
 مِثْلُ الْغُرَابِ الَّذِي يَهْوَى وَيُعْجِبُهُ
 فَحَاوَلَ الْعُمْرُ أَنْ يَحْكِي لِمَشِيَّتِهَا
 «لَا تَظْلُمُوا الدِّينَ إِذْ كَلَّتْ عَزَائِمُكُمْ»
 تَعَلَّمُ الطِّبَ لَيْسَ الشَّرْعُ يَمْنَعُهُ
 وَإِنَّمَا حَرَّمَ الشَّرْعُ الْأُمُورُ إِذَا
 بَلَّ جَاءَنَا النَّصُّ فِي إِعْدَادِ قُوَّتِنَا
 وَمَنْ أَرَادَ رُقِيَاً ، أَوْ مُعَالَبَةً
 مَهْلًا بَنِي يَعْرَبِ ، لَا تُحْلِدُوا كَسَلًا
 عَلَى اقْتِحَامِ الْعُلَى فِي كُلِّ آوْتَةٍ
 كَيْمَا تَعُودُ إِلَى الْإِسْلَامِ عِزَّتُهُ !
 أَفْتِيَةُ الدِّينِ ، وَالْعِلْمُ الصَّحِيحُ لَكُمْ
 وَطَالِبُ الْعِلْمِ ، مَأْمُولٌ لَهُ أَبَدًا
 وَالْمَجْدُ وَالْعِلْمُ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنِ

فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ الْمَمْدُوحِ فِي الْكُتُبِ

يَا فِتْيَةَ الضَّادِ ، إِنَّ الْعِزَّ أَجْمَعُهُ

ما بَارَزَ الْمُصْطَفَى قَوْمًا يِعِدَّتِهِ
 وَلَا الصَّحَابَةَ مَنْ خَافَتْ جُمُوعُهُمْ
 هُمْ دَوَّخُوا كُلَّ جَبَّارٍ وَذِي أَسْرٍ
 تِلْكَ الْعَطَارِفَةُ الْأَمْجَادُ لَمْ يَهِنُوا
 حَدَاهُمْ الشُّوقُ لِلْمَوْعُودِ فِي زُبُرٍ
 وَأَنْزَلُوا الْفُرْسَ عَنْ دِيَوَانِ مَمْلَكَةٍ
 وَلَمْ يَعُدَّ مَجْدُهَا مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدًا
 وَقَيَصَّرَ قَصْرَتْ أَيَامُهُ وَغَدَا
 أَمَا سَمِعْتَ بِجُنْدِ اللَّهِ كَمْ نُصِرُوا ؟
 وَفِي « الْأَيْلَةِ » وَ « الْيَوْمِوكِ » مَا فَعَلُوا
 وَكَمْ بِأَنْدَلِسٍ مِنْ وَقَعَةٍ عَظُمَتْ
 وَأَصْبَحَ الْحَقُّ فِي الْآفَاقِ مُنْبَعثًا !
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى أَرْكَى الْوَرَى شَرَفًا
 وَلَا الْعَدِيدِ وَلَكِنْ صِدْقٌ مُحْتَسِبٍ
 أَهْلُ الْبَسِيطَةِ مِنْ نَاءٍ وَمُقْتَرِبٍ
 بِعَزْمَةِ الصِّدْقِ ثُمَّ الْعَزْمُ بِالْقَضْبِ
 يَوْمًا ، عَلَى شِدَّةِ الضَّرَاءِ وَالسَّغْبِ
 حَتَّى اسْتَوَوْا فَوْقَ مَتْنِ الْعِزِّ بِالْغَلْبِ
 مَنِيَعَةٍ ، شَمَخَتْ عَنْ كُلِّ مُغْتَصِبٍ
 وَكَانَتْ الْفُرْسُ تَحْتَ الدَّلِيلِ لِلْعَرَبِ
 تَحْتَ السَّنَابِكِ فِي وَيْلٍ وَفِي حَرْبٍ
 وَمَزَّقُوا الرُّومَ بِالْحَمَلَاتِ وَالرُّعْبِ ؟
 وَ « الْقَادِسِيَّةِ » يَوْمَ الْجَحْفَلِ اللَّجْبِ
 فَنَالَتِ الْعَرَبُ فِيهَا مُنْتَهَى الْأَرْبِ
 كَالشَّمْسِ ، لَكِنَّهُ أَبْهَى ، وَلَمْ يَغِبِ
 أَكْرَمُ بِهِ خَيْرٌ مَبْعُوثٍ وَمُنْتَحَبٍ !

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلَلِ وَوَقَّفَنَا لِصَالِحِ الْعَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ
 اللَّهُمَّ تَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَل : وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ بِالصُّوتِ الْأَحْمَقِ وَالصُّوتِ الْفَاجِرِ ، فَهِيَ تَسْمِيَةٌ
 الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ، الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ
 حَدِيثِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَى النَّخْلِ ،
 فَإِذَا ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَتَبْكِي وَأَنْتِ تَنْهَى النَّاسَ ؟ قَالَ : « إِنِّي لَمْ أَنْهَ عَنْ
الْبُكَاءِ ، وَأَمَّا نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجْرَيْنِ ، صَوْتِ عِنْدَ نِعْمَةٍ لَهَوٍ
وَلَعِبٍ وَمَزَامِيرِ شَيْطَانٍ ، وَصَوْتِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ ، وَخَمْسِ وَجُوهٍ ،

وَشَوْقِ جُيُوبٍ ، وَرَنَةٍ ، وَهَذِهِ رَحْمَةٌ ، وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ ، لَوْلَا
أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ ، وَوَعْدُ صِدْقٍ وَأَنْ آخِرَنَا سَيَلْحَقُ أَوْلَانَا لَحَزْنَا عَلَيْكَ حَزْنًا هُوَ
أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، وَإِنَّا بِكَ لَمُحْزُونُونَ ، تَبْكِي الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا
نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ » قَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ فَاَنْظُرْ إِلَى هَذَا
النَّهْيِ الْمُؤَكَّدِ بِتَسْمِيَّتِهِ صَوْتِ الْغِنَاءِ صَوْتًا أَحْمَقَ ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ
حَتَّى وَصَفَهُ بِالْفُجُورِ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى سَمَّاهُ مِنْ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ ،
وَأَمَّا تَسْمِيَّتُهُ صَوْتِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِلشَّيْطَانِ وَجْزِيهِ ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مَنْ
اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ
بِصَوْتِكَ ﴾ كُلُّ دَاعٍ إِلَى مَعْصِيَةٍ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْغِنَاءَ مِنْ أَعْظَمِ
الدَّوَاعِي إِلَى الْمَعْصِيَةِ ، وَلِهَذَا فَسَّرَ صَوْتُ الشَّيْطَانِ بِهِ انْتَهَى بِتَصْرِفِ
يَسِيرٍ . (١٠) إِنْتِبَهْ وَالْقِي سَمْعَكَ وَحَضِرْ قَلْبَكَ لِكَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : وَالشَّرَائِعُ هِيَ غِذَاءُ الْقُلُوبِ
وَقُوتُهَا ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَيُرْوَى مَرْفُوعاً - « إِنَّ كُلَّ
آدِبٍ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى مَأْدِبَتُهُ ، وَأَنْ مَأْدِبَةَ اللَّهِ هِيَ الْقُرْآنُ » وَمِنْ شَأْنِ
الْجَسَدِ إِذَا كَانَ جَائِعاً فَأَخَذَ مِنْ طَعَامِ حَاجَتِهِ اسْتَفْنَى عَنْ طَعَامِ آخَرَ ،
حَتَّى لَا يَأْكُلُهُ - إِنْ أَكَلَ مِنْهُ - إِلَّا بِكَرَاهَةٍ وَتَجَشُّمٍ ، وَرُبَّمَا ضَرَّهُ أَكْلُهُ ، أَوْ
لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ الْمَغْذِي الَّذِي يُقِيمُ بَدَنَهُ ، فَالْعَبْدُ إِذَا أَخَذَ مِنْ
غَيْرِ الْأَعْمَالِ الْمَشْرُوعَةِ بَعْضَ حَاجَتِهِ ، قَلَّتْ رَغْبَتُهُ فِي الْمَشْرُوعِ وَانْتِفَاعُهُ
بِهِ ، بِقَدْرِ مَا اعْتَصَرَ مِنْ غَيْرِهِ ، بِخِلَافِ مَنْ صَرَفَ نَهْمَتَهُ وَهَمَّتَهُ إِلَى
الْمَشْرُوعِ ، فَإِنَّهُ تَعْظُمُ مَحَبَّتُهُ لَهُ وَمَنْفَعَتُهُ بِهِ ، وَيَتِمُّ دِينُهُ بِهِ ، وَيَكْمُلُ
إِسْلَامُهُ .

وَلِهَذَا تَجِدُ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ سَمَاعِ الْقَصَائِدِ لِطَلَبِ صَلَاحِ قَلْبِهِ تَنْقُصُ رَغْبَتُهُ فِي سَمَاعِ الْقُرْآنِ ، حَتَّى رُبَّمَا كَرِهَهُ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ السَّفَرِ إِلَى زِيَارَةِ الْمَشَاهِدِ وَنَحْوِهَا ، لَا يَبْقَى لِحُجِّ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْمَحَبَّةِ وَالْتِعَظِيمِ مَا يَكُونُ فِي قَلْبِ مَنْ وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ، وَمَنْ أَدْمَنَ عَلَى أَخْذِ الْحِكْمَةِ وَالْآدَابِ مِنْ كَلَامِ حُكَمَاءِ فَارِسَ وَالرُّومِ ، لَا يَبْقَى لِحِكْمَةِ الْإِسْلَامِ وَآدَابِهِ فِي قَلْبِهِ ذَلِكَ الْمَوْقِعُ ، وَمَنْ أَدْمَنَ عَلَى قِصَصِ الْمُلُوكِ وَسِيرِهِمْ ، لَا يَبْقَى لِقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَسِيرِهِمْ فِي قَلْبِهِ ذَلِكَ الْاهْتِمَامُ وَنَظَائِرُ هَذِهِ كَثِيرَةٌ .

وَلِهَذَا عَظَمَتِ الشَّرِيعَةُ النَّكِيرَ عَلَى مَنْ أَحَدَتْ الْبِدْعَ وَحَدَّرَتْ مِنْهَا ، لِأَنَّ الْبِدْعَ لَوْ خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْهَا كَفَافًا لَا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ لَكَانَ الْأَمْرُ خَفِيفًا ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تُوجِبَ لَهُ فَسَادًا فِي قَلْبِهِ وَدِينِهِ ، يَنْشَأُ مِنْ نَقْصِ مَنَفَعَةِ الشَّرِيعَةِ فِي حَقِّهِ ، إِذِ الْقَلْبُ لَا يَتَّسِعُ لِلْعَوَاضِ وَالْمَعَوَاضِ عَنْهُ ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِيدَيْنِ الْجَاهِلِيَيْنِ « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا يَوْمَيْنِ خَيْرًا مِنْهُمَا » فَيَبْقَى اغْتِذَاءُ قَلْبِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُتَبَدِّعَةِ مَانِعًا مِنَ الْاِغْتِذَاءِ ، أَوْ مِنْ كَمَالِ الْاِغْتِذَاءِ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَتَفْسُدُ عَلَيْهِ حَالُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ كَمَا يَفْسُدُ جَسَدُ الْمَغْتَذِي بِالْأَغْذِيَّةِ الْخَبِيثَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ بَعْضُ ضَرَرِ الْبِدْعِ أَه قُلْتُ لِلَّهِ دَرُهُ مِنْ إِمَامٍ مَا أَعْلَمَهُ وَأَبْصَرَهُ بِأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَعِلَاجِهَا فَتَدَبَّرْ كَلَامَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِحُضُورِ قَلْبٍ لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعَكَ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان ووقفنا لصالح الأعمال ، اللهم تفضل علينا بالقبول والإجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اللهم اعتقنا من رقِّ الذُّنُوبِ ، واخلصنا من شرِّ النفوسِ ، وأذهب عنا
 وَحْشَةَ الإِسَاءَةِ ، وطَهِّرْنَا من دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وِبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الخَطَابَا
 وَأَجْرْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَصَلَّى اللهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ الغِنَاءِ مَا رَوَى سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ عَنْ أَخِيهِ
 حَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ
 عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ المَغْنِيَةَ
 وَبَيْعَهَا ، وَثَمَنَهَا وَتَعْلِيمَهَا وَالاِسْتِمَاعَ إِلَيْهَا » .

وَرَوَى لِاحِقُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ ، أَنَّ ابْنَ أَبِي الْوَرْدِ المَقْدِسِيِّ
 قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو المَرْجِي ضِرَارُ بْنُ عَلِي بْنِ عُمَيْرِ القَاضِي الجِيلَانِي حَدَّثَنَا
 أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرِ الجَمْصِيِّ ، حَدَّثَنَا فَرْجُ ابْنِ
 فَضَالَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ ، عَنْ عَلِيِّ ابْنِ
 أَبِي طَالِبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا عَمِلْتَ أُمَّتِي
 خَمْسَ عَشْرَةَ خُصْلَةً حَلَّ بِهَا البَلَاءُ ، إِذَا كَانَ المَالُ دُولًا ١ والأَمَانَةُ مَغْنَمًا ٢
 وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا ٣ وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ ٤ وَعَقَّ أُمَّهُ ٥ وَجَفَا أَبَاهُ ٦ وَارْتَفَعَتْ
 الأَصْوَاتُ فِي المَسَاجِدِ ٧ وَكَانَ زَعِيمُ القَوْمِ أُرْدَلَهُمْ ٨ وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ
 شَرِّهِ ٩ وَلَبَسَ الحَرِيرُ ١٠ وَاتَّخَذَتْ القَيْنَاتُ ١١ وَالمَعَارِزُ ١٢ وَلَعَنَ آخِرُ
 هَذِهِ الأُمَّةِ أَوْلَهَا ١٣ فَلْيَتَوَقَّعُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ وَمَسْحًا وَخَسْفًا وَعَنْ
 مُعَاوِيَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ تِسْعٍ ، وَأَنَا أَنهَاكُم
 عَنْهُنَّ ، أَلَا إِنَّ مِنْهُنَّ الغِنَاءُ وَالنُّوحُ وَالتَّصَاوِيرُ الحَدِيثُ ، وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ
 قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « لَا يَحِلُّ تَعْلِيمُ

المَغْنِيَاتِ ، وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا بَيْعُهُنَّ ، وَلَا اتِّخَاذُهُنَّ ، وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ ،
 وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾
 الآية وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا رَفَعَ رَجُلٌ عَقِيرَتَهُ بِالْغِنَاءِ إِلَّا ارْتَدَفَهُ شَيْطَانَانِ
 يَضْرِبَانِ بِأَرْجُلِهِمَا صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى يَسْكُتَ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ
 حَرَّمَ تَعْلِيمَ الْمَغْنِيَاتِ ، وَشِرَاءَهُنَّ وَبَيْعَهُنَّ ، وَأَكْلَ أَثْمَانِهِنَّ وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ
 عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَقُولُ « لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ
 وَالْمَعَارِزَ » ، وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 « مَنْ جَلَسَ إِلَى قَيْنَةٍ ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَعَنْ ابْنِ
 عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ،
 لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قَالَ الْغِنَاءُ ، وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ
 يُسْمُونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا ، تُضْرَبُ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الْمَعَارِزُ وَالْقَيْنَاتُ ،
 يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ » .

قَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ ، كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُوْدًا
 عُوْدًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكَّتَتْ فِيهِ سَوْدَاءٌ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَّتَتْ فِيهِ
 نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ أَسْوَدَ مُرْبَدًّا ،
 كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ ،
 وَقَلْبٌ أَبْيَضٌ ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ » قَالَ ابْنُ

الْقِيمِ : فَشَبَّهَ عَرَضَ الْفِتَنِ عَلَى مَا الْقُلُوبُ شَيْئًا فَشَيْئًا كَعَرَضِ عِيدَانِ
 الْحَصِيرِ وَهِيَ طَاقَاتُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَقَسَمَ الْقُلُوبَ عِنْدَ عَرَضِهَا عَلَيْهَا إِلَى
 قِسْمَيْنِ : قَلْبٌ إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ أُشْرِبَهَا ، نُكِنَتْ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ،
 كَمَا يَشْرَبُ الْأَسْفَنْجُ الْمَاءَ ، فَتُنَكَّتُ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، فَلَا يَزَالُ يَشْرَبُ كُلَّ
 فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَسْوَدَّ وَيَتَنَكَّسَ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ « كَالْكُوزِ
 مَجْجِيًا » أَي مَنكُوسًا .

فَإِذَا اسْوَدَّ وَانْتَكَسَ ، عَرَضَ لَهُ مِنْ هَذَيْنِ الْآفَتَيْنِ خَطَرَانِ مَتْرَامِيَانِ بِهِ
 إِلَى الْهَلَاكِ ، أَحَدُهُمَا اسْتِيَابُهُ الْمَعْرُوفِ عَلَيْهِ بِالْمُنْكَرِ فَلَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا
 يُنْكِرُ مُنْكَرًا وَرَبَّمَا اسْتَحْكَمَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَرَضُ ، حَتَّى يَعْتَقِدَ الْمَعْرُوفَ
 مُنْكَرًا ، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا ، وَالسُّنَّةَ بَدْعَةً ، وَالْبَدْعَةَ سُنَّةً ، وَالْحَقَّ بَاطِلًا ،
 وَالْبَاطِلَ حَقًّا .

الثَّانِي تَحْكِيمُهُ هَوَاهُ عَلَى مَا جَاءَهُ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، وَانْقِيَادُهُ لِلْهَوَى وَاتِّبَاعُهُ لَهُ .

وَقَلْبٌ أَبْيَضٌ ، قَدْ أَشْرَقَ فِيهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَأُزْهِرَ مِصْبَاحُهُ ، فَإِذَا
 عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ أَنْكَرَهَا وَرَدَّهَا ، فَازْدَادَ نُورُهُ وَأَشْرَافُهُ وَقُوَّتُهُ ، وَالْفِتْنَةُ
 الَّتِي تُعْرَضُ عَلَى الْقُلُوبِ هِيَ أَسْبَابُ مَرَضِهَا ، وَهِيَ فِتْنُ الشَّهَوَاتِ ،
 وَفِتْنُ الشُّبُهَاتِ ، فِتْنُ الْغِيِّ وَالضَّلَالِ ، فِتْنُ الْمَعَاصِيِ وَالْبَدْعِ ، فِتْنُ الظُّلْمِ
 وَالْجَهْلِ ، فَالْأُولَى تُوجِبُ فِسَادَ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ ، وَالثَّانِيَةُ تُوجِبُ فِسَادَ
 الْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادِ أَهْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ

فَصْلٌ

فَالْقُلُوبُ نَوْعَانِ قَلْبٌ إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ أُشْرِبَهَا وَأَحْبَبَهَا وَمَالَ

إِيَّهَا وَإِيَّهَا ، وَقَلْبٌ يُنْكِرُهَا وَيَنْفِرُ مِنْهَا وَيَحْدِرُ عَنْهَا ، فَذَلِكَ الْقَلْبُ
الْأَبْيَضُ الَّذِي أَشْرَقَ بِنُورِ الْإِيمَانِ ، وَهُوَ مَعْنَى مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ ،
وَقَالَ أَيْضاً : وَمِنْ حَيْلِ الشَّيْطَانِ وَمَكَائِدِهِ الْكَلَامُ الْبَاطِلُ ، وَالْآرَاءُ
الْمُتَهَاوِنَةُ ، وَالْخَيَالَاتِ الْمُتَنَاقِضَةِ ، الَّتِي هِيَ زِبَالَةُ الْأَذْهَانِ ، وَنُحَاتَةُ
الْأَفْكَارِ ، وَالزَّبْدُ الَّذِي تَقْدِفُ بِهِ الْقُلُوبُ الْمُظْلِمَةَ الْمُتَحِيرَةَ ، الَّتِي تَعْدِلُ
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَالْخَطَأَ بِالصَّوَابِ ، وَقَدْ تَقَادَفَتْ بِهَا أَمْوَاجُ الشُّبُهَاتِ ،
وَرَأَتْ عَلَيْهَا غُيُومَ الْخَيَالَاتِ ، فَمَرَّكَبَهَا الْقَيْلُ وَالْقَالُ ، وَالشَّكُّ
وَالتَّشْكِيكُ ، وَكَثْرَةُ الْجِدَالِ ، لَيْسَ لَهَا حَاصِلٌ مِنَ الْيَقِينِ يُعَوِّلُ عَلَيْهِ ، وَلَا
مُعْتَقَدٌ مُطَابِقٌ لِلْحَقِّ يُرْجَعُ إِلَيْهِ ﴿ يُوْجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ
غُرُورًا ﴾ وَقَدْ اتَّخَذَ لِذَلِكَ الْقُرْآنَ مَهْجُورًا .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي النَّهْيِ عَمَّا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ إِلَّا مَا اسْتَشْنَى : مَا وَرَدَ عَنْ
عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ ، إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيئِهِ فَرَسَهُ ،
وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ ، فَانْهَنَّ مِنَ الْحَقِّ » فَبِئْسَ الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا يَلْهُو
بِهِ الْإِنْسَانُ فَهُوَ بَاطِلٌ ، أَي مُحَرَّمٌ مَمْنُوعٌ مَا عدا هَذِهِ الثَّلَاثِ الَّتِي
اسْتَشْنَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَانْهَنَّ مِنَ الْحَقِّ أَوْ وَسِيلَتَهُ
إِلَى الْحَقِّ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ عُقْبَةَ : « كُلُّ
لَهُوَ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ بَاطِلٌ » الْحَدِيثُ مَا مَعْنَاهُ : الْبَاطِلُ ضِدُّ الْحَقِّ ،
فَكُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ حَقًّا ، أَوْ وَسِيلَةً إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ نَافِعًا فَانَّهُ بَاطِلٌ ، مُشْغَلٌ
لِلْوَقْتِ ، مُفَوِّتٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، فَيَسْتَحِيلُ عَلَى
الشَّرْعِ أَبَاحَةً مِثْلَ هَذَا . اهـ .

اللهم اكتب في قلوبنا الايمان وايدنا بنور منك يا نور السموات
والارض اللهم وافتح لدعائنا باب القبول والاجابة واغفر لنا وارحمنا

بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْغُورُ الرَّحِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا أَشْكَلَ حُكْمَ شَيْءٍ هَلْ هُوَ لِإِبَاحَةٍ أَوْ لِلتَّحْرِيمِ ؟ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَفْسَدَتِهِ ، وَتَمَرَّتِهِ وَغَايَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ مُشْتَمَلًا عَلَى مَفْسَدَةٍ رَاجِحَةٍ ظَاهِرَةٍ ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى الشَّارِعِ الْأَمْرُ بِهِ أَوْ إِبَاحَتِهِ ، بَلْ الْعِلْمُ بِتَحْرِيمِهِ مِنْ شَرْعِهِ قَطْعِيٌّ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مُفْضِيًّا إِلَى مَا يُغْضِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَقَالَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ : لَا يَجُوزُ اللَّعِبُ بِالطَّابِ وَالْمَنْقَلَةِ ، وَكُلُّ مَا أَفْضَى كَثِيرُهُ إِلَى حُرْمَةٍ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ سَبَبًا لِلشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، وَمَا أَلْهَى أَوْ شَغَلَ عَنِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يُحْرَمْ جِنْسُهُ كَالْبَيْعِ وَالتَّجَارَةِ ، وَسَائِرِ مَا يَلْهَى بِهِ الْبَطَّالُونَ مِنْ أَنْوَاعِ اللَّهْوِ وَسَائِرِ ضُرُوبِ اللَّعِبِ ، مِمَّا لَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى حَقِّ شَرْعِيٍّ ، فَكُلَّ ذَلِكَ حَرَامٌ أَه .

وَكَذَا يُنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَ مِمَّا يَعُوقُ سِيرَهُ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ ،

كَالمُطَالَعَةِ فِي الْمَجَلَّاتِ وَالصُّحُفِ ، وَالكُتُبِ الَّتِي لَا يَعُودُ عَلَى صَاحِبِهَا مِنْهَا إِلَّا الضَّرَرُ ، وَضِيَاعُ عُمُرِهِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَالِهِ فِيهَا . قَالَ بَعْضُهُمْ .

آخر : إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمُرَكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ
آخر : وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمُرَ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
وَسَوْفَ يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ عَمَّا أَفْنَاهُ فِيهِ . فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَمَاذَا عَمِلَ بِمَا عَلِمَ » .

فَالعَاقِلُ مَنْ كَانَ مِلءُ قَلْبِهِ ، وَمَالِكُ لُبِّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى ، وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ فَسَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَبَادَرَ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، عَامِلًا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًّا ، أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا ،

أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا ، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْ الدَّجَالَ فَالدَّجَالَ شَرُّ
غَائِبٍ يُتَظَرُّ ، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ « رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

شِعْرًا :

نَخْطُوا وَمَا خَطُونَا إِلَّا إِلَى الْأَجَلِ
وَنَنْقُضِي وَكَأَنَّ الْعُمَرَ لَمْ يَطُلْ
وَالْعَيْشُ يُؤْذِنُنَا بِالْمَوْتِ أَوَّلُهُ
وَنَحْنُ نَرْغَبُ فِي الْأَيَّامِ وَالِدُولِ
يَأْتِي الْحِمَامُ فَيَنْسِي الْمَرْءَ مَنِيَّتَهُ

وَأَعْضَلُ الدَّاءِ مَا يُلْهِئُ عَنِ الْأَمَلِ

آخر :

تُرْخِي النَّوَائِبُ عَنْ أَعْمَرِنَا طَرْفًا
لَا تَحْسَبِ الْعَيْشَ ذَا طُولٍ فَتَتَّبِعُهُ
سَلَى عَنِ الْعَيْشِ أَنَا لَا نَدُومُ لَهُ
لَنَا بِمَا يَنْقُضِي مِنْ عُمْرِنَا شُغْلٌ
وَنَسْتَلِدُ الْأَمَانِي وَهِيَ مُرْدِيَةٌ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارِ مَسْرَةٍ
بَيْنَا الْفَتَى فِيهَا يُسَرُّ بِنَفْسِهِ
حَتَّى سَقَتْهُ مِنَ الْمَنِيَّةِ شَرِبَةٌ
فَعَدَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَةٌ
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مِنْ تَحْتِ الثَّرَى

آخر :

يُسِيءُ إِمْرُؤِمَنَا فَيُبْغِضُ دَائِمًا
أَسْرَ هَوَاهَا الشَّيْخُ وَالْكَهْلُ وَالْفَتَى
وَدُنْيَاكَ مَا زَالَتْ تُسِيءُ وَتُومِقُ
بِجَهْلِهِ فَمِنْ كُلِّ النَّوَظِرِ تُرْمَقُ

وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ يُوهَلَ مِثْلُهَا لُودٍ وَلَكِنَّ ابْنَ آدَمَ أَحْمَقُ
 اللَّهُمَّ لَا تُشْغِلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكْفَلْتَنَا بِهِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ
 حَوْلًا لِعَيْرِكَ ، وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا ، وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
 حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ : أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ كَانَتْ الْأُمَّةُ الْأِسْلَامِيَّةُ فِيمَا مَضَى
 مُتَمَسِّكَةً بِكِتَابِ اللَّهِ ، عَامِلَةً بِسُنَّةِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَحِيحَةً
 فِي عَقَائِدِهَا ، صَالِحَةً فِي أَعْمَالِهَا حَسَنَةً فِي مُعَامَلَاتِهَا وَعَادَاتِهَا ، كَرِيمَةً
 فِي أَخْلَاقِهَا بِصِيرَةٍ فِي دِينِهَا رَاقِيَةً فِي آدَابِهَا وَعُلُومِهَا ، فَكَانَتْ عَزِيزَةً
 الْجَانِبِ ، قَوِيَّةَ الشُّوْكَةِ ، جَلِيلَةً مَهْيَبَةً ، صَاحِبَةَ السُّلْطَانِ وَالصُّوْلَةِ عَلَى
 مَنْ عَدَاهَا ، وَالْيَوْمَ تَغَيَّرَ أَمْرُهَا ، وَتَبَدَّلَ حَالُهَا ، اخْتَلَّتْ عَقَائِدُهَا وَفَسَدَتْ
 أَعْمَالُهَا ، وَسَاءَتْ مُعَامَلَاتُهَا وَعَادَاتُهَا ، وَتَدَهَوْرَتْ أَخْلَاقُهَا ، وَجَهَلَتْ أَمْرَ
 دِينِهَا وَدُنْيَاهَا ، وَتَأَخَّرَتْ عُلُومُهَا وَصَنَائِعُهَا فَصَارَتْ ذَلِيلَةَ الْجَانِبِ ، ضَعِيفَةً
 الشُّوْكَةِ ، سَاقِطَةَ الْكِرَامَةِ ، فَاقِدَةَ الْهَيْبَةِ مَغْلُوبَةً عَلَى أَمْرِهَا ، مُتَأَخِّرَةً فِي
 مَرَاقِقِ حَيَاتِهَا تَتَخَبَّطُ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ ، وَتَتَقَادُّ لِلْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ ،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهَا خَالَفتْ كِتَابَ رَبِّهَا ، وَانْحَرَفَتْ عَنْ طَرِيقِ الْهَادِي نَبِيِّهَا ،
 وَسَارَتْ وَرَاءَ هَوَاهَا ، وَفُتِنَتْ بِزَخَارِفِ الْحَضَارَةِ الْمُزَيَّفَةِ ، وَالْمَدَنِيَّةِ الْكَاذِبَةِ
 وَظَنَّتْ الْإِبَاحِيَّةَ حُرِّيَّةً وَالْخَلَاعَةَ رُقِيًّا ، فَتَعَدَّتْ حُدُودَ الدِّينِ وَالْعَقْلِ .

وَأَغْضَبَتْ خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَسَاءَتْ حَالُهَا ، وَسُلِطَ عَلَيْهَا عَدُوُّهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أيها الناس لقد ذاقَت الأمةُ وَبَالَ أَمْرِهَا ، وَعُوقِبَتْ بِشَرِّ أَمَالِهَا ، وَتَجَرَّعَتْ مَرَارَةَ الدُّلِّ وَالْهَوَانِ ، وَالتَّفَرُّقِ وَالْأَنْحِلَالَ ، كُلُّ ذَلِكَ نَتِيجَةُ لَازِمَةِ لِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ الْأُمَّةِ ، وَأَنْحِرَافِهَا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، ﴿ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ كُلُّ ذَلِكَ نَازِلٌ بِنَا وَوَأَقِعَ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ لَا نُفِيقُ مِنْ سَكْرَتِنَا ، وَلَا نَنْتَبِهُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَلَا نَنْزَجِرُ بِالْمَحَنِ وَالْبَلَايَا ، وَلَا نَعْتَبِرُ بِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ فَلَوْ كَانَتْ لَنَا نَفُوسٌ حَيَّةٌ وَقُلُوبٌ يَقِظَةٌ وَشُعُورٌ حَيٌّ وَاحْسَاسٌ قَوِيٌّ ، لَنَبَهْتَنَا الْبَلَايَا ، وَأَيَقِظْتَنَا الْمُؤَلِّمَاتِ ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُ : الدِّينُ عَقِيدَةٌ صَحِيحَةٌ ، وَعِبَادَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَمُعَامَلَاتٌ حَسَنَةٌ عَادِلَةٌ ، وَأَخْلَاقٌ كَرِيمَةٌ ، فَانظُرُوا وَفَكِّرُوا ، وَفَتَّشُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، هَلْ أَنْتُمْ سَائِرُونَ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ عَلَى مَنَهِجِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، أَمْ أَنْتُمْ مُنْحَرِفُونَ عَنْهَا ، فَأَلْزِمُوهَا السَّيْرَ عَلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَآيَاكُمْ لِلْأُسْتِقَامَةِ ، وَآمَنَّا وَآيَاكُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَوَقَانَا وَآيَاكُمْ شَرَّ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ فِي تَحْرِيمِ الدُّخَانِ وَذِكْرِ مَفَاسِدِهِ

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَالتَّحْذِيرُ عَنْهُ الدُّخَانُ ، لِذُخُولِهِ فِي قِسْمِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَمِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ يُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ وَلَا

يَمْتَرِي عَاقِلٌ فِي دُخُولِهِ فِي الْخَبَائِثِ ، وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ » وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : قَالَتْ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتَرٍّ .

وَفِي الْحَيْثِ الْآخِرِ « مَا أَسْكَرَ الْفَرْقُ مِنْهُ ، فَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ » فَهَذِهِ الْأَدْلَةُ تَدُلُّ عَلَى حُرْمَتِهِ ، فَإِنَّهُ تَارَةٌ يُسْكِرُ ، وَتَارَةٌ يُفْتَرُّ ، وَمِنْ الْأَدْلَةِ الْمُؤَيَّدَةِ لِمَا سَبَقَ ، أَنَّهُ ثَبَتَ طَبِيبًا أَنَّ التَّبَعُ يُفْتَرُّ وَمِنْ الْأَدْلَةِ الْمُؤَيَّدَةِ لِمَا سَبَقَ ، أَنَّهُ ثَبَتَ طَبِيبًا أَنَّ التَّبَعُ يَحْتَوِي عَلَى كَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ مَادَّةِ النِّيْكُوْتَيْنِ السَّامَةِ ، وَأَنَّ شَارِبَهُ يَتَعَرَّضُ لِأَمْرَاضٍ خَطِرَةٍ فِي بَدَنِهِ أَوَّلًا ، ثُمَّ تَدْرِيحِيًّا فَيُضْطَرُّ الْعِشَاءَ الْمُخَاطِي وَيَهْجُ وَيَسِيلُ مِنْهُ اللَّعَابُ بِكَثْرَةٍ ، وَيَتَغَيَّرُ ، وَيَتَعَسَّرُ عَلَيْهِ هِضْمُ الطَّعَامِ ، وَأَيْضًا يُحْدِثُ التِّهَابًا فِي الرَّئْتَيْنِ ، يَنْشَأُ عَنْهُ سُعَالٌ ، وَيَتَسَبَّبُ عَنْ ذَلِكَ تَعْطِيلٌ لِلشَّرَائِبِ الصَّدْرِيَّةِ ، وَعُرُوضٌ أَمْرَاضٍ صَدْرِيَّةٍ ، رَبَّمَا يَتَعَذَّرُ الْبُرءُ مِنْهَا وَمَا يَجْتَمِعُ عَلَى بَاطِنِ الْقَصْبَةِ مِنْ آثَارِ التَّدْخِينِ ، يَجْتَمِعُ مِثْلُهُ عَلَى عُرُوقِ الْقَلْبِ ، وَالْقَلْبُ يَضْغَطُ عَلَى فَتْحَاتِهِ فَيَحْصُلُ عُسْرٌ فِي التَّنْفُسِ ، وَيؤَثِّرُ عَلَى الْقَلْبِ بِتَشْوِيشِ انْتِظَامِ دَقَاتِهِ ، وَرَبَّمَا أَدَّى بِشَارِبِهِ إِلَى الْمَوْتِ ، فَيَكُونُ شَارِبُهُ قَدْ تَسَبَّبَ لِقَتْلِ نَفْسِهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ مُحَرَّمٌ مِنَ الْكَبَائِرِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » .

وَمِنْ الْأَدْلَةِ عَلَى تَحْرِيمِهِ أَنَّهُ إِسْرَافٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ مُبَاحٌ ، بَلْ هُوَ مَحْضٌ ضَرَرٌ ، بِإِخْبَارِ أَهْلِ الْخِبْرَةِ مِنْ شَارِبِيهِ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الْإِسْرَافَ ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا : أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا آخِوَانَ الشَّيَاطِينِ .

والتَّبْدِيرُ هُوَ الَّذِي يُنْفِقُهُ الْإِنْسَانُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ وَفِيمَا لَا مَنَفَعَةَ فِيهِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ لَوْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الْحَقِّ مَا كَانَ تَبْدِيرًا وَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ التَّبْدِيرِ فَقَالَ إِنْفَاقَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنْفَاقَ الْمَالِ فِي غَيْرِ مَنَفَعَةٍ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْأَسْرَافُ الْإِنْفَاقُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ قُلْتُ . فَيَتَّبِعُ لَكَ مِمَّا مَضَى وَمِمَّا يَأْتِي أَنَّ هَذَا الدُّخَانَ الْخَبِيثَ الْمُحْرَمَ عَيْنُ الْأَسْرَافِ وَالتَّبْدِيرِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَهَذَا فِي الْجَارِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ جِدَارٌ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا : مَا زَالَ جَبْرِئِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ . فَكَيْفَ بِالْجِيرَانِ الطَّيِّبِينَ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ وَهُمْ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فَالْمُدْخَنُ يُؤْذِنُهُمْ نَعُودًا بِاللَّهِ مِنْ حَالِهِ وَالْمَفْرُوضُ أَنَّهُ يَسْتَعْمِلُ الْمِسْوَاكَ طَيِّبَ الرَّائِحَةِ بَدَلًا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ وَمِنْ خَصَائِصِ هَذَا الدُّخَانِ أَنَّهُ يُنْفَرُ عَنِ الطَّاعَةِ وَعَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالْمُكْتُ فِي الْمَسَاجِدِ وَمَحَبَّةِ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ الْخ .

وَنَهَى الشَّارِعُ عَنِ إِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَكَمْ مِنْ حَرِيقِ التَّهَمِ نَفُوسًا وَأَمْوَالًا ، سَبَبُهُ الدُّخَانُ ، وَكَمْ مِنْ بَرِيءٍ اتَّصَلَ بِشَارِبِهِ فَصَارَ مِثْلُهُ ، وَكَمْ مِنْ مَلَائِكَةٍ مِنَ الْأَنْمَانِ يَوْمِيًّا تَحْرَقُ وَتَتَلَفُ فِي هَذَا الدُّخَانِ الْخَبِيثِ الْكَرِيهِ ، فَضَرَبَ لَذَلِكَ مِثْلًا لَمَّا يُتَلَفُ يَوْمِيًّا مِنَ الْفُلُوسِ بِسَبَبِ شُرْبِ الدُّخَانِ ، فَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ عِشْرِينَ مِليونًا ، وَثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِمْ يَشْرَبُونَهُ ، أَيُّ

خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ فِي الْمَائَةِ ، وَقُلْنَا أَدْنَى مَصْرَفٍ لِلوَاحِدِ يَوْمِيًّا فِي الدُّخَانِ رِيَالٌ ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي يُتْلَفُ عَلَى الْجَمِيعِ يَوْمِيًّا خَمْسَةٌ عَشْرَ مِائُونَ مِنْ الرِّيَالِ وَفِي الشَّهْرِ يَكُونُ الَّذِي يُتْلَفُ فِي سَبِيلِ هَذَا الدُّخَانِ الْخَبِيثِ أَرْبَعَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِائُونَ ، وَفِي السَّنَةِ خَمْسَةُ آفِ مِائُونَ وَأَرْبَعُ مِائَةٍ مِائُونَ مِنَ الرِّيَالِ . نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْصِمَنَا وَآخَوَاتَنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ وَمَنْ سَائِرِ الْمَعَاصِي اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ الدُّخَانِ كَوْنُ رَائِحَتِهِ كَرِيهَةً ، تُؤْذِي النَّاسَ الَّذِينَ لَا يَسْتَعْمِلُونَهُ ، وَتُؤْذِي الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ ، وَتُؤْذِي الْمُعَقَّبَاتِ ، وَبِالْخُصُوصِ أَدِيتُهُ فِي مَجَامِعِ النَّاسِ ، كاجتماعِهِمْ لِصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ ، وَلِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، إِنْ وَجَدَ مِنْ شَارِبِيهِ أَحَدًا يُصَلِّي التَّرَاوِيحَ ، وَكَذَا يُؤْذِي زُمَلَاءَهُ ، إِنْ كَانَ أَسْتَاذًا أَوْ كَانَ تَلْمِيزًا ، وَيُؤْذِي زَوْجَتَهُ ، وَيَسْرِي إِلَى أَوْلَادِهِ ، لِأَنَّهُ إِذَا شَرِبَهُ عِنْدَهُمْ صَارَ تَعْلِيمًا فَعَلِيًّا لَهُمْ ، وَمَا نَالَهُمْ مِنَ الضَّرْرِ النَّاشِيءِ عَنِ الدُّخَانِ الَّذِي صَارَ هُوَ السَّبَبُ فِي شُرْبِهِمْ لَهُ فَلَا يَسْلُمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الْإِثْمِ ، وَكَذَلِكَ يَسْرِي لِقْرَابَتِهِ وَأَصْدِقَائِهِ ، وَجِيرَانِهِ وَزُمَلَائِهِ أَحْيَانًا ، وَإِصْطَالِ الضَّرْرِ إِلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، وَأَدِيتُهُ حَرَامٌ وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا ، وَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ » وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إِنْ الْمَلَائِكَةُ تَنَازَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ النَّاسُ » وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ « مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ » وَأَدِيةُ الْمُسْلِمِ مُحَرَّمَةٌ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ مُنْصَفٍ ، أَنَّ رَائِحَةَ الدُّخَانِ ، لَا تَقِلُّ كَرَاهَتُهَا وَأَدِيتُهَا عَنْ كَرَاهِيَةِ رَائِحَةِ الثُّومِ وَالْبَصَلِ وَالْكَرَّاثِ . بَلْ هِيَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَعْظَمُ كَرَاهَةٍ وَهَذَا الدُّخَانُ مِنَ الْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ ، الْمُضِرَّةِ بِالشَّارِبِ وَغَيْرِهِ فَتَرَى الشَّابَّ تَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ ، وَيَمِيلُ بِهِ هَوَاهُ إِلَى مُشَابَهَةِ غَيْرِهِ فِي تَعَاطِيهِ ، وَرُبَّمَا عَدَّهُ تَغْرُفًا ، وَظَنَّهُ مَدِينَةً وَتَرْفًا ، فَإِذَا قَدَّمَ لَهُ أَحَدٌ

زملائه أو أترابه أو غيرهم هذا الدخان لأول مرة ، وبدأ يستنشِق دُخانَه
 السَّامَ ، ولا يلبثُ إلا قليلاً حتى يأخذ في الإكثارِ من تناولِ هذا السَّمِّ
 النّاقِعِ ، فيصبحُ له عادةٌ لا يستطيعُ إلى تركها سبيلاً ، وإذا طالَ الزَّمنُ ،
 ومكثَ على ذلكَ مُدَّةً : استحكمت في نفسه هذه العادةُ القبيحةُ السيئةُ ،
 وبدأتُ صحتهُ تضعفُ ، وقوتهُ تنقصُ ، وشهيتهُ للطعامِ تقلُّ ، ورغبتهُ
 في المشيِّ وما يقوي البدنَ تضعفُ ، وإذا ذلكَ الوجهُ الناظرُ الحسنُ
 المشرقُ ، وذلكَ الجسمُ الممتلئُ عافيةً ، والشبابُ الغضُّ قد تغيَّرَ وعرأه
 الذُّبولُ ، وتمكَّنَ منه النُّحولُ ، فترى جلدهُ يسترخي ، وبصره يضعفُ ،
 وسمعُه كذلكَ يضعفُ ، وقوةُ الشهوةِ تضعفُ جداً ، وعقله يضعفُ باذنِ
 الله تبعاً للجسمِ ، ويصبحُ بعدَ غضارته ونضارته ذابلاً ، وجسماً ناحلاً ،
 يأخذه سُعالٌ مؤلِّمٌ ، ويحسُّ بخفقانِ قلبه ، ودقِّهِ وفُتورِ جسمه ، ويتمنَّى
 بعدَ ذلكَ لو يقاسمه إنسانٌ ماله ، ويتسبَّبُ له في منعه من هذه العادةِ
 السيئةِ الخبيثةِ ، ولكن أنى له بذلك ، هيهات إلا أن يشاء الله جلُّ
 وعلا ، فالله على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، لا يعجزه شيءٌ في الأرضِ ولا في
 السماءِ ، ثم هذا الشاربُ للدخانِ يفقدُ بشاشتهُ ، ويحرمُ صفاءَ نفسه ،
 وقوةَ فكره ، فتتغيَّرُ أخلاقه وتتبدلُ صفاته ، وترأه إذا أعوزهُ الدخانُ أحياناً ،
 يذهلُ نفسه وينكسُ رأسه ، كأنما هو في همٍ ناصبٍ ، وعناءٍ وتعبٍ ،
 وقد تتغيَّرُ سجايأه ، فإذا ذلكَ الحليمُ الهادئُ الأعصابِ ، غضوبٌ
 جموحٌ ، وإذا ذلكَ الساكنُ هائجٌ وثائرٌ ، يظهرُ منه فلتاتُ كلامٍ يتعجبُ
 منها من يعرفه أولاً ، وترأه يلجأ إلى تناولِ الدخانِ ، لتسكينِ غضبه ،
 وتهديئةِ نائرةِ نفسه . فعلى العاقلِ أن يبتعدَ عن هذا وأمثاله من الفسقةِ قال
 بعضهم :

تَبَاعَدُ عَنِ الْفُسَاقِ لَا تَقْرَبْنَهُمْ فَقُرْبُهُمْ يُعِدِّي الصَّحِيحَ وَيُعْطِبُ
 فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ صَارَ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ أَخَا عَلِيٍّ مِمَّا بِهِمْ فَهُوَ أَجْرَبُ

آخر: صاحب أخا الدين كي تُحظَى بصحَّته فالطبعُ مكتسبٌ من كلِّ مصحوب كالريحِ آخذةٌ مما تُمرُّ به نثناً من التَّنِّ أو طيباً من الطَّيبِ وَخِتَماً فعلى الإنسانِ أن يتعاهدَ أبناءَهُ ، وكذلك على المُعلِّمِ أن يتعاهدَ الطلابَ بالنصحِ والتَّحذِيرِ مِنْ هَذَا الوَبَاءِ الفَتَّاكِ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُرَاقِبَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَبِالأَخْصِ فِي أَوْقَاتِ الفَرَاغِ ، وَأَنْ يَحْرِصَ كُلَّ الحِرْصِ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَتَّصِلُونَ بِمَنْ يَشْرَبُ الدُّخَانَ لِيَحْفَظَ عَلَيْهِمْ صِحَّتَهُمْ وَرَاحَتَهُمْ ، وَيَدْفَعَ عَنْهُمْ شَرَّ هَذَا المَرَضِ وَيَصُونَ أَمْوَالَهُمْ عَنِ الضِّيَاعِ حَتَّى إِذَا عَقَلُوا عَرَفُوا لَوْلِيَّتِهِمْ ذَلِكَ الجَمِيلِ الَّذِي أَسَدَاهُ إِلَيْهِمْ .

تُعَالِجُ بِالتَّطْبِيبِ كُلُّ دَاءٍ وَليسَ لِدَاءِ ذَنْبِكَ مِنْ عِلاجِ
سِوَى ضَرْعِ إِلَى الرَّحْمَنِ مَحْضٍ بِنِيَّةِ خَائِفٍ وَيَقِينِ رَاجٍ
وَطَوْلٍ تَهْجِدُ بِطِلَابِ عَفْوٍ يَلْتَلِ مُدْلَهُمِ السُّرْدَاجِ
وَإظْهَارِ التَّدَامَةِ كُلِّ وَقْتٍ عَلَى مَا كُنْتَ فِيهِ مِنْ اغْوِجَاحِ
لَعَلَّكَ أَنْ تُكُونَ عَدُوًّا عَظِيماً بِبُلْغَةِ فائِزِ مَسْرُورِ نَاجِ

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيلِ عَثَرَاتِ العَاثِرِينَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصْلٌ

سُئِلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُمَا اللهُ عَنِ التَّنْبَاكِ الَّذِي اعْتَادَ شُرْبَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ؟ فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ . لَا رَيْبَ أَنَّ اللهُ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِهِ الَّتِي خَصَّهُ اللهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ الأنْبِيَاءِ ، كَمَا ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي ذِكْرِ خَصَائِصِهِ « وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ » وَهِيَ أَنْ يَقُولَ الكَلِمَاتِ الِيسِيرَةَ ، الجَامِعَةَ لِأَحْكَامِ كَثِيرَةٍ ، لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، وَمِنْ

ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ» فَدْخَلَ فِي هَذِهِ
الْكَلِمَةِ جَمِيعُ الْمُسْكِرَاتِ ، الَّتِي تُسْكِرُ وَتَزِيلُ الْعَقْلَ ، مِنْ الْأَطْعِمَةِ
وَالْأَشْرِبَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي زَمَانِهِ وَالْحَادِثَةِ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّهْيِ
عَنِ الْمُسْكِرِ ، وَهُوَ الْخَمْرُ الَّذِي يُغَطِّي الْعَقْلَ وَيُزِيلُهُ ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ
عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
«كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ» وَلَفْظُ مُسْلِمٍ «وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الْبِتْعِ ؟
فَقَالَ «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكِرَ فَهُوَ حَرَامٌ» وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ «كُلُّ شَرَابٍ مُسْكِرٍ
حَرَامٌ» وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى صِحَّتِهِ ، وَأَنَّهُ
أَثَبَتْ شَيْءٌ فِي تَحْرِيمِ الْمُسْكِرِ ، وَجَاءَ التَّصْرِيحُ بِالنَّهْيِ عَنْ قَلِيلٍ مَا أَسْكِرَ
كَثِيرُهُ ، إِذَا تَقَرَّرَ هَذَا . فَاعْلَمْ أَنَّ الْمُسْكِرَ الَّذِي يُزِيلُ الْعَقْلَ نَوْعَانِ
(أَحَدُهُمَا) مَا كَانَ فِيهِ لَذَّةٌ وَطَرَبٌ ، قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَسَوَاءٌ كَانَ مِنْ حَبِّ أَوْ
مِنْ تَمْرٍ أَوْ لَبَنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَدْخَلُوا فِي ذَلِكَ الْحَشِيشَةَ الَّتِي تُعْمَلُ مِنْ
وَرَقِ الْعِنَبِ أَوْ غَيْرِهَا ، مِمَّا يُؤْكَلُ لِأَجْلِ لَذَّتِهِ وَسُكْرِهِ (وَالثَّانِي) مَا يُزِيلُ
الْعَقْلَ وَيُسْكِرُ ، وَلَا لَذَّةَ فِيهِ وَلَا طَرَبَ ، كَالْبَنْجِ وَنَحْوِهِ ، وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ
الَّذِينَ يَرَوْنَ تَحْرِيمَ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ ، يَرَوْنَ حَدَّ مَنْ شَرِبَ مَا يُسْكِرُ كَثِيرُهُ ،
وَإِنْ اعْتَقَدَ حِلَّهُ مُتَأَوَّلًا ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ .

قَالَ : وَبِمَا ذَكَرْنَا مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَكَلامِ أَهْلِ الْعِلْمِ يَبِينُ لَكَ بَيَانُ تَحْرِيمِ التِّينِ ، الَّذِي كَثُرَ فِي هَذَا
الزَّمَانِ اسْتِعْمَالُهُ ، وَصَحَّ بِالتَّوَاتُرِ عِنْدَنَا وَالْمُشَاهَدَةِ اسْتِكْرَاهُ فِي بَعْضِ
الْأَوْقَاتِ ، خُصُوصًا إِذَا أَكْثَرَ مِنْهُ ، أَوْ تَرَكَهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ لَا يَشْرَبُهُ ثُمَّ

شُرْبُهُ ، فَإِنَّهُ يُسَكِّرُ وَيُزِيلُ الْعَقْلَ ، حَتَّى إِنْ صَاحَبَهُ يُحَدِّثُ عِنْدَ النَّاسِ وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِزْيِ وَسُوءِ الْبَأْسِ ، فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى قَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ كَلَامُ اللَّهِ ، وَكَلَامُ رَسُولِهِ فِي مِثْلِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ تَقْتَضِي طَاعَتَهُ فِي مَا أَمَرَ ، وَالْإِنْتِهَاءَ عَمَّا نَهَى وَزَجَرَ ، وَتَصَدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ وَأَنْ يُقَدِّمَ أَمْرَهُ عَلَى قَوْلِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالَّذِي يَشْرَبُ التَّنْبَكُ إِنْ كَانَ شُرْبُهُ لَهُ بَعْدَ مَا عَرَفَ أَنَّهُ حَرَامٌ فَيُضْرَبُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، ضَرْبًا خَفِيفًا مَا يَضُرُّهُ ، فَإِنْ كَانَ شُرْبُهُ وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ ، وَيُؤْمَرُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالَّذِي يَقُولُ لَكُمْ مِنْ عُلَمَاءِ تَهَامَةٍ إِنْ التَّنَّ لَيْسَ حَرَامًا وَلَا حَلَالًا فَهَذَا جَاهِلٌ ، مَا يَعْرِفُ مَا يَقُولُ ، وَلَا يُلْتَفَتُ لِقَوْلِهِ وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كُلُّ مُسَكِّرٍ حَرَامٌ » وَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ حَرْمٌ قَلِيلُهُ » .

وَأَجَابَ أَيْضًا : إِذَا شَهِدَ اثْنَانِ عَلَى رِيحِ التَّنِّ مِنْ فَمِ رَجُلٍ جُلِدَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً .

وَأَجَابَ أَيْضًا : وَأَمَّا شَارِبُ التَّنِّ إِذَا شَهِدَ عَلَيْهِ شَاهِدَانِ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ يَشْرَبُهُ فَيُجْلَدُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً .

وَأَجَابَ أَيْضًا : وَأَمَّا شَارِبُ التَّنِّ فَيُؤَدَّبُ بِأَرْبَعِينَ جَلْدَةً ، فَإِنْ لَمْ يَنْتَهَ بِذَلِكَ أُدِّبَ بِثَمَانِينَ .

وَأَجَابَ أَيْضًا : وَالَّذِي زَرَعَ التَّنْبَكِ يُؤَدَّبُ ، أَوْ يُوجَدُ فِي بَيْتِهِ أَوْ مَتَاعِهِ أَوْ يَشْرَبُهُ يُؤَدَّبُ .

وَأَجَابَ أَيْضاً : إِذَا شَهِدَ اثْنَانِ عَلَى رِيحِ التَّنِّينِ مِنْ فَمِ رَجُلٍ يُحَدِّثُ ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَدُّوا عَلَى رِيحِ الْخَمْرِ ، وَهَذَا خَمْرٌ ، لِأَنَّهُ مُسْكِرٌ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ .

وَسُئِلَ الشَّيْخُ حَمْدُ بْنُ نَاصِرِ بْنِ مَعْمَرٍ عَنِ التَّنِّينِ ؟ فَأَجَابَ : هُوَ حَرَامٌ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ » وَفِي لُفْظِ « حَرَامٌ » وَفِي لُفْظِ « مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ » ، فَمِإِءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ وَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ مُسْكِرٍ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَقَدْ نَصَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى ذَلِكَ .

وَسُئِلَ عَنْ شَارِبِ التَّنْبَاكِ ؟ فَأَجَابَ : وَأَمَّا شَارِبُ التَّنْبَاكِ فَيُجَلَّدُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً .

وَقَدْ سُئِلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ أَبَا بَطْنِينَ عَنِ التَّنْبَاكِ ؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ : الَّذِي نَرَى فِيهِ التَّحْرِيمَ ، لِعِلَّتَيْنِ (أَحَدُهُمَا) حُصُولُ الْأَسْكَارِ فِيمَا إِذَا فَقَدَهُ شَارِبُهُ مُدَّةً ثُمَّ شَرِبَهُ ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ إِسْكَارٌ حَصَلَ تَخْدِيرٌ وَتَغْيِيرٌ ، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدِيثاً مَرْفُوعاً أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُقْتَرٍ (وَالْعِلَّةُ الثَّانِيَةُ) أَنَّهُ مُتَبِّحٌ مُسْتَحْبَبٌ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَعْتَدَهُ .

وَاحْتَجَّ الْعُلَمَاءُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) وَأَمَّا مَنْ أَلْفَهُ وَاعْتَادَهُ فَلَا يَرَى خُبْنَهُ ، كَالْجُعَلِ لَا يَسْتَحْبِبُ الْعِدْرَةَ وَكَالْخَنْزِيرِ يَتْرُكُ الطَّيِّبَاتِ وَيَأْكُلُ النَّجَاسَاتِ وَكَالْهُدْهِدِ يَأْكُلُ الْعِدْرَةَ .

وَأَجَابَ الشَّيْخُ خَالِدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ مِنْ فَقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ بِقَوْلِهِ : لَا تَجُوزُ إِمَامَةُ شَارِبِ التَّنْبَاكِ ، وَلَا يَجُوزُ الْإِتِّجَارُ بِهِ وَلَا بِمَا يُسْكِرُ .

وَمِمَّنْ حَرَّمَ الدُّخَانَ وَنَهَى عَنْهُ مِنْ عُلَمَاءِ مِصْرَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ
السَّنْهُورِيِّ البُهوتِيِّ الحَنْبَلِيِّ ، وَشَيْخِ المَالِكِيَّةِ اللِّقَائِيِّ ، وَمِنْ عُلَمَاءِ دِمَشْقَ
النَّجْمِ الغَزِّيِّ العَامِرِيِّ الشَّافِعِيِّ ، وَمِنْ عُلَمَاءِ اليَمَنِ الشَّيْخِ اِبْرَاهِيمِ بْنِ
جَمْعَانَ ، وَكَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ المعاصِرِينَ فِي المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ،
كَالشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ السُّعُودِيِّ ، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ اِبْرَاهِيمِ ،
وَالشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ بَازٍ ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ ،
وَعُلَمَاءُ كَثِيرُونَ يَطُولُ عَلَيْنَا تَعْدَادُهُمْ ، فَكَتَفَيْ بِمَنْ ذَكَرْنَا ، وَمَنْ ارَادَ
زِيَادَةً عَلَى هَؤُلَاءِ فَلْيَسْأَلْ ، وَلَا أَظُنُّ يُفْتِي بِحِلِّهِ عَالِمٌ عَاقِلٌ ، يَعْلَمُ مَضَارَّهُ
دِينِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا وَحُلُقِيًّا وَصِحِيًّا ، بَلْ وَلَا أَظُنُّ عَالِمًا يَتَوَقَّفُ
بِالْقَوْلِ بِتَحْرِيمِهِ ، حَتَّى وَلَوْ أَنَّهُ مِمَّنْ ابْتُلِيَ بِشُرْبِهِ لَوُضُوحِ مَضَارِّهِ ،
وَبِالْأَخْصَرِ لِشُرَابِهِ ، وَإِنْ شَكَكْتَ فَاسْأَلْ مُنْصِفِيهِمْ يُخْبِرُونَكَ وَيُحذِرُونَكَ ،
اللَّهُمَّ اغْصِنْنَا مِنْ جَمِيعِ المَعَاصِي ، وَآمِنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا وَجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ بِالتَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَالاسْتِقَامَةِ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

وَقَالَ فِي تَبْصِرَةِ الأَخْوَانِ : وَقَدْ اشْغَلَ جَهَابِذَةُ الأَطِبَاءِ قُوَّةَ
أَفْكَارِهِمْ ، وَدَقَّقُوا النَّظَرَ غَايَةَ فِي اكْتِشَافِ أَضْرَارِ التَّبَعِ بِنَوْعِيهِ
المَعْلُومِينَ ، وَشَحَذُوا أَقْلَامَهُمْ فِي بَيَانِ مَا ظَهَرَ لَهُمْ فِيهِ ، بَعْدَ التَّحْقِيقِ
وَالتَّدْقِيقِ التَّامِّينِ ، فَذَكَرُوا (أَوَّلًا) أَنَّهُ مِنَ الفَصِيلَةِ البَادِنَجَانِيَّةِ الَّتِي تَشْتَمِلُ
عَلَى أَكْثَرِ النَّبَاتَاتِ السَّامَةِ ، كَالْبِلَادُوتَا وَالبَرَشِّ وَالبَنَجِ ، قَالُوا وَهُوَ

نَوَعَانِ ، تُوتُونُ وَتَبَاكَ ، وَلَا يَخْتَلِفُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ فِي تَرْكِيبِهِ
الْكِيمَاوِيِّ إِلَّا قَلِيلًا ، فَاتَهُمَا مُرَكَّبَانِ مِنْ أَمْلَاحِ الْبُوتَاسِ وَالنُّوَشَادِرِ ، وَمِنْ
مَادَّةٍ صَمْعِيَّةٍ ، وَمَادَّةٍ أُخْرَى مُرَّةً حَرِيْقَةً ، تُسَمَّى نِيْكُوْتِيْنَ ، قَالُوا وَهِيَ سُمٌّ
مِنْ أَشَدِّ السُّمُومِ فِعْلًا ، بِحَيْثُ أَنَّهُ لَوْ وُضِعَتْ نُقْطَةٌ مِنْهَا عَلَى لِسَانِ كَلْبٍ
لَمَاتَ فِي أَقْرَبِ زَمَنِ ، مَعَ أَنَّ الْكَلْبَ أَقْوَى تَحْمَلًا لِلْسُّمُومِ مِنَ الْإِنْسَانِ ،
وَمِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ ، وَذَكَرُوا أَنَّ الدُّخَانَ الَّذِي يَتَصَاعَدُ عَنِ أَوْرَاقِ
التَّبَعِ الْمُحْتَرَقَةِ ، يَحْوِي كَمِيَّةً وَافِرَةً مِنَ الْمَادَّةِ السَّامَةِ هِيَ النِّيْكُوْتِيْنَ ،
فَإِذَا دَخَلَ الْفَمَ وَالرِّئْتَيْنِ أَثَّرَ فِيهِمَا تَأْثِيرًا مَوْضِعِيًّا وَعُمُومِيًّا لِأَنَّهُ عِنْدَ دُخُولِهِ
الْفَمَ تُوتِرُ الْمَادَّةُ الْحَرِيْقَةُ السَّامَةُ الَّتِي فِيهِ - وَهِيَ النِّيْكُوْتِيْنَ - فِي الْعِشَاءِ
الْمُخَاطِيَّ فَتُهَيِّجُهُ تَهْيِيجًا قَوِيًّا ، وَتَسِيلُ مِنْهُ كَمِيَّةٌ زَائِدَةٌ مِنَ الطَّعَامِ وَتُعَيِّرُ
تَرْكِيبَهُ الْكِيمَاوِيِّ ، بِحَيْثُ تُقَلِّلُ فِعْلُهُ فِي هَضْمِ الطَّعَامِ وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ فِي
مُفْرَزِ الْمَعِدَةِ ، مِثْلَ مَا فَعَلَتْ فِي مُفْرَزِ الْفَمِ ، فَيَحْصُلُ حِينَئِذٍ عُسْرٌ فِي
مُفْرَزِ الْهَضْمِ ، وَعِنْدَ وُضُوعِ الدُّخَانِ إِلَى الرِّئْتَيْنِ عَلَى طَرِيقِ الْحُنْجَرَةِ ،
تُؤَثِّرُ فِيهِمَا التِّهَابًا قَوِيًّا مُزْمِنًا ، فَتُهَيِّجُ السُّعَالَ حِينَئِذٍ ، لِأَخْرَاجِ ذَلِكَ الْمُفْرَزِ
الغَزِيرِ ، الَّذِي هُوَ الْبَلْغَمُ الْمَعْرُوفُ وَيَتَسَبَّبُ عَنِ ذَلِكَ تَعْطِيلُ الشَّرَاطِيْنِ
الصَّدْرِيَّةِ وَعُرُوضُ أَمْرَاضٍ صَدْرِيَّةٍ يَتَعَدَّرُ الْبُرءُ مِنْهَا .

وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ تَحَقَّقَ عِنْدَ عَامَّةِ الْمُحَقِّقِيْنَ ، مِنْ أَيْمَةِ الطَّبِّ ، أَنَّ
مَضَارَّ الدُّخَانِ - أَعْمٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ تُوتُونًا أَوْ تَبَاكًَا - كَثِيرَةٌ ، قَالُوا : وَيَشْعُرُ
بِأَعْرَاضِهَا الْجُزْئِيَّةِ كُلُّ مَنْ يُبَاشِرُ اسْتِعْمَالَهُ قَبْلَ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ ، وَهِيَ دَوْرَانُ
وَعَثْيَانُ ، وَقِيءٌ وَصُدَاعٌ ، وَارْتِخَاءُ الْعَضَلَاتِ أَيْ الْأَعْصَابِ ، ثُمَّ سُبَاتُ
أَيِّ رَاحَةٍ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ حَالَةِ التَّخْدِيرِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ التَّبَعِ ، وَمَا ذَكَرَ

مِنْ الْأَعْرَاضِ النَّاشِئَةِ عَنْهُ ، فِي بَدْءِ اسْتِعْمَالِهِ قَبْلَ الْأَعْتِمَادِ عَلَيْهِ ، لِمَا
 يَحْوِيهِ مِنَ الْمَادَّةِ السَّامَةِ الَّتِي هِيَ النِّيْكُوتِينُ ، وَيَجِدُ فَسَادَ الذَّوْقِ وَعُسْرَ
 الْهَضْمِ ، وَقَلَّةَ الْقَابِلِيَّةِ لِلطَّعَامِ ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَحْدُثُ مِنْ تَخَلُّلِ
 الدُّخَانِ فِي اللَّعَابِ ، فَيَسَبُّ اضْطِرَاباً مَعِدِيّاً ، وَكَثِيراً مَا يَحْدُثُ الْمَرَضُ
 الْمَعْرُوفُ بِالْبِيرُوسِسْ ، وَهُوَ الْحُرْقَةُ الْمَعِدِيَّةُ ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي اسْتِعْمَالِهِ
 عَلَى سَبِيلِ الْقِلَّةِ وَالْأَعْتِدَالِ ، وَأَمَّا الْأَكْثَارُ مِنْهُ فَهُوَ مُفْضٍ إِلَى عَطَبٍ لَيْسَ
 لَهُ زَوَالٌ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ الثَّابِتِ شَرْعاً أَنَّ كُلَّ مَا أَضَرَّ بِالصَّحَّةِ يَحْرُمُ
 تَعَاطِيهِ قَطْعاً ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْأَكْلُ فَوْقَ الشَّبَعِ ، وَأَكْلُ الطَّيْنِ ، لِمَا فِيهِمَا
 مِنَ الْأَضْرَارِ بِالصَّحَّةِ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « مَنْ أَكَلَ الطَّيْنَ فَكَأَنَّمَا
 أَعَانَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ » ، وَفِي رِوَايَةٍ « فَإِنَّمَا أَعَانَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ » وَلَيْسَ
 التَّدْخِينُ أَقْلُ ضَرراً مِنْ أَكْلِ الطَّيْنِ ، بَلْ هُوَ أَشَدُّ ضَرراً مِنْهُ بِكَثِيرٍ ، قَالَ :
 وَقَدْ سَأَلْتُ عِدَّةً مِنَ الْأَطِبَّاءِ الْمُوثِقِينَ بِهِمْ عَنْ تَفَاوُتِهِمَا فِي الضَّرْرِ ؟
 فَجَابُوا : بَأَنَّهُ لَا نِسْبَةَ بَيْنَهَا فِي الضَّرْرِ تَفَاوُتاً كَلِياً ، حَيْثُ أَنَّ الْجُزْءَ
 الْفَعَالَ ، الَّذِي يَنْشَأُ عَنِ التَّدْخِينِ وَهُوَ النِّيْكُوتِينُ ، لَا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ فِي
 الْأَضْرَارِ ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ لَدَى الْأَمْتِحَانِ ، فَيَكُونُ نَهْيُ الشَّارِعِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْلِ الطَّيْنِ ، لِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرْرِ ، شَامِلاً لِفِعْلِ التَّدْخِينِ
 بِالْأَوْلَوِيَّةِ حَيْثُ كَانَ الضَّرْرُ فِيهِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ ، كَمَا عَلِمْتُهُ ، قَالَ وَقَدْ ذَكَرَ
 جَمْعٌ مِنَ أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ ، وَجَهَابِدَةِ الْأَطِبَّاءِ ، أَنَّ مِنَ الْعَقْلِ - فَضْلاً عَنْ
 الشَّرْعِ - وَجُوبُ اجْتِنَابِ التَّدْخِينِ ، حِفْظاً لِلصَّحَّةِ ، الَّتِي هِيَ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى مِنَّةٌ وَمِنْحَةٌ ، وَدَفْعاً لِدَوَاعِي الضَّعْفِ الَّذِي هُوَ مِنْ مَقَدِّمَاتِ الْهَلَاكِ
 وَالذَّمَارِ ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِدَوِيِّ الْأَسْتِبْصَارِ كَيْفَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا
 تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ ضَرْرُ التَّدْخِينِ عَلَى
 الْمُدْخَنِ وَحْدَهُ ، بَلْ يَعْثُرُ حُلْسَاءَهُ فِي الْمَكَانِ ، لِأَنَّهُ يُفْسِدُ الْهَوَاءَ ، فَيَتَعَيَّنُ
 الْفِرَارُ جِئِئِذٍ مِنَ الْجُلُوسِ فِي أَمَاكِنِ التَّدْخِينِ ، وَلَا سِيَّماً إِذَا كَانَتْ مُغْلَقَةً

الأبواب قالوا : وَيَسْرِي الضَّرَرُ أَيضاً إِلَى نَسْلِهِ ، فَيَجْعَلُهُ ضَعِيفَ الْبِنْيَةِ ، شَاحِبَ اللَّوْنِ ، فَاسِدَ الْمِرَاجِ ، لِتَمَكُّنِ سُمِّ التَّبَعِ فِي جِسْمِ الْوَالِدِ أُمَّا سَرِيَانُ الضَّرَرِ قَبْلَ الْوِلَادَةِ ، فِيمَا إِذَا كَانَتْ الْأُمُّ تَشْرَبُ أَيضاً كَالْأَبِ ، فَمِنْ تَغْذِيَّتِهِ حَالُ كَوْنِهِ جَنِيناً ، مِنْ دَمِ أُمِّهِ الْفَاسِدِ بِسُمِّ التَّبَعِ ، الَّذِي هُوَ النِّيَكُونِيُّ ، حَيْثُ أَنَّهُ يَفْعَلُ عَلَى الْحَوِصِلَاتِ الْعَصَبِيَّةِ فِعْلاً مُؤَثِراً ، يَتَّصِلُ بِالْجَنِينِ .

وَأَمَّا سَرِيَانُ الضَّرَرِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْوِلَادَةِ ، فَمِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ (أَحَدُهُمَا) تَغْذِيَّتُهُ مِنَ اللَّبَنِ الْمُتَحَمَّلِ سُمُومِ التَّبَعِ ، الْمُفْسِدَةِ لِلْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ ، (ثَانِيهَا) اسْتِنْسَاقُهُ الْهَوَاءَ الْفَاسِدَ بِتَدَخُّلِ الْأَبْوِينِ أَوْ أَحَدِهِمَا ، (ثَالِثُهُمَا) صَيْرُورَةُ الْأَبْوِينِ سَبَباً حَامِلاً لِلْوَلَدِ عَلَى سُلُوكِ تِلْكَ الْعَادَةِ الْوَحِيمَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الطُّفْلَ مِنْ طَبَعِهِ التَّقْلِيدُ وَالتَّشْبَهُ بِمَنْ يَرَاهُ ، فَإِذَا نَظَرَ أَبْوِيَهُ يُدَخِّنَانِ ، وَعَلَى فَرَضِ أَنَّهُمَا يَنْهَيَانِهِ عَنِ ذَلِكَ فَنَظَرَ لِكَوْنِهِ لَا يَنْفَهُمْ سِرَّ النَّهْيِ لَا يَنْتَهِي مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ ، إِلَى أَنْ يَصِيرَ التَّدَخُّنُ عَادَةً لَازِمَةً ، فَإِذَا اعْتَادَ هَذَا الْمَسْكِينُ التَّدَخُّنَ مِنْ مَبْدَأِ نَشَاتِهِ ، فَهَنَّاكَ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ، وَالْبَلِيَّةُ الْعُظْمَى ، لِأَنَّهُ لَا يَلْبَثُ قَلِيلاً إِلَّا وَيَشْكُو مِنْ قَلَّةِ الْقَابِلِيَّةِ وَوَجَعِ الصُّدْرِ ، وَيَضْحَبُهُ أَيضاً سُعَالٌ قَوِيٌّ ، مُزْعِجٌ لِلصُّدْرِ ، وَلَا يَزَالُ يَزْدَادُ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ ، وَسَقَمًا عَلَى سَقَمٍ . إِلَى أَنْ يَمُضِيَ عُمُرُهُ فِي الْأَسْقَامِ وَالْآلَامِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا لِلْحَسَنَاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَاجَبْتَهُ زَاغِرًا لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قَالَ: وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ عَادَةَ التَّدَخِينِ مِنْ أَقْبَحِ الْعَوَائِدِ ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْبِدُ مُتَّبِعِيهَا ، وَتُقَيِّدُهُمْ بِسَلْسِلٍ وَأَغْلَالٍ ، بَحَيْثُ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا التَّخْلُصَ لَا يَجِدُونَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَهِيَ عَادَةٌ لَوْ لَمْ يَتَّبِعْهَا الْإِنْسَانُ فِي زَمَنِ صِبَاهُ - الَّذِي هُوَ زَمَنُ جَهْلِهِ ، وَعَدَمِ تَبْصُرِهِ بِالْعَوَاقِبِ - لَكَانَتْ قَلِيلَةً جِدًّا بَيْنَ أَفْرَادِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْبُرْهَانِ عَلَى ذَلِكَ مَا تَرَاهُ مِنْ غَيْرِ الْمُدَخِّنِ ، فَإِنَّهُ إِذَا شَبَّ وَصَارَ بِتَمَامِ التَّمْيِيزِ ، وَتَحَقَّقَ مَضَارُّ الدُّخَانِ الصَّحِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْأَحْتِمَاعِيَّةِ ، عَنْ طَرِيقِ الْأَسْتِقْصَاءِ وَالنَّظَرِ أَوْ عَنْ طَرِيقِ التَّوَاتُرِ وَالْخَبَرِ ، حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا ، عَلَى عَدَمِ دُخُولِهِ لِحَتِّ سَيْطَرَةِ تِلْكَ الْعَادَةِ الْوَحِيمَةِ ، وَمَنْ تَكُنْ هَذِهِ حَالَتُهُ فَإِنَّهُ يَتَبَاعَدُ بِلَا شَكِّ عَنْ السُّلُوكِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ، الَّذِي يُوصِلُهُ إِلَى فِرَاشِ التَّمْرِيطِ ، بِسَلْبِ الصَّحَّةِ الَّتِي يُقَدَّرُ قَدْرُهَا .

قَالَ : هَذَا وَإِنَّ التَّعَوُّدَ عَلَى التَّدَخِينِ لَا يَحْصُلُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَيَّامِ الصَّبَا ، كَمَا عَلِمْتَهُ أَنفًا ، حَيْثُ يَكُونُ الْإِنْسَانُ حِينئِذٍ بِتَمَامِ الْأَسْتِعْدَادِ لِلتَّقْلِيدِ ، فِيمَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ مِنْ سِوَاهُ ، فَتَرَى الصَّبِيَّ يُدَخِّنُ تَشْبُهًا بِغَيْرِهِ ، رَغْمًا عَنْ اسْتِكْرَاهِهِ لِرَائِحَةِ الدُّخَانِ ، وَمَرَارَةِ طَعْمِهِ مُتْكَلِّفًا تَحْمَلُ أَثْقَالَ أَعْرَاضِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، مِنْ دَوْرَانِ الرَّأْسِ وَصُدَاعِهِ ، وَغَثِيَانِ الصَّدْرِ وَأَوْجَاعِهِ فَإِذَا تَعَوَّدَهُ بَعْدَ طُولِ الْمُكَابَدَةِ ، وَتَحْمَلُ الْمَشَاقَّ ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ لَا يَجِدُ لَهُ غِنَى عَنْ تَعَاطِيهِ ، لَكِنَّهُ كُلَّمَا كَبُرَ سِنُهُ ، وَزَادَ لَا يَقْرُنُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ ، إِلَى أَنْ يَتِمَّكَنَ مِنْهُ الدَّاءُ ، وَيَصِلُ إِلَى حَالَةٍ لَا يَنْفَعُهُ الدَّوَاءُ فَيَقْبَى هَذَا الْمَسْكِينُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ فِي مَقَاسَاتِ الْأَلَامِ وَشِدَّةِ الْأَسْقَامِ ، يَغْبِطُ

الأصحاء ، عَلَى التَّوَسُّدِ فِي الْفِرَاشِ وَطِيبِ الْمَنَامِ وَيُكْثِرُ مِنَ التَّأْوِهِ
 وَالْأَيْنِ ، وَيَتَأَسَّفُ عَلَى فَقْدِ الصَّحَّةِ الَّتِي بَاعَهَا بِلِذَّةِ التَّدْخِينِ ، فَالْحَذَرَ
 الْحَذَرَ ، وَالْفِرَارَ الْفِرَارَ ، مِنْ لِذَّةِ تَوْجِبِ الْبَوَارِ وَالذَّمَّارِ ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ
 الدَّرَايَةِ فِي هَذَا الشَّانِ ، مِنْ أَطِبَّاءِ الزَّمَانِ ، مَا نَصَّهُ : أَمَا التَّدْخِينُ
 بِالتُّوتُونِ وَالتَّنْبَاكِ فَانَّهُمَا مُحتَوِيَانِ عَلَى مَادَّةٍ سُمِّيَّةٍ ، عَظِيمَةِ التَّأثيرِ ، تُسَمَّى
 نِيكوتِينُ ، فَلَوْ اسْتُخْلِصَتْ وَحَدَّهَا ، وَجَرَّبَ فِعْلُهَا ، بِوَضْعِ جُزْءٍ يَسِيرٍ مِنْهَا
 عَلَى لِسَانِ كَلْبٍ ، لَقَتَلَتْهُ حَالًا بِأَسْرَعِ مَا يُمكنُ ، وَهَذَا السُّمُّ تَحْتَ رِداءِ
 رقيقِ ، بِوِاسِطَةِ التَّدْخِينِ المُسْتَعْمَلِ عُمُومًا : وَقَدْ قِيلَ

تَرُومُ الشَّهْدِ مِنْ أُنْيَابِ أَفْعَى	وَطَعَمَ الدُّنْسِ مِنْ مَرِّ غَرِيظِي
كِلَا الْأَمْرَيْنِ لَمْ يَطْلُبُهُ إِلَّا	جَهُولُ جَهْلِهِ الْمُرْدِي غَرِيظِي
لِذَلِكَ سَرَيْتَ بِالْإِقْسَادِ تَرْجُو	صَلَاحَ الْحَالِ مِنْ مَلِكِ عَزِيظِي
رُوبِكَ عَرَكَ الشَّيْطَانَ حَتَّى	ضَلَلْتَ عَنِ الْحَقِيقَةِ يَا عَزِيظِي
إِذَا رُمْتَ الصَّلَاحَ أَنْبِ لِرَبِّ	تَفَرَّ بِالْخَيْرِ وَالْحِرْزِ الْحَرِيظِي

آخر :

إِنَّ الْأَفَاعِي وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَامِسُهَا

عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أُنْيَابِهَا الْعَطْبُ

فَمِنْ مَضْرَّاتِهِ الْكَلْبِيَّةِ ، تَحْرِيبُ كُرَيَاتِ الدَّمِ ، وَمِنْهَا التَّأثيرُ عَلَى
 الْقَلْبِ ، وَمِنْهَا مَعَارَضَتُهُ ، لِشَهْوَةِ الطَّعَامِ ، وَمِنْهَا انْحِطَاطُ الْقُوَى الْعَصَبِيَّةِ
 عَامَّةً ، وَيَظْهَرُ هَذَا بِالْحُدُورِ وَالذُّورَانِ الَّذِي يَحْصُلُ حُدُوثُهُ عَقِبَ اسْتِعْمَالِ
 التَّدْخِينِ لِمَنْ لَمْ يَأْتَلِفْهُ ، وَلِمَنْ كَانَ مُؤْتَلِفًا وَأَنْقَطَعَ عَنْهُ مَدَّةٌ عَشْرَ سَاعَاتٍ
 تَقْرِيْبًا ، وَمِنْ مَضْرَّاتِهِ إِحْدَاثُهُ لِلْجُنُونِ التُّوتُونِيِّ .

قَالَ : وَقَدْ أَطْلَعْتُ عَلَى رِسَالَةٍ لِلْمُحَقِّقِ مُحَمَّدِ فَهْمِي الْعَيْنِي نَزِيلُ

الأسْتَانَةُ الْعَلِيَّةُ ، وَهُوَ مِنْ فُقَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ ، ذَكَرَ فِيهَا تَحْرِيمَ الدَّخَانِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ (أَحَدُهُ) كَوْنُهُ مُضْرًا بِالصَّحَّةِ بِأَخْبَارِ الْأَطْبَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ ، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ يَحْرُمُ اسْتِعْمَالَهُ اتِّفَاقًا (ثَانِيهَا) كَوْنُهُ مِنَ الْمُخَدَّرَاتِ ، الْمُتَّفَقُ عَلَيْهَا عِنْدَهُمْ ، الْمَنْهِيَّ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا شَرْعًا ، لِحَدِيثِ أَحْمَدَ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتِّرٍ ، وَهُوَ مُفْتَرٌّ بِاتِّفَاقِ الْأَطْبَاءِ ، وَكَلَامُهُمْ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ وَأَمْثَالِهِ ، بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ ، سَلْفًا وَخَلْفًا (ثَالِثُهُمَا) كَوْنُ رَائِحَتِهِ الْكَرِيهَةِ تُؤْذِي النَّاسَ الَّذِينَ لَا يَسْتَعْمِلُونَهُ ، وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي مَجَامِعِ الصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا بَلْ وَتُؤْذِي الْمَلَائِكَةَ الْمُكْرَمِينَ ، وَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانُ فِي صَحِيحِهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا (مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا وَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ) وَمَعْلُومٌ أَنَّ رَائِحَةَ التَّدَخِينِ ، لَيْسَتْ أَقْلَ كَرَاهَةً مِنْ رَائِحَةِ مَا ذُكِرَ مِنَ الثُّومِ وَالْبَصَلِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ النَّاسُ » وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ « مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رَابِعُهَا) كَوْنُهُ سَرَفًا إِذْ لَيْسَ فِيهِ نَفْعٌ مُبَاحٌ ، بَلْ فِيهِ الضَّرُّ الْمُحَقَّقُ ، بِإِخْبَارِ أَهْلِ الْخِبْرَةِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَحُرْمَةُ مَا فِيهِ السَّرْفُ وَالضَّرُّ ، ثَابِتَةٌ شَرْعًا وَعَقْلًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ مُفْصَلًا .

قَالَ : وَقَدْ نُصِّ فِي (نِصَابُ الْاِحْتِسَابِ) وَغَيْرِهِ مِنْ الْمُعْتَبَرَاتِ الْفِقْهِيَّةِ ، عَلَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْمُضِرِّ حَرَامٌ اتِّفَاقًا .

قَالَ : وَقَالَ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ الْعَبْجِيُّ الْحَلَبِيُّ ، فِي كِتَابِ الْأَشْرِيَّةِ مِنْ

شَرَّحِهِ عَلَى « الدُّرِّ الْمُخْتَارِ ، شَرْحُ تَنْوِيرِ الْأَبْصَارِ » بَعْدَ نَقْلِ الشَّارِحِ
تَحْرِيمِ الدُّخَانِ ، عَنِ شَيْخِهِ النَّجْمِ الْغَزِّيِّ : وَقَدْ أَوْضَحْنَا تَحْرِيمَهُ فِي
رِسَالَةٍ لَمْ تُسَبِّقْ بِنَظِيرٍ ، أَدْخَلْنَا تَحْرِيمَهُ فِيهَا تَحْتَ الْأُصُولِ الْأَرْبَعَةِ ،
وَرَدَدْنَا كُلَّ مَا نَافَاهُ مِنْ كَلَامِ الْغَيْرِ ، رَدًّا جَامِعًا مَانِعًا ، مُؤَيَّدًا بِالْحُجَجِ
اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَقْفَنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالَ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : يَا مَنْ يَرُومُ التَّقَى مِنْ كُلِّ مَأْتَمَةٍ
أَسْأَلُكَ سَبِيلَ الْهُدَى وَآمَشِ عَلَى السُّنَنِ

وَلَا تَحُدْ أَبَدًا عَنِ ذِي الطَّرِيقِ تَفْزُ
وَخَالَفَ النَّفْسَ وَأَقْهَرَهَا عَنِ الْمِحَنِ
إِيَّاكَ مِنْ مِحْنَةٍ تُلْقِيكَ فِي عَطَبٍ
لَا سِيِّمًا مَا فَشَى فِي النَّاسِ مِنْ تِنِّ
مُخَدَّرُ الْجِسْمِ لَا نَفْعَ بِهِ أَبَدًا
بَلْ مُورِثُ الضَّرِّ وَالْأَسْقَامِ فِي الْبَدَنِ
وَحَيْثُ قَدْ ثَبَّتْ هَذِي الصِّفَاتُ لَهُ
فَاجْزِمْ بِتَحْرِيمِهِ إِنْ كُنْتَ ذَا فِطْنِ
وَإِنْ تَرُدُّ ثِقَةً فِيمَا أَقُولُ فَسَلْ
بِهِ الْخَيْرَ تَنَلْ مِنْ عِلْمِهِ الْحَسَنِ
وَقَالَ آخَرُ :

كَمْ فِي الدُّخَانِ مَعَائِبٌ وَمَكَارُهُ
دَلَّتْ رَدَائِلُهُ عَلَى إِنْكَارِهِ

سَأْرِيكَ بَعْضاً مِنْ مَعَائِبِ شُرْبِهِ
يَا صَاحِبِي أَحْبَبْتَنِي أَمْ كَارِهِ
يُؤْذِي الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ بِنْتِنِهِ
وَأَمَامَ وَجْهِكَ شُعْلَةٌ مِنْ نَارِهِ
كَمْ مِنْ نُقُودٍ يَا فَتَى وَمَلَابِسٍ
أَتَلَفْتَهَا بِشِرَائِهِ وَشَرَارِهِ
وَبِهِ الشَّيَا اللُّؤْلُؤِيَّةُ أَفْسِدَتْ
بِقَبِيحِ لَوْنِ سَوَادِهِ وَصَفَارِهِ
كَانَتْ كَمَثَلِ الدَّرِّ حُسْنًا شَانَهَا
مِنْ نَفْخِهَا الشِّدْقَيْنِ فِي مِرْزَمَارِهِ
وَتَرَا الصَّفَارَ عَلَى شَوَارِبِهِ بَدَأَ
مِنْ جَذْبِهِ الدُّخَانَ مِنْ مِخَارِهِ
وَتَرَى الَّذِي فِي شُرْبِهِ مُتَوَلِّهًا
يَلْتَذُّ فِي الصُّهُرُوجِ بِاسْتِكْثَارِهِ
وَتَرَا الْهَوَامَ إِذَا أَحَسَّ بِرِيحِهِ
تَرَكَ الْمَكَانَ وَفَرَّ مِنْ أَوْكَارِهِ
وَالنَّحْلُ لَا تَلْوِي إِلَيْهِ لِخُبْثِهِ
أَبْدَاءً وَلَا تَنْدُو إِلَى أَزْهَارِهِ
وَلَسْتِنِهِ وَلِقُبْحِهِ فِي طَعْمِهِ -
لَمْ تَنْدُ سَائِمَةً إِلَى أَشْجَارِهِ
أَنْ خَالَطَ الْمَأْكُولَ مِنْهُ دُرَيْهَمٌ
غَلَبَتْ خَبَائِثُهُ عَلَى قِنَطَارِهِ

وَإِذَا تَتَاوَلَ سَاخِنًا مِنْ مَأْكُلٍ
سَالَ أَنْفُهُ وَأَنْفَتَ مِنْ أَقْدَارِهِ
فَإِنْ أَنْتَهَيْتَ وَمَا أَظَنَّكَ تَنْتَهِي
وَرَغِبْتَ عَنْهُ نَجَوْتَ مِنْ أَوْعَارِهِ
وَأَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ عَنَا تَحْصِيلِهِ
وَحَفِظْتَ مَالِكَ مِنْ مُصَابِ خَسَارِهِ
وقال آخر :

يَا شَارِبَ التَّبَّاءِ مَا أَجْرَاكَ
مَنْ ذَا الَّذِي فِي شَرِيحِ أَفْتَاكَ
أَتُظَنُّ أَنْ شَرَابِهِ مُسْتَعْدَبُ
أَمْ هَلْ تَظُنُّ بِأَنَّ فِيهِ غِذَاكَ
هَلْ فِيهِ نَفْعٌ ظَاهِرٌ لَكَ يَا فَتَى
كَلَّا فَلَا فِيهِ سِوَى إِيْذَاكَ
وَمَضْرَّةٌ تَبْدُو وَخُبْتُ رَوَائِحِ
مَكْرُوهَةٍ تُؤْذِي بِهَا جُلْسَاكَ
وَفُتُورُ جُسْمٍ وَارْتِخَاءُ مَفَاصِلِ
مَعَ ضَيْقِ أَنْفَاسٍ وَضَعْفِ قِوَاكَ
وَتَلَاْفُ مَالٍ لَا تَجِدُ عِوَضًا لَهُ
إِلَّا دُخَانًا قَدْ حَشَى أَحْشَاكَ
وَرَضَيْتَ فِيهِ بِأَنَّ تَكُونُ مَبْدَرًا
وَأَخُو الْمَبْدِرِ لَمْ يَكُنْ يَخْفَاكَ

فَإِذَا حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ وَاسْتَشَقُّوا
 مِنْ فِيكَ رِيحاً يَكْرَهُونَ لِقَاكَ
 يَكْفِيكَ ذِمًّا فِيهِ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ
 قَدْ كَانَ يَشْرِبُهُ يَوْدُفُكَ آكَ
 فَارْفُقْ بِنَفْسِكَ وَاتَّبِعْ آثَارَ مَنْ
 أَهْدَاكَ لِأَمْنٍ فِيهِ قَدْ أَغْوَاكَ
 إِنَّ كُنْتَ شَهْمًا فَاجْتَنِبْهُ وَلَا تَكُنْ
 فِي شُرْبِهِ مُسْتَبِعًا لِهَوَاكَ
 إِنِّي نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِنَصِيحَتِي
 وَنَهَيْتُ فَاتَّبِعْ قَوْلَ مَنْ يَنْهَاكَ
 وَبَدَلْتُ قَوْلِي نَاصِحًا لَكَ يَا فَتَى
 فَعَسَاكَ تَقْبَلُ مَا أَقُولُ عَسَاكَ

وَقَالَ الشَّيْخُ العَلَامَةُ الفَقِيهُ ، مُحَمَّدُ الطَّرَائِيشِي الحَلْبِيُّ المَالِكِيُّ ،
 بَعْدَ كَلَامٍ لَهُ طَوِيلٍ عَلَى الدُّخَانِ مَا لَفْظُهُ : وَبِالجُمْلَةِ فَقَدْ تَحَرَّرَ ، مِنْ
 مَجْمُوعٍ مَا تَقَرَّرَ ، الحُكْمُ عَلَى الدُّخَانِ المَشْهُورِ ، بِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ
 المُخَدَّرَاتِ ، الَّتِي يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهَا ، وَأَنَّهُ مُضِرٌّ بِالصِّحَّةِ ضَرَرًا بَيِّنًا ، وَكُلُّ
 مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ حَرَامٌ بِالاتِّفَاقِ ، وَلِذَلِكَ - أَي لِمَا ذَكَرَ مِنْ مَضْرَأَتِهِ
 الوَخِيمَةِ - حَرَّمَ شُرْبُهُ دِينًا - أَي مِنْ جِهَةِ الدِّينِ - عِنْدَ الأئِمَّةِ المَحَقِّقِينَ ،
 كَمَا حَرَّمَ طِبًّا ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَالنَّصُّ عَلَى المَنْعِ مِنْ شُرْبِهِ وَبَيْعِهِ يَقْتَضِي
 تَحْرِيمَهُمَا ، إِذْ مُفَادُ المَنْعِ التَّحْرِيمُ ، وَحَيْثُ حَرَّمَ بَيْعُهُ لِحُرْمَةِ شُرْبِهِ ،
 حَرَّمَ شِرَاؤَهُ أَيْضًا لِأَنَّ كُلَّ مَا يَحْرُمُ بَيْعُهُ يَحْرُمُ شِرَاؤُهُ ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي
 مَحَلِّهِ فَبِفِ قَدِ هَذِهِ الفُتْيَا لِهَذَا المَالِكِيِّ ، وَعِنْدَ فُتْيَا الحَنْفِيِّ الَّتِي قَبَلَهَا
 تَعْرِفُ كَلَامَ المَحَقِّقِينَ رَحْمَةً اللهُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَالْهِمْنَا حَمْدَكَ
 وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
 الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : في بيان تحريم التصوير واستعماله واتخاذِه

اعلم وفقنا الله وأياك وجميع المسلمين لما يحببه الله ويرضاه وجنبنا
 وأياك وجميع المسلمين ما يكرهه ولا يرضاه ، أن مما يتأكد اجتنابه
 والتحذير عنه - في رمضان وغيره - التصوير لذوات الأرواح ، مجسدة أو
 غير مجسدة ، وقد كان بسببه حدث الشرك الأكبر في بني آدم ، كما قال
 ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، عن موسى ، عن محمد
 بن قيس ، في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ قال : كانوا قوماً
 صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال
 أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى
 العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم .

فلما ماتوا جاء آخرون ، دب إليهم إبليس ، فقال : إنما كانوا
 يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم ، وقال ابن عباس رضي الله
 عنهما - في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَدْرُنَّ وُدًّا وَلَا
 سُوعَا . وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ : هذه أسماء رجال صالحين من
 قوم نوح ولما هلكوا صور قومهم صورهم ، ثم طال عليهم الأمد
 فعبدوهم .

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي المطهر قال : ذكروا عند أبي
 جعفر - وهو قائم يصلي - يزيد بن المهلب ، قال فلما أنفقل من صلاته ،

قَالَ: ذَكَرْتُمْ يَزِيدَ بْنَ الْمَهَلَّبِ أَمَا إِنَّهُ قُتِلَ فِي أَوَّلِ أَرْضِ عُبَيْدٍ فِيهَا غَيْرُ
 اللَّهِ ، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرُوا رَجُلًا مُسْلِمًا ، وَكَانَ مُحَبَّبًا فِي قَوْمِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ
 اغْتَكَفُوا حَوْلَ قَبْرِهِ فِي أَرْضِ بَابِلَ ، وَجَزَعُوا عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى ابْلِيسُ جَزَعَهُمْ
 عَلَيْهِ ، تَشَبَّهُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أَرَى جَزَعَكُمْ عَلَى هَذَا
 الرَّجُلِ ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ أَصَوِّرَ لَكُمْ مِثْلَهُ فَيَكُونُ فِي نَادِيكُمْ ، فَتَذْكُرُونَهُ .
 قَالُوا: نَعَمْ . فَصَوَّرَ لَهُمْ مِثْلَهُ قَالَ: وَوَضَعُوهُ فِي نَادِيهِمْ ، وَجَعَلُوا
 يَذْكُرُونَهُ .

فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ ذِكْرِهِ ، قَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أَجْعَلَ فِي
 مَنْزِلِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ تِمثَالًا ، فَيَكُونُ لَهُ فِي بَيْتِهِ فَتَذْكُرُونَهُ ، قَالُوا نَعَمْ .
 قَالَ فَمَثَلَ لِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ تِمثَالًا مِثْلَهُ ، فَأَقْبَلُوا فَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ بِهِ ، قَالَ:
 وَأَدْرَكَ أَبْنَاؤُهُمْ ، فَجَعَلُوا يَرُونَ مَا يَصْنَعُونَ بِهِ ، قَالَ: وَتَنَاسَلُوا وَدَرَسَ أَمْرُ
 ذِكْرِهِمْ آيَةً ، حَتَّى اتَّخَذُوهُ إِلَهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَأَوْلَادُهُمْ ، كَانَ
 أَوَّلَ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَدُ الصَّنَمِ الَّذِي سَمَّوْهُ وَدَا هـ .

وَعَنْ هَذَا انْتَشَرَتِ الْوَثِيئَةُ ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ،
 وَفِي هَذَا التَّصْوِيرِ مَعْنَى فِي غَايَةِ الْقُبْحِ وَالْبَشَاعَةِ ، وَهُوَ التَّشَبُّهُ بِالْخَالِقِ
 الْحَكِيمِ ، فَإِنَّ الْمَصَوِّرَ بِيَدِهِ أَوْ بِاللَّهِ ، يَرَسِمُ الصُّورَةَ رَسْمًا يُشَبِّهُ الْحَقِيقَةَ ،
 وَلِذَا « يُقَالُ لِلْمَصَوِّرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » ، وَيُكَلِّفُ أَنْ يَنْفَخَ
 فِي الصُّورَةِ الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ أَبَدًا ، فَيَسْتَمِرُّ الْعَذَابُ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

فَصَلِّ: وَإِلَيْكَ الْأَدِلَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَمَشْرُوعِيَّةِ طَمَسِ
 الصُّورِ ، سَوَاءً كَانَ مُجَسَّدَةً أَوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةً ، وَفِي عَمَلِهَا الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ
 لِلْمَصَوِّرِينَ ، وَالْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ .

وَأَنَّ التَّصَوُّيرَ مِنْ سُنَنِ النَّصَارَى .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا ، فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ قال عِكْرِمَةُ : هُمُ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الصُّورَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فليُخْلِقُوا ذَرَّةً ، أو ليُخْلِقُوا حَبَّةً ، أو ليُخْلِقُوا شَعِيرَةً » أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَتُهَا نَفْسٌ فَيُعَذَّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » .

وَعَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا ، كُفِّفَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا مُسْتَتِرَةٌ بِقِرَامٍ فِيهِ صُورَةٌ ، فَتَلَّوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ ، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ .

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نَمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ ،

فَلَمْ يَدْخُلْ ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، مَاذَا أَذْنُبْتُ ؟ قَالَ « مَا بَالَ النَّمْرُوقَةُ ؟ » فَقَالَتْ : اشْتَرَيْتُهَا لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ ، أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ » .

وَقَالَ « إِنَّ النَّبِيَّ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ » رَوَاهُ مَالِكٌ وَالشَّيْخَانُ ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى التَّمَائِيلَ قَامَ بَيْنَ الْبَابَيْنِ ، وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهَهُ .
وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ : أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةَ إِلَّا طَمَسْتَهَا ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ .

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَأُذُنَانِ يَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يَقُولُ : إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ ، بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِالْمُصَوِّرِ » وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِّ ، وَثَمَنِ الْكَلْبِ ، وَكَسْبِ الْبَغْيِ ، وَلَعْنِ آكِلِ الرَّبَا وَمَوْكَلِهِ ، وَالْوَاشِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ ، وَالْمُصَوِّرَ .

اللهم إنا نعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ وعَمَلٍ لا يُرْفَعُ ودُعَاءٍ لا يُسْمَعُ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ ، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ بَعْضُ نِسَائِهِ كَيْسَةَ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ أَتَيَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ ، فَذَكَرْتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيهَا ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ « أَوْلَيْكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنُوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ ، أَوْلَيْكَ شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ، أَوْ قَتَلَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ ، وَالْمُصَوِّرُونَ ، وَعَالِمٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ .

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ ، فَقَالَ « أَيُّكُمْ يَنْطَلِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَا يَدْعُ بِهَا وَثْنًا إِلَّا كَسَرَهُ ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّاهُ ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَّخَهَا » فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَانْطَلَقَ فَهَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَجَعَ فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا أَنْطَلِقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَانْطَلِقْ ثُمَّ رَجِعْ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَدْعُ بِهَا وَثْنًا إِلَّا كَسَرْتُهُ ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَّخْتُهَا ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ عَادَ لِصَنْعَةِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ ، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَعْبَةِ وَرَأَى صُورًا ، قَالَ فَدَعَا بَدَلُو مِنْ مَاءٍ ،
فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، فَجَعَلَ يَمْحُوهَا وَيَقُولُ « قَاتِلِ اللَّهُ قَوْمًا يُصَوِّرُونَ مَا لَا يَخْلُقُونَ »
رواه أبو داود الطيالسي في مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَأَصْلُ الْحَزْمِ أَنْ تُضْحِيَ وَتُمْسِي	وَرَبُّكَ عَنْكَ فِي الْحَالَاتِ رَاضٍ
وَأَنْ تَعْتَاضَ بِالتَّخَابِطِ رُشْدًا	فَإِنَّ الرُّشْدَ مِنْ خَيْرِ اعْتِيَاضٍ
وَدَعَّ عَنْكَ الَّذِي يُغْوِي وَيُرِيدِي	وَيُورِثُ طُولَ حُزْنٍ وَارْتِمَاضٍ
وَأَخَذَ بِاللَّيْلِ حِظَّ النَّفْسِ وَأَطْرَدَ	عَنِ الْعَيْنَيْنِ مَحْجُوبِ الْغِمَاضِ
فَإِنَّ الْغَافِلِينَ ذَوِي التَّوَانِي	نَظَائِرُ لِلْبَهَائِمِ فِي الْغِيَاضِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا مِنْ
الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
عَمْدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ فِيمَا فِي الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ)

فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَوَائِدِ (أَوَّلًا) تَحْرِيمُ التَّصْوِيرِ ، لِمَا فِيهِ
مِنْ الْمُضَاهَاةِ بِخَلْقِ اللَّهِ . (ثَانِيًا) أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَلَمَ مِنَ الْمُصَوِّرِ (ثَالثًا)
التَّحْذِيرُ وَالتَّنْفِيرُ عَنِ التَّصْوِيرِ (رَابِعًا) أَنَّ الْمُصَوِّرِينَ عِنْدَهُمْ مِنْ قِلَّةِ
الْحَيَاءِ ، وَسَخَافَةِ الْعُقُولِ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ حَيْثُ أَنَّهُمْ يَفْعَلُهُمْ
يُضَاهَوْنَ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (خَامِسًا) تَحْدِيثُهُمْ فِي أَنْ يَخْلُقُوا ذَرَّةً
أَوْ حَبَّةً ، وَبَيَانَ عَجْزِهِمْ وَحَقَارَتِهِمْ (سَادِسًا) أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الصُّورَةِ
الْمُجَسَّدَةِ ، وَغَيْرِ الْمُجَسَّدَةِ وَهِيَ الَّتِي لَا ظِلَّ لَهَا .

(وَالْعِلَّةُ) فِي تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ هِيَ الْمُضَاهَاةُ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى

وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ ، (وَالْعِلَّةُ الثَّانِيَةُ) لِلتَّحْرِيمِ هِيَ أَنَّ التَّصْوِيرَ
وَسَبِيلَهُ إِلَى عِبَادَةِ الصُّورِ ، كَمَا وَقَعَ لِقَوْمِ نُوحٍ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَالنَّصَارَى ، وَالْوَسَائِلُ لَهَا أَحْكَامُ الْمَقَاصِدِ ، وَلَهُ (عِلَّةٌ ثَالِثَةٌ) وَهِيَ التَّشْبَهُ
بِالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ
« مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْعِلَلِ الثَّلَاثِ تَكْفِي فِي
تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ كَبَائِرِ
الذُّنُوبِ ؛ لِلْوَعِيدِ عَلَيْهِ بِالنَّارِ ، وَأَنَّ التَّحْرِيمَ عَامٌ ، فِي كُلِّ صُورَةٍ مِنْ صُورِ
ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ، وَأَنَّهُ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ نَفْسٌ فَيُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ ، وَفِي
الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ وَفِي الْحَدِيثِ
التَّحْذِيرُ وَالتَّنْفِيذُ عَنِ التَّصْوِيرِ .

وَالْحَدِيثُ الَّذِي بَعْدَهُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ
الْكَبَائِرِ وَأَنَّ الْمُصَوِّرَ فِي الدُّنْيَا يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفَخَ فِي الصُّورِ الَّتِي صَوَّرَهَا
الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَذَا الْأَمْرُ يُرَادُ بِهِ إِهَانَتُهُمْ ، وَتَعْجِيزُهُمْ وَتَحْقِيرُهُمْ ،
وَفِي الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
الْمُصَوِّرُونَ ، وَدَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ ، وَإِثْبَاتُ
الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ
الْكَبَائِرِ ، وَعَلَى اسْتِمْرَارِ تَعْذِيبِ الْمُصَوِّرِينَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِحْيَاءِ

الصَّوْرَ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ إِحْيَاؤُهَا ، وَإِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ .

وَحَدِيثُ عَائِشَةَ (أَوْلَى) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، يُسْتَفَادُ مِنْ إِنْكَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَصْبِ السُّتْرِ ، وَتَلَوْنِ وَجْهِهِ ، وَهَتِكِهِ لَهُ ، وَمِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِلْمُصَوِّرِينَ .

(ثانياً) أَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ ، لِمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ .

(ثالثاً) أَنَّ الْمُصَوِّرِينَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(رابعاً) أَنَّ عِلَّةَ التَّحْرِيمِ هِيَ الْمُضَاهَاةُ بِخَلْقِ اللَّهِ .

(خامساً) أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةَ مُجَسَّدَةً أَوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةً ، لِأَنَّ الَّتِي أَنْكَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مُجَسَّدَةً .

(سادساً) الْغَضَبُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمُنْكَرِ وَتَمَعُّرِ الْوَجْهِ .

(سابعاً) كَرَاهَةُ دُخُولِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ صُورَةٌ .

(ثامناً) إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ بِحَسَبِ الْإِسْتِطَاعَةِ وَالْقُدْرَةِ ، فَمَنْ قَدَرَ بِيَدِهِ .

فَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ ، كَمَا فَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَتِكِ السُّتْرِ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ .

(تاسعاً) أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفَخَ الرُّوحَ فِيهَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي قُدْرَتِهِ .

(عاشراً) دَلِيلٌ عَلَى اسْتِمْرَارِ عَذَابِ الْمُصَوِّرِ ، وَإِثْبَاتِ الْبَعْثِ

وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ .

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(حَادِي عَشْر) أَنْ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ صُورَةٌ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ .

وَحَدِيثُ أَبِي الْهَيَّاجِ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى طَمَسِ الصُّورِ ، وَهَدْمِ الْقُبُورِ الْمُشْرَفَةِ ، وَفِيهِ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُجَسَّدَةِ وَغَيْرِهَا ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى إِنكَارِ الْمُنْكَرِ ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَنْعَ خَاصٌّ بِالصُّورِ الْمُجَسَّدَةِ فَإِنَّ الصُّورَةَ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَحْوِهَا غَيْرُ مُجَسَّدَةٍ .

وَحَدِيثُ أَبِي طَلْحَةَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ ، وَالْمُرَادُ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَاتِ الْمُسْتَغْفِرُونَ لِلْعَبِيدِ ، الْمُضَلُّونَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فَوَاتِ هَذِهِ الْغَنَائِمِ ، لَكَانَ الْعَاقِلُ يَحْزَنُ لِذَلِكَ ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ هُنَاكَ آثَامٌ ، وَسَبَبٌ إِمْتِنَاعِ دُخُولِ الْمَلَائِكَةِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ صُورَةٌ ، كَوْنُهَا مَعْصِيَةٌ فَاحِشَةٌ ، وَفِيهَا مُضَاهَاةٌ بِخَلْقِ اللَّهِ ، وَأَمَّا الْكَلْبُ فَلِكَوْنِهِ نَجَسًا ، وَلِكثْرَةِ أَكْلِهِ النَّجَاسَةَ ، وَلِقُبْحِ رَائِحَتِهِ ، وَلِأَنَّهُ مَنُهِىٌّ عَنِ اتِّخَاذِهَا إِلَّا لِحَرْثٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ .

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ « يَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ » فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصَوُّيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ ، لِشِدَّةِ الْوَعِيدِ ، وَإِنْ مَصِّيرَ الْمُصَوِّرِينَ إِلَى النَّارِ ، مَعَ الْجَبَابِرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا لَهُ ظِلٌّ وَمَا لَا ظِلَّ لَهُ ، وَأَنَّ هَذَا الْجُزْءَ الْخَارِجَ مِنَ النَّارِ الْمُوَكَّلَ بِالْمُصَوِّرِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْجَبَّارِ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ ، وَأَنَّهُ يَنْطِقُ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ ، وَعَلَى الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ ، وَاثْبَاتِ النَّارِ ، ثُمَّ تَأَمَّلْ وَاسْأَلْ رَبَّكَ الْعَاقِبَةَ كَيْفَ قَرَنَ الْمُصَوِّرَ بِالْجَبَّارِ الْعَبِيدِ ، وَبِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَا آخَرَ ، تَفْهَمُ كَيْفَ قَدَّرَ الْمُصَوِّرَ ، وَكَيْفَ يَكُونُ عَذَابُهُ ، وَالْحَدِيثُ

الذِي سَبَقُ تُوَكَّدُ عِبَارَتُهُ إِنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ ،
وَالْحَدِيثُ السَّابِقُ أَيْضًا يُفْهِمُكَ أَنَّ الذَّنْبَ كَبِيرٌ جَدًّا ، وَلِذَلِكَ يُكَلَّفُ فَاعِلُهُ وَهُوَ
فِي النَّارِ أَنْ يَنْفَخَ فِيمَا صَوَّرَ الرُّوحَ ، وَلَيْسَ فِي إِمْكَانِهِ ، فَيَسْتَمِرُّ التَّبَكُّيْتُ
وَالتَّعْذِيبُ . كَمَا وَرَدَ فِي خَائِنِ الْأَمَانَةِ وَالْمُتَحَلِّمِ بِمَا لَمْ يَرِ مِنْ أَنَّهُ يَكْلَفُ
إِخْرَاجَهَا بَعْدَ سَقُوطِهَا فِي النَّارِ .

وَالْحَدِيثُ الَّذِي بَعْدَهُ فِيهِ لَعْنُ آكِلِ الرِّبَا وَمُوكِلِهِ ، وَالْوَاشِمَةَ
وَالْمُسْتَوْشِمَةَ ، وَالْمُصَوِّرَ ؛ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ
الْكَبَائِرِ ، لِأَنَّ اللَّعْنَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى كَبِيرَةٍ ، وَفِيهِ شِدَّةُ الوَعِيدِ
لِلْمُصَوِّرِينَ ، لِأَنَّ اللَّعْنَ هُوَ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِيهِ أَنَّ
التَّحْرِيمَ عَامٌ لِمَا لَهُ ظِلٌّ وَلِمَا لَا ظِلَّ لَهُ مِنْ صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ .

وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي جُحَيْفَةَ فِيهِ لَعْنُ الْمُصَوِّرِ ، وَإِنَّ التَّصْوِيرَ مِنْ
الْكَبَائِرِ لِلْوَعِيدِ الشَّدِيدِ .

وَحَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ وَأُمِّ حَبِيبَةَ وَمَا بَعْدَهُ وَاضِحُ الْمَعْنَى .

قَالَ الْأَمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ :
تَصْوِيرُ صُورَةِ الْحَيَوَانِ حَرَامٌ ، شَدِيدُ الْحُرْمَةِ ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ ، لِأَنَّهُ
مُتَوَعَّدٌ عَلَيْهِ بِهَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ ، الْمَذْكُورِ فِي الْأَحَادِيثِ ، وَسَوَاءٌ صَنَعَهُ
بِمَا يُمْتَنُّهُنَّ أَوْ بغيرِهِ ، فَصَنَعْتُهُ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ ، لِأَنَّ فِيهِ مُضَاهَاةً بِخَلْقِ
اللَّهِ ، وَسَوَاءٌ مَا كَانَ فِي تَوْبٍ أَوْ بِسَاطِ ، أَوْ دِرْهَمٍ أَوْ دِينَارٍ ، أَوْ فِلْسٍ أَوْ
إِنَاءٍ ، أَوْ حَائِطٍ أَوْ غَيْرِهَا ، قَالَ : وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا كُلِّهِ بَيْنَ مَا لَهُ ظِلٌّ وَمَا
لَا ظِلَّ لَهُ ، هَذَا تَلْخِيصُ مَذْهَبِنَا فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَبِمَعْنَاهَا قَالَ جَمَاهِيرُ
الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ وَهُوَ مَذْهَبُ الثُّورِيِّ وَمَالِكٍ
وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ .

شِعْرًا :

فَلَا تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ فِي كُلِّ حَادِثٍ
فَأَلْتَقِ إِلَيْهِ بِثِّ شَكْوَاكَ تُحْمَدِ
لَهُ الْمُلْكُ بِالْأَكْوَانِ لَا بِمُؤَازِرِنِ
وَلَا بِنَصِيرٍ فِي الدِّفَاعِ لِمُعْتَدِ
قَرِيبٌ وَلَكِنْ بِالذُّنُوبِ تَبَاعَدَتْ
مَسَائِلُنَا عَنْ رَوْضِ إِحْسَانِهِ النَّدِيِّ
فَقُمْ قَارِعًا لِلْبَابِ وَالنَّابِ نَادِمًا
عَلَى مَا جَرَى وَارْفَعْ دُعَاءَكَ يَضَعِدِ
وَقُمْ سَائِلًا وَالِدَمْعِ فِي الْخَدِّ سَائِلُ
تَجِدْ مَا تَشَاءُ مِنْ لُطْفِهِ وَكَأَنَّ قَدِ
وَقُمْ زُلْفًا فِي اللَّيْلِ إِنْ نَشَرَ الدُّجَى
جَنَاحَ غُدَافٍ يُلْبِسُ الْكَوْنَ عَنِ يَدِ
وَرَدِّ ظِلَامِ اللَّيْلِ بِالذِّكْرِ مُشْرِقًا
فَقَدْ فَازَ مَنْ بِالذِّكْرِ يَهْدِي وَيَهْتَدِي
وَأَمَّا بَنُو الدُّنْيَا فَرِ تَرْجُ نَفْعَهُمْ
فَلَا مُنْجِدٌ فِيهِمْ يُرْجَى لِمُجْتَدِ
فَإِنِّي تَتَّبَعْتُ الْأَنْامَ فَلَمْ أَجِدْ
سِوَى شَامِتٍ أَوْ حَاسِدٍ أَوْ مُفْنِدِ
وَقَدْ رَضَعُوا ثَدْيِي الْمَهَابَةَ كُلَّهُمْ
وَكُلُّ بَدِيلِ الدَّلِّ أَصْبَحَ مُرْتَدِ
فَلَمْ أَرِ أَرْمَى بِالسِّهَامِ مِنَ الدُّعَا
إِلَى مَقْتَلِ الْأَعْدَاءِ مِنْ قَوْسِ مِدْوَدِ

وَعَنْ مَا قَلِيلٍ يُدْرِكُ السَّهْمُ صَيْدَهُ
فَكَمْ صَادَ سَهْمُ اللَّيْلِ مُهْجَةً أَصِيدُ
وَأَوْصِيكَ بِالتَّقْوَى لِرَبِّكَ إِنَّهُ
سَيَحْمِدُ تَقْوَاهُ الْمُؤَفَّقُ فِي غَدٍ
وَأُخِذَ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَادًا فَإِنَّمَا

وَعَنْ مَا قَلِيلٍ قَدْ أَنَاخَ رِكَابُنَا
بِقَضْرِ خَلِيٍّ مُظْلِمٍ الْجَوِّ فَدَفِدِ
فَإِنَّ اللَّيَالِي كَالْمَرَآكِبِ تَحْتُنَا
تَرُوحُ بِنَا فِي كُلِّ جِينٍ وَتَعْتَدِي
فِيَا حَبْدًا جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
تَحُطُّ رِحَالُ الْقَادِمِ الْمُتَزَوِّدِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
يُبَلِّغُنَا مِنْ فَضْلِهِ خَيْرَ مَقْعَدٍ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا مَنَاهِجَ السَّلَامَةِ وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ
وَوَفَّقْنَا لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنَا وَأَدِّمْ لَنَا إِحْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَمَا عَوَدْتَنَا وَأَتِمِّمْ عَلَيْنَا
مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ
مَوْعِظَةٌ

خَطَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : اتَّقُوا اللَّهَ
عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاَعُوا مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ
عَنْكُمْ - أَيِ اشْتَرَوْا مَا يَبْقَى مِنَ النِّعَمِ الْأَبَدِيِّ ، مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا

أَذُنُ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، بِمَا يَفْنِي مِنْ لَذَّةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
 وَشَهَوَاتِهَا الزَّائِلَةِ ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ لَكُمْ الْأَنْتِقَالَ - أَيِ حُشْتُمْ وَأَرْعَجْتُمْ
 إِلَى الرَّحِيلِ - وَاسْتَعِدُّوا فَاثْتَبَهُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ ،
 فَاسْتَبَدُّلُوهَا بِدَارِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ
 سُدىً - أَيِ مُهْمَلِينَ ، بَلَا رَاعٍ يَزْجُرْكُمْ عَمَّا يَضُرُّكُمْ ، وَيُسَوِّقْكُمْ إِلَى مَا
 يَنْفَعُكُمْ - وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ ، وَإِنَّ
 غَايَةَ هِيَ الْأَجَلَ ، تَنْقُضُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ ، لَجَدِيدَةٍ بِقَصْرِ
 الْمُدَّةِ ، وَإِنَّ غَايِبًا يَخْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأُوبَةِ ،
 وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدَمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ ، لَمْسْتَحِقُّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ فَتَزَوَّدُوا فِي
 الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا ، مَا تُحْرَزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا ، فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ ، نَصَحَ
 نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتَوْرٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ
 لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ ، يَزِينُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا وَيَمْنِيهِ التَّوْبَةَ
 لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ ، أَغْفَلُ مَا يَكُونُ عَنْهَا .

قَلْبَ الزَّمَانِ سَوَادَ رَأْسِكَ أَيْضًا وَنَعَاكَ شَيْئَكَ كُلَّهُ فَتَقَبَّضَا
 وَعَرَفْتَ نَفْسَكَ فِي سُكُونِكَ قَاعِدًا وَعَرَفْتَ نَفْسَكَ إِذْ هَمَمْتَ لِتَنْهَضَا
 فَلَيْنَ عَجِبْتُ لِأَعْجَبِنَ لِغَافِلٍ يُنْسِي وَيُصْبِحُ لِلْحَوَادِثِ مُعْرَضَا
 آخر : جَهُولٌ لَيْسَ تَنْهَاهُ التَّوَاهِي وَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا وَهُوَ سَاهِي
 يُسِّرُ يَوْمَهُ لِعِبَاءٍ وَلَهْوًا وَلَا يَدْرِي فِي غَدِهِ الدَّوَاهِي
 مَرَرْتُ بِقَصْرِهِ فَقُلْتُ مَنْ ذَا عَجِيبًا فِيهِ مُزْدَجَّرٌ وَنَاهِي
 رَأَيْتُ بِبَابِهِ سُودَ الْجَوَارِي فَقَالُوا : ذَلِكَ الْمَلِكُ الْمُبَاهِي
 تَيَّنَ أَيُّ دَارٍ أَنْتَ فِيهَا وَلَا تَسْكُنْ إِلَيْهَا وَادِرٍ مَا هِي
 اللَّهُمَّ اغْصِمْنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَّاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ
 الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في تحريم الرشوة

أَعْلَمَ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ ، لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، أَنْ
الرَّشْوَةَ دَاءٌ مِنْ أخطرِ الأَدْوَاءِ فَتَكَأَ بِالْمُجْتَمَعَاتِ ، ذَلِكَ أَنَّهَا لَا تَشِيْعُ فِي
مُجْتَمَعٍ ، إِلَّا تَدَاعَتْ أَرْكَانُهُ ، وَهَبَطَ فِي مُسْتَوَاهِ الْخُلُقِيِّ إِلَى الْحَضِيضِ ،
وَسَيَّطَرَتْ فِيهِ الْمَادَّةُ الْجَشِيعَةُ عَلَى الْحُكَّامِ وَالْمَحْكُومِينَ ، فَيَصْبِحُ صَاحِبُ
الْحَقِّ فِي قَلْبِي ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ الْحُصُولُ عَلَى حَقِّهِ إِلَّا إِذَا قَدَّمَ جُعْلًا لِمَنْ
عِنْدَهُ ، وَسَبِيلَةً لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ .

وَلَا تَرَى صَاحِبُ ظَلَامَةٍ يَطْمَعُ فِي رَفْعِ ظَلَامَتِهِ عَنْهُ ، إِلَّا أَنْ يَرْتَشِي
مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى رَفْعِهَا ، وَقَدْ يَبْلُغُ الأَمْرُ بِالْمُرْتَشِيِّ إِلَى أَنْ يُمَاسِكَ الرَّأشِي
فِي مِقْدَارِ الرَّشْوَةِ ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ جَهْرًا ، بِلا حِيَاءٍ وَلَا خَجَلٍ .
وَلَا تَسْأَلُ عَنْ مَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنَ الأَضْرَارِ ، الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى
، مِنْ ضِيَاعِ الكَرَامَةِ ، وَهَضْمِ الحُقُوقِ ، وَقَبْرِ النُّبُوغِ وَتَلَاشِيِ الجِدِّ فِي
العَمَلِ ، وَاضْمِحْلالِ الغَيْرَةِ عَلَى أداءِ الواجِبِ ، وَتَرْكِ العَامِلِينَ ، كُلِّ
ذَلِكَ يَذْهَبُ ، وَلَا تَجِدُ لَهُ أَثْرًا ، وَيَجِلُّ مَكَانُهُ الخُمُولُ وَالضَّعْفُ ، وَالغِشُّ
وَالخِيَانَةُ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ .

إِذَا رُشِوَةٌ مِنْ سُورِ بَيْتٍ تَفَحَّحَتْ
لِتَسْكُنَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ
سَعَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا
حَلِيمٌ تَوَلَّى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ
وَتَصَابُ مَصَالِحِ الأُمَّةِ بِالسَّلَلِ ، وَعُقُولِ النَّابِغِينَ بِالْعَقْمِ وَمَوَاهِبِ
المُفَكِّرِينَ بِالجُمُودِ ، وَعَزَائِمِ المُجَدِّينَ وَهَمَّهُمُ بِالخُورِ وَالْفُتُورِ ، وَأَيُّ خَيْرٍ

يُرْجَى مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ مِقيَاسُ الكُفَاءَةِ فِيهِمْ مَا يَتَقَرَّبُ المَرْوُوسُ بِهِ مِنْ قُرَابَيْنِ ، وَأَيُّ ثَمَرَةٍ مِنْ عَمَلٍ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالرُّشَا وَالْمَطَامِعِ .

وَقَدْ تُلَبَّسُ الرُّشْوَةُ ثَوْبًا مُسْتَعَارًا وَلَكِنْ يَشْفُ عَنْ حَقِيقَتِهَا كَمَا قِيلَ :

ثَوْبُ الرِّبَا يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ

فَإِذَا التَّحَفَّتْ بِهِ فَإِنَّكَ عَارِي

فَقَدْ تَكُونُ الرُّشْوَةُ فِي صُورَةِ تُحْفَةٍ أَوْ هَدِيَّةٍ ، أَوْ مُحَابَاةٍ فِي بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ ، أَوْ إِبْرَاءٍ مِنْ دَيْنٍ ، أَوْ يُشْرِكُهُ فِي أَرْضٍ أَوْ يَتَوَسَّطُ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ وَكُلُّ هَذِهِ الحِيلِ لَا تُزِيلُ الحَقَائِقَ .

وَهِيَ فِي جَمِيعِ الصُّوَرِ رُشْوَةٌ ، بِشِعَّةِ المَنْظَرِ ، سَيِّئَةِ المَخْبِرِ كَرِيهَةٌ الرَّائِحَةِ ، مَلُوثَةٌ لِلشَّرَفِ ، مُضِيعَةٌ لِلعَقَّةِ وَالكَرَامَةِ وَالْمُهَابَةِ وَلِذَا كَانَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي مَلْعُونَيْنِ ، لِأَنَّ الرَّاشِي يُسَاعِدُ المُرْتَشِي عَلَى تَضْيِيعِ الحُقُوقِ ، وَيُسَهِّلُ لَهُ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَيُنْمِي فِيهِ الخُلُقَ الذَّمِيمَ ، وَيَبْسِرُ لَهُ التَّحَكُّمَ فِيمَا هُوَ حَقٌّ لِغَيْرِهِ ، فَيَسْتَمْرِيءُ هَذَا المَرْعَى الوَخِيمَ ، وَالْمُرْتَشِي قَدْ أَخَذَ مَالَ غَيْرِهِ ، وَمَنَعَ الحَقَّ عَنْ صَاحِبِهِ حَتَّى يَأْخُذَ الرُّشْوَةَ مِنْهُ .

وَالرُّشْوَةُ المَحْرَمَةُ هِيَ مَا تُوَصَّلُ بِهِ إِلَى إِطْلَالِ حَقٍّ ، أَوْ تَمْشِيَةِ بَاطِلٍ ، أَمَّا مَا وَقَعَ لِلتَّوَصُّلِ لِحَقٍّ ، أَوْ دَفْعِ ظُلْمٍ ، فَلَيْسَ بِرُشْوَةٍ مَنْهِيَّةٍ ، قَالَ فِي المَغْنِيِّ : فَأَمَّا الرُّشْوَةُ فِي الحُكْمِ ، وَرُشْوَةُ العَامِلِ ، فَحَرَامٌ بِلَا خِلَافٍ .

قَالَ تَعَالَى (أَكْأَلُونَ لِلسُّحْتِ) قَالَ الحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي تَفْسِيرِهِ : هُوَ الرُّشْوَةُ . وَقَالَ : فَأَمَّا الرَّاشِي ، فَإِنَّ رِشَاءَهُ لِيَحْكُمَ لَهُ

بِاطِلٍ ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ حَقًّا ، فَهُوَ مَلْعُونٌ ، وَإِنْ رَشَاهُ لِيَدْفَعِ ظُلْمَهُ ، وَيَجْزِيَهُ عَلَى وَاجِبِهِ ، فَقَدْ قَالَ عَطَاءٌ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَالْحَسَنُ : لَا بَأْسَ أَنْ يُصَانِعَ عَنْ نَفْسِهِ : قَالَ : وَلِإِنَّهُ يَسْتَنْقِذُ مَالَهُ ، كَمَا يَسْتَنْقِذُ الرَّجُلُ أُسِيرَهُ . انتهى .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ، وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ، لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ فِي الْحُكْمِ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ . أَمَّا الْحَدِيثُ فَوَجْهَ الْاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى تَحْرِيمِ الرِّشْوَةِ وَاصْطِحَ ، إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ لِعَنَةِ اللَّهِ إِلَّا فَاسِقٌ أَوْ كَافِرٌ ، وَأَمَّا الْآيَةُ فَقِيلَ إِنَّ مَعْنَاهَا : لَا تُدْلُوا بِأَمْوَالِكُمْ إِلَى الْحُكَّامِ ، أَيِ لَا تُصَانِعُوهُمْ بِهَا ، وَلَا تَرَشُّوهُمْ لِيَقْطَعُوا لَكُمْ حَقًّا لِغَيْرِكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ ، فَالْآيَةُ تَنْهَى الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَنْ يَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ بَيْنَهُمْ بِالْبَاطِلِ ، وَالرِّشْوَةَ ضَرَبَ مِنْ ضُرُوبِ هَذَا الْأَكْلِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ . قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ الْمُحَايِينَ لِأَصْدِقَائِهِمْ :

قال الشاعر :

إِذَا حَاوَلُوا أَمْرًا لِشَخْصٍ يَهُمُّهُمْ تَنَاسَوْا أُمُورَ الشَّرْعِ فِيهِ وَلَقَفُوا
وَالْأُورَاقَ عِنْدَ وَجْهِهِ وَقَالُوا لَهُ خُذْ مَا تَرَاهُ وَأَطْرُقُوا

آخر :

وَالِي الْيَقِينِ وَعَادِ الشُّكَّ أَجْمَعَهُ
عَظْمُ إِلَهَكَ لَا تَرَكْنَ لِمَنْقُودِ
فَالخَطْبُ عَمَّ وَصَارَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
مُعْظَمِينَ لِإِدْعَائِي وَمَرْدُودِ
هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَاذِرُهُ
فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ

فَصَاحِبُ الدِّينِ مَمْقُوتٌ وَمُنْكَتِمٌ
وصاحبُ الفسقِ فيهم غيرُ مظهودِ
كُلُّ يُقْلِدُ فِي الأَهْوَاءِ صَاحِبَهُ
حتى البلادَ لها شأنٌ بتقليدِ
والأمرُ بالعُرفِ ثم النَّهيُّ عن نُكْرٍ
صَارَا لَدَيْنَا بِلَا شَكِّ كَمَفْقُودِ
إِذَا نَصَحْتَ لِشَخْصٍ قَالَ أَنْتَ كَذَا
فِيكَ العُيُوبُ لَدَيْنَا غَيْرَ مَحْمُودِ
إِذَا رَأَوْا صَالِحًا يَدْعُو لِنَهْجِ هُدًى
تَأْتِبُوهُ بِإِيذَاءٍ وَتَبْعِيْدِ
حُكْمُ القَوَانِينِ قَالُوا فِيهِ مَضْلِحَةٌ
وَفِي الرِّبَا سَاعَدَتْ شَيْبٌ لِمَوْلُودِ
أَهْلُ الهوى والرَّذَى مَالُوا لِمُحَدَّثَةٍ
قَالُوا الشَّرِيعَةَ لَا تَكْفِي لِمَقْصُودِ
قُولُوا لَهُمْ قَوْلَ نُضْحٍ مَا بِهِ شَطَطُ
مَقَالَةٌ صَاغَهَا حَبْرٌ بِتَسْذِيدِ
مُخَالِفِ الشَّرْعِ لَمْ يَظْفُرْ بِحَاجَتِهِ
لَوْ نَالَ خَيْرًا قُضَارَاهُ لِتَبْدِيدِ
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَخْضُلْ لَهُ غَيْرُ
لَمْ يُتِّكْ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ

اللَّهُمَّ انا نسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم انا نسألك العفو
والعافية في ديننا ودنيانا وأخرتنا وأهلنا ومالنا اللهم استر عوراتنا وأمن
روعاتنا واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن

فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين

اللَّهُمَّ اسئلك بنا مناهج السلامة وعافنا من موجبات الحسرة والندامة
ووفقنا للاستعداد لما وعدتنا وأدم لنا إحسانك ولطفك كما وعدتنا وأتمم علينا
ما به أكرمنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين

« فصل »

قال العلماء : الرأشي هو الذي يُعطي الرشوة ، والمرشي هو الذي
يأخذ الرشوة ، قالوا : وإنما سمي منحه الحكام رشوة لأنها وصلت إلى
المقصود ، بنوع من التصنيع ، مأخوذ من الرشاء ، وهو الحبل الذي
يتوصل به إلى نزع الماء .

قال بعضهم : وليت الحكم خمسا بعد عشر

لعمري والصبا في العنقوان

فلم تضع الأعادي قدر شاني

ولا قالوا : فلان قد رشاني

وقد روي في حديث آخر : أن اللعنة على الرأش أيضا ، وهو

الساعي بينهما ، وهو تابع للرأشي في قصده ، إن قصد خيرا لم تلحقه

اللعنة ، وإلا لحقته ، ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه ، عن أبي

أمامة الباهلي رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من شفع لرجل شفاعا ، فأهدى له هديا ، فقد أتى بابا من أبواب

الربا » وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة ،

فتقضي فيهدي إليك هديا فتقبلها منه .

وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردّها ، فأهدى إليه

صاحب المظلمة وصيفاً ، فردّها ولم يقبلها وقال : سمعت ابن مسعود يقول : من ردّ عن مسلم مظلمة ، فأعطاه عليها قليلاً أو كثيراً فهو سحت ، فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم ، فقال : ذلك كفر نعوذ بالله منه .

قال العلماء : ويحرم على القاضي قبول هدية إلا ممن كان يهاديه قبل ولايته ، إذا لم تكن له حكومة ، لما روى أبو سعيد قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له ابن اللثبية على الصدقة ، فقال : هذا لكم ، وهذا أهدي إليّ ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال « ما بال العامل نبعثه ، فيجيء فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدي إليّ ألا جلس في بيت أبيه ، فينظر أهدي إليه أم لا ، والذي نفس محمد بيده لا نبعث أحداً منكم ، فيأخذ شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله ، إن كان بغيراً له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر » ثم رفع يده حتى رايت عقدة إبطيه ، فقال « اللهم هل بلغت ثلاثاً . متفق عليه .

شعر :

لا يَأْمَنُ الْوَقْتُ إِلَّا الْخَائِنُ الْبَطْرُ
 مَنْ لَيْسَ يَعْقِلُ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
 مَا يَجْهَلُ الرُّشْدَ مَنْ خَافَ الْإِلَهَ وَمَنْ
 أَمْسَى وَهْمَتُهُ فِي دِينِهِ الْفِكْرُ
 فِيمَا مَضَى فِكْرَةٌ فِيهَا لِصَاحِبِهَا
 إِنْ كَانَ ذَا بَصَرٍ بِالرَّأْيِ مُعْتَبِرُ
 أَيْنَ الْقُرُونُ وَأَيْنَ الْمُبْتَنُونَ لَنَا
 هَذِي الْمَدَائِنُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ

وَأَيْنَ كَسْرَى أُنُو شُرَوَانَ مَالَ بِهِ
صَرَفَ الزَّمَانِ وَأَفْنَى مُلْكُهُ الْغَيْرُ
بَلْ أَيْنَ أَهْلَ التَّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ وَمَنْ
جَاءَتْ بِفَضْلِهِمُ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
أَعْدَدَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَوْلَهُمْ
وَنَادَى مِنْ بَعْدِهِ فِي الْفَضْلِ يَا عُمَرُ
وَعُدَّ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ أَبَا حَسَنِ
فَإِنْ فَضْلُهُمَا يُرَوَى وَيُذَكَّرُ
لَمْ يَبْقَ أَهْلُ التَّقَى فِيهَا لِإِرْهِمُ
وَلَا الْجَبَابِرَةُ الْأَمْلاكُ مَا عَمَرُوا
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ وَاخْذِرْ أَنْ تُورِطَهَا
فِي هُوَّةٍ مَالَهَا وَرَدٌّ وَلَا صَدْرُ
مَا يَحْذَرُ اللَّهُ إِلَّا الرَّاشِدُونَ وَقَدْ
يُنْجِي الرَّشِيدَ مِنَ الْمَحْذُورَةِ الْحَذَرُ
وَالصَّبْرُ يُعْقِبُ رِضْوَانًا وَمَغْفِرَةً
مَعَ النَّجَاحِ وَخَيْرُ الصُّحْبَةِ الصَّبْرُ
النَّاسُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَفَرٍ
وَعَنْ قَرِيبٍ بِهِمْ مَا يَنْقِضِي السَّفَرَ
فَمِنْهُمْ قَانِعٌ رَاضٍ بِعَيْشَتِهِ
وَمِنْهُمْ مُوسِرٌ وَالْقَلْبُ مُفْتَقِرُ
مَا يُشْبِعُ النَّفْسَ إِنْ لَمْ تُنَسِّ قَانِعَةٌ
شَيْءٌ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي مَلِكِهَا الْبِدْرُ

وَالنَّفْسُ تَشْبَعُ أَحْيَانًا فَيُرْجِعُهَا
نَحْوَ الْمَجَاعَةِ حُبِّ الْعَيْشِ وَالْبَطْرِ
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي الدُّنْيَا لَهُ أَثَرٌ

فَمَا يَمُوتُ فِي الدُّنْيَا لَهُ أَثَرٌ
اللَّهُمَّ مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنُورِ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْنَا
عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَرُحِّزْنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا
الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَمَتِّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ : لَقَدْ نَهَانَا رَبُّنَا جَلَّتْ قُدْرَتُهُ عَنِ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ ، وَاسْتِحْلَالِهَا بَدُونِ حَقِّ ، وَأَخْذِهَا بِوَجْهِ لَمْ يُبْحَهُ الدِّينَ وَلَمْ
يَشْرَعْهُ ، يَنْهَانَا عَنِ رَفْعِ الدَّعَاوِي الْكَاذِبَةِ ، وَالْإِدْلَاءِ بِالْقَضَايَا الْمُخْتَلِقَةِ
الْمُلَفَّقَةِ ، وَتَقْدِيمِ صَفْحَاتِهَا إِلَى الْقَضَاءِ ، رَجَاءَ الْفُضْلِ فِيهَا بِالْبَاطِلِ ،
اسْتِنَاداً إِلَى الْيَمِينِ الْعُمُوسِ الْكَاذِبَةِ ، وَارْتِكَاناً عَلَى شَهَادَةِ الزُّورِ
الْفَاجِرَةِ ، أَوْ اعْتِمَاداً عَلَى الشَّفَاعَاتِ وَالْوَسَائِطِ ، وَاسْتِظْهَاراً بِتِلْكَ
الرِّشَاوِي الَّتِي تُقَدَّمُ بِاسْمِ الْهَدَايَا ، إِلَى مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ، فَيَتَحَطَّوْنَ
الْعَدَالَةَ لِقَاءِ هَذَا ، وَيَجُورُونَ فِي الْحُكُومَةِ وَالْقَضَاءِ .

إِنَّ أَمْوَالَ النَّاسِ الَّتِي تُؤْكَلُ بِالْبَاطِلِ قَبَسٌ مِنْ نَارٍ ، وَأُتُونُ مُسْتَعْرَةً
بِاللُّظِي ، وَتُنُورُ مَسْجُورٌ ، مُوقِدُ إِنَّ أَمْوَالَ النَّاسِ الَّتِي تُؤْكَلُ بِالْبَاطِلِ ،
جَذْوَةٌ مِنْ لَهَيْبٍ ، وَشُعْلَةٌ مُتَوَهِّجَةٌ ، إِنَّ أَمْوَالَ النَّاسِ الَّتِي تُؤْكَلُ بِالْبَاطِلِ
آفَةٌ مُهْلِكَةٌ ، تَأْكُلُ الْأَخْضَرَ وَالْيَاسِرَ وَتَأْتِي عَلَى الْغَضِّ وَالْهَشِيمِ ، هَذَا إِذَا
فَنِيَتْ وَزَالَتْ ، وَأَمَّا إِذَا بَقِيَتْ وَدَامَتْ ، وَرَبَّتْ وَنَمَتْ ، وَزَادَتْ وَكَثُرَتْ ،

وَسَبَّ عَلَيْهَا جِسْمُهُ ، وَنَمَا عَلَيْهَا عَظْمُهُ وَلَحْمُهُ ، فَالْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لِأَكْلِ الْحَرَامِ ، التَّفْتِيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ يَمِينًا وَشِمَالًا تَرَوْنَ أَنَّ أَمْوَالَ النَّاسِ الَّتِي أَكَلْتُمْ حَرَامًا مَا أَغْنَتْ آكِلِيهَا ، وَمَا أَجَدْتُمْ عَلَى غَاصِبِيهَا وَنَاهِبِيهَا ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْتُمْ عَلَى بُيُوتِهِمْ فَخَرَّبْتُمَا ، وَدَكَّتُمْ صُرُوحَ عِزِّهِمْ وَمَجْدِهِمْ فَهَدَمْتُمَا ، فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَاذَا يَكُونُ . الْجَوَابُ ، إِذَا وَقَفُوا غَدًا بَيْنَ يَدَيِ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ ، بِأَيِّ وَجْهِ أَخَذُوهَا ، وَعَلَى أَيِّ دِينٍ اسْتَبَاحُوهَا ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَنْطِقُونَ إِذَا شَهِدْتُمْ عَلَيْهِمُ الْجَوَارِيحُ وَوَجَّهْتُمُ الْأَعْضَاءُ بِالْحَقَائِقِ ، فَقَالَ اللَّسَانُ : بِي نِطَقُ كَذِبًا وَبُهْتَانًا ، وَقَالَتِ الْيَدَانِ : بِي أَخَذْنَا الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ وَقَالَتِ الرَّجُلَانِ : بِي سَعَى الْأَيْثِمُ إِلَى دَارِ الْقَضَاءِ يَطْلُبُ الْأَنْصَافَ ، كَأَنَّهُ مَغْبُورٌ وَمَظْلُومٌ ، وَقَالَتِ الرَّجُلَانِ : أَيْضًا بِي مَشَى إِلَى الزُّنَا أَوْ اللَّوَاطِ ، أَوْ السَّرِقَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْجَرَائِمِ .

آكِلُ الْحَرَامِ فَتَشْ حَوَالِيكَ ، تَجِدُ الْحَرَامَ لَا يَنْفَعُ ، قَلْبُ النَّظَرِ مَلِيًّا تَرَى الْمُبْطِلَ لَا يَتَقَدَّمُ ، تَأَمَّلْ قَلِيلًا ، وَفَكَّرْ فِي الْعَاقِبَةِ ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ تَزُولُ ، ارْجِعْ النَّظَرَ كَرَاتٍ وَرَدِّدِ الْبَصَرَ مَرَّاتٍ ، تُجَبِّكُ الْحَوَادِثُ بِلَهْجَةِ الْخَبِيرِ ، بَأَنَّ الْعُمَرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ ، وَإِنَّ الْحِسَابَ عَسِيرٌ وَشَدِيدٌ ، وَأَنَّ الْمَوْقِفَ رَهَيْبٌ وَشَاقٌ ، وَأَنَّ الْمَصِيرَ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

إِيَّهَا النَّاسُ أَيُّقِنُوا بِأَنَّ الْأَحْكَامَ الَّتِي تُؤْخَذُ فِي الدُّنْيَا بِالسَّفْسَفَةِ وَالتَّدْلِيسِ لَا تَرْفَعُ الْأَيْثِمَ ، وَلَا تَرُدُّ الْعِقَابَ ، لِأَنَّ الْحُكُومَةَ سَتَعَادُ ، وَالشُّهُودَ عَيَانٌ ، وَالْقَضَاءُ بِالْقِسْطِ ، وَالْقَاضِي الْحَكْمُ الْعَدْلُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ . وَقَالَ « وَفُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْحَاجِيَّاتِ الَّتِي تُؤْخَذُ خِلْسَةً وَتُخْتَطَفُ فِي غَفْوَةٍ ،
أَوْ تُؤْخَذُ رَغْمًا وَكُرْهًا فِي صَحْوٍ وَيَنْظَظَةٍ ، بَاقِيَةٌ لِأَصْحَابِهَا سَتَقْضُونَهَا مِنْ
حَسَنَاتِكُمْ ، وَتُؤَدُّونَهَا مِنْ مَبْرَاتِكُمْ ، إِنْ كَانَتْ لَكُمْ حَسَنَاتٌ وَمَبْرَاتٌ ، فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ أُخِذَ مِنْ خَطَايَا أَصْحَابِهَا فَطُرِحَتْ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ تُلْقَوْنَ بِهَا فِي
النَّارِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَتَحَرَّوْا الْكَسْبَ الطَّيِّبَ ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَادِرْهُمْ لَهُ وَلَا
مَتَاعٌ ، فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ
وَرِزْقَةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ
هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ
قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي
النَّارِ » .

شعرا : خَفِيَ اللَّهُ وَانظُرْ فِي صَحِيفَتِكَ الَّتِي
حَوَتْ كُلَّمَا قَدَّمْتَهُ مِنْ فِعَالِكَ
فَقَدْ خَطَّ فِيهَا الْكَاتِبَانِ فَاكْثَرَا
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَقُولَا فَذَالِكَ
وَوَاللَّهِ مَا تَذْرِي إِذَا مَا لَقَيْتَهَا
أَتَوَضَّعُ فِي يَمْنَاكَ أَوْ فِي شِمَالِكَ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَبْقَى مُخَلِّدًا
فَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ فَابْكِ هَالِكَا
آخر : إِذَا انْقَطَعَتْ أَعْمَالُ عَبْدٍ عَنِ الْوَرَى
تَعَلَّقَ بِالرَّبِّ الْكَرِيمِ رَجَاؤُهُ

فَأَصْبَحَ حُرّاً عِزَّةً وَقِنَاعَةً
 عَلَى وَجْهِهِ أَنْوَارُهُ وَضِيَاؤُهُ
 وَإِنْ عَلِقَتْ بِالخَلْقِ أَطْمَاعُ نَفْسِهِ
 تَبَاعَدَ مَا يَرْجُو وَطَالَ عَنَاؤُهُ
 فَلَا تَرَجُّ إِلَّا اللَّهَ لِلْخُطْبِ وَحْدَهُ
 وَلَوْ صَحَّ فِي خِلِّ الصَّفَاءِ صَفَاؤُهُ

اللهم اجعل قلوبنا مملوءة بحبك وألستنا رطبة بذكرك ونفوسنا
 مطيعة لأمرك وأمننا من سطوتك ومكرك ، اللهم إنا نسألك العافية في ديننا
 ودنيانا وأخرانا وأهلنا وما لنا اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا واحفظنا من
 بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك
 أن نغتال من تحتنا واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
 الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل في حكم التأمين »

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبهُ ويرضاه وجنبنا
 وإياك وجميع المسلمين ما يكرهه ولا يرضاه أن مما حدث في هذا
 الزمان ، وانتشر في الأرض انتشار الوباء الفتاك ، ما يسمى بالتأمين على
 الحياة وعلى الأموال ، وهو عقد بين طرفين ، أحدهما مؤمن ، والآخر
 مؤمن ، يلتزم فيه المؤمن ، أن يؤدي إلى المؤمن مبلغاً من المال ، أو
 شيئاً مرتباً ، عندما يحصل ضرر أو حادث ، وذلك في مقابل قسط ، أو أية
 دفعة مالية أخرى ، يؤديها المؤمن إلى المؤمن .

وفي الغالب أن الذي يقوم بالتأمين شركات مساهمة كبيرة مهمتها

التي من أجلها أنشئت : التأمين على الحياة . فيما زعموا ، وعلى الأموال أي ضمانها ، ودفع ثمنها إذا تلفت ، فانكب الناس عليها انكباباً عظيماً ، ولم يفكروا ولم يفحصوا ، ولم يسألوا عن حلها وحزمتها وضررها ، عاجلاً وأجلاً .

فأما التأمين على الحياة فطريقتهم فيها أنه إذا أراد الإنسان أن يؤمن على حياته ، فعليه أن يذهب إلى مركز شركة التأمين ويفهمها أنه يريد أن يدفع من الأموال كذا ، لتضمن له حياته . كذا من السنين ، واذن هي تحضر حكماءها البارعين فيما زعمت ، ويبحثون جسمه بحثاً دقيقاً ، ثم يعطون الشركة رأيهم في مبلغ صحته عندهم ، وفي سنه التي هو فيها إذ ذاك ، فإذا أحاط رجال الشركة العاملون بمقداره ، أصدرُوا أمرهم بضمَان حياته عشر سنين أو عشرين ، أو ثلاثين أو أربعين أو خمسين ، وليس كل شخص ، بل المراد عندهم الصحيح ، أما المريض أو من يتعاطى الأشياء التي تجلب الأمراض ، فيقدر له على قدر حاله فيما يرون ، فإذا انتهى تسلموا أول قسط من الأقساط التي اتفقوا عليها مع المتعاقد .

وهذه الأقساط مع المدة المعلومة تكون مكتوبة في وثيقة يمضي عليها ممثل الشركة والمتعاقد ، ويبد كل منهما نسخة منها ، تكون سنداً له على الآخر عند اللزوم ، وتلتزم الشركة في هذه الوثيقة ، إن المتعاقد معها لومات في اليوم الذي حصل فيه العقد ، تدفع لورثته من بعده ، أو لمن يعينه في الوثيقة - وإن كان لا يقرب له ، ولا له به صلة ، ولو أنه خادم عنده ، أو عند غيره - تدفع مبلغاً ، يوازن أو يزيد عن المبلغ الذي ذكر المتعاقد أنه يدفعه للشركة ، في المدة المتفق عليها ، لكن يشترط

هؤلاء الوضيعون أن يكون الموت عادياً ، ليس بجناية من الورثة ولهذا :
 الشركة لا تدفع المبلغ بمجرد أن يقال لها إنه مات ، بل لها أبحاث
 ومناقشات تطول وتدق ، يكتشفون بها كيف مات ، ربّما ينشأ عن هذه
 الفحوص سب الميِّت ولعنه وأعماله وما أرث وإن قيل لهم ، أو ظنوا أن
 الموت يراد به الوصول إلى المبلغ المعلوم ، فانظر كيف يعملون .
 عافانا الله وإياك من أعمالهم .

وعند هؤلاء الوضيعين فيما ذكر أنه لو دفع بعض الأقساط ثم عجز
 عن الباقي ذهب عليه كل الذي دفعه ، وفيه شروط أخرى ، منها كون
 الشركة تشتري على نفسها أن تدفع ربحاً خمسة في المائة في حالة
 استمرار عقد التأمين ، وهذا عقد باطل بلا شك .

ومن ذلك أنها تسليم دراهم مقسطة في دراهم أكثر منها مؤجلة ،
 قد يتحصّل عليها ، وقد تفوت عليه في حالة عجزه عن بعض الأقساط ،
 فحقيقتها شراء دينين بدین وهو ممنوع ، وشراء دراهم بدراهم أكثر منها
 وهو ممنوع .

ومن جهة فهي تشبه بيع الأبى الذي لا يصح بيعه ، في حالة جهالة
 الحصول على العوض المشروط ، وقد يفوت عليه مع رأس ماله ، ومع
 ما فيه من الربا .

وبهذا يتبين أن مسألة التأمين على الحياة ، هي من المعاملات
 الفاسدة ، ولمشابهتها لعقد الميسر حقيقة ومعنى ، قال تعالى ﴿ إنما
 الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه
 لعلكم تفلحون ﴾ .

اللَّهُمَّ اجْمَعْ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَحَبَّتِكَ وَطَاعَتِكَ ، وَأَزِلْ عَنْهُمْ مَا حَدَّثَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل: وَأَمَّا التَّامِينُ عَلَى الْأَمْوَالِ ، فَأَنَا أَوْضَحُ لَكَ خَطَرَهُ وَضَرَرَهُ ، وَأُمِثْلُ لَهُ ، وَأَذْكَرُ مَا تَيْسَّرَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ دَفَعَ انْسَانٌ إِلَى شَرِكَةِ التَّامِينِ مَثَلًا عَشْرَةَ آلَافِ رِيَالٍ ، لِتَامِينٍ بِضَاعَتِهِ الَّتِي قِيمَتُهَا نِصْفُ مَلْيُونٍ ، أَوْ لِتَامِينٍ مَكْتَبَتِهِ أَوْ مَطْبَعَتِهِ الَّتِي تُسَاوِي نِصْفَ مَلْيُونٍ مَثَلًا ، ثُمَّ تَلَفَتْ ، فَالزَّائِدَةُ عَلَى مَا دَفَعَهُ لِلشَّرِكَةِ عَلَى أَيِّ وَجْهِ تَحَلُّ لَهَا ، أَلَيْسَ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ بَعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمْرًا فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا ، بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقِّ ؟ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَإِذَا سَلِمَتِ الْبِضَاعَةُ الْمُؤَمَّنَةُ ، أَوْ الْمَطْبَعَةُ أَوْ الْمَكْتَبَةُ أَوْ الْبَيْتُ ، فَبَأْيِّ وَجْهِ يَحِلُّ لِلشَّرِكَةِ أَكْلُ مَا دَفَعَهُ لَهَا مُقَسَّطًا أَوْ دُفْعَةً وَاحِدَةً ، لَا هِبَةً وَلَا مِيرَاثًا وَلَا وَقْفًا ، أَلَيْسَ بِدُونَ مُقَابِلٍ ، أَلَيْسَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ ، وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ مَعَ الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ « بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقِّ » أَلَيْسَ هَذَا الْعَمَلُ فِيهِ مِنَ الْغَرَرِ وَالْجَهَالَةِ مَا لَا يَخْفَى .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْغَرَرِ ، مِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْمُنَابَذَةِ ، وَهِيَ طَرْحُ الرَّجُلِ ثَوْبَهُ بِالْبَيْعِ إِلَى الرَّجُلِ ، قَبْلَ أَنْ يُقْلِبَهُ أَوْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ .

وَنَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَلَامَسَةِ ، وَهِيَ لَمَسُ الرَّجُلِ الثَّوْبَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَنَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ بَيْعِ الْحَصَاةِ ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ .

شعرا: لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ حَتَّى يَكُونَ عَنِ الحَرَامِ عَفِيفًا
فَإِذَا تَوَرَّعَ عَنِ مَحَارِمِ رَبِّهِ فَهُنَاكَ يُدَى فِي الأَنَامِ ظَرْيْفًا
وَقَالَ « لَا تَشْتَرُوا السَّمَكَ فِي المَاءِ فَإِنَّهُ غَرَرٌ » وَنَهَى عَنِ بَيْعِ حَبْلِ
الْحَبْلَةِ .

وَنَهَى عَنِ ضَرْبَةِ الفَائِضِ ، وَهُوَ مَا سَيُخْرِجُهُ الغَائِضُ ، وَنَهَى عَنِ
شِرَاءِ الصَّدَقَاتِ حَتَّى تُقْبَضَ ، وَنَهَى عَنِ بَيْعِ المَغَانِمِ حَتَّى تُقَسَمَ ، وَنَهَى
عَنِ بَيْعِ المَضَامِينِ ، وَهُوَ مَا يَنْتُجُ مِنْ أَصْلَابِ فُحُولِ الأَبْلِ الأَصْلِيَّةِ مِنْ
بِتَاجٍ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الغَرَرِ وَالجَهَالَةِ .

وَقَالَ العُلَمَاءُ . وَلَا يَجُوزُ بَيْعُ الأَبِقِ وَالشَّارِدِ ، وَلَا الطَّيْرِ فِي الهَوَاءِ
لأنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ الحُصُولِ وَعَدَمِهِ ، وَكُلُّ هَذِهِ النُّوَاحِي تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ
التَّامِينِ ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى دَاخِلٌ فِي القَرْضِ الَّذِي يَجْرُ نَفْعًا وَمِنْ
نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَهُوَ قِمَارٌ ، لِأَنَّ المُتَقَامِرِينَ الأَصْلِيِّينَ حِينَ المُقَامَرَةِ لَا يَدْرِي
كُلٌّ مِنْهُمَا لِمَنْ تَكُونُ الغَلْبَةُ ، حَتَّى يَكُونَ المَالُ الَّذِي اتَّفَقَا أَنْ يَدْفَعَهُ
المَقْمُورُ وَهَكَذَا الحَالُ هُنَا وَمَا يُرَى مِنْ أَخْذِ الشَّرِكَةِ مَالِ المُتَعَاقِدِ أَوَّلًا لَا
عِبْرَةَ بِهِ ، فَقَدْ يَنْقَلِبُ الأَمْرُ ، وَتَكُونُ هِيَ الدَّافِعَةُ ، وَكَمَا أَنَّ المُقَامِرَ يَعْتَمِدُ
كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى حِظِّهِ ، وَيَنْتَظِرُ مَا يَنْكَشِفُ مِمَّا غُيِبَ لَهُ أَوْ لِصَاحِبِهِ ،
فَكَذَلِكَ الأَمْرُ هُنَا ، لَا مُرْجَحَ لِأَحَدِهِمَا عَلَى الأُخْرَى فِي الأَخْذِ أَوْ الدَّفْعِ ،
وَمَا تَرَاهُ مِنَ الرُّجْحَانِ فِي جَانِبِ الشَّرِكَةِ ، قَدْ يَنْقَلِبُ مَرْجُوحًا .

وَكَمَا أَنَّ المُشْتَغِلِينَ بِاللَّعِبِ بِالقِمَارِ ، لَمْ يَعْمَلْ أَحَدُهُمَا عَمَلًا يُفِيدُ
صَاحِبَهُ ، أَيْ فَائِدَةً يَسْتَحِقُّ بِهَا المَبْلَغَ الَّذِي يَأْخُذُهُ مِنْهُ لَوْ غَلَبَهُ ، فَالأَمْرُ
فِي هَذِهِ الشَّرِكَاتِ ، وَمَنْ يَتَعَاقَدُ مَعَهَا كَذَلِكَ ، وَكَمَا أَنَّ الدَّفْعَ فِي القِمَارِ
يَكُونُ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ الجَانِبُ المَغْلُوبُ فَالأَمْرُ هُنَا كَذَلِكَ .

وَكَمَا أَنَّ الْمُشْتَعِلِينَ بِلَعِبِ الْقِمَارِ ، لَمْ يَعْمَلْ أَحَدُهُمَا عَمَلًا يُفِيدُ مِنْهُمَا ، وَبِنَاءِ عَلَيْهِ يَدْفَعُ الْمَالُ الْمَشْرُوطَ ، فَكَذَلِكَ هُنَا ، تَقُولُ الشَّرِكَةُ لَهُ إِنَّ احْتَرَقَ الْبَيْتُ ، أَوْ الْمُسْتَوْدَعُ ، أَوْ الْمَكْتَبَةُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، أَخَذَتْ مِنِّي قِيَمَتَهُ بِالْغَا مَا بَلَغَ ، وَإِنْ لَمْ يَحْتَرِقْ ، اسْتَمِرُّ أَنَا أَخَذَهَا مَا نَدَفَعُهُ لِي ، إِنْ كَانَ مُقْسَطًا ، فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ الضَّمَانِ .

وَكَمَا أَنَّ الْمُتَقَامِرِينَ يَكُونُ كُلُّ مِنْهُمَا فِي وَجَلٍ ، مِنْ ظُهُورِ الْغَلْبَةِ فِي جَانِبِ صَاحِبِهِ ، وَيُسَرُّ كُلُّ السَّرُورِ وَإِذَا ظَهَرَتْ نَتِيجَةُ اللَّعِبِ فِي نَاحِيَّتِهِ ، كَذَلِكَ الْحَالُ هُنَا ، فَالشَّرِكَةُ مَا دَامَ هَذَا الْمَغْرُورُ - الَّذِي هُوَ صَاحِبُهَا - يَدْفَعُ ، وَفِي جَانِبِهَا الْأَطْمِثَانُ عَلَى الْمَنْزِلِ فِي سُرُورٍ ، إِلَّا أَنَّهَا مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى ، مَمْلُوءَةٌ رُعبًا وَخَوْفًا ، مِنْ أَنْ يَطْرَأَ الطَّارِئُ الْمَخُوفُ ، الَّذِي بِهِ تُصْبِحُ مُكَلَّفَةٌ بِدَفْعِ الضَّمَانِ وَالْمُتَعَاقِدِ دَائِمًا فِي أَلَمٍ وَهَمٍّ ، مِنْ دَفْعِهِ مَا هُوَ مُكَلَّفُ نَفْسَهُ بِهِ ، لِأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فِي مَظْهَرِ الْمَغْلُوبِ ، لَكِنْ لَوْ حَدَثَ بِالْمَنْزِلِ حَرِيقٌ يُفْرِغُهُ لَوْ حَصَلَ وَلَا ضَمَانًا - تَرَاهُ فِي مُتَهَيِّئَةِ الْفَرَحِ وَالسَّرُورِ ، لِأَنَّهُ فِي الْأَطْمِثَانِ عَلَى قِيَمَةِ الْمَنْزِلِ ، كَأَنَّهَا فِي جَانِبِهِ ، وَعَلَى كُلِّ فَإِنَّ غَلِبَتِ الشَّرِكَةُ فَهِيَ تَغْلِبُ مَرَاتٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ،

وَإيضًا فَالشَّرِكَةُ غَالِبًا تُعَامِلُ بِالرِّبَا ، لِأَنَّهَا تُعْطِي الْأَمْوَالَ بِفَوَائِدِ ، فَالْمَالُ بِاخْتِلَاطِهِ بِالْأَمْوَالِ الرَّبَوِيَّةِ ، وَيَاسْتَعْمَالِهِ فِي الرِّبَا ، أَصْبَحَ خَبِيثًا مَلُوثًا ، ثُمَّ يَرُدُّ مَبْلَغٍ مِنَ الرِّبَا ، مَعَ الْمَبْلَغِ الْأَصْلِيِّ ، يَزِيدُ خُبِيثًا عَلَى خُبِيثِهِ ، فَيَكُونُ الدَّفَاعُ لِلشَّرِكَةِ - الَّذِي هُوَ الْمُؤَمَّنُ - قَدْ أَعَانَ عَلَى فُشُو الرِّبَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ وَيَقُولُ جَل وَعَلَا وَتَقْدَسُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

شعرا: زِيَادَةُ الْمَالِ مِنْ رِبْحِ الْبُنُوكِ وَمَا ضَاهَى الْبُنُوكِ مِنَ الْأَرْبَاجِ حُسْرَانُ فَاحْذَرْ مَكَاسِبَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا وَرِعٍ فِيهِ الْحَلَالِ لِأَهْلِ الدِّينِ غُنْيَانُ

آخر :

فإيَّاكَ إِيَّاكَ الرَّبَّاءَ فَلَدِرْهُمْ أَشَدُّ عِقَابًا مِنْ زِنَاكَ بِنَهْدِ
وَتَمَحُّقُ أَمْوَالَ الرَّبَّاءِ وَإِنْ نَمَتْ وَيَرْتَوُّ قَلِيلَ الْمَالِ فِي صِدْقِ مَوْعِدِ
آخر: وَقَائِلَةٌ مَا لِي أَرَاكَ مُجَانِبًا أُمُورًا وَفِيهَا لِلتَّجَارَةِ مَرْحُ
فَقُلْتُ لَهَا كُفَيْ مَلَامِكَ وَاسْمِعِي فَفَحْنُ أَنَا بِالسَّلَامَةِ نَفْرَحُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ حَبَّتَكَ فِي قَلْبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذَكَرِكَ وَارْزُقْنَا التَّاهِبَ
وَالاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

وأما التأمينُ على السَّيَّارَاتِ وَحَوَادِثِهَا ، فَهُوَ أَعْظَمُ خَطَرًا ، وَأَكْثَرُ
جَهَالَةً مِنْ مَا مَثَّلْنَا فِيهِ (أولاً) لِأَنَّ السَّيَّارَةَ كَمَا يَأْتِي يَفُوتُ فِيهَا نَفُوسٌ
وَأَمْوَالٌ لَا تَقَعُ فِي الْحِسَابِ ، وَصِفَةُ التَّأْمِينِ لَهَا : هُوَ أَنْ يَتَّفِقَ الشَّخْصُ
الَّذِي يُرِيدُ التَّأْمِينَ لَهَا مَعَ شَرِكَةِ التَّأْمِينِ ، سَوَاءَ كَانَ كَامِلًا أَوْ ضِدًّا الْغَيْرِ أَوْ
الْغِيَارِ ، فَيَدْفَعُ قَدْرًا مَعْلُومًا مِنَ الْمَالِ ، عَلَى تَأْمِينِهَا مُدَّةً مَعْلُومَةً ،
بِشُرُوطٍ وَالتَّزَامَاتِ مَعْلُومَةٍ عِنْدَ الْجَمِيعِ ، وَمَهْمَا حَصَلَ عَلَى هَذِهِ السَّيَّارَةِ
الْمُؤَمَّنَةِ مِنْ إَصَابَاتٍ أَوْ أَصَابَتْ غَيْرَهَا ، وَعَرِمَ صَاحِبُهَا أَمْوَالًا بِسَبَبِ مَا
أُتْلِفَتْ ، مِنْ نَفُوسٍ وَأَمْوَالٍ ، أَوْ تَلَفَ بِهَا فِي خِلَالِ هَذِهِ الْمُدَّةِ الْمُتَعَاقِدِ
عَلَيْهَا ، فَإِنَّ شَرِكَةَ التَّأْمِينِ مُلْزَمَةٌ بِضَمَانِهِ ، بِالْغَا فِيهَا مَا بَلَغَ فَمَثَلًا لَوْ أَمِنَ
سَيَّارَتَهُ الْكَبِيرَةَ بِخَمْسَةِ آلَافٍ ، وَتَلَفَ فِيهَا مِائَةَ نَفْسٍ ، وَاحْتَرَقَتْ هِيَ ،
وَبِهَا نَقُودٌ كَثِيرَةٌ احْتَرَقَتْ مَعَهَا ، فَالشَّرِكَةُ مُلْزَمَةٌ بِضَمَانِ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَالزَّائِدُ
عَلَى خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ دِيَارٍ وَأَمْوَالٍ مَا الْمُسَوِّغُ لِصَاحِبِهَا أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ
الشَّرِكَةِ ؟ أَلَيْسَ بِدُونِ مُقَابِلٍ ؟ وَقَدْ مَرَّتْ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ، وَالْأَحَادِيثُ

الشريفة في الفصل الذي قبل هذا فنكتفي بذلك عن التكرار والإطالة
 وبالتالي فلولم يحصل من أضرار التأمين إلا أن أكثر المؤمنين لسياراتهم أدى
 بهم ذلك إلى أن تهوروا في السرعة في السياقة للسيارة لعلهم أن الشركة
 ستقوم بدفع ما نتج عن ذلك وقد اقتدى بهم غيرهم في السرعة فحصل بذلك
 أضراراً عظيمة لا يعلم مداها إلا الله جلّ وعلا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي
 العظيم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة

أيها الإخوان لقد ذهب أكثر عامكم وفات ، وتقصت أيامه ولياليه
 وأنتم منهمكون في اللذات ، فما أسرع ما تضرمت منه الأوقات ، وما أكثر
 ما خطبكم لسان حاله بزواج العظات ، وما أطول ما نادى بكم منادي
 الشتات .

أبني أينما نحن أهل منازل

أبدأ غراب البين فيها ينعق

آخر :

يساق بني الدنيا إلى الحنف عنوة ولا يشعر الباقي بحالة من يمضي
 كأنهم الأنعام في جهل بعضها بما تم من سفك الدماء على بعض
 فطوبى لمن تدارك الهفوات ، وبشرى لمن لآزم تقوى الله ، وعمل
 بالباقيات الصالحات ، وهينئاً لمن أذهب السيئات بالحسنات ، وبأخية
 من شغلته الملاهي والمنكرات ، عن طاعة رفيع الدرجات ، وما أعظم
 خسارة من باع نفيس آخرته بخسيس دنياه ، وحسرة له يوم ﴿ تقول نفس
 يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ﴾ وتعسا وجدعاً له ﴿ يوم ينظر
 المرء ما قدمت يده ﴾ :

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب متى حط عن نعشه ذلك يركب

نَٰشِهُدُ ذَا عَيْنِ الْيَقِينِ حَقِيقَةً
 عَلَيْهِ مَضَى طِفْلٌ وَكَهْلٌ وَأَشِيبٌ
 وَلَكِنْ عَلا الرِّانُ الْقُلُوبَ كَأَنَّا
 بِمَا قَدْ عَلِمْنَاهُ يَقِينًا نُكَذِّبُ
 نُؤْمِلُ آمَالًا وَنَرْجُو نِتَاجَهَا
 وَعَلَّ الرَّدَى مِمَّا نُرْجِيهِ أَقْرَبُ
 وَنَبِي الْقُصُورِ الْمُشْمَخِرَاتِ فِي الْهَوَى
 وَفِي عَلِمْنَا أَنَا نَمُوتُ وَتَخْرُبُ
 وَنَسْعَى لِجَمْعِ الْمَالِ جِلًّا وَمَأْتَمًّا
 وَبِالرُّغْمِ يَحْوِيهِ الْبَعِيدُ وَأَقْرَبُ
 نَحَاسَبُ عَنْهُ دَاخِلًا ثُمَّ خَارِجًا
 وَفِيمَا صَرَفْنَاهُ وَمِنْ أَيْنَ يُكْسَبُ
 وَيُسْعَدُ فِيهِ وَارِثٌ مُتَعَفِفٌ
 تَقِيٌّ وَيَشْقَى فِيهِ آخِرٌ يَلْعَبُ
 وَأَوَّلُ مَا تَبَدُّو نَدَامَةً مُجْرِمٍ
 إِذَا اشْتَدَّ فِيهِ الْكَرْبُ وَالرُّوْحُ تُجَذَّبُ
 وَيُسْفِقُ مِنْ وَضْعِ الْكِتَابِ وَيَمْتَنِي
 لَوْ أَنَّ رُدَّ لِلدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ مَطْلَبُ
 وَيَشْهَدُ مِنَّا كُلُّ عَضْوٍ بِفِعْلِهِ
 وَلَيْسَ عَلَى الْجِبَارِ يَخْفَى الْمُغَيَّبُ
 إِذَا قِيلَ أَنْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ فَمَا الَّذِي
 عَمِلْتُمْ وَكُلُّ فِي الْكِتَابِ مُرْتَبُ

وَمَاذَا كَسَبْتُمْ فِي شَبَابٍ وَصِحَّةٍ
 وَفِي عُمْرِ أَنْفُسِكُمْ فِيهِ تُحْسَبُ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا نَقُولُ وَمَا الَّذِي
 نُجِيبُ بِهِ وَالْأَمْرُ إِذْ ذَاكَ أَضْعَبُ
 إِلَى اللَّهِ نَشْكُو قَسْوَةَ فِي قُلُوبِنَا
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَعَظُ الْمَوْتِ يَنْدُبُ
 وَلِلَّهِ كَمَ غَادٍ حَبِيبٍ وَرَائِحٍ
 نُشِيعُهُ لِلْقَبْرِ وَالِدَّمْعُ يَسْكُبُ
 أَخٌ أَوْ حَمِيمٌ أَوْ تَقِيٌّ مُهَذَّبٌ
 يُوَاصِلُ فِي نُصْحِ الْعِبَادِ وَيَدَابُ
 نُهَيْلٌ عَلَيْهِ التُّرْبُ حَتَّى كَانَهُ
 عَدُوٌّ وَفِي الْأَحْشَاءِ نَارٌ تَلْهَبُ
 وَمَا الْحَالُ إِلَّا مِثْلُ مَا قَالَ مَنْ مَضَى
 وَبِالْجُمْلَةِ الْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ تُضْرَبُ
 لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فِرْقَةٌ
 وَلَوْ بَيْنَهُمْ قَدْ طَابَ عَيْشٌ وَمَشْرَبُ
 وَمِنْ بَعْدِ ذَا حَشْرٍ وَنَشْرٍ وَمَوْقِفُ
 وَيَوْمٌ بِهِ يُكْسَى الْمَذَلَّةُ مُذْنِبُ
 إِذَا فَرَّ كُلٌّ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
 كَذَا الْأُمُّ لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهِ وَلَا الْأَبُ
 وَكَمْ ظَالِمٍ يَدْمِي مِنَ الْعَضِّ كَفُهُ
 مَقَالَتُهُ يَا وَيْلَتِي أَيَّنَ أَذْهَبُ

إِذَا افْتَسَمُوا أَعْمَالَهُ غُرْمَاؤُهُ
 وَقِيلَ لَهُ هَذَا بِمَا كُنْتَ تَكْسِبُ
 وَصُكَّ لَهُ صَكٌّ إِلَى النَّارِ بَعْدَ مَا
 يُحْمَلُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ وَيُعَذَّبُ
 وَكَمْ قَائِلٍ وَاحْسَرَتَا لَيْتَ أَنَّنَا
 نُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا نُنِيبُ وَنَرْهَبُ
 فَحُشُوا مَطَايَا الْأَرْتِحَالِ وَشَمِّرُوا
 إِلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الَّتِي لَيْسَ تَخْرُبُ
 فَمَا أَقْرَبَ الْآتِي وَأَبْعَدَ مَنْ مَضَى
 وَهَذَا غُرَابُ الْبَيْنِ بِالْدَارِ يَنْعَبُ
 وَصَلِ إِلَهِي مَا هَمَا الْوَدُوقُ أَوْ شَدَا
 عَلَى الْأَيْكَ سَجَاعُ الْحَمَامِ الْمُطْرَبُ
 عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ وَالْآلِ كُلِّهِمْ
 وَأَصْحَابِهِ مَا لَاحَ فِي الْأَفْقِ كَوَكَبُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّي إِيمَانَنَا بِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَشْرَحْ صُدُورَنَا وَاجْعَلْنَا
 هُدَاةً مَهْتَدِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل في التحذير من الغش »

إَعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا
 يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ ، وَالتَّحْذِيرُ عَنْهُ وَإِنْكَارُهُ ، الْغِشُّ وَالْخِدَاعُ فِي الْمَعَامَلَاتِ ،

فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُحْرَمُ ذَلِكَ بِكُلِّ صُورَةٍ ، فِي بَيْعٍ وَشِرَاءٍ وَفِي سَائِرِ أَنْوَاعِ
 الْمُعَامَلَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَالْمُسْلِمُ مُطَالِبٌ بِالتَّزَامِ الصَّدَقِ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْهُ ،
 وَالنَّصِيحَةُ فِي الدِّينِ أَغْلَى مِنْ كُلِّ كَسْبٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « البَّيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ،
 فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورُكٌ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكُنَّا مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ
 بَيْعِهِمَا » وَمَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا ، فَأَعْجَبَهُ ظَاهِرُهُ ،
 فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ ، فَرَأَى بَلَلًا فَقَالَ « مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ » قَالَ :
 « أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (أي المطر) فقال صلى الله عليه وسلم
 « فَهَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

وفي رواية أنه مرَّ بطعامٍ وَقَدْ حَسَنَهُ صَاحِبُهُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهِ ، فَإِذَا
 طَعَامٌ رَدِيءٌ ، فَقَالَ « بَعْ هَذَا عَلَى جِدَّةٍ ، وَهَذَا عَلَى جِدَّةٍ مِنْ غَشَّنَا
 فَلَيْسَ مِنَّا » .

فَانظُرْ بِمَاذَا حَكَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ غَشَّ فِي الطَّعَامِ ،
 وَالطَّعَامُ مَادَةٌ يَنْقُضِي أَثَرَهَا بِسُرْعَةٍ ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ،
 فَالْإِيمَانُ الصَّحِيحُ الْكَامِلُ يَنْقُضِي الصَّدَقَ وَالْإِخْلَاصَ ، وَالتَّقْوَى وَالنَّصْحَ ،
 وَأَنْ يُحِبَّ لِإِخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

فَإِذَا سَأَلْتَ إِنْسَانَ مُؤْمِنًا عَنِ حَالِ رَجُلٍ وَأَخْلَاقِهِ ، وَأَمَانَتِهِ وَدِينِهِ ،
 فَأَجِبْتَهُ بِغَيْرِ مَا تَعْرِفُ وَتَعْلَمُ ، كَانَ كَانَ فَاسِيقًا فَقُلْتَ : إِنَّهُ صَالِحٌ ، أَوْ كَانَ
 صَالِحًا فَقُلْتَ : إِنَّهُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، فَقَدْ غَشَّشْتَهُ وَفِي الْحَدِيثِ « مَنْ غَشَّنَا
 فَلَيْسَ مِنَّا » وَإِذَا سَأَلْتَ أَخِيكَ الْمُؤْمِنَ عَنِ امْرَأَةٍ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، تَعْرِفُهَا

وَتَعَلَّمَ صِفَاتِهَا ، وَأَخْلَاقَهَا وَأَهْلِهَا ، فَلَمْ تَصْدِقْهُ الْحَقِيقَةَ ، وَلَمْ تَذْكُرْ لَهُ
 الْحَقَّ الَّذِي تَعْرِفُهُ ، فَقُلْتَ لَهُ : إِنَّ شَكْلَهَا جَمِيلٌ ، وَهِيَ قَبِيحَةٌ ذَمِيمَةٌ ،
 أَوْ قُلْتَ لَهُ : ذَمِيمَةٌ ، وَهِيَ جَمِيلَةٌ ، أَوْ اجْتَبْتَهُ أَنْ أَخْلَاقَهَا وَسِيرَتَهَا غَيْرُ
 حَمِيدَةٍ وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَغَشَشْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْخَائِنِينَ وَإِذَا
 سَأَلْتَ أَخُوكَ عَنِ تَاجِرٍ وَمُعَامَلَتِهِ لِلنَّاسِ ، فَقُلْتَ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَعَمِيتَ عَلَيْهِ
 أَمْرَهُ ، فَمَدَحْتَهُ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ بِذَلِكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الْغِشِّ وَالْكَذِبِ .
 وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْغِشِّ لِلنَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْإِتْيَانُ بِكُفَّارِ
 خَدَّامِينَ أَوْ سَوَاقِينِ أَوْ طَبَّاحِينَ أَوْ خِيَاطِينَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَأْلُونَ جُهْدًا عَنِ السَّعْيِ فِي ضَرْرِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فَيَجِبُ الْبَعْدُ
 عَنْهُمْ مَهْمَا امْكَنَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

شِعْرًا :

حَتَّى مَتَى لَا تَرَى عَدْلًا تُسْرُّ بِهِ وَلَا تَرَى لِدَعَاةِ الْحَقِّ أَعْوَانًا
 مُسْتَمْسِكِينَ بِحَيِّ قَائِلِينَ بِهِ إِذَا تَلَّوْنَ أَهْلَ الشَّرِّ أَلْوَانًا
 يَا لِلرِّجَالِ لِدَاءٍ لَا دَوَاءَ لَهُ وَقَائِدُ الْقَوْمِ أَعْمَى قَادَ عُمَيَّانَا

آخر :

بَذَلْتُ لَهُمْ نُصْحِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْقَدِ

آخر : لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ

مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَتَفَعُّ

وَمَحَلُّ ذَلِكَ كُلِّهِ فِيمَا تَقَدَّمَ إِذَا كَانَ السَّائِلُ لَهُ مَصْلَحَةٌ تَتَعَلَّقُ بِمَنْ يَسْأَلُكَ
 عَنْهُمْ ، فَيَلْزِمُكَ دِيَانَةٌ وَإِنْسَانِيَّةٌ أَنْ تَصْدِقَهُ الْخَيْرَ ، وَأَنْ تَبْذِلَ لَهُ النَّصِيحَةَ ،
 خَالِصَةً لِرُجُوحِهِ اللَّهُ تَعَالَى ، أَمَا إِذَا كَانَ السَّائِلُ مِنَ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ
 أَحْوَالِ النَّاسِ ، وَيَتَّبِعُونَ عَوْرَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ ، لِلتَّشْهِيرِ بِهِمْ ، وَالْقَدْحِ
 فِي أَعْرَاضِهِمْ وَتَنْقِصِهِمْ فَلْيَكُنْ جَوَابَكَ لَهُ عَلَى كُلِّ سُؤَالٍ ، قَوْلَ النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم « من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيه » وقل
له : الأولى بك أن تفتش على نفسك وغيوبها ، وتسعى في صلاحها
واحذر أن تتصف بما قال الشاعرُ

شرُّ الورى من يعيب الناس مُستغلاً
مثل الذباب يُراعي موضع العِللِ
واعمل بما قال الآخرُ

عليك نفسك فتش عن معائبها
وخل من عثرات الناس للناس
وإذا كان الغش - وهو تقديم الباطل في ثوب من الحق - يكون في
الرأي والعمل ، والفتوى والارشاد ، والتوجيه والوظيفة ، فإن غش
الطعام في الإفساد ، أقل بدرجات من الغش في هذه النواحي ، الممتد
أثرها الشامل ضررها ، ولهذا لما كان السلف يفهمون مدى ضرر
الغش ، ويطلبون أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كانوا
يبتون ما في المبيع من عيب ولا يكتمون ، ويصدقون ولا يكذبون ،
وينصحون ولا يغشون ، قال صلى الله عليه وسلم « لا يجل لأمرىء
مسلم يبيع سلعة يعلم بها داء إلا أخبر به » .

وباع ابن سيرين شاة ، فقال للمشتري : أبرأ إليك من عيب فيها ،
إنها تقلب العلف برجلها ، وباع الحسن بن صالح جارية ، فقال
للمشتري : إنها مرة عندنا تنحمت دماً ، ومع هذا يابى ضمير المؤمن إلا
أن يذكر العيب ، وإن نقص الثمن ، وتأكد الحرمة إذا قوى غشه بيمين
كاذبة ، قال صلى الله عليه وسلم « الحلف منفعة للسليمة مَحَقَّةٌ للبركة » .
شعرا : كل واشرب الناس على خيرة فهم يمرؤن ولا يغذبون
ولا تُصدقهم إذا حدثوا فإنني أعهدهم يكذبون
وإن أروك الود عن حاجة ففي حبال لهم يجذبون

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفْنَا بِجَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلِّ: عَبَادَ اللَّهِ قَدْ أَصْبَحَ الْغَيْشُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْبَاعَةِ رُكْنَا وَيُنْذَرُ وَجُودُ بَائِعٍ غَيْرِ غَاشٍ ، فَيَنْبَغِي لِلْأَنْسَانِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي سَادَ فِيهِ الْغَيْشُ وَعَمَّ وَطَمَّ ، وَقَلَّ فِيهِ الرَّدْعُ ، وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِي الْغَشَّاشِينَ ، أَنْ يَتَحَفَّظَ بِكُلِّ مَا يُمَكِّنُ مِنْ تَحْفُظٍ ، وَيَنْتَبِهَ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ لِكَلَامِهِمْ ، وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ سُرِقَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

وَلِهَذَا تَجِدُ رِجَالًا يُقْبَلُونَ عَلَى الْبَاعَةِ ، وَهُمْ قَلِيلُوا الْخَبْرَةَ ، سَرِيعُوا التَّصْدِيقِ لِمَا يُقَالُ لَهُمْ ، فَيَلْعَبُ بِهِمْ هَؤُلَاءِ الْغَشَّاشُونَ وَيَسْتَعْلُونَ سَدَاجَتَهُمْ ، فِي كَسْبِ مُضَاعَفٍ ، أَوْ تَغْطِيَةِ عَيْبٍ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَبُرَتْ خِيَانَتُهُ ، أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ ، وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ » .

وَلَعَلَّكَ فَهِمْتَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْغَيْشَ لَيْسَ مَحْصُورًا فِي السُّوقِ بَلْ يَقَعُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُ فِي السُّوقِ ، لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ وَالتَّبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْعُقُودِ غَالِبًا ، الْمُهْمُ أَنْكَ تَتَحَفَّظُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْغَشَّاشِينَ السُّرَّاقِ ، وَإِنَّمَا قُلْنَا سُرَّاقًا لِأَنَّ السَّرِقَةَ الْأَخْذُ عَلَى وَجْهِ الْأَخْتِفَاءِ ، وَهُوَ مُنْطَبِقٌ عَلَى الْغَشَّاشِ .

تَذَهَبُ إِلَى الْمَأْكُولِ أَوْ الْمَشْرُوبِ ، أَوْ مَا يُجْعَلُ فِي أَحَدِهِمَا ، فَتَجِدُ أَعْلَاهُ نَظِيفًا طَيِّبًا مُنْقَى ، تَشْتَاقُ إِلَى شِرَائِهِ ، وَعِنْدَمَا تَأْخُذُهُ ، وَتُسَلِّمُ الْفُلُوسِ ، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ بِدَقَّةٍ تَجِدُهُ مُخْتَلِفًا عَمَّا نَظَرْتَ إِلَيْهِ أَوْلًا ، بِرَدَاءَةٍ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ إِلَى بَاعَةِ الْمَلَابِسِ ، قَدَّمَ لَكَ الْبَائِعُ ثَوْبًا رَدِيثًا بِاسْمِ أَجْوَدِ الْمَلَابِسِ ، وَيُعَلِّمُكَ بِشَمَنِ زَائِدٍ جَدًّا عَنِ ثَمَنِ الْحَقِيقِيِّ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ

مُتَّبِعًا ، وَصَدَقَتِ الْبَائِعُ كُنْتَ مَسْرُوقًا بِذَلِكَ الْفَرْقِ الْكَبِيرِ ، وَإِنْ نَاقَشْتَهُ الْقَوْلَ ، عَاجَلَكَ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ ، بَأَنَّهُ يَنْتَقِي لَكَ الْجَيْدَ ، لِيَخْدِمَكَ وَلِتَتَعَرَّفَ بِمَحَلِّهِ ، لِيَكُونَ زُبُونًا لَهُ ، حَتَّى رُبَّمَا أَنْكَ لَا تَشُكُّ فِي أَنَّهُ صَادِقٌ مِنْ كَثْرَةِ الْإِيمَانِ الَّتِي لَفَظَهَا قُوَّةً ، وَسَوَدَ بِهَا صَحِيفَتَهُ ، وَإِذَا أُتِيَتْ إِلَى تَاجِرِ الدَّقِيقِ ، حَلَفَ لَكَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْبُرِّ ، وَهُوَ مَجْمُوعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَبُرٍّ مُنْخَسٍ ، قَدْ أَكَلَ الدُّودُ لُبَّهُ ، أَلَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَلُّ وَعَلَا شَاهِدٌ رَقِيبٌ ، وَأَنَّهُ أَعَدَّ لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْغَشَاشِيِّنَ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ ، وَتَاجِرُ الْمَاشِيَةِ تَجِدُ حَوْلَهُ لَفِيفًا مِنَ النَّجَاشِيِّنَ ، الَّذِينَ يَكْتَتِفُونَ الْمَشْتَرِيَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَهَذَا يَزِيدُ كَاذِبًا ، وَذَلِكَ يَحْلِفُ آثِمًا ، إِلَى أَنْ يَقَعَ فِي الشُّرْكِ الْمَسْكِينُ ، إِذَا كَانَ شَارِيًّا ، أَمَا إِذَا كَانَ بَائِعًا زَهُدًا فِيمَا يُرِيدُ بَيْعَهُ ، وَأَحَاطُوا بِهِ وَكُلُّ يُرْدَلُ سِلْعَتُهُ مِنْ جِهَةٍ ، إِلَى أَنْ تَسْقُطَ مِنْ عَيْنِ صَاحِبِهَا ، فَيَبِيعُهَا لَهُمْ بِثَمَنِ بَخْسٍ .

وَإِذَا أُتِيَتْ إِلَى بَائِعِ الْخُضْرِ وَجَدَتْ الْأَعْلَى زَيْنًا وَالْوَسَطَ فَاسِيدًا مُمَرَّضًا لِلْبَدَنِ وَتَدَخَّلَ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ السَّمْنُ وَالزُّبْدُ وَالْعَسَلُ ، فَيَبِيعُكَ بِاسْمِ الْجَيْدِ ، وَإِذَا عَرَضْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْخَبْرَةِ أَهْلِ الصَّنِيفِ قَالُوا لَكَ هَذَا غَيْرُ الَّذِي تُرِيدُ ، أَوْ مَخْلُوطًا مَعَهُ غَيْرُهُ . وَمِثْلُهُ الْقَهْوَةُ الْحَمُوسَةُ يَخْلُطُونَ مَعَهَا غَيْرَهَا وَإِذَا ذَهَبَتْ إِلَى مَبِيعِ السِّيَارَاتِ رَأَيْتَ مَا يُزْعَجُكَ وَيُسْتِثَّ ذَهْنَكَ مِنْ كَثْرَةِ النَّجَاشِيِّنَ وَالْغَشَاشِيِّنَ الْمُعَمِّينَ لِلْعُيُوبِ الَّذِينَ قَدْ مَهَرُوا فِي الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْمَلَقِ وَالنِّفَاقِ .

وَإِذَا أُتِيَتْ أَهْلَ الْأَوَانِي وَالْغَضَارِ وَالصَّنَادِيقِ وَجَدَتْ الْأَصْبَاغَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ لِتَغْطِيَةِ الْعَيْبِ عَنِ الْمَشْتَرِيَ .
وَإِنْ ذَهَبَتْ إِلَى أَرْبَابِ الصَّنَائِعِ ، وَجَدَتْ أَكْثَرَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْغِشِّ

وإخلاف الوعد الشيء الكثير ، ولا فرق في هذا بين نجارٍ وحدادٍ ،
وخباطٍ وصباغٍ وصائغٍ وطباخٍ ، وسباكٍ وبنّاءٍ ونقاشٍ وخرّازٍ ، وساعاتي
وحباكٍ ، ونحو ذلك ، كلّهم في حرصٍ تامٍ على أخذِ الفلوسِ ، ولو بلا
عملٍ يُقابله . فانتبه لهم .

وإن ذهبت إلى بائعي موادِّ البناءِ ، وجدت أكثرهم عنده من الوانِ
العشِّ أشياء كثيرة ، يعرفها أهلُ الخبرةِ بذلك .

وبهذا صار جوُّ التجارةِ ، المهنةِ الشريفةِ ، التي لو صدق صاحبها
لحلت عليه البركةُ ، جواً وبيئاً ، مُسبباً بالكذبِ والأيمانِ الآئمةِ ، مليئاً
بالتغريرِ ، والعشِّ والتدليسِ ، وإخفاءِ العيوبِ ، وما إلى ذلك ، وقس
على ذلك باقي أهلِ الأعمالِ والصنائعِ ، والمقاولينِ والمقاولينِ
وغيرهم ، ومن الوانِ العِشِّ تطفيفُ المكيالِ والميزانِ ، وقد اهتمَّ القرآنُ
بهذا الجانبِ مِنَ المعاملةِ ، وجعله من وصاياهِ العشرِ في آخِرِ سورةِ
الأنعامِ ، قال الله تعالى ﴿ وأوفوا الكيلَ والميزانَ بالقسطِ ﴾ وقال
﴿ وأوفوا الكيلَ إذا كِلْتُمْ ، وزنوا بالقسطاسِ المستقيمِ ﴾ وقال تعالى
﴿ ويلٌ للمطففينَ ، الذين إذا اكتالوا على الناسِ يستوفونَ ، وإذا كالوهم
أو وزنوهم يُخسرونَ ، ألا يظنُّ أولئك أنَّهم مبعوثونَ ليومٍ عظيمٍ ، يومَ
يقومُ الناسُ لربِّ العالمين ﴾ .

ولقد بعث الله شعيباً عليه السلام يدعو قومه أولاً إلى توحيدِ الله ،
ويتبعه بالنهي والتحذيرِ عن نقصِ المكيالِ والميزانِ مبيئاً أن ذلك إفسادٌ
في الأرضِ بعدَ إصلاحِها ، قال تعالى ﴿ وإلى مدينِ أخاهم شعيباً ، قال
يا قومِ اعبدوا اللهَ مالكم من إلهٍ غيرهُ قد جاءكم موعظةٌ من ربِّكم فآفوا
الكيلَ والميزانَ ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرضِ
بعدَ إصلاحِها ، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

شعراً :

يا مُنْفِقَ العُمُرِ في حِرْصٍ وفي طَمَعٍ
إلى مَتَى قَدْ تَوَلَّى وانْقَضَى العُمُرُ
إلى مَتَى ذَا التَّمَادِي في الضَّلَالِ أَمَا
تَشْنِيكَ مَوْعِظَةً لَوْ يَنْفَعُ الذِّكْرُ
بَادِرُ مَتَاباً عَسَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلٍ
وَمَا اقْتَرَفْتَ مِنَ الآثَامِ يُغْتَفَرُ
وَجَبَّ الحِرْصَ واتْرُكُهُ فَمَا أَحَدٌ
يَنَالُ بِالحِرْصِ مَا لَمْ يُعْطِهِ القَدْرُ
وَلَا تُؤْمِلُ لِمَا تَرْجُو وَتَحْذَرُ
مَنْ لَيْسَ فِي كَفِّهِ نَفْعٌ وَلَا ضَرَرُ
وَفَوْضِ الأَمْرِ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِداً
عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
وَاحْذَرِ هُجُومَ المَنَايَا واستَعِدِّ لَهَا
مَا دَامَ يُمَكِّنُكَ الإِعْدَادُ والحَذَرُ

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبِلاً وَرِزْقاً وَاسِعاً نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى
طَاعَتِكَ ، وَقَلْباً خَاشِعاً ، وَلِسَاناً ذَاكِراً ، وَإِيمَاناً خَالِصاً ، وَهَبْ لَنَا إِنْابَةَ
المُخْلِصِينَ ، وَخُشُوعَ المُخْبِتِينَ ، وَأَعْمَالَ الصَّالِحِينَ ، وَيَقِينَ الصَّادِقِينَ ،
وَسَعَادَةَ المُتَّقِينَ ، وَدَرَجَاتِ الفَائِزِينَ ، يَا أَفْضَلَ مَنْ رُجِيَ وَقُصِدَ ، وَأَكْرَمَ مَنْ
سُئِلَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

واعلم أن انتقاص الحقوق على أي طريق كان أساس كبير لزعزعة الثقة في المجتمع ، وسبيل إلى قطع الصلات وإثارة الأحقاد ، والبغضاء والعداوة بين الناس ، ولذلك ينتشر الفساد في الأرض ، وتضيع المصالح ، فالقصة يفهم منها - كما ذكره بعض العلماء - أن الهدف هو اقتلاع الخلق الذي يدفع الانسان إلى انتقاص الحقوق ، والكيد لأصحابها ، عن طريق الغش والخديعة ، وعن طريق تسخير المنافع العامة ، وحقوق الناس ، في سبيل الحصول على المنافع الخاصة ، وهذا هو الذي يعقب حقاً الأفساد في الأرض ، وزلزلة الحياة العامة على أصحابها .

قال: ومن هنا يجدر بالموظف والكتاب والموجه والمشير والمعلم ، أن يأخذوا لأنفسهم من تخصيص المكيال والميزان في رسالة شعيب ، وقرنهما بعبادة الله ، واعتبار انتقاصهما إفساداً في الأرض - يجدر بهم جميعاً أن يأخذوا لأنفسهم أعظم عظة ، وأجدى عبرة ، وإن انتقاص الكيل والميزان - فيما وراء السلع المادية - لأشد خطراً ، وأفبح أثراً ، وأعظم ضرراً من انتقاص حفنة من قمح ، أو أوقية من رطل .

إن من حق الانسان في هذه الحياة أن يتمتع بحقه كاملاً غير منقوص ، ومن حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يمكنه من حقه ، ويعاونه في الحصول عليه ، ومن حقه أن يرشده إذا استرشده ، وأن يمحضه النصح إذا استنصحه ، وأن يفني له إذا عاهدته ، وأن يصدقته إذا حدثه أو وعده ، إنها مبادلة ولكن ليست في السلع ولا في الطعام ، ولا في الشراب ، وإنما هي في الخلق والمروءة والصدق والايان ، والانحراف

فِيهَا عَنْ مُقَابَلَةِ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ ، تَطْفِيفٌ فِي الْكَيْلِ ، وَانْتِقَاصٌ لِلْحُقُوقِ .

وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عِلْمًا مِنْ عِلْمَاتِ التَّكْذِيبِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَأَنْزَلَ فِي شَأْنِهِ سُورَةَ كَامِلَةً ، هِيَ سُورَةُ اسْتَهْلَافِهَا بِقَوْلِهِ ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ انتهى .

وَلَقَدْ صَارَ الْغِشُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى اللَّبَنَ فِي ضَرْعِ الْحَيَوَانِ وَحَتَّى فِي الشُّعُورِ ، جَعَلُوا يَصْبِغُونَهَا بِالسَّوَادِ غِشًا وَتَدْلِيسًا .
شعرا :

قَالَتْ أَرَاكَ خَصَبْتَ الشَّيْبَ قُلْتَ لَهَا
فَقَهَقَتْ ثُمَّ قَالَتْ إِنَّ ذَا عَجَبٌ
آخِر : إِنَّ السَّوَادَ لَتَدْلِيسٌ يُغِشُّ بِهِ
آخِر :

أَسْوَدٌ أَغْلَاهَا وَتَأْتِي أُصُولُهَا
وَلَا خَيْرَ فِي فِرْعٍ إِذَا فَسَدَ الْأَصْلُ
آخِر :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُسَوَّدُ شَعْرَهُ
أُرْفُقْ فَلَوْ سَوَّدَتْ كُلَّ حَمَامَةٍ
آخِر :

فَإِنْ تَسَأَلْنِي عَنْ خِضَابِي فَأَنْتِي
آخِر :

دَعْنِي فَإِنَّ غَرِيمَ الشَّيْبِ لَأَزْمَنِي
مَضَى الشَّبَابُ بِمَا أَحْبَبْتُ مِنْ مَنَحٍ
فَمَا كَرِهْتُ ثَوِي عِنْدِي وَعَنْفَنِي
آخِر : يَا خَاطِبَ الشَّيْبِ بِالْحِنَاءِ تَسْتُرُهُ
لَنْ يَرْحَلَ الشَّيْبُ مِنْ دَارٍ يُلْمُ بِهَا

وَحَوْنٌ قَائِمٌ صُلْبِهِ فَتَحَانَا
وَكَأَنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ سِوَانَا
وَقَدْ سَجَعَتْ عَلَى الْأَيْكِ الْحَمَامُ
فَمَعْنَى شَجْوَهَا قُرْبُ الْحَمَامِ

وَالشَّيْبُ ضَيْفُكَ فَاقْرِهِ بِخَضَابٍ
وَافِي الْمَشِيبِ بِشَاهِدِ كَذَابِ
تَنْفِي الطُّنُونِ بِهِ عَنِ الْمُرْتَابِ
وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ فِيهِ كُلُّ ذَهَابِ
قَوْلَ أَمْرٍ فِي أَمْرِهِ لَمْ يَمْدِقِ
عُمْرِي فَتَارَ غُبَارَهُ فِي مَفْرِقِي

وَرَأْتُهُ مُحْتَجِبًا وَرَاءَ حِجَابِ
لَيْسَ الْجِدَادَ عَلَى ذَاهِبِ شَبَابِي

وبالتالي فإن الغش معصية لله ولرسوله ، وأنه لا يفيد صاحبه إلا
الوزر ، والخزي العاجل والأجل إن لم يتب ، والعار (ثالثا) أن الغش
يضيع الثقة ، وأنه مما يجلب الهم والغم ، وأنه حجر في طريق تقدم
صاحب العمل ، وأن الناس إذا عرفوه بذلك انصرفوا عنه ، وأغلق في
وجهه أبواب الربح .

ومن جنایات الغش على صاحبه أن البركة تذهب من عمل يديه ،
وربما دارت عليه أو على ذريته الدوائر .

ومن ذلك أنه دليل على أن نفس صاحبه خبيثة طاغية .

ومن ذلك أن صاحبه يُعتبر ممن يأكل أموال الناس بالباطل .

آخر : قَصَرَ اللَّيَالِي حَطْوَهُ فَتَدَانِي
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ
آخر : لِأَمْرٍ مَا بَكَيتُ وَهَاجَ شَكْوِي
لِأَنَّ بَيَاضَهَا كَبَيَاضِ شَيْبِي
آخر :

لِلضَّيْفِ أَنْ يُقْرَأَ وَيُعْرَفَ حَقُّهُ
وَافِي بَأَكْذَبِ شَاهِدٍ وَلرَبِّمَا
فَافْسَخَ شَهَادَتَهُ عَلَيْكَ بِخَضْبِهِ
فَإِذَا ذَنَاوَقْتُ الْمَشِيبَ فَحَلِّهِ
آخر: لَمَّا سَمِعْتُ مِنَ الْمَشِيبِ أَجَبْتُهُمْ
طَحَنَ الزَّمَانُ بَرِيْبِهِ وَصُرُوفِهِ
آخر :

لَمَّا رَأَتْ شَيْبِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ
قَالَتْ خَضِبَتْ فَقُلْتُ شَيْبِي إِنَّمَا

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ مَا عِنْدَهُ رَأْفَةٌ وَرَحْمَةٌ لِأَخْوَانِهِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنَّهُ مَا يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ سَبَبٌ لِقَطْعِ الصَّلَاتِ ، وَزَعزَعَةِ الثِّقَةِ فِي
الْمُجْتَمَعِ ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِإِثَارَةِ الْأَحْقَادِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَأَنَّهُ سَبَبٌ
لِنَشْرِ الْفَسَادِ وَتَضْيِيعِ الْمَصَالِحِ .

وَأَنَّهُ مَانِعٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ تَمَتُّعِهِ بِحَقِّهِ كَامِلًا ، وَأَنَّهُ مُنَاقِضٌ لِمَا هُوَ
مَطْلُوبٌ مِنْهُ ، مِنْ أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَخَاهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَيُعَاوِنُهُ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِ .
وَأَنَّهُ مُنَاقِضٌ لِلنَّصِيحَةِ .

وَأَنَّهُ يُعْتَبَرُ مِنْ عِدَادِ الْكَذَّابِينَ وَالْخَوَنَةِ وَالظُّلْمَةِ وَأَنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ
الْإِخْلَاصِ .

وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَكُونُ مَرْمُوقًا بِعَيْنِ الْاِحْتِقَارِ وَالْاِزْدِرَاءِ عَكَسَ الْمُخْلِصِ
فِي عَمَلِهِ .

وَأَنَّ الْغِشَّ أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ لَا يُزَكِّي وَأَنَّهُ لَا يَتَنَسَّخُ مِنْ
الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ لِأَنَّ مَنْ يَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ يَبْعِدُ جِدًا أَنْ يُعْطِيَهُمْ .

وَأَنَّ الْغِشَّ بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مِنَ الطَّمَعِ وَالشُّحِّ وَالْبُخْلِ
وَالهَلَعِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ بِدَلِيلٍ عَدَمِ اكْتِفَائِهِ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ .

وَأَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِ صَاحِبِهِ ، وَعَدَمِ احْتِرَامِهِ لِأَحَادِيثِ
الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَعَاكِسَتِهِ لَهَا مَعَ عِلْمِهِ بِهَا .

وَمِنْ جَنَائِبِ الْغِشِّ أَنَّهُ يُوقِعُ صَاحِبَهُ فِي طُولِ الْمَوْقِفِ وَالْحِسَابِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَثْرَةِ الْخُصَمَاءِ الَّذِينَ أَخَذَ أَمْوَالَهُمْ بغيرِ حَقِّ .

وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِضَاعَةِ حَسَنَاتِهِ ، أَوْ لِحَمْلِ سَيِّئَاتٍ غَيْرِهِ مِمَّنْ غَشَّهِمْ ،
وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْأَخْتِفَاءِ لِجَنَائِيَّتِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِالْغِشِّ .
وَمِنْ مَضَارِّ الْغِشِّ أَنَّ صَاحِبَهُ يُسِيءُ إِلَى أَوْلَادِهِ وَأَسْرَتِهِ إِذَا اشْتَهَرَ
بِهِ ، لِأَنَّهُ يُلَوِّثُهُمْ بِهَذِهِ السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ ، وَالْفَائِئَةِ الْقَبِيحَةِ ، وَيَحْمِلُ النَّاسَ
عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَهُمْ عَائِلَةُ الْغَشَّاشِ وَأَعْظَمُ بِهَا مِنْ أَدِيَّةٍ لِلْمُسْتَقِيمِينَ ،
وَأَدِيَّةِ الْغَشَّاشِ لِأَوْلَادِهِ خَاصَّةً ، أَشَدُّ بِكَثِيرٍ مِنْ أَدِيَّتِهِ لِبَاقِي الْأُسْرَةِ
الْبَعِيدِينَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْأَبْنََاءَ حَوْلَ أَبِيهِمْ ، يَأْخُذُونَ عَنْهُ ، وَيَنْشُتُونَ عَلَى أَخْلَاقِ
أَبِيهِمْ غَالِبًا فَإِنَّهُمْ إِذَا نَشُتُوا عِنْدَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ طِبَاعِهِ ، وَيُوشِكُ أَنْ
يَكُونُوا مِثْلَهُ غَشَّاشِينَ بَعْدَ مَا يَبْلُغُوا مَبْلَغَ الرُّجُولَةِ ، فَيَكُونُ أَبُوهُمْ سَبَبًا فِي
وُقُوعِهِمْ فِي ضَرَرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَحَرَّجُوا وَلَا سَلَكُوا طَرِيقَةَ أَبِيهِمْ
بِالْغِشِّ فَمَا مِنْ سَلَامَةٍ ، يُعَيِّرُهُمُ النَّاسُ وَيَقُولُونَ لَهُمْ : يَا أَوْلَادَ
الْغَشَّاشِ ، وَهَذِهِ أَدِيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، تُؤَدِّي إِلَى التَّسَاجِرِ وَالتَّقَاطِعِ وَالتَّهَاجِرِ
وَتَبَادُلِ السَّبَابِ .

وَأَمَّا أَدِيَّةُ الْغَشَّاشِ لَجَمَاعَتِهِ وَأَهْلِ بَلَدِهِ فَوَاضِحَةٌ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُمْ
قَدْوَةٌ سَيِّئَةٌ ، يُسَمُّونَهُمْ قَوْمَ الْغَشَّاشِ ، وَجَمَاعَةَ الْغَشَّاشِ ، وَالطَّبَاعُ سَرَّاقَةٌ
مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُ أَصْحَابُهَا وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ، فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ هَذَا
الطَّبَعُ وَالْحُلُقُ الَّذِي هُوَ الْغِشُّ ، فَإِنْ لَمْ يُصَبِّ الْجَمِيعَ تَأَثَّرَ بِهِ الْبَعْضُ
كَالْجَرَبِ .

وَبِهَذَا تُنْسَبُ الْجَمَاعَةُ وَالسَّاكِنُونَ فِي بَلَدِهِ إِلَى الْغِشِّ ، نَظْرًا لِذَلِكَ
الْغَشَّاشِ ، وَيُقَالُ بَلَدُ الْغَشَّاشِينَ ، كَمَا يُقَالُ بِلَادُ الْفِرَاعِنَةِ ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ
عَظِيمَةٌ ، وَدَاهِيَةٌ دَهِيًا .

وَأَمَّا ضَرَرُ الْغَشَّاشِ وَأَدِيَّتُهُ لِلدِّينِ ، فَيَالِهَا مِنْ مُصِيبَةٍ فَادِحَةٍ ، وَعَقَبَةٍ
كَوْوِدٍ ، ضِدُّ الْقَائِمِينَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَنَشْرِ مَحَاسِنِهِ ، وَالْحَبِّ

عَلَى التَّخْلِيقِ بِأَخْلَاقِ المُسْلِمِينَ ، وَالتَّأْدِبِ بِأَدَابِهِمْ ، لِأَنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ إِذَا نَظَرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْغَشَّاشِينَ ، يَرْمُونَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ بِالنَّقْصِ ، وَلَا يَقُولُونَ إِنَّ النَّقْصَ فِي النَّاسِ ، لِعَدَمِ تَمَسُّكِهِمْ بِالدِّينِ ، وَعَدَمِ تَطْبِيقِهِمْ لِإِحْكَامِهِ ، بَلْ يُلْصِقُونَ النَّقْصَ وَالْعَيْبَ بِالدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَذَلِكَ صَدُّ عَنِ اتِّبَاعِ الدِّينِ الْحَقِّ ، وَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، مِمَّا يَنْشَأُ عَنِ الْغِشِّ مِنْ الْأَضْرَارِ وَالْأَذَايَا ، اقْتَصَرْنَا عَلَيْهِ خَشِيَّةَ الْأَطَالَةِ ، وَالْأُحْوَى يَسْتَدْعِي مُصَنَّفًا وَحْدَهُ .

وَبِالتَّالِيِ فَمَا الدَّاعِي إِلَى ذَلِكَ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ؟ أَهُوَ الْقُوَّةُ الَّتِي تَكْتَفِلُ بِهِنَّ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَمَا رَأَيْنَا تَقِيًّا مَاتَ جُوعًا ، أَوْ مُؤْمِنًا وَرِعًا قَضَى غَرْثَانَا طَاوِيًا ، أَمْ هُوَ الْجَشَعُ وَالطَّمَعُ ، وَشَرُّهُ النُّفُوسِ فِي جَمْعِ الْحُطَامِ الْفَانِي ؟ وَقَدْ أَمَرْنَا بِمُجَاهَدَةِ النُّفُوسِ ، وَتَقْوِيمِهَا حَتَّى تَرْعُوِي وَتَسْتَقِيمَ ، أَمْ إِنَّ ذَلِكَ الْمُشْتَرِي قَدْ ارْتَكَبَ مِنَ الْوِزْرِ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعُقُوبَةَ .

أَيُّهَا التُّجَّارُ مَا هَكَذَا يَكُونُ الرِّبْحُ ، وَمَا هَكَذَا يَكُونُ الْمُكْسَبُ وَمَا بِتِلْكَ الْأَسَالِيبِ تَتَكُونُ الثَّرْوَةُ ، وَيُجْمَعُ الْمَالُ ، وَلَكِنْ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالذِّمَّةِ وَالشَّرْفِ ، وَالْعِفَّةِ عَنِ الْحَرَامِ ، فَكِرُوا فِي مَصِيرِ مَا أَتَعَبْتُمْ نَفُوسَكُمْ وَأَبْدَانَكُمْ فِي جَمْعِهِ ، وَفَكِرُوا فِي الْمُنَاقَشَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ ، وَأَنْتُمْ مُفَارِقُوهُ عَنْ قَرِيبٍ رَغْمَ أَنْوْفِكُمْ لِأَنَّا نَسِيحُوا فِي الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ كَالْتَلْفِزِيُونَ وَالْفِيدِيُو وَالسِّينَاءِ وَالْمَذَائِيعِ وَالسَّفْرِ لِبِلَادِ الْكُفْرِ . وَبَعْضُهُمْ يُنْفِقُونَهَا فِي دِرَاسَتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، وَيَأْتُونَ بِشَهَادَاتٍ مِنَ الْكُفْرِ يَأْكُلُونَ بِهَا نَسَّالَ اللَّهِ الْعَافِيَةَ مِمَّا ابْتُلُوا بِهِ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا مِنَ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمُتَّيِّنِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: أَبْعَدُ بَيَاضِ الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَنْزِلًا
سِوَى الْقَبْرِ إِنِّي إِنْ عَمَرْتُ لِأَحْمَقُ
يُخْبِرُنِي شَيْبِي بِأَنِّي مَيِّتٌ
وَشَيْكَأ فَيُنْعَانِي إِلَيَّ وَيَضِدُّ
يُخْرِقُ عُمْرِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
فَهَلْ مُسْتَطَاعَ رَقْعُ مَا يَتَخَرَّقُ
كَأَنِّي بِجِسْمِي فَوْقَ نَعْشِي مُمَدَّدًا
فَمِنْ سَاكِتٍ أَوْ مُعْوِلٍ يَتَخَرَّقُ
إِذَا سُئِلُوا عَنِّي أَجَابُوا وَأَعْوَلُوا
وَأَدْمَعُهُمْ تَنْهَلُ هَذَا الْمَوْفِقُ
وُغِيِبْتُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ
وَأُودِعْتُ لِحْدًا فَوْقَهُ الصَّخْرُ مُطْبِقُ
وَيَحْتُو عَلَيَّ التُّرْبُ أَوْثَقُ صَاحِبِ
وَيُسَلِّمُنِي لِلْقَبْرِ مَنْ هُوَ مُشْفِقُ
فَيَا رَبُّ كُنْ لِي مُؤْنِسًا يَوْمَ وَخْشِي
فَأَنِّي بِمَا أَنْزَلْتَهُ لِمُصَدِّقُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي إِلَى اللَّهِ صَائِرُ
وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِي أَبْرُ وَأَرْفَقُ
آخِرُ:

نَرْضَى بِمَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَوْلَانَا
وَمَا يَكُونُ وَمَا مِنْ أَمْرِهِ كَانَا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ الْجَامِدِينَ لَهُ
 حَمْدًا كَثِيرًا كَمَا يُرْضِيهِ رِضْوَانَا
 إِلَّا فَإِنَّا لَهُ مَاضٍ تَصَرَّفُهُ
 فِينَا لَعْمَرِي إِلَّا إِلَيْهِ رُجْعَانَا
 قَضَى وَقَدَّرَ أَنَّ الْمَوْتَ دَائِرَةً
 كُؤُوسُهُ فِي الْوَرَى لَمْ تُبْقِ إِنْسَانَا
 فَأَيْنَ عَادُ وَكِسْرَى وَابْنُ ذِي يَزْنَ
 وَمَنْ يُوَازِرُهُمْ وَمَنْ لَهُمْ عَانَا
 لَمْ يَمْنَعِ الْمَوْتَ عَنْهُمْ حَاجِبُونَ وَلَمْ
 يُبْقِ الْبَلَى لَهُمْ صَرْحًا وَإِيْوَانَا
 بَلْ أَيْنَ صَفْوَةٌ خَلَقَ اللَّهُ قَاطِبَةً
 وَأَرْجَحَ النَّاسَ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
 تَجْرَعُ الْكُلُّ كَأَسَ الْمَوْتِ وَانْتَقَلُوا
 عَنِ هَذِهِ الدَّارِ شَيْبَانَا وَشُبَانَا
 فَتِلْكَ مَوْعِظَةٌ لِأَنْفُسٍ فُجِعَتْ
 أَضْحَتْ وَقَدْ لَقِيَتْ هُمَا وَأَحْزَانَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوِي وَإِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَنَا وَأَكْفِنَا شَرَّ أَشْرَارِنَا وَاحْفَظْنَا
 مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَنَسْأَلُكَ أَنْ
 تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُمَّ أَنْ نَوَاصِينَا بِيَدَيْكَ وَأُمُورُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفِي
 عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ مَلْجُؤُنَا وَمَلَاذُنَا ، وَإِلَيْكَ تَرْفَعُ بَشَانَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ
 يَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ وَاسْتَهْدَاكَ

فَهَدَيْتُهُ وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ وَجِدْ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِكَ الْعَمِيمِ ، وَأَعْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة: عِبَادَ اللَّهِ فَيَسُّوا قُلُوبَكُمْ بِتَانٍ وَائْتَادٍ ، وَابْحَثُوا عَمَّا تَغْلَغَلَ فِيهَا مِنْ
الْأَضْغَانَ وَالْأَحْقَادِ ، فَإِذَا وَجَدْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَاجْتَهِدُوا وَعَمَلُوا عَلَى
سُرْعَةٍ إِزَالَتِهِ وَمَحْوِهِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَأَعْرِضُوا بِكُلِّيَّتِكُمْ عَنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ
وَوَسَاوِسِهِ ، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ الْقَوِيِّ الْقَدِيرِ مِنْ هَمَزَاتِهِ وَهَوَاجِسِهِ ، فَإِنَّهُ لَا
يُرِيدُ إِلَّا إِيقَاعَكُمْ فِي الْبَلَاءِ ، وَتَعْرِيفَكُمْ لِسَخَطِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ الشَّدِيدِ ، مَاذَا
يَضُرُّكُمْ إِنْ تَنَازَلْتُمْ عَنْ بَعْضِ حُقُوقِكُمْ ، وَتَجَاوَزْتُمْ وَصَفَحْتُمْ عَمَّنْ أَسَاءَ
إِلَيْكُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَقَصَدْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ فِي صَفْحِكُمْ وَتَنَازُلِكُمْ ،
وَبِذَلِكَ تَكُونُونَ قَدْ أَرْضَيْتُمْ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَأَبْعَدْتُمْ شَبْحَ الشَّرِّ
عَنْكُمْ . وَعَنْ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ وَكُنْتُمْ أَصْحَابَ الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ ، يَشْكُرُ
اللَّهُ وَالنَّاسُ لَكُمْ هَذَا الْخُلُقَ الطَّيِّبَ الْحَمِيدَ ، أَلَا فَاحْرِصُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَأَقْبِلُوا سِرَاعًا إِلَيْهِ ، وَاكْظِمُوا غَيْظَكُمْ ، وَابْذِلُوا جُهْدَكُمْ
فِي التَّغْلِبِ عَلَيْهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ، فَاللَّهُ يَغْفِرُ مِنْ
ذُنُوبِ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَيُمَجِّدُ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ، وَيَتَوَلَّاهُمْ بِالْفَضْلِ
وَالْكَرَامَةِ ، وَيُزَوِّجُهُمْ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ مَا يَشَاؤُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَدْعُوهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ إِلَى تِلْكَ الْكَرَامَةِ ، لِيَعْلَمَ فَضْلَهُمْ ،
وَيَشْهَدَ مَجْدَهُمُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ . فَإِذَا مَا عَلِمْتُمْ هَذَا فَقَارِنُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا
يُعَامِلُ اللَّهُ بِهِ الْمُسَاحِنَ الْحُقُودَ الْحَسُودَ ، الَّذِي أُجَابَ دَاعِيَ الشَّيْطَانِ ،
وَأَعْرَضَ عَنْ نَصِيحَةِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ ، وَيَسَّرَ لَهُ أُمُورَهُ ، وَأَصْرَّ عَلَى
مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالشَّحْنَاءِ وَالصُّدُودِ ، وَسَتَرُونَ أَنَّهُ بَعَادِهِ وَإِبَائِهِ
وَاسْتِكْبَارِهِ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَرَضَ نَفْسُهُ فِي الدُّنْيَا لِنِقْمِ اللَّهِ

الْمُتَعَاقِبَةِ ، وَأَبْقَى لَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ جَهَنَّمَ يَلْقَى فِيهَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، وَقَدْ
 وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ الْمُتَهَاجِرِينَ الْمُتَشَاجِرِينَ ،
 يُعْرِضُ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَإِذَا أَفَاضَ عَلَى خَلْقِهِ رَحْمَتَهُ كَانَ الْحِرْمَانُ
 نَصِيْبَهُمَا ، وَلَا يَزَالَانِ هَكَذَا . حَتَّى يُزِيلَا مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخِصَامِ ، وَيَعُودَا
 إِلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ مِنَ الصَّفَاءِ وَالْوِثَامِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَفْوُ
 عَفْوَرٌ : تَفَهَّمُوا يَا إِخْوَانِي جَيِّدًا ، وَأَقْرَعُوا قُلُوبَكُمْ بِمَا سَمِعْتُمْ مِنَ الزَّوَاجِرِ
 وَالْعِظَاتِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَقْرَبَ الْمُتَصَافِيَيْنِ إِلَى اللَّهِ أَسْبَقَهُمَا إِلَى
 الصُّفْحِ ، وَتَنَاسَى مَا فَاتَ ، وَأَعْظَمَهُمَا أَجْرًا مَنْ بَدَأَ بِالسُّعْيِ إِلَى إِزَالَةِ
 الْأَضْغَانِ وَالْأَحْقَادِ ، فَإِنَّ اسْتِجَابَ خِصْمَهُ لِلصُّلْحِ ، وَلَمْ يَتَأَخَّرْ ، فَبِهَا
 وَنِعْمَتْ ، وَاسْتَحَقَّ نَصِيْبَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ ، وَإِنْ أَبِي وَامْتَنَعَ فَقَدْ
 احْتَمَلَ الْإِثْمَ وَالْعِقَابَ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَاعْمَلُوا بِهَذِهِ النَّصِيْحَةِ ،
 وَسَارِعُوا بِالْإِعْتِدَارِ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَجِيبُوا إِلَى دَاعِيِ الْهُدَى وَالرُّشَادِ ،
 وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَهَلِّمُوا سِرَاعًا إِلَى مُصَافَاةِ مَنْ خَاصَمْتُمْ مِنْ
 إِخْوَانِكُمْ ، وَبِذَلِكَ تَصُونُونَ بِيُوتَكُمْ مِنَ الْخَرَابِ ، وَتَحْفَظُونَ أَمْوَالَكُمْ مِنَ
 التَّلَاشِيِّ وَالذَّهَابِ ، وَتَرْجُونَ رِضَا رَبِّكُمْ وَعَفْوَهُ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ،
 ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ، ﴿إِنْ فِي
 ذَلِكَ لَذِكْرَى ، لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ رَوَى أَبُو
 دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ « لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ
 فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدْ اشْتَرَكَ فِي الْأَجْرِ ، وَإِنْ لَمْ
 يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُ مِنَ الْهَجْرِ » وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ
 جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ .

« تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، فَمَنْ فَسَدَتْ فَيُعْفَرُ لَهُ ،
 وَمِنْ تَائِبٍ فَيَتَابُ عَلَيْهِ ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضَّغَائِنِ بَضْعَائِنِهِمْ حَتَّى يَتُوبُوا » وَوَرَدَ
 عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُنْفِذَهُ ،
 دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ »
 اللَّهُمَّ أَعِدْنَا مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ
 وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .
 شعرا :

أَجِدُّكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيمُهَا
 وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
 إِذَا نَالَ مِنْهَا طَالِبٌ مَا يَرُومُهُ
 وَسَاعَدَهُ الْمَقْدُورُ فَالْمَرْءُ يَسْعَدُ
 أَتَاهُ غَدَاً مِنْ خَطْبِهَا كُلُّ فَادِحٍ
 وَيَلْقَاهُ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ يُنَكِّدُ
 لَعْمَرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْهَا عَجَائِباً
 وَصَاحِبِي فِيهَا مَسُودٌ وَسَيِّدُ
 رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ الْمَوَاهِبِ مَرَّةً
 « وَقَدْ طَابَ عَيْشُ وَالسُّرُورُ يُجَدِّدُ »
 فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا الرِّزَايَا ثَوَابِتُ
 عَلَيْهِمْ وَقَامَتْ فِي أَذَاهِمْ تُحْشِدُ
 وَأَسْقَتَهُمْ كَأْساً مِنَ الذُّلِّ مُتْرَعاً
 وَكَانَ لَهُمْ فَوْقَ السَّمَاكِينِ مَقْعَدُ

وَدَامَتْ لِمَنْ نَاوَاهُمْ بَعْضَ بَرَاهِمِهِ
عَلَى نَكَدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُجَدِّدُ
وَقَدْ شَاهَدَتْ عَيْنَاكَ مَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ
فَمَالِي وَوَضِيفِي لِلَّذِي أَنْتَ تَشْهَدُ

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارزُقْنَا
اجْتِنَابَهُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، أَنْ مِمَّا
يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ
اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ لَآخِلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
قِيلَ نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
ضَيْعَةٍ ، فَهَمَّ الْمُدَّعِي عَلَيْهِ أَنْ يَحْلِفَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَتَكَلَّ
الْمُدَّعِي عَلَيْهِ عَنِ الْيَمِينِ ، وَأَقْرَأَ لِلْمُدَّعِي بِحَقِّهِ ، وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ
مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » فَقَالَ رَجُلٌ :
وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ » رَوَاهُ
مُسْلِمٌ .

وعن عبد الله بن مسعود ، قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لِيَقْطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ
مُسْلِمٍ ، لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » ، إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ

الْيَمِينِ الْغَمُوسَ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ ، فَإِنَّمَا سُمِيَتْ غَمُوساً لَأَنَّهَا تَغْمِسُ الْحَالِفَ فِي النَّارِ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ ، وَهُوَ يَتَقَدَّمُ بِلَا أَكْثَرِاثٍ وَلَا مُبَالَاةٍ ، إِلَى أَحَدِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، فَيَحْلِفُ بِهَا ، مُؤَكِّدًا قَوْلَهُ عِنْدَ السَّمِيعِ بِهَذَا الْحَلْفِ وَلَا يُفَكِّرُ أَنَّ هَذَا الْقَسْمَ الْعَظِيمَ ، إِذَا لَمْ يَتَّبِ مِنْ ذَلِكَ تَوْبَةً نَصُوحاً ، وَيُقْلِعَ إِلَى اللَّهِ وَيَنْدَمَ عَلَى مَا فَعَلَ فَانهُ يَضُرُّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَمَا ضَرَرُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَكُونُ سَبَباً لِمَحَقِّ الْبَرَكَةِ لَهُ فِيمَا يَتَعَاطَاهُ ، وَإِذَا انْتَزَعَتِ الْبَرَكَةُ حُلَّ مَحَلِّهَا الْفَشْلُ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ » متفق عليه ، وَرَوَى الْبَزَّازُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تُذْهِبُ الْمَالَ - أَوْ قَالَ - تَذْهَبُ بِالْمَالِ » وَإِذَا ذَهَبَ الْمَالُ خَرِبَ الْبَيْتُ ، وَأَصْبَحَ صَاحِبُهُ فِي عِدَادِ الْفُقَرَاءِ ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَحَسَبُ الْحَالِفِ أَنْ يَسْمَعَ مَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « الْكِبَائِرُ الْأَشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ » وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا عَصَيْتُ اللَّهُ بِهِ هُوَ أَعْجَلُ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أُطِيعَ اللَّهُ بِهِ أَسْرَعَ ثَوَابًا مِنَ الصَّلَاةِ ، وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

ثُمَّ إِنَّ الْحَلْفَ بِاللَّهِ كَذِبًا اسْتِخْفَافًا بِاسْمِ اللَّهِ وَاسْتِهَانَةً بِهِ ، وَتَشْبَهُ بِحَالِ الْمُنَاقِفِينَ ، الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ عَمَّا قَالُوا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ « وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ ﴿ فَأُخْبِرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ بِهَذَا الْحَلْفِ ، وبهذا الكَذِبِ الَّذِي يُخَيَّلُ
إِلَيْهِمْ أَنَّهُ سَبِيلٌ لِلنَّجَاةِ عِنْدَ النَّاسِ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ
الْحَقَّ ، وَيَكْشِفُهُ لِلنَّاسِ ، فَيَهْلِكُ الْكَاذِبُ فِي الدُّنْيَا بِكَذِبِهِ ، وَيَهْلِكُ فِي
الْآخِرَةِ يَوْمَ لَا يُفِيدُهُ انْكَارُهُ شَيْئاً ، وَكَفَى بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ شَوْماً وَلَوْ مَا أَنَّهُ
فِعْلُ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَنَّ فَاعِلَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَفْعَلُ فِعْلاً يُشَابِهُ فِيهِ أَهْلَ
النِّفَاقِ ، أُخْبِتَ الْكُفَّارِ ، الَّذِينَ أُخْبِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَجَسٌ وَانَّهُمْ فِي
الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، وَانْطَبَقَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ قَوْلُ
الشاعر :

رَمَانُ كُلِّ حَبِّ فِيهِ حَبٌّ وَطَعْمُ الْخِلِّ نَحْلٌ لَوْ يُذَاقُ
لَهُمْ سُوقٌ بِضَاعَتُهُ النِّفَاقُ فَمَنْ نَاقَ يَكُونُ لَهُ نِفَاقُ

آخر :

أَمْسَى النِّفَاقُ دُرُوعاً يُسْتَجَنُّ بِهَا عَنِ الْأَذَى وَيُقَوِّي سَرْدَهَا الْحَلْفُ

وَيَعْظُمُ الْإِثْمُ إِذَا كَانَ الْحَلْفُ الْكَاذِبُ تَرْتَّبَ عَلَيْهِ اقْتِطَاعُ مَالِ عَبْدٍ
مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّ ، لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ « مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ
بِغَيْرِ حَقِّ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » وَمَنْ يُطِيقُ أَنْ يَلْقَى خَالِقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ ، الَّذِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، وَالآيَةُ الَّتِي قَرَأَهَا الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِثْرَ الْحَدِيثِ ،
مِصْدَاقاً لِمَا أُخْبِرَ تُفِيدُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَظِيمٌ ، فَإِنَّهَا تُخْبِرُ عَنِ الَّذِينَ
يَشْتَرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً ، بَأَنَّهُ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ،
وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الَّذِي لَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ الْكَافِرُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، وَالْأَ
فَالَّذِي لَا عَمَلَ لَهُ إِلَّا الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ :

إِنَّهُ لَا خَلْقَ فِي الْآخِرَةِ ، وَمَعَ أَنَّهُ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُكَلِّمُهُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِ ، وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَلْيَتأملِ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ ، وَلْيَحذِرْ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ .

وَلَقَدْ بَلَغَ تَهَاوُنُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِالْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ إِلَى مَا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ ، حَتَّى فِي حَدِيثِهِمْ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَفِي مَجَالِسِهِمْ الْخَاصَّةِ ، وَفِي أَسْوَاقِهِمْ ، وَفِي مُعَامَلَاتِهِمْ ، وَفِي أَوْعَادِهِمْ وَيَأْتِي بِالْقَسَمِ بِهَذَا اللَّفْظِ (وَاللَّهِ الْعَظِيمِ) يُؤَيِّدُونَ مَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ مِنْ مَوَاعِيدٍ وَهُمْ فِي ذَلِكَ ، مُتَهَمُونَ فِي إِخْلَافِ الْوَعْدِ ، كَمَا قِيلَ :

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ
مَا ذَلَّ أَنْكَ فِي الْمِيعَادِ مُتَهُمٌ

وَاسْتَمِعْ لَهُمْ وَخُصُوصاً عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، لِيَتَّبِعُوا مَا مَعَهُمْ بِسُرْعَةٍ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى لِيَكْثُرَ رِبْحُهُمْ فِي زَعْمِهِمْ ، فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَذِيراً مِنْهُمْ ، وَلَوْ حَلَفُوا أَمَامَهُ فَقَدْ أَصْبَحَ الْحَلْفُ عِنْدَهُمْ عَادَةً ، وَلِهَذَا أَكْثَرَ النَّاسِ إِذَا حَلَفُوا لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعِهِمْ يَجْلِفُونَ ، وَلَيَبْشِرُوا مَعَشَرَ الْحَافِينَ عَلَى سِلْعِهِمْ كَذِباً وَتَرَوِيحاً أَنْ رِبْحُهُمْ مَهْمَا كَثُرَ مَصِيرُهُ لِلزَّوَالِ ، فَإِنَّهُ لَا بَرَكَةَ فِيهِ ، وَكَيْفَ يُبَارِكُ فِي رِبْحٍ لَمْ يَجِءْ إِلَّا مِنْ غِشٍ وَتَدْلِيسٍ وَكَذِبٍ وَمَعْصِيَةِ لِلَّهِ وَلرَّسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَهُنَّ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ

مَرَاتٍ ، فقال أبو ذر . خَابُوا وَخَسِرُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قال
« الْمُسْبِلُ وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ » ولا يَجُوزُ الْحَلْفُ
بِغَيْرِ اللَّهِ لا بِكَعْبَةٍ ولا بِبَنِي ولا مَلِكٍ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَمَنْ
كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَضُمَّتْ » متفق عليه ، ولَمَّا وَرَدَ عَنْ ابْنِ
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : وَالْكَعْبَةَ . فَقَالَ لا تَحْلِفْ
بِغَيْرِ اللَّهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَنْ
حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » رواه الترمذي وحسنه ، وابن حبان في
صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهم ، ولا يَجُوزُ الْحَلْفُ
بِالْأَمَانَةِ لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ بُرَيْدَةَ مَرْفُوعًا قَالَ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ
بِالْأَمَانَةِ » ورجاله ثقات .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تَدَبَّرْ كِتَابَ اللَّهِ يَنْفَعَكَ وَعَظُّهُ

فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَبْلَغُ وَأَعِظُ

وَبِالْعَيْنِ ثُمَّ الْقَلْبِ لِاحْظُهُ وَاعْتَبِرْ

مَعَانِيَهُ فَهُوَ الْهُدَى لِلْمُلاحِظِ

وَأَنْتَ إِذَا اتَّقَنْتَ حِفْظَ حُرُوفِهِ

فَكُنْ لِحُدُودِ اللَّهِ أَقْوَمَ حَافِظِ

ولا يَنْفَعُ التَّجْوِيدُ لِأَفِظَ حُكْمِهِ

وإن كَانَ بِالْقُرْآنِ أَفْصَحَ لِأَفِظِ

وَيُغْرَفُ أَهْلُوهُ بِأَحْيَاءِ لَيْلِهِمْ

وَصَوْمِ مُجَبَّرِي لَاهِجِ الْفَيْضِ قَائِظِ

وَغَضِبَهُمُ الْأَبْصَارَ عَنْ كُلِّ مَأْتَمٍ
 يَجْرُ بِتَكَرُّرِ الْعَيُونِ اللَّوَاظِ
 وَكَضْمِهِمُوَا لِلْغَيْظِ عِنْدَ اسْتِعَارِهِ
 إِذَا عَزَّ بَيْنَ النَّاسِ كَظْمُ الْمَغَائِظِ
 وَأَخْلَاقَهُمْ مَحْمُودَةً إِنْ خَبَرْتَهَا
 فَلَيْسَتْ بِأَخْلَاقِ فِظَاطٍ غَلَاظِ
 تَحَلُّوْا بِآدَابِ الْكِتَابِ وَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ
 تَفَكَّرْ فِي أَمْثَالِهِ وَالْمَوَاعِظِ
 فَفَاضَتْ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ نُفُوسُهُمْ سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ النَّفُوسِ الْفَوَائِضِ
 اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ **موعظة**

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يَعْصِي الرَّجُلُ مَوْلَاهُ وَإِنَّمَا كَانَ
 ذَلِكَ عَجَبًا لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَقَنَّ يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَنْ مَوْلَاهُ جَلٌّ وَعَلَا يَرَاهُ ،
 وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْوَاهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَجِيبِي أَنْ يَفْعَلَ مَا يُغْضِبُ أَخَاهُ
 وَهُوَ يَرَاهُ ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لَهُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَلَا فِي دَارِ
 الْقَرَارِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُ مَعَ هَذَا الْمَخْلُوقِ فَعَجِيبٌ جِدًّا أَنْ لَا يَكُونَ
 أَشَدَّ احْتِرَامًا وَحَيَاءً مَعَ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي
 أَوْجَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْعَدَمِ وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ الْحَيَاةَ وَهُوَ الَّذِي أَسْبَغَ
 عَلَيْكَ النِّعَمَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَأَدَامَ ذَلِكَ عَلَيْكَ وَوَالَاهُ ، وَلَوْ شَاءَ لَسَلَبَكَ
 كُلَّ نِعْمَةٍ ، وَأَحْلَى بِكَ كُلَّ نِقْمَةٍ ، وَجَعَلَكَ فِي هَذَا الْوُجُودِ عِبْرَةً لِأُولَى
 الْأَبْصَارِ ، أَضِيفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُمِيتُكَ ، وَيُعَامِلُكَ فِي قَبْرِكَ

بِمَا يُنَاسِبُ مَالِكَ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِكَ ، وَسَوْفَكَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الَّذِي هَوْلُهُ يُشِيبُ الْأَطْفَالَ ، وَهُوَ الَّذِي يُحَاسِبُكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ فِي حَيَاتِكَ الْأُولَى مِنَ الْأَفْعَالِ ، وَهُوَ الَّذِي يَأْمُرُ بِكَ إِذَا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا إِلَى النَّارِ ، نَعَمْ إِنَّهُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يُجَاهِرَ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَالِكُ دُنْيَاهُ وَأَخْرَآهُ ، إِنْ الْبُرْهَانَ الَّذِي لَا مَغْمَزَ فِيهِ عَلَى أَنَّكَ تَسْتَحِي مِنْ رَبِّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ ، أَنْ تَكُونَ بَعِيداً كُلَّ الْبُعْدِ دَائِماً عَنِ مَعَاصِيِ اللَّهِ ، فَتَحْسِبُ لِسَانَكَ عَنِ الْقَذْفِ وَالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ وَالغَيْبَةِ ، وَالْخُلْفِ فِي الْوَعْدِ ، وَعَنِ الْمِرَاءِ وَالْحِدَالِ وَالِاسْتِهْزَاءِ ، وَالسُّخْرِيَّةِ بِالنَّاسِ ، وَاللَّعْنِ وَالْفُحْشِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُحْرَمٌ شَرْعاً أَوْ مَكْرُوهٌ ، لِأَنَّ اللِّسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، وَلِتُرْشِدَ بِهِ خَلْقَ اللَّهِ ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَتُدَافِعَ بِهِ عَنِ دِينِكَ وَنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ كَانَ وَبِالْأَعْلَى ، وَتَحْسِبُ عَيْنَكَ ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِيَ فِي الظُّلُمَاتِ ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَاتِ ، وَتَنْظُرُ بِهَا بِعَيْنِ الْاِغْتِبَارِ إِلَى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ ؛ فَاحْفَظْهَا عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمُحْرَمَاتِ ، مِنْ نَظَرٍ إِلَى غَيْرِ مُحْرَمٍ مِنَ النِّسَاءِ ، أَوْ إِلَى مُسْلِمٍ بِعَيْنِ الْاِحْتِقَارِ وَالِازْدِرَاءِ ، أَوْ إِلَى تَلْفِيزِيُونٍ أَوْ إِلَى سَيْنَمَاءِ ، أَوْ إِلَى صُورَةٍ مَلِيحَةٍ بِشَهْوَةٍ ، أَوْ تَطَّلِعَ بِهَا عَلَى عَيْبِ مُسْلِمٍ ، أَوْ إِلَى بَيْتِ جَارٍ أَوْ غَيْرِ جَارٍ مِمَّنْ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحْرَمَاتِ .

وَأَمَّا الْأُذُنُ فَاحْفَظْهَا عَنِ أَنْ تُصْغِيَ بِهَا إِلَى اسْتِمَاعِ الْمَسَآهِي وَالْمُنْكَرَاتِ ، أَوْ إِلَى بَدْعَةٍ أَوْ إِلَى غَيْبَةٍ أَوْ فُحْشٍ ، أَوْ قَذْفِ مُسْلِمٍ أَوْ

حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لاسْتِمَاعِكَ كَارِهُونَ ، أَوْ إِلَى الْخَوْصِ بِالْبَاطِلِ ، أَوْ ذَكَرِ مَسَاوِيءِ النَّاسِ ، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ وَلِتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، الْمُوصِلَةِ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، الدَّائِمِ فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَإِذَا أَصَغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ أَوْ الْمَكْرُوهَاتِ ، صَارَ مَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ ، وَانْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ سَبَبَ هَلَاكِكَ ، وَهَذَا غَايَةُ الْخُسْرَانِ ، وَلَا تَظُنَّ أَنَّ الْإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ الْقَائِلُ دُونَ الْمُسْتَمِعِ إِلَّا إِنْ أَنْكَرَ بِلِسَانِهِ ، أَوْ بِقَلْبِهِ أَنْ خَافَ ، وَأَنْ قَدِرَ عَلَى الْقِيَامِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنْهُمْ ، أَوْ قَدِرَ عَلَى قَطْعِ الْكَلَامِ بِكَلَامٍ آخَرَ فَلَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ آثِمٌ ، وَكَذَلِكَ يَكْفُؤُ الْبَطْنَ وَالْفَرْجَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَالْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَحَاسَةَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ .

شِعْرًا : أَحْبَابَنَا نُوبُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ وَأَمْرٌ مِنْهَا رِفْعَةٌ السُّفَهَاءِ
 هَلْ يَسْتَقْبِئُ النَّاسُ مِنْ سَكَرَاتِهِمْ وَتَرَى التُّذُولَ بِذِلَّةٍ وَبِلَاءِ
 آخِر : وَقَائِلَةٌ شِبْتُمْ فَقُلْتُ لَهَا شِبْنَا

وَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ أَنْشِبْنَا
 وَبَا لَيْتِنَا لَمَّا تَقَضَى شِبَابُنَا
 خَلَصْنَا وَأَخْلَصْنَا وَلَكِنَّا شِبْنَا
 فَيَا عَجَبًا مِنَّا عَلَى اللَّهِ نَجْتَرِي
 وَتَهْوِي سَوَافِي الرِّيحِ أَرْوَاحَنَا جُبْنَا
 وَكَيْفَ أَضْعَعْنَا بَاقِيًا لِمُعْجَلٍ
 سَيَفِنِي لَقَدْ نَلْنَا بِصَفْقَتِنَا غَبْنَا
 وَكَمْ صَرَفْتَنَا بَيْنَ مَلْهَى وَمَلْعَبِ
 فَمَا إِنْ نَكَّرْنَا قُبْحَ ذَاكَ وَمَا عِبْنَا

وَنَادِي سَفَاهٍ قَدْ حَضَرْنَا وَإِنَّمَا
 عَنِ الرُّشْدِ وَالتَّوْفِيقِ يَوْمِيذٍ غَبْنَا
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ جَوَابُنَا
 إِذَا نَحْنُ فِي وَفْدِ الْقُبُورِ غَدَاً أَبْنَا
 أَيْنَفُحُ إِنْكَارُ وَذُو الْعَرْشِ عَالِمٌ
 بِمُودَعَةٍ صَدْرًا وَمُلْزَمَةٍ ضَبْنَا
 أَلَا لَيْسَ إِلَّا عَفْوُهُ عَن ذُنُوبِنَا
 فَإِنْ يَخِبُ التَّقْدِيرُ فِيهِ فَقَدْ خَبْنَا

اللَّهُمَّ نَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ
 عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ نَوَّرْتَ قُلُوبَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهْلَتَهُمْ لِخِدْمَتِكَ ،
 وَحَرَسَتْهُمْ مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ فِي الْقَذْفِ

اعْلَمْ - وَفَقْنَا اللَّهُ وَآيَاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ
 الْقَذْفَ - الَّذِي هُوَ الرَّمْيُ بِالزَّنَا - مُحَرَّمٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ ، أَمَّا
 الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ
 شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ
 الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ » وَعَدَّ مِنْهَا « قَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ »

الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا عَظَّمَ جَلَّ وَعَلَا أَمْرَ الزَّانِي بِوُجُوبِ جَلْدِهِ ،
 وَكَذَا رَجْمِهِ إِنْ كَانَ مُحْصَنًا ، وَأَنَّهُ لَا تَجُوزُ مَقَارَنَتُهُ وَلَا مُخَالَطَتُهُ عَلَى وَجْهِ
 لَا يَسْلَمُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ ، بَيْنَ تَعَالَى تَعْظِيمِ الْأَقْدَامِ عَلَى رَمِي الْأَعْرَاضِ
 الْمُحْصَنَةِ الْعَفِيفَةِ بِالزَّنَا ، وَشَدَّدَ فِي عُقُوبَتِهِ ، فَأَوْجَبَ عَلَى الْقَاضِفِ إِذَا لَمْ
 يُقِمَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى مَا قَالَ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ .

(أَحَدُهَا) أَنْ يُجْلَدَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً (الثَّانِي) أَنْ تُرَدَّ شَهَادَتُهُ ، فَيَكُونُ
 سَاقِطَ الْأَعْتِبَارِ فِي النَّاسِ ، مُلغَى الْقَوْلِ ، لَا تُسْمَعُ لَهُ كَلِمَةٌ ، وَلَا تُقْبَلُ
 شَهَادَتُهُ ، وَلَوْ حُدَّ لِلْقَذْفِ حَتَّى يَتُوبَ (الثَّلَاثُ) أَنَّهُ يَكُونُ فَاسِقًا ، لَيْسَ
 بِعَدْلٍ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ النَّاسِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ يَعْمَدُ إِلَى امْرَأَةٍ مُتَمَتِّعَةٍ
 بِالْحِصَانَةِ وَالْعِفَّةِ وَالنِّزَاهَةِ ، بَعِيدَةً عَنِ الرَّيْبَةِ ، رَبُّمَا أَنَّهَا لَا تَخْطُرُ لَهَا
 بِيَالٍ ، وَلَا تُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهَا وَرَبُّمَا كَانَتْ ذَاتَ دِينٍ ، غَافِلَةً عَنْهُ ، مُقْضِيَةً
 وَقْتَهَا فِي إِصْلَاحِ شَأْنِهَا ، وَتَدْبِيرِ بَيْتِهَا ، وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا ، وَتَطْهِيرِ نَفْسِهَا ،
 فَيَرْمِيهَا بِالزَّنَا الَّذِي يَثْلُمُ بِهِ عِرْضَهَا ، وَيَجْرَحُهَا ، وَيُسْبِغُ الْفَاحِشَةَ عَلَيْهَا ،
 وَيُسْوَهُ بِهَ سُمْعَتِهَا وَتَسُوءُ بِهِ حَالَهَا ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ سَيِّئِ الْأَثَامِ مَا يُجْلِبُ
 الْهُمُومَ وَالْغُمُومَ وَالْإِنْكَادَ وَالْأَحْزَانَ وَمَاذَا تَكُونُ نَظَرَةُ النَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى
 الْمَقْدُوفِ وَأَسْرَتِهِ ، وَمَاذَا يَكُونُ غَضَبُهُمْ عَلَى الْقَاضِفِ وَمَنْ سَاعَدَهُ وَنَشَرَ
 مَعَهُ الْفَاحِشَةَ ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

وَقَالَ سَيِّدُ قُطْبٍ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : إِنْ تَرَكَ الْأَلْسِنَةَ تُلْقِي
 التُّهْمَ عَلَى الْمُحْصَنَاتِ - وَهِنَّ الْعَفِيفَاتِ الْحَرَائِرِ ثِيَابِ أَوْ أَبْكَاراً - بِدُونِ
 دَلِيلٍ قَاطِعٍ يَتْرُكُ الْمَجَالَ فَيَسِيحًا لِكُلِّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَقْدِفَ بَرِيئَةً أَوْ بَرِيئًا بِتِلْكَ
 التُّهْمَةِ النَّكْرَاءِ ، ثُمَّ يَمْضِي آمِنًا فَتُصْبِحُ الْجَمَاعَةُ وَتُمْسِي وَإِذَا أَعْرَاضُهَا

مُجْرَحَةً ، وَسَمِعْتُهَا مُلَوِّثَةً ، وَإِذَا كُلُّ فَرْدٍ فِيهَا مُتَّهَمٌ أَوْ مُهَدَّدٌ بِالْإِتِّهَامِ ،
وَإِذَا كُلُّ زَوْجٍ فِيهَا شَاكٌ فِي زَوْجِهِ ، وَكُلُّ رَجُلٍ فِيهَا شَكٌّ فِي أَصْلِهِ ،
وَكُلُّ بَيْتٍ فِيهَا مُهَدَّدٌ بِالْإِنْهِيَارِ ، وَهِيَ حَالَةٌ مِنَ الشُّكِّ وَالْقَلَقِ وَالرَّيْبَةِ لَا
تُطَاقُ ، ذَلِكَ إِلَى إِنْ أَطْرَادِ سَمَاعِ التُّهْمِ يُوجِي إِلَى النُّفُوسِ الْمُتَحَرِّجَةِ
مِنْ اِرْتِكَابِ الْفِعْلَةِ أَنْ جَوَّ الْجَمَاعَةَ كُلُّهُ مُلَوِّثٌ ، وَأَنَّ الْفِعْلَةَ فِيهَا شَائِعَةٌ ،
فَيَقْدِمُ عَلَيْهَا مَنْ كَانَ يَتَحَرَّجُ مِنْهَا ، وَتَهُونُ فِي حِسِّهِ بِسَاعَتِهَا ، بِكَثْرَةِ
تَرْدَادِهَا وَشُعُورِهِ بِأَنَّ كَثِيرِينَ غَيْرَهُ يَأْتُونَهَا ، وَمِنْ ثَمَّ لَا تُجْدِي عُقُوبَةُ الزَّانَا
فِي مَنَعِ وَقُوعِهِ ، وَالْجَمَاعَةُ تُمَسِّي وَتُصْبِحُ وَهِيَ تَتَنَفَّسُ فِي ذَلِكَ الْجَوِّ
الْمُلَوِّثِ ، الْمَوْجِي بِارْتِكَابِ الْفَحْشَاءِ ، لِهَذَا وَصِيَانَةٌ لِلْأَعْرَاضِ مِنْ
التَّهْجَمِ وَحِمَايَةٌ لِأَصْحَابِهَا مِنَ الْآلَامِ الْفَظِيحَةِ الَّتِي تُصَبُّ عَلَيْهِمْ ، شَدَّدَ
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي عُقُوبَةِ الْقَذْفِ ، فَجَعَلَهَا ، قَرِيبَةً مِنْ عُقُوبَةِ الزَّانَا . .
ثَمَانِينَ جَلْدَةً . . مَعَ اسْقَاطِ الشَّهَادَةِ وَالْوَصْمِ بِالْفِسْقِ . . وَالْعُقُوبَةُ الْأُولَى
جَسَدِيَّةٌ . وَالثَّانِيَةُ أَدْبِيَّةٌ فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ ، وَيَكْفِي أَنْ يُهْدَرَ قَوْلُ
الْقَازِفِ فَلَا يُؤْخَذُ لَهُ بِشَهَادَةٍ ، وَأَنْ يَسْقُطَ اِعْتِبَارُهُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَمْشِي
بَيْنَهُمْ مُتَّهَمًا لَا يُوثِقُ لَهُ بِكَلَامٍ .

وَالثَّلَاثَةُ دِينِيَّةٌ فَهِيَ مُنْحَرِفٌ عَنِ الْإِيمَانِ ، خَارِجٌ عَنِ الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ . . ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ الْقَازِفُ بِأَرْبَعَةٍ يَشْهَدُونَ بِرُؤْيَا الْفِعْلِ ، أَوْ
بِثَلَاثَةٍ مَعَهُ إِنْ كَانَ قَدْ رَأَاهُ ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ إِذَا صَحِيحًا ، وَيُوقَعُ حَدُّ الزَّانَا
عَلَى صَاحِبِ الْفِعْلَةِ ، وَالْجَمَاعَةُ الْمُسْلِمَةَ لَا تَخْسَرُ بِالسُّكُوتِ عَنْ تُّهْمَةٍ
غَيْرِ مُحَقَّقَةٍ ، كَمَا تَخْسَرُ بِشُيُوعِ الْإِتِّهَامِ وَالتَّرْخُصِ فِيهِ ، وَعَدَمِ التَّحَرُّجِ
مِنْ الْإِدَاعَةِ بِهِ وَتَحْرِيطِ الْكَثِيرِينَ مِنَ الْمُتَحَرِّجِينَ عَلَى اِرْتِكَابِ الْفِعْلَةِ

التي كانوا يستقذرونها ، وَيَظُنُّونَهَا مَمْنُوعَةً فِي الْجَمَاعَةِ أَوْ نَادِرَةً ، ذَلِكَ
فَوْقَ الْأَلَامِ الْفَطِيْعَةِ الَّتِي تُصِيبُ الْحَرَائِرَ الشَّرِيفَاتِ ، وَالْأَحْرَارَ الشُّرَفَاءِ ،
وَفَوْقَ الْأَثَارِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا فِي حَيَاةِ النَّاسِ ، وَطُمَأْنِينَةِ الْبُيُوتِ . انْتَهَى
اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيْدِنَا بِثَوْرِ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ
الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ : سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ لَا يُؤَاخِذَ مُذْنِبًا بِذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ ، أَوْ
جَرِيْمَةً اجْتَرَمَهَا ، أَوْ جَرِيْرَةً ارْتَكَبَهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يُنْبَغِي أَنْ يَتَّقُوهُ
مِنْ مَحَارِمِهِ ، وَيَجْتَنِبُوهُ مِنَ الْمُؤَبَقَاتِ ، الْمُؤَدِّيَةِ بِهِمْ إِلَى هَوَاةِ الْهَلَاكِ
وَالدَّمَارِ ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ ، ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي
عَوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ فِيهِ
هُدًى ، وَتَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي دُنْيَاهُمْ وَأٰخِرَاهُمْ ،
فَاسْتَمْسَكَ الْمُسْلِمُونَ مُدَّةً مِنَ الدَّهْرِ بِهَدْيِهِ ، وَتَخَلَّقُوا بِآدَابِهِ ، فَكَانُوا فِي
ذَلِكَ الْحِينِ أَهْلَ الْحَوْلِ وَالطُّوْلِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ ، تَعْنُو لَهُمُ الْوُجُوهُ ،
وَتَخَضَعُ لَهُمُ الرَّقَابُ فَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ مُنَارِعُ إِلَّا ابْتَرُوا مُلْكَهُ ، وَاسْتَبَاحُوا مَكَانَ
الْعِزَّةِ مِنْهُ ، وَآخَذُوا بِطَرْفِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، كَانُوا
فِي تِلْكَ الْأَزْمَانِ يَعْمَلُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَيَتَّقُونَهُ ، وَيُحْسِنُونَ فِي عِبَادَتِهِ وَإِلَى
عِبَادِهِ ، وَيُصْبِرُونَ عَنِ مَعَاصِيهِ ، وَعَلَى أَقْدَارِهِ ، فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُمْ بِعَوْنِهِ

وَتَوْفِيقِهِ ، وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَسْدِيدِهِ ، يَا عَبَادَ اللَّهِ كَانَ كِبْرَاءُ النَّاسِ وَسَادَتُهُمْ فِي الصُّدْرِ الْأَوَّلِ أَشَدُّ النَّاسِ ظُهُورًا بِالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ تَقْتَدِي بِهِمُ الْعَامَّةُ فِي تَوْجِيدِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ ، فَانْعَكَسَتْ عَلَيْنَا الْآنَ الْقَضِيَّةُ ، وَصَارَ الْعَامَّةُ أَشَدُّ تَمَسُّكًا بِالدِّينِ ، وَأَرْسَى عَقِيدَةً ، مِنْ أَوْلَيْكَ ، وَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُثَقَّفُونَ ، يَحْمِلُونَ الْمُؤَهَّلَاتِ الْمَعْرُوفَةَ أَرْهَدَ النَّاسِ فِي الدِّينِ ، وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ تَعَالِيهِ ، نَبَذَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ كَمَا تُنْبَذُ النَّوَاةُ ، لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا عَلَى عَيْبٍ فِي الدِّينِ ، أَوْ هَفَوُوا فِي أَصُولِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ مُقَلِّدُونَ فِي هَذَا الضَّلَالِ لِقَوْمٍ عَرَفُوا ﴿ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ وَرَأَوْا تَكَالِيفَ الدِّينِ وَتَعَالِيَهُ لَا تَتَّفِقُ مَعَ شَهَوَاتِهِمْ وَمَلَاذِمِهِمْ ، فَاتَّخَذُوا الْخُرُوجَ عَنِ تَكَالِيفِهِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَلَاذِ الْحَيَاةِ ، ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

شِعْرًا :

يَقُولُونَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بَأَنَّهُ	يَصُدُّ ذَرِيَّةً عَنِ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
وَلَوْ كَانَ ذَا حَقًّا فَكَيْفَ تَقَدَّمَتْ	أَوَائِلُهُ فِي عَهْدِهَا الْمُتَقَدِّمِ
وَإِنْ كَانَ ذَنْبُ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ جَهْلُهُ	فَمَاذَا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَهْلِ مُسْلِمٍ
هَلِ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ	وَهَلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ
لَقَدْ أَيْقَظَ الْإِسْلَامُ لِلْمَجْدِ وَالْعُلَى	بِصَائِرِ أَقْوَامٍ عَنِ الْمَجْدِ نُورِمْ
فَأَشْرَقَ نُورُ الْعِلْمِ مِنْ حُجْرَاتِهِ	عَلَى وَجْهِ عَصْرِ بِالْجَهَالَةِ مُظْلِمِ
وَدَكَ خُصُومَ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْهُدَى	وَقَوَّضَ أَطْنَابَ الضَّلَالِ الْمُخَيِّمِ
وَأَنْشَطَ بِالْعِلْمِ الْعَزَائِمَ وَابْتَنَى	لِأَهْلِيهِ مَجْدًا لَيْسَ بِالْمُتَهَنِّمِ
وَأَطْلَقَ أَذْهَانَ الْوَرَى مِنْ قِيُودِهَا	فَطَارَتْ بِأَفْكَارٍ عَلَى الْمَجْدِ حُومِ
وَفَكَ أَسَارَ الْقَوْمِ حَتَّى تَحْفَرُوا	نُهُوضًا إِلَى الْعُلْيَاءِ مِنْ كُلِّ مُجْتَمِعِمْ
فَخَلَوْا طَرِيقًا لِلْبِدَاوَةِ مَجْهَلًا	وَسَارُوا بِنَهْجِ لِلْحَضَارَةِ مُعَلِّمِ

فَدَوَتْ بِمُسْتَنِّ الْعُلَى نَهَضَاتُهُمْ كَزَعَزَعِ رِيحٍ أَوْ كَتَيَّارِ غَيْلِمٍ
وَعَمَّا قَلِيلٍ طَبَّقَ الْأَرْضَ حُكْمُهُ بِأَسْرَعٍ مِنْ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْفِئِمِ
وَقَدْ حَاكَتْ الْأَفْكَارُ عِنْدَاصْطِلَامِهَا تَلَأُلُوْا بَرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَزِّمِ
وَلَا حَتَّ تَبَاشِيرُ الْحَقَائِقِ فَانْجَلَتْ عَنِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا سُكُوكُ التَّوْهِمِ
فَلَيْسَ لِمُتْرٍ نَقْصُهُ حَقٌّ مُعْدِمٌ وَلَا عَرَبِيٌّ بَخْسُهُ فَضْلٌ أَعْجِمِ
وَلَا فَخْرٌ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِدِينِهِ وَلَا فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقَى وَالتَّكْرَمِ
آخر:

هُوَ الْمَوْتُ فَاصْنَعْ كُلُّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ
وَأَنْتَ لِكَأْسِ الْمَوْتِ لَا بُدَّ جَارِعُ
أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْمُخَادِعُ نَفْسَهُ
رُؤِيداً أَتَدْرِي مَنْ أَرَاكَ تُخَادِعُ
وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِيَغَيِّرَ بِلَاغِهِ
سَتَرُكُهَا فَانظُرْ لِمَنْ أَنْتَ جَامِعُ
فَكَمْ قَدْ رَأَيْتَ الْجَامِعِينَ قَدْ أَصْبَحَتْ
لَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ التَّرَابِ مَضَاجِعُ
لَوْ أَنَّ ذَوِي الْأَبْصَارِ يَرَعُونَ كُلَّمَا
يَرَوْنَ لَمَا جَفَّتْ لِعَيْنِ مَدَامِعُ
طَفَى النَّاسُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَقَدْ دَرَسَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ الشَّرَائِعُ
وَصَارَتْ بَطُونُ الْمُرْمَلَاتِ خَمِيضَةً
وَأَيْتَامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعُ
وَإِنَّ بَطُونَ الْمُكْثِرِينَ كَأَنَّمَا
يُنْقِئُ فِي أَجْوَابِهِنَّ الضُّفَادِعُ

فَمَا يَعْرِفُ الْعَطْشَانَ مَنْ طَالَ رِيُّهُ
وَلَا يَعْرِفُ الشُّبْعَانَ مَنْ هُوَ جَائِعٌ
وَتَضْرِيفُ هَذَا الْخَلْقِ لِلَّهِ وَخَدَهُ
وَكُلُّ إِلَيْهِ لَا مَحَالَةَ رَاجِعٌ
وَلِلَّهِ فِي الدُّنْيَا أَعَاجِيبُ جَمَّةٌ
تَدُلُّ عَلَى تَدْبِيرِهِ وَبَدَائِعُ -
وَلِلَّهِ أَسْرَارُ الْأُمُورِ وَإِنْ جَرَتْ
بِهَا ظَاهِرًا بَيْنَ الْعِبَادِ الْمَنَافِعُ
وَلِلَّهِ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ بِعِلْمِهِ
أَلَّا فَهَوَ مُعْطٍ مَا يَشَاءُ وَمَانِعٌ
إِذَا ظَنَّ مَنْ تَرَجُّو عَلَيْكَ بِنَفْعِهِ
فَدَعُهُ فَإِنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا مُنَاهُ وَهْمُهُ
سَبَبُهُ الْمُنَى وَاسْتَعْبَدَتْهُ الْمَطَامِعُ
وَمَنْ عَقَلَ اسْتَحْيَى وَأَكْرَمَ نَفْسَهُ
وَمَنْ قَنِيعَ اسْتَغْنَى فَهَلْ أَنْتَ قَانِعٌ
لِكُلِّ أَمْرٍ رَأْيَانٍ رَأْيِي يَكْفُهُ
عَنِ الشَّرِّ أَحْيَانًا وَرَأْيِي يُنَازِعُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ
تَكْفِيَنَا مَا أَمَّنَّا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ ، وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَّانَا ، وَأَنْ تَغْفِرَ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ
اللَّهُمَّ كَمَا صُنَّتْ وُجُوهُنَا عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنْ وُجُوهُنَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ
لِغَيْرِكَ ، اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَوَى وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ فَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى

لَا يَظُلُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ اللَّهُمَّ لَا تَشْغَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ حَوَالًا لِعَيْرِكَ وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« فصل » وَصَرِيحِ الْقَذْفِ أَنْ يَقُولَ : يَا زَانِي ، أَوْ يَقُولَ لَهُ : يَا لُوطِي ، أَوْ يَا عَاهِرُ ، أَوْ يَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ زَنَيْتَ ، أَوْ زَنَى فَرْجُكَ ، أَوْ يَا مَنِيُوكُ أَوْ يَا وَلَدَ الزَّانِي ، أَوْ يَا وَلَدَ الزَّانِيَةِ فِيهِ الْأَوَّلِ قَذْفٌ لَهُ ، وَفِي الْأَخِيرَتَيْنِ قَذْفٌ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، أَوْ يَقُولُ لِابْنَتِهَا يَا ابْنَةَ الزَّانِيَةِ وَكِنَايَتُهُ أَيِ الْقَذْفِ أَنْ يَقُولَ ، يَا قَحْبَةَ ، أَوْ يَا فَاجِرَةَ ، أَوْ يَا خَبِيثَةَ فِيهِ الصَّرِيحُ - إِذَا اجْتَمَعَتِ الشُّرُوطُ - يُحَدُّ ثَمَانِينَ ، وَفِي الْكِنَايَةِ إِذَا فَسَّرَهَا بِذَلِكَ .

وَالشُّرُوطُ الْمَعْتَبَرَةُ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ (أَحَدُهُمَا) مُطَالَبَةُ الْمَقْدُوفِ لِلْقَازِفِ بِحَقِّهِ ، وَاسْتِدَامَةُ الطَّلَبِ إِلَى إِقَامَةِ الْحَدِّ ، بِأَنْ لَا يَعْفُو ، (وَالثَّانِي) أَنْ لَا يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ عَلَى مَا قَذَفَهُ بِهِ ، لِمَفْهُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ ﴾ وَالشُّرْطُ (الثَّلَاثُ) أَنْ لَا يُصَدِّقَهُ الْمَقْدُوفُ ، فَإِنْ صَدَّقَهُ لَمْ يُقَمَّ عَلَيْهِ الْحَدُّ ، لِأَنَّ تَصَدِيقَهُ لَهُ أَبْلَغُ مِنْ إِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ ، وَيُشْتَرَطُ أَنْ لَا يُبْلَغَ الْقَازِفُ الْمَقْدُوفَ ، إِنْ كَانَ الْقَازِفُ زَوْجًا ، فَإِنْ لَاعَنَ سَقَطَ عَنْهُ الْحَدُّ ، وَيُعْزَرُ بِقَوْلِهِ يَا كَافِرُ يَا مُنَافِقُ ، يَا سَارِقُ يَا فَاسِقُ يَا فَاجِرُ يَا حِمَارُ يَا تَيْسُ يَا رَافِضِي يَا عَدُوَّ اللَّهِ يَا جَائِرُ ، يَا شَارِبَ الْخَمْرِ يَا كَذَّابُ أَوْ كَاذِبُ أَوْ يَا ظَالِمُ أَوْ يَا خَائِنُ ، أَوْ يَا مُخَنَّثُ أَوْ يَا قَوَادُ أَوْ دَيُوثُ . وَالِدَيُوثُ هُوَ الَّذِي يُقِرُّ الْفَاحِشَةَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَالْقَوَادُ هُوَ السُّمَسَارُ فِي الزُّنَا وَبِاللُّغَةِ الشَّعْبِيَّةِ الْجَرَّارُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَاقِعُونَ فِي الْقَذْفِ الَّذِي فِي الْحَقِيقَةِ عَلَيْهِمْ عُقُوبَتُهُ دُنْيَا وَأُخْرَى . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَقِيمُونَ لِهَذَا الْقَوْلِ وَزُنَا ، فَلِهَذَا لَا يُسْمَعُ لِهَذَا الْحَدِّ ذِكْرٌ ، وَلَا لِلْمُطَالَبَةِ بِهِ ، وَهَذَا غَلَطٌ ، بَلْ يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى كِرَامَتِهِ ، وَيُطَالِبَ بِحَقِّهِ ، لَا سِيَّمَا وَفِي الْمَطَالَبَةِ فِي مِثْلِ حَدِّ

الْقَذْفِ رَدْعٌ لَهُؤْلَاءِ الْمُطْلَقِينَ لِأَلْسِنَتِهِمُ الْعِنَانُ فِي الْفُحْشِ وَالسَّبِّ ، وَنَشْرٍ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تَضُرُّهُمْ وَتَضُرُّ غَيْرَهُمْ ، فِيهِ الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ فِيهَا ، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » وَقَالَ لَهُ مَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَا لَمُوْآخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ « ثِكْلَتِكَ أُمَّكَ يَا مَعَاذُ ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » وَفِي الْحَدِيثِ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ : مَا النِّجَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسْمَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ » « وَأَنْ أَبْعَدَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي » إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلامِ شَرْطًا لَا يَسْلُمُ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ الزَّلَلِ إِلَّا إِذَا عَمِلَ بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلَا يَعْزَى مِنَ النِّقْصِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ وَهِيَ أَرْبَعَةٌ .

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ - أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ لِذَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ أَمَا الَّذِي لَا ذَاعِي لَهُ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ فَتَرْكُهُ أَوْلَى .
وَالشَّرْطُ (الثَّانِي) أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ ، وَيَتَوَخَّى بِهِ إِصَابَةَ فُرْصَتِهِ ، بَأَنْ يَتَرَقَّبَهَا وَيَتَحَرَّاهَا .

وَالشَّرْطُ (الثَّالِثُ) أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ .

وَالشَّرْطُ (الرَّابِعُ) أَنْ يَتَخَيَّرَ اللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ ، فَأَمَّا الَّذِي لَا ذَاعِي لَهُ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ هَذَايَانِ ، وَمَا لَا سَبَبَ لَهُ هَجْرٌ ، وَمَنْ سَامَحَ نَفْسَهُ فِي الْكَلَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ وَهَبَّ فِي خَاطِرِهِ ، وَلَمْ يُرَاعِ صِحَّةَ دَوَاعِيهِ ، وَاصَابَةَ مَعَانِيهِ ، كَانَ قَوْلُهُ مَرْدُولًا ، وَرَأْيُهُ مَعْلُولًا ، كَمَا حُكِيَ أَنَّ

شَابًا كَانَ يُجَالِسُ الْأَخْنَفَ وَيُطِيلُ الصُّمْتَ ، فَأَعَجَبَ ذَلِكَ الْأَخْنَفُ ، فَخَلَّتِ
 الْحَلَقَةُ يَوْمًا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، فَقَالَ الْأَخْنَفُ : تَكَلَّمْ يَا ابْنَ أَخِي . فَقَالَ : يَا
 عَمُّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَقَطَ مِنْ شَرَفِ هَذَا الْمَسْجِدِ هَلْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ
 أَخِي كَيْتَا تَرَكْنَاكَ مَسْتُورًا .

ثم تَمَثَّلَ الْأَخْنَفُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَايُنُ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبًا
 زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
 لِسَانَ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُوَادُهُ
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَمِّ

فَلِسَانَ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ ، فَإِنْ
 كَانَ دِينًا أَوْ دُنْيَا تَكَلَّمَ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ كَالْقَذْفِ وَالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ أَمْسَكَ ،
 فَلَا يُخْرِجُهُ ، وَقَلْبُ الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ ،
 فَالْعَاقِلُ يَتَفَكَّرُ وَيَزِنُ كَلَامَهُ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَرَى أَنَّ فِيهِ لَهُ مَصْلَحَةٌ ، وَلَا مَضْرَّةَ
 فِيهِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ لَمْ يَعُدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ
 خَطَايَاهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : أَحْبَسْ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يَحْسِبَكَ أَوْ يُتَلَفَ
 نَفْسَكَ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذٍ « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُمْ
 إِلَّا حَصَائِدُ السِّتِّهِمْ » وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ ، كَثُرَتْ آثَامُهُ .
 فعليك بطريق السلف الذين عمروا أوقاتهم بتقوى الله .

قُلُوبٌ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالذِّكْرِ تَعْمُرُ وَأَوْجُهُهُمْ بِالْقُرْبِ وَالْبَشْرِ تَزْهَرُ
 يُنَاجُونَ مَوْلَاهُمْ بِفَرْطِ تَضَرُّعٍ وَأَذْمُعُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَقْطُرُ

آخر: صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى قَوْمٍ شَهِدْتَهُمْ

كَانُوا إِذَا ذَكَرُوا أَوْ ذُكِرُوا شَهِقُوا

كَانُوا إِذَا ذَكَرُوا نَارَ الْجَحِيمِ بَكَوْا
 وَإِنْ تَلَا بَعْضُهُمْ تَخْوِيفَهَا صَبَحُوا
 مِنْ غَيْرِ هَمَزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ يَأْخُذُهُمْ
 عِنْدَ التَّلَاوَةِ إِلَّا الْخَوْفُ وَالشَّفَقُ
 صَرَخَى مِنَ الْحُزَنِ قَدْ سَجَّوْا يُيَابَهُمْ
 بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي أَوْدَاجِهِمْ رَمَقُ
 حَتَّى تَخَالَهُمْ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ
 مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْإِسْفَاقِ قَدْ زَهَقُوا
 صَانُوا الْعُيُونَ عَنِ الْعَوَارِ جُهِدَهُمْ
 وَفِي لُحُومِ الْوَرَى وَالْكَذِبِ مَا نَطَقُوا

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ
 بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَعِصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ الْمُوبِقَاتِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَتَلَقَاهُمْ
 الْمَلَائِكَةُ بِالْبَشَارَاتِ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُنَا فِي الْقِيلِ وَالْقَالِ ، وَالغَيْبَةِ
 وَالنَّمِيمَةِ ، وَالْمَدَاهِنَةِ ، وَالْأَنْهَمَاكِ فِي الدُّنْيَا ، إِلَى أَنْ اسْتَلْحَقَ كَثِيرٌ مِنَ
 النَّاسِ جُزْءًا مِنَ اللَّيْلِ مُضَافًا إِلَى النَّهَارِ ، وَكَأَنَّنا لَمْ نُخْلَقْ إِلَّا لِهَذِهِ
 الْأَعْمَالِ ، أَفَلَا نَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَنَحْفَظُ السِّتِينَ عَنْ نَهْسِ أَعْرَاضِ
 الْغَوَافِلِ ، وَالطَّعْنِ فِي الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ ، وَنَصْرِفُ جُلَّ الْأَوْقَاتِ ، إِلَى
 الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، الَّتِي هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ، وَنَذْكُرُ

مَوْلَانَا الَّذِي فَضَّلَهُ عَلَيْنَا مِدْرَارًا ، فَإِنَّ الذِّكْرَ عَاقِبَتُهُ الْجَنَّةُ دَارُ الْكِرَامَةِ
 وَالْقَرَارِ ، مَعَ رِضَى رَبِّنَا الَّذِي دُونَهُ كُلُّ ثَوَابٍ ، تَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُمْ قِيمَةَ هَذِهِ
 التَّصِيحَةِ لَبَادَرْتُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا كُلِّ الْبَدَارِ ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ تَذَكُرُ اللَّهَ أَفْضَلَ
 مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَسَائِرَ الْأَمْوَالِ ، وَأَفْضَلَ مِنْ أَنْ تُجَاهِدَ الْعَدُوَّ
 فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ ، أَوْ تَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتَكُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْأَبْرَارِ ، كَيْفَ لَا
 وَالذُّكْرُ خَيْرُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا ، وَأَرْفَعَهَا لِلدَّرَجَاتِ عِنْدَ مَوْلَانَا الْوَهَّابِ
 حَسْبُ الذَّاكِرِ : أَنْ تَحْفَهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ، وَتَغْشَاهُ
 الرَّحْمَاتُ ، وَمَنْ فِي الْوُجُودِ مِثْلُ الذَّاكِرِ ، وَهُوَ وَقْتُ ذِكْرِهِ لِلَّهِ يَذْكُرُهُ
 بَارِيءُ الْكَائِنَاتِ ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بِالذِّكْرِ فِي حِصْنِ حَصِينٍ ،
 يَحْفَظُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ الْفَاتِنَاتِ ، وَمَنْزَلَةُ الذَّاكِرِ بَيْنَ الْغَافِلِينَ
 كَمَنْزَلَةِ الْحَيِّ بَيْنَ الْمَيِّتِينَ ، ذَكَرَ اللَّهُ يُنِيرُ الْقَلْبَ ، وَيُوقِظُهُ وَيُحْيِيهِ ، وَيُزِيلُ
 رَانَهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ .

شعرا : وَإِنْ أَحْسَنَ قَوْلٍ أَنْتَ سَامِعُهُ قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الَّذِي خَلَقَا
 آخِر : لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مُخْلِصٌ فَطِنٌ يُرِضِي الْإِلَهَ بِاتِّقَانِ الْعِبَادَاتِ
 آخِر : رَجَاءٌ إِلَهَ الْخَلْقِ عِنْدِي ذَخِيرَةٌ وَلِشِدَّةِ الْعُظْمَى تُعَدُّ الدَّخَائِرُ
 آخِر : عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا حَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيِّمِ يَذْكُرُ
 وَصَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنْامِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَالْآلِ مَا دُمْتَ تَقْدِرُ

شِعْرًا : وَالذُّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا

تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمَطَرُ

وَقَالَ الْآخِرُ : وَخَيْرُ مَقَامٍ قُتِمَتْ فِيهِ وَخَصْلَةٌ

آخِر : تَحَلَّتْهَا ذِكْرُ الْإِلَهِ بِمَسْجِدِ

« اجْنُ اسْتِيْقًا لِلْمَسَاجِدِ لَا إِلَى قُصُورٍ وَفُرُشٍ بِالطَّرَازِ مُوشِحُ

وَأَمْنَحُ وُدِّي لِلْمَسَاكِينِ صَافِيًا
 أَجَالِ سُهُمِ وَالْهَجْرَ لِلْغَيْرِ أَمْنَحُ
 فَفِي ذَلِّ نَفْسِي عِزُّهَا وَبِمَوْتِهَا
 حَيَاةٌ لِأَجْلِ الْغَالِي بِالذُّونِ أَسْمَحُ
 « لَنَا بِاعْتِزَالِ لَدُّ فِي جَانِبِ الْهَوَى
 مُجَاوِرَةٌ الْأَسْفَارِ لِلصُّدْرِ تَشْرَحُ »
 « فَإِنْ شِئْتَ تَفْسِيرًا مُرَادَ مُحَقِّقِي
 وَإِنْ شِئْتَ تَوْجِيهًا بِهِ الْمَرْءُ يُفْلِحُ »
 « وَإِنْ رَمْتَ كُتُبًا لِلْحَدِيثِ وَشَرْحِهِ
 وَجَدْتَ وَلَمْ يَعْدُوكَ أَنْسَ وَمَرْبِحُ »
 « وَإِنْ رَمْتَ آدَابًا وَتَارِيخَ مَنْ مَضَى
 وَجَدْتَ وَفَاتَ الْوَقْتُ وَالْفِكْرُ يَسْرَحُ »
 « وَإِنْ رَمْتَ كُتُبَ الْفِقْهِ أَوْ كُتُبَ أَصْلِهِ
 تَنَاوَلْتَ أَحْكَامًا بِهَا الْقَلْبُ يَفْرَحُ
 وَتَسْلَمُ مِنْ قَيْلٍ وَقَالَ وَمِنْ أَدَى
 جَلِيسٍ وَمِنْ وَاشٍ يَنْبُ وَيَجْرَحُ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنُورِهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ فِيهَا مَحَبَّتَكَ ثُبُوتَ
 الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَجَنِّبْنَا جَمِيعَ
 الْمُؤَبَقَاتِ وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا
 نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ وَأَقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ

تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْنَا وَتَعَلَّمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا
يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا
« فصل » عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ أَخْبَرَ رَبُّنَا جَلُّ وَعَلَا أَنَّ حَيَاةَ أُخْرَى ، نُجَازَى فِيهَا عَلَى
مَا كَانَ مِنَّا مِنْ أَعْمَالٍ ، وَلَا شَكَّ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ ، الثَّانِيَةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَخْبَرَ بِهَا فِي كِتَابِهِ ، وَأَخْبَرَ بِهَا حَمِيعُ الرُّسُلِ ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَلَامَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى إِقْتِرَابِهَا ، يَزْدَادُ بِهَا إِيمَانًا ذُو الْقَلْبِ
السَّلِيمِ ، وَهَذِهِ الْعَلَامَاتُ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ، قِسْمٌ ظَهَرَ وَأَنْقَضَى ،
وَهِيَ الْإِمَارَاتُ الْبَعِيدَةُ ، وَقِسْمٌ ظَهَرَ وَلَمْ يَنْقَضِ ، بَلْ لَا يَزَالُ فِي إِزْدِيَادٍ
حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ ظَهَرَ ، وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ وَهِيَ الْإِمَارَاتُ الْقَرِيبَةُ الْكَبِيرَةُ
الَّتِي تَعْقُبُهَا السَّاعَةُ ، فَإِنَّهَا تَتَابَعُ كِنِظَامِ خَرَزَاتِ انْقِطَاعِ سِلْكُهَا .

فَالأُولَى الَّتِي ظَهَرَتْ وَمَضَتْ ، مِنْهَا بَعْثَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَمَوْتُهُ ، وَفَتْحُ الْمَقْدِسِ ، وَقَتْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، وَمِنْهَا وَقَعَةُ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتِيلُ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا
مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ » وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ
ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَسَيُضِلُّحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » وَمِنْهَا
مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَمَا جَرَى عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فِي أَيَّامِهِمْ مِنَ الْأَذْيَةِ ، كَقَتْلِ
الْحُسَيْنِ ، وَرَمِي الْكَعْبَةَ بِالْمُنْجِنِيِّ ، وَنَارُ الْحِجَازِ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهَا أَعْنَاقُ
الْإِبِلِ بِبُضْرَى ، وَمِنْهَا خُرُوجُ كَذَّابِينَ كُلِّ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَمِنْهَا
كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَكَثْرَةُ الزَّلَازِلِ .

الثَّانِيَةُ الْعَلَامَاتُ الْمُتَوَسِّطَةُ ، مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا
تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكْعُ بْنُ لُكْعٍ » وَاللُّكْعُ الْعَبْدُ

الْأَحْمَقُ وَاللَّيِّمُ ، وَالْمَعْنَى : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ اللَّثَامُ وَالْحَمَقِيُّ
وَنَحْوُهُمْ رُؤْسَاءُ النَّاسِ ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَا تَبِيَّ عَلَى
النَّاسِ زَمَانُ الصَّابِرِ عَلَى دِينِهِ - كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
عَنْ أَنَسٍ ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِبَادٌ
جُهَالٌ وَقُرَاءَةٌ فَسَقَةٌ » وَفِي لَفْظِ « فَسَاقٌ » رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَنَسٍ ،
وَمِنْهَا أَنْ يُرَى الْهَيْلَالُ سَاعَةً يَطْلُعُ ، فَيُقَالُ : لِلَيْلَتَيْنِ لِكِبْرِهِ ، رَوَى مَعْنَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَفِي لَفْظِ « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ انْتِفَاحُ الْأَهْلَةِ » أَي
عِظْمُهَا .

وَمِنْهَا انْحِسَارُ الْفِرَاتِ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ
« لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا » قُلْتُ : أَجَلٌ قَالَ :
أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « يُوشِكُ الْفِرَاتُ أَنْ
يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ مَنْ
عِنْدَهُ لَيْسَ تَرَكْنَا النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لِيَذْهَبَنَّ بِهِ كِلَهُ » قَالَ « فَيَقْتُلُونَ عَلَيْهِ ،
فَيَقْتُلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعُونَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَمِنْهَا مَا فِي حَدِيثِ ابْنِ
مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ
بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ وَفُشُوُ التَّجَارَةِ ، حَتَّى تُعَيِّنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا
عَلَى التَّجَارَةِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ ، وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ السَّلَامُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ » رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ ، وَعَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْ
أَقْتَرَابِ السَّاعَةِ مُشَارَكَةُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا فِي التَّجَارَةِ ، وَالتَّسْلِيمُ لِلْمَعْرِفَةِ »
أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ ، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ « إِنَّ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلَّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ ، لَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَعَنْهُ أَيْضاً أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَنْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ ، وَفُشْوُ التُّجَارَةِ ، حَتَّى تُعَيَّنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التُّجَارَةِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، وَظُهُورُ الْقَلَمِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَمِنْهَا مَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا رَأَيْتُمْ الصَّدَقَةَ كُتِمَتْ وَغُلَّتْ ، وَاسْتَوْجِرَ عَلَى الْغَزْوِ ، وَأُخْرِبَ الْعَامِرُ ، وَغُمِرَ الْخَرَابُ ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَمَرَّسُ بِأَمَانَتِهِ ، فَأَنَّكَ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكْتَنِيَ الْمَسَاجِدَ ، وَيُغَمَّرَ خَرَابُ ، وَيُخْرَبَ عُمَرَانُ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ سُوءُ الْجَوَارِ ، وَأَنْ تُجَلَبَ الدُّنْيَا بِالذِّينِ ، وَالتَّعْلِيمَ لِغَيْرِ اللَّهِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ .

وَمِنْهَا تَقْلِيدُ الْأَجَانِبِ ، وَقَدْ وَقَعَ ، حَتَّى أَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ تَرَكُوا الدِّينَ ، وَلَا سِيَّمَا بَعْضُ الْمُتَدَيِّنِينَ ، وَرَأَوْا التَّقَدُّمَ فِي تَقْلِيدِ الْكُفْرَةِ وَرَبَائِبِ الْكُفْرَةِ وَمِنْهَا لَعْنُ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا ، وَقَدْ حَصَلَ ، وَمِنْهَا اتِّخَاذُ الْمَسَاجِدِ طُرُقًا ، وَمِنْهَا مَا قَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكْمًا ، أَنَّهُ قَالَ « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبَسْتُمْ فِتْنَةً ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَرَبُّو فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً ، إِذَا تَرَكَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ تَرَكْتَ السُّنَّةَ » قَالُوا وَمَتَى ذَاكَ ؟ قَالَ « إِذَا ذَهَبَتْ عِلْمَاؤُكُمْ ، وَكَثُرَتْ قُرَاؤُكُمْ ، وَقَلَّتْ فَهْمَاؤُكُمْ ، وَكَثُرَتْ أَمْرَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ أَمْنَاؤُكُمْ ، وَالتَّمَسَّتْ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ »

قُلْتُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ يَتَعَلَّمُونَ لِأَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى شَهَادَةِ
 الْمَاجِسْتِيرِ أَوْ الدِّكْتُورَاهِ أَوْ الْبِكَارِيُوسِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ لِأَجْلِ إِزَالَةِ الْجَهْلِ عَنِ
 نَفْسِهِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ بِتَعْلِيمِهِمْ بَلِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا فَهَوَ تَعَلَّمَ لِغَيْرِ الدِّينِ نَسَأَلُ اللَّهَ
 الْعَافِيَةَ وَهَوْلَاءَ يُنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 هُوْنَ عَلَيْكَ فَمَا تَعُدُّ شَهَادَتُهُمْ جَوَارَ سَفَرٍ إِلَى نَيْلِ الْوَرِيقَاتِ

فَهَذَا الْحَدِيثُ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَقَ رِسَالَتِهِ ،
 فَإِنَّ كُلَّ فِقْرَةٍ مِنْ فِقْرَاتِهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ عَصْرُ الْمَلَاهِي
 وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْفِتَنِ وَالشُّرُورِ ، وَالسُّفُورِ وَالتَّلْفِزِيُونِ وَالفَيْدِيُوتِ وَالمَذَائِبِ
 وَالكُرَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَلْهَى وَأَشْغَلَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ .

شعرا :

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ اشْتَغَلَ
 قَدْ غَرَّهُ طُولُ الْأَمَلِ
 الْمَوْتُ يَأْتِي بَفْتَةٍ
 وَالصَّدْرُ صُنْدُوقُ الْعَمَلِ

قال الله جلَّ وعلا : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْأَمَامُ أَحْمَدُ ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ
 سُلَيْمَانَ مَوْقُوفًا ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ مَرْفُوعًا ، « إِذَا ظَهَرَ
 الْقَوْلُ ، وَخُزِنَ الْعَمَلُ ، وَاتْتَلَفَتِ الْأَلْسُنُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ ، وَقَطَعَ كُلُّ
 ذِي رَجْمٍ رَجْمَهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ » وَمِنْهَا
 مَا أَخْرَجَهُ الْأَمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ مَاجَهَ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مَرْفُوعاً « إِذَا كَانَتْ الْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ ، وَالْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ ، وَالْعِلْمُ فِي مُرَادِكُمْ ، وَالْمُدَاهَنَةُ فِي خِيَارِكُمْ ، يَعْنِي فَتَقْرُبُ إِقَامَةُ السَّاعَةِ .

وَمِنْهَا مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرِي ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنَّ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ ، وَيَكْثُرَ الزَّيْنُ ، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ ، وَيَقِلُّ الرَّجَالُ ، وَيَكْثُرُ النِّسَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيَمُ الْوَاحِدُ » وَمِنْ أَمَارَاتِهَا تَضْيِيعُ الْأَمَانَةِ ، وَاضَاعَتُهَا تَوْسِيْدُ الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَمِنْهَا فَشْوُ الرَّبَا ، وَقَدْ عَمَّ

وقال أحد العلماء رحمه الله تعالى في معرض كلام له :

وإن تشوقتم إلى سماع الأعداء ، وتشوقتم إلى جماع الأمر الذي هو سبب لقولي حذار حذار ، فالتقوا السمع لما أقول ، وتدبروا ما أوردته من الشواهد والتقول ، أليس هذا زمان الصبر ، الصابر فيه كقارض على الجمر ، رأينا فيه ما أندر به الرسول ﷺ وصحت به الأحاديث والتقول لكل سؤؤل ، آيات وعلامات ما كانت تقع فيما مضى منامات ، ويود كل لو أنه عند المنى مات ، ، وقد أمر النبي ﷺ بأن يلزم العالم عندها خاصة نفسه ويدع العوام ، من ذلك الشح المطاع ودنيا مؤثرة ، وهوى له ذو اتباع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه وذلك عين الابتداء ، قد مرجت الأمانات والعهود ، وكثر القائلون بالزور والشهود ، وجم الاختلاف ، وقل الائتلاف ، وكذب الصادق ، وصدق الكاذب ، وخون الأمين ، وأثمن الخائن ، ونطق الرويضة ، وتكلم الرجل النافه في أمر العامة ، وتعلم المتعلم لغير العمل ، وكان التفقه للدنيا وليس له في الآخرة أمل ، وأهين الكبير ، وقدم الصغير ، ورفعت الأشرار ،

ووضعت الأخبار ، فلا يُتبع العليم ، ولا يُستحى من الحليم ، وأخذت البدعة
سنة فلا يُغيرها من مر ، وصار الموت إلى العلماء أحب من الذهب الأحمر ،
واستعلت الجهال على العلماء ، وقهر السفهاء العلماء ، وولي الدين غير
أهله ، وظهر الفحش من كل جاهل على قدر جهله ، انتهى .

الله أكبر في الدفاع سائبدي وهو المعين على نجاح المقصد

وهو الذي نصر النبي محمداً
وبه أصول على جميع خصوصنا
سأسل سهماً في كناية وحيه
وبه سأجدع أنف كل مكابر
وسأستجير بذي الجلال وذى العلا
وسأستمد العون منه على الذي
حتى أشئت شملهم بأدلة
وبنور وحي الله أكشف جهلهم
لا تلمزونا يا خفافيش الدجا
لا تقذفونا بالشذوذ فإننا
ولكل قول نستدل بآية
والنسخ نعرف والعموم وأتينا
ونصوص وحي الله نثقن فهمها
وإذا تعارضت النصوص فإننا
ونحارب التقليد طول زماننا
وكذا الأئمة حُبهم متمكن
وترق أنفسنا لرؤية من غدا

وسينصر المتبعين لإحمد
وأعده عوناً على من يعتدي
وبه أشد على كتاب حسدي
وبه سأرصد للكفور الملحد
فلن أضام إذا استجرت بسيدي
لمز الأحيّة بالكلام المفسد
مثل الصواعق في السحاب الأسود
حتى يبين على رؤوس المشهد
بتطرف وتسرع وتشد
سرننا على نهج النبي محمد
أو بالحديث المستقيم المسند
متفظنون لمطلق ومقيد
لا تحسبون الفهم كالرأي الردي
بأصول سادتنا الائمة نهدي
مع حُبنا للعالم المتجرد
من كل نفس يا بريئة فاشهدي
في ربة التقليد شبه مقيد

إِنَّا نَرَى الثَّقَلَيْنِ ذَاةً قَاتِلًا
 جَعَلَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمُقَلِّدِ حَالِكًا
 فَلَذَا بَدَأْنَا فِي اجْتِنَاثِ جُذُورِهِ
 وَلَسَوْفَ نَدْمُلُ ذَاةَهُ وَجِرَاحَهُ
 نَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ طُولَ حَيَاتِنَا
 وَنُحَارِبُ الشَّرْكَ الْخَبِيثَ وَأَهْلَهُ
 وَكَذَلِكَ الْبِدْعُ الْخَبِيثَةُ كُلُّهَا
 هَذِي طَرِيقَتُنَا وَهَذَا نَهْجُنَا
 لِمَا تَطَعُونَا وَتَلْمِزُونَا كَانْنَا
 الْمِذْهَبَ وَالْعَادَةَ وَحُكُومَةَ
 هَذَا الْحَدِيثِ تَلَالِثُ أَنْوَارِهِ
 إِنْ كُنْتُمْ تَتَضَرَّرُونَ بِنُورِهِ
 بِاللَّهِ قُولُوا مَا الَّذِي أَنْكَرْتُمُوا
 هَدَّذْتُمُونَا بِالْمِذَاهِبِ بَعْدَ مَا
 وَيَهْتُمُونَا بِالْقَبَائِحِ كُلُّهَا
 وَرَفَعْتُمُونَا لِلْوَلَاةِ تَشْفِيًا
 لَأَكُنَّا لَدُنَا بِيَابِ إِيحَاءِنَا
 وَجَلَا الْحَقِيقَةَ لِلْمَلَأِ فَخَسَّاتُمُوا
 يَامَعَشَرَ الْإِخْوَانَ سَيِّرُوا وَأَنْشُرُوا
 وَلِتُعْلِنُوهَا لِلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
 لَا نَطْلُبُ الدُّنْيَا وَلَا نَسْعَى لَهَا
 لَيْسَ الْمَنَاصِبُ هَمَّنَا وَمُرَادُنَا
 إِنَّا لَنَسْعَى فِي صَلَاحِ نُفُوسِنَا

حَجَبَ الْعُقُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَرْشِدِ
 فَتَرَى الْمُقَلِّدَ تَائِهًا لَا يَهْتَدِي
 مِنْ كُلِّ قَلْبٍ خَائِفٍ مُتَرَدِّدٍ
 بِمَرَاهِمِ الْوَحْيِ الشَّرِيفِ الْمُرْشِدِ
 فِي كُلِّ حِينٍ فِي الْخَفَا وَالْمَشْهَدِ
 حَرْبًا ضُرُوسًا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
 نَقْضِي عَلَيْهَا دُونَ بَابِ الْمَسْجِدِ
 فَعَلَامَ أَنْتُمْ دُونَنَا بِالْمَرْصَدِ
 جِنْنَا بِرَأْيِ اللَّعْقِيدَةِ مُفْسِدِ
 تَتَهَرَّبُونَ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ
 رَغَمَ الْجَهُولِ وَرَغَمَ كُلِّ مُقَلِّدِ
 فَالشَّمْسُ تَطْلُعُ رَغَمَ أَنْفِ الْأَرْمَدِ
 عَلَّ الْبَرِيَّةَ لِلْحَقِيقَةِ تَهْتَدِي
 وَضَحَ الدَّلِيلِ فَيْسَسَ مِنْ مُتَهَدِّدِ
 وَعَرَضْتُمُونَا بِالْقِنَاعِ الْأَسْوَدِ
 وَفَرَحْتُمُوا بِتَهْدِيدِ وَتَوَعُّدِ
 فَأَرَاخَنَا مِنْ كُلِّ خَصْمٍ مُعْتَدِ
 وَالسُّوءُ يَظْهَرُ مِنْ خَبِيثِ الْمَقْصِدِ
 وَثِقُوا بِنَصْرِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
 أَنَا بِغَيْرِ مُحَمَّدٍ لَا نَقْتَدِي
 اللَّهُ مُقْصِدُنَا وَنِعْمَ الْمَقْصِدِ
 كَلَّا وَلَا تُؤَبِّخُنَا الْخَدِيعَةَ تَرْتَدِي
 بِعِلَاجِ أَنْفُسِنَا الْمَرِيضَةَ نَبْتَدِي

وَحُبُّ أَنْ نَهْدِي الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا
 وَبِوَاجِبِ الْمَعْرُوفِ نَأْمُرُ قَوْمَنَا
 لَوْ تُبْصِرُ الْأَخْوَانَ فِي حَلَقَاتِنَا
 لَرَأَيْتَ عِلْمًا وَاتِّبَاعًا صَادِقًا
 أَنْعَمَ بِطَلَابِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ
 هُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا مَصَابِيحُ الْهُدَى
 وَرِثَاؤُ النَّبِيِّ فَأَحْسِنُوا فِي إِرْثِهِ
 سَعِدُوا بِهَدْيِ مُحَمَّدٍ وَكَلَامِهِ
 وَالِدَيْنِ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
 وَالْفِقْهُ فَهْمُ النَّصِّ فَهْمًا وَاضِحًا
 لَا تَحْسَبَنَّ الْفِقْهَ مَثَا خَالِيًا
 فَعَلَيْكَ بِالْوَحْيَيْنِ لَا تَعْلُوهُمَا
 فَإِذَا تَعَدَّرَ فَهْمُ نَصِّ غَامِضٍ
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُورِ فَإِنَّهُ
 وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ اقْتَدَى بِمُحَمَّدٍ
 وَيَذُوقُ أَنْوَاعَ الْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى
 فَاصْبِرْ عَلَيْهِ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَائْتِقًا

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ انْتَبَهُوا وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، فَإِنَّ أَعْمَارَكُمْ
 سَرِيعَةٌ الْانْصِرَامِ ، وَالْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي تَمُرُّ بِكُمْ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالدُّنْيَا إِذَا
 تَأَمَّلَهَا اللَّيْبُ رَأَاهَا كَالسَّرَابِ ، وَصَدَقَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِهَا حَيْثُ قَالَ :

شعرا :

حَيَاةٌ وَمَوْتٌ وَانْتِظَارُ قِيَامَةٍ ثَلَاثُ أَفَادَتِنَا أَلُوفٌ مَعَانٍ
 فَلَا تَمُهرُ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ إِنَّهَا تُفَارِقُ أَهْلِيهَا فِرَاقَ لِعَانٍ

وَلَا تَطْلُبَاهَا مِنْ سَنَانٍ وَصَارِمٍ يَوْمَ ضِرَابٍ أَوْ يَوْمِ طَعَانٍ
فَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ تَخْلَصَا مِنْ أذَاتِهَآ مُحِطًا بِهَا الْأَنْقَالَ وَاتَّبَعَانِ
وقال آخر :

الْأَكُلُ حَيٍّ هَالِكٍ وَابْنُ هَالِكٍ
وَدُوُّ نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيْقُ
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ
لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

آخر :

هِيَ الدُّنْيَا تُقُولُ بِمِثْلِ فِيهَا حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ فَتْكِي وَبَطْشِي
فَلَا يَغْرُوكُمْ مَنِّي إِبْتِسَامٌ فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي

آخر :

أَقُولُ وَيَقْضِي اللَّهُ مَا هُوَ قَاضِي وَإِنِّي بِمَا يَقْضِي الْإِلَٰهَ لَرَاضِي
أَرَى الْخَلْقَ يَمْضِي وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ فَيَالَيْتَنِي أُدْرِي لِمَا أَنَا مَاضِي
كَأَنَّ لَمْ أَكُنْ حَيًّا إِذَا حُتَّ غَاسِلِي وَأَسْرَعَ لَفِي فِي ثِيَابِ بِيَاضِي

أَعْوَامٌ سَرِيعَةٌ الْمُرُورِ ، وَشُهُورٌ تَقْتَفِي إِثْرَ شُهُورٍ وَعَبْرٌ بَيْنَ ذَلِكَ
تَتْرَى ، فَعَلَامَ الْغُرُورِ ، فَلَا تَغْتَرُوا بِالدُّنْيَا فَقَدْ نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الْاِغْتِرَارِ
بِهَا ، وَضَرِبَتْ لَكُمْ بِأَخِذِ امْتَالِكُمْ الْاِمْتَالَ ، أَرْتَكُمُ عِينًا كَيْفَ تَقَلَّبَتْ
بِأَهْلِهَا الْاَحْوَالَ ، وَخَدَعَتْهُمُ الْاِمَالَ ، حَتَّى انْتَهَتْ لَهُمُ الْاِجَالَ ، قَبْلَ أَنْ
يَحْضُلُوا عَلَى مَا سَيَتَمُنُونَهُ مِنْ صَالِحِ الْاَعْمَالِ ، فَاسْتَيْقَظُوا مِنْ نَوْمِكُمْ ،
وَخَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا اِكْتَسَبْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الثَّقَالِ ، فَأَيُّ
نَفْسٍ مِنَّا لَمْ تَحْمِلْ ظُلْمًا ، وَأَيُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِنَا لَمْ تَقْتَرِفْ إِثْمًا ،
وَأَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا يَلِيقُ بِذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَأَيُّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِنَا تَمَحَّضَ
لِلطَّاعَةِ وَخَلَا مِنَ الْاِثَامِ ، لَقَدْ جَنِينَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِالذُّنُوبِ جِنَايَةً عَظِيمَةً ،

فَلْيُنُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ ، لَعَلَّهَا تَلِينُ ، وَعِظُوهَا بِذِكْرِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ
فَإِنَّهُمَا لَحَقُّ الْيَقِينِ ، وَذَكَّرُوهُمَا ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ يَوْمَ
يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحَضَّرًا ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

شِعْرٌ : وَفِي دُونِ مَا عَايَنْتَ مِنْ فَجَعَاتِهَا

إِلَى دَفْعِهَا دَاعٍ وَبِالزُّهْدِ أَمْرٌ

فُجْدٌ وَلَا تَغْفُلْ وَكُنْ مُتَيَقِّظًا

فَعَمَّا قَلِيلٍ يَتْرُكُ الدَّارَ عَامِرٌ

وَشَمْرٌ وَلَا تَفْتَرِ فَعُمْرُكَ زَائِلٌ

وَأَنْتَ إِلَى دَارِ الْإِقَامَةِ صَائِرٌ

وَلَا تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ نَعِيمَهَا

وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا غِبُّهُ لَكَ ضَائِرٌ

أَمَا قَدْ نَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَبَلِيلَةٍ

يَرُوحُ عَلَيْنَا صَرْفُهَا وَيُبَاكِرُ

تَعَاوَرْنَا آفَاتُهَا وَهَمُومُهَا

وَكَمَّ قَدْ نَرَى يَبْقَى لَهَا الْمُتَعَاوِرُ

فَلَا هُوَ مَغْبُوطٌ بِدُنْيَاهُ - آمِنٌ

وَلَا هُوَ عَنْ تَطْلَابِهَا النَّفْسَ قَاصِرٌ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ سَنَةِ الْعَفْلَةِ ، وَوَفِّقْنَا لِاِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَفْتَ
فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُتَنَفِعِينَ ، وَإِلَى لَذِيذِ خُطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، وَالْأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ

خاضعين وبالأعمال مُخلصين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المُسلمين
الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى الله على
محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصَلُّ » وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا
حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي مَكَانَ صَاحِبِ
هَذَا الْقَبْرِ ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شِعْرًا : يَبْكِي رَجَالٌ عَلَى الْحَيَاةِ وَقَدْ اِسْتَقْتُ يَا قَوْمِي إِلَى قُرْبِ الْأَجَلِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْرُضَ لِقَلْبِي فِتْنَةٌ فَتَضْرِبُهُ عَنْ طَاعَةِ الْمَوْلَى الْأَجَلِ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ
قَتَلَ ، وَلَا الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ » وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ ، عَنْ
يَسِيرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ . هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ
هُجِيرًا إِلَّا : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتْ السَّاعَةُ قَالَ : فَقَعَدَ وَكَانَ
مَتَكِنًا ، فَقَالَ : إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثٌ ، وَلَا يُفْرَحَ
بِغَنِيمَةٍ ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا ، وَنَحَاهَا نَحْوَ الشَّامِ ، فَقَالَ : عَدُوٌّ يَجْتَمِعُونَ
لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ . قُلْتُ الرَّؤْمُ تَغْنِي؟
قَالَ : نَعَمْ وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رِدَّةً شَدِيدَةً ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً
لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً ، فَيَقْتَلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فَيَفِيءُ
هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّ غَيْرٍ غَالِبٌ ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ
شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً ، فَيَقْتَلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ،
فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّ غَيْرٍ غَالِبٌ ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ
الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً ، فَيَقْتَلُونَ حَتَّى يُمْسُوا ،

فِيهِ هَوْلًا وَهَوْلًا كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ ، وَتَفَنَى الشَّرْطَةُ ، فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ
الرَّابِعُ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ ،
فَيَقْتَلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ : لَا يَرَى مِثْلَهَا . وَإِمَّا قَالَ : لَمْ يَرِ مِثْلَهَا ، حَتَّى إِنْ
الطَّائِرُ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ ، فَمَا يَخْلِفُهُمْ حَتَّى يَخْرُ مَيِّتًا فَيَتَعَادُ بَنُو الْأَبِ كَانُوا
مِائَةً ، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ ، فَبَأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ ، أَوْ
أَيِّ مِيرَاثٍ يُقَاسِمُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِأَسْرِ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ،
فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ إِنْ الدُّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيهِمْ ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي
أَيْدِيهِمْ ، وَيُقْبَلُونَ ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيْعَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّي لَا أَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ ، وَاللَّوَانُ خِيُولِهِمْ ،
هُمُ خَيْرُ فَوَارِسَ ، عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى
ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شعر :

نَسَى الْمَنَابَا عَلَى أَنَا لَهَا غَرَضُ
فَكَمْ أَنَاسٍ رَأَيْنَاهُمْ قَدْ انْقَرَضُوا
إِنَّا لَنَرْجُو أُمُورًا نَسْتَعِدُّ لَهَا
وَالْمَوْتُ دُونَ الَّذِي نَرْجُوهُ مُعْتَرِضُ
لِلَّهِ دُرْبِنِي الدُّنْيَا لَقَدْ غُبِنُوا
لَمَّا اطمأنوا بِهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَرَضُوا
مَا أَرْبَحَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا تِجَارَةَ إِنْ
سَانَ يَرَى أَنَّهَا مِنْ نَفْسِهِ عِوَضُ
لَبَسَتْ الدَّارُ دَارًا لَا نَرَى أَحَدًا
مِنْ أَهْلِهَا نَاصِحًا لَمْ يَعُدَّهُ غَرَضُ

ما بَالُ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا الدُّيَّةَ لَا
 يَنْكَفُ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَيَنْقِضُ
 نَصِيحَ أَقْوَالِ أَقْوَامٍ بِوَصْفِهِمْ
 وَفِي الْقُلُوبِ إِذَا كَشَفَتْهَا مَرَضُ
 وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ
 وَكُلُّهُمْ عَنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ مُنْقَرِضُ
 وَالْحَادِثَاتُ بِهَا الْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ
 وَالْمَرْءُ مُرْتَفِعٌ فِيهَا وَمُنْخَفِضُ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ جَدَّ الرَّجِيلُ بِنَا
 حَتَّى مَتَى نَحْنُ فِي الْغِرَابِ نَرْتَكِضُ
 نَفْسُ الْحَكِيمِ إِلَى الْخَيْرَاتِ سَاكِنَةٌ
 وَقَلْبُهُ مِنْ دَوَاعِي الشَّرِّ مُنْقَبِضُ
 إِصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ تَسْتَعِذِبْ مَغْبِتَهُ
 وَالصَّبْرُ لِلْحَقِّ أَحْيَانًا لَهُ مَضْضُ
 وَمَا اسْتَرَبْتَ فَكُنْ وَقَافَةً حَذِرًا
 قَدْ يُسْرِمُ الْأَمْرُ أَحْيَانًا فَيَسْتَقْضُ
 مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ عَنْكُمْ الْبَابُ ،
 وَابْتَدِرُوا الْأُوبَةَ قَبْلَ أَنْ يُرَخِيَ دُونَكُمْ حِجَابَهَا ، وَأَنْتَهَزُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ فَقَدْ
 اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَتَضَاعَفَ اقْتِرَابُهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ
 حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَذَكَّرُوا مَوَاقِفَ الْخَلَائِقِ
 بَيْنَ يَدَيِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ فِي يَوْمٍ يُحَرَّرُ فِيهِ الْحِسَابُ ، وَأَعِدُّوا لِلْحِسَابِ
 صَوَابَ الْجَوَابِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُطَلَّبَ مِنْكُمْ عَلَى كُلِّ مَسْأَلَةٍ جَوَابُهَا ،

وَاجْتَنَبُوا التَّسْوِيفَ ، فَإِنَّ سُيُوفَ الْمِنِيَّةِ قَاطِعَةٌ ، يَا مَعْشَرَ الْمُسَوِّفِينَ أَظَنَنْتُمْ
 أَنْكُمْ فِي الدُّنْيَا مُخَلَّدُونَ ، وَأَنْتُمْ مَعَ الْعَاصِيْنَ قَاعِدُونَ ، كَمْ مَرَّتْ بِكُمْ
 مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَنْ اسْتِغْلَالِهَا بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ رَاقِدُونَ ، فَمَا
 فَمَا بِالْكَ أَيُّهَا الْغَافِلُ تُسَارِعُ فِي مُتَابَعَةِ هَوَاكَ ، مَعَ أَنْكَ فِي الْعِبَادَةِ مُتَكَاسِلٌ ، وَتَتَلَّى
 عَلَيْكَ آيَاتِ مَوْلَاكَ وَأَنْتَ عَنْهَا مُعْرِضٌ إِعْرَاضَ الْجَاهِلِ تَسْمَعُ الْمَلَاهِيَّ فْتَمِيلُ
 إِلَيْهَا بِقَلْبِكَ وَتُبْصِرُ الْمَنَاهِيَّ مِنْ تِلْفِزِيُونَ وَفِدْيُو وَسِينَاءِ وَسَافِرَاتِ وَصُورِ فَلَا
 تَتَحَرَّكَ وَلَا تَتَمَعَّرُ ، هَلْ أَنْتَ مُكَذِّبٌ بِالتَّحْرِيمِ ، أَوْ مُتَشَكِّكٌ فِي الْبَعْثِ وَعَذَابِ
 الْقَبْرِ وَالْحِسَابِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ ، فَيَا مُؤْمِنَا بِيَوْمِ الْحِسَابِ تَهَيَّأْ لِلْمُحَاسَبَةِ ، وَيَا
 مُدْعِنَا بِحُقُوقِ الرَّبِّ اسْتَعِدَّ لِلْمُطَالَبَةِ وَيَا طَوِيلَ الْأَمَلِ كَمْ أَمَالٍ أَصْبَحَتْ
 خَائِبَةً ، فَكَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ وَقَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِكَ وَنَزَلَتْ فِي الْقَبْرِ مَعَ عَمَلِكَ وَحُشِرَتْ
 وَعُرِضَتْ عَلَى عَالَمِ سِرِّيْرَتِكَ وَعَلَانِيَتِكَ وَكَأَنَّكَ بِالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالْحِسَابِ بَيْنَ
 يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَأَنَّكَ بِالْأَهْوَالِ وَالْمَخَافِ وَقَدْ أَحَاطَتْ وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ
 وَالْوَجَلُ وَكَأَنَّكَ بِالْجَحِيمِ وَقَدْ سَعِرَتْ وَبِالْجَنَّةِ وَقَدْ أُزْلِفَتْ ، فَالْبِدَارَ قَبْلَ
 انْقِضَاءِ الْأَعْمَارِ .

شِعْرًا : يَا وَيْحَ مَنْ أَثَدَّرَهُ شَيْبُهُ هُوَ عَلَى غَيِّ الصَّبَا مُنْكَمَشِ
 يَعْتَشُو إِلَى نَارِ الْهَوَى بَعْدَمَا أَصْبَحَ مِنْ ضَعْفِ الْقَوَى يِرْتَعَشُ
 لَمْ يَهَبِ الشَّيْبَ الَّذِي مَا رَأَى نُجُومُهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا ارْتَعَشُ
 فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُحْقًا لَهُ وَإِنْ يَعِشَ عُدَّ كَمَنْ لَمْ يَعِشْ
 فَهَآكَ كَاسُ النُّصْحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ بِفَضْلِهِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ
 آخِرُ : تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ
 وَتُبَّ مِنْ ذُنُوبٍ مُؤَبَّاتٍ جَنِيَّتَهَا فَمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ هَذِي مُخَلَّدُ
 آخِرُ : وَمَنْ عَجَبِ الدُّنْيَا رُكُونِي وَصَبُونِي إِلَيْهَا عَلَى سَنِي كَأَنِّي وَلِيْدُهَا
 أَجَارِي اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ مُشِيحًا كَأَنِّي تَرُبُّهَا وَطَرِيْدُهَا
 اللَّهُمَّ اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَوَقِّنَا لِلْفَقْرِ فِي دِينِكَ الْقَوِيمِ ،

واجعلنا من العالمين به قولاً ، وفِعلاً الداعين إليه ، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ،
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة عبادِ الله ما ندمَ مَنْ أطاعَ اللهَ في أيِّ وقتَ كانَ ، ولا عادتِ
الطاعاتِ على صاحبِها إلا بالخيرِ والبركةِ في كلِّ آنٍ ، والعصاةُ في كلِّ
زمنٍ هم الممقوتونَ مَهْمَا ابْتَسَمَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَقَضُوا فِيهَا بَعْضَ مَا رِيَبِهِمْ ،
وَمَهْمَا هَامُوا بِحُبِّهَا وَأَحْكَمُوا أَسَالِيبَ جَمْعِهَا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا تَبْتَسِمُ لِفَاسِقِي
إِلَّا لِتَسْحَقَهُ ، وَلَا تَفْتَحُ ذِرَاعَيْهَا لِمُقْبِلٍ عَلَيْهَا إِلَّا لِتُحْرِقَهُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى
﴿ فَلَا تَغْرَنَكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الغُرُورُ ﴾ فَمَاذَا غَرَّكَ فِيهَا أَيُّهَا
المِسْكِينُ ، إِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ فِيهَا كَثْرَةُ النِّقْدَيْنِ أَوْ مَا نَابَ مَنَابَهُمَا مِنْ
أورَاقٍ ، فَإِنَّ الجَنَّةَ حَصْبًا وَهُوَ اللُّؤْلُؤُ ، وَتُرَابُهَا الزُّعْفَرَانُ ، وَبِنَاوُهَا الذَّهَبُ
وَالفِضَّةُ ، وَالدَّرُّ وَالْيَاقُوتُ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ مِنْهَا فَوَاكِهُهَا وَمَطْعُومَاتُهَا
وَمَا حَوَتْ مِنْ مَتَاعٍ ، فَإِنَّ فِي الجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا
خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ جَمَالُ نِسَائِهَا ، فَإِنَّ فِي الجَنَّةِ
﴿ قاصِرَاتُ الطُّرْفِ ، لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ ﴿ وَكَواعِبَ
أترابا ﴾ لَوْ ظَهَرَ بَنَانٌ إِحْدَاهُنَّ عَلَى الدُّنْيَا لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ
يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ المِرْآةِ ، وَتُسَرُّ بِمُشَاهَدَتِهَا سُرُورًا لَا
يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ ، لَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْهَا وَلَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْكَ ، لَا تَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا
يُسْرُكُ ، تَأْمُرُهَا فَتَخْضَعُ ، وَتُحَدِّثُهَا فَتَسْمَعُ ، إِذَا تَكَلَّمْتَ أَطْرَبْتَ ، لَا
تَفْتَخِرُ عَلَيْكَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، وَلَا تَمُنُّ بِجَمِيلِ صُنْعِهَا ، لَا تَنْفِرُ مِنْكَ
وَلَا تَغْضَبُ ، وَلَا تَلْهُو عَنْكَ وَلَا تَصْحَبُ ، الجَمَالُ كِساؤُهَا ، وَالكَمالُ
رِداؤُهَا ، وَالوُدُّ وَالوَفاءُ مِنْ طَبْعِهَا ، لَا يعلُو صَوْتُهَا عَلَى صَوْتِكَ وَلَا تَجْتَهُدُ
إِلَّا فِي مَرَضَاتِكَ ، هَادِئَةٌ ، سَاكِنةٌ رَاضِيَةٌ بِتِلْكَ وَأَمْثالِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ
المُعْلُومِينَ ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

خاشِعُونَ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ أَوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ ، لَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ مَنِ اجْتَهَدَ فِيمَا يُنْجِيهِ ، وَخَابَ مَنْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِيمَا يُخْزِيهِ ، وَأَنْتُمْ الْآنَ فِي فُسْحَةٍ مِنْ أَجَلِكُمْ ، وَصِحَّةٍ مِنْ أَبْدَانِكُمْ ، وَاكْتِمَالٍ مِنْ عُقُولِكُمْ ، وَآخِرُ الْأَجَلِ غَائِبٌ عَنْكُمْ ، وَلَا تَذَرُونَ كَيْفَ حَالِكُمْ بَعْدَ يَوْمِكُمْ فَسَارِعُوا ﴿ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْقِدَ الْبَدَنُ صِحَّتَهُ ، وَيَقُولَ الْحَقُّ كَلِمَتَهُ ، فَيَنْقُضِي الْأَجَلَ ، وَيُخْتَمَ عَلَى الْعَمَلِ ، فَلَا يُنْقِصُ فِيهِ وَلَا يُزَادُ ، وَلَا يُعَدَّلُ فِيهِ شَيْءٌ إِلَى الْمَعَادِ ، تَقُولُ لَيْتَنِي أَطَعْتُ ، وَمَا هِيَ بِنَافِعَةٍ ، وَلَيْتَنِي مَا عَصَيْتُ ، وَلَيْسَتْ بِدَافِعَةٍ ، إِذَا فَاضَيْعَ النَّاسِ وَأَخْسَرَهُمْ صَفْقَةً مِنْ سَوْفَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَأَشَدَّهُمْ خُسْرَانًا مَنْ لَمْ يُبَادِرْ فِي التَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ وَفِي الْحَدِيثِ « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

إِلَى اللَّهِ تَبَّ قَبْلَ انْقِضَا زَمَنِ الْعُمْرِ
أَخِيَّ وَلَا تَأْمَنُ مُسَاوَرَةَ الدَّهْرِ
لَقَدْ حَدَّثَكَ الْحَادِثَاتُ نُزُولَهَا
وَنَادَتْكَ إِلَّا أَنْ سَمِعَكَ ذُو وَقْرِ

تَنُوحُ وَتَبْكِي لِالْأَجْبَةِ أَنْ مَضُوا
وَنَفْسِكَ لَا تَبْكِي وَأَنْتَ عَلَى الْأَثْرِ
أخر :
وَمَا خَالَاتُنَا إِلَّا ثَلَاثُ شَابٍ ثُمَّ شَيْبٌ ثُمَّ مَوْتُ
وَآخِرُ مَا يُسَمَّى الْمَرْءُ شَيْخًا وَيَتْلُوهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَيْتٌ
آخر : إِنِّي أَبْتُكَ مِنْ حَدِيثِي وَالْحَدِيثُ لَهُ شَجَرُونَ
غَيْرْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي لَيْلًا فَفَارَقَنِي السُّكُونُ

قُلْ لِي فَأَوَّلَ لَيْلَةٍ فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى تَكُونُ
 آخر: فبادرْ إلى الخيراتِ قبلَ فواتِها وَخَالَفَ مُرَادَ النَّفْسِ قَبْلَ مَمَاتِهَا
 سَتَّبِعْ نَفْسُكَ فِي الْقِيَامَةِ حَسْرَةً عَلَى قَوْتِ أَوْقَاتِ زَمَانِ حَيَاتِهَا
 فلا تَغْتَرِرْ بِالْعِزِّ وَالْمَالِ وَالْمُنَى فكم قد بُلِينَا بِانْقِلَابِ صِفَاتِهَا
 آخر: إِذَا مَرِضْنَا نَوِينَا كُلَّ صَالِحَةٍ

وَأَنْ شُفِينَا فَمِنَّا الزُّبْغُ وَالزُّلُّ
 نُرْضِي الْإِلَهَ إِذَا خِفْنَا وَنُسْخِطُهُ

إِذَا أَمِنَّا فَمَا يَزُكُّو لَنَا عَمَلُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسَبِيلِ الطَّاعَةِ ، وَثَبَّتْنَا عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،
 وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَأَضَاعَهُ ، وَأَخْنَمَ لَنَا بِخَيْرِ مِنْكَ يَا كَرِيمُ ،
 وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

في ذكر بعض الأحاديث التي وردت في الفتن وما يقع في آخر
 الزمان

عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْلَمَ
 أَصَابَتُهُ الْفِتْنَةَ أَمْ لَا؟ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ رَأَى حَلَالًا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ
 أَصَابَتُهُ الْفِتْنَةُ ، وَإِنْ كَانَ يَرَى حَرَامًا يَرَاهُ حَلَالًا فَقَدْ أَصَابَتُهُ . رَوَاهُ
 الْحَاكِمُ .

وَعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِرْعَاءً ، مُحَمَّرًا وَجْهَهُ ، يَقُولُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
 وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ
 هَذِهِ » وَحَلِقَ بِأَصْبِعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا ، قَالَتْ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

أَنهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ « نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ
وَالْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وِئَلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ ، فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ،
يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا ، يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا »
رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « سَتَكُونُ فِتْنٌ يُفَارِقُ فِيهَا الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ ، تَطِيرُ الْفِتْنَةُ
فِي قُلُوبِ رَجَالٍ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُعَيِّرَ الرَّجُلُ فِيهَا بِصَلَاتِهِ ،
كَمَا تُعَيِّرُ الزَّانِيَةُ بَزَانَهَا » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

قُلْتُ وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ ، فَأَنَّهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ قَدْ وَقَعَ مَا ذُكِرَ فَفَارَقَ رَجَالٌ آبَاءَهُمْ
بَسَبِّ فِتْنَةِ التَّلْفِزِيُونَ ، وَبَسَبِّ فِتْنَةِ الْكُرَّةِ ، فَارَقَ رَجَالٌ آبَاءَهُمْ وَأَخْوَانَهُمْ
وَزَوْجَاتِهِمْ ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنْهَا ، وَوَقَعَ فِي زَمَانِنَا أَيْضًا أَنَاسٌ ،
يَتَهَكَّمُونَ وَيَسْخَرُونَ بِالْمُصَلِّينَ ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ سِيْمَا الصَّالِحِينَ ، مِنْ إِعْفَاءِ
لِحْيَةٍ ، وَاقْتِنَاءِ كُتُبِ السَّلَفِ ، وَكَثْرَةِ تِلَاوَةِ لِكَلَامِ اللَّهِ ، وَالْبُخَارِيِّ
وَمُسْلِمِ ، وَيَرْمُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ رَجَعِيُونَ وَمَتَأَخِرُونَ وَمَنْحَطُونَ ، وَضِدَّهُمْ مِمَّنْ
لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ ، حَالِقِي اللَّحَى ، شُرَابِ الدِّخَانِ ، أَهْلِ الْخَنَافِسِ
وَالتَّوَالِيَتِ ، يُسْمُونَهُمُ الْمُتَمَدِّينَ الْمُثَقِّفِينَ ، وَهَذَا انْعِكَاسٌ نَسَأَلُ اللَّهَ
الْعَافِيَةَ وَالثَّبَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَعْرَابِيٌّ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ فِي غَنَمٍ لَهُ ، عَدَا عَلَيْهِ الذَّنْبُ فَأَخَذَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ ، فَأَذْرَكَهُ الْأَعْرَابِيَّ فَاسْتَقْدَمَهَا مِنْهُ ، وَهَجَّجَهُ فَعَانَدَهُ الذَّنْبُ يَمْشِي ، ثُمَّ أَقْبَى مُسْتَثْفِرًا بِذَنبِهِ يُخَاطِبُهُ ، فَقَالَ: أَخَذْتَ رِزْقًا رَزَقْنِيهِ اللَّهُ ، قَالَ: وَأَعْجَبًا مِنْ ذَنْبٍ مُقْعٍ مُسْتَثْفِرٍ بِذَنبِهِ يُخَاطِبُنِي ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتْرُكُ أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ: وَمَا أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّخْلَتَيْنِ ، بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ ، يُحَدِّثُ النَّاسَ عَنْ نَبَأٍ مَا قَدْ سَبَقَ ، وَمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ ، قَالَ: فَتَعَقَّ الْأَعْرَابِيُّ بِنَعْمِهِ ، حَتَّى الْجَاهَا إِلَى بَعْضِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابُهُ ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَيْنَ الْأَعْرَابِيُّ صَاحِبُ الْغَنَمِ » فَقَامَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حَدِّثِ النَّاسَ بِمَا سَمِعْتَ ، وَبِمَا رَأَيْتَ » فَحَدَّثَ الْأَعْرَابِيُّ النَّاسَ بِمَا رَأَى مِنَ الذَّنْبِ ، وَمَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ « صَدَقَ آيَاتُ تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَهْلِهِ فَيُخْبِرُهُ نَعْلُهُ أَوْ سَبْطُهُ أَوْ عَصَاهُ بِمَا أَحَدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَرَوَاتُهُ ثِقَاتٌ ، وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي زَمَانٌ أَوْ لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يُتَّبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ ، وَلَا يُسْتَحْيَى فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ ، وَالسِّنْتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ حَازِمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « تُعْرَضُ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا »

نَكَتَتْ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَتَتْ فِيهِ نَكْتَةٌ بَيْضَاءٌ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَاءِ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مِرْبَادٌ ، كَالْكَوْزِ مُجَحِّياً ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَهُ مِنْ هَوَاهُ » رواه مسلم وأحمد .

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا قُوعِدًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ الْفِتْنَ فَاكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ ، قَالَ « هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ » ثُمَّ فِتْنَةَ السَّرَاءِ « دَخْنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ قَرَيْبِي ، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي ، وَلَيْسَ مِنِّي ، وَإِنَّمَا أَوْلِيَايَ الْمُتَّقُونَ ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَزْكِ عَلَى ضَلَعٍ ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ ، لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً ، فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا ، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ عَلَى فِسْطَاطَيْنِ ، فِسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا يَفَاقُ فِيهِ ، وَفِسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظَرُوا الدُّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ غَدِهِ » رواه أحمدُ وأبو دَوادٍ وَالْحَاكِمُ .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِئْتَانِ عَظِيمَتَانِ ، وَتَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ » متفق عليه .

وعن أبي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ الْمَسْجِدِ لَبِنَةً ، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبْنَيْنِ لَبْنَيْنِ ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْغُبَارَ ، وَقَالَ « وَيْحَ عَمَّارُ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، عَمَّارُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وعن حَبَّةِ الْعُرَيْبِيِّ قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عَلَى حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَسْأَلُهُ عَنِ الْفِتَنِ ، فَقَالَ دُورُوا مَعَ كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ مَا دَارَ ، وَانظُرُوا الْفِئَةَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ سُمَيَّةٍ فَاتَّبِعُوهَا ، فَإِنَّهُ يُدَوِّرُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ مَا دَارَ ، قَالَ فَقُلْنَا لَهُ وَمَنْ ابْنُ سُمَيَّةٍ؟ قَالَ : عَمَّارٌ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَقْتُلَكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ تَشْرَبُ شَرْبَةَ ضِيَاحٍ ، تَكُنْ آخِرَ رِزْقِكَ مِنَ الدُّنْيَا » رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَقَالَ صَحِيحٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فَابْنُ سُمَيَّةٍ مَعَ الْحَقِّ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَبْشِرْ يَا عَمَّارُ ، تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

قُلْتُ وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ وَمَزِيَّةِ لِعَلِيِّ وَعَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ أَنَّهُمَا مَعَ الْحَقِّ وَعَنْ اسْرَائِيلَ بْنِ أَبِي مُوسَى ، قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ - يَعْنِي الْبَصْرِيَّ يَقُولُ : اسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُؤَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ - وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ - : أَيُّ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ ، وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ ، مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ ، مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ ، مَنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ ، فَقَالَ : أَذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ

فَاعْرِضَا عَلَيْهِ ، وَقُولَا لَهُ ، وَاطْلُبَا إِلَيْهِ ، فَأْتِيَاهُ فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا ، وَقَالَ
 لَهُ : وَطَلَبَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ
 أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَائَتْ فِي دِمَائِهَا ، قَالَا فَإِنَّهُ
 يَعْزِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا ، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ ، وَيَسْأَلُكَ ، قَالَ : فَمَنْ لِي
 بِهِذَا ؟ قَالَا : نَحْنُ لَكَ بِهِ ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالَا : نَحْنُ لَكَ بِهِ .
 فَصَالِحُهُ ، فَقَالَ الْحَسَنُ - أَيِ الْبَصْرِيِّ - : وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنْبَرِ
 وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى جَنْبِهِ ، وَهُوَ يَقْبَلُ عَلَى النَّاسِ
 مَرَّةً ، وَعَلَيْهِ أُخْرَى ، وَيَقُولُ « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ
 بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ ، وَفِي هَذَا
 الْخَبَرِ أَيْضًا مُعْجَزَةٌ ، حَيْثُ وَقَعَ مِصْدَاقُهُ بِمَا كَانَ مِنْ إِصْلَاحِ الْحَسَنِ بَيْنَ
 أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ .

شعرا

نَهَارُكَ فِي بَحْرِ السَّفَاهَةِ تَسْبَحُ
 وَلَيْلُكَ عَنِ نَوْمِ الرَّفَاهَةِ يُصْبِحُ
 وَفِي لَفْظِكَ الدَّعْوَى وَلَيْسَ إِزَاؤُهَا
 مِنَ الْعَمَلِ الزَّائِكِيِّ دَلِيلٌ مُصَحِّحُ
 إِذَا لَمْ تُوَافِقْ قَوْلَهُ مِنْكَ فِعْلُهُ
 فَفِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ حَدِيثِكَ تَفْضَحُ
 تَنَحُّ عَنِ الْغَايَاتِ لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا
 طَرِيقُ الْهُوَيْنَا فِي سُلُوكِكَ أَوْضَحُ

إِذَا كُنْتَ فِي سِنِّ النَّهْيِ غَيْرَ صَالِحٍ
فَفِي أَيِّ سِنِّ بَعْدَ ذَلِكَ تَصْلَحُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَرْزُقْنَا صِدْقَ التَّوْبَةِ
وَحُسْنَ الْإِنَابَةِ ، وَبَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَبِّبْنَا الْعُسْرَى وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

خطبة في ذم الفتن لأحد العلماء رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ

الحمد لله الذي ألبس من شاء من عباده ملابس الهداية والتوفيق وأزهمهم
كلمة التقوى فصارت الطاعة لهم خير أنيس ورفيق . وأهمهم شغل أوقاتهم بالخير
فصرفوا كل وقت لما هو به خليف أحمده سبحانه وتعالى حمداً تفرج به الكُرُوبُ
ويتسع به المضيق وأشكره شكر عبد إذا سمع المواعظ يفتيق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد لاذ بجناحه فنجاه من
كل كرب وضيق وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل الخلق ذا النسب
العريق اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ عَشِيرَةٍ
ورفيق .

أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن الفتنة نار شديد حزامها جائرة
أحكامها مسمومة سهامها ممقوتة أيامها داعية إلى الشرك أعلامها تغير النعم وتعجل
النقم وتقطع التواصل وتُصَيِّرُ أَهْلَهَا إِلَى التَّبَاغُضِ والتدابير أو التَّخَاذُلِ يُطْلِعُ الشَّيْطَانَ
فِيهَا رَأْسَهُ وَيَبِثُّ فِيهَا فِي الْقُلُوبِ وَسْوَاسَهُ فَيَجْعَلُ الْآرَاءَ حَائِرَةً وَالْأَحْكَامَ جَائِرَةً

والأهواءِ مُخْتَلَفَةٌ والأحقادَ مَكْتَنِفَةٌ وَجَمْرَاتِ الْفُؤَادِ مُوقَدَةٌ وَطُرُقَاتِ الرَّشَادِ مُؤَصَّدَةٌ
حتى يكون القريب بعيداً وَذُو الْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ وَحِيداً .

وهل هي إلا نار وقودها الغضب ومذكيها الهوى وطاعة الشيطان والصخب
وقادحها الجهل واللعب وموججها العناد والكذب وموقدها الأديان والأنفس
والأموال ومآل أهلها أشر مآل تصير الدَيَارَ بلاقع وتعجز خروقتها الراقع موقظها
ملعون وقاتلها ومقتولها إلى النار والهون تطمع العدو في أهلها وتقطع المودة من
أصلها تقطع سبل الولد والمال وتصير أهلها إلى سوء حال ليلهم سهر ونهارهم
كدر .

فالله عباد الله أن يوري الشيطان بينكم زنادها أو يورد قلوبكم أقبح ميرادها
فيظفر منكم بحبث السرائر ويطحنكم بدواهي الدوائر ثم تبوعوا في الدنيا بعارها
وشنارها وفي الآخرة بخسارتها ونارها ولا تلتنوا في العاجلة بشرب عقارها فتندموا
في الآخرة غب إخمارها واحذروا أن تسلكوا من الفتن سبلها وألزموا كلمة
التقوى .

وكونوا أحق بها وأهلها وذروا نخوة الحمية ودعوة الجاهلية فقد جعلكم الله
بالإسلام إخواناً وأمركم أن تكونوا على البر والتقوى أعواناً ولا تكونوا كالذين
أرجأوا العمل بسوف وحتى بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فقد
سمعتم ما وصف الله به نبيه المختار وأصحابه الخيرة الأبرار حين ضرب لهم في كتابه
مثلاً وأمركم باتباعه قولاً وعملاً فقال جل جلاله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ .. إلخ الآية .

وقال ﷺ : « إن من الناس أناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر ومن الناس أناساً
مغاليق للخير مفاتيح للشر فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير وويل لمن كان مغلقاً
للخير مفتاحاً للشر » وقال ﷺ : « الفتنة راقدة لعن الله موقظها » وقال ﷺ :

«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه .»

وقال ﷺ : « يأتي المقتول يوم القيامة تشخب أوداجه دماً متعلقاً بالقاتل يقول يا رب سل عبدك هذا فيم قتلني .»

وقال ﷺ في حديث أبي موسى الأشعري : « يكون في آخر الزمن فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا .»

إن الفتنة أشد من القتل فهي داء ممزوج بالمرارة شاربها وسفينة غارقة في الهلاك راكبها ونار محرقة بلهبها موقدها ما تحملها قوم إلا ندموا عليها ولا أضرم نارها أحد إلا وقع فيها وهل يضرها إلا كل سفيه جاهل ولا يصطلبها إلا كل حليم عاقل .

فتأكل بلهبها أموالهم وتسلم إلى المقابر أنطأ لهم يهرع إلى أهلها من كل دار شيطانها ويصبح لهم في كل رأس أجواؤها فحينئذ تكون الغلبة للشياطين وتكون الظلمة عليهم سلاطين فيؤمرون سفهاءهم فيضلون ويخالفون رأي عقلمهم فيهلكون أو يَضْمَحِلُّون .

جعلني الله وإياكم ممن أفاق لنفسه وفاق بالتحفظ أبناء جنسه وأعد عدة تصلح لرمسه واستدرك في يومه ما ضيعه في أمسه إن أحلى ما وعظ به الواعظون وتلذذ لخطابه المستمعون كلام من نحن لعفوه وكرمه مؤملون والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلُوا بَيْنَهُمَا ﴾ الآيات بارك الله لي ولكم .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيائِكَ وَتُوفِّقْنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ الْيَسِيرَ مِنَّا وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا أَمَّهُمْ عِنْدَهُمْ بِكَثِيرٍ مِمَّا
يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ مَشْغُولِينَ
شُغِلَ الْعَاشِقِينَ الْمُسْتَعْرِقِينَ ، كَأَنَّهُمْ مَا خُلِقُوا إِلَّا لَهَا ، وَأَمَّا الدِّينُ فَلَا
يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِمْ ، وَإِنْ خَطَرَ فَطَيْفٌ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، أَثَرُ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ فِي هَذَا الْإِنْهَمَاكِ الْعَظِيمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ بَلَغَ فِي
تَهْوِينِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ الْغَايَةَ وَمِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى الشَّخْصَ يَرْتَدُّ
عَنِ الدِّينِ فَلَا يُسْأَلُ وَلَا يُنَاقَشُ ، وَلِلذَلِكَ نُزِعَتْ الْبَرَكََةُ مِنْ أَعْمَارِنَا وَأَعْمَالِنَا
وَأَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا ، وَأَصْبَحْنَا وَقَدْ ضَرَبَ الذُّلُّ عَلَيْنَا سُرَادِقَهُ وَنَحْنُ كَأَنَّا لِسْنَا
مِنَ الْأَحْيَاءِ ، أَمَّا عَدَمُ الْبَرَكََةِ فِي أَعْمَارِنَا ، فَلَأَنَّ أَحَدَنَا يَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّهْرُ
وَالْعَامُ لَا تَرَى لِحَيَاتِهِ مِنْ أَثَرٍ ، فِي الْأَصْلَاحِ وَتَوَجِيهِ الْمُنْحَرِفِينَ ، وَالْقِيَامِ
التَّامِّ الْمُثْمِرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالسَّعْيِ فِي إِزَالَةِ مَا يَمَسُّ
الدِّينَ مِمَّا حَلَّ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَفَاسِدِ وَالشُّرُورِ ، وَلَوْ
سَأَلْتَ أَحَدَنَا هَلْ لَكَ مِنْ حَيَاتِكَ أَثَرٌ نَافِعٌ لَتَلَجَّجَ فِي الْكَلَامِ ، يَنْظُرُ وَرَاءَهُ
فَلَا يَرَى أَثَرًا ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ الْأَيَّامَ مَرَّتْ سُدًى تَتَلَوُّهَا الْأَيَّامُ ، هَذَا مِنْ
عَدَمِ الْبَرَكََةِ فِي أَعْمَارِنَا وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكََةِ فِي أَعْمَالِنَا فَلَأَنَّ أَحَدَنَا مَا دَامَ
مُسْتَبْقِظًا يَتَحَرَّكُ وَلَا تَنْقَطِعُ أَقْوَالُهُ وَلَا أَفْعَالُهُ ، وَلَكِنَّهَا تَدُورُ بَيْنَ حَرَامٍ أَوْ
مَكْرُوهٍ ، أَوْ عَبَثٍ لَا يَلِيقُ أَنْ يَصْدَرَ مِنَ الرَّجَالِ ، فَتَجِدُ الْكُذِبَ وَالنَّمِيمَةَ
وَالْقَدْفَ وَالغِيْبَةَ وَالتَّمَلُّقَ وَالنِّفَاقَ وَالرِّيَاءَ وَتَعْظِيمَ الْعُصَاةِ الْمُجَاهِرِينَ بِهَا
وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكََةِ فِي أَمْوَالِنَا فَلَأَنَّ أَحَدَنَا يَكُونُ عِنْدَهُ الْمَالُ
الكَثِيرُ فَتَرَاهُ يُعْبِرُهُ فِي سَبِيلِ شَهَوَاتِهِ وَمَلذَّاتِهِ الْفَاجِرَةِ أَوْ يَكْبِرُهُ وَلَا يُخْرِجُ

منهُ الرِّكَاءَةُ ، وَإِنْ عَرَضَتْ عَلَيْهِ مَشْرُوعاً دِينِيّاً فَرَّ مِنْكَ مَدْعُوراً فَأَيُّ بَرَكَةٍ تَكُونُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَالِ ، وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَةِ فِي أَوْلَادِنَا فَلَأَنَّهُمْ فِي صِغَرِهِمْ يَكُونُونَ شَيَاطِينُ يُتَعَبُونَ فِي التَّرْبِيَةِ آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ ، فَإِذَا شَبُّوا شَغِلُوا بِشَهْوَاتِهِمْ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِمُ لِلْوَالِدِينَ مِنْ صُنُوفِ الْبِرِّ وَأَكْثَرُهُمْ يَكُونُ طَوَّلَ حَيَاتِهِ حَرْباً عَلَى وَالِدَيْهِ يُرِيهِمَا أَنْوَاعَ الْإِهَانَاتِ ، وَالْأَذَايَا وَأَيُّ بَرَكَةٍ فِي أَوْلَادٍ هَذَا حَالُهُمْ مَعَ وَالِدَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ نَزْعَ الْبَرَكَةِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ عَقُوبَةٌ لَنَا عَلَى إِقْبَالِنَا عَلَى الدُّنْيَا وَإِعْرَاضِنَا عَنِ الدِّينِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

شِعْرًا : زَمَانُ كُلِّ حَبِّ فِيهِ حَبٌّ وَطَعْمُ الْخَلِّ حَلٌّ لَوْ يُذَاقُ لَهُمْ سُوقُ بِيضَاعَتِهِ النِّفَاقُ فَمَنْ نَاقَ يَكُونُ لَهُ نِفَاقٌ

آخر :

عُسْرٌ وَيُسْرٌ عَلَى الْحَالِينِ أَشْهَدُهُ لَمْ أَبْكُ مِنْ زَمَنِ صَعْبٍ فُجِعْتُ بِهِ وَمَا جَزَعْتُ عَلَى مَيِّتٍ فُجِعْتُ بِهِ وَمَا ذَمَمْتُ زَمَاناً فِي تَقَلُّبِهِ

آخر :

أَحْنُ إِلَى وَقْتِ مَضَى بَعْضَارَةَ إِذِ الْعَيْشُ رَطْبٌ وَالزَّمَانُ مُوَاتِي وَأَبْكِي زَمَاناً صَالِحاً قَدْ فَقَدْتُهُ يُقَطِّعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ حَسَرَاتٍ

آخر : هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَازِرُهُ

فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ

وَقَتَّ بِهِ الْحَقُّ مَرْدُودٌ بِأَجْمَعِهِ

وَالظُّلْمُ وَالْبَغْيُ فِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ

إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَحْضَلْ لَهُ غَيْرٌ

لَمْ يُبْكِ مَيِّتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودٍ

زَعَمُوا لَبِيدًا قَالَ فِي عَضْرِ لَه
 وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
 وَأَرَاهُ أَعْدَى خَلْفَهُ مَنْ خَلْفَهُ
 جَرَبًا وَأَعْيَا الدَّاءِ كُلِّ مُجَرَّبِ
 وَتَضَاعَفَ الْجَرَبُ الَّذِي عَدَوَاهُ لَا
 تَنفَكَ عَنِ مَاضٍ وَلَا مُتَعَقِّبِ
 وَتَضَاعَفَ الدَّاءُ الْعُضَالُ فَخَلَفْنَا
 بَلَغَ الْجُدَامَ وَعَضَرْنَا عَضْرَ وَيِي

اللَّهُمَّ أَشْرِبْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَوَفِّقْهَا لِلتَّفَكُّرِ فِي عَظِيمِ نِعْمِكَ
 عَلَيْنَا لِتَقْوَى وَتَزْدَادَ وَارزُقْنَا حُبَّ أَحِبَابِكَ وَبُغْضَ اَعْدَائِكَ اللَّهُمَّ وَثَبْتَ قُلُوبَنَا
 عَلَى دِينِكَ وَلَا تُرِغْهَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« فصل »

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ - يَعْنِي ابْنَ رُمَانَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا
 حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، قَدْ وَطَّأْتُ لَكَ الْبِلَادَ ، وَفَرَشْتُ لَكَ
 النَّاسَ ، وَلَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا أَهْلَ الْحِجَازِ ، فَإِنَّ رَأْبَكَ مِنْهُمْ رَيْبٌ ،
 فَوَجَّهْ إِلَيْهِمْ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمَرِّيَّ ، فَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَلَمْ أَجِدْ لَهُ
 مَثَلًا لِطَاعَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ يَزِيدُ خِلَافُ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَدُعَاؤُهُ إِلَى نَفْسِهِ
 دَعَا مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمَرِّيَّ - وَقَدْ أَصَابَهُ الْفَالِجُ - وَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 عَهْدَ إِلَيَّ فِي مَرَضِهِ : إِنَّ رَأْبِنِي مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ رَأْبٌ أَنْ أُوجِّهَكَ
 إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأْبِنِي فَقَالَ : إِنِّي كَمَا ظَنَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اعْقِدْ لِي ، وَعَبَّ
 الْجُبُوشَ ، قَالَ : فَوَرَدَ الْمَدِينَةَ فَابَاحَهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ،

أَنَّهُمْ أَعْبَدُوا لَهُ قَبْلَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا رَجُلًا
وَاحِدًا مِنْ قُرَيْشٍ أُمُّهُ أُمَّ وَلِدٍ فَقَالَ لَهُ بَايِعْ يَزِيدَ عَلَيَّ أَنْتَ عَبْدٌ فِي طَاعَةِ
اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ قَالَ : لَا يَلُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهُ وَقَتْلَهُ ،
فَأَقْسَمَتْ أُمُّهُ قَسَمًا لِيَنْ أَمَكْنَهَا اللَّهُ مِنْ مُسْلِمٍ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا أَنْ تُحْرِقَهُ بِالنَّارِ ،
فَلَمَّا خَرَجَ مُسْلِمٌ بَنُ عُقْبَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ فَمَاتَ ، فَخَرَجَتْ أُمُّ
الْقُرَيْشِيِّ بِأَعْبُدٍ لَهَا إِلَى قَبْرِ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ ، فَأَمَرَتْ بِهِ أَنْ يُنْبَسَ مِنْ عِنْدِ
رَأْسِهِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ إِذَا تُعْبَانُ قَدْ التَوَى عَلَى عُنُقِهِ ، قَابِضًا بِأَرْزَبَةِ أَنْفِهِ
يُمِصُّهَا ، قَالَ : فَكَاعَ الْقَوْمُ عَنْهُ . وَقَالُوا يَا مَوْلَاتِنَا أَنْصِرِي فَقَدْ كَفَاكَ اللَّهُ
شُرَّهُ ، وَأَخْبِرُوهُمَا ، قَالَتْ : لَا أَوْ أَوْفِي لِلَّهِ بِمَا وَعَدْتُهُ ، ثُمَّ قَالَتْ انْبَسُوا
مِنْ عِنْدِ الرَّجُلَيْنِ ، فَنَبَسُوا فَإِذَا التُّعْبَانُ لَاوِيًّا ذَنْبَهُ بِرِجْلَيْهِ ، قَالَ فَتَنَحَّتْ
فَصَلَّتْ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ إِنَّمَا غَضِبْتُ عَلَى مُسْلِمِ
بَنِ عُقْبَةَ الْيَوْمَ لَكَ ، فَخَلِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ تَنَاوَلَتْ عُوْدًا فَمَضَتْ إِلَى ذَنْبِ
التُّعْبَانِ ، فَانْسَلَّ مِنْ مُؤَخَّرِ رَأْسِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ ، ثُمَّ أَمَرَتْ بِهِ فَأَخْرَجَ
مِنَ الْقَبْرِ ، فَأَحْرَقَ بِالنَّارِ ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنْ فِي ثَقِيفٍ كَذَابًا وَمُبِيرًا » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ : اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَذَابِ هُنَا الْمُخْتَارُ
بُنُ أَبِي عُبَيْدٍ ، وَبِالْمُبِيرِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ .

وَعَنْ أَبِي نُوفَلٍ قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى
عُقْبَةَ الْمَدِينَةِ ، قَالَ : فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا
خُبَيْبٍ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا خُبَيْبٍ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا خُبَيْبٍ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ

كُنْتُ أَنهَاكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ مَا عَلِمْتُ صَوَاماً قَوَاماً ، وَصَوَلاً
لِلرَّحِمِ ، أَمَا وَاللَّهِ لِأُمَّةٍ أَنْتَ أَشْرُهُا لِأُمَّةٍ خَيْرٍ ، ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجُ مَوْقِفَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَوْلُهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ،
فَأَنْزَلَ عَنْ جِذْعِهِ ، فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ
أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ لِتَأْتِيَنِي ،
أَوَّلًا لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ قَالَ فَأَبَتْ وَقَالَتْ ، وَاللَّهِ لَا آتِيكَ
حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي ، قَالَ فَقَالَ أَرُونِي سَبْتِي فَأَخَذَ
نَعْلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتِي صَنَعْتُ
بَعْدُ اللَّهُ ، قَالَتْ : رَأَيْتِكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ
بَلَّغْنِي أَنْكَ تَقُولُ : يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقِينَ . أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النَّطَاقِينَ . أَمَا
أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبِي
بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَأَمَّا الْآخِرُ فِنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ أَمَا إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا « أَنْ فِي ثَقِيفَ كَذَاباً وَمُبِيراً » فَأَمَّا
الْكَذَابُ فَرَأْيَانُهُ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ ، قَالَ فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ
يُرَاجِعْهَا ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِي قَالَ : لَمَّا ظَفَرَ الْحَجَّاجُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَتَلَهُ ،
وَمَثَلَ بِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا : فَقَالَتْ : كَيْفَ تَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ وَقَدْ قَتَلْتَ ابْنِي ، فَقَالَ : إِنْ ابْنُكَ
أَلْحَدَ فِي حَرَمِ اللَّهِ ، فَقَتَلْتَهُ مُلْجِداً عَاصِياً ، حَتَّى أَذَاقَهُ عَذَاباً أَلِيماً ،
وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ ، فَقَالَتْ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ
قَتَلْتَ صَوَاماً قَوَاماً بَرّاً بِوَالِدَيْهِ حَافِظاً لِهَذَا الدِّينِ ، وَلِئِنْ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ
لَقَدْ أَفْسَدْتَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، وَلَقَدْ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفِ كَذَابَانَ الْآخِرِ مِنْهُمَا أَشْرُ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْمُبِيرُ » وَمَا

هُوَ إِلَّا أَنْتَ يَا حَجَّاجُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى ، وَالْحَاكِمُ وَهَذَا لَفْظُهُ ،
وَقِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لَهَا : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَصَدَقْتَ أَنَا الْمُبِيرُ .

وَعَنْ الْحَسَنِ قَالَ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ : اللَّهُمَّ
كَمَا أَيْمَنْتُهُمْ فَخَانُونِي ، وَنَصَحْتُمْ لَهُمْ فَغَشُونِي ، فَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ فَتَى ثَقِيفِ
الذِّيَالِ الْمِيَالِ ، يَأْكُلُ خُضْرَتَهَا ، وَيَلْبَسُ فِرْوَتَهَا وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِحُكْمِ
الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ الْحَسَنُ : وَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْحَجَّاجَ يَوْمِيذٍ . رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ
وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَلَا يَقُولُ عَلِيٌّ ذَلِكَ إِلَّا
تَوْقِيفًا .

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ : أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا ، فَبَلَغَ
مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفٍ قَتِيلٍ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ قَحْدَمٍ ،
قَالَ أَطْلَقَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ وَاحِدًا وَثَمَانِينَ أَلْفٍ
أَسِيرٍ كَانُوا فِي سِجْنِ الْحَجَّاجِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَبِثَ فِي سِجْنِهِ ثَمَانُونَ أَلْفًا ،
مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفَ امْرَأَةٍ ، وَعُرِضَتْ السُّجُونُ بَعْدَ الْحَجَّاجِ ، فَوَجَدُوا فِيهَا
ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا لَمْ يَجِبْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطْعٌ وَلَا صَلْبٌ . وَقَالَ
الرِّيَاشِيُّ : حَدَّثَنَا عَبَّاسُ الْأَزْرَقِيُّ عَنْ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى قَالَ : مَرَّ الْحَجَّاجُ
فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ ، فَسَمِعَ اسْتِغَاثَةً ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : أَهْلُ السُّجُونِ
يَقُولُونَ قَتَلْنَا الْحَرَ ، فَقَالَ : قُولُوا لَهُمْ ﴿ اٰخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوْنَ ﴾ قَالَ :
فَمَا عَاشَ بَعْدَهَا إِلَّا أَقَلٌّ مِنْ جُمُعَةٍ حَتَّى قَصَمَهُ اللَّهُ قَاصِمًا كُلَّ جَبَّارٍ .

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى : لَوْ أَنَّ الْأُمَّةَ تَحَابَّتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأُخْرِجَتْ كُلُّ أُمَّةٍ خَيْبَتِهَا ، ثُمَّ
أُخْرِجْنَا الْحَجَّاجَ لَغَلَبْنَاهُمْ . رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ .

وَقَالَ فِي الرَّوْضَةِ النَّدِيَّةِ شَرَحُ الدَّرَّةِ الْبَهِيَّةِ : وَقَدْ أَحْصِيَ الَّذِينَ
قَتَلَهُمُ الْحَجَّاجُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، فَبَلَغُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا
(١٢٠٠٠٠) .

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « لَا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِمًا بِالْقِسْطِ ، حَتَّى يَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَثْلُمُهُ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي أُمَّيَّةٍ يُقَالُ لَهُ يَزِيدٌ » رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ بَرَزٍ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَلِدٌ لِأَخِي أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجِ
النَّبِيِّ ﷺ غُلَامٌ ، فَسَمَّوهُ الْوَلِيدُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسْمَاءِ
فِرَاعِنْتِكُمْ ، لِيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ ، لَهُوَ أَشْرٌ عَلَى هَذِهِ
الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : وَأَسْنَادُهُ حَسَنٌ
وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : رِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

شِعْرًا :

خَفِيَ اللَّهُ فِي ظُلْمِ الْوَرَى وَاحْذَرْنَهُ وَخَفَى يَوْمَ غَضِّ الظَّالِمِينَ عَلَى الْيَدِ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ عَنْ ذَاكَ غَافِلًا وَلَكِنَّهُ يُمَلِّي لِمَنْ شَاءَ إِلَى الْغَدِ
فَلَا تَغْتَرَّ بِالْجَلْمِ عَنْ ظُلْمِ ظَالِمٍ سَيَأْخُذُهُ أَخْذًا وَبِيْلًا وَعَنْ يَدِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغْدًا ، وَلَا تَسْمِتْ بِنَا أَحَدًا . اللَّهُمَّ رَغِّبْنَا فِيهَا بِيَقَى ،
وَزَهِّدْنَا فِيهَا بِفَنَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي لَا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعَوَّلُ
فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يَرَامُ وَمَلِكِ الَّذِي لَا يَضَامُ
وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِينَا شَرَّ مَا أَهْمَنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ وَأَنْ تَعِينَنَا

من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . اللهم يا حلِيم يا قوي يا عزيز
يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا مَنْ تَعَنُّوا له الوجوه وتخشع له الأصوات .
وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضك عمن سواك إنك
على كل شيء قدير . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ أَنْ النَّاسَ لَمْ يُقَدِّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوا الْمَعْرِفَةَ
التي تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلَوْ عَرَفُوهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ وَقَدَّرُوهُ مَا صَدَّقَ
العَقْلُ أَنْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الحَالِ ، إِنَّ العَارِفَ بِاللَّهِ تَعَالَى يَخْشَاهُ ، فَتَعَقَّلَهُ
هَذِهِ الحَشِيَّةُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي مِنَ الأَفْعَالِ كَيْفَ لَا وَهَذَا القُرْآنُ يَقُولُ اللهُ فِيهِ ﴿ إِنَّمَا
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ العَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَجْرُؤُ أَنْ يُحْرِكَ
لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ المُنْكَرَاتِ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْمَعُ السِّرَّ وَالنُّجْوَى ،
وَلَا يَجْرُؤُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ فِي عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلَالٍ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ مَهْمَا اخْتَفَى وَاجْتَهَدَ فِي الاخْتِفَاءِ ، وَكَذَلِكَ لَا يُقَدِّمُ
وَيَعْرِضُ عَلَى فِعْلٍ شَيْءٍ مِنَ المَحْرَمَاتِ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِوَعِيدِ اللهِ عَلَى مَنْ
اجْتَرَأَ وَانْتَهَكَ المَحْظُورَاتِ ، العَارِفُ بِاللَّهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَا يَنْظُوي عَلَى
رَذِيلَةٍ كَالكِبْرِ والعُجْبِ وَالحَقْدِ وَالنِّفَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ
المَمْقُوتَاتِ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا فِي قَلْبِهِ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، فَلَا يَسْتَرِيحُ حَتَّى يَكُونَ بَاطِنُهُ
كَظَاهِرِهِ مُطَهَّرًا مِنَ الفَوَاحِشِ ، وَكَذَلِكَ لَا يَتَعَامَلُ بِالرُّبَا وَيَتَّبِعُ كُلَّ البُعْدِ
عَنِ الرِّيَاءِ وَنَحْوِهِمَا مِنَ المَحْرَمَاتِ ، وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فَمِهِ عِنْدَ
نُزُولِ البَلَاءِ إِلا الحَسَنَ الجَمِيلَ ، فَلَا يَغْضَبُ لِمَوْتِ عَزِيزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ ،
أَوْ مَرَضٍ شَدِيدٍ ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ غَضَبَهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى الحَكِيمِ العَلِيمِ اللُّطِيفِ

الْخَيْرِ ، وَلَا يَصْدُرُ مِنَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ حَسَدٌ لِيَخْلِقَ اللَّهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ قَسَمَ النِّعَمَ بَيْنَ عِبَادِهِ وَلَيْسَ لِقِسْمَتِهِ رَادٌّ ، وَكَذَلِكَ الْعَارِفُ لَا يِيَّاسُ مِنْ زَوَالِ شِدَّةٍ مَهْمًا تَعَقَّدَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ ، وَلَا يِيَّاسُ مِنْ حُصُولِ خَيْرٍ مَهْمًا سَمَا وَابْتَعَدَ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَفْنَطُ الْمُؤْمِنُ الْعَاصِي مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَا يُؤْمِنُ الْمُحْسِنُ ، لَكِنَّهُ يَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَيَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ ، الْعَرَفُ بِاللَّهِ لَا يَعْشُ مُؤْمِنًا ، وَلَا يُسِيءُ إِلَى الْجَارِ الْعَارِفُ بِاللَّهِ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُخْلِصِينَ مِنَ الْمُبْهَرِجِينَ الْمُزَيَّفِينَ لِكثْرَةِ تَفْرُسِهِ فِيهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ .

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنِّي صَيْرَفِي أَحْكُ الْأَصْدِقَاءَ عَلَى مَحَكِّ
فَمِنْهُمْ بَهْرَجٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مِنْ أُجَوِّزُهُ بِشَكِّ
وَمِنْهُمْ خَالِصُ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى بِتَرْكِيَّتِي وَمِثْلِي مَنْ يُزَكِّي

اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَاحْفَظْ
جَوَارِحَنَا مِنْتَ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصَلِّ » وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِحَلَقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا
أُخْبِرُكُمْ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ » فَقَامَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : أَخْبِرْنَا
فِذَلِكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِضَاعَةَ
الصَّلَاةِ ، وَالْمَيْلَ مَعَ الْهَوَى وَتَعْظِيمَ رَبِّ الْمَالِ » فَقَالَ سَلْمَانُ : وَيَكُونُ
هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَا
سَلْمَانُ تَكُونُ الزَّكَاةُ مَغْرَمًا ، وَالْفِيءُ مَغْنَمًا ، وَيُصَدَّقُ الْكَاذِبُ ، وَيُكذَّبُ
الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ ، وَيُخُونُ الْأَمِينُ ، وَيَتَكَلَّمُ الرَّوَيْضَةُ » قَالُوا :

وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ «يَتَكَلَّمُ فِي النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ، وَيُنْكِرُ الْحَقَّ
تِسْعَةَ أَعْشَارِهِمْ، وَيَذْهَبُ الْإِسْلَامُ فَلَا يَبْقَى إِلَّا اسْمُهُ، وَيَذْهَبُ الْقُرْآنُ
فَلَا يَبْقَى إِلَّا رَسْمُهُ، وَتُحَلَّى الْمَصَاحِفُ بِالذَّهَبِ، وَتَتَسَمَّنُ ذُكُورُ أُمَّتِي،
وَتَكُونُ الْمَشُورَةُ لِلْإِمَاءِ، وَيَخْطُبُ عَلَى الْمَنَابِرِ الصَّبِيَّانُ، وَتَكُونُ
الْمُخَاطَبَةُ لِلنِّسَاءِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تُزَخْرَفُ الْمَسَاجِدُ كَمَا تُزَخْرَفُ الْكِنَائِسُ
وَالْبَيْعُ، وَتَطْوَرُ الْمَنَابِرُ، وَتَكْثُرُ الصُّفُوفُ، مَعَ قُلُوبٍ مُتَبَاغِضَةٍ، وَالسِّنُّ
مُخْتَلِفَةٌ، وَأَهْوَاءُ جَمَّةٍ» قَالَ سَلْمَانُ: وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ
«نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ أَذَلُّ
مِنَ الْأَمَةِ، يَذُوبُ قَلْبُهُ فِي جَوْفِهِ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، مِمَّا يَرَى
مِنَ الْمُنْكَرِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَهُ، وَيَكْتَفِي الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ
بِالنِّسَاءِ، وَيُغَارُ عَلَى الْعِلْمَانِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْجَارِيَةِ الْبَكْرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَا
سَلْمَانُ يَكُونُ أَمْرَاءُ فَسَقَةٍ، وَوُزَرَاءُ فَجْرَةٍ، وَأَمْنَاءُ خَوْنَةٍ، يُضَيِّعُونَ الصَّلَاةَ،
وَيَسْبِعُونَ الشُّهُوتِ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمُوهُمْ فَصَلُّوا صَلَاتِكُمْ لَوْ قَتَلْتُمْ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ
يَجِيءُ سَبِيٌّ مِنَ الْمَشْرِيقِ، وَسَبِيٌّ مِنَ الْمَغْرِبِ جُنَاؤُهُمْ جُنَاءُ النَّاسِ، وَقُلُوبُهُمْ
قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ، لَا يَرْحَمُونَ صَغِيرًا، وَلَا يُوقِرُونَ كَبِيرًا، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ
يَحُجُّ النَّاسُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الْحَرَامِ، تَحُجُّ مَلُوكُهُمْ لَهْوًا وَتَنَزُّهَا، وَأَغْنِيَاؤُهُمْ
لِلتَّجَارَةِ، وَمَسَاكِينُهُمْ لِلْمَسْأَلَةِ وَقُرَاؤُهُمْ رِيَاءً وَسَمْعَةً» قَالَ: وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَفْشُو الْكَذِبُ،
وَيُظْهِرُ الْكُوكَبُ لَهُ الدَّنْبَ، وَتُشَارِكُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي التَّجَارَةِ، وَتَتَقَارَبُ
الْأَسْوَاقُ» قَالَ: وَمَاتَقَارُبُهَا؟ قَالَ «كَسَادُهَا، وَقَلَّةُ أَرْبَاحِهَا، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ
يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا فِيهَا حَيَاتٌ صُفْرٌ، فَتَلْتَقِطُ رُؤْسَاءُ الْعُلَمَاءِ لَمَّا رَوَا الْمُنْكَرَ فَلَمْ
يُغَيِّرُوهُ» قَالَ: وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا
بِالْحَقِّ» رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلُّ عَشِيَّةٍ خَمِيسٍ :
سَيَاتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَمَاتَ فِيهِ الصَّلَاةُ ، وَيُشْرَفُ فِيهِ الْبُنْيَانُ ، وَيَكْثُرُ
فِيهِ الْحَلْفُ وَالتَّلَاعُنُ ، وَيَفْشُو فِيهِ الرُّشَا وَالزُّنَا ، وَتُبَاعُ الْآخِرَةُ بِالْدُّنْيَا ،
فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَالْنَجَا النَّجَا . قِيلَ : وَكَيْفَ النَّجَا ؟ قَالَ : كُنْ حِلْسًا مِنْ
أَحْلَاسِ بَيْتِكَ ، وَكُفَّ لِسَانَكَ وَيَدَكَ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ سُوءُ الْجَوَارِ ، وَقَطِيعَةُ الرَّجْمِ ، وَأَنْ يُعْطَلَ
السَّيْفُ مِنَ الْجِهَادِ ، وَأَنْ تُخْتَلَ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالدُّيْلَمِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّكُمْ فِي زَمَانِ الصَّلَاةِ فِيهِ
طَوِيلَةٌ ، وَالخُطْبَةُ فِيهِ قَصِيرَةٌ ، وَعُلَمَاؤُهُ كَثِيرٌ ، وَخُطْبَاؤُهُ قَلِيلٌ ، وَسَيَاتِي عَلَى
النَّاسِ زَمَانٌ الصَّلَاةِ فِيهِ قَصِيرَةٌ وَالخُطْبَةُ فِيهِ طَوِيلَةٌ ، خُطْبَاؤُهُ كَثِيرٌ ، وَعُلَمَاؤُهُ
قَلِيلٌ ، يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ ، صَلَاةَ الْعَشِيِّ إِلَى شَرْقِ الْمَوْتَى ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ
فَلْيَصِلْ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَبَتْهَا ، وَلْيَجْعَلْهَا مَعَهُمْ تَطَرُّعًا . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ قَالَ الْهَيْثَمِيُّ :
وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ ، وَرُوِيَ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي مَوْطِئِهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، أَنَّ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِإِنْسَانٍ : إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ فَقَهَاؤُهُ ، قَلِيلٌ
قُرَاؤُهُ ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ ، وَتُضَيِّعُ حُرُوفُهُ ، قَلِيلٌ مَنْ يَسْأَلُ ، كَثِيرٌ مَنْ
يُعْطَى ، يُطِيلُونَ فِيهِ الصَّلَاةَ ، وَيَقْصُرُونَ الخُطْبَةَ ، يُبَدُونَ أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ
أَهْوَائِهِمْ .

وَسَيَاتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فَقَهَاؤُهُ ، كَثِيرٌ قُرَاؤُهُ ، تُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ
الْقُرْآنِ ، وَتُضَيِّعُ حُدُودَهُ ، كَثِيرٌ مَنْ يَسْأَلُ قَلِيلٌ مَنْ يُعْطَى ، يُطِيلُونَ فِيهِ الخُطْبَةَ ،
وَيَقْصُرُونَ الصَّلَاةَ ، يُبَدُونَ فِيهِ أَهْوَاءَهُمْ ، قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ .

قُلْتُ وَفِي هَذَا الْخَبَرِ أُمُورٌ وَقَعَتْ فِي زَمَانِنَا ، مِنْهَا قَلَّةُ الْفُقَهَاءِ بِمَعْنَى
الْكَلِمَةِ ، أَمَا الْمُتَسَمُّونَ فَمَوْجُودُونَ بَدُونِ مَعْنَى ، وَمِنْهَا مَا وَجَدَ مِنْ كَثِيرٍ
مِنَ الْمُجِيدِينَ لِلْقِرَاءَةِ ، الْمُضِيِّعِينَ لِلْعَمَلِ ، تَسْمَعُهُ مِنْهُمْ غَضًّا طَرِيًّا
بِتَجْوِيدٍ وَفَصَاحَةٍ ، وَمِنْهَا إِطَالَةُ الْخُطْبَةِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا وَتَقْصِيرُ
الصَّلَاةِ ، وَهَذَا خِلَافُ السُّنَّةِ ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ ، وَقَلَّةُ إِعْطَائِهِمْ ،
فَهَؤُلَاءِ طَرِيقَتُهُمْ ضِدُّ طَرِيقَةِ السَّلَفِ ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْأَنْتِكَاسِ ، وَعَنْ
عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ
عَمِلَ بِمَا عَلِمَ ، وَوَافَقَ عِلْمَهُ عَمَلُهُ ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا
يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ ، وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عِلَابَتَهُمْ
يَجْلِسُونَ حَلَقًا ، فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى أَنْ الرَّجُلَ لَيَغْضِبُ عَلَى
جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدْعَهُ ، أَوْلَيْكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي
مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ . رَوَاهُ الدَّرَائِمِيُّ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَهَذَا الْأَثَرُ لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ
عَنِّي ، فَلَا يُقَالُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ .

وَعَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ - وَاسْمُهُ حُدَيْرُ بْنُ كُرَيْبٍ - يَرْفَعُ الْحَدِيثَ « إِنْ
اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : أُبْتُ الْعِلْمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، حَتَّى يَعْلَمَهُ الرَّجُلُ
وَالْمَرْأَةُ ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِمْ ،
أَخَذْتُهُمْ بِحَقِّي عَلَيْهِمْ » رَوَاهُ الدَّرَائِمِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ قُلْتُ وَفِي
هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجَزَةٌ وَقَعَتْ طَبَقَ مَا ذَكَرَ

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكْثُرَ التَّجَارُ ، وَيَنْظُرَ

الْقَلَمُ « رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ .
 شعرا : أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرَّةَ يُودِي شَبَابَهُ
 وَأَنَّ الْمَنَايَا لِلرِّجَالِ تُشَعِّبُ
 فَمِنْ ذَائِقِ كَاسٍ مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةٌ
 وَأَخْرُ أُخْرَى مِثْلَهَا يَتَرَقَّبُ
 لَهَا مِنْهُمْ زَادَ حَيْثُ وَسَائِقُ
 وَكُلُّ بِكَاسِ الْمَوْتِ يَوْمًا سَيَشْرَبُ
 وَمَا وَارِثٌ إِلَّا سَيُورِثُ مَالُهُ
 وَلَا سَالِبٌ إِلَّا قَرِيبًا سَيَسْلُبُ
 وَلَا آلِفٌ إِلَّا سَيَتَّبَعُ الْفَهُ
 وَلَا نِعْمَةٌ إِلَّا تَبِيدُو وَتَذْهَبُ
 وَمَا مِنْ مُعَانٍ فِي الْمَضَائِبِ جَمَّةٌ
 يُعَاوِرُهَا الْعَصْرَانِ إِلَّا سَيَعْطَبُ
 أَرَى النَّاسَ أَصْنَافًا أَقَامُوا بِغُرْبَةٍ
 تُقَلِّبُهُمْ أَيَّامُهَا وَتَقَلِّبُ
 بَدَارِ غُرُورِ حُلُوةٍ يَغْمُرُونَهَا
 وَقَدْ عَايَنُوا فِيهَا زَوَالًا وَجَرُّوْا
 يَذْمُونَ دُنْيَا لَا يَرِيحُونَ دَرَّهَا
 فَلَمْ أَرْ كَالدُّنْيَا تُذَمُّ وَتُحَلَبُ
 تَسْرُهُمْ طَوْرًا وَطَوْرًا تُذَيِّفُهُمْ مَضِيضَ مَكَا وَحَرَّهَا يَتَلَهَّبُ
 اللَّهُمَّ اعْتَقْنَا مِنْ رِقِّ الذُّنُوبِ ، وَخَلِّصْنَا مِنْ شَرِّ النَّفُوسِ ، وَأَذْهِبْ عَنَّا
 وَخَشَةَ الْإِسَاءَةِ ، وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجِرْنَا
 مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللَّهُمَّ رَضْنَا بِقَضَائِكَ وَأَعْنَا عَلَى الدُّنْيَا بِالْعِفَّةِ وَالزُّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَعَلَى
 الدِّينِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَطَهَّرْ السِّتْنَائَيْنِ مِنَ الكَذِبِ وَقَلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَأَعْمَلْنَا مِنَ
 الرِّيَاءِ وَاحْفَظْ أَبْصَارَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَالدُّنْيَا وَالْهَوَىٰ وَنَسْأَلُكَ
 أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلَا
 تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ
 يَعِيشُ ابْنُ آدَمَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَعِيشَ، وَيَمْشِي الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ
 وَيَتَقَلَّبُ فِيهَا، وَيَرَى حُلُوهَا وَمُرَّهَا وَسُرُورَهَا وَأَحْزَانَهَا، وَيَأْخُذُ فِيهَا حَظَّهُ
 مِنَ الشَّقَاءِ وَحَظَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ، بِمَقْدَارِ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ وَمَا قَدَّرَهُ عَلَيْهِ،
 وَلَكِنْ لِكُلِّ هَذَا نِهَايَةٌ، وَلِكُلِّ ذَلِكَ غَايَةٌ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ كُلُّ نَفْسٍ
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ
 قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَيْتُمْ مِتُّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَالَ:
 ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فَسَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلُّ حَيٍّ، وَالْخُلُودُ فِي
 دَارِ الْفَنَاءِ غَيْرُ مَعْقُولٍ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ
 مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ .

شِعْرًا : قَالَ بَعْضُهُمْ فِي ابْنِ لَه مَات :

وَهَوْنٌ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ أَنْبِيَّ أَجَاوِرُهُ فِي دَارِهِ الْيَوْمَ أَوْ غَدِ
 خَر : لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنْ عَيْنِ الْبَصِيرِ غَطَاؤُهَا
 آخِر : كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا وَبَكَى أَحْبَابُهُمْ ثُمَّ بُكُوا

تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَدُهُمْ لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكُوا
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سُوْقَةَ وَرَأَيْنَا سُوْقَةَ قَدْ مَلَكَوْا
 آخِر: وَكُلُّ أُمَّ وَإِنْ سَرَّتْ بِمَا وَلَدَتْ يَوْمًا سَتُّكُلُ مَا رَبَّتْ مِنَ الْوَالِدِ
 آخِر: وَكَيْفَ بَقَاءِ النَّاسِ فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا
 آخِر: حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأْيُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِالْيِ
 سَلَامِ عَلَى دَارِ الْغُرُورِ فَإِنَّهَا مُنْعَصَةٌ لَدَائِهَا بِالْفَجَائِعِ
 فَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَ الْمُجْبِينَ سَاعَةً فَعَمَّا قَلِيلٍ أُرْدَفَتْ بِالْمَوَانِعِ
 آخِر:

عَلَى مِثْلِ هَذَا كُلِّ جَمْعٍ مَالُهُ وَصَالَ وَتَفَرَّقَ يَسْرٌ وَيُؤْلَمُ
 وَإِنْ مَنَعَ الْغِيَابُ أَنْ يَقْدُمُوا لَنَا فَإِنَّا عَلَى غِيَابِنَا سَوْفَ نَقْدُمُ

فَالْبَقَاءُ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ ، هَذِهِ الدُّنْيَا جَسْرٌ ، هَذِهِ الدُّنْيَا مَمَرٌ وَمَعْبَرٌ
 وَطَرِيقٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَبَّطُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ وَيَتَعَثَّرُ فِيهَا
 وَلَا يَهْتَدِي ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُوفِّقُهُ اللَّهُ فَيَسْلُكُهَا مُسْتَقِيمًا لَا يَلْوِي عَلَى
 شَيْءٍ إِلَّا عَلَى زَادِ الْآخِرَةِ ، وَأَمَلٍ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ ، فِي تِلْكَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ ،
 ذَلِكَ الْهَدْفُ هُوَ رِضَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ نَعِيمٍ ، الَّذِي
 فِيهِ الْهُدُوءُ وَالْإِطْمِئْنَانُ ، وَالَّذِي فِيهِ الْفَوْزُ وَالنَّجَاةُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، تِلْكَ
 حَالٌ مَنْ اتَّعَظَ وَاعْتَبَرَ فَنَفَعَتْهُ الْعِبْرَةُ ، وَلِمَسَّ الْمَوْعِظَةَ مِنْ دُرُوسِ الْحَيَاةِ
 وَأَحْدَثَهَا فَاهْتَدَى ، وَزَادَهُ اللَّهُ هُدًى ، تِلْكَ حَالٌ مَنْ اعْتَبَرُوا ، فَنَفَعَتْهُمْ
 الْعِبْرَةُ ، وَجَعَلُوا التَّقْوَى إِلَى اللَّهِ أَمَامَهُمْ لَا يَحِيدُونَ عَنْهَا ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ
 وَيَخْشَوْنَ سُوءَ الْحِسَابِ . ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ ظُلْمَاتٍ ، وَسَتَّهِيَ إِلَى ظُلْمَاتٍ
 خَرَجْتَ مِنْ ظُلْمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَتَنْتَظِرُكَ ظُلْمَاتُ الْقُبُورِ ، خَرَجْتَ مِنْ

أَحْشَاءِ أَمِكَ ، وَاسْتَقْبَلِكَ أَحْشَاءُ أُخْرَى ، أَقْوَى وَأَعْظَمُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿مَنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ دَفَعَكَ جَوْفٌ يَحْنُ عَلَيْكَ ، إِلَى جَوْفِ الْأَرْضِ ، وَبَيْنَ الْجَوْفَيْنِ أُمُورٌ وَأُمُورٌ ، فَفِي الدُّنْيَا السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ وَالسَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ إِنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ شِدَّةٍ إِلَى رَخَاءٍ ، وَمِنْ رَخَاءٍ إِلَى بَلَاءٍ ، وَتُصَادِفُكَ عَقَبَاتٌ فِي طَرِيقِكَ ، بَعْدَ عَقَبَاتٍ ، وَتَتَغَيَّرُ أَحْوَالُكَ مِنْ حَالَاتٍ إِلَى حَالَاتٍ ، فَمِنْ ذَلٍّ إِلَى عِزٍّ ، وَمِنْ عِزٍّ إِلَى ذَلٍّ ، وَمِنْ غِنَى إِلَى فَقْرٍ وَمِنْ فَقْرٍ إِلَى يُسْرٍ ، وَمِنْ صِحَّةٍ إِلَى مَرَضٍ ، وَمِنْ مَرَضٍ إِلَى عَافِيَةٍ ، وَمِنْ رَاحَةٍ إِلَى تَعَبٍ ، هَذِهِ هِيَ الدُّنْيَا وَهَذِهِ أَحْوَالُهَا ، عِزُّهَا لَا يَدُومُ ، - وَرَخَاؤُهَا لَا يَبْقَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَحَاسِبْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ ، قَبْلَ أَنْ تُحَاسِتَ ، وَزِنْ أَعْمَالَكَ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكَ ، وَرَاقِبْ مَوْلَاكَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَتُبْ إِلَيْهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ .

تَوَرَّعَ وَتُبْ وَارْهَدْ وَصَلْ وَصُمْ وَلَا وَكُنْ دَائِمًا فِي الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ قَائِمًا
تَمَّ وَاعْتَزَلْ وَاصْصُمْتَ وَرَاقِبْ وَأَيِّقِنِ
عَلَى الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

آخر :

يَلْذُ بِهَذَا الْعَيْشِ مَنْ لَيْسَ يَعْقِلُ
وَمَا عَجَبَ نَفْسُ تَرَى الرَّأْيَ إِنَّمَا أَلْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكَوْهُمَّةً ذُنُوبَةً
آخر: وَالْمَرْءُ مِثْلُ هَلَالٍ حِينَ تُبْصِرُهُ
يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ
وَيَزْهَدُ فِيهِ الْأَلْمَعِيُّ الْمُحْصِلُ
عَجِيبَةٌ نَفْسٌ مُقْتَضَى الرَّأْيِ تَفْعَلُ
تَرَى النَّصَّ إِلَّا أَنَّهُ تَتَأَوَّلُ
يَبْدُو ضَعِيفًا ضَعِيلًا ثُمَّ يَتَسَّقُو
كُرُّ الْجَدِيدَيْنِ نَقْصًا ثُمَّ يَنْمَحِقُ

يُنْهِنَهَا مَوْتُ النَّبِيِّ فَتَرْعَوِي
وَيَخْدَعُهَا رُوحُ الْحَيَاةِ فَتَغْفُلُ

وفي كُلِّ جُزْءٍ يَنْقُضِي مِنْ زَمَانِهَا
مَنْ الْجِسْمِ جُزْءٌ مِثْلُهُ يَتَمَلَّمُ
شعرا: أَمَامَكَ أَيُّهَا الْمَعْرُورُ يَوْمَ تَشِيْبُ لِهَوْلِهِ سُوْدُ النَّوَاصِي
وَأَنْتَ كَمَا عَهْدْتِكَ لَا تُبَالِي بِغَيْرِ مَظَاهِرِ الْعَيْبِ الرَّخَاصِ

آخر:
عِشْ مَا بَدَاكَ هَلْ تَرَكَ تَعِيشُ
عِشْ كَيْفَ شِئْتَ لِنَأْيَتِكَ وَقَعَةٌ
أَتُظُنُّ سَهَمَ الْحَادِثَاتِ يَطِيْشُ
يَوْمًا وَلَا لِحَنَاحِ جِسْمِكَ رِيْشُ

آخر:
إِذَا الشَّيْبُ لَاحَتْ لَبْحَةٌ مِنْ نَعَامِهِ
أَلَا كُلُّ إِنْسَانٍ وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ
فَعَصْرُ الصَّبَا لَمْ يَبْقَ غَيْرَ رِسَامِهِ
وَأَلَا كُلُّ حَيٍّ لِلِحِمَامِ طَرِيْدَةٌ
إِلَى الْحَتْفِ مَاخُوذٌ بِفَضْلِ زِمَامِهِ
وَكُلُّ فَقِيْدٍ مِنْ رَمَايَا سِهَامِهِ
تَمُّرُ اللَّيَالِي بُؤْسَهَا وَنَعِيمُهَا
كَطَيْفٍ يَرَاهُ حَالِمٌ فِي مَنَامِهِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاعِبِينَ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَسَلِّكَ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الصَّادِقِينَ ، وَأَنْ تَلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ
أَحْيِ قُلُوبَنَا أَمَاثَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ ، يَا كَرِيمُ يَا
مَنَّانُ ، يَا مَنْ جَادَ عَلَى عِبَادِهِ بِالْأَنْعَامِ وَالْأَفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا
بُلْطَفِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجَاوُزَ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَعُفْرَانِكَ ، وَارْزُقْنَا مَا رَزَقْتَ
أَوْلِيَاءَكَ ، مِنْ نَعِيمِ قُرْبِكَ ، وَلَذَّةِ مُنَاجَاتِكَ ، وَصِدْقِ حُبِّكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم « يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان من اللين ، السبتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله : أبي تغترون أم علي تجترون ، فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم خيران » رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام » رواه أحمد والبخاري والدرامي .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي بعثني بالحق لتكونن بعدي فترة في أمي ، يبغى فيها المال من غير حله ، وتسفك فيها الدماء ويستبدل فيها الشعر بالقران » رواه الديلمي .

وعن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل لربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تزال الأمة على الشريعة ما لم تظهر فيهم ثلاث ، ما لم يقبض منهم العلم ، ويكثر فيهم ولد الحنث ، ويظهر فيهم الصقارون » قالوا : وما الصقارون يا رسول الله ؟ قال « نشء يكونون في آخر الزمان ، تكون بحيتهم بينهم التلاعن » رواه أحمد والطبراني .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يكون في آخر الزمان أقوام إخوان العلانية ، أعداء السريرة » فقيل :

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ « ذَلِكَ بِرَغْبَةِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ وَرَهْبَةِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَمْرُقٌ مَارِقَةٌ عِنْدَ فِرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْخَوَارِجِ ، فَقَتَلْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ : انظُرُوا فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّهُ سَيَخْرُجُ قَوْمٌ يَتَكَلَّمُونَ بِالْحَقِّ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ ، يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَقِّ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، سِيْمَاهُمْ إِنْ مِنْهُمْ رَجُلًا أَسْوَدَ ، مُخَدَّجَ الْيَدِ ، فِي يَدِهِ شَعْرَاتٌ سُودٌ ، إِنْ كَانَ هُوَ فَقَدْ قَتَلْتُمْ شَرَّ النَّاسِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ فَقَدْ قَتَلْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ . فَبَكَيْنَا . ثُمَّ قَالَ : اظْلُبُوا ، فَظَلَبْنَا فَوَجَدْنَا الْمُخَدَّجَ ، فَخَرَزْنَا سُجُودًا ، وَخَرَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَنَا سَاجِدًا . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ أَبِي جَحِيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ فَرِغَ مِنَ الْحَرُورِيَّةِ : إِنْ فِيهِمْ رَجُلًا مُخَدَّجَ الْيَدِ ، لَيْسَ عَلَى عَضِدِهِ عَظْمٌ ، فِي عَضِدِهِ حَلْمَةٌ كَحَلْمَةِ الثَّدْيِ ، عَلَيْهَا شَعْرَاتٌ طَوَالٌ عَقْفٌ ، فَالْتِمَسْ فَلَمْ يُوْجَدْ ، قَالَ : وَأَنَا فِيمَنْ يَلْتَمِسُ ، فَمَا رَأَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَزَعَ قَطُّ أَشَدَّ مِنْ جَزَعِهِ يَوْمَئِذٍ ، قَالُوا : مَا نَجِدُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا اسْمُ هَذَا الْمَكَانِ؟ قَالُوا : النَّهْرَوَانِ . قَالَ : كَذَبْتُمْ إِنَّهُ لَيْفِيهِمْ ، فَالْتَمِسُوهُ . قَالُوا فَتَوَرَّنَا الْقَتْلَى فَلَمْ نَجِدْهُ ، فَعُدْنَا إِلَيْهِ ، فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَجِدُهُ ، قَالَ : مَا اسْمُ هَذَا الْمَكَانِ؟ قُلْنَا : النَّهْرَوَانِ . قَالَ :

صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَكَذَبْتُمْ ، إِنَّهُ لَفِيهِمْ فَالْتَمِسُوهُ ، فَالْتَمَسْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ فِي سَاقِيَةِ ، فَجِئْنَا بِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى عَضِدِهِ لَيْسَ فِيهَا عَظْمٌ ، وَعَلَيْهَا كَحَلْمَةِ ثُدْيِ الْمَرْأَةِ ، عَلَيْهَا شَعْرَاتٌ طَوَالُ عُقْفُ رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ .

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، فَتَكُونُ السُّنَّةُ كَالشَّهْرِ ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَاتٌ خَدَاعَاتٌ ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيَخُونُ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ » قِيلَ : وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ « الرَّجُلُ التَّافَهُ ، يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا يَزِدَادُ الْأَمْرُ ، إِلَّا شِدَّةً وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ، وَلَا الْمَهْدِيِّ إِلَّا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ » رَوَى الْحَدِيثَيْنِ ابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَيْبِدٍ قَالَ : ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَقَالَ « ذَلِكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَنَقْرُؤُهُ أَبْنَاءَنَا ، وَيَقْرُؤُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ « تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا زِيَادُ ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقِهِ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ ، أَوْ لَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَؤُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِنْهُمَا » ؟ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ سَلَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْ أَسْرَاطِ

السَّاعَةِ أَنْ يَتَدَفَعَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ ، فَلَا يَجِدُونَ إِمَامًا يُصَلِّي بِهِمْ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ . قُلْتُ وَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ الثَّبُوتِ وَصِدْقِ الرَّسَالَةِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ أَذْلًا مِنَ الْأُمَّةِ ، يَذُوبُ قَلْبُهُ فِي جَوْفِهِ ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، مِمَّا يَرَى مِنَ الْمُنْكَرِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغْيِرَهُ ، رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ « فَصَل » وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَسْتَخْفِي الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ ، كَمَا يَسْتَخْفِي الْمَنَافِقُ فِيكُمْ » رَوَاهُ ابْنُ السُّنِيِّ ، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالْمَسْجِدِ فَلَا يَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ « يَأْتِي دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ » وَوَصَفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ « مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَتَكَلِّمُونَ بِالسِّتِينَا » قَالَ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ قَالَ « اعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعْضُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يَأْتِيكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

شعرا : إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا بِهَا إِنَّهَا الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى دَانَا اللَّهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةَ عَنْ دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانًا لَوْلَا الْمُهَيِّجُنُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا

وَعَنْ الضُّحَّاكِ أَنَّهُ قَالَ : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْأَحَادِيثُ ، حَتَّى يَبْقَى الْمُصْحَفُ عَلَيْهِ الْغُبَارُ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ . قُلْتُ وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ وَقَعَتْ فَإِنَّ الْمُصْحَفَ مَهْجُورٌ وَالْأَقْبَالُ عَلَى الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَاتِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

فصل

وعن وَابِصَةَ الأَسَدِيِّ عَنِ أَبِيهِ أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ :
مَتَى تَكُونُ أَيَّامُ الْهَرَجِ ؟ قَالَ : حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيْسَهُ . قَالَ : فَمَا
تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : اكْفُفْ نَفْسَكَ وَبِدَكَ ، وَادْخُلْ دَارَكَ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ .
وَفِي الْمُسْنَدِ عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الْإِسْلَامِ ، سُفَهَاءُ
الْأَحْلَامِ ، حَدَثَاءُ الْأَسْنَانِ ، - أَوْ قَالَ - أَحْدَاثُ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ
النَّاسِ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِالسِّيْتِهِمْ ، لَا يَعْدُونَ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنْ
الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السُّهُمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ ، فَإِنَّ فِي
قَتْلِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا عِنْدَ اللهِ » . قُلْتُ هَذَا الْحَدِيثَ وَالَّذِي قَبْلَهُ فِيهِمَا عِلْمٌ مِنْ
أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ الْحَلِيفُ بِغَيْرِ اللهِ ، وَالشَّهَادَةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُسْتَشْهَدَ ، وَكَثْرَةُ الطَّلَاقِ ، وَمَوْتُ الْفُجَاءَةِ » . أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي
الْحَلِيبَةِ ، قُلْتُ : وَهَذَا الْحَدِيثُ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ ، وَصِدْقِ الرِّسَالَةِ ،
فَإِنَّ كُلَّ فِقْرَةٍ مِنْ فِقْرَاتِهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ ، فَتَأَمَّلْهُ بِدَقَّةٍ .
فَإِنَّ الْحَلِيفَ بِغَيْرِ اللهِ قَدْ كَثُرَ جِدًّا ، وَكَذَلِكَ الشَّهَادَةُ يَبْذُلُهَا كَثِيرٌ مِنْ
النَّاسِ بِدُونِ طَلَبِ ، وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الطَّلَاقِ ، وَهَذِهِ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ
إِيمَانِ هَؤُلَاءِ ، وَأَمَّا مَوْتُ الْفُجَاءَةِ فَكَثِيرٌ ، فَمِنْهُ السَّكَنَةُ الْقَلْبِيَّةُ ، وَالْجَلْطَةُ
الدَّمَوِيَّةُ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ انْقِلَابِ السِّيَارَاتِ وَتَصَادُمِهَا ، وَسُقُوطِ الطَّائِرَةِ ،
وَالانْفِجَارَاتِ ، فَكُلُّهَا يَصْدُقُ عَلَيْهَا مَوْتُ الْفُجَاءَةِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى
مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، وَكُلُّ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ ، وَالَّتِي تَأْتِي ،
تَأْمَلْهَا وَطَبِّقْهَا ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى شَرْحِهَا ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ وَاضِحٌ وَاقِعٌ ، وَلَكِنَّ

النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا مُعْرَضُونَ ، وَمُنْهَمِكُونَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا
وَالْتِكَاثُرِ فِيهَا. وَالِاسْتِغْثَالَ بِمَا يَلْهِي وَيَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَأَمَّلْ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِيَدِي دِينَ دِينَهُ إِلَّا مَنْ هَرَبَ بِدِينِهِ
مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ ، وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَنْلِ
الْمَعِيشَةَ إِلَّا بِسَخَطِ اللَّهِ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ - كَانَ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِي
أَبَوِيهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ كَانَ هَلَاكُهُ عَلَى يَدِي قَرَابَتِهِ أَوْ الْجِيرَانِ »
قَالُوا : كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « يُعَيِّرُونَهُ بِضِيْقِ الْمَعِيشَةِ ، فَعِنْدَ
ذَلِكَ يُورِدُ نَفْسَهُ الْمَوَارِدَ الَّتِي يُهْلِكُ فِيهَا نَفْسَهُ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ كَمَا فِي
كِتَابِ الزُّهْدِ ج ٣ ، ص ٤٤٤ مِنْ كِتَابِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ بَيْعُ الْحُكْمِ ، وَكَثْرَةُ الشَّرْطِ » أَخْرَجَهُ أَبُو
نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ. قُلْتُ هَذَا الْحَدِيثَ وَالَّذِي قَبْلَهُ فِيهِمَا أَعْلَامٌ مِنْ أَعْلَامِ النَّبِوَةِ
فَتَأَمَّلْ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ظُهُورُ شَهَادَةِ الزُّورِ ، وَكَيْفَانُ الْحَقِّ » رَوَاهُ أَحْمَدُ
وَالْبُخَارِيُّ قُلْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ النَّبِوَةِ.

شِعْرًا : تَخَيَّرَ قَرِينًا مِنْ فِعَالِكَ إِنَّمَا
يَزِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَإِنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ فَلَا تَكُنْ
بِعَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ تَشْغَلُ
فَلَا بُدَّ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنْ أَنْ تُعِدَّهُ
لِيَوْمِ يُنَادِي الْمَرْءُ فِيهِ فَيُسْأَلُ

فَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ
وَلَا قَبْلَهُ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِيهِ
يُقِيمُ قَلِيلاً عِنْدَهُمْ ثُمَّ يَرْحَلُ

آخر :

مَا دُمْتَ حَيًّا فَطَعِ لَهِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْعِبَادَاتِ
وَأَكْثَرَ الذِّكْرِ لِلْمَوْلَى وَكُنْ حَذِرًا مِنْ غَفْلَةِ النَّفْسِ عَنْ ذِكْرِ الْمَنِيَّاتِ
فَالْمَوْتُ يَأْتِي بِرِقَتٍ لَسْتَ تَعْلَمُهُ فَكُنْ لَهُ مَسْتَعِدًّا قَبْلَ أَنْ يَأْتِي
كَمْ مَنْ صَحِيحٍ غَدَا مِنْ بَيْتِهِ سَحْرًا وَبِالْمَسَاءِ غَدَا جَارًا لِأَمْوَاتِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم

« فصل »

الْأَمَارَةُ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا خُرُوجُ الدَّجَالِ ، وَقَدْ أَنْذَرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَوْمَهَا ،
وَحَدَّرَتْ مِنْهُ أُمَّهَا ، وَنَعَتَهُ بِالنُّعُوتِ الظَّاهِرَةِ ، وَوَصَفَتْهُ بِالْأَوْصَافِ
الْبَاهِرَةِ ، وَحَدَّرَ مِنْهُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْذَرَ ، وَنَعَتَهُ لِأُمَّتِهِ
نُعُوتًا لَا تَحْفَى عَلَى ذِي بَصِيرٍ ، فَعَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، إِلَّا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ، كَانَ
عَيْنُهُ عَيْنَةً طَافِقَةً » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا
بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَالَ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ ، إِلَّا وَإِنَّهُ أَعْوَرٌ ، وَإِنَّ
رَبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ » وَفِي رِوَايَةٍ « يَقْرَأُ كُلُّ
مُسْلِمٍ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنِّي حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ ، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا ، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ ، أَعْوَرٌ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ ، لَيْسَتْ بِنَابِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ أَعْوَرَ الْعَيْنِ أَجْلَى الْجَبْهَةِ عَرِيضَ النَّحْرِ ، فِيهِ دَفَا ، كَأَنَّهُ قَطَنُ بَنِ الْعَزَى » فَقَالَ قَطَنُ ، هَلْ يَضْرِبُنِي شَبَهُهُ ؟ قَالَ « لَا أَنْتَ مُسْلِمٌ وَهُوَ أَمْرُو كَافِرٌ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَمَّا أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ الدَّجَالَ فِي صُورَتِهِ ، رُؤْيَا عَيْنٍ ، لَيْسَ رُؤْيَا مَنْامٍ » فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ « أَقْمَرُ هَجَانًا فَيْلْمَانِيًا ، أَحَدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ ، كَأَنَّهَا كَوَكَبٌ دُرِّي ، كَانَ شَعْرُهُ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْتَبُوا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ بِالشَّرْقِ يُقَالُ لَهَا خُرَّاسَانُ ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَأَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ .

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ الدُّجَالَ يَخْرُجُ فِي حِقْفَةٍ مِنَ الدِّينِ ، وَإِدْبَارِ مِنَ الْعِلْمِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَزِيمَةَ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ ، يَقْرَأُهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بِهَذَا اللَّفْظِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدُّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمُهُ ؟ إِنَّهُ أُعْوَرٌ ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الدُّجَالِ « إِنَّ مَعَهُ نَارٌ وَمَاءٌ ، فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، وَمَاؤُهُ نَارٌ ، فَلَا تَهْلِكُوا » قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ الدُّجَالَ يَخْرُجُ ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا ، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرَقُ ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ » فَقَالَ عُبَيْدُ : وَأَنَا سَمِعْتُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ حُدَيْفَةَ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لِأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدُّجَالِ مِنْهُ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ، أَحَدُهُمَا رَأْيِ الْعَيْنِ مَاءٌ أَيْضٌ ، وَالْآخَرُ رَأْيِ الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجُجُ فَأَمَّا إِنْ أُدْرِكَنَّ أَحَدًا ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا ، وَلْيَغْمِضْ ثُمَّ لِيَطَّأْطِءْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبْ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدًا ، وَإِنَّ الدُّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّجَالَ فَخَفِضَ فِيهِ وَرَفَعَ ، حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ

النَّخْل ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا ، فَقَالَ « مَا شَأْنُكُمْ » ؟ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ الْعَدَاةَ ، فَخَفَضْتَ فِيهِ ثُمَّ رَفَعْتَ ، حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، قَالَ « غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفَنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فامرؤٌ حَاجِبٌ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ ، عَيْنُهُ قَائِمَةٌ » الْحَدِيثُ وَفِيهِ : قَالَ « يَا أَيُّ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُوا لَهُ ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتُ ، وَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرَى ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا ، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَيُضْبِحُوا مُمَحْلِلِينَ ، مَا بَأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ يَمُرُّ الْخَرِيبَةَ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكَ . فَيَنْطَلِقُ ، فَتَسْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيْبِ النَّخْلِ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّلِيلَةُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ اللَّهُمَّ أَعْفُ عَنْ تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَى مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (فَصْل)

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَدْرَكَ الدَّجَالَ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّجَالِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ سَمِعَ بِالدُّجَالِ فَلْيُنَا عَنْهُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَعَنْ أُمِّ شَرِيكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « لَيَفِرُّنَّ النَّاسُ مِنَ الدُّجَالِ فِي الْجِبَالِ » قَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ « هُمْ قَلِيلٌ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَمَّا قَدْرُ لُبِّهِ فِي الْأَرْضِ فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبُّهُ - أَيِ الدُّجَالِ - فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ « أَرَبَعُونَ يَوْمًا ، يَوْمَ كَسَنَةِ ، وَيَوْمَ كَشْهَرٍ ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةِ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ ؟ قَالَ « لَا ، اقْدِرُوا لَهُ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ « كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَمْكُتُ الدُّجَالُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ ، وَالْيَوْمُ كَالضُّطْرَامِ السَّعْفَةِ فِي النَّارِ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرَّوْمُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَائِقَ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمئِذٍ ، فَإِذَا تَصَافَقُوا قَالَتْ الرَّوْمُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا مِنَّا نَقَاتِلَهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : وَاللَّهِ لَا نُخْلِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيَقَاتِلُوهُمْ ، فَيَنْهَزِمُ ثَلَاثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثَلَاثٌ هُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَفْتَحُ الثَّلَاثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا ، فَيَفْتَحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ ، وَقَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزُّيْتُونِ ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ ، يُسَوِّونَ الصُّفُوفَ ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ ، فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَلَيْسَ نَقَبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ صَافِينَ تَحْرُسُهَا ، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْحَةِ ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

اللهم اكتب في قلوبنا لايمانَ وايدنا بشورِ منك يا نور السموات
والارض اللهم وافتح لدعائنا باب القبول والاجابة واغفر لنا وارحمنا
اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقوها وارزقنا القيام بطاعتك وجنبنا ما
يسخطك واصبح نيابتنا ودرجاتنا واعدنا من شر نفوسنا وسيئات اعمالنا
واعدنا من عدوك واجعل هوانا تبعاً لما جاء به رسولك صلى الله عليه

وَسَلَّمَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

إن أَبْطَأَتْ صَلَوةُ الأَرْحَامِ وَابْتَعَدَتْ
لَا يُرْتَجَى كَشْفُ ضَرَاءِ وَنَازِلَةٍ
فَنَقَى بِرَبِّكَ فِي كُلِّ الأُمُورِ وَلَا
لَهُ عَلَيْنَا جَزِيلُ الشُّكْرِ مُتَشِيرًا
كَيْمٌ مِنْ لَطَائِفِ أَوْلَاهَا العِبَادِ وَكَمْ
فَاضِرَعٌ بِقَلْبِ كَيْبٍ مُحِبِّتٍ وَجَلِ
وَقُلْ إِذَا ضَاقَتِ الحَالَاتُ مُبْتَهَلًا
مَالِي مَلَاذٌ وَلَا ذُخْرُ الأُلُودِ بِهِ
رَبِّ تَفَرَّدَ فِي مُلْكٍ لَهُ وَعَلَا
أَرْجُوهُ سُبْحَانَهُ أَنْ لَا يُخَيَّبَ لِي
فَقَمٌ وَحُثُّ التَّمَادِي كَمْ عَسَى وَمَتَى
أَهْ عَلَى زَمَنِ مِنِّي مَضَى فُرْطًا
أَفْرَحُ لِتَنفِيسِي وَقَلْبِي كُلَّمَا رَجَعَا
وَرُبَّمَا بَكِيًا خَوْفَ الذُّنُوبِ وَمَا
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى المَخْتَارِ سَيِّدِنَا
عَنَّا فَاقْرُبْ شَيْءَ رَحْمَةِ اللهِ
فِي كُلِّ حَادِثَةٍ إِلَّا مِنْ اللهِ
تَجْعَلُ يَقِينَكَ يَوْمًا إِلَّا بِاللَّهِ
فِي كُلِّ حَادِثَةٍ فَضَّلْ مِنْ اللهِ
أَشْيَا لَا تُنْحِصِي فَضْلًا مِنْ اللهِ
مُسْتَعْطِيفِ خَائِفِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ
يَارَبِّ يَارَبِّ وَاسْأَلْ رَحْمَةَ اللهِ
وَلَا عِمَادَ وَلَا رُكْنَ سِوَى اللهِ
وَفَضْلُهُ وَاسِعٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
ظَنًّا فَحَسْبِي مَا أَرْجُوهُ مِنَ اللهِ
كَمْ أَيُّهَا النَّفْسُ إِعْرَاضٌ عَنِ اللهِ
سَبَّهَلًا لَمْ يَكُنْ فِي طَاعَةِ اللهِ
عَنِ المَعَاصِي بِتَوْفِيقِي مِنَ اللهِ
قَدْ أَسْلَفْنَا مِنْ خَطِيئَاتِي إِلَى اللهِ
مُحَمَّدِ المُصْطَفَى المُرْسَلِ مِنَ اللهِ

« خُطْبَةٌ عَظِيمَةٌ كُلُّهَا أَمْثَالٌ وَجِوَانِبٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

فَبَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ قَالَ ، أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ
كِتَابُ اللهِ تَعَالَى ، وَأَوْثَقَ العُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى ، وَخَيْرَ المِلَلِ مِلَّةُ
ابْرَاهِيمَ ، وَخَيْرَ السَّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ ، وَأَشْرَفَ الحَدِيثِ ذِكْرُ اللهِ ، وَأَحْسَنَ
القِصَصِ هَذَا القُرْآنُ ، وَخَيْرَ الأُمُورِ عَوَازِمُهَا وَشَرُّ الأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ،
وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ الأنبياءِ ، وَأَشْرَفَ المَوْتِ قَتْلُ الشَّهِيدِ ، وَأَعْمَى

الْعَمَى الضَّلَالَةَ بَعْدَ الْهُدَى ، وَخَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَ ، وَخَيْرَ الْهُدَى مَا اتَّبَعَ ،
 وَشَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ وَالْيَدِ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَمَا قُلَّ وَكَفَى
 خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى ، وَشَرُّ الْمَعْذِرَةِ حِينَ يَحْضُرُ الْمَوْتُ ، وَشَرُّ النَّدَامَةِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَذْكُرُ
 اللَّهَ إِلَّا هُجْرًا ، وَأَعْظَمُ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ ، وَخَيْرُ الْغِنَى غِنَى
 النَّفْسِ ، وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ مَا وَقَرَ
 فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ ، وَالْأَرْثَابُ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّيَاحَةُ مِنَ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ ،
 وَالغُلُولُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ ، وَالْكَنْزُ كَيْ مِنَ النَّارِ ، وَالشِّعْرُ مِنْ مَزَامِيرِ
 ابْلِيسَ ، وَالْحَمْرُ جَمَاعُ الْأَثَمِ ، وَالنِّسَاءُ جِبَالَةُ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ
 مِنَ الْجُنُونِ ، وَشَرُّ الْمَكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا ، وَشَرُّ الْمَآكِلِ مَالُ السَّيِّمِ ،
 وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ
 أَحَدُكُمْ إِلَى مَوْضِعٍ أَرْبَعَةَ أَذْرُعَ ، وَالْأَمْرُ بِأَجْرِهِ وَمِلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِمُهُ
 وَسَبَابُ الْمُؤْمِنِ فَسُوقٌ ، وَقِتَالُ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ
 اللَّهِ ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ ، وَمَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكْذِبُهُ ، وَمَنْ يَغْفِرُ يَغْفِرُ
 اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ يَغْفُ يَغْفُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ يَكْظِمُ الْغَيْظَ يَأْجِرُهُ اللَّهُ وَمَنْ
 يَضْبِرُ عَلَى الرَّزِيَّةِ يُعَوِّضُهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ السُّمْعَةَ يُسْمِعُ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ
 يَضْبِرُ يُضَعِفُ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي
 وَلَا تَمِتِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَا تَمِتِّي ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ۝ انتهى .

شعرا :

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ

وَاللَّهُ يَا هَذَا لِرِزْقِكَ ضَامِنٌ

تَعْنَى بِمَا تُكْفَى وَتَتْرُكُ مَا بِهِ

تُعْنَى كَأَنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنٌ

أَوْ مَا تَرَى الدُّنْيَا وَمَضَرَ عَ أَهْلِهَا
 فاعْمَلْ لِيَوْمِ فِرَاقِهَا يَا خَائِنُ
 وَاغْلَمْ بِأَنَّكَ لَا أَبَا لَكَ فِي الَّذِي
 أَصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لِغَيْرِكَ خَازِنُ
 يَا عَامِرَ الدُّنْيَا أَتَعْمُرُ فِي الَّذِي
 لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَعَ الْمَنِيَّةِ سَاكِنُ
 الْمَوْتُ شَيْءٌ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ
 حَقٌّ وَأَنْتَ بِذِكْرِهِ مُتَهَاوِنُ
 إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تُؤَامِرُ مَنْ أَتَتْ
 فِي نَفْسِهِ يَوْمًا وَلَا تَسْتَأْذِنُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ
 وَالْإِنَابَةِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا تَثْبِيتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ ، وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ
 وَشُكْرَكَ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْعُظْمَى الْمَسِيحِ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
 وَنَزُولُهُ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ ، أَمَا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى
 ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أَي لِيُؤْمِنَنَّ بِعَيْسَى قَبْلَ
 مَوْتِ عَيْسَى ، وَذَلِكَ عِنْدَ نَزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ آخِرَ الزَّمَانِ ، حَتَّى تَكُونَ الْمِلَّةُ
 وَاحِدَةً ، مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَأَمَّا السُّنَّةُ فِيهِ الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكُنَ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ، حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السُّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وَأَمَّا الْأَجْمَاعُ فَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى نَزْوِلِهِ ، وَلَمْ يُخَالَفْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ ، وَقَدْ ائْتَقَدَ الْأَجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ يَنْزِلُ ، وَيَحْكُمُ بِهِذِهِ الشَّرِيعَةَ الْمَحْمُودِيَّةَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ ، ثُمَّ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ عَسَاكِرَ وَأَبُو يَعْلَى .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ « يَمْكُثُ عِيسَى أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَيُدْفَنُ عِنْدَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ جِبَانَ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لِيَهْلُنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ ، أَوْ لِيُشْنِنَهَا جَمِيعًا » وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَوَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مَمَّصْرَانِ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطِرُ ، وَإِنْ لَمْ يُصْبَهُ بَلَلٌ ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ

الْخَنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَانَةُ عَلَى الْأَرْضِ ، حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالنَّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَاتِ لَا تَضُرُّهُمْ « الْحَدِيثُ .

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْعُظْمَى خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُوَ نَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ ، أَمَا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ وَأَمَّا السُّنَّةُ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوجِيئُ إِلَى عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَعْدَ قَتْلِهِ لِلدَّجَالِ ، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بَقِيَّتِهِمْ ، فَحَرَّرْتُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوْلَهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةَ ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَاءٌ ، وَيَحْضَرُونَ عَيْسَى وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ ، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالذُّخَانُ ، وَالذَّابَّةُ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَنُزُولُ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفَاتٍ وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ « الْحَدِيثُ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ، وَهُوَ فِي مُسْلِمٍ وَذَكَرَ فِيهِ « خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ » .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ : قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« لِيُحْجَّزَ هَذَا الْبَيْتَ وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ » أَخْرَجَهُ
الْبُخَارِيُّ .

وَمِنَ الْعَلَامَاتِ الْعُظْمَى هَذُمُ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِقِيَّةِ ، أَخْرَجَ ، الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « يُخْرَبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ » وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ
أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ وَزَادَ « وَتَسْلِبُهَا حُلِيِّهَا ،
وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتَيْهَا ، فَلِكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، أَصِيلُحُ أَفِيدُحُ ، يَضْرِبُ عَلَيْهَا
بِمَسْحَاتِيهِ أَوْ مِعْوَلِهِ » وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ » - يَعْنِي ذَا السُّوَيْقَتَيْنِ - « أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَنْقُضُهَا حَجْرًا
حَجْرًا » يَعْنِي الْكَعْبَةَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَخْرُجُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ عَلَى الْكَعْبَةِ » قَالَ : حَسِبْتُ
أَنَّهُ قَالَ « فِيهِدُمَهَا » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَرَوَى الْبَزَّازُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا
تُقَوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّجَ الْبَيْتُ » .

وَمِنَ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْعُظْمَى الدُّخَانُ ، قَالَ الْعُلَمَاءُ آيَةُ الدُّخَانِ
ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، أَمَا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَالْحَسَنُ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ رَحِمَهُمُ
اللَّهُ تَعَالَى : هُوَ دُخَانٌ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، يَدْخُلُ فِي أَسْمَاعِ الْكُفَّارِ
وَالْمُنَافِقِينَ ، وَيَعْتَرِي الْمُؤْمِنِينَ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ ، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كُلُّهَا كَبَيْتٍ

أَوْقَدَ فِيهِ ، وَأَمَّا السَّنَةُ فَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ ، فَقَالَ « مَا تَذَاكُرُونَ » قَالُوا : السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . . قَالَ « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا فِيهَا آيَاتٍ » فَذَكَرَ مِنْهَا الدُّخَانَ . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ ، وَانَّهُ يُمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَفِي حَدِيثِ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ دُخَانًا يَمَلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، يُمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ شِبْهُ الزَّكَامِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ يَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ فِيهِ وَمِنْخَرِيهِ ، وَعَيْنِيهِ وَأُذُنِيهِ ، وَذُبُرِهِ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْعُظْمَى رَفَعَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمُ مِنَ الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ ، وَهِيَ مِنْ أَشَدِّ مُعْضِلَاتِ الْأُمُورِ ، فَأَخْرَجَ الدِّيْلَمِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا « يُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ لَيْلًا ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ وَلَيْسَ مِنْهُ آيَةٌ وَلَا حَرْفٌ فِي جَوْفٍ إِلَّا نُسِخَتْ » وَعِنْدَ الدِّيْلَمِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَرْجِعَ الْقُرْآنُ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، لَهُ دَوِيٌّ حَوْلَ الْعَرْشِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مِنْكَ خَرَجْتُ وَإِلَيْكَ أَعُودُ ، أَتَلَى فَلَا يُعْمَلُ بِي » وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا « يَدْرُسُ الْإِسْلَامَ ، حَتَّى لَا يَدْرُونَ مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ » .

فَعَلَيْكَ يَا أَحْيَى بِالْكَثَارِ مِنْ تِلَاوَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ .

شِعْرًا :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا يَبْتُ رَبَّنَا وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُهُ

آخِرُ :

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَمَا نَحَابَ عَبْدًا لِلْمُهَيِّمِينَ بِذِكْرِهِ

اللهم وَفَقْنَا لِمَا وَفَقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيُّقِظُنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزُقْنَا
 الْإِسْعَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرَبِّحُ فِيهِ الْمُتَقَوْنَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
 عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا
 وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا قَالَ الْعُلَمَاءُ
 رَحِمَهُمُ اللَّهُ : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ
 قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا .

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا
 عِدَّةُ أَحَادِيثَ ، مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
 بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوجُ
 الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى ، وَأَيُّهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتَيْهَا فَالْأُخْرَى عَلَى
 أَثَرِهَا ، قَرِيبًا مِنْهَا ، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا « أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ »
 قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ اعْلَمُ . قَالَ « إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا
 تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَجْرُ سَاجِدَةً ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ
 حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَرْجِعُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا
 شَيْئًا ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَلِكَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَيُقَالَ لَهَا ارْجِعِي

ارْتَفِعِي ، اصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « أَتَدْرُونَ مَتَى ذَلِكَ ؟ » حِينَ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ الْآيَةَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا جَمِيعًا ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا » أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ مِنْ قَبْلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً ، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعِينَ ، فَذَلِكَ حِينَ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ فَفَرَأَ الْآيَةَ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَالْمَقْصُودُ أَنْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضُ الْآيَاتِ ، لَا يَنْفَعُهُ إِيْمَانُهُ إِنْ آمَنَ بَعْدَ إِيْتَانِهَا ، وَلَا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ الْمُقْصَرِ أَنْ يَزَادَ خَيْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، بَلْ يَنْفَعُهُ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْإِيْمَانِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ الْمَوْجُودِ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضُ الْآيَاتِ ، وَالْحِكْمَةُ ظَاهِرَةٌ ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ الْإِيْمَانُ يَنْفَعُ إِذَا كَانَ بِالْغَيْبِ وَكَانَ اخْتِيَارًا مِنَ الْعَبْدِ ، فَأَمَّا بَعْدَ وُجُودِ الْآيَاتِ فَيَصِيرُ الْأَمْرُ شَهَادَةً ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْإِيْمَانِ فَائِدَةٌ ، لِأَنَّهُ يُشْبَهُ الْإِيْمَانَ الضَّرُورِيَّ وَلِهَذَا لَمَّا أَدْرَكَ فِرْعَوْنَ الْفِرْقَ ، وَجَزَمَ بِالْهَلَاكِ ، ﴿ قَالَ

آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُبَيِّنًا أَنَّ هَذَا الْإِيمَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ غَيْرُ نَافِعٍ . ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَمْثَالِ فِرْعَوْنَ مِمَّنْ عَايَنُوا بِأَسِ اللَّهِ ، وَأَذْرَكُوا الْغُرُورَ ، وَاعْتَرَفُوا بِمَا كَانُوا يُنْكِرُونَ ، وَأَقْرَبُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ ، وَكَفَرُوا بِشُرَكَائِهِمْ مِنْ دُونِهِ ، وَلَكِنْ الْأَوَانَ كَانَ قَدْ فَاتَ ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا ، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ ذَلِكَ أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ قَدْ جَرَتْ عَلَى أَنْ لَا تُقْبَلَ التَّوْبَةُ بَعْدَ ظُهُورِ بِأَسِ اللَّهِ فِيهَا تَوْبَةُ فَرَعٍ وَخَوْفٍ ، لَا تَوْبَةَ إِيْمَانٍ صَاحِحٍ .

شعرا : وَلَمَّا دَنَى مِنِّي السِّيَاقُ تَعَطَّفْتُ

عَلَيَّ وَعِنْدِي عَنْ تَعَطُّفِهَا شُغْلُ

أَنْتَ وَجِيَاضُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وَجَادَتْ بِوَصْلِ جِينٍ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ ، إِذَا وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ الْأَضْطِرَّائِيَّةِ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ ، لِأَنَّ إِيْمَانَهُمْ صَارَ مُشَاهِدًا ، كَأِيْمَانِ الْوَارِدِينَ عَلَى الْقِيَامَةِ ، وَالَّذِي يَنْفَعُ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ فَالشَّأْنُ فِي الْإِيْمَانِ بِالْغَيْبِ الَّذِي لَمْ يُرَ وَلَمْ يُشَاهَدْ وَإِنَّمَا نُؤْمِنُ بِهِ لِخَبَرِ اللَّهِ وَخَبَرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ، قَالَ : يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَبِالْبَعْثِ فَهَذَا غَيْبٌ كُلُّهُ . ١ ه قَالَ فِي لَوَائِحِ الْأَنْوَارِ : فَيَتَلَخَّصُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ ، وَمَا

فِي مَعْنَاهَا مِمَّا هُوَ مُسَطَّرٌ فِي الدَّرِّ الْمَشْوَرِ لِلْسُّيُوطِيِّ ، أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا
 طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانَ الْمُحَدَّثُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِمَنْ كَانَ كَافِرًا
 أَوْ مُشْرِكًا ، وَلَا التَّوْبَةُ الْمُحَدَّثَةُ فِيهِ لِمَنْ كَانَ مُخَلِّطًا ، وَلَا أَعْمَالَ الْبِرِّ
 الْمُحَدَّثَةِ فِيهِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْمَلُهَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ
 مُؤْمِنًا فَإِنَّ الْإِيمَانَ الْمُجَرَّدَ عَنِ الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ عَلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ يَنْفَعُ
 صَاحِبَهُ ، لِأَجْلِ نَجَاتِهِ وَإِيمَانِهِ الْمُتَجَدِّدِ يَوْمَئِذٍ يَنْفَعُهُ أَيْضًا لِأَنَّهُ نُورٌ عَلَى
 نُورٍ ، وَإِنْ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ السَّابِقَ مَعَ التَّخْلِيْطِ
 يَنْفَعُهُ ، مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا ، وَإِنَّمَا
 الْمَمْنُوعُ قَبُولُ تَوْبَتِهِ عَنْ تَخْلِيْطِهِ ، وَقَبُولُ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ
 وَأَعْمَالِ الْبِرِّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَالضَّابِطُ أَنَّ كُلَّ بَرٍّ مُحَدَّثٍ يَكُونُ السَّبَبُ فِي
 إِحْدَاثِهِ رُؤْيَا آيَةِ ، وَلَمْ يَسْبِقْ مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ ، لَا يَنْفَعُ سِوَاءَ مَا كَانَ مِنْ
 الْأُصُولِ أَوْ الْفُرُوعِ ، وَكُلُّ بَرٍّ لَيْسَ كَذَلِكَ ، لَكُونِ صَاحِبِهِ كَانَ عَامِلًا بِهِ
 قَبْلَ رُؤْيَا آيَةِ يَنْفَعُ ، وَهَذَا التَّحْقِيقُ نَبَّهَ عَلَى مِثْلِهِ الْأَمَامُ الْمُحَقِّقُ الْعَلَامَةُ
 ابْنُ مُفْلِحٍ فِي الْأَدَابِ ، قَالَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا طَلَعَتْ
 الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ ، وَكَفَى
 النَّاسَ الْعَمَلُ » : لَيْسَ الْمَرَادُ بِهَذَا الْخَبَرِ تَرْكُ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ مِنَ
 الْفَرَائِضِ - أَيِ وَكَذَا مِنَ النَّوَافِلِ - قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ ،
 فَيَجِبُ الْأَتْيَانُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَيَنْفَعُهُ مَا يَأْتِي بِهِ
 مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ يَأْتِي بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَكَفَى النَّاسَ الْعَمَلُ ؛ أَيِ عَمَلًا
 لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَهُ ، وَحَكَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ مَنْ أَدْرَكَهُ
 بَعْضُ الْآيَاتِ وَهُوَ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ مَعَ إِيمَانِهِ قَبْلَ مِنْهُ كَمَا يُقْبَلُ مِنْهُ قَبْلَ
 الْآيَةِ ، قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ : فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي سَبَّبَهُ ظُهُورُ الْآيَةِ اضْطَرَّتْهُ
 إِلَيْهِ ، وَأَمَّا مَا كَانَ يَعْمَلُهُ فَظُهُورُ الْآيَةِ لَا تَأْثِيرَ لَهَا فِيهِ ، فَبَقِيَ الْحُكْمُ كَمَا قَبْلَ
 الْآيَةِ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيمَانَنَا بِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَأَعِزَّنَا وَلَوْلَا دِينُنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شعرا : كل يزول وكل هالك فان

إلا الاله وما ليله من ثان
قضى وقدر تقديراً فأتقنه
سبحانه هو ذو عز وسلطان
فأرضوا بما قدر الجبار واحتسبوا
إن الرضا بالقضا حق لديان
ويأيدروا بثناء الله وارتهبوا
عند المصائب في سر وإعلان
لا تأسفن على ما فات من عرض
فالرب يخلفه فضلاً باحسان
هذي الحياة وربي صفونا كدر
لا بُد زائلة عن كل إنسان
يشقى اللبيب ويُمسي فيها ذا عطب
تبا لها دار أكذار وأحزان
إن المصاب الذي يأتي بلا عمل
يوم المعاد ومن يجزى بحرمان
وما أصاب جميع الناس من ضرر
إلا بظلمهم أو شؤم وعصيان

نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قَدْ بَانَتْ جِرَاءَتُنَا
عَلَى الْإِلَهِ وَلَمْ نَسْخَطْ لِشَيْطَانِ
نَحْنُ الْمُسِيئُونَ نَحْنُ التَّائِبُونَ هَوَى
نَحْنُ الْأَلَى خَلَطُوا ذَنْبًا بِعِضْيَانِ
وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا أُرِيدَ بِنَا
وَالْكُلُّ فِي سَكْرَةٍ وَنَحَا لِسْكَرَانِ
وَلَمْ نُرَاقِبْ إِلَهَ الْعَرْشِ فِي عَمَلِ
وَذَا وَرَبِّكَ مِنَّا ضَعْفُ إِيمَانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذَكَرِكَ وَارْزُقْنَا التَّاهِبَ
وَالاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاغْفِرْ لَنَا
اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ كُتُبِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَرُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ فِي
قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَنُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا خُرُوجُ الدَّابَّةِ مِنَ الْأَرْضِ ،
وَخُرُوجُهَا ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ
أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ ، تَكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا
يُوقِنُونَ ﴾ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ تَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ ،
وَتَرْكِهِمْ أَوْامِرَ اللَّهِ ، وَتَبْدِيلِهِمُ الدِّينَ الْحَقَّ وَتُكَلِّمُهُمْ ، وَالدَّلِيلُ مِنْ
السُّنَّةِ مَا وَرَدَ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ » فَذَكَرَ مِنْهَا الدَّابَّةَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ
وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « بَادِرُوا
 بِالْأَعْمَالِ سَيِّئًا » فَذَكَرَ « وَدَابَّةَ الْأَرْضِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ ، وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ
 عُمَرَ ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ جَاءَ فِيهِ : قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الدَّابَّةَ فَقَالَ « لَهَا ثَلَاثُ خَرَاجَاتٍ فِي الدَّهْرِ فَتَخْرُجُ خَرْجَةً مِنْ أَقْصَى
 البَادِيَةِ ، وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ ، أَعْيُنِي مَكَّةَ ، ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلًا ، ثُمَّ
 تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى دُونَ تِلْكَ ، فَيَعْلُو ذِكْرُهَا فِي أَهْلِ البَادِيَةِ ، وَيَدْخُلُ
 ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ ، يَعْنِي مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثُمَّ بَيْنَمَا
 النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ وَأَكْرَمِهَا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، لَمَّ يَرُعْهُمْ إِلَّا
 وَهِيَ تَرُغُو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ فَارْفَضَ النَّاسُ
 عَنْهَا شَتَى وَمَعَا ، وَتَثَبَّتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُعْجِزُوا
 اللَّهَ ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ فَجَلَّتْ وُجُوهُهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَالْكُوكَبِ الدَّرِّيِّ ، وَوَلَّتْ
 فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ
 لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا فِي الصَّلَاةِ ، فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ : يَا فَلَانُ الْآنَ تُصَلِّي ،
 فَيُقْبَلُ عَلَيْهَا فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ
 وَيَضْطَحِبُونَ فِي الْأَمْصَارِ ، يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ
 لَيَقُولُ يَا كَافِرُ أَقْضِنِي حَقِّي ، وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ يَا مُؤْمِنُ أَقْضِنِي
 حَقِّي » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمٌ سُلَيْمَانُ ، وَعَصَا مُوسَى بْنِ عُمَرَانَ
 عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا ، وَتَحْطُمُ أَنْفَ الْكَافِرِ
 بِالْخَاتَمِ ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ ، فَيَقُولُ هَذَا : يَا مُؤْمِنُ .
 وَيَقُولُ هَذَا : يَا كَافِرُ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَأَحْمَدُ .

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ خُرُوجُ النَّارِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ تَحْشُرُ
النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ ، تَبَيَّتْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ حَيْثُ قَالُوا ، وَقَدْ ثَبَتَ
ذَلِكَ بِالسُّنَنِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ ، رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ ،
وَإِثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ
النَّارُ ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبَيَّتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُضْبِعُ مَعَهُمْ
حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُسَمِّي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسُوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ وَمِنْهَا « نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ
الْيَمَنِ ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ » رَوَاهُ السُّنَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَعَنْ أَنَسِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَنْ أَوَّلِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ . فَقَالَ « نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى
الْمَغْرِبِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتِ ، أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
تَحْشُرُ النَّاسَ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ « عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ »
أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .
تَنْبِيْهُ :

وَرَدَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى
شِرَارِ النَّاسِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَجِيءُ بَعْدَ عَيْسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ رِيحٌ بَارِدَةٌ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلَا تُبْقِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ

في كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِصَّةِ
الطَّيْرِ ، وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ ، فَيَقُولُونَ مَا تَأْمُرْنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَيَعْبُدُونَهَا
وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارُ رِزْقِهِمْ ، حَسَنُ عَيْشِهِمْ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ « وَأَخْرَجَ
الإمامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ أَيْضًا وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ
« فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ ،
فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ
الْحُمْرِ » - أَيُّ يَتَسَافِدُونَ تَسَافِدَ الْحُمْرِ جَمْعُ حِمَارٍ - « فَعَلَيْهِمْ تَقَوْمُ
السَّاعَةِ » .

وفي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْحَاكِمِ « أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنْ
الْيَمَنِ ، أَلْيَنُ مِنَ الْحَرِيرِ ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ
إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ » .

وَقَالَ السَّفَارِينِيُّ نَاطِمًا لِلْعَلَامَاتِ الْعِظَامِ ، وَالْأَشْرَاطِ الْجِسَامِ ،
الَّتِي تَعْقِبُهَا السَّاعَةُ .

وما أتى بالنصر من أشرط
فكُلُّهُ حَقٌّ بِلَا شِنَطَا
منها الامامُ الخاتِمُ الفَصِيحُ
مُحَمَّدُ المَهْدِيُّ وَالمَسِيحُ
وأنه يَفْتُلُ لِلدَّجَالِ
بِبَابِ لِذُخْلِ عَنْ جِدَالِ
وَأَمْرَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَتَيْتِ
فإنه حَقٌّ كَهْدْمِ الكَعْبَةِ

وَأَنَّ مِنْهَا آيَةُ الدُّخَانِ
 وَأَنَّهُ يُذْهَبُ بِالْقُرْآنِ
 طُلُوعِ شَمْسٍ الْأُفُقِ مِنْ دُبُورِ
 كَذَاتِ أَجْيَادٍ عَلَى الْمَشْهُورِ
 وَأَخْرُ الْآيَاتِ حَشْرُ النَّارِ
 كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَخْبَارِ
 فَكُلُّهَا صَحَّتْ بِهَا الْأَخْبَارُ
 وَقَالَ الْقَاطِنِيُّ: وَسَطَرْتُ آثَارَهَا الْأَخْيَارُ
 أَيَقِّنْ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلَّهَا
 وَاسْمَعْ هُدَيْتِ نَصِيحَتِي وَيَّانِي
 كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانِ غُرُوبِهَا
 وَخُرُوجِ دَجَالٍ وَهَوْلِ دُخَانِ
 وَخُرُوجِ يَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعَا
 مِنْ كُلِّ صَفْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانِ
 « وَنَزُولِ عَيْسَى قَاتِلًا دَجَالَهُمْ
 يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ »

اللَّهُمَّ يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوبِنَا وَاسْتُرْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ عُيُونَنَا وَاعْفِرْ بَعْفُوكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوبَنَا ، وَهَبْ لَنَا مُوَبِقَاتِ الْجَرَائِرِ
 وَاسْتُرْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا فَاصْصَحَاتِ السَّرَائِرِ ، وَلَا تُخْلِنَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنْ
 بَرْدِ عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَلَا تَتْرُكْنَا مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَإِحْسَانِكَ وَآتِنَا فِي
 الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَآيَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ ، وَيَعْرِفُوهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخَافُوهُ ، وَنَصَبَ لَهُمُ الْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ لِيَهَابُوهُ ، وَيَخَافُوهُ خَوْفَ إِجْلَالٍ ، وَوَصَفَ لَهُمْ شِدَّةَ عَذَابِهِ ، وَدَارَ عِقَابِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ عَصَاهُ ، لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَلِهَذَا كَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ ذِكْرَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّهُ فِيهَا لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالْإِغْلَالِ ، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّرْبِ وَالزُّقُومِ وَالْحَمِيمِ وَالسَّلَاسِلِ وَالغَسَاقِ وَالْغَسْلِينَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْفَضَائِعِ وَالْعِظَائِمِ ، وَدَعَا عِبَادَهُ بِذَلِكَ إِلَى خَشْيَتِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا بِأَنَّ الْخَلْقَ وَارِدُوهَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ فَأَنْتَ مِنَ الْوَرُودِ عَلَى يَقِينٍ ، وَمِنَ النَّجَاةِ فِي شَكِّ ، فَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ السَّاهِي عَنْ نَفْسِهِ ، الْمَغْرُورُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَشْتِغَالِ بِعَمَائِرِهِ وَأَرَاضِيهِ وَسَيَّارَاتِهِ ، وَشُرَكَائِهِ وَمُقَاوَلَاتِهِ وَزُوجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَكُلِّ مَا يُلْهِيهِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَالْإِتِّفَاتِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، دَعِ التَّفَكُّرَ وَقَتْلِ الْوَقْتِ فِيمَا أَنْتَ مُرْتَجِلٌ عَنْهُ ، وَجَادُ فِي السَّيْرِ عَنْهُ ، وَاصْرِفْ فِكْرَكَ فِيمَا أَمَامَكَ فَاسْتَشِعِرْ فِي قَلْبِكَ هَوْلَ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ ، لَعَلَّكَ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ وَتَتَأَمَّلُ فِي حَالِ الْخَلْقِ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ حُفَاءَ عُرَاةٍ غُرْلًا ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ تَفَكَّرْ فِي أَرْدِحَامِ الْخَلَائِقِ وَقَدْ صَهَرَتْهُمُ الشَّمْسُ ، إِلَّا مَنْ أَظْلَمَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْغَمُّ مِنَ الْوَهْجِ ، وَتَدَافَعَتِ الْخَلَائِقُ لِشِدَّةِ

الرُّحَامِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَقْدَامِ ، وَأَنْضَافِ إِلَى ذَلِكَ شِدَّةِ الْخَجَلِ وَالْحَيَاءِ ،
وَالْخَوْفِ مِنَ الْفَضَائِحِ وَالْإِخْتِرَاءِ عِنْدَ الْعَرَضِ عَلَى الْجِبَارِ ، وَقُرْبِ
الشَّمْسِ مِنَ الْخَلْقِ فَيَبْلُغُ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، كَمَا فِي
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ :

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَغْرُقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا » .

شِعْرًا :

يَضْحَكُ الْمَرْءُ وَالْبُكَاءُ أَمَامَهُ	وَيُرْوَمُ الْبَقَاءَ وَالْمَوْتُ رَامَهُ
وَيَمْشِي الْحَدِيثُ فِي كُلِّ لَعْوٍ	وَيُخْلِى حَدِيثُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَالْأَمْرُ بِكَاهُ كُلِّ لَيْبٍ	وَتَفَى فِي الضَّلَامِ عَنْهُ مَنْامَهُ
صَاحِ حَدَّثَ حَدِيثُهُ وَانْتَصَرَهُ	فَمُحَالٌ بِأَنْ تُطِيقَ تَمَامَهُ
عَجَزَ الْوَاصِفُونَ عَنْهُ فَقَالُوا	لَمْ نَجِي مِنْ بَحَارِهِ بِكُضَامَهُ
فَلْتَحَدِّثْهُ جُمْلَةً وَشَتَاتًا	وَدَعِ الْآنَ شَرْحَهُ وَنِظَامَهُ

آخِرُ :

وَكَيفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ	بِمَوْقِفِ عَدْلِ يَوْمِ تُبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنْتَا	سَدَى مَا لَنَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَصَادِرُ
أِلَّا لَا وَلَكِنَّا نَعْرِ نُفُوسَنَا	وَتَشْعَلُنَا اللَّذَاتُ عَمَّا نُحَاذِرُ

فَصَلِّ : وَتَأْمَلْ صِفَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَدَوَاهِيهِ ، لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ تَفَارِقَ
الرُّوحَ الْبَدَنَ ، وَتُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَتَنْدَمَ حِينَ لَا
يَنْفَعُكَ النَّدَمُ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهْبِ تَنْفِطُرُ السَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ تَنْتَبِرُ ،
وَالْبِحَارُ تُفَجِّرُ ، وَالنُّجُومُ تَنْكَبِرُ ، وَالشَّمْسُ تُكْوَرُ ، وَالْجِبَالُ تُسِيرُ ، وَالْعِشَارُ

تُعْطَلُ ، وَالْوَحُوشُ تُخْشَرُ ، وَالنَّفُوسُ تُزْوَجُ ، وَالْجَحِيمُ تُسَعَّرُ وَالْجَنَّةُ تُقَرَّبُ ،
 وَالْأَرْضُ تُمَدُّ يَوْمَ تَرَى الْأَرْضَ قَدْ زُلْزِلَتْ ، وَأَخْرَجَتْ أَثْقَالَهَا ، ﴿يَوْمَئِذٍ
 يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ يَوْمَ تُحْمَلُ ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّتَا
 ذِكَّةً وَاحِدَةً﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ،
 وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ،
 يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ،
 وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ
 وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
 كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ
 الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ يَوْمَ تُرْجُ الْأَرْضُ رَجًّا ، وَتَبَسُّ الْجِبَالُ بَسًّا ،
 يَوْمَ ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ،
 وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾
 ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ
 الْقَهَّارِ ﴾ يَوْمَ يَنْسِفُ اللَّهُ الْجِبَالَ ﴿ نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ، لَا تَرَى
 فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ يَوْمَ ﴿ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ
 السَّحَابِ ﴾ يَوْمَ تَنْشَقُّ فِيهِ السَّمَاءُ فَتَكُونُ ﴿ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ ﴾ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا
 يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ،
 وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

شِعْرًا :
 وَبَعْدَ دُخُولِ الْقَبْرِ يَا نَفْسُ كُرْبَةً وَهَوَّلَ تُشَيِّبُ الْمُرْضِعِينَ زَلَازِلُهُ
 إِذَا الْأَرْضُ خَفَّتْ بَعْدَ ثَقْلِ جِبَالِهَا وَخَلَى سَبِيلَ الْبَحْرِ يَا نَفْسُ سَاحِلُهُ
 فَلَا يَرْتَجِي عَوْنًا عَلَى حَمَلِ وَزْرِهِ مُسِيءٌ وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْوِزْرِ حَامِلُهُ
 إِذَا الْجَسَدُ الْمَعْمُورُ زَايِلَ رَوْحَهُ خَوَى وَجَمَالَ الْبَيْتُ يَا نَفْسُ أَهْلُهُ

وَقَدْ كَانَ فِيهِ الرُّوحُ حَيًّا يَزِينُهُ وَمَا الْعِمْدُ لَوْلَا نَصْلُهُ وَحَمَائِلُهُ
 يُزَايِلُنِي مَالِي إِذَا النَّفْسُ حَشْرَجَتْ وَأَهْلِيَّ وَكَدْحِي لِأَزْمِي لَا أَرَايِلُهُ
 وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا
 يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ وَقَالَ ﴿ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
 اللَّهِ ، ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ
 نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ الْآيَةُ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ
 كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
 وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ﴿ يَوْمَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ يَوْمَ تَعْلَمُ فِيهِ كُلُّ
 نَفْسٍ مَا أَحْضَرَتْ وَتَشْهَدُ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ، يَوْمَ تَخْرُسُ فِيهِ الْأَلْسُنُ ،
 وَتَنْطِقُ فِيهِ الْجَوَارِحُ ، يَوْمَ شِيبَ ذِكْرَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « شِيبَتِي هُوَذَا وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا
 الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ .

شِعْرًا : لِأَمْرِ مَا تَصَدَّعَتِ الْقُلُوبُ وَبَاحَ بِسِرِّهَا دَمْعَ سَكِيبُ
 وَبَاتَتْ فِي الْجَوَانِحِ نَارُ ذِكْرِي لَهَا مِنْ خَارِجِ أَثَرٍ عَجِيبُ
 وَمَا خَفَّ اللَّيْبُ لِغَيْرِ شَيْءٍ وَلَا أَعْيَا بِمَنْطِقِهِ الْأَرِيبُ
 ذَرَاهُ لِأَيْمَاهُ فَلَا تَلُومًا فَرَبَّتْ لِأَيْمٍ فِيهِ يَحُوبُ
 رَأَى الْأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ مُرُورَ الرِّيحِ يَدْفَعُهَا الْهَبُوبُ
 وَمَا نَفْسٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا وَمِنْ جُثْمَانِهِ فِيهِ نَصِيبُ
 وَيَنْ يَدِيهِ لَوْ يَدْرِي مَقَامَ بِهِ الْوَلْدَانَ مِنْ رَوْعِ تَشِيبُ
 وَهَذَا الْمَوْتُ يَدِينُهُ إِلَيْهِ كَمَا يُدْنِي إِلَى الْهَرَمِ الْمَشِيبُ
 مَقَامٌ تُسْتَلَذُّ بِهِ الْمَنَايَا وَتُدْعَى فِيهِ لَوْ كَانَتْ تُجِيبُ
 وَمَاذَا الْوَصْفُ بِالْعُهُ وَلَكِنْ هِيَ الْأَمْثَالُ يَفْهَمُهَا اللَّيْبُ

اللَّهُمَّ اقْبَلْ تَوْبَتَنَا وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا وَاجِبْ دَعْوَتَنَا وَثَبِّتْ حُجَّتَنَا وَاهْدِ قُلُوبَنَا وَسَدِّدْ أَسْتِنَتَنَا وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قُلُوبِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالُوا لِيَجْلُدِهِم لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : انْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي انْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ وَقَالَ ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : إِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الشُّرْكَ وَتَكْذِيبَ الرُّسُلِ ، فَيَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ خَتْمًا لَا يَقْدِرُونَ مَعَهُ عَلَى الْكَلَامِ ، وَتَكَلَّمُ أَيْدِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ بِاخْتِيَارِهِمْ ، بَعْدَ أَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا عَلَى الْكَلَامِ ، لِيَكُونَ أَدْلٌ عَلَى صُدُورِ الذَّنْبِ مِنْهُمْ ، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَزَّازُ وَغَيْرُهُمْ عَنْ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ﴾ الْآيَةَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ « أَتَدْرُونَ مِمَّ اضْحَكُ ؟ » قُلْنَا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ يَا رَبُّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فَيَقُولُ : إِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَيَّ إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي ، فَيَقُولُ ﴾ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهَدَاءَ ، فَيَخْتِمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطَقِي ، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ، ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، فَيَقُولُ : نَعْدَا لَكِنَّ وَسُحْقًا فَعَتَكُنْ كُنْتُ أَنَاضِلُ » وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَلْقَى الْعَبْدُ رَبَّهُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ أَلَمْ أَكْرِمَكَ وَأَسْوَدَكَ وَأَزَوَّجَكَ ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْإِبِلَ ، وَأَدْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرَبُّعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى أَيُّ رَبِّ .

فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقَالُ : إِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَّ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّلَاثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَرَسُولِكَ ، وَصَلَيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ أَلَا نَبَعْتُ شَاهِدًا عَلَيْكَ ؟ فَيَفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَيَّ فِيهِ ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ أَنْطَقِي ، فَتَنْطِقُ فِخْذُهُ وَفَمُّهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ مَا كَانَ ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمَنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يُسْخَطُ عَلَيْهِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ :

وَتَحَدَّثُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا
أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَانِ
وَتُظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالَّذِي
مِنْ فَوْقِهَا قَدْ أَحَدَتْ الثَّقَلَانِ
وَتُمَدُّ أَيْضًا مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا
مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانِ
وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا
كَالْأَصْطِوَانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ
كُلُّ يَرَاهُ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِهِ
مَا لِأَمْرِيءٍ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ
وَكَذَا الْجِبَالُ تُفْتَتُ فَتًا مُحْكَمًا
فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُتْبَانِ
وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ
وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

وَتَبَسُّ بِسَاءٍ مِثْلَ ذَاكَ فَتَنَّنِي
 مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاطِرِ الْإِنْسَانِ
 وَكَذَا الْبِحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ
 قَدْ فُجِّرَتْ تَفْجِيرَ ذِي السُّلْطَانِ
 وَكَذَا لَكَ الْقَمْرَانِ يَا ذُنُوبَنَا
 لَهْمَا فَيَجْتَمِعَانِ يَلْتَقِيَانِ
 هَذِي مَكُورَةٌ وَهَذَا خَاسِفٌ
 وَكِلَاهُمَا فِي النَّارِ مَطْرُوحَانِ
 وَكُوكِبُ الْأَفْلَاقِ تُنْثَرُ كُلُّهَا
 كَلَالِيءُ نُثِرَتْ عَلَى مَيْدَانِ
 وَكَذَا السَّمَاءُ تُشَقُّ شَقًّا ظَاهِرًا
 وَتَمُورُ أَيْضًا أَيَّمَا مَوْرَانِ
 وَتَصِيرُ بَعْدَ الْأَنْشِقَاقِ كَمِثْلِ هَذَا الْمُهْلِ أَوْ تَكُ وَرْدَةً كَدِهَانِ
 وَقَالَ الْقَطْحَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ
 لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمِنْ أَوْطَانِ
 يَوْمَ تَشَقَّتِ السَّمَاءُ لَهُوْلِهِ
 وَتَشِيبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ
 يَوْمَ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ شَرٌّ
 فِي الْخَلْقِ مُتَشِيرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
 يَوْمَ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ
 وَفِدَاءً عَلَى نُجْبٍ مِنَ الْعِيقَانِ

وَجِيءَ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَظَى
يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْعَطْشَانُ
« موعظة »

فَيَا أَيُّهَا الْمُهْمَلُونَ الْغَافِلُونَ تَيَقَّظُوا فَإِلَيْكُمْ يُوجَّهُ الْخَطَابُ وَيَا أَيُّهَا
الْفَائِمُونَ انْتَبَهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاخَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابُ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ
وَمُفْرِقِ الْجَمَاعَاتِ وَمُذِلِّ الرِّقَابِ وَمُشْتَتِ الْأَحْبَابِ فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ
عَائِقٌ وَلَا يُضْرَبُ دُونَهُ حِجَابٌ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ
عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا يَلِجُ مِنَ الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ
عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ إِلَّا وَأَنَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ،
وَوَرَاءَهُ هَوْلُ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَأَحْوَالِهِ الصِّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإِزْدِحَامِ
فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ وَالصَّرَاطِ وَالْحِسَابِ ،

نظم في البعث بعد الموت والجزاء

وَأَنَّ نَفْحَةَ اسْرَافِيلَ ثَانِيَةً فِي الصُّورِ حَقًّا فَيَحْيِي كُلَّ مَنْ قُبِرَا
كَمَا بَدَأَ خَلَقَهُمْ رَبِّي يُعِيدُهُمْ سَبْحَانَ مَنْ أَنْشَأَ الْأَرْوَاحَ وَالصُّورَا
حَتَّى إِذَا مَا دَعَا لِلْجَمْعِ صَارِخُهُ وَكُلَّ مَيِّتٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ قَدْ نُشِرَا
قَالَ الْإِلَهِ : قِفُوهُمْ لِلسُّؤَالِ لِكُنِّي يَقْتَصُّ مَطْلُومُهُمْ بِمَنْ لَهُ قَهْرَا
فَيُوقِفُونَ أَلْفًا مِنْ سِنِينِهِمْ وَالشَّمْسُ دَانِيَةً وَالرَّشْحُ قَدْ كَثُرَا
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْأَمْلَاقُ قَاطِبَةً لَهُمْ صُفُوفٌ أَحَاطَتْ بِالْوَرَى رُمُرَا
وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِالنَّارِ تَسْحِبَهَا خُزَانُهَا فَأَهْلَلَتْ كُلَّ مَنْ نَظُرَا
لَهَا زَفِيرٌ شَدِيدٌ مِنْ تَغِيْظِهَا عَلَى الْعَصَاةِ وَتَرْمِي نَحْوَهُمْ شَرَرَا
وَبُرْسُلُ اللَّهِ صُحُفَ الْخَلْقِ حَاوِيَةً أَعْمَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ جَلَّ أَوْ صَغُرَا
فَمَنْ تَلَقَّته بِالْيُمْنَى صَحِيفَتُهُ فَهُوَ السَّعِيدُ الَّذِي بِالْفَوْزِ ظَفِرَا
وَمَنْ يَكُنْ بِالْيَدِ الْيُسْرَى تَنَاوَلَهَا دَعَا ثُبُورًا وَلِلثَّيْرَانِ قَدْ حُسِرَا

وَوَزَنُ أَعْمَالِهِمْ حَقًّا قَبْلَ أَنْ تُنْقَلَتْ
وَأَنَّ بِالْمِثْلِ تُجْزَى السَّيِّئَاتُ كَمَا
وَكُلُّ ذَنْبٍ سِوَى الْإِشْرَاقِ يَغْفِرُهُ
وَجَنَّةُ الْخُلْدِ لَا تَفْنَى وَسَاكِنُهَا
أَعَدَّهَا اللَّهُ دَارًا لِلْخُلُودِ لِمَنْ
وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ الْإِلَهِ بِهَا
كَذَلِكَ النَّارُ لَا تَفْنَى وَسَاكِنُهَا
وَلَا يُخَلَّدُ فِيهَا مَنْ يُوحِدُهُ
وَكَمْ يُنَجِّي إِيَّاهُ بِالشَّفَاعَةِ مَنْ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفِّقْنَا
لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا أَنْطَوْتَ عَلَيْهِ ضَمَائِرَنَا
اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْعَصْيَانِ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا
كَرِيمُ يَا مَنَّانُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

« فصل » ثُمَّ تَأَمَّلْ فِي الْمِيزَانِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِيزَانُ حَقِيقِي ، لَهُ كِفَتَانِ وَلِسَانٌ ،
تُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾
وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ فَأَمَّهُ هَاطِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « كِلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى

الرَّحْمَنِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » الأكثرُ على أنه
 مِيزَانٌ وَاحِدٌ ، لِجَمِيعِ الْأُمَمِ وَلِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ
 الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ ، أَوْ بِاعْتِبَارِ الْأَشْخَاصِ ، أَوْ لِلتَّفَخِيمِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ إِلَّا وَاحِدٌ ،
 وَقِيلَ لِأَنَّ الْمِيزَانَ يَحْتَوِي عَلَى لِسَانٍ وَكَفَّتَيْنِ وَشَاهِئِينَ ، وَلَا يَتِمُّ الْوِزْنُ إِلَّا
 بِاجْتِمَاعِهَا ، وَرُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الْمِيزَانَ ، فَأَرَاهُ
 كُلَّ كِفَّةٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فغَشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ : يَا إِلَهِي
 مَنْ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَمْلَأَ كِفَّتَهُ حَسَنَاتٍ ؟ فَقَالَ : يَا دَاوُدُ إِنِّي إِذَا رَضِيتُ عَنْ
 عَبْدِي مَلَأْتُهَا بِتَمْرَةٍ .

وَأَخْرَجَ الْبَزَّازُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يُوتَى بَابِنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
 فَيُوقَفُ بَيْنَ كِفَّتَيْ الْمِيزَانِ ، وَيُؤَكَّلُ بِهِ مَلَكٌ ، فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلَكُ
 بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ : سَعِدَ فُلَانٌ بِنِ فُلَانٍ ، سَعَادَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا
 أَبَدًا ، وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ : أَلَا شَقِي
 فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسَعِدُ بَعْدَهَا أَبَدًا » وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ ذَكَرْتُ
 النَّارَ فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا يُبْكِيكَ ؟
 قُلْتُ : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ « أَمَّا
 فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا ، عِنْدَ الْمِيزَانِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيَحِبُّ
 مِيزَانَهُ أَمْ يَثْقُلُ ، وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيَقَعُ كِتَابَهُ فِي يَمِينِهِ أَمْ
 فِي شِمَالِهِ ، أَمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ،
 حَتَّى يَجُوزَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَلَا تَغْفَلْ عَنِ الْمِيزَانِ ، بَلْ فَكِّرْ فِيهِ وَخَطِرِهِ ، وَأَنَّ الْأَعْيُنَ شَاخِصَةٌ
 إِلَى لِسَانِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْ خَطَرِهِ إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا ،

وَوَزَنَ أَعْمَالَهُ فِيهَا بِمِيزَانِ الشَّرْعِ ، وَتَتَّبَعَ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ وَخَطَرَاتِهِ وَلَحْظَاتِهِ ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزَنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَاعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانَ بِهِ كَالْمِيزَانِ الصُّحُفُ ، وَهِيَ صُحُفُ الْأَعْمَالِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَكُلُّ أَنْسَانٍ أَزْمَانُهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرَجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ، إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ فَيُجْمَعُ لَهُ عَمَلُهُ كُلُّهُ فِي كِتَابٍ يُعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، يَلْقَاهُ مَفْتُوحًا غَيْرَ مَطْوِيٍّ ، يَقْرُؤُهُ ، فِيهِ جَمِيعُ عَمَلِهِ مِنْ أَوَّلِ عُمُرِهِ إِلَى آخِرِهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ يَنْبَأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ، بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وَقَالَ ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ تَبْلَى ، وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .

فَلَيْسَ بِمُهْمَلٍ بَلْ لَهُ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ ، حَرَسَ بِاللَّيْلِ وَحَرَسَ بِالنَّهَارِ ، وَيَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَادِثَاتِ ، كَمَا يَتَعَاقَبُ مَلَائِكَةُ آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ ، وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ ، فَائْتَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ يَكْتُبَانِ الْأَعْمَالَ ، صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ ، وَصَاحِبُ الشَّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ ، وَمَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرَسَانِهِ ، وَاحِدٌ مِنْ وَرَائِهِ ، وَآخَرٌ مِنْ قُدَامِهِ ، فَهُوَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَمْلَاقٍ بِالنَّهَارِ ، وَأَرْبَعَةٍ آخَرِينَ بِاللَّيْلِ بَدَلًا ، حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ ، مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ ، وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي

صَلَاةِ الصُّبْحِ ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ
 وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ،
 وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ « فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ » إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ
 إِلَّا عِنْدَ الْخَلَاءِ وَعِنْدَ الْجَمَاعِ ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ .
 شِعْرًا :

إِنْ سَرَّكَ الشَّرْفُ الْعَظِيمُ مَعَ الْغِنَى
 وَيَكُونُ يَوْمَ أَشَدِّ خَوْفٍ وَإِبْلَا
 يَوْمَ الْحِسَابِ إِذَا النُّفُوسُ تَشَاقَلَتْ
 فِي الْوِزْنِ إِذْ غَبَطَ الْأَخْفُ الْأَثْقَلَا
 فاعْمَلْ لِمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَلَا تَكُنْ
 عَنْ حَظِّ نَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ غَافِلَا

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاجِحَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبَسُنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ
 وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا
 مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدَا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا
 عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشِمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا
 وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ غَيْرُ مَتْرُوكٍ سُدَى ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ
 كُنْتَ عَاقِلًا تُرِيدُ نَجَاةَ نَفْسِكَ أَنْ لَا تَغْفَلَ وَلَا سَاعَةً ، وَأَنْ تَكُونَ دَائِمًا عَلَى
 حَذَرٍ ، وَتَفَكَّرَ فِيمَا أَمَامَكَ مِنَ الْعَقَبَاتِ ، وَالْأَهْوَالِ الْمُرْعِجَاتِ ، وَادَّكَّرَ

تَطَائِرِ الصُّحُفِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالشَّمَائِلِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِئْمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ﴾ الْآيَاتِ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً ، وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَّةً ، يَا
لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةً ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً ، خُدُوهُ
فَعْلُوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً
فَاسْلُكُوهُ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِئْمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَاباً يَسِيراً وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ
فَسَوْفَ يَدْعُو بُزُوراً وَيَصْلَى سَعيراً ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يُؤْتَى بِالْعَبْدِ أَوْ الْأَمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ
عَلَى رُؤْسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ : هَذَا فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ مَنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فَلْيَأْتِ
إِلَى حَقِّهِ ، فَتَفْرَحُ الْمَرْأَةُ أَنْ يَكُونَ لَهَا الْحَقُّ عَلَى أَبِيهَا أَوْ أُمِّهَا أَوْ أُخِيهَا أَوْ
زَوْجِهَا ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ فَيَغْفِرُ اللَّهُ مِنْ
حَقِّهِ مَا يَشَاءُ ، وَلَا يَغْفِرُ مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ شَيْئاً فَيُنْصَبُ لِلنَّاسِ ، فَيَقُولُ
اإْتُوا إِلَى النَّاسِ حُقُوقَهُمْ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ فَيَنْتِ الدُّنْيَا ، مِنْ أَيْنَ أُوتِيهِمْ
حُقُوقَهُمْ ؟ فَيَقُولُ : خُذُوا مِنْ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ ، فَأَعْطُوا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ
بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ وَلِيّاً لِلَّهِ ، فَفَضَلَ لَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ضَاعَفَهَا اللَّهُ لَهُ
حَتَّى يُدْخِلَهُ بِهَا الْجَنَّةَ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكَ
حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا شَقِيّاً قَالَ الْمَلِكُ : رَبِّ فَيَنْتِ حَسَنَاتُهُ
وَيَقِي طَالِبُونَ كَثِيرٌ ، فَيَقُولُ خُذُوا مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَأَضِيفُوهَا إِلَى سَيِّئَاتِهِ ، ثُمَّ
صُكُّوا لَهُ صَكًّا إِلَى النَّارِ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ لَا

يُظَلِّمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً ، يُثَابُ عَلَيْهَا الرُّزْقَ فِي الدُّنْيَا ، وَيُجْزَى بِهَا فِي
الْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَكُنْ
لَهُ حَسَنَةٌ .

وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك ،
في قوله ﴿ وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا ﴾ يعني الجنة ، نسأل الله أن يسكننا
وإخواننا المسلمين الجنة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « إن الله تعالى سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق
يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل مثل مد البصر ،
ثم يقول أنتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبي الحافظون ؟ فيقول : لا يا
رب ، فيقول : أفلك عذر . فيقول : لا يا رب ، فيقول تعالى : بلى إن
لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : فإنك لا تظلم
فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ،
ونقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء » أخرجه الترمذي .

وخص من يحاسب وتوزن أعمالهم طائفتان ، فمن الكفار من
ليس لهم حسنة ، فهؤلاء يقعون في النار من غير حساب ولا ميزان ،
ومن المؤمنين من لا سببة له وله حسنات كثيرة زائدة على محض
الإيمان ، فهذا يدخل الجنة بغير حساب ، كما في قصة السبعين ألفاً ،
ومن شاء الله أن يلحقه بهم ، وهم الذين يمروا على الصراط كلّمح

البَصْرِ ، وَكَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَأَجَاوِذِ الْخَيْلِ ، وَمَنْ عَدَا
هَذَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَفَّارِ يُحَاسِبُونَ ، وَتُعْرَضُ أَعْمَالُهُمْ عَلَى الْمَوَازِينِ .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي
الْأَرْضِ ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ : إِنَّهُ يَحْشُرُ الْخَلَائِقَ
كُلَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الْبَهَائِمَ وَالذَّوَابَّ وَالطُّيْرَ وَكُلَّ شَيْءٍ ، فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ
اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ ، ثُمَّ يَقُولُ كُونِي تَرَابًا ، فَلذَلِكَ
﴿ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا ﴾ فَتَفَكَّرَ فِي صِحِّفَتِكَ ، وَكُنْ عَلَى
حَذَرٍ خَشِيَّةٍ أَنْ تَخْرُجَ مَمْلُوءَةً بِالسَّيِّئَاتِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

عَلَامَةٌ صِحَّةٍ لِلْقَلْبِ ذِكْرُ

لِذِي الْعَرْشِ الْمُقَدَّسِ ذِي الْجَلَالِ

وَخِدْمَةُ رَبِّنَا فِي كُلِّ حَالٍ

بِلا عَجْزٍ هُنَالِكَ أَوْ كَلَالِ

وَلَا يَأْتِسُّ بِغَيْرِ اللَّهِ طُرًّا

سِوَى مَنْ قَدْ يَدُلُّ إِلَى الْمَعَالِي

وَيَذْكُرُ رَبَّهُ سِرًّا وَجَهْرًا

وَيُذَمِّنُ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ حَالٍ

وَفِيهَا وَهُوَ ثَابِتٌ إِذَا مَا

يَفُوتُ الْوَرْدُ يَوْمًا لِاسْتِغْثَالِ

فَيَأْتِي لِقَوَاتِ أَشَدِّ مِمَّا

يَفُوتُ عَلَى الْحَرِيصِ مِنَ الْفِضَالِ

ومنها شُحُّهُ بِالْوَقْتِ يَمْضِي
ضِياعاً كَالشَّجِيحِ بِذَلِّ مَالِ
وأيضاً مِنْ عَلامَتِهِ اهْتِمَامُ
بِهِمْ وَاحِدٍ غَيْرِ انْتِحَالِ
فَيُضْرَفُ هَمُّهُ لِيْلِهِ صِرْفاً
وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُ مِنْ المَوَالِ
وأيضاً مِنْ عَلامَتِهِ إِذَا مَا
دَنَا وَقْتُ الصَّلَاةِ لِيذِي الجَلالِ
وَأَحْرَمَ دَاخِلاً فِيهَا بِقَلْبِ
مُنِيبٍ خَاضِعٍ فِي كُلِّ حَالِ
تَنَأَى هَمُّهُ وَالغَمُّ عَنْهُ
بِدُنْيَا تَضَمَّجِلُ إِلى زَوَالِ
وَوَافَى رَاحَةً وَسُرُورَ قَلْبِ
وَقَرَّةَ عَيْنِيهِ وَنَعِيمَ بَالِ
وَيَشْتَدُّ الخُرُوجُ عَلَيْهِ فِيهَا
فَيَرْغَبُ جَاهِداً فِي الاِتِّهالِ
وأيضاً مِنْ عَلامَتِهِ اهْتِمَامُ
بِتَضَجِيحِ المَقالَةِ وَالفِعالِ
وَأَعْمالِ وَنِباتِ وَقَضِ
عَلَى الاخْلاصِ يَحْرُصُ بِالكَمالِ
أَشَدُّ تَحْرُصاً وَأَشَدُّ هَمًّا
مِنْ الأَعْمالِ تَمَّتْ لَأِ يُبالي

يَتَفَرِّطُ الْمُقْصِرُ ثُمَّ فِيهَا
وَإِفْرَاطٍ وَتَشْدِيدٍ لِنَالِي
وَتَصْحِيحِ النَّصِيحَةِ غَيْرَ غَشٍ
يُمَازِجُ صَفْوَهَا يَوْمًا بِحَالٍ
وَيَحْرِصُ فِي أَتْبَاعِ النَّصِّ جَهْدًا
مَعَ الْإِحْسَانِ فِي كُلِّ الْفِعَالِ
وَلَا يُضْغِي لِغَيْرِ النَّصِّ طُرًّا
وَلَا يَعْبَأُ بِآرَاءِ الرِّجَالِ
فَسِتٌ مَشَاهِدٌ لِلْقَلْبِ فِيهَا
عَلَامَاتٌ عَنِ الدَّاءِ الْعُضَالِ
وَيَشْهَدُ مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ يَوْمًا
بِمَا أَسْدَى عَلَيْهِ مِنَ الْفِضَالِ
وَيَشْهَدُ مِنْهُ تَقْصِيرًا وَعَجْزًا
بِحَقِّ اللَّهِ فِي كُلِّ الْخِلَالِ
فَقَلْبٌ لَيْسَ يَشْهَدُهَا سَقِيمٌ
وَمَنْكُوسٌ لِفِعْلِ الْخَيْرِ قَالِي
فَإِنْ رُمِتِ النَّجَاةُ غَدًا وَتَرْجُو
نَعِيمًا لَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالِ
نَعِيمٍ لَا يَبِيدُ وَلَيْسَ يَفْنَى
بِدَارِ الْخُلْدِ فِي غُرْفِ عَوَالِ
فَلَا تُشْرِكْ بِرَبِّكَ قَطُّ شَيْئًا
فَإِنَّ اللَّهَ جَلُّ عَنِ الْمِثَالِ

عَلَا بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقًّا
بِلا كَيْفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ غَالٍ
عُلُوُّ الْقَدْرِ وَالْقَهْرِ اللَّذَانِ
هُمَا لِلَّهِ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ
بِهَذَا جَاءَنَا فِي كُلِّ نَصٍّ
عَنِ الْمَعْصُومِ فِي صَحْبِ وَآلِ
وَنَزَلَ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلٍ
إِلَى أَدْنَى السَّمَوَاتِ الْعَوَالِي
لِثَلَاثِ اللَّيْلِ يَنْزِلُ حِينَ يَبْقَى
بِلا كَيْفٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي
يُنَادِي خَلْقَهُ هَلْ مِنْ مُنِيبٍ
وَهَلْ مِنْ تَائِبٍ فِي كُلِّ حَالٍ
وَهَلْ مِنْ سَائِلٍ يَدْعُو بِقَلْبٍ
فِيُعْطَى سُؤْلَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ
وَهَلْ مُسْتَغْفِرٍ مِمَّا جَنَاهُ
مِنَ الْأَعْمَالِ أَوْ سُوءِ الْمَقَالِ
وَيَشْهَدُ أَنَّمَا الْقُرْآنُ حَقًّا
كَلامُ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِلَالٍ
وَلَا تَمْوِينِهِ مُبْتَدِعِ جَهُولٍ
بِخَلْقِ الْقَوْلِ عَنْ أَهْلِ الضَّلَالِ
وَأَيَّاتِ الصِّفَاتِ تُمَرُّ مَرًّا
كَمَا جَاءَتْ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ

إِلَهُ وَاجِدُ أَحَدُ عَظِيمٍ
عَلِيمٌ عَادِلٌ حَكَمُ الْفِعَالِ
رَجِيمٌ بِالْعِبَادِ إِذَا أَنَابُوا
وَتَابُوا عَنْ مُتَابَعَةِ الضُّلَالِ
شَدِيدُ الْأَنْتِقَامِ لِمَنْ عَصَاهُ
وَيُضْلِيهِ الْجَحِيمَ وَلَا يُبَالِي
فَبَادِرْ بِالذِّي يَرْضَاهُ تُحْظَى
بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَالِ
وَلَا زِمَ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
وَلَا تَرَكْنِ إِلَى قَيْلٍ وَقَالَ
وَأَهْلُ الْعِلْمِ نَافِسُهُمْ وَسَائِلُ
وَلَا يَذْهَبُ زَمَانُكَ فِي اغْتِمَالِ
وَأَحْسِنُ وَأَنْبَسِطُ وَارْفُقْ وَنَافِسْ
لِأَهْلِ الْخَيْرِ فِي رُتَبِ الْمَعَالِي
فَحُسْنُ الْبِشْرِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ
وَيَكْسُو أَهْلَهُ نَوْبَ الْجَمَالِ
وَأَحِبِّ فِي الْإِلَهِ وَعَادِ فِيهِ
وَأَبْغِضْ جَاهِدًا مِنْهُ وَوَالِ
وَأَهْلَ الشِّرْكِ بَايْنَهُمْ وَفَارِقْ
وَلَا تَرَكْنِ إِلَى أَهْلِ الضُّلَالِ
وَتَشْهَدُ قَاطِعًا مِنْ غَيْرِ شَكِّ
بِأَنَّ اللَّهَ جَلُّ عَنِ الْمِثَالِ

وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى
 عَيْنَانَا فِي الْقِيَامَةِ ذِي الْجَلَالِ
 يُرَى كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ صَحْوًا
 بِلا غَيْمٍ وَلَا وَهْمٍ خَيَالِ
 وَمِيزَانُ الْحِسَابِ كَذَاكَ حَقًّا
 مَعَ الْحَوْضِ الْمُطَهَّرِ كَالزَّلَالِ
 وَمِعْرَاجِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقًّا
 بِنَصِّ وَارِدٍ لِشُكِّ جَالِي
 كَذَاكَ الْجَسْرُ يُنْصَبُ لِلْبَرَايَا
 عَلَى مَتْنِ السَّعِيرِ بِلا مُحَالِ
 فَنَاجِ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ شَرٍ
 وَهَارِ هَالِكٍ لِلنَّارِ صَالِي
 وَتُؤْمِنُ بِالْقَضَا خَيْرًا وَشَرًّا
 وَبِالْمَقْدُورِ فِي كُلِّ الْفِعَالِ
 وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ قَدْ أُعِدَّتْ
 لِأَعْدَاءِ الرَّسُولِ ذَوِي الضُّلَالِ
 بِحِكْمَةٍ رَبِّنَا عَدْلًا وَعِلْمًا
 بِأَحْوَالِ الْخَلَائِقِ فِي الْمَالِ
 وَأَنَّ الْجَنَّةَ الْفِرْدَوْسَ حَقٌّ
 أُعِدَّتْ لِلْهُدَاةِ أُولِي الْمَعَالِ
 بِفَضْلِ مِنْهُ إِحْسَانًا وَجُودًا
 بِلا شُكِّ هُنَالِكَ لِلسُّؤَالِ
 وَكُلُّ فِي الْمَقَابِرِ سَوْفَ يُلْقَى
 وَتَكْرِيمًا لَهُمْ بَعْدَ الْوِصَالِ

نَكِيرًا مُنْكَرًا حَقًّا بِهَذَا
 أَنَا النُّقْلُ عَنْ صَاحِبِ وَآلِ
 وَأَعْمَالًا تُقَارِنُهُ فِيمَا
 بِخَيْرِ قَارَنْتَ أَوْ سُوءِ حَالِ

(موعظة)

إِسْتَلَبَ زَمَانِكَ يَا مَسْلُوبٌ ! وَغَالِبَ الْهَوَى يَا مَغْلُوبٌ ! وَحَاسِبِ
 نَفْسِكَ فَالْعَمْرُ مَحْسُوبٌ ، وَامْجِ قَبِيحَكَ فَالْقَبِيحُ مَكْتُوبٌ ، وَاعْجَبًا لِنَائِمٍ وَهُوَ
 مَطْلُوبٌ ، وَلِضَاحِكٍ وَعَلَيْهِ ذُنُوبٌ .

أَلَا ذَكَرَانِي قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْتُ وَيُنَيِّي لِجُثْمَانِي بَدَارِ الْبِلَى يَبِيثُ
 وَعَرَفَنِي رَبِّي طَرِيقَ سَلَامَتِي وَبَصَّرَنِي لِكِنِّي قَدْ تَعَامَيْتُ
 وَقَالُوا مَشَيْبُ الرَّأْسِ يَحْدُو إِلَى الْبِلَاءِ فَقُلْتُ أَرَانِي قَدْ قَرَّبْتُ فَأَذْنَيْتُ
 أَيْنَ الدَّمُوعُ السَّوَاجِمُ ؟ قَبْلَ الْمَنَايَا الْهَوَاجِمُ ، أَيْنَ الْقَلْقُ الدَّائِمُ ؟ لِلذُّنُوبِ
 الْقَدَائِمِ ، أَتَرَى أَثْرَتِ الْمَلَاوِمِ ؟ فِي هَذِهِ الْأَقَاوِمِ ، أَيُّهَا الْقَاعِدُ وَالْمَوْتُ قَائِمٌ أَنْتُمْ
 أَنْتَ عَنْ حَدِيثِنَا أَمْ مُتَنَاوِمٌ ؟ لَا بُدَّ وَاللَّهِ مِنْ ضَرْبَةٍ لَازِمٍ ، تَقْرَعُ لَهَا سِنَّ نَادِمٍ ،
 لَا بُدَّ مِنْ مَوْجِ هَوْلٍ مُتَلَاظِمٍ ، يُنَادِي فِيهِ نَوْحُ الْأَسَى لَا عَاصِمٍ ، لَا بُدَّ مِنْ سَقَمِ
 السَّالِمِ بِنَسَى فِيهِ يَا أُمَّ سَالِمٍ .

يَا مَنْ سَيَّنَاىَ عَنِ بَنِيهِ كَمَا نَأَى عَنْهُ أَبُوهُ
 مَثَلٌ لِنَفْسِكَ قَوْلُهُمْ جَاءَ الْيَقِينُ فَوَجَّهْهُ
 وَتَحَلَّلُوا مِنْ ظُلْمِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلَّلُوهُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَكْفِينَا مَا
 أَهَمَّنَا وَمَا لَا نَهْتُمُّ بِهِ ، وَأَنْ تَرزُقَنَا الاستعدادَ لِمَا أَمَامَنَا ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَمِمَّا يَنْبَغِي اِيرَادُهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ بَعْضُ الْمَعَاصِي الَّتِي قَدْ تَلَبَّسَ بِهَا أَوْ بَعْضُهَا بَعْضُ النَّاسِ ، لِيَسْتَعِدَّ عَنْهَا ، وَعَنْ مَنْ يُقَارِفُهَا ، وَيَنْصَحُ عَنْهَا ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهَا أَمْرَاضٌ فَتَاكَةٌ ، أَعْظَمُ وَأَخْطَرُ مِنْ أَمْرَاضِ الْأَبْدَانِ ، لِأَنَّهَا تُذْهِبُ الْحَسَنَاتِ ، وَرُبَّمَا آدَتْ بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ ، وَالْعَذَابِ السَّرْمَدِيِّ ، مِنْ ذَلِكَ أَكْلُ الْحَرَامِ ، أَوْ رِيَاءُ أَوْ رَبَا ، أَوْ إِضْرَارٌ عَلَى مَنْعِ زَكَاةٍ ، أَوْ عَدَمُ تَنْزِهِ مِنْ بَوْلٍ ، أَوْ تَرْكُ حُضُورِ جُمُعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ ، أَوْ غِيْبَةٌ أَوْ نَمِيمَةٌ أَوْ حَسَدٌ ، أَوْ مَنْعُ حُقُوقٍ وَاجِبَاتٍ ، أَوْ كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ أَوْ أَذِيَّةٌ جَارٍ ، أَوْ قَرِيبٍ ، أَوْ كَثْرَةُ أَيْمَانٍ لِتَرْوِجِ سِلْعٍ ، أَوْ غِشٌّ فِي بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ ، أَوْ تَدْلِيْسٌ أَوْ اقْتِطَاعُ شَيْءٍ مِنْ أَرَاضِي الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ اسْتِعْمَالُ آتِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ ، كَالْعُودِ وَالْبَكْمِ وَالتَّلْفِيزِيُونِ وَالمِذْيَاجِ وَالمِغْدِيُو ، أَوْ تَغْيِيرُ مَنَارِ الْأَرْضِ ، أَوْ لُبْسُ الرِّجَالِ لِلْحَرِيرِ ، أَوْ الذَّهَبِ ، أَوْ تَشْبِيهِ بِنِسَاءٍ ، أَوْ نَظَرٌ إِلَى مُحْرَمٍ ، أَوْ إِعَانَةٌ ظَالِمٍ ، أَوْ تَرْكُ نَصْرِ مَظْلُومٍ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ ، أَوْ شَهَادَةٌ بِزُورٍ ، أَوْ نَجْشٌ لِإِيْدَاءِ مُؤْمِنٍ ، أَوْ تَرْكُ الْوَلَاءِ وَلِبْرَاءِ ، بِمُجَالَسَةِ الْعُصَاةِ ، وَمَوَاكَلَتِهِمْ ، وَتَرْكُ هَجْرِهِمْ ، أَوْ تَدْلِيْسٌ ، أَوْ غِشٌّ أَوْ مُجَاهَرَةٌ بِالْمَعَاصِي ، كَحَلْقِ اللَّحِيَةِ ، وَشُرْبِ الدُّخَانِ ، وَتَشْبِيهِ بِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ، بِجَعْلِ خَنَافِسٍ وَتَوَالِيْتٍ ، وَكَبْخَلُوَةٍ بِأَمْرَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ ، أَوْ يُرْكِبُهَا مَعَهُ ، وَلَا مَحْرَمَ مَعَهَا ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ ، أَوْ تَصَوُّيرُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ، أَوْ شِرَائِهَا ، أَوْ الرِّضَى بِهَا وَعَدَمُ اِتْلَافِهَا ، أَوْ مِثْلٌ مَعَ بَعْضٍ مَنْ يَجِبُ الْعَدْلُ بَيْنَهُمْ ، أَوْ تَشْيِيزُ زَوْجَةٍ عَلَى زَوْجِهَا ، أَوْ بِالْعَكْسِ ، بِأَنْ يُنْشَرُ الزَّوْجَ عَنْهَا ، أَوْ اِضْرَارًا لِتَفْتِدِي مِنْهُ ، أَوْ جَعْلُ يَدٍ عَلَى قَرِيْبَةٍ لَهُ وَمَنْعُهَا مِنَ الزَّوْاجِ إِلَّا لَهُ أَوْ لِمَنْ يُرِيدُهَا لَهُ ، أَوْ مُسَاعَدَةٌ لِصَاحِبِ مَعْصِيَةٍ ، أَوْ يُؤْوِي مُحَدِّثًا ، أَوْ عُقُوقَ لِوَالِدٍ أَوْ وَالِدَةٍ ، أَوْ قَطِيْعَةَ رَجْمٍ ، أَوْ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ

زَنِى أَوْ لَوَاطِى ، أَوْ ائْتِيَانُ مَنْ حَاضَتْ ، أَوْ ائْتِيَانُهَا فِي الدُّبْرِ ، أَوْ ائْتِيَانُ
بَهِيمَةٍ ، أَوْ دِيَانَةٌ . أَوْ كُتْمُ شَهَادَةٍ ، أَوْ خِيَانَةٌ ، أَوْ تَكْذِيبُ بِالْمَلَائِكَةِ ، أَوْ
بِالْحِجْنِ ، أَوْ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، وَالْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، أَوْ
حَلْفٌ بِغَيْرِ اللَّهِ ، أَوْ قَذْفٌ مُحْضَنٍ أَوْ شُرْبُ مُسْكِرٍ ، أَوْ سُجُودٌ لِغَيْرِ اللَّهِ ،
أَوْ أَنْ تُلْحِقَ الْمَرْأَةُ أَوْلَادًا بِزَوْجِهَا ، وَكَذَا الزَّانِي إِذَا أَدْخَلَ أَوْلَادًا عَلَى
غَيْرِهِ ، أَوْ أَخَذُ مَكْسٍ أَوْ اعَانَةٌ عَلَيْهِ ، أَوْ وَشْمٌ ، أَوْ نَمِصٌّ ، أَوْ مَحَبَّةٌ قِيَامٍ
لَهُ ، أَوْ مُخَاصَمَةٌ يَبَاطِلُ ، أَوْ جَوْرٌ فِي وَصِيَّةٍ ، أَوْ اتِّخَاذُ مَسَاجِدَ عَلَى
الْقُبُورِ أَوْ إِسْرَاجُهَا ، أَوْ سَرِقَةٌ ، أَوْ جَحْدُ عَارِيَّةٍ ، أَوْ كَذِبٌ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ غَضَبُ مَالِ مُسْلِمٍ ، أَوْ أَكْلُ مَالِ يَتِيمٍ ، أَوْ
فِطْرٌ فِي رَمَضَانَ ، أَوْ خِيَانَةٌ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ أَوْ ذَرْعٍ ، أَوْ تَقْدِيمُ الصَّلَاةِ
عَلَى وَقْتِهَا ، أَوْ تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا ، أَوْ ضَرْبُ مُسْلِمٍ بِلَا حَقٍّ ، أَوْ
تَرْوِيعُهُ ، أَوْ سَبُّ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، أَوْ رِشْوَةٌ فِي الْحُكْمِ ، أَوْ
قِيَادَةٌ ، أَوْ نِسْيَانُ لِلْقُرْآنِ ، أَوْ تَحْرِيقُ حَيَوَانٍ بِالنَّارِ أَوْ تَرْكُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ يَأْسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، أَوْ أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، أَوْ
وَقِيعَةٌ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ ، أَوْ سِحْرٌ ، أَوْ بَهْتٌ مُسْلِمٍ ، أَوْ تَهَاوُنُ
الْقَادِرِ بِالْحَجِّ إِلَى أَنْ يَمُوتَ ، أَوْ تَكْذِيبُ بِالْقَدْرِ ، أَوْ هَجْرُ مُسْلِمٍ فَوْقَ
ثَلَاثٍ ، إِلَّا لِعُذْرٍ فِي الْمَهْجُورِ كَتَظَاهِرِهِ بِالْفِسْقِ ، أَوْ يَكُونُ صَاحِبَ
بِدْعَةٍ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، أَوْ بَيْعُ حَرٍّ ، وَأَكْلُ ثَمَنِهِ ، أَوْ مَنَعُ أَجِيرٍ أَجْرَتَهُ ، بَعْدَ
اسْتِيفَاءِ الْعَمَلِ مِنْهُ ، أَوْ ائْتِيَانُ كَاهِنٍ ، أَوْ اتِّخَاذُ شَيْءٍ فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا ، أَوْ
لَعْنُ مُسْلِمٍ ، أَوْ التَّسَبُّبُ فِي لَعْنِ الْوَالِدَيْنِ ، أَوْ يَقُولُ فِي يَمِينِهِ : وَإِلَّا كُنْتُ
يَهُودِيًّا ، أَوْ نَصْرَانِيًّا ، أَوْ كَافِرًا وَنَحْوَ هَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، أَوْ يَتَّبِعُ عَوْرَاتِ
الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ الْمَكْرُوهَةِ عِنْدَ مَنْ لُقِبَ بِهَا مِنْ غَيْرِ
ضُرُورَةٍ ، أَوْ يَتَسَبَّبُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ يَطْعَنُ فِي الْأَنْسَابِ الثَّابِتَةِ فِي ظَاهِرِ
الشَّرْعِ ، أَوْ نِيَاحَةَ عَلَى مَيِّتٍ ، أَوْ امْتِنَاعُ الْمَرْأَةِ مِنْ فِرَاشِ زَوْجِهَا بِلَا

عُدْرٍ ، أَوْ يَقُولُ لِمُسْلِمٍ يَا كَافِرُ ، أَوْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَوْ يَسُبُّ الدُّهْرَ ، أَوْ
يَقْصِرُ الْعِنَبَ لِلْخَمْرِ ، أَوْ يَزْرَعُ الدُّخَانَ ، أَوْ يَبِيعُهُ أَوْ يُوْرِدُهُ ، أَوْ يَخْلِقُ
لِحَى الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ يُسَاعِدُهُمْ عَلَى التَّشْبِيهِ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ بِتَضْلِيحِ
خَنَافِسِهِمْ ، وَجُعْلَانِيهِمْ وَتَوَالِيَاتِهِمْ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، أَوْ يَقَامِرُ ، أَوْ يَشْهَدُ
بِالرَّبَا ، أَوْ يُوكَلُهُ ، أَوْ يَكْتُبُهُ ، أَوْ يَمْنَعُ ابْنَ السَّبِيلِ عَنْ فَضْلِ مَا ، أَوْ يَمْنُ
بِالْعَطَاءِ ، أَوْ يُسْبِلُ وَيَجْرُ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ أَوْ يَجُورُ فِي الْحُكْمِ ، أَوْ يُحَدِّثُ فِي
الدِّينِ ، أَوْ يُؤْوِي مُحَدِّثًا أَوْ يَتَكَبَّرُ ، أَوْ يَخْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ ، أَوْ يَعْتَادُ الْكَذِبَ
أَوْ يَكْذِبُ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ، أَوْ يَسْتَمِعُ لِمَنْ يَكْرَهُونَ سَمَاعَهُ ، أَوْ يَكُونُ ذَا
وَجْهَيْنِ أَوْ يَغْلُ مِنْ الْغَنِيمَةِ ، أَوْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ ، أَوْ يَقْتُلُ ذَمِيًّا ، أَوْ يَأْكُلُ
الْحَرَامَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ، أَوْ سُخْرِيَةً ، وَاسْتِهْزَاءً بِمُسْلِمٍ ، أَوْ تَعْلُمُ الْعِلْمَ
لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ ، أَوْ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ ، أَوْ يَكْتُمُ عِلْمًا شَرْعِيًّا مَعَ تَعْيِينِ
الْجَوَابِ عَلَيْهِ ، أَوْ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ ، أَوْ مُرُورًا بَيْنَ يَدَيْ مُصَلٍّ ، أَوْ
يَسْتَدِينُ وَلَا يُرِيدُ الْوَفَاءَ ، أَوْ يُحَلِّلُ الْمَرْأَةَ لِغَيْرِهِ ، أَوْ تُحَلِّلَ لَهُ ، أَوْ أَفْشَاءَ
أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ السَّرِّ الَّذِي بَيْنَهُمَا. أَوْ يَجْعَلُ عِنْدَهُ فِي بَيْتِهِ كُفَارًا لِحَدَّامِينَ
وَمُرِّيِّينَ وَسَوَاقِينِ وَطَبَّاحِينَ وَخِيَاطِينَ رِجَالًا وَنِسَاءً أَوْ يَتَسَبَّبُ لِإِثْيَانِهِمْ لِبِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ. وَذُقْتُ مَرَارَتَ الْأَشْيَاطِطِ أَمَّا طَعْمُ أَمْرٍ مِنَ الْمَعَاصِي
وَنَحْوِ هَذِهِ الْمَعَاصِي ، وَرُبَّمَا خَرَجَ مِنْ صَحِيفَةِ الْإِنْسَانِ مَعْصِيَةٌ
يَظُنُّهَا سَهْلَةً ، وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« إِنْ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِينُ فِيهَا ، يَزُلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » وَرُبَّمَا عَمِلَ أَعْمَالًا ظَنُّهَا حَسَنَاتٍ ، فَتَبَدُّو يَوْمَ الْقِيَامَةِ
سَيِّئَاتٍ ، بِسَبِّ رِيَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ .

وَمَا أَذْرِي وَإِنْ أُمَّتُ عُمْرًا لَعَلِّي حِينَ أُصْبِحُ لَسْتُ أُنْسِي
وَلِلدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا سِيُولٌ وَأَنْتَ عَلَى مَدَارِجِهِنَّ مُرْسِي

كَأَنَّكَ لَا تَرَى بِالْخَلْقِ نَقْصًا وَأَنْتَ تَرَاهُ كُلَّ شُرُوقِ شَمْسٍ
أَلَمْ تَرَى أَنَّ كُلَّ صَبَاحٍ يَوْمٍ وَعُمْرُكَ فِيهِ أَقْصَرُ مِنْهُ أَمْسٍ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ تَفَكَّرْ - بَعْدَ تَفَكُّرٍ فِيمَا سَبَقَ - فِي الصُّرَاطِ ، الَّذِي هُوَ الْجَسْرُ
الْمَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ، بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، خَرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ
زِيَادِ النُّمَيْرِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الصُّرَاطُ كَحَدِّ الشُّفْرَةِ ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ
يَنْجُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ جِبْرِيْلَ لَاخِذٌ بِحُجْرَتِي ، وَإِنِّي لَأَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ
سَلِّمْ ، فَالزَّلُّونَ وَالزَّلَّاتُ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ » وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ « ثُمَّ يُضْرَبُ الْجَسْرُ
عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَجَلُّ الشُّفَاعَةُ ، فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » قِيلَ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ ؟ قَالَ « دَحْضُ مَرْلَةٍ ، فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ ، وَحَسَكَةٌ
تَكُونُ بِنَجْدٍ ، فِيهَا سُوبِكَةٌ يُقَالُ لَهَا السُّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُ مِنْ كَطْرِفِ الْعَيْنِ
وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيْحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرُّكَابِ ، فَتَنَاجِ
مُسَلِّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمُكْرَدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ » خَرَجَاهُ فِي
الصُّحُوحِ .

نَحَطَبَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ حُطْبَةً بَلِيغَةً فَقَالَ : إِعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ وَمَبْعُوثُونَ مِنْ
بَعْدِ الْمَوْتِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
تُبْعَثُونَ ﴾ .

وَتُوقَفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَتُجْزَوْنَ بِهَا فَلَا تُغْرَنُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنهَا بِالْبَلَاءِ
وَالْمَصَائِبِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَبِالْعُدْرِ مَوْصُوفَةٌ ، وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى
زَوَالٍ وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُوْلٌ وَسِجَالٌ .

شعرا : ما أفصح الموتُ للدنيا وزينتها جِدًّا وما أفصح الدنيا لأهلها
لا تَرْجِعَنَّ عَلَى الدُّنْيَا بِلَائِمَةٍ فَعُدَّهَا لَكَ بَادٍ فِي مَسَاوِيهَا

لم تُبق في غَيْبِهَا شَيْئاً لَصَاحِبِهَا إِلا وَقَدْ بَيَّنَّتْهُ فِي مَعَانِيهَا
تُفْنِي البَيْنَ وَتُفْنِي الأهلَ دَائِبَةً وَنَسْتَيْمُ إِلَيْهَا لآ نُعَادِيهَا
فَمَا يَزِيدُكُمْ قَتْلَ الَّذِي قَتَلْتُمْ وَلا العَدَاوَةَ إِلا رَغْبَةً فِيهَا
لا تَدُومُ أحوَالُهَا ، وَلا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا نَزَالُهَا ، بَيْنَا أَهْلُهَا فِي صَفَاءٍ وَرَحَاءٍ
وَسُرُورٍ وَنَعِيمٍ وَخُبُورٍ إِذَا هُمْ فِي بِلَاءٍ وَغُرُورٍ ، العَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالرَّحَاءُ
فِيهَا لا يَدُومُ وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَعْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهَا بِسِيَّامِهَا وَتَقْصِمُهُمْ
بِحِمَامِهَا ، وَكُلَّ حَتْفَةٍ فِيهَا مَقْدُورٌ وَحِظُهُ فِيهَا مَوْفُورٌ .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى
مِمنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِمنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشاً وَأَعَمَرَ دِيَاراً
وَأَبْعَدَ آثَاراً فَاصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً خَامِدَةً مِنْ بَعْدِ طُولِ تَقْلِبِهَا وَأَصْبَحَتْ
أَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَدِيَارُهُمْ عَلَى عُرُوشِهَا خَالِيَةً وَأَثَارُهُمْ عَافِيَةً .

وَاسْتَبْدَلُوا القُصُورِ المُشِيدَةَ ، وَالسُّرُرَ ، وَالنَّمَارِقِ المُمَهَّدَةَ بِالثَّرَابِ
وَالصُّخُورِ وَالأَحْجَارِ المُسْنَدَةَ فِي القُبُورِ اللَّاطِئَةِ المُلْحَدَةِ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ
وَساكِنُهَا مُعْتَرِبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَجْلَةٍ مُوَحِّشِينَ .

لا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْعُمَرَانِ وَلا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ
قُرْبِ المَكَانِ وَالجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصِلٌ وَقَدْ أَكَلَتْهُمْ
الجِنَادِلُ وَالثَّرَى وَأَصْبَحُوا بَعْدَ الحَيَاةِ أَمْوَاتاً وَبَعْدَ نَضَارَةِ العَيْشِ رُفَاتاً .

فَجِعَ بِهِمُ الأَحْبَابُ وَسَكَنُوا تَحْتَ الثَّرَابِ ظَعَنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابُ فَكأنَّ
صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ البِلَاءِ وَالوَحْدَةِ فِي دَارِ المَثْوَى وَارْتُهُنْتُمْ فِي ذَلِكَ
المَضْجَعِ وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ المُسْتَوْدَعُ .

فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا عَايَنْتُمْ الأُمُورَ بُعِثَرِ القُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّلُورِ
وَوُقِّفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ الجَلِيلِ فَطَارَتِ القُلُوبُ لِإشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ
الدُّنُوبِ وَهَتِكَتِ الحُجُبُ وَالأَسْتَارُ وَظَهَرَتْ مِنْكُمْ العُيُوبُ وَالأَسْرَارُ .

هُنَالِكَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ قَالَ اللَّهُ جَل جَلالَهُ : ﴿ لِجُزِي
الَّذِينَ أَسَأُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ وقال تعالى :
﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الآية .
قال بعض الحكماء :

تَبًا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَعْرِيفِهَا حُلْمٌ
صَفَاؤُهَا كَدَّرَ سُرُورُهَا ضَرَّرَ أَمَانُهَا غَرَّرَ أَنْوَارُهَا ظَلَمٌ
شَبَابُهَا هَرَمَ رَاحَاتُهَا سَقَمٌ لَدَاتِهَا نَدَمٌ وَجَدَانُهَا عَدَمٌ
لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْأَنْكَادِ صَاحِبُهَا لَوْ كَانَ يَمْلِكُ مَا قَدْ ضُمَّتْ أَرْمٌ
فَحَلَّ عَنْهَا وَلَا تَرَكْنَ لِزَهْرَتِهَا فَإِنَّهَا نَعَمٌ فِي طَيْهَا نِقَمٌ
وَاعْمَلْ لِدَارِ نَعِيمٍ لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا يُخَافُ بِهَا مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ
آخِر .

يَا آمِنَ السَّاحَةِ لَا يُذَعْرُ بَيْنَ يَدَيْكَ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ
وَإِنَّمَا أَنْتَ كَمَحْبُوسَةٍ حَمَّ رَدَاها وَهِيَ لَا تَشْعُرُ
وَالْمَرْءُ مَنْصُوبٌ لَهُ حَتْفُهُ لَوْ أَنَّهُ مِنْ عَمِهِ يُبْصِرُ
وَهَذِهِ النَّفْسُ لَهَا حَاجَةٌ وَالْعُمُرُ عَنْ تَحْصِيلِهَا يَقْصُرُ
وَكَلَّمَا تُزْجَرُ عَنْ مَطْلَبٍ كَانَتْ بِهِ أَكْلَفَ إِذْ تُزْجَرُ
وَإِنَّمَا تَقْصُرُ مَفْلُوبَةً كَلِمَاءٍ عَنْ عُنْصُرِهِ يَقْصُرُ
وَرُبَّمَا أَلَقَتْ مَعَاذِيرَها لَوْ أَنَّها وَبِحَها تُعْذِرُ
وَنَاطِرُ الْمَوْتِ لَهَا نَاطِرٌ لَوْ أَنَّها تَنْظُرُ إِذْ يَنْظُرُ
وَزَائِرُ الْمَوْتِ لَهُ طَلْعَةٌ يُبْصِرُها الْأَكْمَةُ وَالْمُبْصِرُ
وَرَوْعَةُ الْمَوْتِ لها سَكْرَةٌ ما مِثْلُها مِنْ رَوْعَةٍ تُسْكِرُ
وَبَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مَنْزِلٌ يَنْزِلُهُ الْأَعْظَمُ وَالْأَحْقَرُ
يَتْرِكُ ذُو الْفَخْرِ بِهِ فَخْرَهُ وَصَاحِبُ الْكِبَرِ بِهِ يَضْفَرُ
قَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَهُ رَوْعَةٌ نَكِيرُها الْمَعْرُوفُ وَالْمُنْكَرُ

وَبَعْدُ مَا بَعُدْ وَأَعْظَمُ بِهِ
يُرْجَفُ مِنْهُ الْوَرَى رَجْفَةً
وَلَيْسَ هَذَا الْوَصْفُ مُسْتَوْفِيًا
وَأِنَّمَا ذَا قَطْرَةَ أَرْسَلَتْ
وَقَدْ أَتَاكَ الثَّبْتُ عَنْهُ بِمَا
أَخْبَرَكَ الصَّادِقُ إِذْ يُخْبِرُ
فَاعْمَلْ لَهُ وَنِكَ وَالْأُفْلَا
مِنْ مَشْهَدٍ مَا قَلْبُهُ يُقَلِّرُ
يَنْهَدُ مِنْهَا الْمَلَأَ الْأَكْبَرُ
كُلُّ الَّذِي مِنْ وَصْفِهِ يُذَكَّرُ
مِنْ أَبْحُرٍ تَتَّبَعُهَا أَبْحُرُ
عُذْرٌ وَمَا مِثْلُكَ مَنْ يُعْذَرُ

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

قال أحد العلماء رحمه الله في موعظة وعظها ألا أن الدنيا بقاؤها قليل ،
وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، شابها يهرم ، وحيها يموت ، ولا يعركم إقبالها
مع معرفتكم بسرعة إزبارها والمغرور من اغتر بها .

أين سكاتها الذين بنوا مزابها وشققوا أنهارها وغرسوا أشجارها وأقاموا
فيها أياما يسيرة وغرثهم بصحبتهم وغرروا بنشاطهم فركبوا المعاصي إنهم كانوا
والله بالدنيا مغبوطين بالمال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه .

ما صنع الثراب بأبدانهم والرمل بأجسامهم والديدان بأوصالهم ولحومهم
وعظامهم وإذا مررت فنادهم إن كنت مناديا وادعهم إن كنت لا بد داعيا .

ومر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم وصل غنيهم ما بقي من غناه
وسل فقيرهم ما بقي من فقره واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون

وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون وسلهم عن الاعضاء الرقيقة .

والوجوه الحسنة والاجساد الناعمة ما صنعت بها الديدان .

محت الألوان ، واكلت اللحمان ، وعفرت الوجوه ، ومحت
المحاسين ، وكسرت الفقار ، ابانت الاعضاء ، ومزقت الأشلاء قد خيل
بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة .

فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوهم بالية ، وأجسادهم من أعناقهم
بائنة ، وأوصالهم متمزقة ، وقد سالت الحدق على الوجنات ، وأمتلات
الافواه صديدا ، ودبت دواب الأرض في أجسامهم ، وتفرقت أعضاؤهم .

ثم لم يلبثوا إلا يسيرا حتى عادت العظام رميما قد فارقوا الحدائق فصاروا
بعد السعة إلى المضائق قد تزوجت نساؤهم وترددت في الطرق أبناؤهم .

فمنهم والله الموسع له في قبره العوض الناعم فيه المتنعّم بلذاته ، فيا ساكن
القبر ما الذي غرك في الدنيا هل تظن أنك تبقى أو تبقى لك أين دارك الفيحاء
وتهرك المطرد وأين ثمرتك الحاضر ينعمها وأين رفاق ثيابك وأين كسوتك
لصيفك وشتائك هيهات هيهات يا مغمض الوالد والأخ وغاسلة وحامله يا
مدليه في قبره وراجل عنه ، ليت شعري كيف نمت على نحشونة الثرى ،
وبأي حديثك بدأ البلى ، يا مجاور الهلكي صيرت في محلة الموت ، ليت
شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروج روجي من الدنيا .

شعرا :

انتبه من كل نوم أغفلك واخش رباً بالعطايا جملك
تابع المختار واسلك نهجه فهو نور من مشى فيه سلك
ثق بمولاك وكن عبداً له إن عبد الله في الدنيا ملك
جدد التوب على ما قد مضى من زمان بالمعاصي أشعلك

بِالْقَضَا وَاعْصِي هَوَاهَا تَرْضَ لَكَ
 فَالْتَقَى خَيْرُ لِبَاسٍ يُمْتَلِكُ
 وَاتْرِكِ الْأَمْرَ لِمَنْ أُجْرَى الْفَلَكَ
 مُخْلِصاً يَفْتَحُ بَابَ الْخَيْرِ لَكَ
 بَابِهِ فَهُوَ الَّذِي قَدْ فَضَّلَكَ
 حَسَنَ الظَّاهِرِ تُعْطَى أَمْلَكَ
 مِنْ فَتَى إِذْ سَلَّمَ الْأَمْرَ سَلَّكَ
 تَلْتَقَتْ إِلَّا إِلَيْهِ يَقْبَلَكَ
 وَفُوَاداً وَلَهُ اخْلِصْ عَمَلَكَ
 فَهُوَ نُورٌ يُذْهِبُ الدَّاجِي الْحَلِكُ
 فَهُوَ كَافٍ فَضْلُهُ قَدْ شَمَلَكَ
 مِنْ جَمِيعِ الْخَيْرِ حَتَّى يَقْبَلَكَ
 عَلَّ تَسَلَّمَ مِنْ رَجِيمٍ سَوَّلَكَ
 لِكَرِيمٍ بِالْعَطَايَا حَوَّلَكَ
 إِسْأَلَ الْمَوْلَى يُصَفِّي مِنْهَلَكَ
 يَا مُنْجِي بِالْعَطَايَا مَنْ هَلَكَ
 لِعَبِيدٍ مُذْنِبٍ قَدْ سَأَلَكَ
 تَعَباً وَالْأَمْرُ وَالتَّذْيِيرُ لَكَ
 وَاعْتِقَادِي الصَّفْحُ عَمَّا كَانَ لَكَ
 يَوْمَ يَلْقَى الْعَبْدُ مَكْتُوبَ الْمَلِكِ
 يَا إِلَهِي وَاعْفُ عَمَّنْ سَاءَ لَكَ
 وَاقْضِ عَنَّا مَا لِمَخْلُوقٍ وَلَكَ
 أَنْتَ مَوْلَانَا وَأَوْلَى مَنْ مَلَكَ
 لَأَنْتَ

حَاسِبِ النَّفْسِ وَعَلَّمَهَا الرِّضَى
 خُذْ مِنَ التَّقْوَى لِبَاساً طَاهِراً
 دَاوِمِ الذِّكْرَ لِخَلَاقِ الْوَرَى
 ذُلٌّ وَاخْصَعْ وَاسْتَقِمْ وَاعْبُدْ لَهُ
 رُوحَ الْقَلْبِ إِلَيْهِ وَاعْكِفْ عَلَى
 زَيْنِ الْبَاطِنِ بِالتَّقْوَى تُفْزِ
 سَلَّمَ الْأَمْرَ لَهُ تَسَلَّمَ فَكَمْ
 شَقُّ حُجْبِ الْكُونِ لِلْمَعْبُودِ لَا
 صُنْ عَنِ الدُّنْيَا لِسَاناً وَيَدَا
 ضُمَّ أَحْشَاكَ عَلَى تَوْجِيهِ
 طِبُّ لَهُ وَاقْنَعْ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ
 ظَنَّ خَيْراً تَلَقَّ مَا قَدْ تَرْتَجِي
 عُدْ إِلَيْهِ كُلَّمَا حَلَّ الْبَلَا
 خُضْ بِحَارِ الْعُذْرِ فِي جَنَحِ الدَّجِي
 فَاتْرِكِ التَّذْيِيرَ وَالْعِلْمَ لَهُ
 قُلْ بِذَلِكَ يَا رَحِيمُ الرَّحْمَا
 كُنْ مُجِيراً وَنَصِيراً وَحِمِي
 لُذْتُ بِالْبَابِ فَحَاشَا أَنْ أَرَى
 مَرَّ عَيْشِي وَالْحَطَا أَبْعِدْنِي
 نَجِّنَا مِنْ كُلِّ كَرْبٍ وَبَلَا
 هَبْ لَنَا السِّتْرَ وَلَا تَفْضَحْ لَنَا
 يَا مُحِبَّ الْعَفْوَ يَسِّرْ أَمْرَنَا
 وَتَحَنَّنْ بِالْعَطَايَا كَرَمَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا
لِلْقِيَامِ - بِأَمْرِكَ وَاعِدْنَا مِنْ عَدْوِنَا وَعَدْوِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَهْلِنَا وَأَمْوَالِنَا وَنَسْأَلُكَ
أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يُجَاءُ
بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَدَخٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَعْطَيْتَكَ وَخَوَّلْتَكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَمَاذَا صَنَعْتَ فَيَقُولُ جَمَعْتُهُ
وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِيكَ بِهِ فَيَقُولُ لَهُ ارْنِي مَا قَدَّمْتَ فَيَقُولُ

يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِيكَ بِهِ فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمِ
خَيْرًا فَيُضْمَى بِهِ إِلَى النَّارِ .

فَتَفَكَّرَ يَا مُسْكِينِ فِي نَفْسِكَ مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ تَحْكُمُ فِي مَالِكَ
وَلَا لَكَ مُعَارِضٌ وَتَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ شِئْتَ وَاجْعَلْ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرَ نَصَبَ
عَيْنَيْكَ بَيْنَ مَا أَنْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي قَدْ امْتَلَأْتَ فِيهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْخَوْفِ
وَالْقَلَقِ وَالرُّعْبِ وَالذُّعْرِ وَالْإِنْزِعَاجِ وَقَدْ بَلَعْتَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ .

قال تعالى : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ﴾
فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي حَدَّثْتَ عَنْهَا إِذْ جِيءَ بِجَهَنَّمَ تُفَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ
زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا حَتَّى تَكُونَ بِمَرَأَى مِنَ الْخَلْقِ
وَمَسْمَعٍ يَرَوْنَ لَهَيْبَتِهَا وَيَسْمَعُونَ زَفِيرَهَا فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي تِلْكَ الْحَالِ إِذَا أُخِذَ
بِضَبْعِكَ وَقُبِضَ عَلَى عَضُدَيْكَ وَجِيءَ بِكَ تَتَخَطَّى الرَّقَابَ وَتَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ

وَالْخَلَائِقُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسُئِلْتَ عَنِ الْقَلِيلِ
وَالكَثِيرِ وَالذَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالْقَطْمِيرِ وَالنَّقِيرِ وَلَا تَجِدُ أَحَدًا يُجَابِبُ عَنْكَ بِلَفْظَةٍ
وَلَا يُعِينُكَ بِكَلِمَةٍ وَلَا يُرَدُّ عَنْكَ جَوَابًا فِي مَسْأَلَةٍ .

وَأَنْتَ شَاهِدَتْ مِنْ عِظَمِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ وَهَيْبَةِ الْحَضْرَةِ مَا أَذْهَبَ
يَمَانِكَ وَأُخْرَسَ لِسَانَكَ وَأَذْهَلَ جَنَانَكَ .

وَنَظَرْتَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَبَيْنَ يَدَيْكَ فَلَمْ تَرَ إِلَّا النَّارَ وَعَمَلَكَ الَّذِي كُنْتَ
تَعْمَلُ وَكَلِمَكَ رَبُّ الْعِزَّةِ جَلُّ جَلَالِهِ بِغَيْرِ حِجَابٍ يَحِجُّكَ وَلَا تَرْجُمَانِ
يُتْرَجِمُ لَكَ .

وَكَيفَ تَكُونُ حَيْرَتُكَ وَدَهْشَتُكَ إِذَا قِيلَ عَامَلْتَ فَلَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي
كَذَا وَكَذَا وَعَبْتَهُ فِي كَذَا وَكَذَا وَعَشَشْتَهُ فِي السِّلَعَةِ الْفُلَانِيَّةِ .

وَتَرَكْتَ نَصِيحَتَهُ فِي كَذَا وَكَذَا وَبَعْتَهُ السِّلَعَةَ الْمَعْيُوبَةَ وَلَمْ تُبَيِّنْ لَهُ الْعَيْبَ أَوْ
غَضِبْتَ فَلَنَا أَوْ ظَلَمْتَ فَلَنَا أَوْ قَتَلْتَ فَلَنَا أَوْ أَعَنْتَ عَلَى قَتْلِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .
وَقِيلَ مَا حُجَّتُكَ أَقِمِّي بَيِّنَةً اثْبِتِي بِرُهَانٍ فَأَرَدْتَ الْكَلَامَ فَلَمْ تُبَيِّنْ وَجِئْتَ بِعُذْرٍ
فَلَمْ يَسْتَبِينَ هِيَاهُ أَتَى لَكَ الْكَلَامَ وَلَمْ تُنْقِضْهُ وَأَتَى لَكَ بِالْعُذْرِ فِي الدُّنْيَا لَمْ
تُصَحِّحْهُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ الْآيَاتُ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ
النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ الْآيَتِينَ .

فَانظُرْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ عِنْدَ السُّؤَالِ بِأَيِّ بَدَنِ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ
تُجِيبُهُ فَاعِدْ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا وَلِلْجَوَابِ صَوَابًا فَمَا شِئْتَ مِنْ قَلْبٍ يُخْلَعُ وَمِنْ كَبِدٍ
تُصَدِّعُ وَمِنْ لِسَانٍ يَتَلَجُّجُ وَمِنْ أَحْشَاءٍ تَتَمَوَّجُ وَمِنْ نَفْسٍ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ .

شعرا :

سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ آيَةُ لَيْلَةٍ مَحْضَتْ صَيِّحَتُهَا يَوْمَ الْمَوْقِفِ
لَوْ أَنَّ عَيْنًا أَوْهَمَتْهَا نَفْسُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ تَمَثُّلاً لَمْ تَطْرُقْ
وَانظُرْ مَا أَشَامَ تِلْكَ الْأَرْبَاحَ الَّتِي رَبَّخْتَهَا وَأَحْسَرَ تِلْكَ الْمَاعَمَلَاتِ الَّتِي
أَلْهَيْتَكَ عَنْ مَا خُلِقْتَ لَهُ انظُرْ كَيْفَ ذَهَبَتْ عَنْكَ مَسْرَاتُهَا وَبَقِيَتْ حَسْرَاتُهَا
وَالشَّهَوَاتُ الَّتِي فِي ظُلْمِ الْعِبَادِ انْفَذَتْهَا كَيْفَ ذَهَبَ عَنْكَ الْفَرْحُ بِهَا وَبَقِيَتْ
التُّبَعَةُ .

وانظر هل يقبل منك فدا في ذلك الموقف الرهيب وما الذي يخلصك من
ذلك السؤال قال الله تبارك وتعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفسٍ
شيئاً ﴾ .

وفي بعض الأخبار يتمنى رجال أن يُبعث بهم إلى النار ولا تُعرض قبائحهم
على الله تعالى ولا تُكشَفَ مساوئهم على رؤس الخلائق ، فما ظنك بهذا
المقام وبهذا السؤال وبهذا النكال والوبال .

وما ظنك بنفسك وقد جيءَ بجهنم على الوصف الذي تقدّم وقد دنت
من الخلائق ، وشهقت وزفرت ، وثارت ، وفارت .

ونَهَضَ حُرَّانُهَا ، وَالْمُوكَلُونَ بِهَا ، وَالْمُعَدُّونَ لِتَعْذِيبِ أَهْلِهَا مُتَسَارِعِينَ
إِلَى أَخِذٍ مِنْ أُمُورِهَا بِأَخِذِهِ ، سَاحِبِينَ لَهُ عَلَى بَطْنِهِ ، وَحَرَّوَجِهِ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ
لِلَّهِ ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

فَتَصَوَّرَ حَالِكَ ، وَكَيْفَ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْقُلُوبُ خَوْفًا وَرُعبًا وَذُعْرًا وَفَزَعًا ،
وَارْتَعَدَتِ الْفَرَائِصَ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَاصْطَفَقَتِ الْأَحْشَاءُ ،
وَتَقَطَّعَتِ الْأَمْعَاءُ ، وَطَلَبُوا الْفِرَارَ وَطَارُوا لَوْ يَحْصُلُ لَهُمْ مَطَارٌ .

وَجَثَّتِ الْأُمَمُ عَلَى الرُّكَبِ وَأَيَّقَنَ الْمَذْنُوبُونَ بِالْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ وَسُوءِ
الْمُنْقَلَبِ ، وَنَادَى الْأَبِيَاءُ ، وَالصَّادِقُونَ ، وَالْأَوْلِيَاءُ نَفْسِي نَفْسِي .

كُلُّ نَفْسٍ قَدْ أَفْرَدَتْ لِشَأْنِهَا وَتُرِكَتْ لِمَا بِهَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ :

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تملك نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا والأمر يومئذٍ لله ﴾ وظنُّ كُلِّ إنسانٍ أَنَّهُ هُوَ المأخوذ ، وَأَنَّهُ هُوَ المَقْصُودُ ، وَ المَطْلُوبُ ، وَذَهَلَتِ العُقُولُ ، وَطَاشَتِ الأَلْبَابُ ، وَتَحَيَّرَتِ الأَذْهَانُ ، وَفَرَّ المَرءُ مِن أُخِيهِ وَأُمِّهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ .

وَاشْتَغَلَ بِشَأْنِهِ الَّذِي يَهْمُهُ وَيَعْنِيهِ ، وَسُئِلَ عَن جَمِيعِ أَمْرِهِ سِرِّهِ وَجَهْرِهِ دَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ، وَسُئِلَ عَن أَعْضَانِهِ عَضُوًّا وَعَضُوًّا وَجَارِحَةً ، وَعَن شُكْرِهِ عَلَيْهَا ، وَعَن أَداءِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا .

وَظَهَرَتِ القَبائحُ وَكَثُرَتِ الفَضائحُ ، وَبَدَتِ المَخازي وَاشْتَهَرَتِ المَساوي ، وَتَرَكَ الأَهْلُ والأَقْرَبُونَ ، وَلَمْ يَنْفَعَكَ مَالٌ وَلا بَنُونَ ، وَأَقْبَلَتِ تُجَادِلُ عَن نَفْسِكَ وَتَخَاصِمَ عَنهَا وَتَطَلِبُ المَعاذِيرَ لَهَا قالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلا : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا ﴾ .

وَقد أُسْلِمْتَ وَأفْرَدْتَ وَاشْتَغَلَ كُلُّ إنسانٍ عَنكَ بِنَفْسِهِ قالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلا : ﴿ لِكُلِّ امرئٍ مَن مَنهم يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ﴾ وَقالَ عَزَّ مِن قائلٍ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ الآية .
وَأنشَدُوا :

خَلِيلِي مَا أَقْضَى وَمَا أَنَا قَائِلٌ	إِذا جِئْتُ عَن نَفْسِي بِنَفْسِي أَجَادِلُ
وَقد وَضَعَ الرَّحْمَنُ فِي الخَلْقِ عَدْلَهُ	وَسَيَقُ جَمِيعُ النَّاسِ وَالْيَوْمُ بِاسِئِلُ
وَجِيءَ بِجُزْمِ النِّارِ خَاضِعَةً لَهُ	وَوُثِّتْ عُرُوشٌ عِنْدَها وَمَجادِلُ
فِيالِيتِ شِعْرِي ذَلِكِ اليَوْمِ هَلْ أَنَا	أَأَغْفِرُ أَمْ أُجْزِي بِمَا أَنَا فَاعِلُ
فَإِنَّ أَكْ مَجْزِيًّا فَعَدْلٌ وَحُجَّةٌ	وَإِنَّ يَكُ غُفْرانٌ فَفَضْلٌ وَنائِلُ

أخر :

أَلَمْ تَسْمَعْ عَن النَّبِيِّ العَظِيمِ وَعَن خَطْبِ خُلِقَتِ لَهُ جِسْمِ

وَزَلْزَالَ يَهْدُ الْأَرْضَ هَذَا وَأَهْوَالَ كَأَطْوَادِ رَوَاسِي
 فَمِنْ رَاسٍ يَشِيبُ وَمِنْ فَوَادٍ وَسَكَرَانٍ وَلَمْ يَشْرَبْ لِسُكْرِ
 وَمُرْضِعَةٍ قَدْ أَذْهَلَهَا أَسَاهَا وَمُؤْتَمَةٍ ثَوَّلَتْ عَنْ بَيْنِهَا
 وَحُبْلَى أَسْقَطَتْ ذُعْرًا وَخَوْفًا وَهَذَا مَشْهَدٌ لَا بُدَّ مِنْهُ
 وَمَا كِسْرَى وَقَيْصَرُ وَالتَّجَاشِي بِذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا فِي مَقَامٍ
 وَمَا لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا سَعَاهُ وَأَنْتَ كَمَا عَلِمْتَ وَرُبُّ أَمْرِ
 فَدَعْ عَيْنَيْكَ تَسْبُحُ فِي مَعِينٍ وَشَقُّ جُيُوبِ صَبْرِكَ شَقُّ نُكْلِي
 وَمَاذَا الْأَمْرُ ذَلِكُمْ وَلَكِنْ وَيَرْمِي فِي الْحَضِيضَةِ بِالتُّجُومِ
 تَلَاطَمُ فِي طُلُوعِ كَالهَشِيمِ يَذُوبُ وَمِنْ هُمُومٍ فِي هُمُومٍ
 وَهَيْمَانٍ وَلَمْ يَغْلِقْ بِرَيْمٍ فَمَا تَدْرِي الرُّضِيعُ مِنَ الْفَطِيمِ
 وَأَلْقَتْ بِالتَّيْمَةِ وَالتَّيْمِ فَيَاللَّهِ لِلْيَوْمِ الْعَقِيمِ
 وَجَمَعَ لِلْحَدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ وَتُبَّعَ وَالْقُرُومُ بَنُوا الْقُرُومِ
 أَذَلَّ مِنَ التُّرَابِ لِلْيَدِي السَّلِيمِ لِدَارِ الْبُؤْسِ أَوْ دَارِ التَّعِيمِ
 يَكُونُ أَذَاهُ أَوْقَعُ بِالْعَلِيمِ وَقَلْبَكَ ذَرَهُ يَقْلُبُ فِي جَحِيمِ
 تَعَلَّقَتْ أَيْمَانُهَا رَجُلًا سَهُومِ تُشَبَّهُ بِالْبَحَارِ يَدُ الْكَرِيمِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
 بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

خطبة في أشراف الساعة لأحد العلماء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلقة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً

الذي اعترفت بوحدانيته جميع مخلوقاته فارجع البصر إلى السماء هل ترى من
فطور أحمده سبحانه وتعالى حمد عبده معترف بصدق اليقين وأشكره شكراً
دائماً في كل حين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكة له الملك الحق المبين وأشهد أن
سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين اللهم صلّ وسلّم على عبدك
ورسولك محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً يمتدان إلى يوم الدين .

أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى فإن تقواه من النار حصن حصين
وتنزهوا عن حب الدنيا كي تفوزوا مع الزاهدين عباد الله انتبهوا من رقادكم فإن
الأجل إلى القبور يسير ولم يبق من دنياكم إلا اليسير اقتربت الساعة فالدنيا على
شرف هاروظهرت علاماتها ظهور الشمس في رابعة النهار .

ألا إن الدنيا قد أدبرت وولت حذاء ولم يبق منها إلا كصباة عيش يتصاها
أهلها وإن الآخرة قد أقبلت فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا
فإن اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل أما ترون الأمانة قد
ضيّعت والزمان تغير بظهور الفواحش في كل مكان وتتابع الفتن ودخولها من
كل باب ووقوف الأعراب على أفواه الشعاب وتطول الحفاة العراة في البنيان .

وفشو الحسد والظلم والجور وقتل النفس بغير حق ونزع الإيمان والرحمة
من القلوب وجور الحكّام وفتك الأعراض وموت العلماء العاملين واحداً بعد
واحد كأنهم للمنية أغراض .

وفشو الزنا والربا وهما سبب للفقر والأمراض وساد القبلية منافقوها وعلا
فجارها صالحها وصار زعيم القوم أردلهم وارتفعت الأصوات في المساجد
وأكرم الرجل مخافة شره فصار العاصي عند الناس قريباً والمطيع بين أظهرهم
غريباً .

ألا هل معين على غربة الإسلام ألا هل معين على غربة الإسلام فقد بدأ
الإسلامة غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فعند ظهور هذه العظائم يؤخذ بالجرائم أما
كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً أما تُعَلِّم العلم لغير الدين أما أطاع
الرجل زوجته وعق أمه وبرَّ صديقه وجفا أباه .

أما شُربت المسكرات ولُبس الحرير وأتخذت القينات والمعازف ألا فإن
المصطفى عليه أفضل الصلّاة والسّلام قال إذا ظهرت هذه فارتقبوا عند ذلك
ريحاً حمراً ومسخاً وخسفاً وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة مرفوعاً لن
تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات فذكر الدخان وخروج يأجوج ومأجوج
وتخريب الكعبة ورفع القرآن من صدور حامليه وخروج الدّابة ومحمداً المهدي
وطلوع الشمس من مغربها .

فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم
تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً وآخر الآيات نار تخرج من اليمن
تطرد الناس إلى محشرهم تبيت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا .

فانتبهوا لهذه الأهوال بما يؤمنكم بالتوبة النصوح والزمو باب مولاكم
واقرعوه فإنه مفتوح ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ .
أجارني الله وإياكم من عذاب النار وأصلح لي ولكم العمل لدار القرار .

إن أحسن المواعظ للمتدبرين كلام الله الملك الحق المبين والله يقول وبقوله
يهتدي مهتدون ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ . أعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتةً فقد جاء
أشراطها فأنتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفَعني وإياكم بما فيه الآيات والذكر

الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل
ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

فصل

وَخَرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي مَالِكٍ ، عَنْ رَبِيعِي ، عَنْ حُدَيْفَةَ كِلَاهُمَا عَنْ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ حَدِيثَ الشُّفَاعَةِ ، وَفِيهِ قَالَ « فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُومُ ، وَيُؤَذِّنُ لَهُ وَتُرْسَلُ مَعَهُ الْأَمَانَةُ وَالرَّجْمُ ،
فَيَقُومَانِ جَنْبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ » قَالَ قُلْتُ :
يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ تَمُرُّ الْبَرْقِ ؟ قَالَ « أَلَمْ تَرَ إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ
وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرُّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُّ الطَّيْرِ ، وَأَشَدُّ
الرِّجَالِ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى
الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجِزُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، وَحَتَّى يَجِيءُ
الرَّجُلُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا » قَالَ « وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبُ
مُعَلَّقَةٌ ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِأَخْذِهِ فَمُخَدَّشٌ نَاجٍ ، وَمُكَرَّدَسٌ فِي
النَّارِ » وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفًا .

وَرَوَى أَبُو الزُّعْرَاءِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : يَأْمُرُ اللَّهُ بِالصِّرَاطِ
فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ ، فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ زُمْرًا زُمْرًا ، أَوَائِلُهُمْ
كَلْمَحِ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرُّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُّ الطَّيْرِ ، ثُمَّ كَمَرُّ الْبَهَائِمِ ، حَتَّى
يَمُرُّ الرَّجُلُ سَعِيًا ، وَحَتَّى يَمُرُّ الرَّجُلُ مَشِيًا ، حَتَّى يَجِيءَ آخِرُهُمْ يَتَلَبَّطُ
عَلَى بَطْنِهِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لِمَ بَطَّأَتْ بِي ؟ فَيَقُولُ : إِنَّي لَمْ أُبْطِءْ بِكَ ،
إِنَّمَا بَطَّأَ بِكَ عَمَلُكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي الدُّنْيَا ، هُوَ

الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا ، الَّذِي ، أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِسُلُوكِهِ ، وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ إِلَيْهِ ، فَمَنْ اسْتَقَامَ سَيْرُهُ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَنْحَرِفْ عَنْهُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً اسْتَقَامَ سَيْرُهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ سَيْرُهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا بَلْ انْحَرَفَ عَنْهُ إمَّا إِلَى فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ ، أَوْ إِلَى فِتْنَةِ الشُّهَوَاتِ كَانَ اخْتِطَافُ الْكَلَالِيْبِ لَهُ عَلَى صِرَاطِ جَهَنَّمَ ، بِحَسَبِ اخْتِطَافِ الشُّبُهَاتِ وَالشُّهَوَاتِ لَهُ عَنْ هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

شِعْرًا :

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّامَ رَبِّي
يُسَائِلُنِي وَيُنْكَشِفُ الْغِطَاءُ
وَحَسْبِي أَنْ أَمُرَ عَلَى صِرَاطِ
كَحَدِ السُّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَاءُ

فَفَكَّرُ فِي أَهْوَالِ الصِّرَاطِ وَعِظَائِمِهِ ، وَمَا يَحِلُّ بِالْإِنْسَانِ مِنَ الذُّعْرِ وَالْخَوْفِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ ، وَوُقُوعِ بَصْرِكَ عَلَى جَهَنَّمَ مِنْ تَحْتِهِ ، وَسَمَاعِكَ شَهيقَهَا وَتَغْيِظَهَا عَلَى الْكُفْرَةِ ، وَقَدْ اضْطُرِرْتَ إِلَى أَنْ تَمْشِيَ عَلَى الصِّرَاطِ الَّذِي مَرَّتْ صِفَتُهُ وَصِفَةُ الْمُرُورِ عَلَيْهِ ، مَعَ ضَعْفِ حَالِكَ ، وَكَوْنِكَ حَافِيًا عَارِيًا ، وَثَقَلِ الظَّهْرُ بِالْأَوْزَارِ الْمَانِعَةِ عَنِ الْمَشْيِ فِي الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ ، فَضَلًّا عَنِ الْمَشْيِ عَلَى حَدِّ الصِّرَاطِ ، فَتَصَوَّرَ وَضَعَكَ رِجْلَكَ عَلَيْهِ ، وَاحْتِسَاسَكَ بِجِدَّتِهِ ، وَأَنْتَ مُضْطَرٌّ إِلَى أَنْ تَرْفَعَ رِجْلًا وَتَضَعِ الْأُخْرَى ، وَأَنْتَ مُنْدهِشٌ مِمَّا تَحْتِكَ وَأَمَامَكَ ، مِمَّنْ يَيْتُونُ ، وَآخَرُونَ يَزِلُّونَ ، وَآخَرُونَ يُخْطَفُونَ بِالْخَطَاطِيفِ وَبِالْكَلَالِيْبِ ، وَالْعَوِيلُ وَالْبُكَاءُ تَسْمَعُ لَهُ تَتَابَعًا وَدَوِيًّا ، وَتَنْظُرُ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَلَى رُؤُسِهِمْ ، وَآخَرُونَ عَلَى

وَجُوهِهِمْ ، فَتَعَلُّوا الْأَرْجُلُ ، فَيَا لَهُ مِنْ مَنظَرٍ فَظَنِعَ ، وَمُرْتَقَى مَا أَصْعَبَهُ ،
وَمَجَازٍ مَا أَضْيَقَهُ ، وَمَكَانٍ مَا أَهْوَلَهُ ، وَمَوْقِفٍ مَا أَشَقَّهُ ، وَكَأَنِّي بِكَ مَمْلُوءٌ
مِنَ الرَّعْبِ وَالذُّعْرِ ، تَلَفْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا إِلَى مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْخَلْقِ ،
وَتُجَيْلٍ فِيهِمْ بَصْرَكَ ، وَهُمْ يَتَهَافَتُونَ قَدَامَكَ فِي جَهَنَّمَ ، وَالزَّعَقَاتُ بِالْوَيْلِ
وَالشُّبُورِ قَدْ ارْتَفَعَتْ مِنْ قَعْرِ جَهَنَّمَ ، لِكثْرَةِ مَنْ يَزِلُّ عَنِ الصِّرَاطِ ، وَالنَّبِيُّ
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » فَتَصَوَّرُ لَوْ زَلَّتْ قَدَمُكَ ،
فَهَلْ يَنْفَعُكَ نَدْمُكَ ، وَتَحْسُرُكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَلَا « يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى » .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ
تَكْفِينَا مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا نَهْتُمُّ بِهِ ، وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا ، بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

رِحْلَةٌ وَمَصِيرٌ :

يَا مَنْ يُتَابِعُ سَيِّدَ الثَّقَلَانِ
كُنْ لِلْمُهَيِّمِينَ صَادِقَ الْإِيمَانِ
وَاعْلَمْ بَأَنَّ اللَّهَ خَالِقَكَ الَّذِي
سَوَّاكَ لَمْ يَخْتَجِ إِلَى إِنْسَانٍ
خَلَقَ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ
تَدْعُوهُ بِالْاِخْلَاصِ وَالْاِدْعَانِ
قَدْ أَرْسَلَ الْآيَاتِ مِنْهُ مُخَوِّفًا
لِعِبَادِهِ كَيْ يُخْلِصَ الثَّقَلَانِ
وَأَبَانَ لِلْإِنْسَانِ كُلِّ طَرِيقَةَ
كَيْ لَا يَكُونَ لَهُ اِعْتِدَارٌ ثَانِي

ثم اقتضى أمراً ونهياً علها
 تتميز التقوى عن العصيان
 وولدت مفطوراً بفطرتك التي
 ليست سوى التصديق والایمان
 وبليت بالتكليف أنت مخير
 وأمامك النجدان مفتتحان
 فعملت ما تهوى وأنت مراقب
 ما كنت محجوباً عن الديان
 ثم انقضى العمر الذي تهنا به
 وبدأت في ضعف وفي نقصان
 ودنا الفراق ولات حين تهرّب
 أين المفر من القضاء الداني
 والنف صخبك يرقبون بحسرة
 ماذا تكون عواقب الحدان
 واستل روحك والقلوب تقطعت
 حزناً وألقت دمعها العينان
 فاجتاح أهل الدار حزن بالغ
 واجتاح من حضروا من الجيران
 فالبت عبى لفراق كئيبه
 والدمع يملأ ساحة الأجنان
 والزوج نكلى والصغار تجمعوا
 يتطلعون تطلع الحيران

والابن يداب في جهازك كاتماً
شيئاً من الأحران والأشجان
وسرى الحديث وقد تساءل بعضهم
أو ما سمعتم عن وفاة فلان
قالوا سمعنا والوفاة سبيلنا
غير المهين كل شيء فاني
واتى الحديث لوارثيك فأسرعوا
من كل صوب للحظام الفاني
واتى المغسل والمكفن قد أتى
ليجلبوك بحلة الأكفان
ويجردوك من الثياب وينزعوا
عنك الحرير وحلة الكتان
وتعود فرداً لست حامل حاجة
من هذه الدنيا سوى الأكفان
واتى الحديث لوارثيك فأسرعوا
فأتوا بنعش واهن العيدان
صلوا عليك وأركبوك بمركب
فوق الظهور يحف بالأحران
حتى إلى القبر الذي لك جهزوا
وضعوك عند شفيره بحنان
ودنا الأقارب يرفعونك بينهم
للحد كي تمسي مع الديدان

وَسَكَتَ لِحَدَا قَدْ يَضِيقُ لِضَيْقِهِ
صَدْرُ الْحَلِيمِ وَصَابِرُ الْحَيَوَانِ
وَسَمِعْتَ قَرَعَ نِعَالِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
وَضَعُوكَ فِي الْبَيْتِ الصَّغِيرِ الثَّانِي
فِيهِ الظَّلَامُ كَذَا السُّكُونُ مُخَيِّمٌ
وَالرُّوحُ رَدٌّ وَجَاءَكَ الْمَلَكَانِ
وَهُنَا الْحَقِيقَةُ وَالْمُحَقِّقُ قَدْ أَتَى
هَذَا مَقَامَ النَّصْرِ وَالْخُذْلَانِ
إِنْ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا لِرَبِّكَ مُخْلِصًا
تَدْعُوهُ بِالتَّوَجُّيدِ وَالْإِيمَانِ
فَتَظَلُّ تَرْفُلُ فِي النِّعَمِ مُرْفَهًا
بِفَسِيحِ قَبْرِ طَاهِرِ الْأَرْكَانِ
وَلَكَ الرَّفِيقُ عَنِ الْفِرَاقِ مُسَلِّيًا
يُغْنِي عَنِ الْأَحْبَابِ وَالْأَخْدَانِ
فَتَحَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْجِنَانِ نَوَافِدُ
تَأْتِيكَ بِالْأَنْوَارِ وَالرِّيْحَانِ
وَتَظَلُّ مُنْشَرِحَ الْفُؤَادِ مُنْعَمًا
حَتَّى يَقُومَ إِلَى الْقَضَا الثُّقْلَانِ
تَأْتِي الْحِسَابَ وَقَدْ فَتَحَتْ صَحِيفَةً
بِالنُّورِ قَدْ كُتِبَتْ بِالرِّضْوَانِ
وَتَرَى الْخَلَائِقَ خَائِفِينَ لِذُنُوبِهِمْ
وَتَسِيرُ أَنْتَ بِعِمْرَةٍ وَأَمَانِ

وَيُظَلِّكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِظِلِّهِ
 وَالنَّاسُ فِي عَرَقٍ إِلَى الْأَذَانِ
 وَتَرَى الصِّرَاطَ وَلَيْسَ فِيهِ صُعُوبَةٌ
 كَالْبَرْقِ نَعْبُرُ فِيهِ نَحْوَ جَنَانٍ
 فَتَرَى الْجِنَانَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا
 وَتَرَى الْقُصُورَ رَفِيعَةَ الْبُنْيَانِ
 طَبَّ فِي رَغِيْدِ الْعَيْشِ دُونَ مَشَقَّةِ
 تَكْفِي مَشَقَّةِ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 وَالْبَسَ ثِيَابَ الْخُلْدِ وَاشْرَبَ. وَاغْتَسَلَ
 وَابْعَدَ عَنِ الْأَكْدَارِ وَالْأَحْزَانِ
 سِرًّا وَانظُرِ الْأَنْهَارَ وَاشْرَبْ مَاءَهَا
 مِنْ فَوْقِهَا الْأَنْمَارُ فِي الْأَفْنَانِ
 وَالشَّهْدُ جَارٍ فِي الْعُيُونِ مُطَهَّرُ
 مَعَ خَمْرَةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْأَلْبَانِ
 وَالزُّوجُ حُورٌ فِي الْبُيُوتِ كَوَاعِبُ
 بَيْضُ الْوُجُوهِ خَوَامِصُ الْأَبْدَانِ

أَبْكَارُ شِبْهِ الدَّرِّ فِي أَصْدَافِهِ
 وَهُنَا مَقَرٌّ لَا تَحُولُ بَعْدَهُ
 أَمَا إِذَا مَا كُنْتَ فِيهَا مُجْرِمًا
 تَكَلَّتْكَ إِمُّكَ كَيْفَ تَحْتَمِلُ الْأَذَى
 فَإِذَا تَفَرَّقَ عَنْكَ صَاحِبُكَ وَانْتَشَى
 جَاءَ آلًا مَرْهُوبِينَ مِنْ عَيْنَيْهِمَا
 وَاللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونِ وَالْمَرْجَانِ
 فِيهِ السَّرُورُ بُرُوءَةَ الرَّحْمَنِ
 مُتَّبِعًا لِطَرَائِقِ الشَّيْطَانِ
 أَمْ كَيْفَ تَضْبِرُ فِي لَظَى النَّيْرَانِ
 حُمَالُ نَعَشِكَ جَاءَكَ الْمَلَكَانَ
 تُرْمَى بِأَشْوَاطٍ مِنَ النَّيْرَانِ

سَأَلَكَ عَنْ رَبِّ قَدِيرٍ خَالِقٍ
فَتَقُولُ لَا أَدْرِي وَكُنْتُ مُصَدِّقًا
فِيؤُخَانِكَ بِالكَلَامِ بِشِدَّةٍ
فَتَصِيحُ صَيْحَةً آسِفٍ مُتَوَجِّعٍ
وَيَجِي الرِّفِيقُ فَيَا قَبَاحَةَ وَجْهِهِ
وَتَقُولُ يَا وَيْلَا أَمَالِيَ رَجَعَتْ
لَوْعَدْتَ لِلدُّنْيَا لَعُدْتَ لِمَا مَضَى
وَعَنِ الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالقُرْآنِ
أَقْوَالُ شَبَّهِ مَقَالَةَ الثَّقَلَانِ
وَسَيُضْرِبَانِكَ ضَرْبَةَ السَّجَانِ
وَيَجِي الشُّجَاعُ وَذَاكَ هَوْلٌ ثَانِي
فَكَأَنَّهُ مُتَمَرِّدٌ مِنْ جَانٍ
حَتَّى أَحْلَى بِسَاحَةِ الإِيمَانِ
فِي جَانِبِ التَّكْذِيبِ وَالْعِصْيَانِ

اللَّهُمَّ يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصُّدُقِ
وَالنِّيَةِ الصَّالِحَةِ وَالإِخْلَاصِ وَالخُشُوعِ وَالْمُرَاقَبَةَ وَالْيَقِينَ وَالْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ
وَالفَصَاحَةَ وَالْبَيَانَ وَالْفَهْمَ فِي القُرْآنِ وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالمَحَبَّةِ وَالإِصْطِفَائِيَّةِ
وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيدِ وَالرِّزْقِ الهَيْئِ الَّذِي لَا حِجَابَ بِهِ فِي
الدُّنْيَا وَلَا حِسَابَ وَلَا سُؤَالَ وَلَا عِقَابَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

نصيحة هارون الرشيد

قام محمد بن أوس الهلالي لهرون الرشيد وإعترضه عند الحجر فقال :
يا أمير المؤمنين إستمع كلامي فإنك إن سمعته حقاً قبلته وإن سمعته باطلا فلا تُعْبَأُ
به فوق الرشيد .

فقال أوسُ يا مَنْ غُذِيَ فِي نَعِيمٍ وَتَرَدَّدَ فِي مُلْكٍ سَلِيمٍ إِنْ خِفْتَ العَذَابَ
الْأَلِيمَ وَأُحْبِبْتَ البَقَاءَ فِي سُرُورٍ فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْ أَنْتَ بَيْنَهُمَا وَلَا تَعْتَرَنَّ بِشَيْءٍ
مِنْ قَوْلِهِمَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَخْلُو بِكَ دُونَهُمَا وَالمَوْتُ يَصِلُ إِلَيْكَ عَلَى الطُّوعِ

والكره منهما فلا تَقْتَصِدَنَّ بالذليل ولا تتكثَّرَنَّ بالقليل ولا تعتصمَ بغير دافع ولا تطمئن إلى غير مانع لا يمنع ولا يدفع عنك .

فإنك بعين الله وبحضرة بيته الذي جعله مثابة للناس الزائرین ومُنْحَجَرًا لِلْفَاجِرِ فأنفضَ الرشيدَ وجلسَ وخلَا يَدَيْهِ عنهما وأومأ أن تُحْذُوا الرجلَ فأخذَ حتى قَضَى طوافَهُ وصَلَّى ورجعَ إلى المنزل الذي به نَزَلَ ودعا بالرجل فأذخَلَ عليه شيخ جليل .

فقال مَنْ قَبِيلَتِكَ قال بنوا هلال قال قبيلة مشهورة فما حملك أن كلمتني بالذي كلمتني .

قال إشفاقا عليك إذ أنضيتَ الركابَ وأنعبتَ الرجالَ وأنفقتَ الأموالَ في أمورِ الله عزَّ وجلَّ أعلمُ بها حتى إذا صرتَ إلى غاية الطالب وموضع ترجو فيه الرحمةَ اعتمدتَ على ظالمين طاغيين قد جبلا على الغشم ونشأ على الظلم وقد قال الله تعالى « وما كنتُ متخذَ المُضِلِّينَ عَضُدًا » .

فنكس الرشيد رأسه وأقبل ينكثُ في الأرض وعيناه تُذِرْفَانِ ثم رفعَ رأسَهُ فقال من أين مَطْعَمُكَ ومشربك قال من عند من يرزُقكَ قال مَنْ ذَاكَ قال من عند مَنْ خَلَقَ الحَبَّ والنَّوَى وأخرج الحَبَّ من الثرى من طعامٍ سَهَرَتْ فيه العيون وتعبتُ في حصاده الأجسادُ وحَرَسَتْهُ الملائكةُ حتى أتاني به القدرُ بلا رَنَقٍ ولا كَدَرٍ .

قال ألك عيالٌ قال نعم قال ومن هُنَّ قال زوجة قال أختلفُ إلى تجارة أو تحترفُ في صناعةٍ قال قد كفان الله مَوْنَةً ذلك بالعافية قال أفلا أجرى عليك رزقا تستعين به على بعض أمورك وتستغني به عن الطلب من غيرك قال إني بالله أغنى مني بما بذلت لي من ذلك .

قال ألك حاجةٌ قال نعم أطع الله عزَّ وجلَّ فيما تعلم من سِرِّكَ فإنك تصل إلى كل محبوب وتنال به كُلَّ مطلوبٍ ولستُ تبلغُ شيئاً من نكايَةِ عَدُوِّكَ

إلا من طاعتك لربك فإنك إن أطعته جعل ناصية عدوك بيدك فلا تشاء
أمراً إلا بلغته ولا مكروها به إلا نلته .

قال ألك حاجة غيرها قال أتؤمنني من الموت قال لا أقدر على ذلك
قال فتجيرني من النار قال لئست في يدي قال فتدخلني الجنة قال لست
أملك قال أفتحي لي ميتاً حتى أسأله عما عاين ورأى قال ذاك في قدرة
غيري . قال ما أنت إلا كسائر من ترى من رعيتك غير أن الله عز وجل
فضلك عليهم بما أعطاك من هذا الحطام الزائل واستخلفك في الأرض
لينظر كيف تعمل .

ثم خرج فقال الرشيد الحمد لله الذي جعل في رعية أنا عليها مثله
ولا تزال هذه الأمة بخير ما لم يعدموا هذا ونظراءه وأشباهه قلت هذا من رقم
(١) في العفاف والزهد . والله أعلم وصلى الله على محمد .

شعراً :

إِعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَغْنَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ
وَالْعِلْمُ زِينٌ وَتَقْوَى اللَّهِ زِينَتُهُ
وَحُجَّةُ اللَّهِ يَا ذَا الْعِلْمِ بِالِغَةِ
تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَاعْمَلْ مَا اسْتَطَعْتَ بِهِ
وَعَلِمَ النَّاسَ وَأَقْصَدْ نَفْعَهُمْ أَبَدًا
وِعِضْ أَخَاكَ بِرَفْقٍ عِنْدَ زَلَّتِهِ
وَإِنْ تَكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ لِأَخْلَاقِهِمْ
فَإِنْ عَصَوْكَ فَرَاغَهُمْ بِلَا ضَجْرٍ
فَكُلْ شَاةً بِرِجْلَيْهَا مُعَلَّقَةً
لا يَنْفَعُ الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ الْعَمَلُ
وَالْمُتَّقُونَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِمْ شُغْلٌ
لا الْمَكْرُ يُنْفَعُ فِيهَا لَّا وَلَا الْحَيْلُ
لا يُلْهِنَنَّكَ عَنْهُ اللَّهْوُ وَالْجَدَلُ
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ يَعْتَادَكَ الْمَلَلُ
فَالْعِلْمُ يَعْطِفُ مَنْ يَعْتَادُهُ الزَّلَلُ
فَأْمُرْ عَلَيْهِمْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا جَهِلُوا
وَاصْبِرْ وَصَابِرٌ وَلَا يَحْزُنُكَ مَا فَعَلُوا
عَلَيْكَ نَفْسِكَ إِنْ جَارُوا وَإِنْ عَدَلُوا
اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ،

وتلّمُ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظُ بها غائبنا ، وتزكى بها أعمالنا ،
وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .
اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقيَلِ عَشْرَاتِ
العائرين ، نسألك أن تُلحِقَنَا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من
النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .
اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .
نسألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين ،
وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم .

« فصل »

« مِنْ رِسَالَةِ الْإِمَامِ مَالِكِ هُرُونِ الرَّشِيدِ »

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ ،
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِكِتَابٍ لَمْ أَلِكْ فِيهِ رُشْدًا ، وَلَمْ أُدْخِرْكَ
فِيهِ نَصْحًا ، تَحْمِيدًا لِلَّهِ ، وَأَدْبَابًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَتَذَبَّرُهُ بِعَقْلِكَ ،
وَرَدَّدْتُ فِيهِ بَصْرَكَ ، وَأَرَعِهِ سَمْعَكَ ، ثُمَّ اعْقَلُهُ بِقَلْبِكَ ، وَأَحْضَرُهُ فَهْمَكَ ، وَلَا
تُغَيِّرَنَّ عَنْهُ ذَهَنَكَ .

فَإِنَّ فِيهِ الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا ، وَحُسْنَ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ ،
أَذْكَرَ نَفْسِكَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَكُرْبِهِ ، وَمَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ مِنْهُ ، وَمَا أَنْتَ

مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، ثُمَّ الْحِسَابَ ، ثُمَّ
الْخُلُودَ بَعْدَ الْحِسَابِ .

وَأَعِدُّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يُسَهِّلُ بِهِ عَلَيْكَ أَهْوَالَ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ وَكُرْبَهَا ،
فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتَ أَهْلَ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْوَأَنِ الْعَذَابِ ،
وَشِدَّةِ نِقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَسَمِعْتَ زَفِيرَهُمْ فِي النَّارِ وَشَهيقَهُمْ ، مَعَ كُلُّوْحِ
وُجُوهِهِمْ ، وَطُولِ غَمِّهِمْ ، وَتَقَلُّبِهِمْ فِي دَرَكَاتِهَا عَلَى وُجُوهِهِمْ ، لَا
يَسْمَعُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ ، وَيَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ حَسْرَةٌ إِعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَانْقِطَاعِ رَجَائِهِمْ ،
وَإِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ طُولِ الْغَمِّ بِقَوْلِهِ : ﴿ اٰخِسْتُوْا فِيْهَا وَلَا تَكْلُمُوْنَ ﴾ .

لَمْ يَتَعَاطَمَكَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِنْ أَرَدْتَ النُّجَاةَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا أَمْنُكَ
مِنْ هَوْلِهِ ، وَلَوْ قَدَّمْتَ فِي طَلْبِ النُّجَاةِ مِنْهُ جَمِيعَ مَا مَلَكَ أَهْلُ الدُّنْيَا - كَانَ
فِي مُعَايِنَتِكَ ذَلِكَ صَغِيرًا .

وَلَوْ رَأَيْتَ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ مَعَ قُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنَضْرَةِ وَجُوهِهِمْ ، وَنُورِ
الْوَانِيهِمْ ، وَسُرُورِهِمْ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْمَكَانَةِ مِنْهُ .

لَتَقَلَّلَ فِي عَيْنِكَ عَظِيمُ مَا طَلَبْتَ بِهِ صَغِيرًا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَصَغُرَ فِي
عَيْنِكَ جَسِيمُ مَا طَلَبْتَ بِهِ صَغِيرًا ذَلِكَ مِنَ الدُّنْيَا .

فَاخْذَرْ عَلَى نَفْسِكَ حَذْرًا غَيْرَ تَغْرِيرٍ ، وَبَادِرْهُ بِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تُسَبِّقَ
إِلَيْهَا ، وَمَا تَخَافُ الْحَسْرَةَ مِنْهُ عِنْدَ نَزُولِ الْمَوْتِ ، وَخَاصِمُ نَفْسِكَ عَلَى
مَهَلٍ ، وَأَنْتَ تَقْدِرُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى جَرِّ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهَا ، وَصَرْفِ الْحُجَّةِ عَنْهَا ،
قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى اللَّهُ حِسَابَهَا .

ثُمَّ لَا تَقْدِرُ عَلَى صَرْفِ الْمَكْرُوهِ عَنْهَا وَاجْعَلْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ
 نَصِيبًا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَصَلِّ مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، وَاقْرَأْ فِيهِنَّ مَا
 أَحْبَبْتَ ، إِنْ شِئْتَ صَلِّهِنَّ جَمِيعًا ، وَإِنْ شِئْتَ مُتَفَرِّقَاتٍ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ
 النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ
 بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَاعْفِرْ لَنَا وَالْوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَصَلِّ مِنَ اللَّيْلِ ثَمَانَ رَكْعَاتٍ بِجُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَأَعْطِ
 كُلَّ رَكْعَةٍ حَقَّهَا ، وَالَّذِي يَنْبَغِي فِيهَا مِنْ تَمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَصَلِّهِنَّ
 مِنْتَنِي مُنْتَنِي ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَمَانَ
 رَكْعَاتٍ ، وَالْوِتْرَ ثَلَاثَ رَكْعَاتٍ سِوَى ذَلِكَ يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ اثْنَتَيْنِ .

وَصُمَّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ : الثَّلَاثَ عَشَرَ ، وَالرَّابِعَ عَشَرَ ،
 وَالخَامِسَ عَشَرَ ، فَانَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « ذَلِكَ صِيَامُ
 الدَّهْرِ » .

وَأَعْطِ زَكَاةَ مَالِكَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُكَ حِينَ يَحُولُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ وَلَا تُؤَخِّرْهَا
 بَعْدَ حِلِّهَا ، وَضَعَهَا فَيَمَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا تَضَعَهَا إِلَّا فِي أَهْلِ مِلَّتِكَ مِنْ
 الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ
 مِنَ الصَّدَقَةِ بِحُكْمِ نَبِيٍِّ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّى حَدَّهَا هُوَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ . قَالَ عَزَّ
 وَجَلَّ : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ، وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ،
 وَالْمَوْلَةَ قُلُوبِهِمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالغَارِمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَابْنِ
 السَّبِيلِ » .

وَاحْتَجُّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ مِنْ أَطْيَبِ مَالِكَ ، وَأَزْكَاهُ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَبَلَّغْنِي أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ غُفِرَ لَهُ .

مُرِّ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَأَحْبِبْ عَلَيْهَا ، وَأَنَّهُ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَبْغِضْ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهُ بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مُرُّوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَرْكِهِمْ نَهْيَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ » .

فَمُرُّوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَدِّمُ أَجَلًا ، وَلَا يَقْطَعُ رِزْقًا .

أَحْسِنُ إِلَى مَنْ خَوَّلَكَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاشْكُرْ تَفْضِيلَهُ إِيَّاكَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فَاَنْصَرَفَ ، وَقَالَ : « أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ جَبْهَةٌ مَلِكٍ سَاجِدٍ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ خَوْلٌ فَلْيُحْسِنِ إِلَيْهِ ، وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبِدِلْ ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ » .

الزِّمِ الْأَدَبَ مَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ وَأَدَبَهُ ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ النَّظَرُ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ » .

لَا تَسْتَسَلِمَ إِلَى النَّاسِ وَاسْتَجْرِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، لَا تَغْمِصِ النَّاسَ ، وَأَخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ :

« أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنِهِ . قَالَ : أَمْرُكَ بِأَثْنَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَيْنِ ، أَمْرُكَ بِقَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنهَا لَوْ كَانَتْ فِي كَيْفَةٍ ، وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كَيْفَةٍ وَرَزْنَتِهَا ، وَلَوْ وَضَعْتَهَا عَلَى حَلْقَةٍ قَصَمْتَهَا .

وَقُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا عِبَادَةُ الْخَلْقِ ، وَبِهَا تُقَطَّعُ أَرْزَاقُهُمْ ، فَإِنَّهُمَا يَكْثُرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الْوُلُوجُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشُّرْكِ وَالْكِبْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُحْتَجِبٌ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَمِنَ الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِي الثُّوبُ الْحَسَنُ ، قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَمِنَ الْكِبْرِ أَنْ يَكُونَ لِي الطَّعَامُ أَجْمَعُ عَلَيْهِ النَّاسُ ؟ قَالَ : لَا .

إِنَّمَا الْكِبْرُ أَنْ تُسْفِهَ الْحَقَّ ، وَتَغْمِصَ الْخَلْقَ ، وَإِيَّاكَ وَالْكِبْرَ وَالزُّهْمَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّهُمَا ، وَبَلَّغْنِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ تَطْوُهُمُ النَّاسُ بِتَكْبُرِهِمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »

فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ	وَسَلَّ الْعِيَادَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالْهَوَى
قِ الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَانِ	وَمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طُرِّ
وَالْكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ	فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً
هَازِينَ فَاسْئَلُ سَاكِنِ النَّيِّرَانِ	وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ

آخر :

تَهْ كُلُّ تَيْهَكَ بِالْوَلَايَةِ وَالْعَمَلِ	قُلْ لِلْوَضِيعِ إِذَا تَكَبَّرَ لَا تُبَلِّ
كَالْكَلْبِ أَنْجَسُ مَا يَكُونُ إِذَا اغْتَسَلَ	مَا أزدَدَتْ حِينَ وَليَتْ إِلَّا حِسَةً

اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَافِنَا مِنْ مِحَنِ الزَّمَانِ ، وَعَوَارِضِ الْفِتَنِ ، فَإِنَّا ضَعَفَاءُ عَنْ حَمَلِهَا ، وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِهَا ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمِّنَّا مِنَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ

الرُّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وقال رحمة الله :

لا تَأْمَنُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : شَاوِرُ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ ، أَحْذَرُ بِطَانَةَ السُّوءِ ، وَأَهْلَ الرَّدْيِ عَلَى نَفْسِكَ .

فإنه بلغني عن النبي - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا خَلِيفَةٍ إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ : بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْتُوهُ خَبَالًا ، وَهُوَ مَعَ التِّي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وُقِيَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ » .

وَاسْتَنْبَطْنَ أَهْلَ التَّقْوَى مِنَ النَّاسِ ، وَأَكْرِمَ ضَيْفَكَ فَإِنَّهُ يَحِقُّ عَلَيْكَ

إِكْرَامُهُ ، وَارْعُ حَقَّ جَارِكَ بِذَلِكَ الْمَعْرُوفِ ، وَكُفَّ الْأَذَى عَنْهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » .

وَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ اسْكُتْ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيْمْسِكَ » .

وَآتَى فُضُولَ الْمَنْطِقِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ الْمَنْطِقِ . وَأَكْرِمْ مَنْ وَادَّكَ ، وَكَافِئُهُ بِمُودَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالغَضَبَ فِي غَيْرِ اللَّهِ ، لَا تَأْمُرْ بِخَيْرٍ إِلَّا بَدَأَتْ بِفِعْلِهِ ، وَلَا تَنْهَ عَنِ سُوءٍ إِلَّا بَدَأَتْ بِتَرْكِهِ ، دَعِ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا يَعْنِيكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ حُسْنِ اسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » .

صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَاعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّهَا أَفْضَلُ اخْتِلَافِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

اتقِ كَثْرَةَ الضَّحِكِ ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى السَّفْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنْ ضِحْكُهُ كَانَ تَبَسُّمًا .

لَا تَمْرُحْ فَتَدْمُ نَفْسَكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « إِنِّي لَأَمْرُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » .

لَا تُخَالِفْ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَوْجِزْ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا هَذَا » يَعْنِي لِسَانَهُ .

لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلَّ هَيْئٍ لَيِّنٌ سَهْلٌ طَلِقٌ »

اتْرُكْ مِنْ أَعْمَالِ السِّرِّ مَا لَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَعْمَلَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ اتَّقِ كُلَّ شَيْءٍ تَخَافُ فِيهِ تَهْمَةً فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفْ مَوَاقِفَ التَّهْمِ » .

أَقْلِبْ طَلَبَ الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ غَضَاضَةً ، وَبَلَّغَنِي ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ : « لَا تَسْأَلِ النَّاسَ ، وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ بَيْتَكَ أَوْ مَسْجِدَكَ » وَبَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « الْمَسَاجِدُ بِيُوتُ الْمُتَّقِينَ » .

لَا تُكْثِرِ الشُّخُوصَ مِنْ بَيْتِكَ إِلَّا فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « سِتَّةٌ مَجَالِسِ الْمُسْلِمِ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ : فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ فِي بَيْتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي عِيَادَةِ مَرِيضٍ ، أَوْ شُهُودِ جَنَازَةٍ أَوْ جُمُعَةٍ ، أَوْ عِنْدَ إِمَامٍ مُقْسِطٍ يُعَزِّرُهُ وَيُوقِرُهُ » .

أَحْسِنْ خُلُقَكَ مَعَ أَهْلِكَ ، وَمَنْ اعْتَرَبَكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ رِضًا لِرَبِّكَ ،
وَمَحَبَّةً فِي أَهْلِكَ ، وَمَثْرَاءَةً فِي مَالِكَ ، وَمَنْسَأَةً فِي أَجَلِكَ .
فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي «عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ .

أَحْسِنِ الْبِشْرَ إِلَى عَامَّةِ النَّاسِ ، وَاتَّقِ شَتْمَهُمْ وَغَيْبَتَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
قَالَ : (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكَلَ لَحْمَ أَخِيهِ) . وَبَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ
قَالَ : « لَا تَشْتِمِ النَّاسَ » وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

وَقَالَ رَجَمَهُ اللَّهُ :

اتَّقِ أَهْلَ الْفُحْشِ ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الرَّدْيِ ، وَمُحَادَاثَةَ الضَّعْفَةِ (أَيِ
ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ) مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
أَنَّهُ قَالَ : اعْتَبِرِ النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ فَإِنَّمَا يُخَادِنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِثْلَهُ .
أَكْرِمِ الْيَتِيمَ ، وَارْحَمْهُ ، وَاعْطِفْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -
أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وَأَشَارَ
بِأَصْبُعَيْهِ فَصَمَّمَهُمَا .

أَعْرِفْ لَابِنِ السَّبِيلِ حَقَّهُ ، وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ
أَوَّلَ مَنْ صَافَ الضُّيْفَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أَعْنِ الْمَظْلُومَ ، وَأَنْصُرْهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَخُذْ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَادْفَعْهُ
عَنْ ظُلْمِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى
يُثْبِتَ لَهُ حَقَّهُ ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ » .

اتَّقِ اتِّبَاعَ الْهَوَى فِي تَرْكِ الْحَقِّ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ :
« إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ : اتِّبَاعَ الْهَوَى ، وَطُولَ الْأَمَلِ » فَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى
يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَطُولُ الْأَمَلِ يُنْسِي الْأَجْرَةَ .

أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « أَشْرَفُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : ذَكَرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَمُوَاَسَاةُ الْأَخِ مِنَ الْمَالِ ، وَأَنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ » .
 اغْضُضْ بَصْرَكَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - أَنَّهُ قَالَ : لَا تُتَبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّمَا لَكَ النَّظْرَةُ الْأُولَى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخَرَى .

اتَّقِ الْمَطْعَمَ الْوَبِيَّ ، وَالْمَشْرَبَ الْوَبِيَّ ، وَالْمَلْبَسَ الْوَبِيَّ ، فَإِنْ ذَلِكَ تَذَهَبُ أَنْفَتُهُ ، وَتَبْقَى عَاقِبَتُهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَدَبَ رُسُلَهُ ، فَقَالَ : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ .

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَكَلَهُ ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ مَكَانَهَا أَكَلَهُ مِنْ نَارٍ ، وَمَنْ سَمِعَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَبَسَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ ثَوْبًا ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ مَكَانَهُ ثَوْبًا مِنْ نَارٍ » .
 أَقْبِلْ عُذْرَ مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ ، وَارْجِعْ عَمَّا كَرِهْتَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَلَمْ يَعْذُرْهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ زُرِّ صَاحِبِ مَكْسٍ » .

لِتَكُنْ يَدُكَ الْعُلْيَا عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَطْتَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » .

اصْحَبِ الْأَخْيَارَ فَإِنَّهُمْ يُعِينُونَكَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا كَانَ أَحْفَظُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ » .

صِلْ رَحِمَكَ وَإِنْ قَطَعَكَ ، وَلَا تُكَافِئْهُ بِمِثْلِ مَا أَتَى إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ : « إِنْ لِي أَقْرَبَاءُ ، أَعْفُوا وَيَظْلِمُونِي ، وَأَصِلْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ وَيُسِيئُونِي ، أَفَأَكْفِيئُهُمْ ؟ » فَقَالَ ﷺ : « إِذْنُ

تُرَكُّوا جَمِيعاً ، وَلَكِنْ إِذَا أَسَاءُوا فَأَحْسِنْ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ » اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاعِبِينَ أَلْهَمْنَا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ رَقَدَةِ الْغَافِلِينَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِينٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَرْحَمَ الْمِسْكِينَ الْمُضْطَّرَّ ، وَالْغَرِيبَ الْمُحْتَاجَ ، وَأَعْنَهُ عَلَى مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صِدْقَةٌ » .

أَرْحَمَ السَّائِلَ ، وَارْزُدَّهُ مِنْ بَابِكَ بِفَضْلِ مَعْرُوفِكَ ، بِالْبَدْلِ مِنْكَ ، أَوْ قَوْلِ مَعْرُوفٍ تَقُولُهُ لَهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « رُدُّ عَنكَ مَذْمَةٌ السَّائِلِ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَامِ » .

لَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَ مَنْ تَعْرِفُهُ ، وَعِنْدَ مَنْ لَا تَعْرِفُهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ أَنْ تَصُبَّ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِيَاءِ الْمُسْتَقِي » .

أُرِدْ بِكُلِّ مَا يَكُونُ مِنْكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَى أَحَدٍ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنْ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ ﴾ . . . الآية . قَالَ : الْمُنَافِقُ الَّذِي إِنْ صَلَّى رَأَى ، وَإِنْ فَاتَتْهُ لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهَا ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ قَالَ : الْمَاعُونَ : الزُّكَاةَ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

إِيَّاكَ وَالرِّيَاءَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّهُ لَا يَصْعَدُ عَمَلُ الْمُرَائِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا يُزَكِّيهِ عِنْدَهُ . إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِعَمَلٍ مَا عَمَلْتَ فِيمَا بَيْنَكَ

وَبَيَّنَ اللَّهُ فَاَفْعَلَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « نَضَّرَ اللَّهُ أُمَّرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا حَتَّى يُبَلِّغَهَا غَيْرَهُ ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظُ مِنْ شَاهِدٍ وَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ غَيْرُ فِقْهِهِ » .

لَا يَغْفُلُ قَلْبُ أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ عَنِ ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ .

إِيَّاكَ وَسُوءُ الْخُلُقِ ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » .

إِخْضَعُ لِلَّهِ إِذَا خَلَوْتَ بِعَمَلِكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ : « أَنْ مَلَكَأُ أَنَاهُ فَقَالَ : إِنْ رَبِّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : إِنْ شِئْتَ أَجْعَلُكَ مَلَكَأُ نَبِيًّا أَوْ عَبْدًا نَبِيًّا ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ تَوَاضَعَ ، فَمَا أَكَلَ مُتَكِنًا حَتَّى مَاتَ » .
لَا تَظْلِمِ النَّاسَ فَيُدِيلُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَالَ : مَا ظَلَمْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيَّ ظُلْمًا مِنْ أَحَدٍ لَا يَسْتَعِينُ عَلَيَّ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى .

أَحْذِرِ الْبَغْيَ فَإِنَّهُ عَاجِلُ الْعُقُوبَةِ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ ، وَإِنَّ أَعْجَلَ الشَّرِّ عُقُوبَةُ الْيَمِينِ الْغَمُوسُ تَتْرُكُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ » .

لَا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، لِيَحْلِفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ أَوْ لَيْسَ كُنْتَ » . وَلَا تَحْلِفْ بِاللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾
اللَّهُمَّ اعْمُرْ قُلُوبَنَا وَالسِّتْنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَفَّقْنَا لِلْأَمْتِئَالِ لِأَمْرِكَ وَأَيْمَانِ مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَانِكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ

المفلحين وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
الرحيمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

(فصل)

وقال رحمه الله :

أرحم الناس يرحمك الله . بلغني عن النبي - ﷺ - أنه قال : « من لا
يرحم الناس لا يرحمه الله » .

أحب طاعة الله يحبك الله ، ويحبك إلى خلقه ، قال عز وجل
لنبيه : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله جعل قرة عيني في السجود » .
وقال بعض العلماء : ما أسر عبداً قط سريرة خير إلا ألبسه الله رداءها ، ولا
أسر سريرة شراً قط إلا ألبسه الله رداءها .

وليكن عليك السكينة والوقار في منطقتك ومجلسك ومركبك ، فإنه
بلغني عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إذا ركبتُم هذه الدواب العجم فاعطوها
حظها من الأرض » .

عليك بالجلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك
عنه أذى ، ولا تكافئه فإن في ذلك الفضل في الدنيا والآخرة ، بلغني عن
النبي - ﷺ - أنه قال : « إن الله يحب الحليم الحي العفيف المتعفف » .

ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، بلغني عن النبي - ﷺ - أنه قال :
« أيها السلمي اتق العقوق وقطيعة الرحم ، فإن في ذلك شيناً في الدنيا
وتباعداً في الآخرة » .

وبلغني عن النبي - ﷺ - أنه قال : « اشتكت الرحم إلى الله عز وجل
ممن يقطعها ، فرد الله عليها أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من
قطعك » .

إِذَا غَضِبْتَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَادْكُرْ ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ ،
قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » الْآيَةَ .

وَبَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَا امْتَلَأَ رَجُلٌ غَيْظًا فَكَظَمَهُ لِلَّهِ إِلَّا
مَلَأَهُ اللَّهُ رِضْوَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

إِذَا وَعَدْتَ مَوْعِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تُخْلِفْهُ ، وَإِذَا قُلْتَ قَوْلًا فِيهِ رِضَا لِلَّهِ
فَأَوْفِ بِهِ وَدُمْ عَلَيْهِ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَكْفَلَ بِسِتِّ
أَتَكْفُلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ : إِذَا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وَإِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وَإِذَا اثْتَمِنَ لَمْ
يَخْنُ ، وَغَضَّ بَصْرَهُ ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ » .

إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ لَيْسَتْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تَهَمَّنْ بِهَا وَكْفَرْهَا ، فَإِنَّهُ
بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَكَفَّارَتُهَا كَفَّارَةٌ يَمِينٍ
وَالنَّذْرُ يَمِينٌ وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَاتِ الَّذِي هُوَ
خَيْرٌ وَكْفَرٌ عَنِ يَمِينِكَ » فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ .

إِيَّاكَ وَالتَّزْيِيدَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَنْ تَقُولَ قَوْلًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّهُ
بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
الْإِمَامُ الْكُذَّابُ ، وَالْعَائِلُ الْمَرْهُو ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي » .

بِرِّ وَالِدَيْكَ وَخُصْمَهُمَا مِنْكَ بِالْدُّعَاءِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ ، وَأَكْثَرُ لَهْمَا
الِاسْتِغْفَارَ ، وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ قَبْلَهُمَا ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ : « رَبِّ
اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ قَبْلَ وَالِدَيْهِ . وَبَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ
قَالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي عُمُرِهِ ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ،
وَلْيَصِلْ رَجْمَهُ » .

اشْكُرِ النَّاسَ مَا آتَوْا إِلَيْكَ مِنْ خَيْرِهِمْ ، وَكَافِيهِمْ إِنْ قَدِرْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ
بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » وَاللَّهُ

اللَّهُمَّ قُوْ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَأْنِيكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

إِذَا رَكِبْتَ دَابَّةً فَوَضَعْتَ رِجْلَكَ فِي الرَّكَابِ ، فَقُلْ : بِسْمِ اللهِ ، وَإِذَا
اسْتَوَيْتَ رَاكِبًا فَقُلْ : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الْآيَةَ .
فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ كُلَّمَا رَكِبَ دَابَّةً (قُلْتُ وَمِثْلَهَا
السِّيَارَةُ وَالطَّائِرَةُ وَالْقَطَارُ وَالسَّفِينَةُ وَنَحْوَهَا) .

إِذَا أَكَلْتَ أَوْ شَرِبْتَ فَادْكُرِ اسْمَ اللهِ ، فَإِنْ نَسِيتَ فِي أَوَّلِ حَالِكَ فَادْكُرْهُ
إِذَا ذَكَرْتِ ، بَلَّغَنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : تَذْكُرِ اسْمَ اللهِ
حِينَ تَذْكُرُ ، فَإِنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْخَبِيثِ ، وَيَبِينُ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ وَيَتَّقِيَا مَا أَكَلَ ، فَإِذَا
فَرَّغْتَ فَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي
عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا أَكَلَ وَشَرَبَ .

وَإِذَا أَكَلْتَ وَمَعَكَ آخَرُ فَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ بِيَمِينِكَ ، وَلَا تَأْكُلْ مِنْ فَوْقِ
الطَّعَامِ وَلَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْ أَحَدٍ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ
يَفْعَلُهُ : « اذْكُرِ اسْمَ اللهِ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَلَا تَأْكُلْ بِشِمَالِكَ ،
وَلَا تَشْرَبْ بِشِمَالِكَ . وَبَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّهَا أَكْلَةُ
الشَّيْطَانِ » .

لَا تُسَافِرْ مَا اسْتَطَعْتَ إِلَّا فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ -

ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُسَافِرَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لَا يُسَافِرُ إِلَّا فِيهِ .

إِذَا أَصَابَكَ كَرْبٌ فَقُلْ : يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ ذَلِكَ عِنْدَ الْكَرْبِ .

اخْتَرِسْ مِمَّنْ يَقْرُبُ إِلَيْكَ بِالنَّمِيْمَةِ ، وَيُبْلَغُ الْكَلَامَ عَنِ النَّاسِ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَلْعُوْنٌ مَنْ لَعَنَ أَبَاهُ ، مَلْعُوْنٌ مَنْ لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُوْنٌ مَنْ غَيَّرَ تَحْوِمَ الْأَرْضِ ، مَلْعُوْنٌ كُلُّ صَقَّارٍ » وَهُوَ النَّمَامُ .

لَا تَجْرُ ثِيَابَكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ ، وَبَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

أَطِعِ اللَّهَ فِي مَعْصِيَةِ النَّاسِ ، وَلَا تُطِعِ النَّاسَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

إِذَا أَصَابَكَ حَزَنٌ أَوْ سُقْمٌ أَوْ ذَلَّةٌ أَوْ لَأْوَاءٌ - يَعْنِي الْجُوعَ - فَقُلْ : اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا : ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ مَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ .

اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا وَأَحْزَانِهَا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . وَالصَّبْرُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ .

لَا تُمَارِئَنَّ أَحَدًا وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا ، بَلَّغَنِي أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوْقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » أَنَّهُ الْمِرَاءُ .

إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُوْر الدُّنْيَا فَفَكَّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ -

ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا هَمَمْتُ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ رُشْدًا فَامْضِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيًّا فَانْتِهِ عَنْهُ » .

إِيَّاكَ وَالتَّجْرِيدَ خَالِيًا ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ إِذَا خَلَوْتَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا أَحِبُّ أَنْ يَلِيَ لِي شَيْئًا مَنْ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ فِي الْخَلَاءِ » . وَإِيَّاكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَمَّامَ وَالْمَاءَ إِلَّا بِإِزَارٍ ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَكَ أَحَدُ الْحَمَّامِ إِلَّا بِإِزَارٍ وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ ، فَغَضُّ طَرْفِكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ كَانَ مَكْشُوفًا ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَجِلُّ لِأَمْرِيءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَّامَ إِلَّا بِإِزَارٍ » ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا وَأَمِّنْ خُوفَنَا وَاجْتِمِمْ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَجِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَفْسَى السَّلَامَ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَسْبِقَكَ أَحَدٌ إِلَيْهِ فَافْعَلْ ، تُعْطَ بِذَلِكَ فَضْلًا عَنِ النَّاسِ ، وَبَلَّغَنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ، وَضَعَهُ فِيكُمْ فَأَفْشُوهُ فِيكُمْ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَلَّمَ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ .

أَدَبٌ وَوَلَدٌ ، وَمَنْ وُلِّيتْ أَمْرَهُ عَلَى خُلُقِكَ وَأَدَبِكَ ، حَتَّى يَتَأَدَّبُوا عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَيَكُونُوا لَكَ عَوْنًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . بَلَّغَنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : كُلُّ مُؤَدِّبٍ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِأَدَبِهِ ، وَإِنْ أَدَبَ اللَّهُ هُوَ الْقُرْآنُ .

وَإِذَا اسْتَشَارَكَ أَحَدًا فَإِنْ شِئْتَ تَكَلَّمْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ سَكَتَ وَاجْتَهَدَ

رَأَيْكَ فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « الْمُسْتَشَارُ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ تَكَلَّمَ وَإِنْ شَاءَ سَكَتَ » .

لَا تُفْسِدْ عَلَى أَحَدٍ سِرًّا أَوْ نَهَاهُ إِلَيْكَ ، فَإِنَّمَا هِيَ أَمَانَةٌ اسْتَوْدَعَكَهَا ، وَاتَّمَنَّاكَ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِفْسَاؤُهُ خَيْرًا لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ، فَأَفْشَاهَا عَلَيْهِ وَأَنْصَحَهُ فِيهَا ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحَهُ » .

إِذَا تَعَلَّمْتَ عِلْمًا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلْيُرِّعْ عَلَيْكَ أَثَرَهُ ، وَلْيُرِّعْ فِيكَ سَمْتَهُ ، وَتَعَلَّمْ لِلَّذِي تَعْمَلُهُ ، وَتَعَلَّمْ لَهُ السُّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَالْوَقَارَ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ » .

رُدُّ جَوَابِ الْكِتَابِ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ كَتَبَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ كَرَدُ السَّلَامِ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَرَى رَجَعَ الْكِتَابُ عَلَيَّ حَقًّا كَمَا أَرَى رَجَعَ السَّلَامُ .
إِلْزَمَ الْحَيَاءَ فَإِنَّهُ خُلِقَ الْإِسْلَامَ ، وَفِيهِ قَالَ ﷺ : « لِكُلِّ شَيْءٍ خُلُقٌ ، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ » .

إِذَا سَافَرْتَ فَقُلْ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَائِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ » . بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا سَافَرَ .

إِيَّاكَ وَظَلَمَ الضَّعِيفِ ، وَمَنْ لَا يَسْتَعِينُ عَلَيْكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ

الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهَا : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي
لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

إِذَا وَدَّعْتَ مُسَافِرًا فَقُلْ : « زُوِّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ،
وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ »
لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِهَا .

إِذَا حَضَرْتَ السَّلْطَانَ فَاشْفَعْ بِخَيْرٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَلامَ عِنْدَهُ إِلَّا بِمَا
يُرْضِي اللَّهَ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ
اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ
الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ
لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

أَرِدْ مَا أَرَدْتَ بِهِ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، بَلِّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ :
« صَدَقَهُ السَّرُّ تَطْفِيءُ غَضَبِ الرَّبِّ » .

اتَّقِ كَثْرَةَ التَّزْكِيَةِ لِنَفْسِكَ ، أَوْ تَرْضَى بِهَا مِنْ أَحَدٍ يَقُولُهَا لَكَ فِي
وَجْهِكَ ، بَلِّغْنِي أَنَّ رَجُلًا امْتَدَحَ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ : « وَنَحَكَ
قَطَعْتَ عُنُقَهُ ، وَلَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدًا » .

إِيَّاكَ وَمَدَحَ النَّاسِ وَالشَّنَاءَ عَلَيْهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : « أَحْسُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ » .

طَهَّرْ ثِيَابَكَ وَنَفْسَكَ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ بَلِّغْنِي أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى :
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ، يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَلْبَسَهَا عَلَى عَدْرَةٍ .

وَإِكْرَهُ لِكُلِّ أَحَدٍ مَا تَكَرَّهَهُ لِنَفْسِكَ ، بَلِّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ بَايَعَ
جَرِيرًا الْبَجَلِيَّ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّصِيحَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ وَالشَّرَّ فَهُمَا خُلِقَانِ مُرْدِيَانِ لِصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، وَقَالَ ﷺ فِيهِمَا : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا
وَسَلَطَهُ عَلَى انْفَاقِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا
وَيُعَلِّمُهَا » .
شعرا :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتُتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَيْدِ
إِلَّا الْإِلَٰهَ فَإِنَّ يَرْحَمُ تُحَلُّ بِهِ فَالْجَأُ إِلَى اللَّهِ لَا تُرْكَنُ إِلَى أَحَدٍ

اقتد في أمورك برأي ذوي الأنصاف من أهل التقوى . بلغني عن
النبي - ﷺ - أنه قال : « خياركُم شُبَّانُكُمُ الْمُتَشَبِّهُونَ بِشُيُوخِكُمُ ، وَشِرَارُكُمُ
شُيُوخُكُمُ الْمُتَشَبِّهُونَ بِشُبَّانِكُمُ » .

لا تحتقر أحداً ، ولا تجالس مافوناً ، فإن الوحدة خير من جليس السوء .
عليك بمعالي الأخلاق وكريمها ، واتقِ رذائلها وما سفسف منها ،
بلغني عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إن الله يحبُّ معالي الأخلاق ويكره
سفسافها » .

إذا رأيت من فضلت عليه في دينك ودنياك ، فأكثِرْ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
فإن ذلك من الشكر ، بلغني عنه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أنه قال : « مَا
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ » فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ
النِّعْمَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ » .

لا تتركب المثرة الحمراء ، ولا تلبس المعصفر ، فقد نهى رسول
الله - ﷺ - عن ذلك : إِذَا غَضِبْتَ وَأَنْتَ قَائِمٌ فَاقْعُدْ ، وَإِنْ كُنْتَ قَاعِدًا
فَاضْطَجِعْ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ
ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ » « لَا تَنْطِيرَنَّ مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ أَوْ
تَسْمَعُهُ » .

وَإِذَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ فَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ
السُّوءَ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ -
كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ لِمَنْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا .

لَا تَتَوَضَّأُ بِشَيْءٍ مِمَّا تَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ (إِلَّا مِنْ لَحْمِ الْجَزُورِ) وَلَا
تَذُكُّ بِهِ فِي الْحَمَامِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْجَفَاءِ .

لَا تَتَخَلَّقَنَّ بِالْخُلُوقِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَثَرِ النُّورَةِ لِيَذْهَبَ رِيحُهَا ، فَقَدْ
بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي بُرْدَتَيْنِ لَهُ مُتَخَلِّقٌ يَتَبَخَّرُ
فِيهِمَا إِذْ سَاخَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

اللَّهُمَّ تَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا تَحْلِفَ بِالطَّلَاقِ وَلَا بِالْعَتَاقِ ، فَإِنَّهَا مِنْ أَيْمَانِ الْفُسَاقِ .
بَلَّغَنِي عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : أَرْبَعُ جَائِزَةٌ إِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِنَّ :
الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ وَالتَّكَاحُ وَالتَّدْرُ ، وَأَرْبَعَةٌ يُمَسُّونَ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ سَاخِطٌ ،
وَيُبِيحُونَ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ غَضَبَانٌ : الْمُتَشَبَّهُونَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمُتَشَبَّهَاتُ
مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ، وَمَنْ أَتَى بِهِمَّةً أَوْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ .

لَا تَنْطَبِئَنَّ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّيِّبِ يَظْهَرُ لَوْنُهُ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ :
« طَيْبُ الرِّجَالِ مَا بَطَنَ لَوْنُهُ وَظَهَرَ رِيحُهُ ، وَطَيْبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَبَطَنَ
رِيحُهُ » .

الرِّزْمُ الرَّأْيِيُّ الْحَسَنَ ، وَالْهَدْيِيُّ الْحَسَنَ ، وَالْأَقْبِصَادُ ، بَلَّغَنِي عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : الرَّأْيِيُّ الْحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ
جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ .

إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَدَعَ الْعِمَامَةَ وَالْبُرْدَ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ فَافْعَلْ .
لِمَا عَلِمْتَ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ الْعِمَامَةَ
وَالْبُرْدَ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ .

إِذَا صَافَحَكَ أَحَدٌ فَلَا تَنْزِعَنَّ يَدَكَ عَنْ يَدِهِ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ
يَدَهُ عَنْ يَدِكَ ، بَلِّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ لَمْ يُصَافِحْ أَحَدًا فَتَرَاعَ يَدَهُ حَتَّى
يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ .

إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ بَوَّجِهَهُ يُحَدِّثُكَ ، فَلَا تَصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُ ، حَتَّى
يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْكَ ، وَإِذَا جَلَسْتَ إِلَى جَنْبِ رَجُلٍ ، أَوْ
جَلَسَ إِلَى جَنْبِكَ رَجُلٌ ، فَلَا تَقُومَنَّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا تُجَاوِزَنَّ رُكْبَتَكَ
رُكْبَتِهِ ، بَلِّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ لَمْ تَجَاوِزْ رُكْبَتَهُ رُكْبَةً جَلِيسٍ لَهُ .

وَإِذَا أَحْسَسْتَ مِنْ أَمِيرٍ ظَلَامَةً أَوْ تَغَطُّرُسًا فَقُلْ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ
أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ اعْزُ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا أَخَافُ وَأُحْذِرُ ، وَأَعُوذُ
بِاللَّهِ الْمُمْسِكِ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ فُلَانٍ ، اللَّهُمَّ
كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانٍ وَجُنُودِهِ ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْفِي ، جَلُّ
جَلَالِكَ وَعَزُّ جَارِكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » تَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .
بَلِّغْنِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وَأَمَرَنَا بِهِ .

وَإِذَا كَتَبْتَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَلَا تَكْتُبَنَّ سَلَامَ اللَّهِ
عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ أَكْتُبِ السَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، بَلِّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -
أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ .

إِذَا عَطَسْتَ فِي الْخَلَاءِ ، فَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ خَفِيًّا . لَا تَدَهْنُ فِي مِدْهَنٍ .

ذَهَبٌ وَلَا فِضَّةٌ ، وَلَا تَسْتَجِمِرُ فِي مَجَامِرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ فِي إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

لَا تَتَمَّ عَلَى الْحَرِيرِ وَالذِّيَبِجِ فَإِنَّهُ لُبْسَةُ النِّسَاءِ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ نَهَى عَنِ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالذِّيَبِجِ إِلَّا لِلنِّسَاءِ .

إِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا فِي أَهْلِكَ وَخَاصَّتِكَ مِمَّا يَنْبَغِي تَغْيِيرُهُ ، فَلَا تُحَابِئَنَّ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَقُمْ فِيهِ بِالَّذِي يَحِقُّ عَلَيْكَ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » .

إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَلَا تَحْسِبْهُ إِنْ اسْتَطَعْتَ فُوقًا حَتَّى تُمَضِّيهِ ، فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ الْأَحْدَاثُ ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ غَيْرِ ذَلِكَ . فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُمَضِّيَهُ فُوقًا فَافْعَلْ ، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحَدِّثُ لَكَ تَرْكُهُ . لَا تَسْتَجِي إِذَا دُعِيتَ لِأَمْرٍ لَيْسَ بِحَقٍّ أَنْ تَقُولَ : لَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِي مِنْ الْحَقِّ ﴾ .

إِذَا سَمِعْتَ الْمُؤَذِّنَ يُؤَذِّنُ ، فَقُلْ كَمَا يَقُولُ ، إِلَّا أَنْكَ تَقُولُ إِذَا قَالَ : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، بَلَّغَنِي ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - .

لَا تَخْلُونِ بَأَمْرًا لَيْسَتْ لَكَ بِمَحْرَمٍ ، بَلَّغَنِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مَا خَلَا رَجُلٌ بَأَمْرًا لَيْسَتْ لَهُ بِمَحْرَمٍ إِلَّا كَانَ نَالِثُهُمَا الشَّيْطَانُ .
شعرا :

لَا تَخُلْ بِأَمْرًا لَدَيْكَ بِرِيَّةٍ لَوْ كُنْتَ فِي النَّسَاكِ مِثْلَ بَنَانِ
إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النَّسَا مِثْلَ الْكَلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحُومَ أُسُودَهَا أَكَلَتْ بِلَا عَوْضٍ وَلَا أَيْمَانِ

إِذَا قَالَ الْإِمَامُ آمِينَ ، فَقُلْ : آمِينَ ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي إِذَا فَرَغَ مِنْ أَمِّ الْقُرْآنِ أَنْ يَقُولَ آمِينَ ، وَيَقُولُهُ مَنْ خَلَفَهُ ، بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤْمِنُ لِتَأْمِينَ الْإِمَامِ ، فَمَنْ وَاظَقَ مِنْكُمْ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » أ هـ ما اخترناه والله أعلم وصلى الله على محمد .

(فصل)

أَسْئَلَةٌ وَأَجْوَبَةٌ

- السؤال الأول عن واحد لا ثاني له .
 وعن دين لا يقبل الله غيره .
 وعن مفتاح الصلاة وبم تختم .
 وعن غراس الجنة وعن صلاة كل شيء .
 وعن أربعة فيهم الروح ولم يكونوا في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء .
 وعن رجل لا أب له .
 وعن رجل لا أم له ولا أب .
 وعن حيوان جرى بصاحبه .
 وعن بقعة من الأرض طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبل ذلك ولا بعده .
 وعن ظاعن ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها .
 وعن شجرة نبئت على إنسان .
 وعن شيء يتنفس ولا روح له .
 وعن الحكمة في المحو الذي في القمر .
 وعن مئيت مات ألف شهر ومائتي شهر .
 وعن جبل ارتفع ثم رجع .
 وعن إثنان لا ثالث لهما .

وَخَمْسَةَ لَا سَادِسَ لَهَا .
 وَسِتَّةَ لَيْسَ لَهَا سَابِعَ .
 وَسَبْعَةَ لَيْسَ لَهَا ثَامِنَ .
 وَثَمَانِيَةَ لَا تَاسِعَ لَهَا .
 وَتِسْعَةَ لَا عَاشِرَ لَهَا .
 وَعَشْرَةَ لَيْسَ لَهُمْ حَادِي عَشْرَ .
 وَثَلَاثَةَ عَشْرَ لَا رَابِعَ عَشْرَ لَهُمْ .
 وَعَنْ أَحَبِّ كَلِمَةٍ إِلَى اللَّهِ .
 وَمَا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قِبْلَةٌ .
 وَعَنْ شَيْءٍ حَلَّ بَعْضُهُ وَحَرَّمَ بَعْضُهُ .
 وَعَنْ نَبِيِّ نَهَى اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا عَمَلَهُ .
 وَعَنْ مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ وَلَيْسَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَا مِنَ الْجِنِّ وَلَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ .
 وَعَنْ نَفْسٍ مَاتَتْ وَضُرِبَ بَعْضُهَا مَيْتٌ فَحَيًّا بِإِذْنِ اللَّهِ .
 وَعَنْ كَافِرٍ لَمْ تَأْكُلِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ .
 وَعَنْ نَفْسٍ خَرَجَتْ مِنْ نَفْسٍ وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا .
 وَعَنْ اثْنَيْنِ تَكَلَّمَا فِي الدَّهْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطُّ ثُمَّ هُمَا سُكُوتٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَعَنْ أَنْفَعِ كَلِمَةٍ وَأَرْفَعِ وَأَحْسَنِ كَلِمَةٍ وَأَزْكَى كَلِمَةٍ .
 وَعَنْ جَمَاعَةٍ شَهِدُوا بِالْحَقِّ وَهُمْ كَاذِبُونَ .
 وَعَنْ جَمَاعَةٍ شَهِدُوا بِالْحَقِّ فَأَدْخِلُوا النَّارَ وَمَنْ شَهِدُوا عَلَيْهِ .
 وَعَنْ شَيْءٍ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجَنَّةِ .
 وَعَنْ صَيِّدَيْنِ صَادَهُمَا رَجُلٌ فَحَلَّ أَحَدَهُمَا لَهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْآخَرَ .
 وَعَنْ امْرَأَةٍ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا .

وعن خَمْسَةَ مَشَوْا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَلَمْ يُؤَلِّدُوا .
وعن أُمِّ لَمْ تُؤَلِّدْ .

وعن مَاءٍ لَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ تُبَعُّ مِنَ الْأَرْضِ وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ .

ج : الجواب الواحد الذي لا ثاني لَهُ فَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ،
وَأَمَّا الدِّينَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ فَدِينُ الْإِسْلَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ
غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

وَأَمَّا مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ فَالتَّكْبِيرُ وَتُحْتَمَمُ بِالتَّسْلِيمِ .

وَأَمَّا غِرَاسُ الْجَنَّةِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ .

وَأَمَّا عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ .

وَأَمَّا الَّذِي فِيهِمُ الرُّوحُ وَلَمْ يَكُونُوا فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَلَا فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ
فَهُمْ آدَمُ وَحَوَّاءُ وَنَاقَةُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَصَا مُوسَى لَمَّا قَلَبَهَا اللَّهُ حَيَّةً
وَالكَبِشُ الَّذِي قَدَى بِهِ إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾
وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قِبْلَةٌ فَظَهْرُ بَيْتِ اللَّهِ (أَي سَطْحُ الْكَعْبَةِ) .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي لَا أَبَ لَهُ فَعِيسَى عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا السَّلَامُ .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي لَا أُمَّ لَهُ وَلَا أَبَ فَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَأَمَّا الْحَيَوَانُ الَّذِي جَرَى بِصَاحِبِهِ فَالْحَوْتُ الَّذِي سَارَ بِيُونُسَ فِي الْبَحْرِ .

وَأَمَّا الْبُقْعَةُ الَّتِي طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَأَرْضُ الْبَحْرِ الَّذِي فَلَّقَهُ

اللَّهُ لِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَأَمَّا الْاِثْنَانِ اللَّذَانِ لَيْسَ لِهَمَا ثَالِثٌ فَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

وَأَمَّا لثَلَاثُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا رَابِعٌ فَالطَّلَاقُ الثَّلَاثُ .

وَأَمَّا الْخَمْسُ الَّتِي لَا سَادِسَ لَهَا فَالصلواتُ الْخَمْسُ الْمَفْرُوضَةُ .

وَأَمَّا السِّتَةُ الَّذِينَ لَا سَابِعَ لَهُمْ فَالْأَيَّامُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ .

وأما السبعة التي لا ثامن لها فأيام الأسبوع .
وأما الثمانية الذين ليس لهم تاسع فحملة العرش يوم القيامة . قال الله جلا
وعلا : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ .
وأما التسعة الذين لا عاشر لهم فالتسعة الرهط الذين ذكرهم الله في سورة
النمل . قال تعالى : ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ﴾ .
وأما العشر التي ليس لها حادى عشرة فقولته تعالى : ﴿ والفجر وليال
عشر ﴾ .

وأما الإحد عشر فاخوة يوسف .
وأما الاثنا عشر فشهور السنة .
وأما الثلاثة عشر فاخوة يوسف وأبوه وأمه .
وأما أحب كلمة إلى الله فكلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » .
وأما الشيء الذي أجل بعضه وحرم بعضه فهو نهر طالوت قال تعالى :
﴿ إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا
من اغترف غرفة بيده ﴾ .

وأما الذي بعثه الله وليس من الإنس ولا من الملائكة ولا من الجن فهو
الغراب قال الله تعالى : ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ﴾ .
وأما النفس التي ماتت وضرب ببعضها ميتاً آخر فحيا بإذن الله فهي بقرة
بنبي إسرائيل قال الله جل وعلا : ﴿ فقلنا إضربوه ببعضها كذلك يحيي الله
الموتى ﴾ .

وأما الشجرة التي نبتت على إنسان فالتى أثبتها الله على يونس ابن متى
قال تعالى : ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ .
وأما النفس التي دخلت في نفس أخرى وخرجت وليس بينهما مناسبة

فَهُوَ يُونِسُ بْنُ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ وَخَرَجَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَالْتَقِمَهُ الْحُوتُ ﴾ .

وأما الكنز من كنوز الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله كما في الحديث .
وأما الماء الذي لم يذكر أنه نَبَعَ مِنَ الْأَرْضِ ولم يذكر أنه نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
فالماء الذي نَبَعَ بَيْنَ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ .

وأما الحكمة التي في محو آية الليل القمر فالله أعلم بأنه لِأَجْلِ تَمْيِيزِ اللَّيْلِ
مِنَ النَّهَارِ وَلِمَنَافِعَ أُخْرَى تَتَعَلَقُ بِالنَّبَاتِ وَالزَّرْعِ وَالْأَشْجَارِ وَالثَّمَارِ .
وَأَمَّا أَنْفَعُ كَلِمَةٍ وَأَرْفَعُ كَلِمَةٍ وَأَحْسَنُ كَلِمَةٍ فَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ « لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ » .

وأما النبي الذي نهى الله النبي ﷺ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِ عَمِلَهُ فَهُوَ يُونِسُ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ
إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ .

وأما الشهود الذي شهدوا حَقًّا وَهُمْ كَاذِبُونَ فَهَمُ الْمَنَافِقُونَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمَنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ الْمَنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

وأما الشهود الذي شهدوا بِالْحَقِّ وَأَدْخَلُوا النَّارَ وَمَنْ شَهِدُوا عَلَيْهِ فَالْجَوَارِحُ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاوَاهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الْآيَاتِ .

وأما الجبل الذي ارتفع وَعَادَ فَجَبَلِ الطُّورِ أَعَادَهُ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ .
وأما الكافر الذي لم تَأْكُلِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ فَقَارُونَ .

وأما الذي في الأرض وهو من الجنة فالحجر الأسود .
وأما الصيدان اللذان صادهما رجل فَأَحْلَلَّ لَهُ أَحَدَهُمَا وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْآخَرَ
فَمُحَرَّمٌ صَادَ صَيْدَيْنِ مِنَ الْبَرِّ وَاحِدٌ وَمِنَ الْبَحْرِ وَاحِدٌ فَالَّذِي مِنَ الْبَرِّ حَرَامٌ
وَالَّذِي مِنَ الْبَحْرِ حَلَالٌ .

وأما الذي مات ألف شهرٍ ومائتي شهرٍ ثم أَحْيَاهُ اللَّهُ فَالْعَزُيزُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ .
وأما المرأة التي أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا فَأُمُّ مُوسَى ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا :
﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ .

وأما الأُمُّ التي لم تُوَلَّدْ فَحَوَاءٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ .
وأما الأُمُّ التي لم تَلِدْ فَمَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ أُمُّ الْقُرَى قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لِتُنَادِرَ
أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾ أَه . انتهى .

فصل : سئل الشافعي عن رَجُلَيْنِ خَطَبَا إِمْرَأَةً فَحَلَّتْ لِأَحَدِهِمَا وَلَمْ تَحَلِّ
لِلْآخَرَ ، فَقَالَ إِنْ الَّذِي لَمْ تَحَلِّ لَهُ أَرْبَعُ زَوَاجَاتٍ فَحَرَمَتْ عَلَيْهِ الْخَامِسَةَ .
س : فقال : ما تقول في رَجُلَيْنِ شَرَبَا خَمْرًا فَوَجَبَ عَلَى أَحَدِهِمَا الْحَدُّ وَلَمْ
يَجِبْ عَلَى الْآخَرَ وَكَانَا مُسْلِمَيْنِ ؟ فقال : إِنْ أَحَدُهُمَا كَانَ حُرًّا بِالْعَاقِبَةِ فَوَجَبَ
عَلَيْهِ الْحَدُّ وَالْآخَرَ صَغِيرٌ لَمْ يَبْلُغْ .

س : قال : فما تقول في خمسة زَنَوْا بِإِمْرَأَةٍ فَوَجَبَ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَتْلُ ،
وعلى الْآخَرَ الرَّجْمُ وَعَلَى الثَّالِثِ الْحَدُّ ، وَعَلَى الرَّابِعِ نَصْفُ الْحَدِّ ، وَلَمْ يَجِبْ
عَلَى الْخَامِسِ حَدٌّ ؟

فقال : أَمَّا الْأَوَّلُ فَمُشْرِكٌ زَنَى بِمُسْلِمَةٍ فَوَجَبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ ، وَأَمَّا الثَّانِي
فَمُسْلِمٌ مُخَصَّنٌ زَنَى فَوَجَبَ عَلَيْهِ الرَّجْمُ ، وَأَمَّا الَّذِي وَجَبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فَمُسْلِمٌ
بِكْرِ زَنَى .

وأما الرابع فمملوك زنى فوجب عليه نصف الحد وأما الذي لم يجب عليه شيء فالصبي والمجنون .

س : قال : فما تقول في رجل أخذنا كأساً من ماء فشرب بعضه وحرّم عليه الباقي ؟ قال : هذا لما شرب بعضه وقَعَ على الباقي نجاسة فحرّم عليه .

س : قال : فما تقول في رجل دفع إلى امرأته كيساً مختوماً وقال لها : أنت طالق إن لم تُفرغيه ولا تُفتحيه ولا تُقطعيه ولا تُفتقيه ففرغته على ذلك الحكم ولم يلحقها طلاق ؟

فقال : إن الكيس مملوءاً سكرًا أو ملحاً فوضعتُه في الماء فذاب وتفرغ .

س : قال : فما تقول في جماعة صلحاء سجدوا لغير الله تعالى وهم في فعلهم مطيعون ؟ قال : الملائكة سجدوا لآدم .

س : قال فما تقول في رجل لقي جاريةً فقبلها وقال : فدئتُ من أبي جدّها وأخي عمّها وأنا زوج أمّها فما تكون منه ؟ قال : هي ابنته .

س : قال : فما تقول في امرأة لقيت غلاماً فقبلته قالت فدئتُ من أمّي ولدت أمّه وأخو زوجي عمّه وأبو ابن حماتي وأنا امرأة أبيه ؟ قال : هي أمّه .

س : وقال ما تقول في رجل تزوّج امرأةً وزوّج ابنه أمّها فجاءت الأمّ والبنّت بولدين فما يكون الولد من ذلك وذلك ؟ فقال : ابن الامّ نحال لابن البنت وابن البنت عمّ لابن الأم .

س : وقال : ما تقول في رجل مات وخلف ستمائة درهم وله من الورثة أخت فأصابها درهمٌ واحد .

فقال : هذا شخص مات وخلف ستّائة درهم وترك بنتين أصابهما الثلثان أربعمائة درهم وخلف والدته أصابها السدس مائة درهم وخلف زوجة أصابها الثمن وهو خمس وسبعون درهما وله اثنا عشر أختاً لكل واحدٍ منهم درهماً ففضل للأختِ درهم .
وقال آخر مُلغزاً :

تَزَوَّجَ شَخْصٌ أُمَّ شَخْصٍ وَأُخْتَهُ كَذَا أُخْتَهُ الْأُخْرَى وَلَيْسَ بِبَاطِلٍ
وَشَخْصٌ أَتَى أَيْضاً بِفِعْلٍ مُحْرَمٍ وَقَالُوا لَهُ أَجْرٌ لَدَى كُلِّ فَاضِلٍ
وقال آخر :

أَلَا فَاسْأَلُوا مَنْ كَانَ بِالْعِلْمِ بَارِعاً وَفِي الْفِقْهِ أَفْنَى عُمُرُهُ بَابِتْدَالِهِ
عَنِ الْمَرْءِ يُوصِي قَاصِداً وَجَهَ رَبِّهِ لِيَزِيدَ كَمَا سَمَّاهُ مِنْ ثُلْثِ مَالِهِ
فَإِنْ يَكُنْ الْمُوصَى لَهُ مُتَمَوِّلاً دَفَعْنَا لَهُ الْمُوصَى لَهُ بِكَمَالِهِ
وَإِنْ كَانَ ذَا فَقْرٍ وَقِلِّ وَفَاقَةٍ حَرَمْنَا ذَاكَ الْمَالَ فَارِثَ لِجَالِهِ
أَيْحَرَمُ ذُو فَقْرٍ وَيُعْطَاهُ ذُو الْغِنَى لَعَمْرُكَ مَا رَزَقَ الْفَتَى بِأَحْتِيَالِهِ
فَلَا تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَحُدِّهِ وَلَا تَسْتَنْدِ إِلَّا لِعِزِّ جَلَالِهِ
اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّؤْمِ فَوْقَ مَا
نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ هَارُونَ الرَّشِيدُ الْحَرَمَ الشَّرِيفَ ابْتَدَأَ بِالطَّوَافِ وَمَنَّعَ
النَّاسَ مِنَ الطَّوَافِ .

فَسَبَّهَ أَعْرَابِي وَجَعَلَ يَطُوفُ مَعَهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى هَارُونَ وَالتَّمَّتْ إِلَى حَاجِبِهِ كَالْمَنْكِرِ عَلَيْهِ .

فَقَالَ الْحَاجِبُ أَخْلِ الْمَطَافَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّ اللَّهَ سَاوَى بَيْنَ الْأَنَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ .

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴾ فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ أَمَرَ حَاجِبَهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ ثُمَّ جَاءَ الرَّشِيدُ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لِيَسْتَلِمَهُ .

فَسَبَّهَ الْأَعْرَابِيُّ فَاسْتَلِمَهُ ثُمَّ أَتَى إِلَى الْمَقَامِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ فَسَبَّهَ الْأَعْرَابِيُّ فَصَلَّى فِيهِ .

فَلَمَّا فَرَّغَ الرَّشِيدُ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لِلْحَاجِبِ إِتْبِئِي بِالْأَعْرَابِيِّ فَأَتَى الْحَاجِبُ الْأَعْرَابِيَّ وَقَالَ لَهُ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ مَا لِي بِهِ حَاجَةٌ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْقِيَامِ إِلَيْهَا فَانصَرَفَ الْحَاجِبُ مُغَضِباً فَأَبْلَغَ الرَّشِيدُ مَا قَالَهُ الْأَعْرَابِيُّ .

فَقَالَ الرَّشِيدُ صَدَقَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْقِيَامِ وَالسَّعْيِ إِلَيْهِ ثُمَّ نَهَضَ إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفَ بِإِزَاءِ الْأَعْرَابِيِّ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ .

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ يَا أَخَا الْعَرَبِ أَجَلِسْ هُنَا بِأَمْرِكَ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لَيْسَ الْبَيْتُ بَيْتِي وَلَا الْحَرَمُ حَرَمِي الْبَيْتُ بَيْتُ اللَّهِ وَالْحَرَمُ حَرَمُ اللَّهِ وَنَحْنُ فِيهِ سَوَاءٌ إِنْ شِئْتَ تَجْلِسُ وَإِنْ شِئْتَ تَنْصَرِفُ .

فَعَظَّمَ جَوَابَ الْأَعْرَابِيِّ عَلَى الرَّشِيدِ حَيْثُ سَمِعَ كَلَاماً لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِهِ أَنَّ أَحَدًا يُوَاجِهُهُ بِهِ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ .

وَقَالَ لَهُ يَا أَعْرَابِي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ فَرَضِكَ فَإِنْ قُمْتَ بِهِ فَأَنْتَ بَعِيرُهُ

أَقَوْمٌ وَإِنْ عَجَزَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ عَنْ غَيْرِهِ أَعْجَزُ .

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : سُؤَالَكَ هَذَا سُؤَالٌ مُتَعَلِّمٌ أَوْ سُؤَالٌ مُتَعَنِّتٌ فَعَجِبَ
الرَّشِيدُ مِنْ سُرْعَةِ جَوَابِهِ وَقَالَ : بَلْ سُؤَالٌ مُتَعَلِّمٌ .
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ قُمْ وَاجْلِسْ مَقَامَ السَّائِلِ مِنَ الْمَسْئُولِ . قَالَ فَقَامَ الرَّشِيدُ
وَجَنَى عَلَى رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ الْأَعْرَابِيِّ .

فَقَالَ قَدْ جَلَسْتُ قَالَ سَلْ عَمَّا بَدَاكَ فَقَالَ أَخْبِرْ عَنْ فَرَضِ اللَّهِ عَلَيْكَ .
فَقَالَ لَهُ : تَسْأَلُنِي عَنْ أَيِّ فَرَضٍ أَعْنُ فَرَضٍ وَاحِدٍ أَمْ عَنْ خَمْسَةِ فُرُوضٍ أَمْ
عَنْ سِتَّةِ عَشَرَ فَرَضاً أَمْ عَنْ أَرْبَعَةٍ وَثَلَاثِينَ فَرَضاً .
أَمْ عَنْ أَرْبَعَةٍ وَتِسْعِينَ فَرَضاً أَمْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَعِينَ أَمْ عَنْ وَاحِدَةٍ فِي
الْعُمْرِ أَمْ عَنْ خَمْسَةِ مِنْ مِائَتَيْنِ فَضَحِكَ .

ثُمَّ قَالَ سَأَلْتُكَ عَنْ فَرَضٍ فَأَتَيْتَنِي بِحِسَابِ الدَّهْرِ .
فَقَالَ يَا هَارُونَ لَوْلَا إِنَّ الدِّينَ حِسَابٌ لَمَا أَخَذَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ بِالْحِسَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ جَل وَعَلَا : ﴿ فَلَ تَظَلَمَ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ
خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَا بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ .

قَالَ فَبَدَا الْغَضَبُ فِي وَجْهِ هَارُونَ حَيْثُ كَلَّمَهُ بِاسْمِهِ وَلَمْ يَقُلْ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَالَ لَهُ فَسَّرْ لِي مَا قُلْتَ .

فَقَالَ الْحَاجِبُ لَمَّا رَأَى غَضَبَ الرَّشِيدِ أَعْفُ عَنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَبَهُ لِلَّهِ فِي
هَذَا الْمَقَامِ الشَّرِيفِ .

فَضَحِكَ الْأَعْرَابِيُّ مِنْ قَوْلِهِمَا فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ مِمَّ تَضَحُكَ؟ قَالَ عَجَباً
مِنْكُمْ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ يَسْتَوْهَبُ أَجْلاً فِي عَقْلِهِ أَنَّهُ قَدْ حَظَرَ وَالْآخَرُ يَسْتَعْجِلُ أَجْلاً
لَمْ يَحْظَرْ .

فلما سَمَعَ الرشيْدُ ذلك هانت عليه الدُّنيا ثم قال له سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ تُفَسِّرَ
مَا قُلْتُ فَقَدْ تَشَوَّقْتُ إِلَى شَرْحِهِ .

فقال الأعرابيُّ أَمَّا سُؤْأَلُكَ عَمَّا فَرَضَ اللهُ عَلَيَّ فَقَدْ فَرَضَ عَلَيَّ فَرَوْضاً
كثيرة .

فأما الفرضُ الوَاحِدُ فَهُوَ دِينُ الإِسْلامِ .

وأما الخمسةُ الفُروضُ فهي الصَّلواتُ الخمسُ .

وأما السَّبْعَةُ عَشْرَ فهي عَدَدُ رَكَعَاتِ الفُروضِ الخمسِ الصبْحِ إِنْتَانِ
والظُّهرِ أَرْبَعٍ والعَصْرِ أَرْبَعٍ والمغربُ ثلاثٌ والعِشاءُ أَرْبَعٌ .

وأما الأربَعُ والثلاثينُ فهي سَجَدَاتُ الصلوتِ الخمسُ .

وأما الأربَعُ والتسعينُ فهي التكبيراتُ في الصلواتِ الخمسُ .

وأما الواحدةُ من أربعينُ فهي الزكاةُ ربعَ العشرِ ديناراً من أَرْبَعِينَ دِينَاراً
وشاةً من أَرْبَعِينَ شاةً .

وأما الواحدةُ في العُمُرِ فهي جَجَّةُ الإِسْلامِ .

وأما الخمسةُ مِنَ المائتينُ فهي زكاةُ الفِضَّةِ وتُسمَّى الورقُ .

فسرَّ الرشيْدُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ المَسائِلِ وَمِنْ ذِكَاةِ الأَعْرَابِيِّ وَفَطْنَتِهِ
وَإِجَابَتِهِ .

ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ الآفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي بِهَا رُدَّهَا إِلَى أَصْحَابِهَا
فَقَالَ لَهُ أَتُرِيدُ أَنْ أُجْرِيَ لَكَ جِرَايَةٌ تُكْفِيكَ مُدَّةَ حَيَاتِكَ .

قال الذي أُجْرِيَ عَلَيْكَ يُجْرِي عَلَيَّ .

قال فإن كانَ عَلَيْكَ دَيْنٌ فَضَيَّنْهُ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ شَيْئاً لِلَّهِ دَرُّهُ عَلَى هَذِهِ العِقَّةِ

هذا من رقم (١) في الزهد والورع يَأْتِيَتْ هَذَا الطَّرَازُ يُوجَدُ .

ثم أنشأ يقول :

هَبِ الدُّنْيَا ثَوَاتِنَا سِينِنَا فَتَكْدُرُ ثَارَةً وَتَلِينُ حِينَا
فَمَا أَرْضَى بِشَيْءٍ لَيْسَ يَبْقَى وَأَتْرِكُهُ غَدًا لِلْوَارِيثِنَا
كَأَنِّي بِالتُّرَابِ عَلَيَّ يُحْسَى وَبِالإِخْوَانِ حَوْلِي نَائِحِينَا
وَيَوْمَ تَزْفَرُ التَّيْرَانُ فِيهِ وَتُقْسِمُ جَهْرَةً لِلسَّامِعِينَا
وَعِزَّةَ خَالِقِي وَجَلَالَ رَبِّي لَا تَقْمَنُ مِنَ العُصَاةِ أَجْمَعِينَا

« لَفَزُ فِي الأَرْضِ »

وَأُمُّ أَوْلَادِهَا فَوْقَ ظَهْرِهَا وَفِي بَطْنِهَا أَعْجَبُ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِ
أَحْلُوا بِاجْتِمَاعِ الأَيْمَةِ وَطَاهَا وَمَا مِنْ جِمَاعٍ قَدْ أَتَوْهُ وَلَا نُكْرٍ
إِذَا حَمَلَتْ مِنْهُمْ بِشَخْصٍ فَلَا يُرَى لَهُ صُورَةٌ حَتَّى القِيَامَةِ وَالحَشْرِ

فِي مِيزَانٍ

وَقَاضِي قُضَاةٍ يَفْصِلُ الحُكْمَ سَاكِتًا وَبِالحَقِّ يَقْضِي لَا يَبُوحُ فَيَنْطِقُ
قَضَى بِلِسَانٍ لَا يَمِيلُ وَإِنْ يَمِيلُ عَلَى أَحَدِ الحَصْمَيْنِ فَهُوَ مُصَدِّقُ

وَفِي سَمَكَةٍ

وَذَاتُ جَنَاحٍ لَا تَطِيرُ وَلَا تَمْشِي تُصَادُ وَكَيْسَتْ فِي الطُّيُورِ وَلَا الوَحْشِ
عَلَيْهَا قَمِيصٌ مِنْ لُجَيْنٍ مُدْبَجٍ يُحَاكِي فُصُوصَ الجَوْشَنِ المُحْكَمِ التَّقْشِ
تَسِيرٌ وَلَا يَدْنُو مِنَ الأَرْضِ جِسْمُهَا وَتَسْبِقُ إِنْ شَاءَتْ أَحَا الأَيْدِ وَالبَطْشِ

وَفِي القَلْبِ

أَيَا عُلَمَاءِ النَّاسِ هَلْ تُخْبِرُونَنِي عَنِ الرَّايِحِ العَادِيِ المَقِيمِ المُسَافِرِ
يَجُوبُ نَوَاجِي الأَرْضِ فِي عَشْرِ سَاعَةٍ وَفِي الوَكْرِ لَمْ يَبْرَحْ وَكَيْسَ بِطَائِرِ

فِي آدَمَ

وَذِي حَسَبٍ فِي النَّاسِ لَا يُبْكَرُوتُهُ وَكَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ أُمٌّ وَلَا أَبٌ

وَفِي آدَمَ وَعِيسَى وَالقَمَرِ

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَكَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَوَلَدٍ مَا إِنْ لَهُ أَبَوَانِ

وَأَخْرَجَ وَيَكْمُلُ فِي خَمْسٍ وَعَشْرٍ شَبَابُهُ وَيَهْلِكُ فِي سَبْعٍ مَعًا وَثَمَانٍ
فِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَمَا حَيَّ بَدَأَ مِنْ بَطْنٍ حَيٍّ تَمَامًا ذَلِكَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
فَعَاشْنَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَصَالٌ وَلَا نُعْمَى وَلَا نَسَبٌ قَرِيبُ
فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ

وَأَسْوَدٌ لَا تَلْقَاهُ إِلَّا بِسَجْدَةٍ وَثَقِيلَةٌ أَوْ مَسْحَةٍ بِالْأَصَابِعِ
تَرَى الْمَلِكَ الْجَبَّارَ يَغْنُو لِوَجْهِهِ جَلالًا وَيَلْقَاهُ بِرَهْبَةٍ خَاضِعٍ
لِانْتِهَى .

شِعْرًا : يَا مَنْ يُعِدُّ غَدًا لِتَوْبَتِهِ أَعْلَى يَقِينٍ مِنْ بُلُوغِ غَدِ
الْمَرْءِ فِي زَلَلٍ عَلَى أَمَلٍ وَمَنْيَةِ الْإِنْسَانِ بِالرَّصَدِ
أَيَّامَ عُمْرِكَ كُلِّهَا عَدَدٌ وَلَعَلَّ يَوْمَكَ آخِرُ الْعَدَدِ

يَا أَحْيِ التَّوْبَةَ التَّوْبَةَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْكَ التَّوْبَةُ ، الْإِنَابَةَ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ بَابُ
الْإِجَابَةِ ، الْإِنْفَاقَةَ فِيمَا قُرِبَ وَقْتِ الْفَاقَةِ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا سُوقٌ لِلتُّجَرِّ وَمَجْلِسٌ وَعَظِ
لِلزَّجْرِ وَلَيْلٌ صَيْفٍ قَرِيبِ الْفَجْرِ ، الْمَكْنَةُ مُزْنَةُ صَيْفٍ ، الْفُرْصَةُ زُورَةٌ طَيْفٍ ،
الصِّحَّةُ رَقْدَةٌ ضَيْفٍ ، الْعَرَّةُ نَقْدَةٌ زَيْفٍ ، الدُّنْيَا مَعْشُوقَةٌ وَكَيْفٍ ، الْبِدَارُ الْبِدَارُ
فَالْوَقْتُ سَيْفٌ .

يَا غَافِلًا عَنْ مَصِيرِهِ ، يَا وَاقِفًا فِي تَقْصِيرِهِ سَبَقَكَ أَهْلُ الْعَزَائِمِ وَأَنْتَ فِي
الْيَقِظَةِ نَائِمٌ ، قِفْ عَلَى الْبَابِ وَقُوفٌ نَادِمٌ ، وَنَكَّسَ رَأْسَ الدَّلِّ وَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ ،
وَنَادٍ فِي الْأَسْحَارِ مُذْنَبٌ وَوَاهِمٌ ، وَتَشَبَّهُ بِالْقَوْمِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ وَزَاجِمٌ ،
وَابْعَثْ بِرِيحِ الزُّفْرَاتِ سَحَابَ دَمْعٍ سَاجِمٍ ، قُمْ فِي الدُّجَا نَادِيًا ، وَقِفْ عَلَى
الْبَابِ تَائِبًا ، وَاسْتَدْرِكْ مِنَ الْعُمْرِ ذَاهِبًا ، وَدَعْ اللُّهُوَ وَاللَّهُوَ جَانِبًا ، وَإِذَا لَاحَ
الْعُرُورُ رَأَى رَاهِبًا ، وَطَلَّقَ الدُّنْيَا إِنْ كُنْتَ لِلْآخِرَى طَالِبًا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقُوفًا مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورُنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ
وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى

وَجْهَكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمٌ وَيَا كَرِيمٌ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

إخواني رَحَلَ الْأَحْبَابُ إِلَى الْقُبُورِ وَسَتَرَحَلُونَ ، وَتَرَكَوا الْقُصُورَ
وَالْأَمْوَالَ ، وَالْأُوطَانَ وَسَتَتَرَكُونُ ، وَتَجَرَّعُوا كَأْسَ الْفِرَاقِ وَسَتَتَجَرَّعُونَ .

وَقَدِّمُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا وَاسْتَقْدُمُونَ ، وَنَدِمُوا عَلَى التَّفْرِيطِ فِي الْأَعْمَالِ
وَسَتَنْدُمُونَ ، وَتَأْسَفُوا عَلَى أَيَّامِ الْإِهْمَالِ وَسَتَتَأْسَفُونَ ، وَشَاهَدُوا مَا لَهُمْ عِنْدَ
قُلُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَسَتَشْهَدُونَ .

وَوَقَفُوا بِبَصَائِرِهِمْ عَلَى الْأَهْوَالِ ، وَسَتَقِفُونَ ، وَسُئِلُوا عَمَّا عَمِلُوا
وَسُئِلُوا ، وَيُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَفْتَدِي بِالْمَالِ وَسَتُودُونَ .

فَبَادِرُوا بِالْمَتَابِ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ وَخَيِّبَةِ الظُّنُونِ ، فَكَأَنَّكُمْ بِأَيَّامِ الشَّبَابِ
وَقَدْ أَبْلَتْهَا يَدُ الْمُنُونِ ، وَقَدْ أَظْلَكُمْ مِنْ فَجَاءَةِ الْمَوْتِ مَا كُنْتُمْ تُوَعِّدُونَ .
قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ فَكَيْفَ
بِكَ يَا مَنْ ضَاعَ عُمرُهُ قُرْطًا فِي الْقَيْلِ وَالْقَالِ وَعِنْدَ الْمِذْيَاعِ وَالْكُرَّةِ وَالتَّلْفِزِيُونَ .

ماذا يكون موقفك إذا نُفِخَ فِي الصُّورِ وَبَعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِلَ مَا فِي
الصُّلُورِ وَضَاقَتِ الْأُمُورُ وَظَهَرَ الْمُسْتُورُ .

وخرج الخلائق من القبور ياله من يوم فيه الزلازل والأهوال وفيه تسير
الجبال وترادف المزعجات والأهول ، وتقطع فيه الآمال ، ويقبل فيه
الاحتيال .

فيا خَسَارَةَ أَهْلِ الشِّمَالِ يَوْمَ تَزُلُ فِيهِ الْأَقْدَامُ وَتَتَبَدَّلُ فِيهِ الْأَفْهَامُ ، وَيَطُولُ

فيه القيام وتتابع فيه الهموم والآلام وتظهر الجرائم والآثام وينقطع فيه الكلام .
 ياله من يوم يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم الزلزلة
 والطامة يوم ترجف الراجفة تتبّعها الرادفة يوم الصاخة : ﴿ يوم يفر المرء من
 أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه ﴾
 شعراً :

كأس المنيّة دائر ما بيننا
 في الموت أعظم عبرة لمبصر
 فهو المصيبة وهو أكبر آية
 وهو الرزية والبليّة والذي
 فاشدّد حيازيم الرّحيل إلى الأولى
 إنّ الغنائم في التوكّل والرضا
 لو أنّ عمراً من طيب يشتري
 يا موت أقرب من يكون على الفتى
 يا موت ما لك لا تبقي ماجداً
 يا فتنة الأمراء والوزراء يا
 يا حسرة الظرفاء واللطفاء يا

الموت حتم يوم يأتي ونده
 كم فل جيشاً كم رمى من أسهم
 كم خصّ طفلاً كم كوى من والد
 كم فضّ نفساً كم برى من حاكم
 لا عزّ للدنيا الدنيّة أهلها
 ثم الصلاة على النبي المصطفى
 والآل والأصحاب أعلام الهدى

ما وعده وعداً بغير وفاء
 كم فضّ شملاً كم قضى بعزاء
 كم هدّ ركناً بعد ذلك بناء
 من بعد عزّ قائم وحصاء
 دار الفنا ليست بدار بقاء
 من صفوة الفصحاء والنجباء
 ما سار ركب الحج في البطحاء

اللهم ارحم عباداً غرهم طول إمهالك وأطمعهم دوام إفضالك
 ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك وتيقنوا أن لا غنى لهم عن سؤالك وجذ
 علينا وعليهم برحمتك الواسعة واغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين يا رب
 العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة

إِسمَعْ يا مَنْ يَسْعَى لِقَاعِدْ ، وَيَسْهَرُ لِرَاقِدْ ، وَيَحْرِسُ لِرَاصِدْ ، وَيَزْرَعُ
 لِحَاصِدْ ، وَيَبْخُلُ لِبَاذِلْ ، وَيَجُوعُ لِآكَلْ ، شِعْرًا :

وِذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفَرًّا لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنِ حِمَاهُ
 كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمَسِكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيَسُهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

آخر :

يُفْنِي الْبَحِيلَ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتُهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدْعُ
 كَلَوْدَةَ الْقَرِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدُمُهَا وَغَيْرَهَا بِالذِّي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

إِسمَعْ يا غافلٍ لَيْسَ بِمَعْفُولٍ عَنْهُ ، عَنْ قَلِيلٍ يَنْهَدُ رُكْنًاكَ فِي الْقَبْرِ
 سُكْنًاكَ ، قَلْبٌ قَاسِيٌ كَقُلُوبِ الْكُفَّارِ حِرْصٌ كِحِرْصِ الْفَارِ يُقْبُ بِالْأَظْفَارِ .

قُلْ لِي مَا مَوْفِقَكَ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَقَرَعَتِ الْقَارِعَةُ وَأَرْفَ . لَكَ الرَّحِيلُ
 إِلَى قَبْرِكَ وَاجْتَمَعَ الْغَسَّالُ وَالْعَسِيلُ ، وَالْعَائِدُ يَغْمِزُ عَيْنَيْهِ ، وَالْحَيِّبُ يُقَلِّبُ
 كَفَّيْهِ .

حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ نَفْسُكَ وَحُتِيَ عَلَى جَدَثِكَ ، وَأَنْطَوَى زَمَانُكَ وَخَوِيَ
 جُؤْمَانُكَ وَأُخْرِجَتْ مِنْ مَنْزِلِكَ الَّذِي بَنَيْتَهُ ، وَتَرَكْتَ مَالَكَ الَّذِي جَمَعْتَهُ
 وَأَبْقَيْتَهُ .

أَيَنْفَعُكَ حِينَئِذٍ حَلَالُ أَصَبْتَهُ وَمَنْعَتَهُ ، أَوْ حَرَامُ غَصَبْتَهُ أَوْ نَسَبٌ حَصَنْتَهُ أَوْ
 وَلِدٌ حَصَنْتَهُ ، أَوْ رُبْعٌ أَسَسْتَهُ ، أَوْ حُطَامٌ حَرَسْتَهُ ، أَوْ أَرْضًا حَوَّشْتَهَا .

كَلَّا لَا يَنْفَعُكَ إِلَّا خَيْرٌ لَوْجِهِ اللَّهِ أَمْضِيَّتَهُ ، أَوْ حَصْمٍ أَرْضِيَّتَهُ ، أَوْ قَرِيبٍ
وَصَلَّتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ ، أَوْ وَالِدَةٍ أَوْ وَالِدِ بَرِّيَّتِهِ .

انْتَبِهْ يَا نَائِمٍ وَاسْتَقِمَّ يَا قَائِمٍ وَأَكْثِرْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ الطَّرِيقَ بَعِيدَ وَالْبَحْرَ
عَمِيقَ وَخَفِيفَ الْجِمْلَ فَإِنَّ الصِّرَاطَ دَقِيقَ وَأَخْلِصِ الْعَمَلَ فَإِنَّ النَاقِدَ بَصِيرَ .

وَأَخَّرْ تَوْمَكَ إِلَى الْقَبْرِ وَفَرَحَكَ إِلَى الْمِيزَانِ وَشَهْوَاتِكَ وَرَاحَتِكَ إِلَى الْآخِرَةِ
وَلَذَاتِكَ إِلَى الْحُورِ الْعِينِ .

وَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِحُبِّ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَبُغْضِ أَهْلِ الْمَعَاصِي
وَاهْجُرْهُمْ وَتَبَاعَدْ عَنْهُمْ وَاحْذِرْ وَاحْذِرْ عَنْهُمْ وَاسْأَلْ رَبَّكَ الثَّبَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ
حَتَّى الْمَمَاتِ .

وَمِنْ كَلَامٍ بَعْضِهِمْ أَمَا تَسْمَعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ دَاعِيَ الْمَوْتِ يَدْعُوكُمْ ،
وَحَادِيهِ يَحْدُوكُمْ أَمَا تَرَوْنَ صَرَاعَهُ فِي مَنَازِلِكُمْ وَقِتْلَاهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَفَيْمَ التَّصَامُ
عَنِ الدَّاعِيِ وَالتَّشَاغُلِ عَنِ الْحَادِيِ وَالتَّعَامِيِ عَنِ مَصَارِعِ الْقَتْلِ وَالتَّعَافُلِ عَنِ
مُشَاهَدَةِ الْهَلَكِيِّ ، فَرِحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَيْقِظَ نَفْسَهُ فِي مُهَلَّةِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ تُوَقِّظَهُ
رَوْعَةُ الْمَمَاتِ ، وَاسْتَعَدَّ لِمَا هُوَ آتٍ قَبْلَ الْإِنْبِتَاتِ ، وَحُلُولِ الْفَوَاتِ ، وَكَأَنَّ
الْحَكْمَ قَدْ وَقَعَ وَالْخِطَابَ قَدْ ارْتَفَعَ ، أَعْرَضَ مَنْ أَعْرَضَ وَسَمِعَ مَنْ سَمِعَ .
شعرا :

قَطَعْتُ زَمَانِي جِينًا فَحِينًا	أُدِيرُ مِنَ اللَّهِوِ فِيهِ فُنُونًا
وَأَهْمَلْتُ نَفْسِي وَمَا أَهْمَلْتُ	وَهَوَّئْتُ مِنْ ذَاكَ مَا لَمْ يَهُونًا
وَرُبَّ سُرُورٍ شَفَى غَلَّةً	وَوَلَّى فَأَعْقَبَ حُزْنًا رَصِينًا
وَكَمْ آكَلُ سَاعَةً مَا يُرِيدُ	يُكَابِدُ مَا أَوْرَثْتُهُ سِينِنًا
وَمَا كَانَ أَغْنَى الْفَتَى عَنِ نَعِيمِ	يَعُودُ عَلَيْهِ عَذَابًا مُهِينًا
وَكَمْ وَعَظَّتْنِي عِظَاةُ الزَّمَانِ	لَوْ أَنِي أُصِيخُ إِلَى الْوَاعِظِينَا
وَكَمْ دَعَانِي دَاعِيِ الْمُنُونِ	وَأَسْمَعُ لَوْ كُنْتُ فِي السَّامِعِينَا

وماذا أؤملُ أو أرْتجيه وقد جُرْتُ سَبْعاً على الأربَعِينَا
 فلو كانَ عَقْلِي مَعِي حَاضِراً سَمِعْتُ لَعْمَرِي مِنْهُ أُنِينَا
 وَلَنْ يَبْرَحَ الْمَرْءُ فِي رَقْدَةٍ يَغْطُ إِلَى أَنْ يُوَافِيَ الْمُنُونَا
 فَتَوَقَّظْهُ عِنْدَهَا رَوْعَةٌ يُقَطِّعُ مِنْهُ هُنَاكَ الْوَاتِينَا
 وَإِذْ ذَاكَ يَدْرِي بِمَا كَانَ فِيهِ وَتَجَلُّو الْحَقَائِقُ مِنْهُ الظُّنُونَا

اللَّهُمَّ انظِمْنا في سبيلك حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجعلنا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
 وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحشُرنا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
 النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
 آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

قال ابن القيم رحمه الله :

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا
 أَمَارَةٌ تَسْلِيْمِي عَلَيْكُمْ فَسَلِّمُوا
 سَلَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
 وَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ، وَفَضْلٌ وَأَنْعَمُ
 عَلَى الصُّحْبِ وَالْإِخْوَانِ وَالْوَالِدِ وَالْأَلَى
 رِعَاهُمُ بِأَحْسَنِ فَجَادُوا وَأَنْعَمُوا
 وَسَائِرٌ مِنَ اللِّسْنَةِ الْمَحْضَةِ أَقْتَفَى
 وَمَا زَاغَ عَنْهَا فَهُوَ حَقٌّ مُقَرَّبٌ
 أَوْلِيكَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ وَحِزْبِهِ
 وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ

وَلَوْلَاهُمْ كَادَتْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا
 وَلَكِنْ رَوَّاسِيهَا وَأَوْتَادُهَا هُمْ
 وَلَوْلَاهُمْ كَانَتْ ظَلَاماً بِأَهْلِهَا
 وَلَا كِنْتُهُمْ فِيهَا بِدُورٍ وَأَنْجُمُ
 أَوْلِيكَ أَصْحَابِي فَحَيِّ هَلَا بِهِمْ
 وَحَيِّ هَلَا بِالطَّيِّبِينَ وَأَنْعَمُ
 لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ سَلَامٌ يَخُصُّهُ
 يُبَلِّغُهُ الْأَذْنَى إِلَيْهِ وَيَنْعَمُ
 فَيَا مُحْسِنًا ، بَلِّغْ سَلَامِي وَقُلْ لَهُمْ :
 مُجِبُّكُمْ يَدْعُو لَكُمْ ، وَيُسَلِّمُ
 وَيَا لَأَيْمِي فِي حُبِّهِمْ وَوَلَائِهِمْ
 تَأَمَّلْ ، هَذَاكَ اللَّهُ ، مَنْ هُوَ الْوَلِيُّ
 بَأَيِّ دَلِيلٍ أَمْ بِأَيَّةِ حُجَّةٍ
 تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيَّ ، وَتَنْقِمُ
 وَمَا الْعَارُ إِلَّا بُغْضُهُمْ وَاجْتِنَابُهُمْ
 وَحُبُّ عِدَائِهِمْ ذَاكَ عَارٌ وَمَأْتَمُ
 أَمَا وَالَّذِي شَقَّ الْقُلُوبَ ، وَأَوْدَعَ الْإِلْهَامَ
 مَحَبَّةً فِيهَا حَيْثُ لَا تَتَصَرَّمُ
 وَحَمَلَهَا قَلْبَ الْمُجِبِّ ، وَإِنَّهُ
 لَيَضَعُفُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ ، وَيَأْلَمُ
 وَذَلَّلَهَا حَتَّى اسْتَكَانَتْ لِصَوْلَةِ الْإِلْهِ
 مَحَبَّةً لَا تَلْوِي وَلَا تَتَلَعَّثُمُ
 وَذَلَّلَ فِيهَا أَنْفُسًا دُونَ ذَلَّلَهَا
 حِيَاضُ الْمَنَايَا فَوْقَهَا ، وَهِيَ حَوْمُ

لَأَنْتُمْ عَلَى قُرْبِ الدِّيَارِ وَبُعْدِهَا
أَجِبْتِنَا، إِنْ غَبْتُمْ أَوْ حَضَرْتُمْ
سَلُّوا نَسَمَاتِ الرِّيحِ كَمْ قَدْ تَحَمَّلْتُ
مَحَبَّةَ صَبِّ شَوْقِهِ لَيْسَ يُكْتَمُ !!
وَشَاهِدُ هَذَا أَنَّهَا فِي هُبُوبِهَا
تَكَادُ تَبُثُّ الْوَجْدَ لَوْ تَتَكَلَّمُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا اشْتَدَّ بِي الشُّوقُ وَالْجَوَى
وَكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَقْصُمُ
أَعْلُلُ نَفْسِي بِالتَّلَاقِي وَقُرْبِهِ
وَأَوْهَمُهَا، لَكِنَّهَا تَتَوَهَّمُ
وَأَتْبِعُ طَرْفِي وَجْهَةً أَنْتُمْ بِهَا
فَلِي بِجَمَاهَا مَرْبَعٌ وَمُخَيِّمٌ
وَأَذْكَرُ بَيْتًا قَالَهُ بَعْضُ مَنْ خَلَا
وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ صَبْرُهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ
« أَسْأَلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحِ
وَأُومِي إِلَى أَوْطَانِكُمْ وَأَسْلَمُ »
وَكَمْ يَصْبِرِ الْمُشْتَاقُ عَمَّنْ يُجِبُّهُ
وَفِي قَلْبِهِ نَارُ الْأَسَى تَتَضَرَّمُ
أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْتَهُ
وَلَبَّوْا لَهُ عِنْدَ الْمَهَلِّ، وَأَحْرَمُوا
وَقَدْ كَشَفُوا تِلْكَ الرُّؤُوسِ تَوَاضِعًا
لِعِزَّةٍ مَنْ تَعْنُو السُّجُودَ وَتُسَلِّمُ

يَهْلُونَ بِالْبَيْدَاءِ : لَيْتَكَ رَبَّنَا
لَكَ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ تَعْلَمُ
دَعَاهُمْ فَلَبَّوهُ رِضَى وَمَحَبَّةً
فَلَمَّا دَعَوهُ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ
تَرَاهُمْ عَلَى الْإِنْضَاءِ شُعْنًا رُؤُوسُهُمْ
وَعُجْرًا ، وَهُمْ فِيهَا أَسْرٌ وَأَنْعَمُ
وَقَدْ فَارَقُوا الْأَوْطَانَ وَالْأَهْلَ رَغْبَةً
وَلَمْ يَشْنِيهِمْ لَذَاتُهُمْ وَالتَّنَعُّمُ
يَسِيرُونَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَفَجَاجِهَا
رِجَالًا وَرُكْبَانًا ، وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا
وَلَمَّا رَأَتْ أَبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الَّذِي
قُلُوبُ الْوَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ تَضَرَّمُ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْصَبُوا قَطُّ قَبْلَهُ
لِأَنَّ شَقَاهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمْ
فَلِلَّهِ كَمٍ مِنْ عَبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ
وَأُخْرَى عَلَى آثَارِهَا تَتَقَدَّمُ
وَقَدْ شَرِقَتْ عَيْنُ الْمُحِبِّ بِدَمْعِهَا
فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُوعِ ، وَيُسْجِمُ
إِذَا عَايَنَتْهُ الْعَيْنُ زَالَ ظِلَامُهَا
وَزَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْكَيْبِ التَّأَلُّمُ
وَلَا يَعْرِفُ الطَّرْفُ الْمُعَايِنُ حُسْنَهُ
إِلَى أَنْ يَعُودَ الطَّرْفُ ، وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ

وَلَا عَجَبٌ مِنْ ذَا فَحِينٍ أَضَافَهُ
إِلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَنِ ، فَهُوَ الْمُعَظَّمُ
كَسَاهُ مِنَ الْإِجْلَالِ أَعْظَمَ حُلَّةٍ
عَلَيْهَا طِرَازٌ بِالمَلَاخَةِ مُعَلَّمُ
فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلِّ الْقُلُوبِ تُجِبُهُ
وَتَخَضَعُ إِجْلَالًا لَهُ ، وَتُعَظَّمُ
وَرَاخُوا إِلَى التَّعْرِيفِ يَرْجُونَ رَحْمَةً
وَمَغْفِرَةً مِمَّنْ يَجُودُ وَيُكْرِمُ
فَلِلَّهِ ذَاكَ الْمَوْقِفُ الْأَعْظَمُ الَّذِي
كَمَوْقِفِ يَوْمِ الْعَرْضِ بَلْ ذَاكَ الْأَعْظَمُ
وَيَذْنُو بِهِ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ
يُبَاهِي بِهِمْ أَمْلَاكَهُ ، فَهُوَ أَكْرَمُ
يَقُولُ : عِبَادِي قَدْ أَتَوْنِي مَحَبَّةً
وَإِنِّي بِهِمْ بَرٌّ أَجُودُ ، وَأَرْحَمُ
فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ
وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا أَمَلُوهُ وَأَنْعَمُ
فَبُشْرَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي
بِهِ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ ، وَيَرْحَمُ
وَمَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ أُغِيظَ فِي الْوَرَى
وَأُحْقِرَ مِنْهُ عِنْدَهَا ، وَهُوَ الْأَمُّ
وَذَاكَ لِأَمْرِ قَدْ رَأَاهُ فَمَاطَهُ
فَأَقْبَلَ يَحْتُو التُّرْبَ غَيْظًا ، وَيَلْطَمُ
وَمَا عَايَنَتْ عَيْنَاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَتَتْ
وَمَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ تُقَسَّمُ

بَنَى مَا بَنَى ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ
تَمَكَّنَ مِنْ بُنْيَانِهِ ، فَهُوَ مُحَكَّمٌ
أَتَى اللَّهُ بُنْيَانًا لَهُ مِنْ أَسَاسِهِ
فَخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطًا يَتَهَدَّمُ
وَكَمْ قَدَرًا مَا يَعْلُو الْبِنَاءُ وَيُنْتَهِي
إِذَا كَانَ يَبْنِيهِ وَذُو الْعَرْشِ يَهْدِمُ !!
وَرَاخُوا إِلَى جَمْعٍ فَبَاتُوا بِمَشْعَرِ الْ
حَرَامِ وَصَلُّوا الْفَجْرَ ، ثُمَّ تَقَدَّمُوا
إِلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى يُرِيدُونَ رَمِيهَا
لِوَقْتِ صَلَاةِ الْعِيدِ ، ثُمَّ تَيَمَّمُوا
مَنَازِلَهُمْ لِلنَّحْرِ يَتَغَوَّنَ فَضْلَهُ
وَإِحْيَاءِ نُسُكٍ مِنْ أَبِيهِمْ يُعْظَمُ
فَلَوْ كَانَ يُرْضِي اللَّهَ نَحْرُ نَفْسِهِمْ
لَدَانُوا بِهِ طَوْعًا ، وَلِلْأَمْرِ سَلَّمُوا
كَمَا بَدَلُوا عِنْدَ الْجِهَادِ نُحُورَهُمْ
لِأَعْدَائِهِ حَتَّى جَرَى مِنْهُمْ الدَّمُ
وَلَكِنَّهُمْ دَانُوا بِوَضْعِ رُؤُوسِهِمْ
وَذَلِكَ ذُلٌّ لِلْعَبِيدِ وَمِيسَمٌ
وَلَمَّا تَقَضَّوْا ذَلِكَ التَّفَثَ الَّذِي
عَلَيْهِمْ ، وَأَوْفَوْا نَذْرَهُمْ ، ثُمَّ تَمَّمُوا
مَاهُمْ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ زِيَارَةً
فِيَا مَرْحَبًا بِالزَّائِرِينَ ، وَأَكْرِمُ

فَلِلَّهِ مَا أَهَى زِيَارَتَهُمْ لَهُ !!
وَقَدْ حُصِّلَتْ تِلْكَ الْجَوَائِزُ تُقَسَّمُ
وَلِلَّهِ إِفْضَالٌ هُنَاكَ وَنِعْمَةٌ
وَبِرٌّ وَإِحْسَانٌ ، وَجُودٌ وَمَرْحَمٌ
وَعَادُوا إِلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ مِنْ مَنِي
وَنَالُوا مِنْهَا مِنْ عِنْدِهَا ، وَتَنَعَّمُوا
أَقَامُوا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا
وَأَذَّنَ فِيهِمْ بِالرَّحِيلِ وَأَعْلَمُوا
وَرَاخُوا إِلَى رَمِي الْجِمَارِ عَشِيَّةً
شِعَارُهُمُ التَّكْبِيرُ وَاللَّهُ مَعَهُمْ
فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَوْقِفَهُمْ بِهَا
وَقَدْ بَسَطُوا تِلْكَ الْأَكْفَ لِيُرْحَمُوا
يُنَادُونَهُ : يَا رَبُّ ، يَا رَبُّ ، إِنَّا
عَبِيدُكَ ، لَا نَدْعُو سِوَاكَ ، وَتَعْلَمُ
وَهَا نَحْنُ نَرْجُو مِنْكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي تُعْطِي الْجَزِيلَ وَتُنْعِمُ
وَلَمَّا تَقَضُّوا مِنْ مَنِي كُلَّ حَاجَةٍ
وَسَأَلَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْبَطَاحُ تَقَدَّمُوا
إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَشِيَّةً
وَطَافُوا بِهَا سُبْعًا ، وَصَلُّوا ، وَسَلَّمُوا
وَلَمَّا دَنَا التَّوْدِيْعُ مِنْهُمْ وَأَيَّقُنُوا
بِأَنَّ التَّدَانِي حَبْلُهُ مُتَصَرِّمٌ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةٌ لِمُودِعٍ
 فَلِلَّهِ أَجْفَانُ هُنَالِكَ تَسْجُمُ !!
 وَلِلَّهِ أَكْبَادُ هُنَالِكَ أُودِعَ آلُ
 غَرَامٍ بِهَا !! فَالنَّارُ فِيهَا تَضْرَمُ
 وَلِلَّهِ أَنْفَاسٌ يَكَادُ بِحَرِّهَا
 يَذُوبُ الْمُجِبُّ الْمُسْتَهَامُ الْمُتَمِّمُ
 فَلَمْ تَرَ إِلَّا بَاهِتًا مُتَحَيِّرًا
 وَآخِرَ يُبْدِي شَجْوَهُ يَتَرَنَّمُ
 رَحَلْتُ ، وَأَشْوَاقِي إِلَيْكُمْ مُقِيمَةٌ
 وَنَارُ الْأَسَى مِنِّي تُشْبُ وَتُضْرَمُ
 أُودِعُكُمْ ، وَالشُّوقُ يَشْنِي أَعْتِي
 وَقَلْبِي أَمْسَى فِي حِمَاكُمْ مُخِيمُ
 هُنَالِكَ لَا تَثْرِيْبَ يَوْمًا عَلَى أَمْرِي
 إِذَا مَا بَدَأَ مِنْهُ الَّذِي كَانَ يَكْتُمُ
 فَيَا سَائِقِيْنَ الْعَيْسِ ، بِاللَّهِ رَبِّكُمْ
 قِفُوا لِي عَلَى تِلْكَ الرَّبُوعِ وَتَسَلَّمُوا
 وَقُولُوا مُجِبًّا قَادَهُ الشُّوقُ نَحْوَكُمْ
 قَضَى نَحْبَهُ فَيْكُمْ تَعَيْشُوا وَتَسَلَّمُوا
 قَضَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِيمَا قَضَى بِهِ
 بِأَنَّ الْهَوَى يُعْمِي الْقُلُوبَ وَيُكِيْمُ
 وَحُبُّكُمْ أَصْلُ الْهُدَى ، وَمَدَارُهُ
 عَلَيْهِ ، وَفَوْزٌ لِلْمُجِبِّ ، وَمَغْنَمُ
 وَتَفْنَى عِظَامُ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَاتِهِ
 وَأَشْوَاقُهُ وَقِفٌ عَلَيْهِ مُحْرَمُ

فَيَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي مَلَكَ الْهَوَى
أَزِمَّتَهُ ، حَتَّى مَتَى ذَا التَّلُومُ ؟!
وَحَتَامَ لَا تَصْحُوحُوا ! وَقَدْ قَرَّبَ الْمَدَى
وَدُنْتُ كُؤُوسَ السَّيْرِ وَالنَّاسُ نَوْمُ
بلى ، سَوْفَ تَصْحُوحِينَ يَنْكَشِفُ الْغِطَا
وَيَبْدُو لَكَ الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ تَكْتُمُ
وَيَا مُوقِداً نَاراً لِغَيْرِكَ ضَوْؤُهَا
وَحَرٌّ لظَاهَا بَيْنَ جَنِيكَ يُضْرَمُ
أَهَذَا جَنَى الْعِلْمِ الَّذِي قَدْ رَضِيْتَهُ
لِنَفْسِكَ فِي الدَّارَيْنِ : جَاءَ وَدِرْهَمُ ؟!
وَهَذَا هُوَ الرِّيحُ الَّذِي قَدْ كَسَبْتَهُ ؟!
لَعْمُرِكَ لَا رِيحُ ، وَلَا الْأَصْلُ يَسْلَمُ !!
بَخِلْتَ بِشَيْءٍ لَا يَضُرُّكَ بِذَلِكَ
وَجُدْتَ بِشَيْءٍ مِثْلَهُ لَا يُقَوْمُ
بَخِلْتَ بِذَا الْحِطِّ الْخَسِيسِ دَنَاءَةً
وَجُدْتَ بِدَارِ الْخُلْدِ لَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ
وَبِعْتَ نَعِيمًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَلَا
نَظِيرَ يَبْخُسُ عَنْ قَلِيلٍ سَيُعْدَمُ
فَهَلَّا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا
وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ
وَتَهْدِمُ مَا تَبْنِي بِكَفِّكَ جَاهِدًا
فَأَنْتَ مَدَى الْأَيَّامِ تَبْنِي وَتَهْدِمُ
وَعِنْدَ مُرَادِ اللَّهِ تَفْنَى كَمَيِّتٍ
وَعِنْدَ مُرَادِ النَّفْسِ تُسَدِّي وَتُلْحِمُ

وَعِنْدَ خِلَافِ الْأَمْرِ تَحْتَجُّ بِالْقَضَا
ظَهِيْرًا عَلَى الرَّحْمَنِ ، لِلجَبْرِ تَزْعُمُ
تَزَّه مِنْكَ النَّفْسُ عَنْ سُوءِ فِعْلِهَا
وَتَغْتِيبُ أَقْدَارَ الْإِلَهِ وَتَظْلِمُ
تَحُلُّ أُمُورًا أَحْكَمَ الشَّرْعِ عَقْدَهَا
وَتَقْضُدُ مَا قَدْ حَلَّهُ الشَّرْعُ تُبْرِمُ
وَتَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ خِلَافَ مَا
أَرَادَ لِأَنَّ الْقَلْبَ مِنْكَ مُعْجَمُ
مُطِيعٌ لِذَاعِي الْغِيِّ عَاصِرٌ لِرُشْدِهِ
إِلَى رَبِّهِ يَوْمًا يُرَدُّ وَيَعْلَمُ
مُضِيعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ غَشَّ نَفْسَهُ
مُهِنٌ لَهَا أَنِّي يُحِبُّ وَيُكْرَمُ
بَطِيءٌ عَنِ الطَّاعَاتِ أَسْرَعُ لِلْحَنَا
مِنْ السَّيْلِ فِي مَجْرَاهُ لَا يَتَقَسَّمُ
وَتَزْعُمُ مَعَ هَذَا بِأَنَّكَ عَارِفٌ
كَذَبْتَ يَقِينًا بِالذِّي أَنْتَ تَزْعُمُ
وَمَا أَنْتَ إِلَّا جَاهِلٌ ثُمَّ ظَالِمٌ
وَأَنَّكَ بَيْنَ الْجَاهِلِينَ مُقَدَّمٌ
إِذَا كَانَ هَذَا نُضْحُ عَبْدٍ لِنَفْسِهِ
فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُ الْهُدَى يُتَعْلَمُ؟!
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ قَدْ قَالَ مَنْ مَضَى
وَأَحْسَنَ فِيمَا قَالَهُ الْمُتَكَلِّمُ
« فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فِتْلِكَ مُصِيبَةٌ
وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ »

وَلَوْ تُبْصِرُ الدُّنْيَا وَرَاءَ سُتُورِهَا
 رَأَيْتَ خَيْالًا فِي مَنَامٍ سَيُضْرَمُ
 كَحُلْمِ بَطِيفِ زَارٍ فِي النَّوْمِ وَأَنْقَضَى الْ
 مَنَامُ وَرَاحَ الطَّيْفُ ، وَالصَّبُّ مُغْرَمٌ
 وَظِلُّ أُرْتُهُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا
 سَيَقْلُصُ فِي وَقْتِ الزُّوَالِ ، وَيَقْصِمُ
 وَمُزَنَةٌ صَيْفِ طَابَ مِنْهَا مَقِيلُهَا
 فَوَلَّتْ سَرِيعًا ، وَالْحُرُورُ تَضْرَمُ
 وَمَطْعَمِ صَيْفٍ لَذٌّ مِنْهُ مَسَاغُهُ
 وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَالُهُ تِلْكَ تُعْلَمُ
 كَذَا هَذِهِ الدُّنْيَا كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
 وَمِنْ بَعْدِهَا دَارُ الْبَقَاءِ سَتَقْدَمُ
 فَجُزْأَهَا مَمْرًا لَا مَقْرَأًا وَكُنْ بِهَا
 غَرِيبًا تَعِشْ فِيهَا حَيِيدًا ، وَتَسْلَمُ
 أَوْ ابْنَ سَبِيلٍ قَالَ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ
 وَرَاحَ ، وَخَلَى ظِلُّهَا يَتَقَسَّمُ
 أَخَا سَفَرٍ لَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ
 إِلَى أَنْ يَرَى أَوْطَانَهُ وَيُسْلَمُ
 فَيَا عَجَبًا !! كَمْ مَضْرَعٌ وَعَظْتُ بِهِ
 بَيْنَهَا !! وَلَكِنْ عَنِ مَصَارِعِهَا عَمُوا
 سَقَتَهُمْ كُؤُوسَ الْحُبِّ حَتَّى إِذَا نَشُوا
 سَقَتَهُمْ كُؤُوسَ السُّمِّ ، وَالْقَوْمُ نَوْمُ

وَأَعْجَبُ مَا فِي الْعَبْدِ رُؤْيَةَ هَذِهِ أَلْ
 عَظَائِمِ ، وَالْمَغْرُورُ فِيهَا مُتَمِّمٌ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ خَمْرَةَ حُبِّهَا
 لَتَسْلِبُ عَقْلَ الْمَرْءِ مِنْهُ وَتَضْلِمُ
 وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّ أَحْبَابَهَا الْأَلَى
 تُهَيِّنُ ، وَلِلْأَعْدَا تُرَاعِي وَتُكْرِمُ
 وَذَلِكَ بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ قَدْرَهَا
 جَنَاحُ بَعُوضٍ أَوْ أَدَقُّ وَالْأَمُّ
 وَحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثَّلًا
 لَهَا ، وَلِدَارِ الْخُلْدِ وَالْحَقُّ يُفْهَمُ
 كَمَا يُدْلِي الْإِنْسَانُ فِي الْيَمِّ أَضْبَعًا
 وَيَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنَمُ
 إِلَّا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةً
 عَلَى حَذَرٍ مِنْهَا ، وَأَمْرِي مُبْرَمٌ
 وَهَلْ أُرْدَنُ مَاءَ الْحَيَاةِ وَأُرْتَوِي
 عَلَى ظَمًا مِنْ حَوْضِهِ ، وَهُوَ مُنْعَمٌ
 وَهَلْ تَبْدُونَ أَعْلَامَهَا بَعْدَ مَا سَفَتْ
 عَلَى رَبْعِهَا تِلْكَ السَّوَابِي فَتُعْلَمُ
 وَهَلْ أَفْرِشَنُ خَدِّي ثَرَى عَتَبَاتِهِمْ
 خُضُوعًا لَهُمْ كَيْمَا يَرْقُؤَا وَيَرْحَمُوا
 وَهَلْ أُرْمِينُ نَفْسِي طَرِيحًا بِبَابِهِمْ
 وَطَيْرٌ مَنَابِيا الْحُبِّ فَوْقِي- تُحَوِّمُ

فِيَا أَسْفِي ، تَفَنَى الْحَيَاةُ وَتَنَفَضِي
وَذَا الْعُتْبُ بَاقٍ مَا بَقِيْتُمْ وَعِشْتُمْ
فَمَا مِنْكُمْ بُدٌ وَلَا عَنْكُمْ غِنَى
وَمَا لِي مِنْ صَبْرٍ فَاسْأَلُوا عَنْكُمْ
وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكُمْ فَلَا إِذَا
إِذَا كُتِّمْتُمْ عَنْ عَبْدِكُمْ قَدْ رَضِيْتُمْ
وَعُقْبَى اضْطَبَّارِي فِي هَوَاكُم حَمِيدَةٌ
وَلَكِنَّهَا عَنْكُمْ عِقَابٌ وَمَأْتُمْ
وَمَا أَنَا بِالشَّاكِي لِمَا تَرْتَضُونَهُ
وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ وَأَسْلَمُ
وَحَسْبِي انْتِسَابِي مِنْ بَعِيدِ الْيَكْمُ
أَلَا إِنَّهُ حَظٌ عَظِيمٌ مَفْحَمُ
إِذَا قِيلَ : هَذَا عَبْدُهُمْ وَمُجِبُّهُمْ
تَهَلَّلَ بَشْرًا وَجْهُهُ يَتَبَسَّمُ
وَمَا هُوَ قَدْ أُنْدَى الضَّرَاعَةَ سَائِلًا
لَكُمْ بِلِسَانِ الْحَالِ ، وَالْقَالَ مُعْلِمُ
أَجِبْتُهُ ، عَظْفًا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ
لَمُظْمَى ، وَإِنْ الْمَوْرِدَ الْعَذْبَ أَنْتُمْ
فِيَا سَاهِيًا ، فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
صَرِيحَ الْأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ
أَفِقْ قَدْ دَنَا الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
سِوَى جَنَّةٍ ، أَوْ حَرٍّ نَارٍ تَضْرَمُ

وبالسُّنَّةِ الْغَرَاءِ كُنْ مُتَمَسِّكاً
 هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ
 تَمَسُّكَ بِهَا مَسْكُ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ
 وَعُضُّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ تَسْلَمُ
 وَدَعَّ عَنْكَ مَا قَدْ أُحْدِثَ النَّاسُ بَعْدَهَا
 فَمَرَّتْ هَاتِيكَ الْحَوَادِثُ أَوْخَمُ
 وَهِيَ جَوَاباً عِنْدَمَا تَسْمَعُ النَّدَا
 مِنْ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمْ
 بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ
 أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيُنْذَمُ
 وَخُذْ مِنْ تَقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ
 لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عِيَاناً جَهَنَّمَ
 وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا
 فَهَآوِ، وَمَخْدُوشُ، وَنَاجٍ مُسَلِّمٌ
 وَيَأْتِي إِلَهُ الْعَالَمِينَ لِوَعْدِهِ
 فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَحْكُمُ
 وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقُّهُ
 يَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلَائِقِ يَظْلِمُ !!
 وَيُنْشَرُ دِيْوَانُ الْحِسَابِ وَتُوضَعُ أَلْ
 مَوَازِينُ بِالْقِسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلِمُ
 فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذُرَّةٍ
 وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ

وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى
 كَذَلِكَ عَلَى فِيهِ الْمُهَيِّمُنُ يَخْتِمُ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي !! كَيْفَ حَالِكَ عِنْدَمَا
 تَطَايَرُ كُتُبُ الْعَالَمِينَ وَتُقَسَّمُ ؟!
 أَتَأْخُذُ بِالْيُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنُ
 بِالْآخِرَى وَرَاءَ الظُّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ
 وَتَقْرَأُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ
 فَيُشْرِقُ مِنْكَ الْوَجْهُ ، أَوْ هُوَ يُظْلِمُ
 تَقُولُ : كِتَابِي فَاقْرَؤْهُ فَإِنَّهُ
 يُبَشِّرُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ ، وَيُعْلِمُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ :
 أَلَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَهُ فَهُوَ مُفْرَمٌ
 فَبَادِرٌ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمْرِ فُسْحَةٌ
 وَعَدْلُكَ مَقْبُولٌ ، وَصَرْفُكَ قِيمٌ
 وَجُدٌ ، وَسَارِعٌ ، وَاعْتَنِمَ زَمَنَ الصُّبَا
 فَفِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ تَسْعَى ، وَتَغْنَمُ
 وَسِرٌّ مُسْرِعاً ، فَالَسَّيْلُ خَلْفَكَ مُسْرِعٌ
 وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَقْرٌ وَمَهْرَمٌ !!
 « فَهِنَّ الْمَنَايَا أَيُّ وَادٍ نَزَلْتَهُ
 عَلَيْهَا الْقُدُومُ أَوْ عَلَيْكَ سَتَقَدَّمُ »
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرَةٌ أَنْ يَنَالَهَا
 سِوَى كُفُوِّهَا وَالرَّبُّ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ

وَأِنْ حُجِبَتْ عَنَّا بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
وَحُفَّتْ بِمَا يُؤْذِي النُّفُوسَ وَيُؤْلِمُ
فَلِلَّهِ مَا فِي حَشْوِهَا مِنْ مَسْرَةٍ
وَأَصْنَافٍ لَذَاتٍ بِهَا يُتَنَعَمُ !!
وَلِلَّهِ بَرْدُ الْعَيْشِ بَيْنَ خِيَامِهَا
وَرَوْضَاتِهَا وَالثُّغْرِ فِي الرُّوضِ يَبْسُمُ
فَلِلَّهِ وَاذِيهَا الَّذِي هُوَ مَوْعِدُ الْ
مَزِيدِ لِوَفْدِ الْحَبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ
بِذِيالِكَ الْوَادِي يَهِيمُ صَبَابَةٌ
مُحِبٌّ يَرَى أَنَّ الصَّبَابَةَ مَغْنَمٌ !
وَلِلَّهِ أَفْرَاحُ الْمُحِبِّينَ عِنْدَمَا
يُخَاطِبُهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيُسَلِّمُ
وَلِلَّهِ أَبْصَارُ تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً
فَلَا الضَّمِيمُ يَغْشَاهَا وَلَا هِيَ تَسَامُ
فِيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الْوَجْهِ نَضْرَةً
أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْلُو الْمُحِبُّ الْمُتِيمُ ؟
وَلِلَّهِ كَمَ مِنْ خَيْرَةٍ لَوْ تَبَسَّمَتْ
أَضَاءَ لَهَا نُورٌ مِنَ الْفَجْرِ أَعْظَمُ
فِيَا لَذَّةَ الْأَبْصَارِ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
وَيَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ حِينَ تَكَلَّمُ
وَيَا خَجَلَةَ الْعُضْنِ الرَّطِيبِ إِذَا انْتَشَتْ
وَيَا خَجَلَةَ الْبَحْرَيْنِ حِينَ تَبْسُمُ ؟؟

فَإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيلٍ بِحُبِّهَا
فَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا وَصَلَهَا لَكَ مَرَمٌ
وَلَا سِيمَا فِي لَثِمِهَا عِنْدَ ضَمِّهَا
وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيدِكَ مِعْصَمٌ
يَرَاهَا إِذَا أَبَدْتَ لَهُ حُسْنَ وَجْهِهَا
يَلْدُ بِهَا قَبْلَ الْوِصَالِ وَنَعَمٌ
تَفَكُّ مِنْهَا الْعَيْنُ عِنْدَ اجْتِلَائِهَا
فَوَاكِهَ شَتَى طَلَعُهَا لَيْسَ يُعْدِمُ
عَنَاقِدُ مِنْ كَرَمٍ وَتُفَاحُ جَنَّةٍ
وَرُمَانُ أَغْصَانٍ بِهَا الْقَلْبُ مُغْرَمٌ
وَلِلْوَرْدِ مَا قَدْ أَلْبَسْتَهُ خُدُودَهَا
وَلِلْخَمْرِ مَا قَدْ ضَمَّهُ الرِّيْقُ وَالْفَمُ
تَقَسَّمُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ
فَيَا عَجَباً مِنْ وَاحِدٍ يَتَقَسَّمُ
تُذَكَّرُ بِالرُّحْمَنِ مَنْ هُوَ نَاطِرٌ
فَيَنْطِقُ بِالتَّسْيِيحِ لَا يَتَلَعَّمُ
لَهَا فِرْقٌ شَتَى مِنَ الْحُسْنِ أَجْمَعَتْ
بِجُمْلَتِهَا إِنَّ السُّلُوَ مُحَرَّمٌ
إِذَا قَابَلْتَ جَيْشَ الْهُمُومِ بِوَجْهِهَا
تَوَلَّى عَلَى أَغْقَابِهِ الْجَيْشُ يُهْزَمُ
فَيَا خَاطِبَ الْحَسَنَاءِ إِنْ كُنْتَ رَاغِباً
فَهَذَا زَمَانُ الْمَهْرِ فَهُوَ الْمُقَدَّمُ

وَلَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بَغُضِنَهَا
تَيَقَّنَ حَقًّا أَنَّهُ لَيْسَ يَهْرَمُ
وَكُنْ مُبْغِضًا لِلْخَائِنَاتِ لِحُبِّهَا
لِتُحْظَى بِهَا مِنْ دُونِهِنَّ وَتَنْعَمُ
وَكُنْ أَيَّمَا مِمَّا سِوَاهَا فَإِنَّهَا
لِمْثَلِكَ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ تَأَيَّمُ
وَصُمْ يَوْمَكَ الْأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي عَدِ
تَفُوزُ بِعِيدِ الْفِطْرِ وَالنَّاسِ صَوْمُ
وَأَقْدَمُ وَلَا تَقْنَعُ بِعَيْشٍ مُنْغَصِّ
فَمَا فَازَ بِاللَّذَاتِ مَنْ لَيْسَ يُقْدِمُ
وَإِنْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا
وَلَمْ يَكُ فِيهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ
فَحَيِّ عَلَى جَنَاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
مَنَازِلُكَ الْأُولَى ، وَفِيهَا الْمُخِيمُ
وَلَكِنَّا سَبِيُّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى
نُرْدُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَى
وَشَطَطَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ
وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي
لَهَا أَضْحَتُ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكُّمُ
وَحَيِّ عَلَى رَوْضَاتِهَا وَحِيَامِهَا
وَحَيِّ عَلَى عَيْشٍ بِهَا لَيْسَ يُسَامُ

وَحَيَّ عَلَى السُّوقِ الَّذِي يَلْتَقِي بِهِ الْ
مُجِبُّونَ ، ذَاكَ السُّوقَ لِلْقَوْمِ يُعْلَمُ
فَمَا شِئْتَ خُذْ مِنْهُ بِلَا تَمَنَّ لَهُ
فَقَدْ أُسْلِفَ التُّجَارُ فِيهِ وَأَسْلَمُوا
وَحَيَّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ فَإِنَّهُ
لَمُوعِدُ أَهْلِ الْحَبِّ حِينَ يُكْرَمُوا
وَحَيَّ عَلَى وَادٍ هُنَالِكَ أَفِيحٍ
وَتُرْبَتُهُ مِنْ أَذْفَرِ الْمِسْكِ أَعْظَمُ
مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ هُنَاكَ وَفِضَّةٌ
وَمِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ لَا تَنْفَصَّمُ
وَمِنْ حَوْلِهَا كُتُبَانُ مِسْكِ مَقَاعِدُ
لِمَنْ دُونَهُمْ هَذَا الْعَطَاءُ الْمُفَخَّمُ
يَرَوْنَ بِهِ الرَّحْمَنَ جَلَّ جَلَالُهُ
كَرُؤِيَّةَ بَدْرِ التَّمِّ لَا يُتَوَمَّمُ
كَذَا الشَّمْسُ صَحْوًا لَيْسَ مِنْ دُونِ أَفْقِهَا
سَحَابٌ وَلَا غَيْمٌ هُنَاكَ يُغَيِّمُ
فَبَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
وَأَرْزَاقِهِمْ تَجْرِي عَلَيْهِمْ وَتُقَسَّمُ
إِذَا هُمْ بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ
وَقَدْ رَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ فَإِذَا هُمْ
بِرَبِّهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ قَائِلٌ لَهُمْ :
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، طِبْتُمْ ، وَنَعِمْتُمْ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، يَسْمَعُونَ جَمِيعُهُمْ
بِأَذَانِهِمْ تَسْلِيمَهُ إِذْ يُسَلِّمُ
يَقُولُ : سَلُونِي مَا اشْتَهَيْتُمْ فَكُلُّ مَا
تُرِيدُونَ عِنْدِي ، إِنِّي أَنَا أَرْحَمُ
فَقَالُوا جَمِيعًا : نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرَّضَى
فَأَنْتَ الَّذِي تُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَتَرْحَمُ
فَيُعْطِيهِمْ هَذَا ، وَيُشْهِدُ جَمْعَهُمْ
عَلَيْهِ ، تَعَالَى اللَّهُ ، فَاللَّهُ أَكْرَمُ
فَبَالِهِ مَا عُذْرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ
بِهَذَا ، وَلَا يَسْعَى لَهُ وَيُقَدِّمُ !؟
وَلَكِنَّمَا التَّوْفِيقُ بِاللَّهِ إِنَّهُ
يَخْصُ بِهِ مَنْ شَاءَ فَضْلًا وَيُعِمْ
فِيَا بَائِعًا غَالٍ بِيَخْسُ مُعْجَلٍ
كَأَنَّكَ لَا تَدْرِي ، بَلَى سَوْفَ تَعْلَمُ
فَقَدِّمُ ، فَدَتَكَ النَّفْسُ ، نَفْسَكَ إِنَّهَا
هِيَ الثَّمَنُ الْمَبْدُولُ حِينَ تُسَلِّمُ
وَحُضْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَارْقَ مَعَارِجِ الْ
مَحَبَّةِ فِي مَرْضَاتِهِمْ تَتَسَنَّمُ
وَسَلِّمُ لَهُمْ مَا عَاقَدُوكَ عَلَيْهِ إِنْ
تُرِدُ مِنْهُمْ أَنْ يَبْذُلُوا وَيُسَلِّمُوا
فَمَا ظَفِرَتْ بِالْوَصْلِ نَفْسٌ مَهِينَةٌ
وَلَا فَازَ عَبْدٌ بِالْبَطَالَةِ يَنْعَمُ

وَإِنْ تَكُ قَدْ عَاقَتَكَ سُعْدَى فَقَلْبُكَ أَلْ
 مُعْنَى رَهِينٌ فِي يَدَيْهَا مُسَلَّمٌ
 وَقَدْ سَاعَدَتْ بِالْوَصْلِ غَيْرَكَ فَالْهَوَى
 لَهَا مِنْكَ ، وَالْوَأشِي بِهَا يَتَنَعَّمُ
 فَدَعَّهَا ، وَسَلَّ النَّفْسَ عَنْهَا بِجَنَّةِ
 مِنْ الْعِلْمِ فِي رَوْضَاتِهَا الْحَقُّ يَبْسِمُ
 وَقَدْ ذُلَّتْ مِنْهَا الْقُطُوفُ فَمَنْ يُرِدْ
 جَنَاهَا يَنْلَهُ ، كَيْفَ شَاءَ وَيَطْعَمُ
 وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَتَزَيَّنَتْ
 لِخُطَابِهَا ، فَالْحُسْنُ فِيهَا مُقَسَّمٌ
 وَقَدْ طَابَ مِنْهَا نَزْلُهَا وَنَزِيلُهَا
 فَطُوبَى لِمَنْ حَلُّوا بِهَا وَتَنَعَّمُوا
 أَقَامَ عَلَى أَبْوَابِهَا دَاعِي الْهُدَى
 هَلِّمُوا إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ تَغْنَمُوا
 وَقَدْ غَرَسَ الرَّحْمَنُ فِيهَا غِرَاسَةً
 مِنْ النَّاسِ ، وَالرَّحْمَنُ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ
 وَمَنْ يَغْرِسِ الرَّحْمَنُ فِيهَا فَإِنَّهُ
 سَعِيدٌ ، وَإِلَّا فَالشَّقَاءُ مُحْتَمٌ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنْ وَسْوَاسِ قُلُوبِنَا
 الْحَامِلَةِ عَلَى التَّوَرُّطِ فِي هَوَاةِ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَاجْعَلْ إِيمَانَنَا إِيمَانًا
 خَالصًا صَادِقًا قَوِيًّا وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ
 عَيْشَنَا عَيْشًا رَغَدًا . وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارزُقْنَا فِي
 مَحَبَّتِكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا وَاسِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَحِفْظًا كَامِلًا وَفَهْمًا ذَكِيًّا

وطبعاً صَفِيّاً وأدباً مُرَضِيّاً وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ

« فَضْلٌ »

في الشفاعة العظمى

تأمل ما في حديثِ الشفاعةِ العُظمى الذي رواه أبو هريرةَ رضي
اللهُ عنه ، قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعْوَةٍ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ
الذَّرَاعُ - وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ - فَتَهَسَّ مِنْهَا نَهْسَهُ وَقَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ هَلْ تَذَرُونَ مِنِّي ذَاكَ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ - فِي صَعِيدٍ
وَاحِدٍ ، فَيُصِيرُهُمُ النَّاطِرُ ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ ، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ ،
فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ
النَّاسُ : أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ وَإِلَى مَا بَلَّغَكُمْ ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ
لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَبُوكُمْ آدَمُ ، فَيَأْتُونَهُ
فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ
رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى
رَبِّكَ ؟ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَّغْنَا ؟ فَقَالَ : إِنْ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً
لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّ نَهَائِي عَنِ الشَّجَرَةِ
فَعَصَيْتُ ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، إِذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي ، إِذْهَبُوا إِلَيَّ نُوحٍ ،
فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ
سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا
بَلَّغْنَا ؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ؟ فَيَقُولُ : إِنْ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ

يَغْضَبُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَانَّهُ قَدْ كَانَ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ
بِهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، إِذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، إِذْهَبُوا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ ، مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ :
إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ
مِثْلَهُ ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ ، فَذَكَرَهَا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ،
إِذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، إِذْهَبُوا إِلَى مُوسَى ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا
مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ،
اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ
غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي
قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، إِذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ،
إِذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ، فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَكَلِمَتُهُ
الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلِمَتُ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ
رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ
غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا ،
نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، إِذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي إِذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَيَأْتُونَ فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ،
وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا
تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ
يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ
أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ

تَشْفَعُ ، فَارْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبَّ يَا رَبَّ أُمَّتِي يَا رَبَّ ، فَيَقَالُ :
 يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لِحَسَابِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ،
 وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا
 بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيحِ الْجَنَّةِ ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجْرَ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ
 وَبُصْرَى » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

اللَّهُمَّ تَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا
 هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : إِلَهَ الْعَالَمِينَ وَكُلِّ أَرْضٍ وَرَبَّ الرَّاسِيَّاتِ مِنَ الْجِبَالِ
 بَنَاهَا وَابْتَنَى سَبْعًا شِدَادًا

بِلَا عَمَدٍ يُرَيْنَ وَلَا رِجَالٍ
 وَسَوَاهَا وَزَيَّنَهَا بِنُورٍ
 مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ وَالهِلَالِ
 وَمِنْ شُهْبٍ تَلَأُ فِي دُجَاهَا
 مَرَامِيهَا أَشَدُّ مِنَ النَّصَالِي
 وَشَقَّ الْأَرْضَ فَاثْبَجَسَتْ عُيُونًا
 وَأَنْهَارًا مِنَ الْعَذْبِ الزَّلَالِ
 وَبَارَكَ فِي نَوَاحِيهَا وَزَكَّى
 بِهَا مَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ وَمَالٍ
 فَكُلُّ مُعَمَّرٍ لَا بُدَّ يَوْمًا
 وَذِي دُنْيَا يَصِيرُ إِلَى الزَّوَالِ

وَيَفْنَى بَعْدَ جِدَّتِهِ وَيَبْلَى
 سِوَى الْبَاقِيِ الْمُقَدَّسِ ذِي الْجَلَالِ
 وَسِيقَ الْمُجْرِمُونَ وَهُمْ عُرَاةٌ
 إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَالنَّكَالِ
 فَنَادُوا وَيَلْنَا وَيَلَا طَوِيلًا
 وَعَجُّوا فِي سَلَاسِلِهَا الطَّوَالِ
 فَلَيْسُوا مَيِّتِينَ فَيَسْتَرِيحُوا
 وَكُلُّهُمْ بِحَرِّ النَّارِ صَالِ
 وَحَلَّ الْمُتَقُونَ بِدَارِ صِدْقِي
 وَعَيْشِ نَاعِمٍ تَحْتَ الضَّلَالِ
 لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمُنُّوا
 مِنَ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

اللَّهُمَّ يَا مُبْتِئَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفَّقْنَا لِمَحَبَّةِ
 أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضِ أَعْدَائِكَ وَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنَّبْنَا الْعُسْرَى وَاجْعَلْنَا هُدَاةً
 مُهْتَدِينَ وَبِكَتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ مُقْتَدِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنِ مَعَاصِيكَ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ
 وَأَرْزُقْنَا مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ مَنْ يُحِبُّكَ وَبُغْضَ مَنْ يُعَادِيكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فصل: وتأمل إذا جيءَ بِجَهَنَّمَ إِلَى الْمَوْقِفِ ، تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفِ زَمَامٍ مَعَ
 كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
 بِجَهَنَّمَ ، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ

لِحَيَاتِي ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ، وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ﴿ وَقَالَ ﴿ وَبُرُزَّتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ، وَبُرُزَّتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ، يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ، أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا : بَلَى وَرَبِّنَا . قَالَ : فَذُوقُوا بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ، ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ .

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ سَعْيَهُ ، وَيَسْتَحْضِرُ إِنْ كَانَتْ أَحْوَالُ الدُّنْيَا وَسَوَاعِلُ الْمَتَاعِ أَغْفَلَتْهُ وَأَنْسَتْهُ ، أَيًّا كَانَ يَتَذَكَّرُهُ ، وَيَسْتَحْضِرُهُ ، وَلَكِنْ حَيْثُ لَا يُفِيدُ التَّذَكُّرُ وَالِاسْتِحْضَارُ إِلَّا الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ ، وَتَصَوُّرَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْبَلْوَى .

وَقَالَ فِي آيَةِ ق ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ، فَبَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ قَوِيٌّ لَا يَحْجِبُهُ حِجَابٌ ، وَهَذَا هُوَ الْمَوْعِدُ الَّذِي غَفَلْتَ عَنْهُ ، وَهَذَا هُوَ الْمَوْقِفُ الَّذِي لَمْ تَحْسِبْ لَهُ حِسَابَهُ ، وَهَذِهِ هِيَ النَّهَايَةُ الَّتِي كُنْتَ لَا تَتَوَقَّعُهَا ، وَلَا تَهْتَمُّ لَهَا وَتَسْتَهِينُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَالآنَ فَانظُرْ ﴿ فَبَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ، لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ ، يَجْرُونَهَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي الْكُرُوبِ وَالْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ ، سَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَجَرَجْرَةً .

تُفَصِّحُ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَالْغَضَبِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَيْقَنَ الْمُجْرِمُونَ بِالْعَطَبِ ، وَجَثَّتِ الْأُمَمُ عَلَى الرُّكْبِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوهُ بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا » قَالُوا : وَهَلْ لَهَا مِنْ عَيْنَيْنِ ؟ ، قَالَ « نَعَمْ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى . . . ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ قِيلَ : الْمَكَانُ الْبَعِيدُ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ ، وَقِيلَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وَذَلِكَ إِذَا أَتَى بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ ، يُشَدُّ بِكُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ ، لَوْ تَرَكْتَ لِأَنْتَ عَلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَخْرُجُ عَنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرَانِ وَأَذْنَانِ يَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يَقُولُ : إِنِّي وَكُلُّ بَثَلَةٍ ، بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِالْمُصَوِّرِ » وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ لِيُجْرَى إِلَى النَّارِ ، فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ شَهَقَةُ الْبَغْلَةِ إِلَى الشَّعِيرِ ، ثُمَّ تَزْفُرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مُخْتَصِرًا .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : إِذَا بَقِيَ فِي النَّارِ مَنْ يُخَلَّدُ فِيهَا جُعِلُوا فِي تَوَابِيَتْ مِنْ نَارٍ ، فِيهَا مَسَامِيرٌ مِنْ نَارٍ ، ثُمَّ جُعِلَتْ تِلْكَ التَّوَابِيَتْ فِي تَوَابِيَتْ مِنْ نَارٍ ، ثُمَّ جُعِلَتْ تِلْكَ التَّوَابِيَتْ فِي تَوَابِيَتْ مِنْ نَارٍ ، ثُمَّ قُدِفُوا فِي نَارٍ

الجحيم ، فيرون أنه لا يُعذب في النار غيرهم ، ثم تلا ابن مسعود ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ ، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ .

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ الْكَافِرَ لَيَرَى جَهَنَّمَ ، فَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ » لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ لَهُمْ ، فَإِنَّ تَوَقُّعَ الْعَذَابِ ، وَالْخَوْفِ مِنْهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ عَذَابٍ نَاجِزٌ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ، تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ، كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ الْآيَاتِ ، أَيْ يَكَادُ بَعْضُهَا يَنْفَصِلُ عَنْ بَعْضٍ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا عَلَيْهِمْ ، وَحَنَقِهَا بِهِمْ ، وَبَعْدَ قَذْفِهِمْ بِهَا تَغْلِي بِهِمْ ، كَمَا يَغْلِي الْحَبُّ الْقَلِيلُ فِي الْمَاءِ الْكَثِيرِ ، قَالَهُ الْعُلَمَاءُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمْ جَهَنَّمَ مَنْ ذُكِرُوا فِي مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ أَوَّلَ نَاسٍ يُقْضَى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ ، فَأَتَى بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَتَى بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأَتَى بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ :

كَذَبَتْ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى
وَجْهِهِ ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ « أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ بِمَعْنَاهُ ، وَقَالَ مُعَاذُ
بْنُ جَبَلٍ - وَذَكَرَ عُلَمَاءُ السُّوءِ : مَنْ إِذَا وَعَظَ عَنَّفَ ، أَوْ وَعَظَ أَنْفَ ، فَذَلِكَ
فِي أَوَّلِ دَرَكٍ مِنَ النَّارِ ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَأْخُذُ عِلْمَهُ مَأْخِذَ السُّلْطَانِ فَذَلِكَ
فِي الدَّرَكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُحَرِّزُ عِلْمَهُ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ
الثَّلَاثِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَخَيَّرُ الْكَلَامَ وَالْعِلْمَ لَوُجُوهِ النَّاسِ ،
وَلَا يَرَى سَفَلَةَ النَّاسِ لَهُ مَوْضِعًا ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الرَّابِعِ ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ
مَنْ يَتَكَلَّمُ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَحَادِيثَهُمْ ، لِيَكْثُرَ حَدِيثُهُمْ ، فَذَلِكَ فِي
الدَّرَكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَنْصِبُ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا ، يَقُولُ
لِلنَّاسِ سَلُونِي ، فَذَلِكَ الَّذِي يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ مُتَكَلِّفًا ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُتَكَلِّفِينَ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَّخِذُ
عِلْمَهُ مَرْوَةً وَعَقْلًا ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ ، ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ
مِنَ الْعُلَمَاءِ .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ مِثْلَهُ لَا يَكُونُ رَأْيًا ، وَإِنَّمَا يُدْرِكُ تَوْقِيفًا .

وَفِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ أَسَدُ بْنُ مُوسَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ
فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيًا ، جَهَنَّمُ لَتَتَعَوَّذُ مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْوَادِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ ،
وَأَنَّ فِي ذَلِكَ الْوَادِي لَجُبًّا ، إِنَّ جَهَنَّمَ وَذَلِكَ الْوَادِي لِيَتَعَوَّذَانَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ
ذَلِكَ الْجُبِّ ، وَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْجُبِّ لَحَيَّةٌ ، إِنَّ جَهَنَّمَ وَالْوَادِي وَذَلِكَ
الْجُبِّ لِيَتَعَوَّذُونَ مِنْ شَرِّ تِلْكَ الْحَيَّةِ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْأَشْقِيَاءِ مِنْ حَمَلَةِ
الْقُرْآنِ » .

لِأَمْرِ مَا تَصَدَّعَتِ الْقُلُوبُ وَبَاحَ بِسِرِّهَا دَمْعَ سَكِينُ
وَبَاتَتْ فِي الْجَوَانِحِ نَارٌ ذِكْرَى لَهَا مِنْ خَارِجِ أَثَرٍ عَجِيبُ
وَمَا حَفَّ اللَّبِيبُ لِغَيْرِ شَيْءٍ وَلَا أَعْيَا بِمَنْطِقِهِ الْأَرِيبُ
ذَرَاهُ لِأَيْمَاهُ فَلَا تَلُومًا فَرِيتَ لِأَيْمٍ فِيهِ يَحُوبُ

رَأَى الْأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ
وَمَا نَفْسٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا
وَيَمِّنُ يَدَيْهِ لَوْ يَدْرِي مَقَامَ
وَهَذَا الْمَوْتُ يَدِينُهُ إِلَيْهِ
مَقَامٌ تُسْتَلَدُ بِهِ الْمَنَائِمَا
وماذا الوصفُ بِالْعُفَى وَلَكِنْ
وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« فَضْلٌ »

فَمَا ظَنُّكَ أَيُّهَا الْمُهْمِلُ الْمُفْرَطُ فِي عُمْرِهِ بَسْكَانِ هَذِهِ الدَّارِ ، ضَيْقَةَ
الأَرْجَاءِ ، مُظْلِمَةَ الْمَسَالِكِ ، مُبْهَمَةَ الْمَهَالِكِ ، يَخْلُدُ فِيهَا الأَسِيرُ ، وَيُوقَدُ
فِيهَا السَّعِيرُ ، طَعَامُ أَهْلِهَا الرِّقُومُ ، وَشَرَابُهُمُ الحَمِيمُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى
﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ، لَأَكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رِقُومٍ ،
فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ
الْهَيْمِ ، هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ وَالتَّرْلُ هُوَ مَا يُعَدُّ لِلضَّيْفِ عِنْدَ قَدُومِهِ ،
فَذَلَّتْ هَذِهِ الآيَاتُ عَلَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يُتَحَفُونَ عِنْدَ دُخُولِهَا بِالأَكْلِ مِنْ
شَجَرَةِ الرِّقُومِ وَالشَّرَابِ مِنَ الحَمِيمِ ، وَهُمْ إِنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَيْهَا عِطَاشًا ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَنَسُوقُ المَجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) قَالَ أَبُو عُمَرَ أَنَّ الجَوْنِيَّ بَلَغَنَا
أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يُبْعَثُونَ عِطَاشًا يَقْفُونَ فِي مَشَاهِدِ القِيَامَةِ عِطَاشًا ، ثُمَّ قَرَأَ (وَنَسُوقُ
المَجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) .

وَقَالَ تَعَالَى أذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الرِّقُومِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ،
إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ
لَأَكِلُونَ مِنْهَا ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) .

خَرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُومِ قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَائِشَهُمْ فَكَيْفَ بَمَنْ تَكُونُ طَعَامَهُ » وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ صَحِيحٌ .

وَرَوَى مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : إِذَا جَاعَ أَهْلُ النَّارِ اسْتَعَاثُوا مِنَ الْجُوعِ ، فَأَعْيَثُوا بِشَجَرَةِ الزَّقُومِ ، فَأَكَلُوا مِنْهَا فَانْسَلَخَتْ وُجُوهُهُمْ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ مَرًّا مَرَّ عَلَيْهِمْ يَعْرِفُهُمْ ، لَعَرَفَ جُلُودَ وُجُوهِهِمْ ، فَإِذَا أَكَلُوا مِنْهَا أُلْقِيَ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ ، فَاسْتَعَاثُوا مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَعْيَثُوا بِمَاءِ كَالْمُهْلِ وَالْمُهْلُ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ ، فَإِذَا أَدْنَوْهُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أَنْضَجَ حَرُّهُ الْوُجُوهُ ، فَيُضَهِّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ، وَيُضْرِبُونَ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ ، فَيَسْقُطُ كُلُّ عَضْوٍ عَلَى حِيَالِهِ ، يَدْعُونَ بِالشُّبُورِ ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرِمُونَ ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آيِنٍ ﴾ وَالْمَعْنَى يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ جَهَنَّمَ وَالْحَمِيمِ ، فَمَرَّةً إِلَى هَذَا ، وَمَرَّةً إِلَى هَذَا ، قَالَهُ قَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَغَيْرُهُمَا .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وَقَالَ ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ قَالَ : شَوْكٌ يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ لَا يَدْخُلُ وَلَا

يَخْرُجُ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ قَالَ : شَجَرٌ فِي جَهَنَّمَ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الضَّرِيعُ الشُّبْرُقُ الْيَابِسُ ، وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الشُّبْرُقُ نَبْتُ ذُو شَوْكٍ لَاطٍ بِالْأَرْضِ ، فَإِذَا هَاجَ سُمِّيَ ضَرِيعًا ، وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

« يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَعِيثُونَ ، فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ ، فَيَسْتَعِيثُونَ فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ ذَا غُصَّةٍ ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ ، فَيَسْتَعِيثُونَ ، بِالشَّرَابِ ، فَيُدْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ ، بِكَلَالَيْبِ الْحَدِيدِ ، فَإِذَا دَنَّتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وَجُوهُهُمْ ، فَإِذَا وَصَلَتْ بُطُونُهُمْ قَطَعَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ » وَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ .

وَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ مِنْ غَسْلَيْنِ ﴾ قَالَ : هُوَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ . وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ بَشِيرٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . الْغَسْلَيْنِ الدَّمُ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لُحُومِهِمْ ، وَهُوَ طَعَامُهُمْ ، وَعَنْ مُقَاتِلٍ قَالَ : إِذَا سَالَ الْقَيْحُ وَالِدَّمُ بَادِرُوا إِلَى أَكْلِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَهُ النَّارُ .

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ وَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴾ وَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ ، وَآخِرُ مَنْ شَكَلَهُ أَزْوَاجٌ ﴾ وَقَالَ

تَعَالَى ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ ، وَلَا يَكَأُغُ يُسَيِّغُهُ ﴾ وَقَالَ عَزْرُ
 مِنْ قَائِلٍ ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
 وَالْجُلُودِ ﴾ وَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ، يَشْوِي
 الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ ، وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الْحَمِيمُ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ ،
 وَالغَسَّاقُ قِيلَ : إِنَّهُ مَا يَسِيلُ مِنْ بَيْنِ جِلْدِ الْكَافِرِ وَلَحْمِهِ ، وَقِيلَ : الزَّمْهَرِيرُ
 الْبَارِدُ الَّذِي يُحْرِقُ مِنْ بَرْدِهِ ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
 قَالَ : الْغَسَّاقُ الْقَيْحُ الْغَلِيظُ ، لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْهُ تُهْرَقُ فِي الْمَغْرِبِ لَأَنْتَنَتْ
 أَهْلُ الْمَشْرِقِ ، وَلَوْ أَهْرِيقَتْ فِي الْمَشْرِقِ ، لَأَنْتَنَتْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ، وَقَالَ
 مُجَاهِدٌ . (غَسَّاقٌ) الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَذُوقُوهُ مِنْ بَرْدِهِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ :
 هُوَ مَا يَغْسِقُ أَيَّ يَسِيلُ مِنَ الْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ
 وَلُحُومِهِمْ ، وَفُرُوجِ الزَّانَةِ وَدُمُوعِ أَهْلِ النَّارِ وَعُرُوقِهِمْ ، وَقَالَ كَعْبٌ :
 غَسَّاقُ عَيْنٍ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ إِلَيْهَا حُمَةٌ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ مِنْ حَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَيَسْتَنْقِعُ فَيُوتَى بِالْأَدْمِيِّ فَيُغَمَسُ فِيهَا غَمْسَةً وَاحِدَةً ، فَيَخْرُجُ
 وَقَدْ سَقَطَ جِلْدُهُ وَلَحْمُهُ عَنِ الْعِظَامِ .

وَيَتَعَلَّقُ جِلْدُهُ وَلَحْمُهُ فِي عَقْبِيهِ وَكَعْبِيهِ وَيَجْرُ لَحْمُهُ كَمَا يَجْرُ الرَّجُلُ
 ثَوْبُهُ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . وَأَمَّا الصَّدِيدُ فَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
 ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ قَالَ يَعْنِي الْقَيْحُ وَالْدَّمُ وَقَالَ قَتَادَةُ مَا يَسِيلُ مِنْ
 بَيْنِ لَحْمِهِ وَجِلْدِهِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَأُغُ يُسَيِّغُهُ ﴾ .

وَحَرَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ : قَالَ
 يُقْرَبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَعُهُ ، فَإِذَا اذْنَبِي مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ ، وَوَقَعَتْ فَرُوءُهُ رَأْسِهِ ،

فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبْرِهِ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ لِلَّهِ عَهْدًا لِمَنْ شَرِبَ الْمُسْكِرَاتِ ، لِيُسْقِيَنَّهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ « عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ » .

وَخَرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ مَاتَ مُدْمِنٌ خَمْرٍ ، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ ، قِيلَ مَا نَهْرُ الْغُوطَةِ ، قَالَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ فُرُوجِ الْمُؤْمِسَاتِ ، يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ نَتْنُ فُرُوجِهِمْ » .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (كَالْمُهْلِ) قَالَ « كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، فَإِذَا قُرَّبَ إِلَى وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرَوْهُ وَجْهِهِ » وَقَالَ عَطِيَّةُ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ قَالَ غَلِيظٌ كَرْدِيّ الزَّيْتِ ، وَقَالَ الضُّحَّاكُ : أَذَابَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِضَّةً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى الْمُهْلِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا .

وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ تَمَّامِ بْنِ نُجَيْحٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ أَنَّ غَرْبًا مِنْ حَمِيمٍ جَهَنَّمَ جُعِلَ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ ، لَأَذَى نَتْنُ رِيحِهِ وَشِدَّةُ حَرِّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ الْتَهَابًا وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيَّتْ وَسَوَاقٌ يَقُودُ الْفَرَزْدَقَا
أُسَاقٌ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا سَرَايِلَ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرَّقَا
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمْرَقَا

شِعْرًا : أَفْنَى شَبَابِكَ كَرُ الطَّرْفِ وَالنَّفْسِ
فَالْمَوْتُ مُقْتَرِبٌ وَاللَّهْرُ ذُو خَلْسٍ

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ
وَإِنْ تَمَنَّعْتَ بِالْحُجَابِ وَالْحَرَسِ
فَمَا تَزَالُ سِهَامَ الْمَوْتِ صَائِبَةً
فِي جَنْبِ مُدْرِعٍ مِنْهَا وَمُتْرَسِ
أَرَاكَ لَسْتَ بِوَقَافٍ وَلَا حَذِرٍ
كَالْحَاطِبِ الْخَاطِبِ الْأَعْوَادِ فِي الْغَلَسِ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا
إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ
أَنْتَ لَكَ الصَّحْوُ مِنْ سُكْرِ وَأَنْتَ مَتَى
تَصِيحُ مِنْ سَكْرَةٍ تَغْشَاكَ مِنْ نَكْسِ
مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدْنِسَهُ
وَتُوبِكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٍ مِنَ الدَّنَسِ
لَا تَأْمَنِ الْحَتْفَ فِيمَا تَسْتَلِدُ وَإِنْ
لَا نَتَّ مَلَامِسُهُ فِي كَفِّ مُلْتَمِسِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لَا شَرِيكَ لَهُ
كَمْ مِنْ حَيْبٍ مِنَ الْأَهْلِينَ مُخْتَلَسِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا
يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَقُدْرَاتِنَا وَأَعِزَّنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا
وَأَعِزَّنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
اللهم يا حيُّ يا قيومُ يا عليُّ يا عَظِيمُ أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشْدٍ يُعْزِرُ فِيهِ
أَهْلَ طَاعَتِكَ وَيُذِلُّ فِيهِ أَهْلَ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤَمِّرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهِي فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ

اللَّهُمَّ اَعْمُرْ قُلُوبَنَا وَالْسِتِنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَفِّقْنَا لِلْاُمْتِثَالِ
 لِاَمْرِكَ وَاَمِنَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاَجْعَلْنَا مِنْ اَوْلِيَاكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ
 الْمَفْلِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَأَمَّا كُسُوةُ أَهْلِ النَّارِ ، فَقَدْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا يُتَابَهُمْ ، فَقَالَ ﴿ فَالَّذِينَ
 كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نُتَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ ﴾ .

وَفِي كِتَابِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ بُرَيْدَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى عَلِيَّ رَجُلًا خَاتِمًا مِنْ حَدِيدٍ ، فَقَالَ « مَا لِي
 أَرَى عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ النَّارِ » وَرَوَى حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ،
 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً
 مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ ، يَضَعُهَا عَلَى حَاجِبِهِ ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ ، ذُرِّيَّتُهُ
 خَلْفَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا بُورَهُ . وَهُمْ يُنَادُونَ : يَا بُورَهُمْ . حَتَّى يَقْفُوا
 عَلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَا بُورَهُ وَيَقُولُونَ : يَا بُورَهُمْ ، فَيُقَالُ ﴿ لَا تَدْعُوا
 الْيَوْمَ بُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا بُورًا كَثِيرًا ﴾ خَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تُتَبَّ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
 وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ،

عَنْ حَبِيبِ بْنِ الْمُغْفَلِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَا تَحْتِ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْأَزَارِ فِي النَّارِ » قَالَ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ الْمُرَادَ مَا تَحْتِ الْكَعْبِ مِنَ الْبَدَنِ وَالْثُّوبِ مَعًا ، وَأَنَّهُ يَسْحَبُ ثَوْبَهُ فِي النَّارِ ، كَمَا كَانَ يَسْحَبُهُ فِي الدُّنْيَا خِيَلَاءَ ، وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ ، مِنْ حَدِيثِ الْمُسْتَوْرِدِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فِي الدُّنْيَا ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِثْلَهَا فِي جَهَنَّمَ ، وَمَنْ كَسَى أَوْ اكْتَسَى بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ ثَوْبًا ، كَسَاهُ اللَّهُ مِثْلَهُ فِي جَهَنَّمَ » .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ . . .
 فَطَعَامُهُمْ نَارٌ وَشَرَابُهُمْ نَارٌ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارُ ﴾ وَلِبَاسُهُمْ نَارٌ ، وَمِهَادُهُمْ نَارٌ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ فَهُمْ بَيْنَ مَقْطَعَاتِ النَّيِّرَانِ ، وَسَرَائِيلِ الْقَطِرَانِ وَضُرْبِ الْمَقَامِعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ « لَوْ أَنَّ مَقَمَعًا مِنْ حَدِيدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ فَاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلَانُ مَا أَقْلَوْهُ مِنَ الْأَرْضِ » وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَوْ ضُرِبَ الْجَبَلُ بِمَقَمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ لَتَفَّتْ ثُمَّ عَادَ كَمَا كَانَ » .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ قَالَ يُضْرَبُونَ بِهَا ، فَيَقَعُ كُلُّ عَضْوٍ عَلَى حِيَالِهِ ، فَيَدْعُونَ بِالثُّبُورِ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ الْغَسَّاقُ مَا سَالَ مِنْ جُلُودِ

أهل النار، من القيح والصدید، وقال القرطبي هو عصارة أهل النار، وقال السدي هو الذي يسيل من دموع أهل النار، يسقونه مع الحميم، وقوله ﴿وآخر من شكله أزواج﴾ أي وعذاب آخر، أو مذوق آخر، أو نوع آخر، من شكل ذلك العذاب .

ومعنى (أزواج) أجناس وأنواع، وأشباه، ونظائر وقيل هو الزمهير، وقوله ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ الآية أي الأتباع داخلون معكم بشدة، والاقترام اللقاء في الشيء بشدة، فانهم يضربون بمقامع من حديد، حتى يقتحموها، بأنفسهم، خوفاً من تلك المقامع، فأخبر جلّ وعلا عن قيل أهل النار، بعضهم لبعض كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها .

فبدل السلام يتلاعنون، ويتكادبون، ويكفر بعضهم ببعض، فتقول الطائفة الأولى دخولاً للتي بعدها لا مرحباً بهم . . أي لا اتسعت منازلهم، في النار، والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم، وهذا إخبار من الله جلّ وعلا بانقطاع المودة بينهم وأن مودتهم في الدنيا تصير عداوة، كما قال في الآية الأخرى ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ .

فتأمل حال أولئك التّساء، الذين كان بعضهم يُملي لبعض في الضلال، كيف تناكروا، وتلاعنوا في جهنم، وأصبحوا يتقلبون في أنواع العذاب، ويعانون في جهنم ما لا تطيقه الجبال وما يفتت ذكره الأكباد، يقتحمون إلى جهنم إقتراماً .

ويتجلبجون في مضائقها، ويتحطمون في دركاتِها، ويضطربون بين غواشيتها، ويظفون بينها وبين حميمٍ إن، ولا تسأل عما يعانونه من ثقل السلاسل والأغلال، قال الله تعالى ﴿إذا الأغلال في أعناقهم

وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَا
الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٤٢﴾ .

وَقَالَ : ﴿٤٣﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٤٤﴾ فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ
أَنْوَاعٍ ، أَحَدُهَا الْأَغْلَالُ ، وَهِيَ فِي الْأَعْنَاقِ ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَقَالَ
مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿٤٥﴾ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ قَالَ مُقَرَّنِينَ فِي
الْقِيُودِ وَالْأَغْلَالَ ﴿٤٦﴾ .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ أَنَّهُ قَرَأَ قَوْلَهُ
تَعَالَى ﴿٤٧﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٤٨﴾ قَالَ تُشَدُّ أَيْدِيهِمْ
بِالْأَغْلَالِ فِي النَّارِ ، فَيَسْتَقْبِلُونَ الْعَذَابَ بِوُجُوهِهِمْ ، قَدْ شُدَّتْ أَيْدِيهِمْ ،
فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَتَّقُوا بِهَا كُلِّ مَا جَاءَ نَوْعٌ مِنَ الْعَذَابِ ، يَسْتَقْبِلُونَ
بُجُوهِهِمْ وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ فَيْضِ بْنِ اسْحَاقَ عَنْ فَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ « إِذَا قَالَ
الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (خَذَوْهُ فَعُلُوهُ) تَبَدَّرَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ ، كُلُّهُمْ يَتَبَدَّرُ
أَيْهِمْ يَجْعَلُ الْغِلَّ فِي عُنُقِهِ ، النَّوْعُ الثَّانِي الْأَنْكَالُ ، وَهِيَ الْقِيُودُ قَالَهُ ابْنُ
عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَطَاوُوسُ وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ وَغَيْرُهُمْ .

وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ قِيُودٌ لَا تُحَلُّ وَاللَّهُ أَبَدًا ، وَرَوَى أَبُو سِنَانَ عَنْ
الْحَسَنِ أَمَا وَعِزَّتْهُ مَا قَيْدُهُمْ مَخَافَةٌ أَنْ يُعْجِزُوهُ ، وَلَكِنْ قَيْدُهُمْ لِتَرْسَى فِي
النَّارِ . اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ ، وَأَرْشِدْنَا بِرُشْدِكَ إِلَى السَّمِيِّ
فِيمَا يُرْضِيكَ ، وَأَجْرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ ، وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَ
لِأَوْلِيَانِكَ وَأَحِبَّابِكَ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَفِنَا عَذَابَ
النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شعرا : لَوْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ أَهْلَ الشَّقَا فِي النَّارِ قَدْ غَلُّوا وَقَدْ طَوَّقُوا
تَقُولُ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فِي لُجَجِ الْمُهْلِ وَقَدْ أُغْرِقُوا
قَدْ كُنْتُمْ حُذْرْتُمْ حَرْهَهَا لَكِنْ مِنَ النَّيْرَانِ لَمْ تَفْرُقُوا
وَجِيءَ بِالنَّيْرَانِ مَزْمُومَةً شَرَّارَهَا مِنْ حَوْلِهَا مُحْدِقُ
وَقِيلَ لِلنَّيْرَانِ أَنْ أَحْرِقِي وَقِيلَ لِلْحُزَّانِ أَنْ أَطْبِقُوا
وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِي جَنَّةٍ قَدْ تُوْجُو فِيهَا وَقَدْ مُنْطَقُوا
تَدَبَّرُوا كَمْ بَيْنَهُمْ إِخْوَتِي ثُمَّ أَجِيلُوا فِكْرَكُمْ وَانْتَقُوا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ
اللَّهِ الْمَوْقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ ﴾ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطَبِيُّ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ ﴾ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَى فُؤَادِهِ فَإِذَا بَلَغَتْ فُؤَادَهُ
أُنشِئَ خَلْقُهُ .

وَعَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ تُحْرِقُهُمْ إِلَى الْأَفْنِدَةِ
وَهُمْ أَحْيَاءُ ، لَقَدْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ يَبْكِي .
وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ
أَدْخَلَهُمْ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ عَلَيْهِمْ بَعِمَادٍ فِي أَعْنَاقِهِمُ السَّلَاسِلُ فَسَدَّتْ بِهَا
الْأَبْوَابُ ﴾ .

اللَّهُمَّ اقْبَلْ تَوْبَتَنَا وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا وَأَجِبْ دَعْوَتَنَا وَثَبِّتْ حُجَّتَنَا وَاهْدِ
قُلُوبَنَا وَسَدِّدْ سِنَّتَنَا وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قُلُوبِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تُسَلِّكُ فِي دُبُرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ مِخْرَجِهِ حَتَّى لَا يَقُومَ عَلَى

رَجْلَيْهِ وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلْسِلَةُ تُدْخَلُ فِي اسْتِهِ ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ ، ثُمَّ يُنْظَمُونَ فِيهَا كَمَا يُنْظَمُ الْجَرَادُ فِي الْعُودِ ، حِينَ يُشَوَى خَرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وَقَالَ جُوَيْرُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ قَالَ يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ .

وَقَالَ السُّدِّيُّ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ - : يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَةِ الْكَافِرِ وَقَدَمَيْهِ ، فَتُرَبِّطُ نَاصِيَتُهُ بِقَدَمَيْهِ وَظَهْرِهِ ، وَيُقْتَلُ ، وَذَكَرَ الْأَعْمَشُ عَنْ جَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ، يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ وَيُكْسَرُ ظَهْرُهُ ، كَمَا يُكْسَرُ الْحَطْبُ فِي التَّنُّورِ . وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ عَنْ أَبِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « تَشْوِيهِ النَّارُ ، فَتَقْلُصُ شَفْتَهُ الْعُلْيَا ، حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ ، وَتَسْتَرُخِي شَفْتَهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ » خَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ وَقَالَ (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قَالَ عَطَاءٌ يُرْمَى بِهِ فِي النَّارِ مَنْكُوسًا فَأَوَّلُ شَيْءٍ مِنْهُ تَمَسُّهُ النَّارُ وَجْهَهُ . .

وَقَدْ أُجْرِيَ اللَّهُ الْعَادَةَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَقِي وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ وَجِسْمِهِ فَأَمَّا هُنَا فَهُوَ لَا يَمْلِكُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ النَّارَ بِيَدَيْهِ وَلَا بِرَجْلَيْهِ فَيُدْفَعُهَا بِوَجْهِهِ ، وَيَتَّقِي بِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْأَضْطِرَابِ فَمُجْرَدُ تَصَوُّرِهِ يُزْعَجُ وَيُقَلِّقُ وَيُفْرِعُ .

وَفِي زَحْمَةٍ هَذَا الْعَذَابُ يَتَلَقَّى التَّوْبِيخَ ، وَالتَّانِيْبَ ، وَتُدْفَعُ إِلَيْهِ حَصِيلَةُ حَيَاتِهِ ، وَيَا لَهَا مِنْ حَصِيلَةٍ ، (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (نُمِتَّعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْتُمُوهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى) قَالَ (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .

اللهم نور قلوبنا بنور الايمان ووقفنا لمحببتك ومحبة من يحبك والهمننا ذكرك
وشكرك واجعلنا من عبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

قَدْ أُمَسَّتِ الطَّيْرُ وَالْأَنْعَامُ أَمِنَةً
وَالنُّونُ فِي الْبَحْرِ لَمْ يُخْبَأَ لَهَا فَرْعُ
وَالْأَدَمِيُّ بِهَذَا الْكَسْبِ مُرْتَهَنُ
لَهُ رَقِيبٌ عَلَى الْأَسْرَارِ يَطَّلِعُ
إِذَا النَّبِيُّونَ وَالْأَشْهَادُ قَائِمَةٌ
وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالْأَمْلَاقُ قَدْ خَشَعُوا
وَطَارَتِ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَةً
فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطْلَعُ
فَكَيْفَ سَهْوُكَ وَالْأَنْبَاءُ وَاقِعَةٌ
عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَذْرِي بِمَا تَقَعُ
أَفِي الْجِنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ
أَمْ الْجَحِيمِ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ
تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ
إِذَا رَجَعُوا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضْرَعُهُمْ
هَيْهَاتَ لَا رِقَّةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ

قد سأل قومٌ بها الرجعى فما رجعوا
اللهم أئتمم علينا نعمتك الوافية وأرزقنا الاخلاص في أعمالنا والصدق
في أقوالنا وعُد علينا باصلاح قلوبنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ يَوْمَ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرَاءَ ، يَقَعُ فِيهِ
 الْفِرَاقُ وَتَنْفِصُمُ فِيهِ الْعُرَى ، فَتَدْبِرُوا أَمْرَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَحْضُرُوا ، وَأَنْظُرُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ نَظْرَ مَنْ قَدْ فَهَمَ وَدَرَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا
 عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ يَشِيبُ فِيهِ الْوِلْدَانَ ، وَتَسِيرُ فِيهِ
 الْجِبَالُ ، وَتَظْهَرُ فِيهِ الْخَفَايَا ، وَتَنْطِقُ فِيهِ الْأَعْضَاءُ ، شَاهِدَةٌ
 بِالْأَعْمَالِ ، فَانْتَبِهْ يَا مَنْ قَدْ وَهَى شَبَابُهُ ، وَامْتَلَأْ بِالْأَوْزَارِ كِتَابِيهِ ، عِبَادَ
 اللَّهِ ، أَمَا بَلَّغْتُكُمْ أَنَّ النَّارَ لِلْكَفَّارِ وَالْعُصَاةِ أُعِدَّتْ ، إِنَّهَا لَتُحْرَقُ كُلَّ مَا
 يُيْلَقَى فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفورُ
 تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ
 صُفْرٌ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ ، أَمَا بَلَّغْتُكُمْ أَنَّ طَعَامَ أَهْلِهَا الزَّقُومُ ، وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ ،
 قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُومِ قَطَرَتْ فِي الْأَرْضِ
 لَأَمَرْتُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ » فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ ، لَا طَعَامَ لَهُ
 غَيْرُهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْإِثْمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي
 الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا
 بِشِيرُ بْنُ طَلْحَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الدَّرِيكِ عَنْ يَعْلَى بْنِ مِينَةَ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يُنْشِئُ اللَّهُ لِأَهْلِ النَّارِ سَحَابَةً سَوْدَاءَ
 مُظْلِمَةً ، فَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُونَ ، فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَابَةً
 الدُّنْيَا ، فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا الشَّرَابَ ، فَتُمْطِرُ أَغْلَالًا تَزِيدُ فِي أَغْلَالِهِمْ ،
 وَسَلْسِلَ تَزِيدُ فِي سَلْسِلِهِمْ ، وَجَمْرًا يَلْتَهُبُ عَلَيْهِمْ » .

شعرا :

مِثْلُ وَقُوفِكَ أَيُّهَا لَمَغْرُورُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءِ تَمُورُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ بِمَوْقِفِ
فَرْدًا وَجَاءَكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ بِمَوْقِفِ
فَرْدًا ذَلِيلًا وَالْحِسَابُ عَسِيرُ
وَتَعَلَّقْتَ فِيكَ الْخُصُومُ وَأَنْتَ فِي
يَوْمِ الْحِسَابِ مُسْلَسَلٌ مَجْرُورُ
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكَ الْجُنُودُ وَأَنْتَ فِي
ضَيْقِ الْقُبُورِ مُوسَّدٌ مَقْبُورُ
وَوَدِدْتَ أَنْكَ مَا وَلَيْتَ وَلَايَةً
يَوْمًا وَلَا قَالَ الْأَنَامُ أَمِيرُ
وَبَقِيتَ بَعْدَ الْعِزِّ رَهْنَ حَفِيرَةٍ
فِي عَالَمِ الْمَوْتِ وَأَنْتَ حَقِيرُ
وَحُشِرْتَ عَرِيَانًا حَزِينًا بَاكِيًا
قَلْبًا وَمَا لَكَ فِي الْأَنَامِ مُجِيرُ
أَرْضِيْتَ أَنْ تَحْيَا وَقَلْبِكَ دَارِسُ
عَافِي الْخَرَابِ وَجِسْمِكَ الْمَعْمُورُ
أَرْضِيْتَ أَنْ يُحْطَى سِوَاكَ بِقُرْبِهِ
أَبْدًا وَأَنْتَ مُعَذَّبٌ مَهْجُورُ
مَهْدٌ لِنَفْسِكَ حُجَّةٌ تَنْجُو بِهَا
يَوْمَ الْمَعَادِ وَيَوْمَ تَبْدُو الْعُورُ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحُ وَنَبِّهَنَا مِنْ رَقَدَاتِ
 الْغَفْلَاتِ فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُسَامِحُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ
 وَأَرْزُقْنَا مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ مَنْ يُحِبُّكَ وَبُغْضَ مَنْ يُعَادِيكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (فَصْل)

ثُمَّ تَفَكَّرْ عَافَانَا اللَّهُ وَايَاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَدِمِ الْفِكْرَ فِي
 جَهَنَّمَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ كَمَا أَخْبَرَ جَلُّ وَعَلَا ، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ
 (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ
 مَقْسُومٌ) . . وَخَرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ لِي جَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ
 سَيْفَهُ عَلَى أُمَّتِي » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
 لِعُمَرَ « أَنَّ لِلنَّارِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ مَا مِنْهُمْ بَابَانِ إِلَّا وَبَسِيرُ الرَّكْبِ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ
 عَامًا » ، خَرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَالتُّطْبَرَانِيُّ
 وَالتَّحَاكُمُ وَغَيْرُهُمْ .

وَخَرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ حَطَّانِ الرَّقَاشِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ :
 هَلْ تَذَرُونَ كَيْفَ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ؛ قُلْنَا هِيَ مِثْلُ أَبْوَابِنَا هَذِهِ ، قَالَ لَا هِيَ
 هَكَذَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَفِي رَوَايَةٍ لَهُ بَعْضُهَا أَسْفَلَ مِنْ بَعْضٍ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا

فَتَحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٠٠﴾ فَتَأَمَّلْ حَالَهُ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ الْكُفَّارِ كَيْفَ يُسَاقُونَ سَوْقًا عَنيفًا إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، بِزَجْرٍ وَتَوْبِيخٍ ، وَتَقْرِيعٍ وَتَهْدِيدٍ ، وَوَعِيدٍ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴾ أَيُّ يُدْفَعُونَ إِلَيْهَا دَفْعًا هَذَا وَهُمْ عَطَاشٌ ظِمَاءٌ جِيَاعٌ نَصَبُونَ وَجِلُونَ قَدْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْخَوْفُ وَالرُّعْبُ كُلُّ مَبْلَغٍ . قَالَ تَعَالَى ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ وَهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ صُمٌّ وَبُكْمٌ وَعُمِّيٌّ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

وَرَوَى مَخْلَدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ ، قَالَ خَرَجْنَا حُجَّاجًا فَتَرَلْنَا مَنَزَلًا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، فَقَرَأَ رَجُلٌ مَعَنَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ فَسَمِعَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : أَعِدْ رَحِمَكَ اللَّهُ . فَأَعَادَهَا فَقَالَتْ : خَلَفْتُ فِي الْبَيْتِ سَبْعَةَ أَعْبُدُ ، أَشْهَدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ ، لِكُلِّ بَابٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ . خَرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

شعراً :

يا غافلاً عن مآيا ساقها القدر
 ماذا الذي بعد شيب الرأس تتنظر
 عاين بقلبك إن العين غافلة
 عن الحقيقة واعلم أنها سقر

سَوْدَاءُ تَزْفُرُ مِنْ غَيْظٍ إِذَا سَعِرَتْ
 لَلظَّالِمِينَ فَمَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرَ الْمَوْتِ مَوْعِظَةٌ
 لَكَانَ فِيهِ عَنِ اللَّذَاتِ مُزْدَجَرُ

آخر:

أَسْأَلُكَ بُنَيَّ مَنَاهِجَ السَّادَاتِ وَتَحَلَّقَنَّ بِأَشْرَفِ الْعَادَاتِ
 لَا تُلْهِئَنَّكَ عَنْ مَعَادِكَ لُدَّةٌ تَفْنَى وَتُورِثُ دَائِمَ الْحَسَرَاتِ
 وَإِذَا اتَّسَعَتْ بَرِّزِقِ رَبِّكَ فَاجْعَلْنِي مِنْهُ الْأَجَلَ لِأَوْجِهِ الصَّدَقَاتِ
 وَارْعَ الْجَوَارِ لِأَهْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِقَضَاءِ مَا طَلَبُوا مِنَ الْحَاجَاتِ

قال الضحاك في قول الله تعالى ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ هي سبعة
 أدراكٍ بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يُعَذَّبُونَ عَلَى قَدْرِ
 ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يُخْرَجُونَ والثاني فيه النَّصَارَى والثالث فيه اليهود والرابع
 الصَّابِئُونَ ، والخامس فيه المَجُوسُ ، والسادس فيه مشركوا العرب
 والسابع فيه المنافقون .

وعن ابن جريج في قوله تعالى ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال أولها
 جَهَنَّمُ ثُمَّ لَظَى ثُمَّ الْحُطْمَةُ ثُمَّ السَّعِيرُ ثُمَّ سَقَرُ ثُمَّ الْجَحِيمُ وفيها أبو جهل
 ثم الهاوية خرج ابن أبي الدنيا وغيره ، وقد وصف الله الأبواب بأنها
 مُعَلَّقةٌ عَلَيْهِمْ ، فقال ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ﴾ وقال تعالى ﴿عَلَيْهِمْ نَارُ
 مُؤَصَّدَةٌ﴾ قال مقاتل : يعني أبوابها مُطَبَّقةٌ عَلَيْهِمْ ، فلا يُفْتَحُ لها بابٌ ،
 ولا يُخْرَجُ مِنْهَا غَمٌّ ، ولا يَدْخُلُ فِيهَا رَوْحٌ آخِرَ الْأَبَدِ .

وهذا الاطباق نوعان ، أحدهما خاص لمن يَدْخُلُ في النَّارِ أو مَنْ
 يُرِيدُ اللَّهُ التَّضْيِيقَ عَلَيْهِ ، أَجَارَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ ، قال أبو
 تَوْبَةَ اليزني إن في النار أقواماً مؤصدة عليهم ، كما يُطَبَّقُ الْحَقُّ عَلَى طَبَقِهِ ،
 خرج ابن أبي حاتم .

والثاني الإطباق العام وهو إطباق النار على أهلها المُخلدين فيها وقد قال سفيان وغيره في قول الله تعالى ﴿ لا يَخْرُجُ مِنْهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ قالوا هو طبق النار على أهلها .

وقال أبو الزعراء عن ابن مسعود : وإِذَا قِيلَ لَهُمْ (اِخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) . . . أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ .
وقال أبو عمران الجوني إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار عبيد ، وكل شيطان مريد ، وبكل من يخاف من شره العبيد ، فأوثقوا بالحديد ، ثم أمر بهم إلى جهنم التي لا تبيد ، ثم أوصدها عليهم ملائكة رب العبيد ، قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يدوقون فيها بارد شراب أبدا .

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن الكفار يحاولون الخروج ويرغمون على البقاء فيها .

قال تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ وقال تعالى ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ الآية فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من الشدة وأليم مس العذاب ولا سبيل لهم إلى ذلك ، كلما رفعهم اللهب فصاروا في أعلا جهنم ضربتهم الزبانية بمقامع الحديد فيردونهم إلى أسفلها .

وأخبر جل وعلا أنهم يطلبون منه الخروج منها فقال مخبرا عما قالوا « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » . والجواب على ذلك يقول .

الرَّبُّ جَلٌّ وَعَلَا اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلَّمُونَ .

أَمَّا نِيَهُمْ فِيهَا الْهَلَاكُ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ فِكَأَكُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا) .

وَقَالَ ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ وَقَالَ ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ وَقَالَ ﴿ أُولَئِكَ يَتَسَوَّأُونَ مِنْ رَحْمَتِي ﴾ وَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ وَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ وَقَالَ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ .

وَمِنَ السُّنَّةِ مَا خَرَّجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُ مُؤَدَّنٌ بَيْنَهُمْ يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ كُلُّ خَالِدٍ بِمَا هُوَ فِيهِ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُذْبَحُ وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ وَأَبْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ قِيلَ لِأَهْلِ النَّارِ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ فِي النَّارِ عَدَدَ كُلِّ حَصَاةٍ فِي الدُّنْيَا لَفَرِحُوا وَلَوْ قِيلَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ

في الجنة عَدَدَ كُلِّ حَصَاةٍ لَحَزْنُوا وَلَكِنْ جُعِلَ لَهُمُ الْآبَدُ « هذا مما يدل على عدم فناء النار وبقاء أهلها فيها يتقلبون في أنواع العذاب لا راحة ولا نوم ، ولا هدوء ولا فرار لهم ، بل من عذاب إلى آخر ، ولكل واحد منهم حد معلوم ، على قدر عصيانه وذنبه ، إلا أن أقلهم لو عرضت عليه الدنيا بحدافيرها لا افتدى بها من شدة ما هو فيه ، قال صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة يتعلب بتعلين من نار يغلي دماغه » من حرارة نعليه فانظر الآن إلى من خفف عليه ، واعتبر بمن شدد عليه العذاب ، ممن يسحبون على وجوههم في النار، ويقال لهم ذوقوا مس سقر ، وقال ساصيله سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تدر ، أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ، ثم تبدل غير ذلك .

وقال تعالى « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول » قال قتادة قال ابن عباس (صعوداً) صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه صلى الله عليه وسلم وعلى آل وصحبه أجمعين .

مَوْعِظَةٌ

عباد الله عليكم بتقوى الله ، فإن تقواه عروة ماله انضمام وقدوة يأتى بها الكرام ، وسراج يضيء للأفهام ، من تعلق بها حمته بإذن الله محذور العاقبة ، ومن تحقق بحملها وقته بإذن الله شرور كل نائبة ، والحدز من دار فرقة ماله أسلاف ، وقرار حرقه ماله انصراف ، وأمانى رجعة ماله إسعاف ، فانهضوا عباد الله في استعمال ما يقربكم من دار القرار ، واتركوا كل ما يذنبكم من دار البوار ، فإنها المصيبة الجامعة

وَالْعُقُوبَةُ الْوَاقِعَةُ ، يَا لَهَا دَارٌ انْقَطَعَ مِنَ الرَّجَاءِ انْجِلَالُهَا وَأَمْتَنَعَ مِنَ
الْفَنَاءِ بَقَاءُ نِكَالِهَا ، وَشِعَارُ أَهْلِهَا الْوَيْلَ الطَّوِيلَ ، وَدَثَارُهُمُ الْبُكَاءُ
وَالْعَوِيلُ ، وَسَرَابِيلُ الْخَزْيِ الْوَبِيلُ ، وَمَقِيلُهُمُ الْهَائِيَةُ ، وَبَسَسَ الْمَقِيلُ ،
يُقَطِّعُ مِنْهُمْ الْحَمِيمَ أَمْعَاءَ طَالَمَا وَلَعَتْ بِأَكْلِ الْحَرَامِ ، وَتَضَعُضُ مِنْهُمْ
الْجَحِيمَ أَعْضَاءَ طَالَمَا أُسْرَعَتْ إِلَى اكْتِسَابِ الْآثَامِ قَدْ كَثُرَ مِنْهُمْ الْإِنْسُ ،
وَحَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ فَجَلُودُهُمْ كُلَّمَا نَضِجَتْ بَدَلَتْ جُلُودًا غَيْرَهَا ، وَكُرَّرَ
عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ ، وَوُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ لِسُوءِ الْحِسَابِ ، وَالرَّبَّانِيَةُ تَقْمَعُهُمْ
فَيَذُوقُونَ أَلِيمَ الْعِقَابِ ، يُنَادُونَ إِلَهَا ضَيِّعُوا أَوَامِرَهُ وَارْتَكَبُوا نَوَاهِيَهُ وَنَسُوهُ ،
وَحَقَّ عَلَيْهِمْ فِي الْأَجَلَةِ حُكْمُهُ لَمَّا أَعْضَبُوهُ يَقُولُونَ « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ
عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾
فَيَجِيئُهُمْ بَعْدَ حِينٍ إِجَابَةٌ دَعْوَةِ ذِي قُوَّةٍ مَتِينٍ ﴿ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا
تُكَلِّمُونَ ﴾ فَحِينَئِذٍ يَنْقَطِعُ عِنْدَهَا وَاللَّهُ تَأْمِيلُ الْمُنْذِرِينَ وَيَجْتَمِعُ التَّنْكِيلُ
عَلَى الْمُنْذِرِينَ وَيَرْتَفِعُ فِي جَهَنَّمَ عَوِيلُ الْمُجْرِمِينَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا
فَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَيَا
لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ لَا تُشْبِهُهَا نَدَامَةٌ وَيَا لَهَا مِنْ خَسَارَةٍ لَا تُعَادِلُهَا خَسَارَةٌ ﴿ قُلْ
إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ
الْخِسْرَانُ الْمَبِينُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَشَرِّ الدُّنْيَا وَالْهَوَى وَنَعُوذُ بِكَ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: إِنَّ كُنْتُ تَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ فَهَاتِ
كَمْ مِنْ أَبِي لَكَ صَارَ فِي الْأَمْوَاتِ

مَا أَقْرَبَ الشَّيْءَ الْجَدِيدَ مِنَ الْبَلَى
يَوْمًا وَأَسْرَعَ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ
اللَّيْلُ يَعْمَلُ وَالنَّهَارُ وَنَحْنُ عَمَّ
مَا يَعْمَلَانِ بِأَغْفَلِ الْغَفَلَاتِ
يَا ذَا الَّذِي اتَّخَذَ الزَّمَانَ مَطِيَّةً
وخطَا الزَّمَانَ كَثِيرَةً الْعَثَرَاتِ
مَاذَا تَقُولُ وَلَيْسَ عِنْدَكَ حُجَّةٌ
لَوْ قَدْ أَتَاكَ مُنْغِصُ اللَّذَاتِ
أَوْ مَا تَقُولُ إِذَا سُئِلْتَ فَلَمْ تُجِبْ
وَإِذَا دُعِيتَ وَأَنْتَ فِي الْغَمَرَاتِ
أَوْ مَا تَقُولُ إِذَا حَلَلْتَ مَحَلَّةً
لَيْسَ الثِّقَاتُ لِأَهْلِهَا بِثِقَاتِ
أَوْ مَا تَقُولُ وَلَيْسَ حُكْمُكَ نَافِذًا
فِيمَا تُخَلِّفُهُ مِنَ التَّرِكَاتِ
مَا مِنْ أَحَبِّ رِضَاكَ عَنكَ بِخَارِجٍ
حَتَّى تَقَطَّعَ نَفْسُهُ حَسَرَاتِ
زُرْتُ الْقُبُورَ قُبُورَ أَهْلِ الْمُلْكِ فِي الدُّ
دُنْيَا وَأَهْلِ الرَّتَعِ فِي الشَّهَوَاتِ
كَانُوا مُلُوكَ مَآكِلٍ وَمَشَارِبِ
وَمَلَابِسِ وَرَوَائِحِ عَطِرَاتِ

فَإِذَا بِأَجْسَادٍ عَرِينٍ مِنَ الْكِسَا
 وَبِأُوجِهٍ فِي التُّرْبِ مُنْعَفِرَاتٍ
 لَمْ تَبْقَ مِنْهَا الْأَرْضُ غَيْرَ جَمَاجِمٍ
 بِبَيْضِ تَلُوحٍ وَأَعْظَمِ نَخِرَاتٍ
 إِنَّ الْمَقَابِرَ مَا عَلِمْتُ لَمَنْظُرٍ
 يَهْدِي الشَّجَا وَيُهَيِّجُ الْعَبْرَاتِ
 سُبْحَانَ مَنْ قَهَرَ الْعِبَادَ بِقُدْرَةٍ
 بَارِي السُّكُونِ وَنَاشِرِ الْحَرَكَاتِ

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَاسْتُرْ عُيُونَنَا وَأَمِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمِ بِالصَّالِحَاتِ
 أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل :

فَتَفَكَّرْ يَا أَخِي فِي حَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ عَرِيَتْ مِنْ اللَّحْمِ عِظَامُهُمْ
 فَبَقِيَتْ الْأَرْوَاحُ مَنْوُطَةً بِالْعُرُوقِ وَعَلَائِقِ الْعَصَبِ وَهِيَ تَنْشُرُ فِي لَفْحِ تِلْكَ
 النَّيِّرَانِ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنُّونَ الْمَوْتَ ، فَلَا يَمُوتُونَ ، فَكَيْفَ بِكَ أَيُّهَا
 الْعَاصِي لَوْ نَظَرْتَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ ، وَقَدْ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ،
 وَأَعْمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ ، وَأَبْكِمَتْ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَقُصِمَتْ ظُهُورُهُمْ ،
 وَكُسِرَتْ عِظَامُهُمْ ، وَجُدِّعَتْ أَنْفُسُهُمْ ، وَأَذَانُهُمْ ، وَمُزَقَّتْ جُلُودُهُمْ ،
 وَغُلَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ وَجُمِعَ بَيْنَ نَوَاصِيهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ وَلَهَيْبُ النَّارِ سَارٍ
 فِي بَوَاطِنِهِمْ وَحَيَاتُ جَهَنَّمَ وَعِقَارُهَا مُتَشَبِّهُةٌ بِظَوَاهِرِهِمْ .

ثم انظر في أودية جهنم ، وشعابها ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « وَبِلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ » رواه أحمد والترمذي إلا أنه قال وادٍ بين جبلين يهوي فيه الكافر سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه « فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » قال وادٍ في جهنم يُقَدَّفُ فِيهِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ رواه الطبراني والبيهقي .

وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ أَوْ وَادِي الْحَزَنِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا جُبُّ الْحَزَنِ أَوْ وَادِي الْحَزَنِ قَالَ وادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّدُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْقَرَاءِ الْمُرَائِينَ رواه البيهقي باسناد حسن .

ثم انظر يا أخي وتأمل في قعر جهنم وظلماتها وتفاوت دركاتها فعن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان رضي الله عنه فقال إنه ذكر لنا أن الحاجر يلقى من سفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً والله لتملأه أفعجتكم رواه مسلم هكذا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أَتَدْرُونَ مَا هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ قَالَ هَذَا حَجَرٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ فِي جَهَنَّمَ مِنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَلَا نَ حِينَ أَنْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءٌ مَظْلَمَةٌ رَوَاهُ مَالِكٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَارُ بَنِ آدَمَ الَّتِي يُوقَدُونَ مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْأً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ قَالَ فَإِنَّهَا فَضِلَتْ بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْأً أَخْرَجَهُ مَالِكٌ وَمُسْلِمٌ وَزَادَ كُلُّهَا مِثْلَ حَرِّهَا وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْأً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَلَوْ لَا أَنَّهَا أُطْفِئَتْ بِالمَاءِ مَرَّتَيْنِ مَا انْتَفَعْتُمْ بِهَا وَإِنَّهَا لَتَدْعُوا اللَّهَ أَنْ لَا يُعِيدَهَا فِيهَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه .

وروى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّي أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَجَعَلَ لَهَا نَفْسَيْنِ نَفْسًا فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسًا فِي الصَّيْفِ فَشِدَّةٌ مَا يَجِدُونَ مِنَ البَرْدِ مِنْ زَمْهِرِهَا وَشِدَّةٌ مَا يَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ مِنْ سَمُومِهَا أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

اللهم ثَبِّتْنَا عِنْدَ نُزُولِ عَمْرَاتِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَخَفِّفْ عَنَّا شِدَّةَ كَرْبِ السِّيَاقِ وَغُصِّصِ السَّكْرَاتِ اللَّهُمَّ وَأَنْسِ وَحَشْتَنَا فِي القَبْرِ الضَّيْقِ العَطَنِ وَلَقْنَا جَوَابَ المَلِكِ المَوْكَلِ بِالفِتَنِ وَارْحَمْنَا عِنْدَ مُضَاجَعَةِ التُّرَابِ وَالدِّيدَانِ وَمُفَارَقَةِ الأهلِ وَالاخْوَانِ وَأَمَّا عِنْدَ طُلُوعِ هَوْلِ المَطْلَعِ الفِطْيَعِ وَبُلُوغِ صَوْتِ المُنَادِي إِلَى أُذُنِ كُلِّ سَمِيعٍ ، وَثَبَّتْ قُلُوبَنَا عِنْدَ تَقَلُّبِ القُلُوبِ إِذَا مَدَّ الصِّرَاطُ عَلَى النِّيْرَانِ وَتَطَايَرِ العُقُولِ إِذَا نُصِبَ المِيزَانُ وَمَتَعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيمِ يَا ذَا الفَضْلِ العَمِيمِ بِمِتِّكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمٌ وَاعْفِرْ لَنَا

وَلَوْلَا دِينُنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

ثُمَّ تَفَكَّرْ بِقَلْبِكَ ، وَأَلْقِ السَّمْعَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ
فِيهَا : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً ، غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ الآية وَقَوْلِهِ عَزَّ
مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذَا الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، رَبَّنَا
أَبْصُرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً ، إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَى
﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ : قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، فَهَلْ لَنَا مِنْ
شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ، أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، قَدْ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا
عَلَى النَّارِ فَقَالُوا : يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ، وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ، وَنَكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، قَالَ : أَلَيْسَ
هَذَا بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا ، قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾
الآيتين .

رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يُلْقَى الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ ، فَيَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ
الدُّمُوعُ ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَّ ، حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأَخْدُودِ ، وَلَوْ
أَرْسَلْتُ فِيهِ السُّفُنُ لَجَرَّتْ » خَرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ ، وَرَوَى سَلَامُ بْنُ مَسْكِينٍ ،
عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ النَّارِ
لَيَبْكُونَ الدُّمُوعَ فِي النَّارِ ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَّتْ ،

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيَكُونُونَ بِالْدَّمِ بَعْدَ الدَّمُوعِ ، وَلِمِثْلِ مَا هُمْ فِيهِ فَلَيْتِكَ . وَقَالَ صَالِحُ الْمَرِي : بَلَّغْنِي أَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَنْقَطِعَ أَصْوَاتُهُمْ ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا كَهَيْئَةِ الْأَيْنِ مِنَ الْمُدْنِفِ .

وَرَوَى الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ الدَّوْسِيِّ - وَاسْمُهُ ثَابِتٌ بْنُ شَرِيحٍ - عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ ، يَشْفِيَانِ الْقَلْبَ بِذُرُوفِ الدَّمُوعِ مِنْ خَشْيَتِكَ ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الدَّمْعُ دَمًا ، وَالْأَضْرَاسُ جَمْرًا » سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ الْمُحَارِبِيُّ ، وَحَدِيثُهُ مُرْسَلٌ ، وَرَوَى الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ أَيْضًا ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ : إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ ﴿ رَبِّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ ، يَبْكِيَانِ بِذُرُوفِ الدَّمُوعِ ، وَيَشْفِيَانِ مِنْ خَشْيَتِكَ ، قَبْلَ أَنْ يَعُودَ الدَّمْعُ دَمًا ، وَالْأَضْرَاسُ جَمْرًا » قَالَ : وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَاتَبُ فِي كَثْرَةِ الْبُكَاءِ ، فَيَقُولُ : دَعُونِي أَبْكِي قَبْلَ يَوْمِ الْبُكَاءِ ، قَبْلَ تَحْرِيقِ الْعِظَامِ ، وَاشْتِعَالِ اللَّحْيِ ، وَقَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِي ﴿ مَلَائِكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وَرَوَى يُونُسُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ ، قَالَ : إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : أَبْكِي نَفْسِي قَبْلَ يَوْمِ الْبُكَاءِ ، أَبْكِي نَفْسِي قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعُ الْبُكَاءُ ، ثُمَّ دَعَا بِجَمْرٍ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا حَرَّهُ رَفَعَهَا ، وَقَالَ : أَوْهَ لِعَذَابِ اللَّهِ ، أَوْهَ أَوْهَ ، قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ أَوْهَ .

وَرَوَى ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ ، قَالَ : كَانَ لِذَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا يَتَأَوَّهُ فِيهِ ، يَقُولُ أَوْهَ أَوْهَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ أَوْهَ ، قَالَ : فَذَكَرَهُ صَفْوَانُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجْلِسٍ ، فَبَكَى حَتَّى

غَلَبَهُ الْبُكَاءُ فَقَامَ . وَقَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاحِ الْأَنْصَارِيِّ ، سَمِعْتُ كَعْباً يَقُولُ : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ قَالَ : كَانَ إِذَا ذَكَرَ النَّارَ قَالَ أَوْهٌ مِنَ النَّارِ ، أَوْهٌ مِنَ النَّارِ وَالتَّأْوُهُ هُوَ التَّوَجُّعُ ، وَالتَّحَزُّنُ قَالَ الْمُثَقَّفُ الْعَبْدِيُّ .

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بَلِيلٍ
تَأْوُهُ آهَةٌ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

وَفِي حَدِيثِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ قَالَ « فَيَقُولُونَ ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ ، فَيَقُولُونَ ﴿ أَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ ، قَالُوا بَلَى ، قَالُوا فَادْعُوا ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا مَالِكاً ، فَيَقُولُونَ ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ ﴾ قَالَ الْأَعْمَشُ : نُبِئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ لَهُمْ أَلْفُ عَامٍ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ ادْعُوا رَبُّكُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ خَيْرًا مِنْ رَبِّكُمْ فَيَقُولُونَ ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ، وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنَّ عَدُوَّنَا إِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ قَالَ : فَيُجِيبُهُمْ ﴿ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴾ قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَسَوَّأُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الْحَسْرَةِ وَالزَّفِيرِ وَالْوَيْلِ . . . خَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مَرْفُوعاً ، وَمَوْقُوفاً عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ .

وَرَوَى أَبُو مَعْشَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ قَالَ : لِأَهْلِ النَّارِ خَمْسُ دَعَوَاتٍ ، يُكَلِّمُونَ فِي أَرْبَعٍ مِنْهَا ، وَيُسَكِّتُ عَنْهُمْ فِي الْخَامِسَةِ فَلَا يُكَلِّمُونَ ، يَقُولُونَ ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ، فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ،

فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿ فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ ﴾ ذَلِكُمْ بَأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ، وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ ﴾ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿ فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴿ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِينَ ، ثُمَّ يَقُولُونَ ﴾ رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، نُحِبِّ دَعْوَتَكَ ، وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴿ فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ ﴾ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ ﴾ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿ فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ ﴾ أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ ﴾ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ، وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿ فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ ﴾ قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴾ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿ قَالَ فَلَا يَتَكَلَّمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ . اخْرَجَهُ آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ :

قال ابن القيم رحمه الله

فَيَاسَاهِيَا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
صَرِيحَ الْأَمَانِيِّ عَنِ قَرِيبٍ سَتَدْمُ
أَفَوْ قَدْ دَنَى الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضُرُّ
وَبِالْشُّنَّةِ الْغَرَاءِ كُنْ مُتَمَسِّكًا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تَقْصَمُ
تَمَسِّكَ بِهَا مَسْكُ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ
وَعَضُّ عَلَيْهَا بِالنُّوَاجِدِ تَسْلَمُ
وَدَعُ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا
فَمَرَّتْ هَاتِيكَ الْحَوَادِثُ أَوْحَمُ

وَهِيَءَ جَوَاباً عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا
 مِنْ اللّهِ يَوْمَ العَرَضِ مَاذَا أَجَبْتُمْ
 بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ
 أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيَنْدَمُ
 وَخُذْ مِنْ تَقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ
 لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عِيَاناً جَهَنَّمَ
 وَيُنْصَبُ ذَاكَ الجَسْرُ مِنْ فَوْقَ مَتْنِهَا
 فَهَآؤِ وَمَخْدُوشُ وَنَاجٍ مُسَلِّمٌ
 وَيَأْتِي إِلَهُ العَالَمِينَ لِوَعْدِهِ
 فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَادِ وَيَحْكُمُ
 وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبِّكَ حَقَّهُ
 فَيَأْبُوسَ عَبْدٍ لِلْخَلَائِقِ يَظْلِمُ
 وَيُنْشُرُ دِيْوَانَ الحِسَابِ وَتُوضَعُ الـ
 مَوَازِينُ بِالقِسْطِ الذِي لَيْسَ يَظْلِمُ
 فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ
 وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
 وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ المُسِيءِ بِمَا جَنَى
 كَذَلِكَ عَلَى فِيهِ المُهَيِّمُنُ يَخْتَمُ
 فَيَأْتِي شِعْرِي كَيْفَ حَالِكَ عِنْدَمَا
 تَطَايِرُ كُتُبُ العَالَمِينَ وَتُقَسَّمُ

أَتَأْخُذُ بِالْيُمْنَى كِتَابِكَ أَمْ تَكُنْ
 بِالْآخِرَى وَرَاءَ الظَّهِرِ مِنْكَ تَسْلَمُ
 وَتَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ
 فَيُشْرَقُ مِنْكَ الْوَجْهُ أَوْ هُوَ يُظْلَمُ
 تَقُولُ كِتَابِي فَأَقْرؤُهُ فَإِنَّهُ
 يُبَشِّرُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَيُعْلِمُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ
 أَلَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ
 فَبَادِرُ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمُرِ فُسْحَةٌ
 وَعَدُّ لَكَ مَقْبُولٌ وَصَرْفُكَ قِيَمٌ
 وَجُدٌّ وَسَارِعٌ وَاعْتَنِمْ زَمَنَ الصَّبَا
 فِي زَمَنِ الْأَمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ
 وَسِرٌّ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا
 وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌ وَمَهْزَمٌ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوَةَ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ
 وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَالْهَيْمَنَةَ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى
 وَجْهِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمُ يَا كَرِيمُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فِي الثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتَبَشِيرِهِمْ ، وَتَبَكُّيْتِ أَهْلِ النَّارِ ،
 وَتَقْرِيعِهِمْ عَلَى إِهْمَالِهِمْ وَتَفْرِيطِهِمْ .

رَوَى صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ : سَمِعْتُ أَيْفَعَ بْنَ عَبْدِ الْكَلَاعِي يَقُولُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، قَالَ اللَّهُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ﴿ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ قَالَ : نَعَمْ مَا اتَّجَرْتُمْ فِي يَوْمٍ أَوْ بَعْضِ يَوْمٍ ، رَحْمَتِي وَرِضْوَانِي وَجَنَّتِي ، اُمُكُّوْا فِيهَا خَالِدِينَ مُخَلَّدِينَ . ثُمَّ يَقُولُ لِأَهْلِ النَّارِ ﴿ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فَيَقُولُ بِئْسَ مَا اتَّجَرْتُمْ فِي يَوْمٍ أَوْ بَعْضِ يَوْمٍ سَخَطِي وَمَعْصِيَتِي وَنَارِي ، اِمُكُّوْا فِيهَا خَالِدِينَ مُخَلَّدِينَ ، فَيَقُولُونَ ، ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فَيَقُولُ ﴿ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوا ﴾ فَيَكُونُ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِهِمْ بِكَلَامِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ « خَرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ ، وَقَالَ : كَذَا رَوَاهُ أَيْفَعُ مَرْسَلًا .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً ، فَيُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ ، فَيُقَالُ : اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُخْرَجُ ، فَيُقَالُ : أَيُّ فَلَانٍ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضَرَرًا وَبِلَاءً ، فَيُقَالُ : اغْمِسُوهُ

في الجنة غَمَسَةً ، فَيَغْمَسُ فِيهَا غَمَسَةً ، فَيُقَالُ لَهُ : أَيُّ فَلَانٍ هَلْ أَصَابَكَ
ضَرْ وَبَلَاءٌ فَيَقُولُ : لَا مَا أَصَابَنِي ضَرْ قَطُّ وَلَا بَلَاءٌ .

قال ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَأَعْظَمُ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ حِجَابُهُمْ عَنِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْهُ ، وَأَعْرَاضُهُ عَنْهُمْ ، وَسَخَطُهُ عَلَيْهِمْ ، كَمَا
أَنَّ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ نَعِيمِ الْجَنَّةِ ، وَتَجَلِّيهِ
لَهُمْ ، وَرُؤْيُيَتُهُمْ إِيَّاهُ ، أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ،
ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ فَذَكَرَ تَعَالَى لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ
العَذَابِ ، حِجَابُهُمْ عَنْهُ ، ثُمَّ صَلَّى لَهُمُ الْجَحِيمِ ، ثُمَّ تَوْبِيخُهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ بِهِ
فِي الدُّنْيَا ، وَوَضْفِهِمْ بِالرَّانِ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَهُوَ صَدَأُ الذُّنُوبِ الَّذِي
اسْوَدَّتْ بِهِ قُلُوبِهِمْ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ
اللَّهِ ، وَلَا مِنْ إِجْلَالِهِ وَمَهَابَتِهِ ، وَخَشْيَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، فَكَمَا حُجِبَتْ قُلُوبُهُمْ
فِي الدُّنْيَا عَنِ اللَّهِ ، حُجِبُوا فِي الآخِرَةِ عَنْ رُؤْيَيْهِ ، وَهَذَا بِخِلَافِ حَالِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ، وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا هُمْ أَهْلُ الْإِحْسَانِ وَالْإِحْسَانُ « أَنْ
تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ » كَمَا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَأَلَهُ
عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَعَلَ جَزَاءَ الْإِحْسَانِ الْحُسْنَى - وَهُوَ الْجَنَّةُ -
وَالزِّيَادَةُ - وَهِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا فَسَّرَهُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي حَدِيثٍ صَهِيحٍ وَغَيْرِهِ . انتهى .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ
اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمْنَا
مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِلوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :
 أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِي الْإِيمَانِ
 يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعْدٌ
 دُهُوٌّ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ
 قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا
 أَعْمَالَنَا ثَقَلْتَ فِي الْمِيزَانِ
 وَكَذَلِكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الْجَنَاتِ حِي
 تَأَجَّرْتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النَّيِّرَانِ
 فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آتَى أَنْ
 أُعْطِيكُمْوه بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي
 فَيَرُونَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ
 جَهْرًا رَوَى ذَا مُسْلِمٍ بِبَيَانِ
 وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحَيْنِ الَّذِي
 نِ هُمَا أَصْحُ الْكُتُبِ بَعْدَ قُرْآنِ
 بِرَوَايَةِ الثِّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ الرَّ
 بِجَلْبِي عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
 أَنَّ الْعِبَادَ يَرُونَهُ سُبْحَانَهُ
 رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
 فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاخْفَظُوا الرَّ
 بَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

ولقد رَوَى بِضَعٍ وَعَشْرُونَ امْرُوءًا
مِنْ صَحْبِ أَحْمَدِ خَيْرَةِ الرَّحْمَنِ
أَخْبَارَ هَذَا الْبَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى
بِالْوَحْيِ تَفْصِيلًا بِلَا كِتْمَانٍ
وَأَلْذُ شَيْءٍ لِلْقُلُوبِ فَهَذِهِ أَلْ—
أَخْبَارُ مَعَ أَمْثَالِهَا هِيَ بِهَجَّةِ الْإِيمَانِ
وَاللَّهِ لَوْ لَا رُؤْيَا الرَّحْمَنِ فِي أَلْ
جَنَّاتٍ مَا طَابَتْ لِذِي الْعِرْفَانِ
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَا وَجْهِهِ
وَخِطَابُهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ
سُبْحَانَهُ عَنِ سَاكِنِي النَّيِّرَانِ
وَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي
هُمُ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى
لَذَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَا سِوَى
هَذَا النَّعِيمِ فَحَبِّدَا الْأَمْرَانَ
أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفِ خَلْقِهِ
بِجَلَالِهِ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةِ النَّظَرِ الَّذِي
بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
فَالشُّوقُ لَذَّةٌ رُوحُهُ فِي هَذِهِ الدُّ

دُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 تَلْتَدُ بِالنُّظْرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ
 دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ
 وَاللَّهِ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَدُ
 لِدُنِّي مِنْ أَسْتِيَاقِ الْعَبِيدِ لِلرَّحْمَنِ
 وَكَذَلِكَ رُؤْيَا وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ
 هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلْإِنْسَانِ

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
 فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ
 تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفَاكَ ، وَخَالِصِ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنْنَا ،
 فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ،

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِيينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَفْتَ
 فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُتَّفَعِينَ ، وَإِلَى لُدَيْدِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، لِأَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ
 خَاضِعِينَ وَبِالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ النَّارِ وَأَهْوَالِهَا ، وَغُمُومِهَا وَأَنْكَالِهَا وَطَبَقَاتِهَا ،
 وَشَرَابِ أَهْلِهَا وَطَعَامِهِمْ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِأَهْلِهَا ،
 مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الْإِلِيمِ الْأَبَدِيِّ السَّرْمَدِيِّ أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ وَجَمِيعَ

المُسْلِمِينَ مِنْهَا ، وَيُقَابِلُهَا دَارُ أُخْرَى دَارُ قَرَارٍ وَنَعِيمٍ ، وَسُرُورٍ وَحُبُورٍ ،
وَأَمْنٍ وَصِحَّةٍ ، وَحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ ، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، مِمَّا لَا
عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، دَارٌ جَعَلَهَا
الْكَرِيمُ ، الرَّحِيمُ ، الْغَافِرُ الْجَوَادُ الْمَاجِدُ ، دَارَ ضِيَاةٍ ، يُكْرَمُ فِيهَا عِبَادُهُ
الْأَخْيَارُ ، الَّذِينَ وَفَّقَهُمْ لِخِدْمَتِهِ ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ ، وَلَا تَطْنُنُ هَذِهِ الضِّيَاةُ
فِيهَا مَحْدُودَةً ، وَلَا أَنْ الْكِرَامَةَ فِيهَا تَنْتَهِي ، بَلْ كُلُّ مَا تُحِبُّهُ وَتَتَمَنَّاهُ
أَمَامَكَ ، إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى .

فَاسْتَشِرَّ الْخَوْفَ مِنْ قَلْبِكَ ، بِطُولِ فِكْرِكَ فِي أَصْحَابِ جَهَنَّمَ ، وَفِي
أَحْوَالِهِمْ وَتَقَلُّبَاتِهِمْ ، وَحَسْرَتِهِمْ ، وَنَدَامَتِهِمْ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ ، وَادْكُرْ
طَعَامَهُمْ وَشَرَابَهُمْ ، وَالْوَانَ عَذَابِهِمْ وَخُلُودَهُمْ ، وَاسْتَشِرَّ الرَّجَاءَ ، بِطُولِ
فِكْرِكَ فِيمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ ، فِي دَارِ كِرَامَتِهِ ، مِنَ التَّعِيمِ
الْمُقِيمِ ، وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ ، الْمَوْعُودِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَآيَاكَ
وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَحُلُّهَا ، وَسُقَى نَفْسِكَ بِسَوِّطِ الْخَوْفِ ، وَقُدَّهَا
بِزَمَامِ الرَّجَاءِ ، إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، لِتَنَالَ الْمُلْكَ الْعَظِيمَ ، وَتَسَلَّمَ
مِنْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، وَتَفَكَّرَ فِي قُدُومِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَا يُلَاقُونَ مِنْ
الْحَفَاوَةِ وَالتَّكْرِيمِ ، وَمَا يُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ قُدُومِهِمْ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَسَيَقِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا
جَاءُوهَا ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، طِبْتُمْ ،
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا أَحْوَالَ الْأَشْقِيَاءِ ، وَمَا يُلَاقُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مِنَ
الْأَهْوَالِ وَالْكَرُوبِ وَالشَّدَائِدِ ، أَرَدَفَ ذَلِكَ بِذِكْرِ أَحْوَالِ السُّعْدَاءِ ، وَمَا

يُلاقونَهُ إِذْ ذَاكَ مِنَ النَّعِيمِ ، وَمَا يُقَالُ لَهُمْ وَالْمُرَادُ بِالسُّوقِ هُنَا الْإِسْرَاعُ بِهِمْ إِلَى دَارِ الْكِرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ كَمَا يُفْعَلُ بِمَنْ يُكْرَمُ مِنَ الْوَافِدِينَ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ ، بِخِلَافِ السُّوقِ الْمُتَقَدِّمِ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ ، فَانَّهُ طَرَدُهُمْ إِلَى الْعَذَابِ ، وَالذُّلِّ وَالْهَوَانِ ، كَمَا يُفْعَلُ بِالْمُجْرِمِ الْأَسِيرِ ، إِذَا سَبِقَ إِلَى السَّجْنِ أَوْ الْقَتْلِ فَشَتَانُ مَا بَيْنَ السُّوقَيْنِ ، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لَهُمْ ، كَمَا تَفْتَحُ الْخَدْمُ بَابَ الْمَنْزِلِ لِلضَّيْفِ عِنْدَ قُدُومِهِ ، وَتَقِفُ لَهُ مُنْتَظِرَةً حُضُورَهُ ، فَرِحًا وَاسْتَبْشَارًا لِقُدُومِهِ ، فَرِحُوا بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّعِيمِ ، وَبِمَا شَاهَدَتْ أَعْيُنُهُمْ ، مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أذنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ خَزَنَةَ الْجَنَّةِ يُسَلِّمُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عِزٌّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ، فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ فَبَدَّوْهُمْ بِالسَّلَامِ ، الْمُتَضَمِّنِ لِلسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَكْرُوهٍ ، أَي سَلِّمْتُمْ فَلَا يَلْحَقُكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ مَا تَكْرَهُونَ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُمْ ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ .

أَي سَلَامَتُكُمْ وَدُخُولُكُمْ بِطَيْبِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا إِلَّا عَلَى الطَّيِّبِينَ ، فَبَشَّرُوهُمْ بِالسَّلَامَةِ وَالطَّيِّبِ ، وَالذُّخُولِ وَالخُلُودِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا عَايَنُوا ذَلِكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ ، وَالْعَطَاءَ الْجَزِيلَ ، بَعْدَ دُخُولِهِمْ وَاسْتِقْرَارِهِمْ ، حَامِدِينَ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُمْ ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَهَدَاهُمْ لَهُ ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ، نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ وَنَحْوُ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ وَمَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ
وَاعْصِمْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ جَمِيعِ الْمُوبِقَاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

وَأَرْفَعُ مَنَازِلَنَا فِي فَيْسِخِ الْجَنَاتِ وَأَرْزُقْنَا النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ يَا حَكِيمٌ يَا عَلِيمٌ يَا حَيُّ يَا قَيُّومٌ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . . .
قال ابن القيم :

أَبْوَابُهَا حَقٌّ ثَمَانِيَةٌ أَتَتْ
فِي النَّصْرِ وَهِيَ لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ
بَابُ الْجِهَادِ وَذَلِكَ أَعْلَاهَا وَبِأَبِ
بُ الصَّوْمِ يُدْعَى الْبَابُ بِالرِّيَّانِ
وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالِحٍ بَابٌ وَرَبُّ
بُ السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بِأَمَانٍ
وَلَسَوْفَ يُدْعَى الْمَرْءُ مِنْ أَبْوَابِهَا
جَمْعاً إِذَا وَافَى حُلَى الْإِيمَانِ
مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذَا
كَ خَلِيفَةُ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
وَتَفَكَّرْ فِي وُجُوهِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهَا بِقَوْلِهِ ﴿ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ أَي بَهَاءَهُ وَنَضَارَتَهُ وَرَوْنَقَهُ فَإِنَّ تَوَالِي اللَّذَاتِ
وَالْمَسْرَاتِ وَالْأَفْرَاحِ يُكْسِبُ الْوَجْهَ نُوراً وَحُسْناً ، وَبِهَجَّةً وَاشْرَاقاً ، تَبْرُقُ
مِنْهُ أَسَارِيرُ الْوَجْهِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا عَمَّا يُسْقَاهُ الْأَبْرَارُ مِنَ الشَّرَابِ الطَّيِّبِ اللَّذِيذِ ،
فَقَالَ ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ، خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ الرَّحِيقُ مِنْ أَسْمَاءِ
الْخَمْرِ ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ ، وَأَبُو
زَيْدٍ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا حَسَنٌ ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي
الْمُحَاصِرِ الطَّائِيِّ ، عَنْ عَطِيَّةِ بْنِ سَعِيدِ الْعَسَوْفِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ
الْحُدْرِيِّ ، أَرَاهُ قَدْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَيُّمَا مَوْمِنٍ

سَقَى مُؤْمِنًا شَرْبَةَ مَاءٍ عَلَى ظَمًا ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ
 الْمَخْتُومِ وَأَيُّمًا مُؤْمِنًا مِنْ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّمًا
 مُؤْمِنًا كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ « وَقَوْلُهُ (خِتَامُهُ
 مِسْكٌ) أَي خِلْطُهُ مِسْكٌ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: هُوَ شَرَابٌ أَبْيَضٌ ، مِثْلُ الْفِضَّةِ ، يَخْتِمُونَ بِهِ
 شَرَابَهُمْ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، إِدْخَلَ اصْبِعَهُ فِيهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا ،
 لَمْ يَبْقَ ذُو رُوحٍ إِلَّا وَجَدَ طِيْبَهَا ، وَقَوْلُهُ ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
 الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ الْمَعْنَى - وَاللَّهُ اعْلَمُ - وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ فَلْيَرْغَبِ
 الرَّاعِبُونَ ، بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلْيَتَفَاخَرَ الْمُتَفَاخِرُونَ ، وَلْيَتَبَاهَى
 الْمُتَبَاهُونَ ، وَيُكَاتِرْ وَيَسْتَبِقْ إِلَى مِثْلِهِ الْمُسْتَبِقُونَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لِمِثْلِ
 هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
 الْمُقْرَبُونَ ﴾ الْمَعْنَى أَنَّ هَذَا الشَّرَابَ الْمَوْصُوفُ الْمَخْتُومُ بِالْمِسْكِ ، يُفَضُّ
 خْتَمُهُ ، ثُمَّ يُمَزَّجُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْعَيْنِ الْمُسَمَّاةِ ﴿ تَسْنِيمٍ ﴾ الَّتِي
 ﴿ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ﴾ وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَعْلَاهُ ، قَالَ أَبُو
 صَالِحٍ وَالضَّحَّاكُ ، وَلِهَذَا قَالَ ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ﴾ أَي يَشْرَبُهَا
 الْمُقْرَبُونَ ، وَقِيلَ : يَشْرَبُ مِنْهَا الْمُقْرَبُونَ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ
 بِأَنبِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرَ ، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ، قَدَرُواهَا
 تَقْدِيرًا ، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى
 سَلْسَبِيلًا ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ، إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا
 مَثُورًا ﴾ بَعْدَ مَا أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ وَقَاهُمْ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَلَا يَحْزَنُهُمُ
 الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ، وَأَنَّهُ لَقَاهُمْ نَضْرَةً فِي وُجُوهِهِمْ ، وَسُرُورًا فِي قُلُوبِهِمْ ،
 فَجَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ النَّعِيمِ الظَّاهِرِ ، وَالنَّعِيمِ الْبَاطِنِ ، وَأَنَّهُ ﴿ جَزَاهُمْ بِمَا
 صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ، وَأَنَّهُمْ فِي جَلْسَةِ مَرِيحَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ ، وَالجَوْ حَوْلَهُمْ
 رِخَاءٌ نَاعِمٌ ، دَافِيٌّ فِي غَيْرِ حَرٍّ نَدِيٍّ ، فِي غَيْرِ بَرْدٍ ، فَلَا شَمْسَ تَلْهَبُ ،

ولا بَرْدٌ يَقرُسُ ، وَقرِيبَةٌ أَغصَانُهَا وَثِمَارُهَا مِن مَرِيدِهَا يَنَالُهُ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ،
أَخْبَرَ عَمَّا يَدُورُ بِهِ الْوَلِدَانُ وَالخَدَمُ ، مِن الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الَّذِي عَلَى قَدْرِ
رَبِّهِمْ ، لا يَزِيدُ عَنْهُ وَلا يَنْقُصُ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ وَاصِفًا لِطَعَامِهِمْ
وَشَرَابِهِمْ :

وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُمْ
وَلَحُومٌ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسِمَانٍ
وَفَوَاكِهُ شَتَّى بِحَسَبِ مُنَاهُمْ
يَا شِبَعَةَ كَمُلْتَ لِذِي الْإِيمَانِ
لَحْمٌ وَخِمْرٌ وَالنِّسَاءُ وَفَوَاكِهُ
وَالطُّيْبُ مَعَ رُوحٍ وَمَعَ رِيحَانٍ
وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ
بِأَكْفِ خُدَامٍ مِنَ الْوَلِدَانِ
وَانظُرْ إِلَى جَعَلِ اللَّذَاذَةَ لِلْعُيُوفِ
نِ شَهْوَةَ لِلنَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ
لِلْعَيْنِ مِنْهَا لَذَّةٌ تَدْعُو إِلَى
شَهْوَاتِهَا بِالنَّفْسِ وَالْأَمْرَانِ
سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهُوَ يُوجِبُ لَذَّةً

أُخْرَى سِوَى مَا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
اللَّهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى
حُبِّكَ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ
الصَّالِحَاتِ وَأَعِصِمْنَا يَا مَوْلَانَا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُسْتَهْبَهَاتِ وَأَغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ
الْخَطَايَا وَالزَّلَّاتِ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَاتِ يَا أَجُودَ الْأَجُودِينَ
اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عُيُوبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا فِي دِينِكَ

اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
الاحياء منهم والميتين برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه اجمعين .

(فَصْل)

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ
غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ
لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ،
وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ هَذَا الْكَلَامُ اسْتِثْنَاءٌ ، مَسْئُوقٌ لِشَرْحِ مَحَاسِنِ الْجَنَّةِ
الْمَوْعُودِ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَيَانِ كَيْفِيَّةِ أَنْهَارِهَا الَّتِي أُشِيرَ إِلَيْهَا وَأَنَّهَا تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمْ ، فَقَالَ - مُفَسِّرًا لِذَلِكَ - ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ أَي غَيْرِ مُتَغَيِّرَةِ
الطَّعْمِ وَالرِّيحِ وَاللَّوْنِ ، بَلْ هُوَ أَعَذْبُ الْمِيَاهِ وَأَصْفَاهَا ، وَأَطْيَبُهَا وَأَلَذَّاهَا شُرْبًا
وَالثَّانِي ﴿ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ ﴾ لَا بِحُمُوضَةٍ وَلَا غَيْرِهَا .

الثَّالِثُ ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ لَمْ تُدْنَسْهَا الْأَرْجُلُ ،
وَلَمْ تُكْدَّرْهَا الْأَيْدِي ، وَلَيْسَ فِيهَا كِرَاهَةٌ طَعْمٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا غَائِلَةٌ
سُكْرٌ ، بَلْ يَلْتَذُّ شَارِبُهَا لَذَّةً عَظِيمَةً ، لَا كَخَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي يُكْرَهُ مَذَاقُهَا ،
وَتَصْدَعُ الرَّأْسَ ، وَتَزِيلُ الْعَقْلَ .

وَالرَّابِعُ ﴿ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ أَي قَدْ صُفِّيَ عَنِ الْقَدَى وَالْوَسَخِ ، وَمَا
يَكُونُ فِي عَسَلِ الدُّنْيَا قَبْلَ تَصْفِيَّتِهِ مِنَ الشَّمْعِ ، وَفَضَالَاتِ النَّحْلِ ، وَغَيْرِهَا ،
وَبَدِيءٍ بِالمَاءِ لِأَنَّهُ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ بِاللَّبَنِ لِأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى
الطَّعَامِ لِكَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهِمْ ، ثُمَّ بِالْخَمْرِ ، لِأَنَّهُ إِذَا حَصَلَ

الرِّيِّ وَالشَّبْعُ تَشَوَّقَتْ النَّفْسُ لِمَا يُسْتَلَذُّ بِهِ ، ثُمَّ بِالْعَسَلِ لِأَنَّ فِيهِ الشُّفَاءَ فِي
الدُّنْيَا مِمَّا يُمْرَضُ مِنْ الْمَطْعُومِ وَالْمَشْرُوبِ .

الخامس ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أَيِّ وَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ
أَنْوَاعٌ مِنَ الثَّمَارِ الْمُخْتَلِفَةِ الطُّعُومِ وَالرَّوَائِحِ وَالْأَشْكَالِ ، مِنْ نَخِيلٍ
وَأَعْنَابٍ ، وَتَفَاحٍ وَرُمَّانٍ وَتِينٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، مِمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا :
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ شُرْبُهَا
بِالْمِسْكِ أَوْلَى كَمِثْلِ الثَّانِي
مِنْ خَمْرٍ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا بِأَلَا
غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نُقْصَانٍ
وَالْخَمْرُ فِي الدُّنْيَا فَهَذَا وَصْفُهَا
تَغْتَالُ عَقْلَ الشَّارِبِ السُّكْرَانِ
وَبِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ
وَيُخَافُ مِنْ عِلْمِ لِيذِي الْوَجْدَانِ
فَنَفَى لَنَا الرَّحْمَنُ أَجْمَعَهَا عَنِ الْـ
خَمْرِ الَّتِي فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَشَرَابِهِمْ مِنْ سَلْسَبِيلِ مَرْجُهُ الْـ
كَأَفْوَرُ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الْإِحْسَانِ
هَذَا شَرَابُ أَوْلَى الْيَمِينِ وَلَكِنْ أَلْـ
أَبْرَارُ شُرْبُهُمْ شَرَابُ ثَانِي

يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامُ شَرَابِهِمْ
شُرْبُ الْمُقَرَّبِ خَيْرَ الرَّحْمَنِ
صَفَى الْمُقَرَّبُ سَعْيَهُ فَصَفَا لَهُ
ذَاكَ الشَّرَابُ فَتِلْكَ تَصْفِيَتَانِ
لَكِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَأَهْلُ مَرْجٍ
جِ بِالْمُبَاحِ وَلَيْسَ بِالْعَصِيَانِ
مُزِجَ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمْ
أَعْمَالَ ذَاكَ الْمَرْجِ بِالْمِيزَانِ
هَذَا وَذُو التَّخْلِيْطِ مَرْجاً أَمْرُهُ
وَالْحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّنَا الدِّيَانِ

اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورٍ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
اللَّهُمَّ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مِثُورًا ، وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا عَلَيْهِمْ نِيَابٌ سُنْدُسٌ ، خُضْرٌ وَاسْتَبْرَقٌ ، وَخَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ، إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ، وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ ﴿ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا وَصَفَ أَوَانِي مَشْرُوبِهِمْ ، وَوَصَفَ مَشْرُوبِهِمْ ، ذَكَرَ أَوْصَافَ السُّقَاةِ الَّذِينَ يَسْقُونَهُمْ ذَلِكَ الشَّرَابَ ، وَأَنَّهُمْ وِلْدَانٌ مِنْ وِلْدَانِ الْجَنَّةِ ، يَأْتُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ وَالطَّرَاوَةِ وَالنَّظَارَةِ ، لَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَتَغَيَّرُونَ ، وَلَا تَضَعُفُ أَجْسَامُهُمْ عَنِ الْخِدْمَةِ ، وَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْوِلْدَانَ . خِلْتَهُمْ لِحُسْنِ الْوَانِهِمْ ، وَنَضَارَةِ وُجُوهِهِمْ لُؤْلُؤًا

مَشُورًا ، وَلَمَّا ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، ذَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ أُمُورَ
عَالِيَةَ عَظِيمَةً ، يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ وَسِعَتِهَا وَارْتِفَاعُهَا ، وَمَا
فِيهَا مِنَ الْمَسَاكِينِ ، وَالغُرَفِ الْمَزِيئَةِ الْمُزَخَّرَةِ ، مِمَّا لَا يُدْرِكُهُ الْوَصْفُ ،
وَلَدَيْهِ مِنَ الْبَسَاتِينِ الزَّاهِرَةِ ، وَالثَّمَارِ الدَّانِيَةِ ، وَالْفَوَاكِهِ الشَّهِيَّةِ ، وَلُحُومِ
الطَّيُورِ الطَّرِيَّةِ ، وَالْأَنْهَارِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْهَا ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ
آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ
مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ .

وقال في سُورَةِ الْوَاقِعَةِ - مُخْبِرًا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَأَنَّهْمُ
مَخْدُومُونَ فِي شَرَابِهِمْ وَطَعَامِهِمْ ، مَكْنُفُونَ مَوْتَةً مَا يُرِيدُونَ (يَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ، وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ) وَبَعْدَ وَصْفِ الشَّرَابِ ، وَصَفَ جَلَّ وَعَلَا
الطَّعَامَ ، فَقَالَ (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) ثُمَّ
بَعْدَ ذِكْرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ذَكَرَ نِسَاءَهُمْ فَقَالَ (وَحُورٌ عِينٌ ، كَأَمْثَالِ
اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) .

ثُمَّ ذَكَرَ السَّبَبَ فِي مُتَعَتِهِمْ بِكُلِّ هَذَا النَّعِيمِ فَقَالَ (جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ) فَكَمَا حَسُنَتْ مِنْهُمْ الْأَعْمَالُ ، أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَزَاءَ ،
وَوَفَّرَ لَهُمُ الْفَوْزَ وَالنَّعِيمَ ، فَجَازَاهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا وَأَثَابَهُمْ بِمَا كَسَبُوا فِي
الدُّنْيَا ، وَزَكَّوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَصَبُوا لَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ
عَلَى أَنْتَمِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ، فَهَمُ كَانُوا قَوَّامِينَ اللَّيْلِ ، صَوَّامِينَ النَّهَارِ ،
كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، وَفِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مُلَازِمَ ذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
لَهُ عِفَّةٌ عَنِ كُلِّ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ وَذُو رَغْبَةٍ فِيمَا يُؤَدِّي لِجَنَّةِ

وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ نِسَاءَهُمْ وَصَفَ جَلَّ وَعَلَا حَدِيثُهُمْ حِينَئِذٍ فَقَالَ (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًّا وَلَا تَأْتِيْمًا ، إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا) أَيْ لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ اللَّغْوَ أَيْ الْهَرَاءَ مِنَ الْحَدِيثِ ، وَلَا هُجْرَ الْقَوْلِ ، وَمَا تَتَقَرَّرُ مِنْهُ النَّفُوسُ الرَّاقِيَّةُ ، ذَاتُ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ وَلَا يَسْمَعُونَ كَلَامًا يُؤْتَمُّ صَاحِبَهُ ، وَلَكِنْ يَسْمَعُونَ أَطْيَبَ الْكَلَامِ وَهُوَ التَّسْلِيمُ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا دَارُ الطَّيِّبِينَ ، وَلَا يَكُونُ فِيهَا إِلَّا كُلُّ طَيِّبٍ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ أَدَبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي خِطَابِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَأَنَّهُ أَطْيَبُ السَّلَامِ ، وَسَامِي الْكَلَامِ ، مِمَّا يُسْتَسَاعُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ، وَأَخْرَجُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ﴿

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ حَالَ السَّابِقِينَ ، وَبَيَّنَّ مَالَهُمْ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ ، أَرَدَفَ ذَلِكَ بِذِكْرِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَقَالَ (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ؟ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ، وَظِلِّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ، لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ، وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ ، إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ، غُرْبًا أَتْرَابًا ، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) فِيهَا كُلُّ مَا تَشْتَهِيهِ النَّفُوسُ ، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ بِهِ ، مِنْ مَطَاعِمٍ وَمَشَارِبٍ ، وَمَلَابِسٍ وَمَنَاجِحَ ، وَمَنَاطِرَ حَسَنَةٍ ، وَيَرَى فِيهَا الْأَشْجَارَ الْمَلْتَفَةَ ، وَالْمَبَانِي الْمُرْخَرَفَةَ ، وَيَرَى فِيهَا الرِّيَاضَ الْمُعْجَبَةَ ، وَالطُّيُورَ الْمُطْرَبَةَ الْمُشْجِيَةَ ، مَا يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ ، وَيَسُرُّ النَّفُوسَ وَيُفْرِحُهَا ، وَتَجِدُ الْوَاحِدَ عِنْدَهُ مِنَ الزَّوْجَاتِ اللَّاتِيَّ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ، الْجَامِعَاتِ لِجَمَالِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ، اللَّاتِيَّ قَالَ اللَّهُ عَنْهُنَّ (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) مَا يَمْلَأُ الْقَلْبَ سُرُورًا وَوَلَدَةً وَفَرِحًا ، وَعِنْدَهُ

مِنَ الخَدَمِ وَالغِلْمَانِ المَخْلُودِينَ مَا بِهِ تَحْصُلُ الرَّاحَةُ وَالطَّمَانِينَةُ
وَالْأَنْسُ ، وَتَتَمُّ بِهِ لَذَّةُ العَيْشِ ، وَتَكْمُلُ بِهِ الغِبْطَةُ ، وَفَوْقَ
ذَلِكَ رِضَى بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَسَمَاعِ كَلَامِهِ ، وَلَذَّةِ القُرْبِ
مِنْهُ ، وَالإِبْتِهَاجِ وَالسُّرُورِ بِرِضَاهُ ، وَالخُلُودِ الدَّائِمِ الأَبَدِيِّ ، الخَالِي مِنْ
المَكْدَرَاتِ وَالْمَنْعَصَاتِ ، وَتَزَايُدِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ المُقِيمِ ، وَالعَيْشِ
السَّلِيمِ ، كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ ، قَالَ ابْنُ القِيَمِ رَجِمَهُ اللهُ - فِي صِفَةِ
عَرَائِسِ الجَنَّةِ ، وَحُسْنِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ ، وَلَذَّةِ وِصَالِهِنَّ وَمُهْوَرِهِنَّ : -

يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الحُسْنِ التِّي
حُفَّتْ بِذَاكَ الحِجْرِ والأَرْكَانِ
وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِمًا بَيْنَ الصُّفَا
وَمُحَسِّرُ مَسَقَاهُ لَا العَلَمَانَ
وَيَرُومُ قُرْبَانَ الوِصَالِ عَلَى مَنِي
وَالخَيْفُ يَحْجِبُهُ عَنِ القُرْبَانِ
فَلِذَا تَرَاهُ مُحْرَمًا أَبَدًا وَمَوْ
ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانِي
يَبْغِي التَّمَتُّعَ مُفْرَدًا عَنِ حَبِيهِ
مُتَجَرِّدًا يَبْغِي شَفِيعَ قِرَانِ
فَيَظَلُّ بِالجَمَرَاتِ يَرْمِي قَلْبَهُ
هَذِي مَنَاسِكُهُ وَكُلَّ زَمَانِ
وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ

حٰثُوا رَكَائِبَهُمْ إِلَى الْأُوطَانِ
 وَخَدَتْ بِهِمْ هِمَمٌ لَهُمْ وَعَزَائِمٌ
 نَحْوَ الْمَنَازِلِ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
 رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ الْوَصَا
 لٍ فَشَمَّرُوا يَا خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ
 وَرَأَوْا عَلَى بُعْدِ خِيَامًا مُشْرِفًا
 تِ مُشْرِقَاتِ الثُّورِ وَالْبُرْهَانَ
 فَتَيَّمَّمُوا تِلْكَ الْخِيَامَ فَانَسُوا
 فِيهِنَّ أَقْمَارًا بِلَا نُقْصَانِ
 مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغِي سِوَى
 مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ
 قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهِ
 وَالطَّرْفُ فِي ذَا الْوَجْهِ لِلنَّسْوَانِ
 أَوْ أَنَّهَا قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهُ
 مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ
 وَالْأَوَّلُ الْمَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الْخِطَا
 بِ فَلَ تَحُدْ عَنْ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ
 وَلرُبَّمَا دَلَّتْ إِشَارَتُهُ عَلَى الدُّ
 ثَانِي فَتِلْكَ إِشَارَةٌ لِمَعَانِي
 هَذَا وَلَيْسَ الْقَاصِرَاتُ كَمَنْ غَدَتْ

مَفْصُورَةٌ فَهُمَا إِذَا صِنْفَانِ
يَا مُطَلِّقَ الطَّرْفِ الْمُعَذِّبِ فِي الْأَلَى
جُرِّدَنَّ عَنْ حُسْنٍ وَعَنْ إِحْسَانِ
لَا تَسْبِيْنِكَ صُورَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الدَّ
مِدَاءُ الدَّفِينِ تَبُوءُ بِالْحُسْرَانِ
قُبْحَتْ خَلَاتِقُهَا وَقَبِيحَ فِعْلُهَا
شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ
تَنْقَادُ لِأَنْذَالِ وَالْأَرْذَالِ هُمْ
أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الْإِحْسَانِ
مَا نَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلِ وَلَا
خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَجَمَالَهَا زورٌ وَمَضْنُوعٌ فَإِنْ
تَرَكَتُهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا الْعَيْنَانِ
طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الْحِفَاطِ فَمَالَهَا
بِوَفَاءِ حَقِّ الْبَعْلِ قَطُّ يَدَانِ
إِنْ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً
قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ
أَوْ رَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعْصَتْ وَلَمْ
تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيجِ وَالتَّقْصَانِ
أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكِيدِ الَّذِي

قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الْإِنْسَانِ
 فَجَمَّالَهَا قِشْرُ رَقِيقٍ تَحْتَهُ
 مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانٍ
 نَقْدُ رَدِيءٍ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ
 شَيْءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ
 فَالْتَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ
 وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمِيَانِ
 أَمَا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَا
 تُ بُعُولِهِنَّ وَهِنَّ لِلْأَخْدَانِ
 وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي
 قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النِّسْوَانِ
 فَانظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا
 مِنْ قَبْلُ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
 وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْغَالِي الدُّ
 بَاقِي بَذَا الْأَذْنَى الَّذِي هُوَ فَانِي
 إِنْ كَانَ قَدْ أَعْيَاكَ خُودٌ مِثْلَ مَا
 تَبْغِي وَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى ذَا لَانَ
 فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمَنِ خُودًا ثُمَّ قَدْ
 دِمَّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
 ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيْسَرُ إِنْ يَكُنْ

لَكَ نِسْنَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
وَاللَّهِ لَمْ تُخْرِجْ إِلَى الدُّنْيَا لِيْلُدَّ
ذَاةً عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْفَانِي
لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعَدَّ الزَّادَ لِلدُّ
أُخْرَى فَجِئْتَ بِأَقْبَحِ الْخُسْرَانِ
أَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلُّ
فَاتِ الذِّي أَلْهَكَ عَنِ ذَا الشَّانِ
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةٌ
لَتَقَطَّعْتَ أَسْفَاً مِنَ الْحِرْمَانِ
لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّ
دُنْيَا وَسَوْفَ تَفِيقُ بَعْدَ زَمَانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَجَنِّبْنَا الْخَطَايَا
وَالذُّنُوبَ الْمُؤَبَّاتِ وَوَقِّفْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَرَحِّزْنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا فِيسِيحِ الْجَنَّاتِ يَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ
اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ
حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ . وَأَرْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا شَرَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنْبَيْتَهُ ، وَمَا هُمْ
فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ ، وَصَفَ مَلَابِسَهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدِسٌ خُضْرٌ ﴾
وَذَكَرَ بَعْدَهُ حَلِيَّهُمْ فَقَالَ ﴿ وَحُلُّوْا سَاوِرِمِنْ فِضَّةٍ ﴾ وَفِي سُورَةِ فَاطِرٍ يَقُولُ

جُلَّ وَعَلَا ﴿ يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ .

وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى ﴿ إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الخ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ، يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ ، مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، نِعْمَ الثَّوَابُ ، وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ فَفِي آيَةِ سُورَةِ الدُّخَانِ ذَكَرَ جُلَّ وَعَلَا مِنْ ضُرُوبِ نَعِيمِهِمْ خَمْسَةَ أَلْوَانٍ :

١ - مَسَاكِنَهُمْ فَقَالَ ﴿ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ وَالْمَسْكَنُ يَطِيبُ بِأَمْرَيْنِ .

« أ » أَنْ يَكُونَ السَّاكِنُ فِيهِ آمِنًا مِنْ جَمِيعِ مَا يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهُ مِنْهُ ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْأَمِينُ .

« ب » أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَسْبَابُ النَّزْهَةِ مِنَ الْجَنَّاتِ وَالْعُيُونِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

٢ - مَلَابِسُهُمْ وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بِقَوْلِهِ ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ ﴾ .

٣ - اسْتِنَاسَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، بِجُلُوسِهِمْ عَلَى جِهَةِ التَّقَابِلِ وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ .

٤ - الأزواج وهو المشار إليه بقوله ﴿ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ

عِينٍ ﴾

٥ - المأكول كما في قوله ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ هذا جزاء المتقين لله ، الذين تجنبوا ما يسخطه من المعاصي ، وفعلوا ما يرضيه من الطاعات ، وبعد أن وصف ما هم فيه من نعيم مقيم ، بين أن حياتهم في هذا النعيم مستمرة دائمة لا يلحقها موت ولا فناء ولا انقطاع فقال ﴿ لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، ووقاهم عذاب الجحيم ﴾ فلا يخشون في الجنة موتاً ولا فناء أبداً ، ففي الصحيحين أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم يذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلودوا فلا موت ، ويا أهل النار خلودوا فلا موت » وروى أبو هريرة وأبو سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً » رواه مسلم .

ومع هذا النعيم ، فقد نجاهم من عذاب الجحيم ، تفضلاً منه وإحساناً ، فأعطاهم ما يطلبون ، ونجاهم مما يرهبون وهذا هو الفلاح والفوز العظيم .

قال ابن القيم

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ يَدِي
نَ الْمُنْزَلَيْنِ كَذَبِحِ كَبَشِ الضَّانِ

حَاشَا لِدَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا
هُوَ مَوْتُنَا الْمَحْتُمُ لِلْإِنْسَانِ
وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبْشًا أَمْلَحًا
يَوْمَ الْمَعَادِ يُرَى لَنَا بَعِيَانِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ
أَبَدًا بِدَارِ الْأَمْنِ وَالرِّضْوَانِ
أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الْإِيمَانِ
يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانِ
لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بِهَا مَوْتُ وَعَا
فِيَّةٌ بِلا سُقْمٍ وَلَا أَحْزَانِ
وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا
لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا
نَوْمٍ وَمَوْتُ بَيْنَنَا أَخْوَانِ
هَذَا عَلِمْنَاهُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِ
بِ اللَّهِ فَافْهَمْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
وَنَعُودُ إِلَى لِبَاسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالْكَلامِ عَلَيْهِ .

فَلِبَاسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ الْحَرِيرُ ، وَمِنْهُ سُندُسٌ ، وَهُوَ رَفِيعٌ

الدُّبْيَاجُ ، لِلْمَنْصَانِ وَالغَلَائِلِ ١ وَنَحْوَهَا بِمَا يَلِي أَسْدَانَهُمْ ،
 وَالْأَسْتَبْرَقُ هُوَ غَلِيظُ الدُّبْيَاجِ لِأَمْعُهُ ، بِمَا يَلِي الظَّاهِرَ ، كَمَا هُوَ
 الْمَعْهُودُ فِي لِبَاسِ الدُّنْيَا ، وَأَمَّا الْحُلِيِّ فَيَقِيلُ إِنْ صِفَّةُ حُلِيِّ الْأَبْرَارِ أَنَّهُ مِنْ بَضِيَّةِ
 وَصِفَّةُ حُلِيِّ الْمُقْرَبِينَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَقِيلَ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَلْبَسُونَ هَذَا نَارَةً وَالْآخَرَ
 نَاقَةً ، وَقَدْ يَجْمَعُونَ بَيْنَهُمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ أَنَّهُمْ يُسْقَوْنَ شَرَابًا آخَرَ طَهْرًا يَقِيلُ ظَاهِرُ
 مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَقْدَاءِ ، لَمْ تَدْنِسْهُ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ ، كَحَمْرِ الدُّنْيَا وَقِيلَ إِنَّهُ لَا
 يَصِيرُ بُولًا نَجَسًا وَلَكِنَّهُ يَصِيرُ فِي أَسْدَانِهِمْ كَرِيحِ الْمِسْكِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ
 بِالطَّعَامِ فَيَأْكُلُونَ ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَتُوا بِالشَّرَابِ الطَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ ،
 فَتَطَهَّرُ بَطُونُهُمْ ، وَيَصِيرُ مَا أَكَلُوا رَشْحًا ، يَخْرُجُ مِنْ جُلُودِهِمْ أَطْيَبَ مِنْ
 الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ، وَتَضْمُرُ بَطُونُهُمْ ، وَتَعُودُ شَهْوَتُهُمْ ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ : هُوَ عَيْنُ
 مَاءٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا نَزَعَ اللَّهُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ غِلٍّ وَغَشٍّ
 وَحَسَدٍ ، وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا
 انْتَهَى أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَجَدُوا هُنَاكَ عَيْنَيْنِ ، فَكَأَنَّمَا أُلْهِمُوا ذَلِكَ ،
 فَشَرَبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ أَدَى ، ثُمَّ اغْتَسَلُوا مِنْ
 الْأُخْرَى ، فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ ، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحَالِهِمْ
 الظَّاهِرُ ، وَجَمَالِهِمِ الْبَاطِنُ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ
 فَاكِهُونَ ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ ،
 وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يُخْبِرُ جَلَّ وَعَلَا
 عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا ارْتَحَلُوا مِنَ الْعَرَصَاتِ ، فَزَلُّوا فِي
 رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ، أَنَّهُمْ فِي شُغْلٍ مُفْكِهِ لِلنَّفْسِ ، مُلِدِّ لَهَا ، مِنْ كُلِّ مَا تَهْوَاهُ

النَّفُوسُ ، وَتَلَذُّهُ الْعُيُونُ ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَاسْمَاعِيلُ بْنُ خَالِدٍ : فِي شُغْلٍ عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ مِنَ الْعَذَابِ ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمَسِيبِ وَعِكْرِمَةُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالْأَعْمَشُ وَسُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ شَغَلَهُمْ إِفْتِضَاضُ الْأَبْكَارِ .

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَتَمَتَّعُ بِنَعِيمِهَا وَلَذَائِهَا ، وَيَكُونُ بِذَلِكَ فِي شُغْلٍ عَمَّا سِوَاهُ ، إِذْ يَرَى مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، فَأَنَّى لَهُ أَنْ يُفَكِّرَ فِيمَا سِوَاهُ وَهُوَ بِذَلِكَ فَرِحَ مُسْتَبْشِرٌ ، ضَحْرُكَ السَّنِّ ، هَادِيءُ الْبَالِ ، لَا يَرَى شَيْئًا يَغْمُهُ ، أَوْ يُنْغِصُ عَلَيْهِ حُبْرَهُ وَسُرُورَهُ ،

وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ شُغْلَهُمُ السِّدِّي شُغْلُ الْعُرُوسِ بِعَرَسِهِ مِنْ بَعْدَمَا بِاللَّهِ لَا تَسْأَلُهُ عَنْ أَشْغَلِهِ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنِ وَالشُّوقِ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَالُهُ وَافِي إِلَيْهِ بَعْدَ طَوْلٍ مَغْيِبِهِ أَتْلُومُهُ أَنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ يَا رَبُّ غَفْرًا قَدْ طَعَتْ أَقْلَامُنَا قَدْ جَاءَ فِي سِرِّ دُونَ بَيَانٍ عَيْثُتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ طَوْلَ زَمَانٍ تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَأْنٍ مَخْبُوبِهِ فِي شَاسِجِ الْبُلْدَانِ يَلْقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الْإِمْكَانِ عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانٍ لَا وَالَّذِي أُعْطِيَ بِلَا حُسْبَانٍ يَا رَبُّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عِيُونَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

« فَضْلٌ »

قَالَ تَعَالَى ﴿ يَا عِبَادِيَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا ، وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ، يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ ، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ يَذْكُرُ جَلًّا وَعَلَا مَا يَنْتَلِقَى بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، الْمُتَحَابِّينَ فِيهِ ، تَشْرِيفًا لَهُمْ وَتَكْرِيمًا ، وَتَسْكِينًا لِرُوعِهِمْ ، مِمَّا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْكَرُوبِ وَالشَّدَائِدِ ، فَقَالَ ﴿ يَا عِبَادِيَ ﴿ الْآيَةُ ثُمَّ يَبِينُ مَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا الْجَنَّةَ فَقَالَ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿ فَعِنْدَمَا يَسْمَعُ النَّاسُ الْمُنَادِيَ يُنَادِي بِالْآيَةِ الْأُولَى ، وَهِيَ قَوْلُهُ ﴿ يَا عِبَادِيَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿ يَرْجُوهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ فَإِذَا سَمِعُوا الْآيَةَ الَّتِي تَلِيهَا يَبْسُ النَّاسُ مِنْهَا غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ ذَكَرَ مَا يُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْبُشْرَى ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿ وَبَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ طَرَفًا مِمَّا يَنْتَعَمُونَ بِهِ مِنَ النَّعِيمِ ، فَقَالَ ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿ أَيُ وَيَعَدُّ أَنْ يَسْتَقِرُّوا بِالْجَنَّةِ ، وَيَهْدَأُ رُوعُهُمْ ، تَدَوَّرَ عَلَيْهِمْ خُدَامُهُمْ مِنَ الْوَلَدَانِ الْمُخْلَدِينَ ، بِصِحَافٍ مِنَ الذَّهَبِ ، مُتْرَعَةً بِاللَّوَانِ الْأَطْعَمَةِ ، وَبَأَكْوَابٍ فِيهَا أَصْنَافُ الشَّرَابِ ، مِمَّا لَذُّ وَطَابُ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا ، فَرُبَّمَا رَأَى الرَّجُلَ الرُّؤْيَا ، فَيَسْأَلُ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ ، فَإِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ مَعْرُوفٌ كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ ، فَآتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ

كَأَنِّي أُبَيِّتُ ، فَأَخْرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَأَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَسَمِعْتُ وَجْبَةً ،
 انْفَتَحَتْ لَهَا الْجَنَّةُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَسَمْتُ
 اثْنَى عَشَرَ رَجُلًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَعَثَهُمْ فِي
 سَرِيَّةٍ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَجِيءَ بِهِمْ ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلُسٌ ، تَشْخَبُ أَوْجَاهُهُمْ ، فَقِيلَ
 أَذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهْرِ الْبَيْدَخِ ، فَعَمِسُوا فِيهِ . فَخَرَجُوا وَوُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةً
 الْبَدْرِ ، فَأَتُوا بِصُحُفَةٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فِيهَا بَسْرٌ ، فَأَكَلُوا مِنْ ذَلِكَ الْبَسْرِ مَا شَاءُوا ،
 فَمَا يَقْبَلُونَهَا مِنْ وَجْهِهِ إِلَّا أَكَلُوا مِنَ الْفَاكِهَةِ مَا أَرَادُوا ، وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ ، فَجَاءَ
 الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ ، فَقَالَ أَصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، حَتَّى عَدَّ اثْنَى عَشَرَ
 رَجُلًا ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْأَةَ ، فَقَالَ قُصِّي رُؤْيَاكِ ،
 فَقُصَّتْهَا وَجَعَلْتُ تَقُولُ جِيءَ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ ، كَمَا قَالَ ، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي
 مُسْنَدِهِ بِنَحْوِهِ ، وَاسْتَدَاهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

وَبَعْدَ هَذَا التَّفْصِيلِ لِبَعْضِ مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ نَعِيمٍ ، عَمَّمُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ
 ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ ، وَتَلدُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فِيهَا مَا
 تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُ أَهْلِهَا مِنْ صُنُوفِ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْأَلْبَسَةِ ، وَالْأَشْيَاءِ
 الْمَعْقُولَةِ وَالْمَسْمُوعَةِ ، وَنَحْوَهَا مِمَّا تَطْلُبُهُ النَّفُوسُ وَتَهْوَاهُ ، كَأَنَّ مَا كَانَ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ،
 وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا حَالَ
 الْمُجْرِمِينَ الْمَكْدِبِينَ الطَّاغِينَ ، أَعْقَبَهُ بِمَالِ الْمُتَّقِينَ ، وَمَا يَفُوزُونَ بِهِ مِنْ
 الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا ، وَوَصَفَ مَا فِيهَا ، وَذَكَرَ أَنَّهَا عَطَاءٌ مِنْهُ ، فِي ذِكْرِهَا
 اسْتِنْهَاطٌ ، وَحَثُّ لِعَوَالِي الْهَمِّ ، بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْمُثَابَرَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ
 وَالْإِزْدِيَادِ مِنْهَا ، وَفِي تَذَكُّرٍ مَا فِي هَذَا الْمَفَازِ وَالْمَنْجَى الْبَعِيدِ عَنِ النَّارِ ،

وَالزُّوجَاتِ الْكَوَاعِبِ ، اللَّاتِيَّ عَلَيَّ سِنِّ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ ، مَا يَمْنَعُ ذَا اللَّبِّ مِنْ
الْإِنهَمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا ، وَقَتْلِ الْأَوْقَاتِ فِي طَلِبِهَا وَتَحْصِيلِهَا .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَضَّلُ فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ
بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

يَا خَاطِبَ الْحُورِ الْحَسَانِ وَطَالِبَا
لِوَصَالِهنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبَ
سَتَ بَدَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَثْمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيَّنَ مَسْكُنَهَا جَعَلُ
سَتَ السُّعْيِ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ
وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكِنِهَا فَإِنْ
رُمْتَ الْوَصَالَ فَلَا تَكُنْ بِالْوَانِي
أَسْرِعْ وَحُثِّ السَّيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا
مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِزَمَانِ
فَاعْشِقْ وَحَدِّثْ بِالْوَصَالِ النَّفْسَ وَابُدْ
بِذَلِكَ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْمَ
مِ الْوَصَالِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ
وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرُّ
تَلْقَى الْمَخَافَةَ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانِ

لَا يُلْهِئُكَ مَنْزِلُ لَعِبَتِكَ بِهِ
أَيْدِي الْبِلَا مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَةٍ
وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ
سِجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لَا
كِنُ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ
سُكَّانُهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا
لَةِ وَالسَّفَامَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ
وَأَلَذُّهُمْ عَيْشًا فَأَجْهَلُهُمْ بِحَا
قِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ
عَمَّرَتْ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرَتْ
مِنْهُمْ رُبُوعُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا أَلْ
فَانِي عَلَى الْجَنَاتِ وَالرِّضْوَانِ
صَجِبُوا الْأَمَانِي وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ
وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
كَذْحًا وَكَدًّا لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ
مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانِ
وَاللَّهُ لَوْ شَاءَ دَتَ هَاتِيكَ الصُّدُ
رِ رَأَيْتَهَا كَمَرَا جِلِ النَّيِّرَانِ

وَوَقُودَهَا الشَّهَوَاتُ وَالْحَسَرَاتُ وَالْأَلَامُ
لَا تَخْبُو مَدَى الْأَزْمَانِ
أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النَّفْسِ
سِ السَّلَاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ
أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ
فِي كَذَجِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ
فَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
لَا تَرْضَى مَا اخْتَارُوا هُمْ لِنَفْسِهِمْ
فَقَدْ ارْتَضُوا بِالذِّلِّ وَالْجِرْمَانِ
لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الْكُفْرَانِ
لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَحَقُّرُ عِنْدَهُ
مِنْ ذَا الْجَنَاحِ الْقَاصِرِ الطَّيْرَانِ
وَلَقَدْ تَوَلَّى بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا
فَالسَّعْدُ مِنْهَا حَلٌّ بِالذُّبْرَانِ
لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصِبْهَا
أَيُّنَ الْوَفَا مِنْ غَادِرِ خَوَّانِ
طَبِيعَتُ عَلَى كَدْرِ فَكَيْفَ يَنَالُهَا
صَفْوُ أَمَّا قَطُّ فِي إِمْكَانِ

يا عاشق الدنيا تأهب للذي
 قد ناله العشاق كل زمان
 أو ما سمعت بل رأيت مصارع الـ
 عشاق من شيب ومن شبان

اللهم إليك بدعائنا توجهنا وبفنائك أنحنأ وأياك أملنا ولما عندك من
 الجود والاحسان طلبنا ولرحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا ولعفوك
 وعفوانك تعرضنا فاعف عنا واغفر
 لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
 على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل »

قال الله تعالى ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ
 عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ، لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلَامًا ،
 وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ، تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ
 تَقِيًّا ﴾ لما ذكر تعالى أنه يدخل التائبين الجنة ، وصف هذه الجنة بجملة
 أوصاف (أولا) أخبر أنها جنات إقامة دائمة ، لا كجنات الدنيا ، وقد وعد بها
 المتقين ، وهي غائبة لم يشاهدوها ، ووعد الله حق لا يخلف ، فهم أتوها لا
 محالة ، (ثانيا) أنهم لا يسمعون فيها كلاما ساقطا تافها لا معنى له ، كما
 يوجد في الدنيا ، بل يسمعون فيها كلاما ، والسلام اسم جامع للخير ، لأنه
 يتضمن السلامة (ثالثا) أن لهم ما يشتهون من المطاعم والمشارب ، في قدر
 وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا ، أي إن الذي بين غداهم
 وعشايمهم في الجنة قدر ما بين غدا أحدنا في الدنيا وعشايمه .

فكرت في الجنة العليا فلم أرها تُنال إلا على جسرٍ من الثعالب

وَلَمَّا ذَكَرَ جَلُّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ أَنْ هَذِهِ الْجَنَّةُ تُخَالِفُ جَنَاتِ الدُّنْيَا ذَكَرَ مَا هُوَ سَبَبُ اسْتِحْقَاقِهَا فَقَالَ ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ الْمَعْنَى : هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي وُصِفَتْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ ، نُورِثُهَا عِبَادِنَا الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُطِيعُونَ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ، وَمَعْنَى إِيرَاقِهِمُ الْجَنَّةَ الْإِنْعَامُ عَلَيْهِمْ بِالْخُلُودِ فِيهَا فِي أَكْمَلِ نَعِيمٍ ، وَقِيلَ نَجَعَلُهَا لَهُمْ كَمَلِّكَ الْمِيرَاثِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى تَمْلِيكَ ، بِأَنْ يُبْقِيَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، كَمَا يُبْقِي عَلَى الْوَارِثِ مَالِ الْمَوْرَثِ ، وَلِأَنَّ الْأَتْقِيَاءَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ انْقَضَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وَثَمَرَتُهَا بَاقِيَةٌ وَهِيَ الْجَنَّةُ ، فَإِذَا أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَقَدْ أَوْرَثَهُمْ مِنْ تَقْوَاهُمْ ، كَمَا يُورِثُ الْوَارِثُ مِنَ الْمَتَوَفَّى الْمَالَ الَّذِي خَلَفَهُ .

وَجَاءَ بِمَعْنَى الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ، وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ ، وَقَالَ ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ، مُتَكَبِّينَ فِيهَا ، يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٌ ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ وَقَالَ ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ ، مُتَكَبِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ ، أُولَئِكَ

لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ، جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ إلى غير ذلك مِنَ الآيَاتِ الْمُتَوَهِّجَةِ بِذِكْرِهِمْ وَشَرَفِهِمْ وَعِظَمِ جَزَائِهِمْ فَكَتَفَيْ بِالآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا ، وَمَا أَوْضَحْنَاهُ مِنْ مَعَانِي الآيَاتِ السَّابِقَاتِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، بِبَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، الْفَرْدَ الصَّمَدَ ، الَّذِي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ ﴾ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي الْجَنَّةِ ، فَمِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وَعَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لَا يُبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَتَغَلَّبُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِيرُهُمُ الْأَلْوَةُ ، أَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُونُ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ...

هَذَا وَسِنَّهُمْ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَا
 ثَيْنِ الَّتِي هِيَ قُوَّةُ الشَّبَابِ
 وَصَفِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عَلَى
 حَيْدٍ سَوَاءٍ مَا سِوَى الْوِلْدَانِ

ولقد رَوَى الخُضْرِيُّ أَيْضاً أَنَّهُمْ
أَبْنَاءُ عَشْرِ بَعْدَهَا عَشْرَانَ
وَكِلَاهُمَا فِي التِّرْمِذِيِّ وَلَيْسَ ذَا
بِتَنَاقُضٍ بَلْ هَا هُنَا أَمْرَانِ
حَذَفَ الثَّلَاثَ وَنَيْفَ بَعْدَ الْعُقُوفِ
دِ وَذَكَرَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سِيَّانِ
عِنْدَ اتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ وَعِنْدَمَا
يَأْتُوا بِتَخْرِيرِ فِي الْمِيزَانِ
وَالطُّوْلُ طُوْلُ أَبِيهِمْ سِتُّونَ لَا
كَزْ عَرَضُهُمْ سَبْعُ سَلَا نُقْصَانِ
الطُّوْلُ صَحَّ بغيرِ شَكٍّ فِي الصَّحِيحَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا لَنَا شَمَّانِ
وَالعَرَضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُمَا
لَكِنْ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ
هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَذَا العَرَضِ وَالطُّوْلِ البَدِيعِ الشَّانِ
كُلُّ عَلَى مِقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا
تَقْدِيرُ مُتَقِينِ صُنْعَةِ الْإِنْسَانِ
هَذَا كَمَالُ الحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ
وَشُعُورِهِمْ وَكَذَلِكَ العَيْنَانِ
أَلْوَانُهُمْ بَيْضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لُحَى
جُعِدَ السُّعُورُ مُكْحَلُوا الْأَجْفَانِ

اللَّهُمَّ اسئَلُكَ بِنَا سَبِيلَ النِّجَاةِ ، وَبَلِّغْ كَلَامَنَا مَا أَمَلُّهُ وَرَجَاهُ وَاجْعَلْ لَنَا
عِنْدَكَ أَعْظَمَ قَدْرٍ وَجَاهٍ ، وَلَا تَحْرِمْنَا مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ،

وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

في بيان أدنى أهل الجنة منزلةً

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، أن موسى عليه السلام سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلةً ؟ فقال
« رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ،
فَيَقُولُ : رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ ؟ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ ، فَيُقَالُ لَهُ :
اتْرَضِي أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ،
فَيَقُولُ لَهُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ
رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ،
فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، قَالَ : رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ ؟ قَالَ إُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ ،
غَرَسَ كَرَامَتِهِمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ
يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ « انِّي لَأَعْلَمُ
آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، رَجُلًا يَخْرُجُ مِنَ
النَّارِ حَبْوًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا فَيُحَيَّلُ إِلَيْهِ
أَنَّهَا مَلَأَى ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اذْهَبْ
فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا فَيُحَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا

مَلَأَى ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ امْتِثَالِهَا ، فَيَقُولُ أُتَسَخَّرُ بِبِي ، أَوْ تَضَحِكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ » قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، فَكَانَ يَقُولُ : « ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُونَ مِثْلًا ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ الْمِثْلُ سِتَّةَ آلَافٍ ذِرَاعٍ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصْرَاعِي الْجَنَّةِ لَكُمْ بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكِبُ الْجَوَادُ الْمُضْمَرُّ السَّرِيعُ مِائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ ، لَتَقَاضِلَ مَا بَيْنَهُمْ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ، قَالَ « بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « لِقَابُ قَوْسٍ فِي الْجَنَّةِ ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونَهَا

كُلُّ جُمُعَةٍ ، فَتَهَبُ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اِزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ : وَاللَّهِ لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ ، بَنِي ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا ، قَالَ « لَبَنَةٌ ذَهَبٌ ، وَلَبَنَةٌ فِضَّةٌ ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ ، وَالْيَاقُوتُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْسُ ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ : لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : عَلَى شَرِّهِمَا . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ « لِكُلِّ مُسْلِمٍ خَيْرَةٌ ، وَلِكُلِّ خَيْرَةٍ خَيْمَةٌ ، وَلِكُلِّ خَيْمَةٍ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ ، يَدْخُلُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ تُحْفَةٌ وَهَدِيَّةٌ وَكَرَامَةٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ ، لَا مَرَحَاتٍ ، وَلَا دَفِرَاتٍ ، وَلَا سَخِرَاتٍ ،

وَلَا طَمَّاحَاتٍ ، حُورٌ عَيْنٌ ، كَأَنَّهُنَّ بِيضٌ مِكَنُونٌ » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ رِوَايَةِ جَابِرِ الجَعْفِيِّ مَوْفُوفًا .

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ ، إِذَا أَنَا بَنَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ ، فَقُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ، قَالَ : هَذَا الكَوْثُرُ الَّذِي أُعْطَاكَ رَبُّكَ . قَالَ فَضْرَبَ المَلَكُ بِيَدِهِ . فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ » رَوَاهُ البُخَارِيُّ .

وَرَوَى عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ القُشَيْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « فِي الْجَنَّةِ بَحْرٌ لِلْمَاءِ ، وَبَحْرٌ لِلْبَنِّ ، وَبَحْرٌ لِلْعَسَلِ ، وَبَحْرٌ لِلخَمْرِ ، ثُمَّ تَشَقُّقُ الأنهَارُ مِنْهَا بَعْدُ » رَوَاهُ البيهقي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « خَلَقَ اللهُ جَنَّةً عَدْنٍ بِيَدِهِ ، وَدَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا ، وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا ، تَكَلِّمِي فَقَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكَ بَخِيلٌ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ ، بِإِسْنَادَيْنِ أَحَدُهُمَا جَيِّدٌ ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَطْوَلَ مِنْهُ ، وَلَفِظُهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « خَلَقَ اللهُ جَنَّةً عَدْنٍ بِيَدِهِ لَبَنَةٌ مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءَ وَلَبَنَةٌ مِنْ ياقوتةِ حَمْرَاءَ ، وَلَبَنَةٌ مِنْ زَبَرْجَدَةِ خَضْرَاءَ ، وَمِلَاطُهَا مِسْكٌ ، حَشِيشُهَا الزَّعْفَرَانُ ، حَضْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ ، تُرَابُهَا العَنَبَرُ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا أَنْطَقِي قَالَتْ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكَ بَخِيلٌ » ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَالجِنَّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
جِدَا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتْهُ مِنْ
حُلِيِّ وَأَنْبِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
وَكَذَلِكَ أَيْضاً فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ
حُلِيِّ وَبُنْيَانِ وَكُلِّ أَوَانِ
لَكِنَّ دَارَ الخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَعَدُ
نِ وَالسَّلَامِ إِضَافَةٌ لِمَعَانِ
أَوْصَافِهَا اسْتَدَعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْهَا مِدْحَةً مَعَ غَايَةِ التَّبْيَانِ

لَكِنَّمَا الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْ
سَطُهَا مَسَاكِينُ صَفْوَةِ الرَّحْمَنِ
أَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ لِأَعْلَى الْخَلْقِ مَنْدُ
زَلَةٌ هُوَ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
وَهِيَ الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةً
خَلُصَتْ لَهُ فَضْلاً مِنَ الرَّحْمَنِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ تَفْصِيلُ الْجِنَانِ مُفْصَلاً بَيَّانِ

هِيَ أَرْبَعٌ ثِنْتَانِ فَاضِلَّتَانِ وَآ
يَالِيَهُمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ

فالأُولَيَانِ الْمُضَلَيَانِ لِأُوجِهِ
 عَشْرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوِزَانِ
 وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا
 فِيهِ تَلُوحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ عِنْدَ تَكَامُلِ الْبُنْيَانِ
 وَيَدَاهُ أَيْضاً اتَّقَنْتْ لِبِنَائِهَا
 فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمُ بِنَانِي
 لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْغُرْسَ قَا
 لَ تَكَلِّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِبَيَانِ
 قَدْ أَفْلَحَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ
 مَاذَا أَدَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَافِنَا مِنْ مِحَنِ الزَّمَانِ ،
 وَعَوَارِضِ الْفِتَنِ ، فَإِنَّا ضَعَفَاءُ عَنْ حَمَلِهَا ، وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِهَا ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا
 لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجَّيْنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ
 الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ « أَرْضُ الْجَنَّةِ بَيْضَاءُ ، عَرَصَتْهَا صُخُورُ الْكَافُورِ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمِسْكُ ،
 مِثْلُ كُتْبَانِ الرَّمْلِ ، أَنْهَارٌ مُطْرَدَةٌ ، فَيَجْتَمِعُ فِيهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ ، أَدْنَاهُمْ

وَأَخْرَهُمْ ، فَيَتَعَارَفُونَ ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ رِيحَ الرَّحْمَةِ ، فَتَهْبِجُ عَلَيْهِم رِيحُ الْمِسْكِ ، فَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَقَدْ أَزْدَادَ حُسْنًا وَطَيِّبًا ، فَتَقُولُ لَهُ : لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي وَأَنَا بِكَ مُعْجَبَةٌ ، وَأَنَا بِكَ الْآنَ أَشَدُّ اعْجَابًا » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

وَعَنْ كُرَيْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَلَا مُشْمَرٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا ، هِيَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأَلُ ، وَرِيحَانَةٌ تَهْتَرُ وَقَصْرٌ مَسِيدٌ ، وَنَهْرٌ مُطْرَدٌ ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ ، وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ ، حُلٌّ كَثِيرَةٌ ، وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ ، فِي دَارِ سَلِيمَةٍ ، وَفَاكِهِةٌ وَخُضْرَةٌ ، وَحَبْرَةٌ وَنِعْمَةٌ ، فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بِهِةٍ » قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ الْمَشْمُرُونَ ، قَالَ « قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فَقَالَ الْقَوْمُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالْبَزَّازُ ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ .

وَعَنْ سَمَّاكٍ أَنَّهُ لَقِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ بِالْمَدِينَةِ ، بَعْدَ مَا كُفِّ بَصْرُهُ ، فَقَالَ : يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا أَرْضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : مَرْمَرَةٌ بِيضَاءُ مِنْ فِضَّةٍ ، كَأَنَّهَا مِرْآةٌ . قُلْتُ : مَا نُورُهَا ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتَ السَّاعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ ؟ فَذَلِكَ نُورُهَا ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ وَلَا زَمْهَرِيرٌ ، قَالَ : قُلْتُ فَمَا أَنهَارُهَا ؟ أَفِي أَخْدُودٍ ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنَّهَا تَجْرِي عَلَى أَرْضِ الْجَنَّةِ ، مُسْتَكْفَةً ، لَا تَفِيضُ هَا هُنَا وَلَا هَا هُنَا . قَالَ اللَّهُ لَهَا : كُونِي فَكَانَتْ . قُلْتُ فَمَا حُلُّ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : فِيهَا شَجَرَةٌ فِيهَا ثَمَرٌ ، كَأَنَّهُ الرُّمَّانُ ، فَإِذَا أَرَادَ وَلِيُّ اللَّهِ مِنْهَا كِسُوءَةً ، انْحَدَرَتْ إِلَيْهِ مِنْ غُصْنِهَا ، فَانْفَلَقَتْ لَهُ عَنْ سَبْعِينَ حُلَّةً ، أَلْوَانًا بَعْدَ أَلْوَانٍ ، ثُمَّ تَنْطَبِقُ فَتَرْجِعُ كَمَا كَانَتْ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مَوْقُوفًا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

وَرُوِيَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ قَالَ « قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ لَوْلُؤَةٍ ، فِيهَا سَبْعُونَ دَارًا مِنْ ياقوتة حمراء ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتًا ، مِنْ زُمُرُودٍ خَضْرَاءَ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرًا ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِرَاشًا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ، عَلَى كُلِّ فِرَاشٍ امْرَأَةٌ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ وَصِيفًا وَوَصِيفَةً ، يُعْطَى الْمُؤْمِنُ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَعَنْ أَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَكَرَ سِدْرَةَ الْمُتَهَمَى - فَقَالَ « يَسِيرُ الرَّكِبُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ سَنَةٍ ، أَوْ يَسْتَنْظِلُ بِهَا مِائَةَ رَاكِبٍ شَكَّ يَحْيَى ، فِيهَا فِرَاشٌ الذَّهَبِ ، كَأَنَّ ثِمَارَهَا الْقِلَالُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ لَهُ : مَا الْحَوْضُ ؟ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ شَرِبَهُ أبيضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ ، وَأَنْبَيْتُهُ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ النُّجُومِ ، لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِنْسَانٌ فَيَظْمَأُ أَبَدًا ، وَلَا يُصْرَفُ عَنْهُ إِنْسَانٌ فَيَرُوى أَبَدًا » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَغَيْرُهُ .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أبيضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، كِيْرَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا » وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ « لِيرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ أَقْوَامٌ ، فَيُخْتَلَجُونَ دُونِي ، فَأَقُولُ : رَبِّ أَصْحَابِي ، رَبِّ أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ » .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ خَبَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَيَكُونُ أَمْرًا مِنْ بَعْدِي ، فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، وَلَا تُعِينُوهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَمَنْ فَعَلَ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ » .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَلِيرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي . وَبَيْنَهُمْ ، قَالَ أَبُو حَازِمٍ :

فَسَمِعَ التَّعْمَانَ ابْنَ أَبِي عِيَّاشٍ وَأَنَا أَحَدْتُ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ فَقَالَ : وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، سَمِعْتَهُ يَزِيدُ « أَنَّهُمْ مِنِّي » فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي » .

وَعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا حَوْضُكَ الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْهُ ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ : فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا فَاكِهَةٌ ؟ قَالَ « نَعَمْ وَفِيهَا شَجْرَةٌ تُدْعَى طُوبَى ، هِيَ تُطَابِقُ الْفِرْدَوْسَ » فَقَالَ أَيُّ شَجَرٍ أَرْضِينَا تُشْبَهُ ؟ قَالَ لَيْسَ تُشْبَهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ ، وَلَكِنْ أَتَيْتَ

الشَّامِ؟» قَالَ : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « فَإِنَّهَا تُشْبِهُ شَجَرَةً فِي الشَّامِ ، تُدْعَى الْجَوْزَةَ ، تَثْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَنْشُرُ أَعْلَاهَا » قَالَ : فَمَا عِظْمُ أَصْلِهَا؟ قَالَ « لَوْ ارْتَحَلْتَ جَذْعَةً مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ ، لَمَا قَطَعْتَهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْفُوتُهَا هَرْمًا » قَالَ فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ « نَعَمْ » قَالَ : فَمَا عِظْمُ الْعُنُقُودِ مِنْهَا؟ قَالَ « مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ وَلَا يَنْثَنِي وَلَا يَفْتَرُ » قَالَ : فَمَا عِظْمُ الْحَبَّةِ مِنْهُ؟ قَالَ « هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ عَظِيمًا ، فَسَلَخَ إِهَابَهُ ، فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ ، فَقَالَ : اذْبِغِي هَذَا ، ثُمَّ افْرِي لَنَا مِنْهُ ذُنُوبًا ، يُرَوِّي مَا شِئْنَا »؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ تُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَعَامَّةٌ عَشِيرَتِكَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَالْبَيْهَقِيُّ بِنَحْوِهِ ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، بِذِكْرِ الشَّجَرَةِ فِي مَوْضِعِ وَالْعِنَبِ فِي آخِرِ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِخْتِصَارٍ .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَمَاوُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : نَزَلْنَا الصَّفَاخَ ، فَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، قَدْ كَادَتْ الشَّمْسُ تَبْلُغُهُ قَالَ : فَقُلْتُ لِلْغَلَامِ : انْطَلِقْ بِهَذَا النَّطْعِ فَأَظِلُّهُ . قَالَ : فَاَنْطَلَقَ فَأَظَلَّهُ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ، فَإِذَا هُوَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَتَيْتُهُ أُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا جَرِيرُ تَوَاضَعْ لِلَّهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا رَفَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَا جَرِيرُ هَلْ تَدْرِي مَا الظُّلْمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي . قَالَ : ظَلَمَ النَّاسُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَخَذَ عُودًا لَا أَكَادُ

أَرَاهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ . فَقَالَ : يَا جَرِيرُ لَوْ طَلَبْتَ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ هَذَا لَمْ تَجِدْهُ ، قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَأَيْنَ النَّخْلُ وَالشَّجَرُ ؟ قَالَ : أَصُولُهَا اللَّوْلُؤُ وَالذَّهَبُ ، وَأَعْلَاهُ الثَّمَرُ ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا تَذَلِيلًا ﴾ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، قِيَامًا وَقُعُودًا وَمُضْطَجِعِينَ ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ مُوقُوفًا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

وعن عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يُسَاقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى أَوَّلِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَجَدُوا عِنْدَهَا شَجَرَةً ، يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ سَاقِهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ، فَعَمِدُوا إِلَى أَحَدَاهُمَا ، كَأَنَّمَا أَمْرُوا بِهَا ، فَشَرِبُوا مِنْهَا ، فَأَذْهَبَ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ قَذَى وَأَذَى ، ثُمَّ عَمِدُوا إِلَى الْأُخْرَى فَتَطَهَّرُوا مِنْهَا ، فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ ، فَلَنْ تَتَّغِيرَ أَبْشَارُهُمْ بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَلَنْ تَشَعَثَ أَشْعَارُهُمْ ، كَأَنَّمَا ذُهِبُوا ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى خِزْنَةِ الْجَنَّةِ ، فَقَالُوا (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ، فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ) ثُمَّ تَلَقَّاهُمْ الْوَلَدَانُ ، يُطِيفُونَ بِهِمْ ، كَمَا يُطِيفُ وَلَدَانُ أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْحَمِيمِ يَقْدُمُ مِنْ غَيْبَتِهِ ، يَقُولُونَ لَهُ : أَبَشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ ، قَالَ : ثُمَّ يَنْطَلِقُ غَلَامٌ مِنْ أَوْلِيكَ الْغِلْمَانِ ، إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، فَيَقُولُ : قَدْ جَاءَ فُلَانٌ - بِاسْمِهِ الَّذِي كَانَ يُدْعَى بِهِ فِي الدُّنْيَا - فَتَقُولُ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ . فَيَقُولُ أَنَا رَأَيْتُهُ . وَهُوَ ذَا فِي أَثَرِي . فَيَسْتَحِفُّ إِحْدَاهُنَّ الْفَرْخَ ، حَتَّى تَقُومَ عَلَى أَسْكَفَةِ بَابِهَا فَإِذَا انْتَهَى إِلَى مَنْزِلِهِ نَظَرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ أَسَاسُ بُنْيَانِهِ فَإِذَا جَنَدَلُ اللَّوْلُؤِ فَوْقَهُ صَرَخَ أَحْضَرُ وَأَصْفَرُ وَأَحْمَرُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَى سَقْفِهِ فَإِذَا مِثْلُ الْبَرَقِ فَلَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَهُ لَهُ لَأَلَمَ أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهُ ثُمَّ طَاطَأَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَى

أَزْوَاجِهِ وَأَكْوَابَ مَوْضُوعَةٍ وَنَمَارِقَ مَصْفُوفَةٍ وَزَرَابِي مَبْثُوثَةٍ فَنَظَرُوا إِلَى تِلْكَ
النُّعْمَةِ ثُمَّ اتَّكَبُوا فَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ
هَدَانَا اللَّهُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ تَحْيُونَ فَلَا تَمُوتُونَ وَتُقِيمُونَ فَلَا تَطْعَنُونَ ﴿

قال ابن القيم

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمَّ
مَ اخْتَرِ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
حُورٌ حَسَانٌ قَدْ كَمَلْنَ خَلَائِقًا
وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النَّسْوَانِ
حَتَّى يَحَارَ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
قَدْ أَلْبَسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
سُبْحَانَ مُعْطِي الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ
وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُسِ جَمَالِهَا
فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّسْوَانِ
كَمَلَتْ خَلَائِقُهَا وَأَكْمَلَ حُسْنَهَا
كَالْبَدْرِ لَيْلَ اللَّيْلِ بَعْدَ ثَمَانِ
وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَلِكَ مِنْ
لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ
سُبْحَانَ مُتَقِينِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ
وَكَلاَهُمَا مِرْأَةً صَاحِبِهِ إِذَا
مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرِيانِ
فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بِعَيْنَانِ
حُمْرُ الْخُدُودِ تُغُورُهُنَّ لِأَلْيَاءِ
سُودُ الْعُيُونِ فَوَاتِرُ الْأَجْفَانِ
وَالْبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَبْسُمُ ثَغْرَهَا
فَيُضِيءُ سَقْفَ الْقَصْرِ بِالْجُدْرَانِ
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا
يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجَنَانِ
فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرِ ضَاحِكِ
فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرِيانِ
لِلَّهِ لِأَنَّهُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الَّذِي
فِي لُتْمِهِ إِذْرَاكَ كُلِّ أَمَانِ
رِيَانَةُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ بَغُضْنِهَا بِالْمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
لَمَا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بَغُضْنِهَا
حَمَلَ الثِّمَارَ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
فَالْوَرْدُ وَالتُّفَّاحُ وَالرُّمَّانُ فِي
غُضْنِ تَعَالَى غَارِسُ البُسْتَانِ

إلى أن قال :

واضرب لهم مثلاً يصب غاب عن
مغشوقه. في شاع البلدان
والشوق يُزعجه إليه وماله
يلقائه سبب من الإمكان
وإلى إليه بعد طول مغيبه
عنه وصار الوصل ذو إمكان
أتلومه أن كان ذا شغل به
لا والذي أعطى بلا حسابان

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَشْرَحْ صُدُورَنَا وَاجْعَلْنَا
هَذَاهُ مَهْتَدِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَأَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْمُقْرَبِينَ
وَالْأَبْرَارِ وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

« فَضْلٌ »

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ،
طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءَ كَرِيحِ الْمِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ ، كَمَا تُلْهَمُونَ
النَّفْسَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال « نعم » ، والذي نفس محمد بيده ، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع » قال : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس في الجنة أذى ، ؟ قال « تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم ، كرشح المسك ، فيضمر بطنه » . رواه أحمد والنسائي ، ورواه محتج بهم في الصحيح .

ورواه الطبراني بإسناد صحيح . ولفظه في إحدى رواياته قال : بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من اليهود ، يقال له ثعلبة بن الحارث فقال : السلام عليك يا محمد ، فقال « وعليكم » فقال له اليهودي : تزعم أن في الجنة طعاما وشرابا وأزواجا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « نعم تؤمن بشجرة المسك » ؟ قال : نعم . قال : « وتجدها في كتابكم ؟ » قال : نعم : قال « فإن البول والجنابة عرق ، يسيل من تحت ذوائبهم ، إلى أقدامهم مسك » .

- ورواه ابن جبان في صحيحه والحاكم ولفظهما : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود ، فقال : يا أبا القاسم : ألسنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ؟ ، ويقول لأصحابه : إن أقرلي بهذا خصمته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلى ، والذي نفس محمد بيده ، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع » فقال اليهودي فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حاجتهم يفيض من جلودهم مثل المسك ، فإذا البطن قد ضمّر » ولفظ النسائي نحو هذا .

هَذَا وَتَضَرِّفُ الْمَآكِلَ مِنْهُمْ
 عَرَقٌ يَفِيضُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْدَانِ
 كَرَوَائِحِ الْمِسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ
 خِلْطٍ لَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
 فَتَعُودُ هَاتِيكَ الْبُطُونُ ضَوَامِرُ
 تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ
 لَا غَائِطٌ فِيهَا وَلَا بَوْلٌ وَلَا
 مَخْطٌ وَلَا بَضُقٌ مِنَ الْإِنْسَانِ
 وَلَهُمْ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكٌ يَكُونُ
 نُبْهُهُ تَمَامُ الْهَضْمِ بِالْإِحْسَانِ
 هَذَا وَهَذَا صَحَّ عَنْهُ فَوَاحِدٌ
 فِي مُسْلِمٍ وَأَحْمَدَ الْأَثَرَانِ

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ قَالَ : « إِنَّ أَسْفَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ
 أَجْمَعِينَ مَنْ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ عَشْرَةُ آلَافِ خَادِمٍ ، مَعَ كُلِّ خَادِمٍ صَحْفَتَانِ ،
 وَاحِدَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَوَاحِدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى
 مِثْلُهَا ، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهِ كَمَا يَأْكُلُ مِنْ أَوَّلِهِ ، يَجِدُ لآخِرِهِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالطَّعْمِ مَا لَا
 يَجِدُ لِأَوَّلِهِ ، ثُمَّ يَكُونُ فَوْقَ ذَلِكَ رَشْحٌ مِسْكِ وَجُشَاءٌ مِسْكِ ، لَا يَبُولُونَ وَلَا
 يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَالطَّبْرَانِيُّ وَرَوَاتُهُ
 ثِقَاتٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ إِنَّ لَهُ لَسَبْعَ دَرَجَاتٍ وَهُوَ عَلَى السَّادِسَةِ ،

وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ ، إِنَّ لَهُ لَثَلَاثُمِائَةَ خَادِمٍ ، وَيُعْدَى عَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ وَبِرَاحٍ بِثَلَاثُمِائَةِ صَحْفَةٍ ، - وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - مِنْ ذَهَبٍ ، فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى ، وَإِنَّهُ لَيَلِدُ أَوَّلَهُ كَمَا يَلِدُ آخِرُهُ ، وَمِنْ الْأَشْرَبَةِ ثَلَاثُمِائَةَ إِنَاءٍ ، فِي كُلِّ إِنَاءٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْآخَرِ ، وَإِنَّهُ لَيَلِدُ أَوَّلَهُ كَمَا يَلِدُ آخِرُهُ ، وَانَّهُ لَيَقُولُ : يَا رَبِّ لَوْ أَذْنَتَ لِي لَأَطَعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَسَقَيْتُهُمْ ، لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِي شَيْءٌ « الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ شَهْرِ عَنْهُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ ، تَرَعَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ ، فَقَالَ : « أَكَلْتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا » : قَالَهَا ثَلَاثًا ، « وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا » . رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَلَفْظُهُ : قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الْكَوْثُرُ ؟ قَالَ : « ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ ، يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَقَاقُهَا كَأَعْنَقِ الْجُزْرِ » ، قَالَ عُمَرُ : إِنَّ هَذِهِ لِنَاعِمَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَكَلْتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا » . (الْبُخْتُ) بَضْمٌ الْمُوَحَّدَةِ ، وَأَسْكَانِ الْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، هِيَ الْإِبِلُ الْخِرَاسَانِيَّةُ .

فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا ذَاكَ لَا عَيْشُ عَزَّةٌ
 وَسُعْدَى وَلَا لَيْلَى وَلَا أُمَّ سَالِمٍ
 وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَيُرْجَى لِعَبْدٍ قَارِعِ الْبَابِ لِأَزَمِ

وَعَنْ سَلِيمِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ : إِنَّ اللَّهَ لَيَنْفَعُنَا بِالْأَعْرَابِ وَمَسَائِلِهِمْ ، قَالَ : أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ يَوْمًا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً مُؤَذِيَةً ، وَمَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً تُؤَذِي صَاحِبَهَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : السُّدْرُ ، فَإِنَّ لَهُ شَوْكًا مُؤَذِيًا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ ؟ خَضَدَ اللَّهُ شَوْكَهُ ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمْرَةً ، فَإِنهَا لَتَنْبُثُ ثَمْرًا ، تَفْتَقُ الثَّمْرَةُ مِنْهَا عَنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنًا مِنْ طَعَامٍ ، مَا فِيهَا لَوْنٌ يُشْبِهُ الْآخَرَ » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، وَاسْنَادُهُ حَسَنٌ . وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ سَلِيمِ بْنِ عَامِرٍ ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ - وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : الرُّمَّانَةُ مِنْ رُؤْمَانِ الْجَنَّةِ يَجْتَمِعُ حَوْلَهَا بَشَرٌ كَثِيرٌ يَأْكُلُونَ مِنْهَا ، فَإِنْ جَرَى عَلَى ذِكْرِ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ يُرِيدُهُ وَجَدَهُ فِي مَوْضِعٍ يَدِهِ حَيْثُ يَأْكُلُ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، وَرَوَى بِاسْنَادِهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ : إِنَّ الثَّمْرَةَ مِنْ تَمْرِ الْجَنَّةِ طُولُهَا اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا ، لَيْسَ لَهُ عَجْمٌ .

شِيفْرًا :

فَسِرْ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى الْعَلَا
 عَلَى الصَّدَقِ وَالْإِحْلَاصِ وَالْبِرِّ وَالتَّقَى
 وَإِيَّاكَ وَالدُّنْيَا الْغَرُورَ فَانْهَاجِهَا
 مَتَاعٌ قَلِيلٌ مَالَهَا أَبَدًا بَقَا
 وَتُلْهِيكَ عَنْ جَنَاتِ خُلْدٍ نَعِيمُهَا
 يَبْدُومُ وَيَضْفُو حَبْدًا ذَلِكَ مُلْتَقَى

وفيهما رِضَا الرَّبِّ الْكَرِيمِ وَقُرْبُهُ
 ورؤيته أَكْرَمُ بِذَلِكَ مُرْتَقَى
 وَصَلِ وَسَلِّمْ ذُو الْجَلَالِ عَلَى أَحْمَدِ
 شَفِيعِ الْبَرَايَا كُلِّمَا الْمُزْنُ أَغْدَقَا

اللَّهُمَّ أَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شَرِّ الْهَوَى وَمِنْ شَرِّ
 الدُّنْيَا وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا
 اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
 الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) في ثيابهم وحللهم

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْئَسُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ، فِي الْجَنَّةِ
 مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَوَّلُ زِمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ
 الْبَدْرِ ، وَالزِّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنِ أَحْسَنِ كَوْكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً ، يَرَى مَخَّ
 سُوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ لُحُومِهِمَا وَحُلَلِهِمَا ، كَمَا يَرَى الشَّرَابَ الْأَحْمَرَ فِي الرُّجَاجَةِ
 الْبَيْضَاءِ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ ، وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ ، وَتَقَدَّمَ

حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ بِنَحْوِهِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَّكِيءُ فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً ، قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ، ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَةٌ فَتَضْرِبُ مَنْكِبَهُ ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدِّهَا ، أَصْفَى مِنَ الْمَرَأَةِ ، وَإِنَّ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ عَلَيْهَا تَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ السَّلَامَ وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتَ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا ، أَذْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمَانِ ، مِنْ طُوبَى ، فَيَنْفَذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ، وَإِنَّ عَلَيْهَا مِنَ التِّيْجَانِ إِنْ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ مِنْهَا لِتَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهْيَعَةَ ، عَنْ دَرَّاجَ ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ ، وَابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ دَرَّاجَ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْهُ ذَكَرَ التِّيْجَانَ فَقَطَّ ، مِنْ رِوَايَةِ رُشْدَيْنَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ، وَقَالَ : لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ رُشْدَيْنَ

وَعَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ كَعْبٌ : لَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لُبِسَ الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا لَصَعِقَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَمَا حَمَلَتْهُ أَبْصَارُهُمْ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، وَيَأْتِي حَدِيثُ أَنَسِ الْمَرْفُوعُ « وَلَوْ أَطْلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا ، وَلَا ضَاءً مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَنَصِيفُهَا يَعْنِي خِمَارَهَا - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

شعرا : بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْحَالِ
تُرُومَ الْخُلْدِ ثُمَّ تَنَامُ عَنْهَا يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

وفي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا
 سِتُونَ مِثْلًا لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ لَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا
 وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ شَهْوَتَهُ لَتَجْرِي فِي جَسَدِهِ سَبْعِينَ
 عَامًا يَجِدُ اللَّذَّةَ وَلَا يَلْحَقُهُمْ بِذَلِكَ جَنَابَةٌ فَيَحْتَاجُونَ إِلَى التَّطْهِيرِ وَلَا
 ضَعْفٌ وَلَا انْحِلَالٌ قُوَّةٌ ، وَطَوْهُمْ وَطَاءُ التِّدَادِ ، نَعِيمٌ لَا آفَةَ فِيهِ بِوَجْهِ مَنْ
 الْوُجُوهُ وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَطِيعُ نُورٌ
 فِي الْجَنَّةِ فَيَرَفَعُونَ رُؤُسَهُمْ فَإِذَا هُوَ مِنْ ثَغْرِ حَوْرَاءَ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا
 وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّاعِرُ :

شِعْرًا :

فَلَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ فِي الدِّيَاغِي تَبَسَّمَتْ
 تَجَلَّى دُجَى الظُّلْمَاءِ فِي الْأَرْضِ نُورُهَا
 وَلَوْ مَزَجَ الْمَاءَ الْأَجَاجَ بِرَيْقِهَا
 لَأَصْبَحَ عَذْبًا سَلْسِيلاً بِحُورِهَا

أخْرُ :

يَا عَاشِقًا لِلْغَوَانِي مُغْرَمًا بِهَوَى
 دَارِ الْغُرُورِ وَعَيْشِ شَيْبٍ بِالْكَدْرِ
 إِنَّ الْغَوَانِي الْجِسَانَ الْحُورَ مَسْكَنُهَا
 دَارُ السُّرُورِ عَلَى فُرْشِ عَلَى السُّرْرِ

فِي سُندُسِ الْفُرْشِ أَقْمَارٌ عَلَى سُرُرٍ
مِنَ الْيَوَاقِيْتِ فِي قَصْرِ مِنَ الدَّرْرِ
يُشَاهِدُ الْمُخَّ فِي السَّاقِيْنَ نَاطِرُهَا
مِنَ فَوْقِ سَبْعِيْنَ مَلْبُوساً مِنَ الْحَبْرِ
قَدْ طَلَنُ شَوْقاً إِلَى أَرْوَاجِهِنَّ كَمَا
يَشْتَاقُ لِلْغَائِبِ الْمَحْبُوبِ فِي السَّفْرِ

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ
اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهَيْمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمْنَا
مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرَكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ .
شِعْراً :

اللَّهُ أَعْظَمُ مِمَّا جَالَ فِي الْفِكْرِ
وَحُكْمُهُ فِي الْبَرَآيَا حُكْمُ مُقْتَدِرِ
مَوْلَى عَظِيْمٍ حَكِيْمٍ وَاحِدٌ صَمَدٌ
حَيٌّ قَدْ يَرْمُرُ يَدُ فَاطِرِ الْفِطْرِ
يَا رَبُّ يَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ صَلِّ عَلَى
رَسُوْلِكَ الْمُجْتَبِيِّ مِنْ أَطْهَرِ الْبَشَرِ
وَأَلِيهِ وَالصِّحَابِ الْمُقْتَدِيْنَ بِهِ
أَهْلَ التَّقَى وَالْوَفَا وَالنُّصْحِ لِلْبَشَرِ
أَشْكُو إِلَيْكَ أَمْوراً أَنْتَ تَعْلَمُهَا
فَتُورَ عَزْمِي وَمَا فَرَطْتُ فِي عُمْرِي
وَفَرَطَ مَيْلِي إِلَى الدُّنْيَا وَقَدْ حَسَرْتُ
عَنْ سَاعِدِ الْغَدْرِ فِي الْأَصَالِ وَالْبُكْرِ

يَا رَبِّ زِدْنِي تَوْفِيقًا وَمَعْرِفَةً
وَحُسْنَ عَاقِبَةٍ فِي الْوَرْدِ وَالصُّدْرِ
قَدْ أَصْبَحَ الْخَلْقُ فِي خَوْضٍ وَفِي ذُعْرٍ
وَزُورٍ لَهْوٍ وَهُمْ فِي أَعْظَمِ الْخَطَرِ
وَلِلْقِيَامَةِ أَشْرَاطٌ وَقَدْ ظَهَرَتْ
بَعْضُ الْعَلَامَاتِ وَالْبَاقِي عَلَى الْأَثَرِ
قَلُّ الْوَفَاءِ فَلَا عَهْدَ وَلَا ذِمَّةَ
وَاسْتَحْكَمَ الْجَهْلُ فِي الْبَادِيْنَ وَالْحَضَرِ
دَعَا لِأَذْيَانِهِمْ بِالْبَخْسِ مِنْ سُحْتِ
وَأَظْهَرُوا الْفِسْقَ وَالْعُدْوَانَ بِالْأَشْرِ
وَجَاهَرُوا بِالْمَعَاصِي وَارْتَضَوْا بِدَعَاً
عَمَّتْ فَصَاحِبُهَا يَمْشِي بِلَا حَذَرِ
وَطَالِبُ الْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ مُسْتَتِرٌ
وَصَاحِبُ الْإِفْكِ فِيهِمْ غَيْرُ مُسْتَتِرِ
وَالْوَزْنُ بِالْوَيْلِ وَالْأَهْوَاءِ مُعْتَبَرٌ
وَالْوَزْنُ بِالْحَقِّ فِيهِمْ غَيْرُ مُعْتَبَرِ
وَقَدْ بَدَأَ النُّقْضُ بِالْإِسْلَامِ مُشْتَهَرًا
وَبَدَّلَتْ صَفْوَةَ الْخَيْرَاتِ بِالْكَدْرِ
فَسَوْفَ يَخْرُجُ دَجَالُ الضَّلَالَةِ فِي
هَرَجٍ وَقُحْطٍ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبْرِ
وَيَدْعِي أَنَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ وَهَلْ
تَخْفَى صِفَاتُ كَذُوبٍ ظَاهِرِ الْعَوْرِ

فَنَارُهُ جَنَّةٌ طُوبَى لِدَاخِلِهَا
وَزُورُ جَنَّتِهِ نَارٌ مِنَ الشُّعْرِ
شَهْرٌ وَعَشْرٌ لِيَالِي طُولِ مُدَّتِهِ
لَكِنَّهُ عَجَبٌ فِي الطُّولِ وَالْقِصْرِ
فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى نَاصِراً حَكَمَآ
عَدْلَآ وَيَعْضِدُهُ بِالنُّصْرِ وَالظَّفْرِ
فَيَتَّبِعُ الْكَاذِبَ الْبَاغِي وَيَقْتُلُهُ
وَيَمَحُقُ اللَّهُ أَهْلَ الْبَغْيِ وَالضَّرِّ
وَقَامَ عِيسَى يُقِيمُ الْحَقَّ مُتَّبِعَآ
شَرِيعَةَ الْمُصْطَفِي الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرِّ
فِي أَرْبَعِينَ مِنَ الْأَعْوَامِ مُخَصَّبَةً
فَيَكْسِبُ الْمَالَ فِيهَا كُلُّ مُفْتَقِرِ
حَتَّى إِذَا أَنْفَذَ اللَّهُ الْقَضَاءَ دَعَى
عِيسَى فَأَنْتَاهُمُ الْمَوْلَى عَلَى قَدَرِ
وَعَادَ لِلنَّاسِ عِيدُ الْخَيْرِ مُكْتَمِلَآ
حَتَّى يَتِمَّ لِعِيسَى آخِرُ الْعُمُرِ
وَالشَّمْسُ حِينَ تُرَى فِي الْغَرْبِ طَالِعَةً
تُلُوعُهَا آيَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْكِبَرِ
فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا إِيمَانَ يُقْبَلُ مِنْ
أَهْلِ الْجُحُودِ وَلَا عُذْرٌ لِمُعْتَدِرِ

وَدَابَّةٌ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا
وَسْمٌ مِنَ الثُّورِ وَالْكَفَّارِ بِالْقَتْرِ
وَحَلْفُهَا الْفِتْنَةُ الدَّجَالُ قَبْلَهُمَا
أَوْ بَعْدُ قَدْ وَرَدَ الْقَوْلَانِ فِي الْخَبَرِ
وَكَمْ خَرَابٍ وَكَمْ خَسْفٍ وَزَلْزَلَةٍ
وَفَيْحِ نَارٍ وَأَيَاتٍ مِنَ الثُّنْدِ
وَنَفْخَةِ تُذْهِبُ الْأَرْوَاحَ شِدَّتُهَا
إِلَّا الَّذِينَ عُنُوا فِي سُورَةِ الزُّمَرِ
وَأَرْبَعُونَ مِنَ الْأَعْوَامِ قَدْ حُسِبَتْ
لِكَيْ تُبَيَّنَ بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي الصُّورِ
قَامُوا حُفَاةً عُرَاةً مِثْلَ مَا خُلِقُوا
مِنْ هَوْلٍ مَا عَانُوا سَكْرَى بِلَا سُكْرِ
قَوْمٍ مُشَاءً وَرُكْبَانٌ عَلَى نُجُبٍ
عَلَيْهِمَا حُلٌّ أَبْهَى مِنَ الزَّهْرِ
وَيُسْحَبُ الظَّالِمُونَ الْكَافِرُونَ عَلَى
وُجُوهِهِمْ وَتُحِيطُ النَّارُ بِالشَّرِّ
وَالشَّمْسُ قَدْ أُذْنِيَتْ وَالنَّاسُ فِي عَرَقٍ
وَفِي زَحَامٍ وَفِي كَرْبٍ وَفِي حَصْرِ
وَالْأَرْضُ قَدْ بُدِّلتْ بَيِّضَاءَ لَيْسَ لَهَا
مَخْفَى وَلَا مَلْجَأٌ يَبْدُو لِمُسْتَتِرٍ

طَالَ الْوُقُوفُ فَجَاؤُوا آدَمًا فَرَجَوْا
 شَفَاعَةً مِنْ أَبِيهِمْ أَوَّلَ الْبَشَرِ
 فَرَدَّ ذَاكَ إِلَى نُوحٍ فَرَدَّهُمْ
 إِلَى الْخَلِيلِ فَأَبْدَى وَصْفَ مُفْتَقِرِ
 إِلَى الْكَلِيمِ إِلَى عِيسَى فَرَدَّهُمْ
 إِلَى الْحَبِيبِ فَلَبَّاهَا بِلَا حَصْرِ
 فَيَسْأَلُ الْمُصْطَفَى فَضْلَ الْقَضَاءِ لَهُمْ
 لِيَسْتَرِيحُوا مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْخَطَرِ
 تُطَوِّي السَّمَوَاتِ وَالْأَمْلاكَ هَابِطَةً
 حَوْلَ الْعِبَادِ لِهَوْلِ مُعْضِلِ عَسِيرِ
 وَالشَّمْسُ قَدْ كُوِّرَتْ وَالْكَتُبُ قَدْ نُشِرَتْ
 وَالْأَنْجُمُ انْكَدَرَتْ نَاهِيكَ عَنْ كَدْرِ
 وَقَدْ تَجَلَّى إِلَهُ الْعَرْشِ مُقْتَدِرًا
 سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ كَيْفٍ وَعَنْ فِكْرِ
 فَيَأْخُذُ الْحَقَّ لِلْمَظْلُومِ مُنْتَصِفًا
 مِنْ ظَالِمٍ جَارٍ بِالْعُدْوَانِ وَالْبَطْرِ
 وَالْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَالْأَعْمَالُ قَدْ ظَهَرَتْ
 وَوَزْنُهَا عِبْرَةٌ تَبْدُو لِمُعْتَبِرِ
 وَكُلُّ مَنْ عَبَدَ الْأَوْثَانَ يَتَّبِعُهَا
 بِإِذْنِ رَبِّي وَصَارَ الْكُلُّ فِي سَفَرِ

وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمِيزَانِ قَدْ قُسِمُوا
 ثَلَاثَةً فَاسْمَعُوا تَقْسِيمَ مُخْتَصِرِ
 فَسَابِقُ رَجَحَتْ مِيزَانُ طَاعَتِهِ
 لَهُ الْخُلُودُ بِلَا خَوْفٍ وَلَا دُعْرِ
 وَمُذْنِبٌ كَثُرَتْ آثَامُهُ فَلَهُ
 شَفْعٌ بِأَوْزَارِهِ أَوْ عَفْوٌ مُغْتَفِرِ
 وَوَاحِدٌ قَدْ تَسَاوَتْ حَالَتَاهُ لَهُ
 حَبْسٌ طَوِيلٌ وَبَيْنَ الْبَشْرِ وَالْحَصْرِ
 وَبُكْرُمُ اللَّهِ مَثْوَاهُ بِجَنَّتِهِ
 بِجُودِ فَضْلِ عَمِيمٍ غَيْرِ مُنْحَصِرِ
 وَفِي الطَّرِيقِ صِرَاطٌ مُدًّا فَوْقَ لَظْيِ
 كَحَدِّ سَيْفٍ سَطَا فِي دِقَّةِ الشُّعْرِ
 النَّاسُ فِي وَرْدِهِ شَتَّى فَمُسْتَبَقُ
 كَالْبَرْقِ وَالطَّيْرِ أَوْ كَالخَيْلِ فِي النَّظْرِ
 سَاعِي وَمَاشٍ وَمَخْدُشٍ وَمُعْتَلِقِ
 نَاجٍ وَكَمٍّ سَاقِطٍ فِي النَّارِ مُتَشَرِّ
 لِلْمُؤْمِنِينَ وَرُودٌ بَعْدَهُ صَدْرُ
 وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ وَرْدٌ بِلَا صَدْرِ
 فَيَشْفَعُ الْمُصْطَفَى وَالْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ
 يَخْتَارُهُ النَّمْلُكَ الرَّحْمَنُ فِي زُمْرِ

فِي كُلِّ عَاصٍ لَهٗ نَفْسٌ مُّقَصَّرَةٌ
 وَقَلْبُهُ عَنِ سِوَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ بَرِي
 فَأَوَّلُ الشُّفَعَاءِ حَقًّا وَآخِرُهُمْ
 مُحَمَّدٌ ذُو الْبَهَاءِ الطَّيِّبِ الْعَطِيرِ
 وَالْحَوْضُ يَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ غَدًا
 كَالْأَزْيِ يَجْرِي عَلَى الْيَاقُوتِ وَالذَّرِيرِ
 وَيَخْلُقُ اللَّهُ أَقْوَامًا قَدْ احْتَرَقُوا
 كَانُوا أَوْلِيَ الْعِزَّةِ الشُّعَاءِ وَالتَّجَرِ
 وَالنَّارِ مَثْوًى لِأَهْلِ الْكُفْرِ كُلِّهِمْ
 طَبَاقُهَا سَبْعَةٌ مُسَوِّدَةٌ الْحُفْرِ
 جَهَنَّمَ وَلَظَى وَالْحَطْمُ بَيْنَهُمَا
 ثُمَّ السَّعِيرُ كَمَا الْأَهْوَالُ فِي سَقَرِ
 وَتَحْتَ ذَلِكَ جَحِيمٌ ثُمَّ هَاوِيَةٌ
 يَهْوَى بِهَا أَبَدًا سُحْقًا لِمُحْتَقِرِ
 فِي كُلِّ بَابٍ عُقُوبَاتٌ مُضَاعَفَةٌ
 وَكُلُّ وَاحِدَةٍ تَسْطُورُ عَلَى التَّفْرِ
 فِيهَا غِلَظٌ شِدَادٌ مِنْ مَلَائِكَةٍ
 قُلُوبُهُمْ شِدَّةٌ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ
 لَهُمْ مَقَامِعٌ لِلتَّعْذِيبِ مُرْصَدَةٌ
 وَكُلُّ كَسْرٍ لَدَيْهِمْ غَيْرِ مُنْجَبِرِ

سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ شَعْنَاءُ مُوحِشَةٌ
دَهْمَاءُ مُحْرِقَةٌ لَوَّاحَةٌ الْبَشِيرِ
فِيهَا الْجَحِيمُ مُذِيبٌ لِلْوُجُوهِ مَعَ آلِ
أُمْعَاءٍ مِنْ شِدَّةِ الْإِحْرَاقِ وَالشَّرَرِ
فِيهَا الْغِسَاقُ الشَّدِيدُ الْبَرْدِ يَقْطَعُهُمْ
إِذَا اسْتَفْأَتُوا بِحَرٍّ ثُمَّ مُسْتَعِيرِ
فِيهَا السَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ تَجْمَعُهُمْ
مَعَ الشَّيَاطِينِ قَسْرًا جَمَعَ مُنْقَهَرِ
فِيهَا الْعَقَابُ وَالْحَيَّاتُ قَدْ جُعِلَتْ
جُلُودُهُمْ كَالْبِغَالِ الدُّهْمِ وَالْحُمُرِ
وَالْجُوعُ وَالْعَطَشُ الْمُضْنِي لِأَنْفُسِهِمْ
فِيهَا وَلَا جِلْدٌ فِيهَا لِمُضْطَبِرِ
لَهَا إِذَا مَا غَلَتْ فَوْرٌ يُقَلِّبُهُمْ
مَا بَيْنَ مُرْتَفِعٍ مِنْهَا وَمُنْحَدِرِ
جَمَعَ النَّوَاصِي مَعَ الْأَقْدَامِ صَيَّرَهُمْ
كَالْقَوْسِ مَخْنِيَةً مِنْ شِدَّةِ الْوَتْرِ
لَهُمْ طَعَامٌ مِنَ الزَّقُومِ يَغْلِقُ فِي
حُلُوقِهِمْ شَوْكُهُ كَالصَّابِ وَالصَّبْرِ
يَا وَيْلَهُمْ تُحْرِقُ النَّيْرَانَ أَعْظَمَهُمْ
بِالْمَوْتِ شَهْوَتُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الضَّجْرِ

ضَجُّوا وَصَاحُوا زَمَانًا لَيْسَ يَنْفَعُهُمْ
دُعَاءُ دَاعٍ وَلَا تَسْلِيمُ مُضْطَبِّرِ
وَكُلُّ يَوْمٍ لَهُمْ فِي طُولِ مُدَّتِهِمْ
نَزْعُ شَدِيدٍ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالسَّعْرِ
كَمْ بَيْنَ دَارِ هَوَانٍ لَا أَنْقِضَاءَ لَهَا
وَدَارِ أَمْنٍ وَخُلْدٍ دَائِمِ الدَّهْرِ
دَارِ الَّذِينَ اتَّقَوْا مَوْلَاهُمْ وَسَعَوْا
قَصْدًا لِنَيْلِ رِضَاهُ سَعْيِ مُؤْتَمِرِ
وَأْمَنُوا وَاسْتَقَامُوا بِمِثْلِ مَا أَمَرُوا
وَاسْتَغْرَقُوا وَقْتَهُمْ فِي الصَّوْمِ وَالسَّهْرِ
وَجَاهَدُوا وَأَنْتَهَوْا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ
عَنْ بَابِهِ وَاسْتَلَانُوا كُلَّ ذِي وَعَرِ
جَنَاتٍ عَدَنِ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ بِهَا
فِي مَقْعَدِ الصَّدَقِ بَيْنَ الرَّوْضِ وَالزُّهْرِ
بِنَاؤُهَا فِضَّةٌ قَدْ زَانَهَا ذَهَبٌ
وَطِينُهَا الْمِسْكُ وَالْحَصْبَا مِنَ الدَّرَرِ
أُورَاقُهَا ذَهَبٌ مِنْهَا الْغُصُونُ دَنْتٌ
بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الرِّيحَانِ وَالثَّمَرِ
أُورَاقُهَا حُلٌّ شَفَافَةٌ خُلِقَتْ
وَاللُّؤْلُؤُ الرُّطْبُ وَالْمُرْجَانُ فِي الشَّجَرِ

دَارُ النُّعِيمِ وَجَنَّاتُ الْخُلُودِ لَهُمْ
 دَارُ السَّلَامِ لَهُمْ مَأْمُونَةٌ الْغَيْرِ
 وَجَنَّةُ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَكَمْ جَمَعَتْ
 جَنَّاتُ عَدْنٍ لَهُمْ مِنْ مُونِقٍ نَضِيرِ
 طِبَاقُهَا دَرَجَاتٌ عَدُّهَا مِائَةٌ
 كُلُّ اثْنَتَيْنِ كَبُعْدِ الْأَرْضِ وَالْقَمَرِ
 أَعْلَى مَنَازِلِهَا الْفِرْدَوْسُ عَالِيهَا
 عَرْشُ الْإِلَهِ فَسَلُّ وَاطْمَعُ وَلَا تَذَرِ
 أَنهَارُهَا عَسَلٌ مَا فِيهِ شَائِبَةٌ
 وَخَالِصُ اللَّبَنِ الْجَارِي بِلَا كَدَرِ
 وَأَطْيَبُ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ الَّذِي خَلِثَ
 مِنْ الصُّدَاعِ وَنُطْقِ اللَّهْوِ وَالسُّكْرِ
 وَالْكُلُّ تَحْتَ جِبَالِ الْمِسْكِ مَتْبَعُهَا
 يُجْرُونَهُ كَيْفَ شَاؤُوا غَيْرَ مُحْتَجِرِ
 فِيهَا نَوَاهِدُ أَبْكَارٍ مُزَيَّنَةٌ
 يَبْرُزْنَ مِنْ حُلَلٍ فِي الْحُسْنِ وَالْخَفْرِ
 نِسَاؤُهَا الْمُؤْمِنَاتُ الصَّابِرَاتُ عَلَى
 حِفْظِ الْعَهْدِ مَعَ الْإِمْلَاقِ وَالضَّرْرِ
 كَأَنَّهُنَّ بُدُورٌ فِي غُصُونِ نَقَا
 عَلَى كَيْبٍ بَدَتْ فِي ظُلْمَةِ السُّحْرِ

كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يُعْطِي قُوَى مِائَةً
فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْإِفْضَاءِ بِلَا خَوَرٍ
طَعَامُهُمْ رَشْحٌ مِسْكٌ كُلَّمَا عَرَقُوا
عَادَتْ بُطُونُهُمْ فِي هَضْمٍ مُنْضَمِرٍ
لَا جُوعَ لَا بَرْدَ لَاهُمْ وَلَا نَضَبٌ
بَلْ عَيْشُهُمْ عَنِ جَمِيعِ النَّائِبَاتِ عَرِي
فِيهَا الْوَصَائِفُ وَالْغِلْمَانُ تَخْدُمُهُمْ
كُلُّوْلُو فِي كَمَالِ الْحُسْنِ مُنْتَثِرٍ
فِيهَا الْغِنَاءُ وَالْجَوَارِي الْغَائِبَاتُ لَهُمْ
بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ لِلْمَوْلَى مَعَ السَّمْرِ
لِبَاسُهُمْ سُندُسٌ حُلَاهُمْ ذَهَبٌ
وَلُؤْلُؤٌ وَنَعِيمٌ غَيْرُ مُنْحَصِرٍ
وَالذِّكْرُ كَالنَّفْسِ الْجَارِي بِلَا تَعَبٍ
وَنَزَّهُوْا عَنِ كَلَامِ اللَّغْوِ وَالْهَذَرِ
وَأَكْلُهَا دَائِمٌ لَا شَيْءٌ مُنْقَطِعٌ
كَرَّرَ أَحَادِيثَهَا فِي أَطْيَبِ الْخَبَرِ
فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَجْرِي فِي خَلْدٍ
وَلَمْ يَكُنْ مُدْرَكًا لِلسَّمْعِ وَالْبَصْرِ
فِيهَا رِضَا الْمَلِكِ الْمَوْلَى بِلَا غَضَبٍ
سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ نَفْعٌ بِلَا غَيْرِ

لَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ لَا نَظِيرَ لَهُ
سَمَاعُ تَسْلِيمِهِ وَالْفَوْزُ بِالنُّظْرِ
بِغَيْرِ كَيْفٍ وَلَا حَدٍّ وَلَا مَثَلٍ
حَقًّا كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالْخَبْرِ
وَهِيَ الزِّيَادَةُ وَالْحُسْنَى الَّتِي وَرَدَتْ
وَأَعْظَمُ الْمَوْعِدِ الْمَذْكُورِ فِي الزُّبْرِ
لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوهُ وَمَا قَصَدُوا
سِوَاهُ إِذْ نَظَرُوا الْأَكْوَانَ بِالْعِبَرِ
وَكَابَدُوا الشُّوقَ وَالْأَنْكَادُ قُوتَهُمْ
وَلَا زَمُوا الْجِدَّ وَالْأَذْكَارَ فِي الْبُكَرِ
يَا مَالِكَ الْمَلِكِ جُدْ لِي بِالرِّضَا كَرَمًا
فَأَنْتَ لِي مُحْسِنٌ فِي سَائِرِ الْعُمُرِ
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْهَادِي الْبَشِيرِ لَنَا
وَالِهِ وَانْتَصِرْ يَا خَيْرَ مُنْتَصِرِ
مَا هَبَّ نَشْرُ الصَّبَا وَاهْتَزَّ نَبْتُ رَبَا
وَفَاحَ طِيبُ شَذَا فِي نَسَمَةِ السَّحَرِ
أَيَّاتُهَا تِسْعُ عَشْرَ بَعْدَهَا مَائَةٌ
كَلَامُهَا وَعَظْمُهَا أَنْهَى مِنَ الدَّرْرِ

اللهم أعِذْنَا مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ
وَصِلِّعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْحَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ .
اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ ، وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ
عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا ، وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا ، كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا
رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ ائْتَنَّا اللَّهَ عَلَى خَاتَمِ رُسُلِهِ ، وَصَفْوَةِ خَلْقِهِ ، سَيِّدِنَا
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَشْرَفِ الْمَنَنِ ، وَاخْتَصَّه بِأَجَلِ النِّعَمِ ، وَأَتَاهُ مِنْ
فَضْلِهِ مَا لَمْ يُولِّ أَحَدًا سِوَاهُ ، أَدَبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ ، وَهَذَبَهُ فَأَكْمَلَ
تَهْدِيَتَهُ ، وَمَنَحَهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ غَايَتَهَا ، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ
نَهَائَتَهَا ، ثُمَّ أَتَى عَلَيْهِ فَقَالَ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ خَلْقَهُ الْقُرْآنَ يَرْضَى بِرِضَاهُ ، وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ ،
وَكَانَ ﷺ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَصْدَقَهُمْ قَوْلًا ، وَأَلْيَنَهُمْ جَانِبًا ، وَأَكْرَمَهُمْ
عِشْرَةً ، يُؤَلِّفُ النَّاسَ وَلَا يُنْفِرُهُمْ ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ ، وَيُؤَلِّبُهُ
عَلَيْهِمْ ، يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيُعْطِي كُلَّ جَلِيسٍ نَصِيحَتَهُ ، حَتَّى لَا يَحْسَبُ
جَلِيسُهُ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ بِحَاجَةٍ سَايَرَهُ ، حَتَّى
يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْهُ ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخَلَقَهُ ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا
رَحِيمًا . وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، لِذَلِكَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ
بَعْدَ نُفُورِهَا ، وَتَأَلَّفَتِ النَّفُوسُ بَعْدَ جُمُوحِهَا ، تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَبِمَا
رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ) وَكَانَ ﷺ حَلِيمًا مَعَ الْأَذَى ، عَفْوًا مَعَ الْقُدْرَةِ ، صَبُورًا عَلَى
الْمَكَارِهِ ، وَتِلْكَ خِصَالُ أَدَبِهِ بِهَا رَبُّهُ ، فَقَالَ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ
الْعُرْفَ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَفْسِيرِهَا ،
فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ
ظَلَمَكَ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَمَ النَّاسِ ، وَأَسْحَاهُمْ يَدًا ، وَأَطْيَبِهِمْ

نَفْسًا ، مَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا ، مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا ، أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ ، يَجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كُرَاعًا ، وَيُكَافِيُهُ عَلَيْهَا خَيْرًا مِنْهَا ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَشْجَعَ النَّاسِ ، وَأَعْظَمَ النَّاسِ غَيْرَةً وَأَقْدَامًا ، فَرَّ الْفُرْسَانُ وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ عَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ ، مُقْبِلٌ لَا مُدْبِرٌ ، وَلَا يَتَزَحَّزَحُ ، وَكَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً ، وَأَكْثَرَهُمْ عَنِ الْعَوْرَاتِ إِغْضَاءً قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ وَكَانَ لَا يُخَاطَبُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ حَيَاءً وَكَرَمًا .

أَمَّا شَفِيقَتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَرَأْفَتُهُ وَلُطْفُهُ بِجَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ - مَعَ عُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَمَكَانَتِهِ ، وَرَفْعِ رُتْبَتِهِ - فَقَدْ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا ، أَوْ عَبْدًا نَبِيًّا ، فَاخْتَارَ عَبْدًا نَبِيًّا ، وَكَانَ يَقُولُ « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، أَكُلُّ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ » وَكَانَ يُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ ، وَيَعُودُ الْمَسَاكِينَ ، وَيَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِهِ مُخْتَلِطًا بِهِمْ ، كَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَكَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَسْكِينًا ، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ » .

وَأَمَّا عَدْلُهُ وَأَمَانَتُهُ ، وَعَفْفَتُهُ وَمُرُوءَتُهُ ، وَوَقَارُهُ وَهَيْبَتُهُ ، وَصِدْقُهُ وَوَفَاؤُهُ بِالْعَهْدِ وَحِفْظُهُ لِلْوَعْدِ ، وَصِلَتُهُ لِلْأَرْحَامِ ، وَعَظْفُهُ عَلَى الْإِيْتَامِ ، فَقَدْ بَلَغَ فِي كُلِّ ذَلِكَ الْغَايَةَ ، وَوَصَلَ إِلَى النَّهَائِيَةِ وَأَمَّا زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّي عَرِضٌ عَلَيَّ أَنْ تُجْعَلَ لِي بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ ، لَا

يَارَبِّ . أَجُوعُ يَوْمًا ، وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ فَاتَضَرَّعُ إِلَيْكَ
وَأَدْعُوكَ ، وَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَشْبَعُ فِيهِ فَأَحْمَدُكَ وَأَثْنِي عَلَيْكَ » وَقَالَتْ ، أُمُّ
الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : إِنَّا كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمُكُّ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ
نَارًا ، إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ ، وَأَمَّا خَوْفُهُ مِنْ رَبِّهِ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ
بِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، أَرَى
مَا لَا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ مَا فِيهَا
مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا وَمَلَكَ وَأَضِيعُ جَبْهَتُهُ سَاجِدًا لِلَّهِ وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ
لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَلَمَّا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفِرَاشِ وَلَخَرَجْتُمْ
إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » . . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : أَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » ؟ هَذَا يَا عِبَادَ اللَّهِ
قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، ذِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ، وَالْقَدْرِ
الْفَخِيمِ ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَتَأَمَّلُوا هَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةَ ، وَالْخِصَالَ الْحَمِيدَةَ ،
فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَتَسِيرُوا عَلَى نَهْجِهَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الْآيَةَ .

شِعْرًا :

يَا نَفْسُ تُوْبِي فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَانَا
وَاعْصِي الْهَوَى فَالْهَوَى مَا زَالَ فَتَانَا
أَمَّا تَرَيْنَ الْمَنَايَا كَيْفَ تَلْقَطُنَا
لَقَطًا فَتُلْحِقُ أَخْرَانَا بِأَوْلَانَا

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَيْتٌ نُشِيَعُهُ
 نَرَى بِمَضْرَعِهِ آثَارَ مَوْتَانَا
 يَا نَفْسُ مَالِي وَلِلْأَمْوَالِ أَتْرُكُهَا
 خَلْفِي وَأُخْرِجُ مِنْ دُنْيَايَ عُرْيَانَا
 أَبْعَدَ خَمْسِينَ قَدْ قَضَيْتُهَا لِعِبَا
 قَدْ آتَى أَنْ تَقْصُرِي قَدْ آتَى قَدْ آتَى
 مَا بَالُنَا نَتَعَامَى عَنِ مَصَائِرِنَا
 نَنْسَى بِغَفْلَتِنَا مَنْ لَيْسَ يَنْسَانَا
 نَزْدَادُ حِرْصاً وَهَذَا الدَّهْرُ يَزْجُرُنَا
 كَانَ زَاجِرُنَا بِالْحِرْصِ أَغْرَانَا
 أَيْنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَمَنْ
 كَانَتْ تَخِرُ لَهُ الْأَذْقَانُ إِذْعَانَا
 صَاحَتْ بِهِمْ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا
 مُسْتَبْدِلِينَ مِنَ الْأَوْطَانِ أَوْطَانَا
 خَلُّوا مَدَائِنَ كَانَ الْعِزُّ مَفْرُشُهَا
 وَاسْتَفْرَشُوا حُفْرًا غُيْبًا وَقِيَعَانَا
 يَا رَاكِضاً فِي مِيَادِينِ الْهَوَى مَرِحاً
 وَرَافِلاً فِي ثِيَابِ الْغَيِّ نَشْوَانَا
 مَضَى الزَّمَانُ وَوَلَّى الْعُمُرُ فِي لَعِبِ
 يَكْفِيكَ مَا قَدْ مَضَى قَدْ كَانَ مَا كَانَا

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا تَوْفِيقاً يَفِينَا عَنْ مَعَاصِيكَ ، وَأَرْشِدُنَا إِلَى السَّعْيِ إِلَى مَا
 يُرْضِيكَ ، وَأَجْرُنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خَزَائِكَ وَعَذَابِكَ ، وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ
 وَأَحْبَابِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ،

اللهم قوي إيماننا بك وبملائكتك وبكتبك وبرسلك وباليوم الآخر وبالقدر
خيرِه وشره اللهم ووقفنا لأمتنا وأمرنا ، واجتناب نواهيك وأغفر لنا ولكوالدينا
ولجميع المسلمين الأحياء منهم والمتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فصل

في وصف نساء أهل الجنة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ « لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلِقَابٌ
قَوْسٍ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِهِ - يَعْنِي سَوْطُهُ - مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا
فِيهَا ، وَلَوْ أَطْلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا
رِيحًا ، وَلَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَنْصَيْفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا
فِيهَا » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالطَّبْرَانِيُّ مُخْتَصِرًا بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ، إِلَّا أَنَّهُ
قَالَ : « وَلَتَأْجُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

(النصيف) : الخمار .

(اللقاب) : هو القدر ، وقال أبو معمر : قاب القوس من مقبضه
إلى رأسه .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالتِّي
تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ وَلِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ
اِثْنَانِ ، يَرَى مَخَّ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْرَبُ » رَوَاهُ

البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَرَى بَيَاضَ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً ، حَتَّى يُرَى مُخَهَا ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ فَأَمَّا الْيَاقُوتُ فَإِنَّهُ حَجَرٌ لَوْ أُدْخِلْتَ فِيهِ سِلْكَاً ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ : وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَمْ يَرْفَعْهُ ، وَهُوَ أَصَحُّ .

وَرُوِيَ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ « حَدَّثَنِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ : يَدْخُلُ الرَّجُلُ عَلَى الْخَوْرَاءِ ، فَتَسْتَقْبِلُهُ بِالْمُعَانَقَةِ وَالْمُصَافِحَةِ » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَبِأَيِّ بَنَانٍ تُعَاطِيهِ ، لَوْ أَنَّ بَعْضَ بَنَانِهَا بَدَأَ ، لَغَلَبَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَلَوْ أَنَّ طَاقَةَ مِنْ شَعْرِهَا بَدَتْ ، لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَكِيٌّ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَتِهِ ، إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ ، فَيَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَلْقِهِ ، فَإِذَا خَوْرَاءٌ تُنَادِيهِ : يَا وَلِيَّ اللَّهِ . أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ ؟ فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ يَا هَذِهِ . فَتَقُولُ : أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ فَيَتَحَوَّلُ عِنْدَهَا ، فَإِذَا عِنْدَهَا مِنَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ مَا لَيْسَ مَعَ الْأُولَى ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَكِيٌّ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَتِهِ ، وَإِذَا خَوْرَاءٌ أُخْرَى تُنَادِيهِ : يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَمَلْنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ ؟ فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ ، فَتَقُولُ : أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا

أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿﴾ فلا يَزَالُ يَتَحَوَّلُ مِنْ
زَوْجَةٍ إِلَى زَوْجَةٍ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : فِي قَوْلِهِ : (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) قَالَ : يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ
فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمَرَاةِ ، وَإِنَّ أُذُنِي لُلُّوْةٌ عَلَيْهَا لِتُضِيءَ مَا بَيْنَ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً يَتَفَدُّهَا بَصْرُهُ ، حَتَّى
يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ « رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ فِي
حَدِيثٍ تَقَدَّمَ بِنَحْوِهِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِ ابْنِ حِبَّانَ وَاللَّفْظُ لَهُ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صِفَةِ عُرَائِسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَحُسْنِهِنَّ
وَجَمَالِهِنَّ وَوَصَالِهِنَّ .

وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا
وَتَمَائِكَ كَتَمَائِلِ النَّشْوَانِ
تَهْتَزُّ كَالْفُضْنِ . الرُّطِيبِ وَحَمَلُهُ
وَرْدٌ وَتُفَاحٌ عَلَى رُمَانِ
وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشِيهَا وَيَحِقُّ ذَا
كَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَوَصَائِفُ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
كَالْبَدْرِ لَيْلَةٌ تَمِيهِ قَدْ حُفَّ فِي
غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ

فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي
دَهْشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانَ
فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
وَالْعُرْسُ إِثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ
حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابِلًا
أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ الْقَمَرَانِ
فَسَلِ الْمُتَمِيمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ
ضَمِّ وَتَقْبِيلٍ وَعَنْ فُلْتَانِ
وَسَلِ الْمُتَمِيمَ أَيْنَ خَلْفَ صَبْرِهِ
فِي أَيِّ وَاوٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ
وَسَلِ الْمُتَمِيمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ
مُلِئَتْ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
مِنْ مَنْطِقِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجَّ
هُ كَمَّ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ
وَسَلِ الْمُتَمِيمَ كَيْفَ عِيشَتُهُ إِذَا
وَهُمَا عَلَى فُرْشَيْهِمَا خَلَوَانِ
يَتَسَاقَطَانِ لِئَالِئًا مَنُورَةً
مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ
وَسَلِ الْمُتَمِيمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْ
مَحْبُوبِ فِي رُوحٍ وَفِي رَيْحَانِ

وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا
 بِأَكْفِ أَقْمَارٍ مِنَ الْوِلْدَانِ
 يَتَنَازَعَانِ الْكَاسَ هَذَا مَرَّةً
 وَالْخُودُ أُخْرَى ثُمَّ يَتَكِفَّانِ
 فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعْدُ
 شَوْقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
 غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنْكَدٍ
 وَهُمَا بِثُوبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
 أَتْرَاهُمَا ضَجْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا
 وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجْرَانِ
 وَيَزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لِيَصَا
 حِبِهِ جَدِيدًا سَائِرَ الْأَزْمَانِ
 وَوِصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
 مُتَسَلِّسًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
 فَالْوَصْلُ مَخْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
 وَيَلَاحِظُ وَكِلَاهُمَا صِنَوَانِ
 فَرَقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ ذَا
 يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهَذَا الشَّانِ
 وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلُ
 سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ

يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ
 جَدُّ الرَّجِيلِ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
 سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلْفُوكَ مَعَ الْأُولَى
 قَنَعُوا بِذَا الْحَظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِ
 وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
 فَتَبِعْتَهُمْ فَرَضَيْتَ بِالْحِرْمَانِ
 لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتِي عَجِزٍ وَجَهْلٍ
 بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
 مَتَّكَ نَفْسَكَ بِالْحُقُوقِ مَعَ الْقُعُوقِ
 دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ
 وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَتَكَشَّفُ الْغِطَاءُ
 مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

قال ابن القيم رحمه الله

« وَكَيْفَ يُقَدَّرُ قَدْرُ دَارِ غَرْسِهَا اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَجَعَلَهَا مَقْرَأً لِأَحْبَابِهِ ، وَمَلَأَهَا
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ وَرِضْوَانِهِ ، وَوَصَفَ نَعِيمَهَا بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ ، وَمُلْكَهَا
 بِالْمُلْكِ الْكَبِيرِ ، وَأَوْدَعَهَا جَمِيعَ الْخَيْرِ بَحْدَائِفِيرِهِ ، وَظَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَأَفَةٍ
 وَنَقْصٍ .

فَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَرْضِهَا وَتُرْبَتِهَا ، فَهِيَ الْمِسْكُ وَالرُّعْفَرَانُ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ سَقْفِهَا فَهُوَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ بِلَاطِهَا فَهُوَ الْمَسْكُ الْأَذْفَرُ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ حَصْبَائِهَا فَهُوَ اللَّوْلُؤُ وَالْجَوْهَرُ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ بَنَائِهَا ، فَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ أَشْجَارِهَا ، فَمَا فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، لَا مِنْ الْحَطَبِ وَالْخَشَبِ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ ثَمَرِهَا ، فَأَمْثَالُ الْقِلَالِ ، أَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ وَرَقِهَا ، فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ مِنْ رِقَائِقِ الْحُلَلِ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ أَنْهَارِهَا ، فَأَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ (وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ طَعَامِهِمْ ، (ففَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ شَرَابِهِمْ ، فَالْتَّسْنِيمُ ، وَالزَّنَجَبِيلُ وَالْكَافُورُ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ آنِيَّتِهِمْ فَإِنَّهُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ سَعَةِ أَبْوَابِهَا ، فَبَيْنَ الْمِضْرَاعَيْنِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ مِنْ الْأَعْوَامِ ، وَلِيَّاتِينَ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَطَيْطُ مِنَ الزَّحَامِ .

وَأَنَّ سَأَلَتْ عَنْ تَصْفِيْقِ الرِّيَّاحِ لِأَشْجَارِهَا ، فَإِنَّهَا تَسْتَفِزُّ بِالطَّرَبِ لِمَنْ

يَسْمَعُهَا .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ ظِلِّهَا ، فَفِيهَا شَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ يَسِيرُ الرَّكِبُ الْمُجِدُّ السَّرِيعُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ سَعَتِهَا ، فَأَدْنَى أَهْلِهَا يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ وَسُرْرِهِ وَقُصُورِهِ وَبَسَاتِينِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِي عَامٍ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ خِيَامِهَا وَقِيَابِهَا ، فَالْخَيْمَةُ الْوَاحِدَةُ مِنْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ ، طُولُهَا سِتُونَ مِثْلًا مِنْ تِلْكَ الْخِيَامِ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ عَلَائِهَا وَجَوَاسِقِهَا ، فَهِيَ (غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ ارْتِفَاعِهَا ، فَاَنْظُرْ إِلَى الْكَوْكَبِ الطَّالِعِ أَوْ الْغَارِبِ فِي الْأَفْقِ الَّذِي لَا تَكَادُ تَنَالُهُ الْأَبْصَارُ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ لِبَاسِ أَهْلِهَا ، فَهُوَ الْحَرِيرُ وَالذَّهَبُ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ فُرْشِهِمْ فَبَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ مَفْرُوشَةٍ فِي أَعْلَى الرُّتَبِ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَرَائِكِهَا ، فَهِيَ الْأَسِرَّةُ عَلَيْهَا الْبُشْخَانَاتُ وَهِيَ الْحِجَالُ ، مُزْرَرَةٌ بِأَزْرَارِ الذَّهَبِ ، فَمَالُهَا مِنْ فُرُوجٍ وَلَا خِلَالٍ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ وُجُوهِ أَهْلِهَا وَحُسْنِهِمْ فَعَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَسْنَانِهِمْ ، فَأَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، عَلَى صُورَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبِي الْبَشَرِ .

وان سَأَلتَ عن سَمَاعِهِمْ ، فغِنَاءُ أَرْوَاجِهِمْ مِنَ الحُورِ العِينِ وَأَعْلَى مِنْهُ
سَمَاعُ أَصْوَاتِ المَلَائِكَةِ وَالتَّبَيَّنَ ، وَأَعْلَى مِنْهُمَا خِطَابُ رَبِّ العَالَمِينَ .
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
(فصل في سماع أهل الجنة)

وقال في النونية :

قال ابن عباس ويُرسلُ ربُّنا
رِيحاً تَهزُّ ذَوَائِبَ الأَغْصَانِ
فَتُثِيرُ أَصْوَاتاً تَلدُّ لِمَسْمَعِ الِ
إِنْسَانٍ كَالنِّعَمَاتِ بالأَوْزَانِ
يا لَذَّةَ الأَسْمَاعِ لا تَتَعَوَّضِي
بِلَذَاذَةِ الأوتارِ والعِيدانِ
أو ما سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فيها غِناءُ
ءِ الحُورِ بالأصواتِ والألحانِ
وَأها لِيذِّيكَ السَّماعِ فَإِنَّه
مُلِئَتْ بِهِ الأذنانِ بالإِحسانِ
وَأها لِيذِّيكَ السَّماعِ وَطِيبِهِ
مِنِ مِثْلِ أَقْمارِ عَلى أَغْصانِ
وَأها لِيذِّيكَ السَّماعِ وَلَمْ أَقْلُ
ذِيكَ تَضغِيراً لَهُ بِلسانِ

وَاهَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
لِلْقَلْبِ مِنْ طَرِبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ

مَا ظَنَّ سَامِعُهُ بِصَوْتِ أَطِيبِ الْ
أَصْوَاتِ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ حِسَانِ

نَحْنُ التَّوَاعِمُ وَالْخَوَالِدُ خَيْرًا
تُ كَامِلَاتُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَالْنَا
سَخَطُ وَلَا ضَغْنٌ مِنَ الْأَضْغَانِ

طُوبِي لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَلِكَ طُو
بِي لِلَّذِي هُوَ حَظْنَا لَفْظَانِ

فِي ذَاكَ آثَارُ رُوَيْنَ وَذِكْرُهَا
فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ

وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الْأَوْزَاعِيِّ تَفْ
سِيرًا لِلْفُظَّةِ يُحْبَرُونَ أَعَانِي

نَزَّةَ سَمَاعِكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعِ ذِي
يَاكَ الْغِنَا عَنْ هَذِهِ الْأَلْحَانِ

لَا تُؤِيرِ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحْ
رَمْ دَا وَذَا يَا ذَلَّةَ الْحِرْمَانِ

إِنْ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ أَلْ
أُذُنِي عَلَى الْأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ

وَاللَّهِ إِنْ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْ
أَبْدَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ

وَاللَّهِ مَا انْفَكَّ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ
أَبْدًا مِنَ الْأَشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ

فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَّالُهُ
حُبًّا وَاخْتِلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ

فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَضَارُهُ
عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانٍ

حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا
فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ) وَأَنْ سَأَلْتُ عَنْ مَطَايَاهُمْ الَّتِي يَتَزَاوَرُونَ عَلَيْهَا ، فَتَجَائِبُ أَنْشَاهَا اللَّهُ
مِمَّا شَاءَ تَسِيرٌ بِهِمْ حَيْثُ شَاؤُوا مِنَ الْجِنَانِ .

وَأَنْ سَأَلْتُ عَنْ حُلِيِّهِمْ وَشَارَتِهِمْ فَاسَاوِرُ الذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤُ عَلَى
الرُّؤُوسِ مَلَابِسُ التَّيْجَانِ .

وَأَنْ سَأَلْتَ عَنْ غِلْمَانِهِمْ ، (فَوَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ ، كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُ
مَكْنُونٌ) .

وَأَنْ سَأَلْتَ عَنْ عَرَائِسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ فَهِنَّ الْكَوَاعِبُ وَالْأْتْرَابُ ، اللَّاتِي
جَرَى فِي أَعْضَائِهِنَّ مَاءُ الشَّبَابِ ، فَلِلْوَرْدِ وَالتَّفَاحِ مَا لَبَسَتْهُ الْخُدُودُ ، وَلِلرُّمَانِ
مَا تَضَمَّنَتْهُ النُّهُودُ ، وَلِلْوَلْوَلِ الْمَنْظُومِ مَا حَوَتْهُ التُّغُورُ ، وَلِلرَّقَةِ وَاللِّطَافَةِ مَا
دَارَتْ عَلَيْهِ الْخُصُورُ ، تَجْرِي الشَّمْسُ مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَا إِذَا بَرَزَتْ ،
وَيُضِيءُ الْبَرْقُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيهَا إِذَا ابْتَسَمَتْ ، إِذَا قَابَلَتْ حَبَّهَا فَقُلْ مَا تَشَاءُ فِي
تَقَابُلِ النَّيِّرِينَ ، وَإِذَا حَادَتْهُ فَمَا ظَنُّكَ بِمُحَادَثَةِ الْحَبِيبِينَ وَإِنْ ضَمَّهَا إِلَيْهِ فَمَا
ظَنُّكَ بِتَعَانُقِ الْغُصْنَيْنِ ، يَرَى وَجْهَهُ فِي صَحْنِ خَدِّهَا ، كَمَا يَرَى فِي الْمِرْآةِ
الَّتِي جَلَاهَا صَيْقُلُهَا ، وَيَرَى مُخَّ سَاقِيهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَلَا يَسْتُرُهُ جِلْدُهَا وَلَا
عَظْمُهَا وَلَا حُلُّهَا .

لَوْ أَطَّلَعْتُ عَلَى الدُّنْيَا لَمَلَأْتُ مَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ رِيحًا ،
وَلَا سَتَّطَقْتُ أَفْوَاهُ الْخَلَائِقِ تَهْلِيلًا وَتَكْبِيرًا وَتَسْبِيحًا ، وَلِتَرَّخَرَفَ لَهَا مَا بَيْنَ
الْحَافِقَيْنِ ، وَلَا غَمَضَتْ عَنْ غَيْرِهَا كُلَّ عَيْنٍ ، وَلَطَمَسَتْ ضَوْءَ الشَّمْسِ ، كَمَا
تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ ، وَلَا مَنَ مَنْ عَلَى ظَهْرِهَا بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ .

وَنَصِيْفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَوَصَالُهَا أَشْهَى إِلَيْهِ مِنْ
جَمِيعِ أَمَانِيهَا ، لَا تَزْدَادُ عَلَى طُولِ الْأَحْقَابِ إِلَّا حُسْنًا وَجَمَالًا ، وَلَا يَزْدَادُ لَهَا
طُولُ الْمَدَى إِلَّا مَحَبَّةً وَوَصَالًا ، مُبْرَأَةً مِنَ الْحَمْلِ وَالْوِلَادَةِ وَالْحَيْضِ
وَالنِّفَاسِ ، مُطَهَّرَةً مِنَ الْمَخَاطِ وَالْبُصَاقِ وَالْبَوْلِ وَالغَائِطِ وَسَائِرِ الْأَدْنَاسِ ، لَا

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَلَذَّةِ مَا هُنَالِكَ ، فَهِنَّ الْعُرْبُ الْمُتَحَبِّبَاتُ إِلَى الْأَزْوَاجِ ، بِلَطَافَةِ التَّبَعْلِ الَّتِي تَمْتَرُجُ بِالرُّوحِ أَيَّ امْتِزَاجٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بامرأةٍ إِذَا ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا أَضَاءَتْ الْجَنَّةُ مِنْ ضَحِكِهَا ، وَإِذَا انْتَقَلَتْ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ قَلَّتْ هَذِهِ الشَّمْسُ مُتَنَقِّلَةً فِي بُرُوجِ فَلِكِهَا ، وَإِذَا حَاضَرَتْ زَوْجَهَا فَيَا حُسْنَ تِلْكَ الْمُحَاضِرَةِ ، وَإِنْ خَاصَرْتَهُ فَيَالِذَّةِ تِلْكَ الْمُعَانِقَةِ وَالْمُخَاصِرَةِ .

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ
 لَمْ يَجُنِّ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
 إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّلْ وَإِنْ أَهِيَ حَدَّثَتْ
 وَدَّ الْمُحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ
 آخِرُ :

يُعَادُ حَدِيثُهَا فَيَزِيدُ حُسْنًا وَقَدْ يُسْتَقْبَحُ الشَّيْءُ الْمُعَادُ
 وَإِنْ غَنَّتْ فَيَا لَذَّةَ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَإِنْ أَنْسَتْ وَأَمْتَعَتْ فَيَا حَبْدًا تِلْكَ
 الْمُؤَانِسَةِ وَالْإِمْتَاعِ ، وَإِنْ قَبَلَتْ فَلَا شَيْءَ أَشْهَى مِنْ ذَلِكَ التَّقْبِيلِ ، وَإِنْ نَوَلَتْ
 فَلَا أَلَذَّ وَلَا أَطْيَبَ مِنْ ذَلِكَ التَّنْوِيلِ .

هَذَا وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ يَوْمِ الْمَزِيدِ ، وَزِيَارَةِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، وَرُؤْيَةِ
 وَجْهِهِ الْمُنْزَهَةِ عَنِ التَّمَثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ ، كَمَا تَرَى الشَّمْسَ فِي الظَّهِيرَةِ ، وَالْقَمَرَ
 لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، كَمَا تَوَاتَرَ عَنِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ الثَّقَلِ فِيهِ ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي
 الصَّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ ، مِنْ رِوَايَةِ جَرِيرٍ وَصُهَيْبٍ وَأَنْسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ
 وَأَبِي مُوسَى وَأَبِي سَعِيدٍ ، فَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ رَبَّكُمْ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَسْتَزِيرُكُمْ فَحَيِّ عَلَى زِيَارَتِهِ ، فَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَطَاعَةٌ ،
 وَيَنْهَضُونَ إِلَى الزِّيَارَةِ مُبَادِرِينَ ، فَإِذَا بِالنَّجَائِبِ قَدْ أُعِدَّتْ لَهُمْ ، فَيَسْتَوُونَ

يَفْنَى شِبَابُهَا ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهَا وَلَا يَخْلُقُ ثَوْبُ جَمَالِهَا ، وَلَا يُمَلُّ طِيبُ
وَصَالِهَا .

قَدْ قَصَرَتْ طَرْفَهَا عَلَى زَوْجِهَا ، فَلَا تَطْمَحُ لِأَحَدٍ سِوَاهُ ، وَقَصَرَ طَرْفُهُ
عَلَيْهَا فَهِيَ غَايَةُ أَمْنِيَّتِهِ وَهَوَاهُ ، إِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ ، وَإِنْ أَمَرَهَا بِطَاعَتِهِ أَطَاعَتْهُ ،
وَإِنْ غَابَ حَفِظَتْهُ ، فَهُوَ مَعَهَا فِي غَايَةِ الْأَمَانِيِّ وَالْأَمَانِ .

هَذَا وَلَمْ يُطِمِئْهَا قَبْلَهُ أَنْسٌ وَلَا جَانٌّ ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهَا مَلَأَتْ قَلْبَهُ
سُرُورًا ، وَكُلَّمَا حَدَّثَتْهُ مَلَأَتْ أُذُنَهُ لَوْلُؤًا مَنْظُومًا مَثُورًا .

وَإِذَا بَرَزَتْ مَلَأَتْ الْقَصْرَ وَالْغُرْفَةَ نُورًا .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ السِّنِّ فَاتْرَابٌ فِي أَعْدَلِ سِنِّ الشَّبَابِ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ الْحُسْنِ فَهَلْ رَأَيْتِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْحَدَقِ فَأَحْسَنُ سَوَادٍ فِي أَصْفَى بِيَاضٍ فِي أَحْسَنِ

حَوْرٍ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْقُدُودِ فَهَلْ رَأَيْتِ أَحْسَنَ الْأَعْصَانِ ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ

النُّهُودِ فَهِنَّ الْكَوَاعِبُ ، نُهُودُهُنَّ كَأَلْطَفِ الرُّمَّانِ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ اللَّوْنِ فَكَأَنَّهُ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ حُسْنِ الْخَلْقِ فَهِنَّ الْخَيْرَاتِ الْجِسَانِ اللَّاتِ جُمِعَ

لَهُنَّ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ ، فَأَعْطَيْنَ جَمَالَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ، فَهِنَّ

أَفْرَاحُ النُّفُوسِ ، وَفِرَّةُ النَّوَاطِرِ .

على ظُهورها مُسرِعِينَ ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفتح الذي جعل لهم موعداً ، وجمِعوا هناك ، فلم يُغادِرِ الدَّاعي منهم أحداً ، أمرَ الرَّبُّ تبارك وتعالى بكرُسيِّه فنُصِبَ هناك ، ثم نُصِبَتْ لَهُم مَنابِرٌ مِنْ نُورٍ ، وَمَنابِرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، وَمَنابِرٌ مِنْ زَبَرَجَدٍ ، وَمَنابِرٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنابِرٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَجَلَسَ أَذْنَاهُمْ - وَحَاشَاهُمْ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ دَنِيءٌ - عَلَى كُتُبَانَ الْمِسْكِ ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ فَوْقَهُمْ فِي الْعَطَايَا .

حَتَّى إِذَا اسْتَقَرَّتْ بِهِمْ مَجَالِسُهُمْ ، وَأَطْمَأْنَتْ بِهِمْ أَمَاكِنُهُمْ ، نَادَى الْمَنَادِي : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِداً يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزْكُمْوَهُ ، فَيَقُولُونَ : مَا هُوَ؟ أَلَمْ يَبْيَضْ وَجُوهُنَا؟ وَيُنْقَلْ مَوَازِينُنَا؟ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَيُزْخِرْحَنَا عَنِ النَّارِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ أَشْرَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ إِذَا الْجِبَارُ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ . فَلَا تُرَدُّ هَذِهِ التَّحِيَّةُ بِأَحْسَنَ مِنْ قَوْلِهِمْ : اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ ، وَيَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يَسْمَعُونَ مِنْهُ تَعَالَى : أَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ ، وَلَمْ يَرَوْنِي ، فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ : أَنْ قَدْ رَضِينَا فَارْضَ عَنَّا ، فَيَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنِّي لَوْلَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ لَمْ أَسْكِنُكُمْ جَنَّتِي ، هَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ فَاسْأَلُونِي ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ : أَرِنَا وَجْهَكَ نَنْظُرُ إِلَيْهِ . فَيَكْشِفُ لَهُمُ الرَّبُّ جِلَّ جَلَالِهِ الْحُجْبَ ، وَيَتَجَلَّى لَهُمْ ، فَيَغْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ مَا لَوْلَا أَنْ اللَّهُ تَعَالَى قَضَى أَنْ لَا يَحْتَرِقُوا لِاحْتَرَفُوا ، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضِرُهُ رَبُّهُ تَعَالَى مُحَاضِرَةً ، حَتَّى إِنَّهُ

لَيَقُولُ : يَا فُلَانُ أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ يُذَكِّرُهُ بِنَعُصِ عَدْرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا .
 فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تَغْفِرْ لِي ؟ فَيَقُولُ : بَلَى بِمَغْفِرَتِي بَلَّغْتُكَ مَنَزَلَتِكَ هَذِهِ ،
 يَا لَذَّةِ الْأَسْمَاعِ بِتِلْكَ الْمُحَاضِرَةِ ، وَيَا قُرَّةَ عُيُونِ الْأَبْرَارِ بِالنَّظَرِ إِلَى
 وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَيَا ذِلَّةَ الرَّاجِعِينَ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ ،
 ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ، وَ؟ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ، تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا
 فَاقْرَأْ ﴾ .

فَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
 مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
 وَلَكِنَّا سَبِيُّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى
 نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ
 اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا مُعَافًا وَمُبْتَلَى
 وَمَا زَالَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مُرْسَلًا
 مَضَى فِي جَمِيعِ النَّاسِ سَابِقُ عِلْمِهِ
 وَفَضْلُهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ وَوَصَّلَا
 وَلَسْنَا عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرَّه
 نَرَى حَكَمًا فِينَا مِنْ اللَّهِ أَعْدَلًا
 بَلَا خَلْقَهُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِتْنَةً
 لِيُرْغَبَ فِيمَا فِي يَدَيْهِ وَيُسْأَلَا

وَلَمْ يَبْغِ إِلَّا أَنْ نَبُوءَ بِفَضْلِهِ
عَلَيْنَا وَإِلَّا أَنْ نَتُوبَ فَيَقْبَلَا
هُوَ الْأَحَدُ الْقَيُّومُ مِنْ بَعْدِ خَلْقِهِ
وَمَا زَالَ فِي دَيْمُومَةِ الْخَلْقِ أَوْلَا
وَمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِفَايَةِ
وَلَمْ يَتْرِكِ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ مُهْمَلًا
كَفَى عِبْرَةً أَنَا وَأَنْتَ يَا أُخِي
نُصْرَفُ تَضْرِبْنَا لَطِيفًا وَنُتَلَى
كَأْنَا وَقَدْ صِرْنَا حَدِيثًا لَغِيرِنَا
يُخَاضُ كَمَا خُضْنَا الْحَدِيثَ بِمَنْ خَلَا
تَوَهَّمْتُ قَوْمًا قَدْ خَلَوْا فَكَأَنَّهُمْ
بِأَجْمَعِهِمْ كَانُوا خَيْالًا تُخَيَّلَا
وَلَسْتُ بِأَبْقَى مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ
وَلَكِنَّ لِي فِيهَا كِتَابًا مُؤَجَّلَا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَيِّتٌ وَابْنُ مَيِّتٍ
تَأْجَلُ حَيٍّ مِنْهُمْ أَوْ تَعَجَّلَا
فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ
بِمَا كَانَ أَوْصَى الْمُسْلِمِينَ وَأَرْسَلَا
هُوَ الْمَوْتُ يَا ابْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثُ بَعْدَهُ
فَمَنْ بَيْنَ مَبْعُوثٍ مُخْفَاً وَمُتَقَلَا
وَمِنْ بَيْنَ مَسْحُوبٍ عَلَى حُرِّ وَجْهِهِ
وَمِنْ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي أَعْرَ مُحَجَّلَا

عَشَقْنَا مِنَ اللَّذَاتِ كُلِّ مُحَرَّمٍ
فَأَفِ عَالِيْنَا مَا أَغْرَّ وَأَجْهَلَا
لَقَدْ كَانَ أَقْوَامٌ مِنَ النَّاسِ قَبْلَنَا
يَعَافُونَ مِنْهُنَّ الْحَلَالَ الْمُحَلَّلَا
رَكْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَطَالَ رُكُونُنَا
وَلَسْنَا نَرَى الدُّنْيَا عَلَى ذَاكَ مَنَزِلَا
فَلِلَّهِ دَارٌ مَا أَحْتَّ رَجِيلَهَا
وَمَا أَغْرَضَ الآمَالَ مِنْهَا وَأَطْوَلَا
أَبِي المَرءِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ اغْتِرَارُهُ
وَتَأْبَى بِهِ الحَالَاتُ إِلَّا تَنَقَّلَا
إِذَا أَمَّلَ الْإِنْسَانُ أَمْرًا فَنَالَهُ
سَمَا يَبْتَغِي فَوْقَ الَّذِي كَانَ أَمَلَا
وَكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ عَزَّ مِنْ بَعْدِ ذِلَّةِ
وَكَمْ مِنْ رَفِيعٍ كَانَ قَدْ صَارَ أَسْفَلَا
وَلَمْ أَرَ إِلَّا مُسْلِمًا فِي وَفَاتِهِ
وَإِنْ أَكْثَرَ الْبَاكِي عَلَيْهِ وَأَعْوَلَا
وَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ
تَلْحَفَ فِيهَا بِالنَّارِ وَتَسْرَبَلَا
أَيَا صَاحِبِ الدُّنْيَا وَثِقْتَ بِمَنَزِلِ
تَرَى المَوْتَ فِيهِ بِالْعِبَادِ مُوَكَّلَا
تُنَافِسُ فِي الدُّنْيَا لِتَبْلُغَ عِزَّهَا
وَلَسْتَ تَنَالُ العِزَّ حَتَّى تَدُلَّلَا

إِذَا اصْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَدْلَهُمْ
لَأَصْحَابِهِ نَفْسًا أَرَّ وَأَفْضَلًا
وَمَا الْفَضْلُ فِي أَنْ يُؤَثِّرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
وَلَكِنْ فَضْلَ الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَضَّلَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْعِبَادَ فَضْلُهُ وَنَعَمَاؤُهُ ، وَوَسِعَ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَعَطَاؤُهُ ،
نَسْأَلُ مِنْكَ الْجُودَ وَالْإِحْسَانَ ، وَالْعَفْوَ وَالْغُفْرَانَ ، وَالصَّفْحَ وَالْأَمَانَ ، وَالْعِتْقَ
مِنَ النَّيْرَانِ ، وَتَوْبَةَ تَجْلُو أَنْوَارَهَا ظُلْمَاتُ الْإِسَاءَةِ وَالْعِصْيَانِ ، يَا كَرِيمُ يَا
اللَّهُمَّ تَبَّتْ إِيْمَانُنَا بِكَ ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَنُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ
وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَصْلِحْ أَوْلَادَنَا وَاغْفِرْ لآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَاجْمَعْنَا وَإِيَاهُمْ مَعَ
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَّا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
أَجْمَعِينَ .

« فَصْل »

« فِي نَظَرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى »

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ نَاسًا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى
رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةَ
الْبَدْرِ » ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ
دُونَهَا سَحَابٌ » ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : « فَانْكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ » فَذَكَرَ الْحَدِيثَ
بَطْوَلِهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ صُهَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ
الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ ، فَيَقُولُونَ أَلَمْ تَبَيِّضْ
وُجُوهَنَا ؟ ، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ؟ ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ » ؟ قَالَ : ﴿ فَيُكْشَفُ

الْحِجَابُ ، فَمَا أَعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﴿ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ
﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ . « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ
خَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، عَرْضُهَا سِتُونَ مِثْلًا . فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ ، مَا
يَرُونَ الْآخَرِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ،
وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ
إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ ،
وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَرَوَى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ ، فَرَفَعُوا
رُؤُوسَهُمْ ، فَإِذَا الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ
الْجَنَّةِ سَلُونِي ، فَقَالُوا : نَسَأَلُكَ الرِّضَاعَنَا . قَالَ : رِضَائِي أَحْلَكُم دَارِي ،
وَأَنَا لَكُمْ كَرَامَتِي ، وَهَذَا أَوْأَنهَا فَسَلُونِي ، قَالُوا : نَسَأَلُكَ الزِّيَادَةَ ، قَالَ فَيُؤْتُونَ
بِنَجَائِبٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ ، أَرَمَّتْهَا مِنْ زُمُرِدٍ أَحْضَرَ ، وَيَاقُوتٍ أَحْمَرَ ،
فِيَحْمَلُونَ عَلَيْهَا ، تَضَعُ حَوَافِرَهَا عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهَا ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
بِأَشْجَارٍ عَلَيْهَا الثَّمَارُ ، فَتَجِيءُ حَوَازٍ مِنَ الْحَوَارِ الْعَيْنِ ، وَهِنَّ يَقْلَنَ : نَحْنُ
النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبَأُ ، وَنَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ
كَرَامٍ ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكُتُبَانِ مِنْ مِسْكِ أَبْيَضٍ ، فَيُنشَرُ عَلَيْهِمْ رِيحًا يُقَالُ
لَهَا : الْمِشِيرَةُ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ بِهِمْ إِلَىٰ جَنَّةِ عَدْنٍ وَهِيَ قَصَبَةُ الْجَنَّةِ ، فَتَقُولُ
الْمَلَائِكَةُ : يَا رَبَّنَا قَدْ جَاءَ الْقَوْمُ ، فَيَقُولُ : مَرْحَبًا بِالصَّادِقِينَ ، مَرْحَبًا
بِالطَّائِعِينَ . قَالَ : فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى ، فَيَتَمَتُّونَ بِنُورِ الرَّحْمَنِ ، حَتَّى لَا يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، ثُمَّ يَقُولُ :
 أَرْجِعُوهُمْ إِلَى الْقُصُورِ بِالتُّحَفِ ، فَيَرْجِعُونَ وَقَدْ أَبْصَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فذلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ نَزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ . رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ
 وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَاللَّفْظُ لَهُ : وَقَالَ وَقَدْ مَضَى فِي هَذَا الْكِتَابِ يَعْني فِي كِتَابِ
 الْبَعْثِ . وَفِي كِتَابِ الرُّؤْيَا مَا يُؤَكِّدُ مَا رُوِيَ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنْتَهَى .

وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهَ وَابْنِ أَبِي الدُّنْيَا مُخْتَصَرٌ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

« بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ ، فَإِذَا
 الرَّبُّ جَلالُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، يَا
 أَهْلَ الْجَنَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى
 شَيْءٍ مِمَّا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ ، مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ ،
 وَتَبَقِيَ فِيهِمْ بَرَكَتُهُ وَنُورُهُ ﴾ . هَذَا لَفْظُ ابْنِ مَاجَهَ ، وَالْآخِرُ بِنَحْوِهِ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَانِي
 جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَفِي يَدِهِ مِرْأَةٌ بَيْضَاءُ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ
 يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذِهِ الْجُمُعَةُ يُعْرَضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ ، لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا ،
 وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلُ ، وَتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ ،
 قَالَ : مَا لَنَا فِيهَا ؟ قَالَ : فِيهَا خَيْرٌ لَكُمْ ، فِيهَا سَاعَةٌ مِنْ دَعَارِيهِ فِيهَا بِخَيْرٍ -
 هُوَ لَهُ قِسْمٌ - إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، أَوْ لَيْسَ لَهُ بِقِسْمٍ إِلَّا ادَّخَرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، أَوْ
 تَعَوَّذَ فِيهَا مِنْ شَرِّهُوَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَعَادَهُ أَوْ لَيْسَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَعَادَهُ مِنْ
 أَعْظَمَ مِنْهُ ، قُلْتُ : مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا ؟ قَالَ : هَذِهِ السَّاعَةُ تَقُمُ يَوْمَ
 الْجُمُعَةِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْآيَامِ عِنْدَنَا ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ : يَوْمَ الْمَزِيدِ .
 قَالَ : قُلْتُ لِمَ تَدْعُوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ ؟ قَالَ : إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ

وإدياً أفتح ، من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور ، وجاء النبيون ، حتى يجلسوا عليها ، ثم يجيء أهل الجنة ، حتى ينظروا إلى وجهه ، وهو يقول أنا الذي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، هذا محل كرامتي ، فسألوني ، فيسألونه الرضا ، فيقول الله عز وجل : رضائي أحلكم داري ، وأنا لكم كرامتي ، فسألوني ، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ، فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة ، ثم يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسيه فيصعد معه الشهداء والصديقون . أحسبه قال ﴿ ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ، درة بيضاء ، لا فصم فيها ولا وصم ، أوياقوتة حمراء ، أوزبرجدة خضراء ، منها غرفها ، وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها ، متدلّية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمتها ، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزداد فيه كرامة ، ويزدادوا فيه نظراً إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعي يوم المزيد ﴾ رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط ، بإسنادين ، أحدهما جيد قوي ، وأبو يعلى مختصراً ورواه رواية الصحيح ، والبزار واللفظ له .

قال ابن القيم رحمه الله :

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِشَانِهِمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ وَأَنَّهُ شَانُ عَظِيمِ الشَّانِ هُوَ يَوْمٌ جُمَعَتِنَا وَيَوْمٌ زِيَارَةِ الرَّحْمَانِ وَقَتَ صَلَاتِنَا وَأَذَانِ

وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمُ الْأَوْلَى

فَارْزُوا بِذَلِكَ السَّبْقِ بِالْإِحْسَانِ

سَبْقُ سَبْقِي وَالْمُؤَخَّرُ هَا هُنَا

مُتَأَخَّرٌ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ إِلَى الْإِمَامِ فَهُمْ أَوْلُوا الزُّلْفَى هُنَاكَ فَهَذَا هُنَا قُرْبَانِ
 قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالْمُبَاعَدُ مِثْلُهُ
 بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ الدِّيَانِ
 وَلَهُمْ مَنَابِرُ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدِ
 وَمَنَابِرُ الْيَاقُوتِ وَالْعِشْقِيَانِ
 هَذَا وَأَذْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي
 مَنْ فَوْقَ ذَاكَ الْمِسْكِ كَالْكُثْبَانِ
 مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
 مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 فَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً
 نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
 وَيَحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَاهُمْ مُحَا
 ضِرَةً الْحَبِيبِ يَقُولُ يَا بْنَ فُلَانِ
 هَلْ تَذَكَّرُ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتُ فِيهِ مُبَارِزاً بِالذَّنْبِ وَالْعِصْيَانِ
 فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بَغُفْرَةٍ
 قَدِمْماً فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 فَيُجِيبُهُ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي
 قَدْ أَوْصَلْتُكَ إِلَى الْمَحَلِّ الدَّانِي
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَّفْتَ
 فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُتَتَفِعِينَ ، وَإِلَى لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، وَإِلْوَائِمِرِهِ وَنَوَاهِيهِ
 خَاضِعِينَ وَبِالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ

اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأُمَّنًا
مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

﴿ موعظة ﴾ عِبَادَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَا دُمْتُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَانْتُمْ فِي دَارِ
الْمُعَامَلَاتِ ، وَأَنْ لَكُمْ دَارًا أُخْرَى أَبَدِيَّةً ، فِيهَا تَسْتَوْفُونَ مَا لَكُمْ عَلَى هَذِهِ
الْمُعَامَلَاتِ مِنْ جَزَاءٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ هُنَا وَأَسَأْتُمْ ، كَانَ جَزَاؤَكُمْ هُنَا إِحْسَانًا أَوْ
إِسَاءَةً ، هَكَذَا وَعَدَّكُمْ رَبُّكُمْ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ الْأَعْمَالِ ، وَعَلَى جَزَائِكُمْ عَلَيْهَا
قَدِيرٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ، فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنَسُوهُ) وَقَالَ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا نُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) وَقَالَ
(يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا
يُظْلَمُونَ) مِنْ هَذَا قَطْعًا تَعْلَمُ أَنَّ شَأْنَ هَذِهِ الْمُعَامَلَاتِ عَظِيمٌ ، عَظِيمًا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ
إِلَّا الرَّجُلُ الْعَاقِلُ ، الْبَعِيدُ النَّظَرَ الْحَكِيمُ ، فَإِنْ عَلَيْهَا يَتَرْتَّبُ غَضَبُ اللَّهِ ، وَعِقَابُهُ
أَوْرِضَاهُ ، وَالنِّعِيمُ الْمُقِيمُ ، وَشَيْءٌ هَذَا قَدْرُهُ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَتَرَدَّدُ فِي بَدَلِ الْعِنَايَةِ بِهِ
رَجُلٌ بَصِيرٌ ، وَهَذِهِ الْمُعَامَلَاتُ تَارَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ، وَتَارَةٌ تَكُونُ مَعَ عِبَادِ
اللَّهِ ، فَأَمَّا الْمُعَامِلَةُ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَبِأَنَّ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ، وَأَمَّا
مُعَامِلَتُكَ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِأَنَّ تُحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ
تَجْعَلَ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِي مُعَامِلَةِ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ ، أَنْتَ تَكْرَهُ إِسَاءَتَهُمْ لَكَ ،
وَتُحِبُّ إِحْسَانَهُمْ ، فَاحْذَرِ إِسَاءَتَهُمْ ، وَعَامِلِهِمْ بِالْإِحْسَانِ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَمْسُوا
مَالَكَ بِسُوءٍ ، فَلْتَكُنْ أَمْوَالَهُمْ مِثْلَكَ فِي أَمَانٍ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِأَوْلَادِكَ
وَأَهْلِكَ وَشَخْصِكَ بِشَرٍّ ، فَكُنْ لَهُمْ خَيْرَ حَفِيزٍ وَنَصِيرٍ وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يُرِيحُوكَ
إِذَا جَاوَزُوكَ ، فَأَرِحْهُمْ عِنْدَ مُجَاوَزَتِكَ لَهُمْ ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يَنْصَحُوكَ

وَيُصَدِّقُوكَ فِي وَعُودِهِمْ وَعُقُودِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ ، فَاسْبِقَهُمْ أَنْتَ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَمَا
تُحِبُّ أَنْ يَفْرَحُوا بِالْفَرَحِ ، وَيَحْزِنُوا بِالْحُزَنِ ، فَكُنْ أَنْتَ كَذَلِكَ مَعَهُمْ ، وَكَمَا
تُحِبُّ أَنْ لَا يَتَكَلَّمُوا فِيكَ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَلَا تَكُنْ أَنْتَ مَعَهُمْ بِضِدِّ ذَلِكَ ، وَقِمْسٌ عَلَى
ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْضُوعِ ، وَأَمَّا مَعَامَلَتُكَ مَعَ نَفْسِكَ ، فَهِيَ أَنْ تُعَوِّدَهَا دَائِمًا عَلَى
الْخَيْرِ بِلا ضَجْرٍ .

شعراً

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْحَقَّ أَبْلَجَ لِأَيْحُ
وَأَنَّ لِحَاجَاتِ النُّفُوسِ جَوَائِحُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَكْفُفْ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ
فَلَيْسَ لَهُ مَا عَاشَ مِنْهُمْ مُصَالِحُ
إِذَا كَفَّ عَبْدُ اللَّهِ عَمَّا يَضُرُّهُ
وَأَكْثَرَ ذَكَرَ اللَّهَ فَالْعَبْدُ صَالِحُ
إِذَا الْعَبْدُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعَالِهِ
فَلَيْسَ لَهُ وَالْحَمْدُ لِيهِ مَادِحُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ لَمْ يَصِفْ عَيْشُهُ
وَمَا يَسْتَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا الْمُسَامِحُ
وَبَيْنَا الْفَتَى وَالْمُلْهِيَاتُ يُذَقُّهُ
جَنَى اللَّهْوَ إِذْ نَاحَتْ عَلَيْهِ النَّوَائِحُ
وَإِنَّ أَمْرًا أَضْفَاكَ فِي اللَّهِ وَدَّهُ
وَكَانَ عَلَى التَّقْوَى مُعِينًا لَصَالِحُ

وَإِنَّ أَلْبَّ النَّاسِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ
بِمَا شَهِدَتْ مِنْهُ عَلَيْهِ الْجَوَارِحُ

اللَّهُمَّ عَامِلِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَوَقَّقْنَا لَطَاعَتِكَ وَمَرْضَاتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ أَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَقْتُونِينَ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

وَرُوِيَ عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« أَنَابِي جِبْرِيْلُ ، فَإِذَا فِي كَفِّهِ مِرْآةٌ كَأَصْفَى الْمَرَايَا وَأَحْسَنَهَا ، وَإِذَا فِي وَسْطِهَا نُكْتَةٌ
سُودَاءٌ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا جِبْرِيْلُ مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ الدُّنْيَا صَفَاؤُهَا وَحُسْنُهَا ،
قَالَ : قُلْتُ وَمَا هَذِهِ اللَّمْعَةُ السُّودَاءُ فِي وَسْطِهَا ؟ قَالَ : قَالَ هَذِهِ الْجُمُعَةُ قَالَ :
قُلْتُ : وَمَا الْجُمُعَةُ : قَالَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ رَبِّكَ عَظِيمٌ ، وَسَأَخْبِرُكَ بِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ
وَاسْمِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَمَّا شَرَفُهُ وَفَضْلُهُ وَاسْمُهُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى جَمَعَ فِيهِ أَمْرَ الْخَلْقِ وَأَمَّا مَا يُرْجَى فِيهِ ، فَإِنَّ فِيهِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ أَوْ
أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ يَسْأَلَانِ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أُعْطَاهَا إِيَّاهُ ، وَأَمَّا شَرَفُهُ وَفَضْلُهُ وَاسْمُهُ فِي
الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا صَبَّرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَدْخَلَ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ،
وَجَرَّتْ عَلَيْهِمْ أَيَّامُهَا وَسَاعَاتُهَا ، لَيْسَ بِهَا لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ إِلَّا قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِقْدَارَ ذَلِكَ
وَسَاعَاتِهِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِي الْحِينِ الَّذِي يَبْرُزُ أَوْ يُخْرَجُ فِيهِ أَهْلُ الْجُمُعَةِ ،

نادى منادٍ : يا أهل الجنة أخرجوا إلى دار المزيدي ، لا يعلم سعتها وعرضها وطولها إلا الله عز وجل ، فيخرجون في كُتبانٍ من المسك ، قال حذيفة : وإنه لهُو أشدُّ بياضاً من دقيقكم هذا ، قال ، فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت ، قال : فإذا وضعت لهم ، وأخذ القوم مجالسهم ، بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة ، تثير عليهم أثابير المسك الأبيض ، فتدخله من تحت ثيابهم ، وتخرجه في وجوههم وأشعارهم ، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك ، من امرأة أحدكم لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض ، لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك ، من تلك المرأة لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله عز وجل ، قال : ثم يوحى الله سبحانه إلى حنلة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة ، وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني ، وصدقوا رُسلي ، واتبعوا أمري ، فسألوني فهذا يوم المزيدي . قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : رب رضىنا عنك ، فارض عنا ، قال : فيرجع الله تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فسألوني فهذا يوم المزيدي ، قال فيجتمعون على كلمة واحدة : رب وجهك أربنا ننظر إليه . قال : فيكشف الله تبارك ، وتعالى تلك الحجب وتجلى لهم ، فيعشاهم من نوره شيء ، لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا ، مما غشيهم من نوره . قال : ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم قال : فيرجعون إلى منازلهم ، وقد خفوا على أزواجهم ، وخفين عليهم ، مما غشاهم من نوره . انتهى .

وقال أبو هريرة قلت يا رسول الله هل نرى ربنا قال نعم هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا

تَمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضِرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَاضِرَةً حَتَّىٰ أَنْ يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ أَلَا تَذَكَّرُ يَا فُلَانُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا يَذَكِّرُهُ بَعْضُ عَدْرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي فَيَقُولُ بَلَىٰ فَبَسَّعَ مَغْفِرَتِي بَلَّغْتَ مَنَزِلَتَكَ هَذِهِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِينًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ ثُمَّ يَقُولُ قَوْمُوا إِلَىٰ مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ فَخُذُوا مَا اسْتَهَيْتُمْ قَالَ فَنَاتِي سُوْقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرُ الْعَيُونَ إِلَىٰ مِثْلِهِ وَلَمْ تَسْمَعْ الْأَادَانُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ قَالَ فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اسْتَهَيْتُمْ لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَىٰ وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَىٰ أَهْلَ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيُقْبَلُ الرَّجُلُ دُونَ الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَىٰ مَنْ هُوَ دُونَهُ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ فَيُرْوَعُهُ مَا يَرَىٰ عَلَيْهِ مِنَ اللَّبَاسِ فَمَا يَنْقُضُ آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّىٰ يَتِمَّتْ لَهُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا قَالَ ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَىٰ مَنَازِلِنَا فَتَلْقَانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقْلُنَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيِّبِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ فَنَقُولُ إِنَّا جَالِسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ عَزَّ وَجَلَّ وَبِحَقِّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا أَنْقَلَبْنَا .

قال ابن القيم في سوق الجنة

فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَىٰ
 مَا قَدْ دَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 يَأْتُونَ سُوْقًا لَا يُبَاعُ وَتُشْتَرَىٰ
 فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلَا أَثْمَانِ

قد أسلفَ التُّجَّارُ أئْثَمَانَ المَبِيعِ بِعَقْدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

لِلَّهِ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ المَلَأُ
بِكَمَّةِ الكِرَامِ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
فِيهِ الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
كَأَنَّهَا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
كَأَنَّهَا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرَأَةٍ
فَيَكُونُ عَنْهُ مُعَبَّرًا بِلِسَانِ
فَيَرَى امْرَأَةً مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ
فَيَرُوعُهُ مَا تَنْظُرُ العَيْنَانِ

فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلْحَقُ أَهْلَهَا شَيْءٌ مِنَ الأَحْزَانِ
وَإِذَا لِيَذَا السُّوقِ الَّذِي مَنْ حَلَّهُ
نَالَ التَّهَانِي كُلَّهَا بِأَمَانِ
يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ
صَخْبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيْمَانِ
وَتِجَارَةٍ مَنْ لَيْسَ تُلْهِئُهُ تِجَارَةٌ
رَأَتْ وَلَا بَيْعٌ عَنِ الرَّحْمَنِ
أَهْلُ المُرُوءَةِ وَالمُفْتُوَةِ وَالتَّقَى
وَالمَذْكَرِ لِلرَّحْمَنِ كُلُّ أَوَانِ
يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي
رُكِّزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ
لَوْ كُنْتُ تَدْرِي قَدَرَ ذَاكَ السُّوقِ لَمْ
تَرْكُنْ إِلَى سُوقِ الكَسَادِ الفَّانِ

اللهم انظمنّا في سبيلك عبادك المُفليحين وَنَجِّنّا من لَفَحَاتِ الجَحِيمِ
وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلُّ) : إَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِخْتَارَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ مِنْ أَجْنَاسِ
المخلوقات أطيبه . واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره ، فإنه تعالى طيب لا يحب
إلا الطيب ، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب ، فالطيب من
كل شيء هو مختاره تعالى ، وأما خلقه تعالى فعام للنوعين .

وبهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشقائه، فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب
ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن قلبه إلا به، فله من الكلم
الطيب الذي لا يصعد إلى الله تعالى إلا هو، وهو أشد شيء نفرة عن الفحش في
المقال، والتفحش في اللسان والبذاء، والكذب والغيبة والتميمة والبهت وقول
الزور، وكل كلام خبيث.

وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطيبها وهي الأعمال التي اجتمعت على
حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية، وزكتها العقول الصحيحة. فاتفق على
حسنها الشرع والعقل والفطرة.

مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ويؤثر مرضاته على هواه،
ويتحجب إليه جهده وطاقته، ويحسن إلى خلقه ما استطاع، فيفعل بهم ما يجب
أن يفعلوه به، ويعاملهم بما يجب أن يعاملوه به، ويدعهم مما يجب أن يدعوه منه.

وينصحهم لما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يجب أن يحكم له به، ويحمل
أذاهم ولا يحملهم أذاه، ويكف عن أعراضهم ولا يقابلهم بمثل ما نالوا من
عرضه، وإذا رأى لهم حسناً أذاعه وإذا رأى لهم سيئاً كتمه، ويقوم أعضارهم ما
استطاع فيما لا يبطل شريعة، ولا يناقض الله أمراً ولا نهياً.

وله أيضا من الأخلاق أطيبها وأزكاها، كالحلم والوقار والسكينة، والرحمة والصبر والوفاء، وسهولة الجانب ولين العريكة والصدق، وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد، والتواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان.

والعزة والغلظة على أعداء الله وصيانة الوجه عن بذله وتذلل لغير الله، والعفة والشجاعة والسخاء والمروءة. وكل خلق اتفقت على حسنه الشرائع والفطر والعقول.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها، وهو الحلال الهنيء المرء الذي يغذي البدن والروح أحسن تغذية، مع سلامة العبد من تبعته. وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها. ومن الرائحة إلا أطيبها وأزكاها. ومن الأصحاب والعشراء إلا الطيبين منهم.

فروحه طيب، وبدنه طيب، وخلقه طيب، وعمله طيب، وكلامه طيب، ومطعمه طيب، ومشربه طيب، وملبسه طيب، ومنكحه طيب، ومدخله طيب، ومخرجه طيب، ومنقلبه طيب، ومثواه كله طيب.

فهذا ممن قال الله تعالى فيه ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة ﴿سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين﴾.

وهذه الفاء تقتضي السببية، أي بسبب طيبكم أدخلوها. وقال تعالى ﴿الخبثات للخبثين والخبثون للخبثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ وقد فسرت الآية بأن الكلمات الخبثات للخبثين، والكلمات الطيبات للطيبين، وفسرت بأن النساء الطيبات للرجال الطيبين، والنساء الخبثات للرجال الخبثين. وهي تعم ذلك وغيره.

فالكلمات والأعمال والنساء الطيبات لمناسبتها من الطيبين والكلمات والأعمال والنساء الخبيثات لمناسبتها من الخبيثين. والله سبحانه وتعالى جعل الطيب بخدافيره في الجنة، وجعل الخبيث بخدافيره في النار. فجعل الدور ثلاثة: داراً أخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين. وقد جمعت كل طيب، وهي الجنة.

وداراً أخلصت للخبيثين والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون، وهي النار.

وداراً إمتزج فيها الطيب والخبيث وخلط بينهما وهي هذه الدار.

ولهذا وقع الإبتلاء والمحنة بسبب هذا الإمتزاج والإختلاط، وذلك بموجب الحكمة الإلهية. فإذا كان يوم معاد الخليقة ميز الله الخبيث من الطيب.

فجعل الطيب وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، وجعل الخبيث وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، فعاد الأمر إلى دارين فقط: الجنة، وهي دار الطيبين، والنار: وهي دار الخبيثين.

وأنشأ الله تعالى من أعمال الفريقين ثوابهم وعقابهم، فجعل طيبات أقوال هؤلاء وأعمالهم واخلقهم هي عين نعيمهم ولذاتهم، فأنشأ لهم منها أكمل أسباب النعيم والسرور. وجعل خبيثات أقوال الآخرين وأعمالهم واخلقهم هي عين عذابهم وآلامهم فأنشأ لهم منها أعظم أسباب العقاب والآلام، حكمة بالغة، وعزة باهرة قاهرة، ليرى عباده كمال ربوبيته، وكمال حكمته وعلمه وعدله ورحمته، وليعلم أعداؤه أنهم كانوا هم المفترين الكذابين، لا رسله البررة الصادقون قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمِينِمْ بَلَىٰ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ليبين لهم الذي يختلفون فيه

وليعلم الذين كفروا إنهم كانوا كاذبين ﴿٦٠﴾.

والمقصود: أن الله سبحانه جعل للسعادة والشقاء عنواناً يعرفان به. فالسعيد الطيب لا يليق به إلا طيب، ولا يأتي إلا طيباً، ولا يصدر منه إلا طيب، ولا يلبس إلا طيباً، والشقي الخبيث لا يليق به إلا خبيث، ولا يأتي إلا خبيثاً، ولا يصدر منه إلا الخبيث.

فالخبيث: يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه: والطيب: يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه وقد يكون في الشخص مادتان، فأيهما غلب عليه كان من أهله، فإن أراد الله به خيراً طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فبوافيه يوم القيامة مطهراً فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار.

فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة حتى يلقي الله وما عليه خطيئة. ويمسك عن الآخر مواد التطهير، فيلقاه يوم القيامة، بمادة خبيثة ومادة طيبة، وحكمته تعالى تأتى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له، وتصفية وسبكا، فإذا خصلت سبيكة إيمانه من الخبث، صلح حينئذ لجواره ومساكنة الطيبين من عباده.

وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها، فأسرعهم زوالاً وتطهيراً أسرعهم خروجاً، جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد.

ولما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثاً كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة. ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرأ من الخبائث، كانت النار حراماً عليه، إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره بها.

فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب، وشهدت فطر عباده
وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين ورب العالمين، لا إله إلا هو .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

« فَضْلٌ »

خَطَبَ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه بالكوفةِ، فقال في
كلام له:

سُبْحَانَكَ خَالِقًا مَعْبُودًا بِحُسْنِ بِلَائِكَ فِي خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَارًا، وَجَعَلْتَ
مَأْدِبَةً وَمَطْعَمًا وَمَشْرَبًا، وَأَزْوَاجًا وَقُصُورًا، وَخَدَمًا وَعِيُونًَا وَأَنْهَارًا، ثُمَّ أَرْسَلْتَ
دَاعِيًا إِلَى النَّاسِ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجْبِنَا، وَلَا فِيمَا رَغَبْتَنَا رَغْبِنَا، أَقْبَلْنَا عَلَى حَيْفَةٍ نَأْكُلُ
مِنْهَا، لَقَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ حِرْصًا عَلَيْهَا، وَافْتَضَحْنَا لَمَّا اصْطَلَحْنَا عَلَى حُبِّهَا،
عَمِيَّتْ أَبْصَارُ صَالِحِينَا وَفَقَاهِنَا فِيهَا، وَلَهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، فَهُوَ يَنْظُرُ بَعَيْنٍ غَيْرِ
صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، وَقَدْ مَلَكَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَانَتِ
الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَذَهَلَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدُهَا وَعَبْدُ مَنْ فِي يَدَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، حَيْثُمَا
زَالَتْ زَالَ مَعَهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ إِلَيْهَا، لَا يَعْقِلُ وَلَا يَسْمَعُ، وَلَا يَزِدُّ جُرْمًا مِنْ
اللَّهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَعِظُ مِنَ اللَّهِ بِوَاعِظٍ. قَدْ رَأَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ حَيْثُ لَا إِقَالَةَ
وَلَا رَجْعَةَ كَيْفَ فَاجَأَتْهُمْ تِلْكَ الْأُمُورُ، وَنَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، وَفَارَقُوا
الدُّورَ، وَصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَقُوا ذَوَاهِيَ تِلْكَ الْأُمُورِ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِقُلُوبِهِمْ
حَسْرَاتُ أَنْفُسِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ خَصَلَتَانِ، حَسْرَةُ الْفُوتِ، وَسَكْرَةُ الْمَوْتِ،
تَفَطَّرَتْ لَهَا قُلُوبُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ، وَتَرَدَّدَ فُوقَهُمْ وَحَرَّكَوا لِمَخْرَجِ
أَرْوَاحِهِمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، فَعَرَفَتْ لَذَلِكَ جِبَاهُهُمْ، ثُمَّ أزدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ، فَجِيلَ
بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَمَنْطِقِهِ، وَإِنَّ لَبِيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمَهُ ففكَّرَ بعقلِ بَقِيَّ لَه: فِيمَ فَنِي
عُمُرِهِ، وَفِيمَ ذَهَبَتْ أَيَامُهُ!!

عن الأصمعي رحمه الله قال: حَجَبْتُ فَنَزَلَتْ ضَرِيَّةٌ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَإِذَا
أَعْرَابِي قَدْ كَوَّرَ عِمَامَتَهُ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ،

وصلّى على نبيّه ﷺ، ثم قال: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مَمَرٌّ، وَالْآخِرَةُ دَارٌ مَقَرٌّ، فَخُذُوا مِنْ دَارِ مَمَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتَكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ، فَإِنَّهُ لَنْ يَسْتَقْبَلَ أَحَدًا يَوْمًا مِنْ عُمَرِهِ إِلَّا بِفَارِقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَإِنَّ أَمْسَ مَوْعِظَةً، وَالْيَوْمَ غَنِيمَةً، وَغَدًا لَا يُدْرِي مَنْ أَهْلُهُ. فَاسْتَصْلِحُوا مَا تُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ، وَاقْتِنُوا مَا لَا تَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَاخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا بِقُلُوبِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا خُلِقْتُمْ، وَإِلَى غَيْرِهَا تُدْبِثُمْ. وَإِنَّهُ لَا قُوَّةَ أَقْوَى مِنَ الْخَالِقِ، وَلَا ضَعِيفَ أضعَفَ مِنْ مَخْلُوقٍ، وَلَا هَرَبَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَكَيْفَ يَهْرُبُ مَنْ يَتَقَلَّبُ فِي يَدَيْ طَالِبِهِ، وَ (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلَّلِ وَوَقَفْنَا لِصَالِحِ الْعَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَطَرِيقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ .

لَا يَخْدَعَنَّكَ صِحَّةٌ وَفِرَاقٌ
 مَا لَا يَدُومُ عَلَيْكَ فَهَوٌ مُعَارٌ
 يَعْشَى الْفَتَى حُبَّ الْحَيَاةِ وَزِينَةَ الدُّ
 دُنْيَا وَيَنْسَى مَا إِلَيْهِ يُصَارُ
 وَإِذَا الْبَصَائِرُ عَنِ طَرَائِقِ رُشْدِهَا
 عَمِيَتْ فَمَاذَا تَنْفَعُ الْأَبْصَارُ
 لَا تَعْتَرِزُ بِالذَّهْرِ إِنْ وَافَاكَ فِي
 حَالٍ يَسْرُكُ إِنَّهُ غَرَارُ
 أَنْظِرْ إِلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَاعْتَبِرْ
 سَتَصِيرُ عَنْ قُرْبٍ إِلَى مَا صَارُوا

آخر:

النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ
 وَمَا يُفِيقُونَ حَتَّى يَنْفَدَ الْعُمُرُ

يُشِيعُونَ أَهْلِيهِمْ بِجَمْعِهِمْ
 وَيَنْظُرُونَ إِلَى مَا فِيهِ قَدْ قَبِرُوا
 وَيَرْجِعُونَ إِلَى أَحْلَامِ غَفْلَتِهِمْ
 كَانْتَهُمْ مَا رَأَوْا شَيْئاً وَلَا نَظَرُوا

اللَّهُمَّ إِنَّ حَسَنَاتِنَا مِنْ عَطَائِكَ ، وَسَيِّئَاتِنَا مِنْ قَضَائِكَ ، فَجُدْ
 اللَّهُمَّ بِمَا أُعْطَيْتَ ، عَلَيَّ مَا بِهِ قَضَيْتَ ، حَتَّى تَمْحُوَ ذَلِكَ بِذَلِكَ ،
 اللَّهُمَّ إِنَّ مَسَاوِرَتَنَا قَطَعْتَ عِنَّا الْوَسَائِلَ ، غَيْرَ أَنَا عَلِمْنَا أَنَّكَ رَبُّ كَرِيمٍ ،
 وَمَوْلَى رَوْفٍ رَحِيمٍ ، فَجَرَّأْنَا مَعَ قُبْحِ أَعْمَالِنَا ، وَضَعْفِ أَعْمَالِنَا ، عَلِمْنَا
 بِذَلِكَ ، وَحَمَلْنَا - مَعَ الْبُعْدِ عَنكَ - رَجَاؤُنَا فِي نَوَالِكَ ، فَاسْتَجِبْ لَنَا ،
 وَاعْفُ رَجَاءَنَا ، وَارْحَمْنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا ،
 وَاسْمَعْ دُعَاءَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وهذه قصة الذبيح إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام .

الحمد لله رب العالمين على
 وبعث هذا فالأف الصلاة على
 والآل والصحب ثم التابعين لهم
 إني نظمت لأمر الخليل بما
 فبينما كان إبراهيم مضطجعا
 رأى مناما بأن الله يأمره
 أعني أبا العرب إسماعيل قال به
 وبعضهم قال إسحق الذبيح وقد
 ناداه إني أرى في النوم ذبحك يا
 إنعامه فهو ذو الأنعام والنعيم
 محمد سيد العربان والعجم
 ما لآخ برق وسحت أعين الدير
 أذاه فكرري وما أبدى به قلبي
 العين نائمة والقلب لم يتم
 بذبح ابن صدوق القول ذي الشيم
 جماعة من ذوي الأبواب والحكم
 تواتر القول فيمن قبل كان سمي
 بنى فانظر فما رؤياي بالحلم

فقال يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ
 لَكِنَّ وَالِدَتِي وَأَرْحَمَتَاهُ لَهَا
 فَاقْرِي وَالِدَتِي مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ
 حَوْلَ لَوَجْهِكَ عِنْدَ الذَّبْحِ يَا أَبَتِي
 فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَفْعَلُ بِي
 فَاسْتَسَلَّمَا ثُمَّ سَارَ عَازِمِينَ عَلَى
 فَجَاءَ إِبْلِيسُ يَسْعَى وَهُوَ ذُو عَجَلٍ
 فَقَالَ أَنْتَ خَلِيلُ اللَّهِ تَسْمَعُ مَا
 أُجَابُهُ اخْسَأْ عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّكَ إِبْنُ
 فَرَّاحٍ عَنْهُ وَوَلِيَّ حَاسِبِيًّا حَجِجَلًا
 ثُمَّ انْتَهَى نَحْوَ إِسْمَاعِيلَ مُمْتَحِنًا
 أَبُوكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُ
 فَقَالَ إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ يَأْمُرُهُ
 وَطَاعَةُ الرَّبِّ فَرَضٌ لَا مَحِيصَ لَنَا
 فَارْجِعْ بِكَبْرِكَ عَنَّا إِنَّنَا بَرَاءٌ
 فَرَّاحٍ عَنْهُ لِنَحْوِ الْأُمِّ قَالَ لَهَا
 مِنْ أَجْلِ رُؤْيَا رَأَاهَا الشَّيْخُ حَقَّقَهَا
 قَالَتْ نَعَمْ مَا لَهُ بُدٌّ وَكَيْفَ لَهُ
 لَمَّا رَأَى الْيَأْسَ مِنْهُمْ رَدًّا مُكْتَبِيًّا
 إِذَا فَاتَهُ مَا جَرَى مِنْهُ وَأَمَلُهُ
 وَانْقَادَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيلُ مُحْتَسِبًا
 فِينَا هُوَ مُنْقَادٌ لِسَيِّدِهِ
 أَيُّ الْخَلِيلِ بِسَكِينٍ فَأَشْحَذَهَا

مُبَادِرًا أَنْتَ أَمَرَ اللَّهُ لَنْ تُلْمَ
 مَاذَا يَحِلُّ بِهَا إِنْ حُخِرْتُ بِدَمٍ
 لَهَا أَصْبِرِي لِقَضَاءِ اللَّهِ وَاعْتَصِمِي
 وَاغْضُضِي بَطْرَفَكَ لَا تَجْزَعِ لِسَفْكَ دَمِي
 مَا شَاءَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو كَرَمٍ
 انْفَازِ أَمْرٍ إِلَيْهِ مُخَيِّي الرِّمَمِ
 فِي زِيِّ شَيْخٍ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي هَرَمٍ
 يُوجِيهِ إِبْلِيسُ فِي الْأَضْغَانِ وَالْحُلْمِ
 لَيْسُ اللَّعِينُ قَرِينُ الشَّرِّ وَالنَّدَمِ
 يَقُولُ قَدْ فَاتَنِي الْمَطْلُوبُ وَالْأَمِ
 لَهُ يَقُولُ اذْنُ مِنِّي وَاسْتَمِعْ كَلِمَ
 بِذَبْحِكَ الْيَوْمَ مَا هَذَا مِنَ الشِّيمِ
 فَاتَنِي صَابِرٌ رَاضٍ بِلَا نَدَمِ
 عَنْهَا لِأَنَّ كُتِبَتْ فِي اللُّوحِ بِالْقَلَمِ
 مِنْكَ فَانْكَ مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحِمِ
 إِنَّ ابْنَكَ الْيَوْمَ مَذْبُوحٌ عَلَى وَهْمِ
 يُرِيدُ انْجَارَهَا هَلْ ذَا بِمُلْتَزَمِ
 بَأَنَّ يُخَالَفَ مَنْ أَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمِ
 يَرْنُ أَرْثَانَ ذَاتِ الثُّكُلِ وَالْيَتَمِ
 وَبَاءَ بِالْخِزْيِ وَالْخُذْلَانِ وَالنَّدَمِ
 لِحُكْمِ مَوْلَاهُ يَمْشِي حَافِي الْقَدَمِ
 مَا فِيهِ مِنْ جَزَعٍ كَلًّا وَلَا سَمِّ
 حَتَّى غَدَّتْ مِثْلَ بَرْقٍ فِي دُجَى الظُّلَمِ

فقال يا أبتاه ارفع ثيابك لا
ويفجع الأم مهما شاهدته كذا
والأم يا والدي مهما رجعت لها
وأمر مولاي نفضه بذبحك لي
كيما يهون علي الموت إن له
قال الخليل فيعم العون أنت علي
فجاء بالحبيل شد الإبن ثم بكى
أمر شفرته بالنحر فانقلب
فقال إن شق ذا والنفس ما سمحت
فكبه مثل ما أوصاه فانقلب
والأرض رجت وأملاك السما جارت
والله ذو العرش فوق العرش يعجب من
أوحى لجبريل أن أدركهما عجلأ
أي أربعين خريفاً في الجنان رعى
فجاء بالكبش جبريل الأمين إلى
فقال هذا الفدي من عند ربك عن
فكبر الله جبرائيل حينئذ
ثم الخليل كذا الإبن ما برحا
وسر أهل السما والأرض حالهما
عواقب الصبر تنجي من يلازمها
ثم الصلاة على المختار أحمد ما
والآل والصحب ثم التابعين لهم

يصبها قدر عند اضطباب دمي
فالله يعصمها من زلة القدم
فاطلب لي الحبل منها واحفظ الدم
واشحد لشفرة ذبحي يا أبا الكرم
لشدة لم تصفها السن الأمم
مرضاة ربي فشق بالله واعتصم
لرقة غلبته فهو لم يلم
عنه ثلاثاً ولم يمسه من ألم
فكب وجهي فإني غير مهتضم
إذ ذاك شفرته لم تفر من آدم
والوخش عجت وعم الخطب في الأمم
إيمان عبدي ما عنه بمنكم
بكش ضان ربي في روضة النعم
يسقى من أنهارها عذبا بلا وحم
ذاك الخليل النبيل الطاهر العلم
هذا الذبيح جزا هذا دم بدم
والكش كبر أيضاً ناطقاً بفم
مكبرين وذا شكر على النعم
واعتم إبليس غماً غير منصرم
والحمد لله هذا آخر الكلم
عنت مطوقة في الأيك بالنعم
ما لاح فجر فأجلى غيب الظلم
إنتهى

اللهم إنا نسألك نفساً مطمئنةً ، تؤمنُ بِلِقَائِكَ وترضى بِقضائِكَ ،
وتَقنَعُ بِعَطائِكَ ، يا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
اللهم إنا نسألك التوفيق لما نُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، ونسألك صِدْقَ التَّوَكُّلِ
عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .
اللهم اجعلنا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحْسِنِينَ ، الْغُرِّ الْمَحْجَلِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبَّلِينَ .
اللهم إنا نسألك حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْساً تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً ، وَمِيتَةً
سَوِيَّةً ، وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .
اللهم اجعلنا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ
بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .
اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

خطبة في التحذير من المعاصي

قال أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ :
الحمد لله الذي حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ الْمُتَعَرِّفَ إِلَى خَلْقِهِ بِمَا
أَسَدَاهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكُرْمِ وَالْمَنَنِ الَّذِي أَخْرَجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَهَدَاهُمْ
إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ وَجَنَّبَهُمْ مَا يُوْقَعُهُمْ فِي مَهَامِهِ الْجَحِيمِ .
الوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمِدِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى فَضْلِهِ وَجُودِهِ الْغَزِيرِ وَأَشْكُرُهُ
وَالشُّكْرَ مُؤَدَّنٌ بِالزِّيَادَةِ وَالتَّوْفِيرِ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو نعم المولى ونعم النصير
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير اللهم صلِّ
وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أُولي الجِد في الطاعة
والتشمير صلاةً وسلاماً دائمين مُتلازمين إلى يوم المصير .

أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى بفعل أوامره واجتنب مَنَاهِيهِ وَقُوا
أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَتَدَبَّرُوا فِيمَنْ ضَاعَ عَمْرُهُ فِي
الْبَطَالَةِ وَالتَّمَادِي وَجَمَعَ الْمَالُ وَلَا يَبَالِي أَمِنْ حَلَالٍ جَمَعَهُ أَمْ مِنْ حَرَامٍ .

ولا تأكلوا الرِّبَا فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنَ آكِلِ الرِّبَا وَمُوكَلِّهِ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ هُمْ فِي
الْوِزْرِ سَوَاءٌ قَالَ اللَّهُ جَل وَعَلَا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ
ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وَفِي الْحَدِيثِ : « مَا ظَهَرَ
الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّىٰ أَعْلَنُوهَا إِلَّا ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ
فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا وَمَا طَفَّفَ قَوْمَ الْمَكِّيَّاتِ وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتَلَوْا بِالسَّنِينِ
وَشِدَّةِ الْمَوْئِنَةِ وَجورِ السُّلْطَانِ » ، وَمَا مَنَعَ قَوْمَ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنْ
السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبُهَائِمُ لَمْ يَمْطُرُوا وَمَا خَفَرَ قَوْمَ الْعَهْدِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ
غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَلَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ
بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ .

وقال عليه السلام : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم
بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلَّطَ اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا
إلى دينكم » .

وقال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته » .

وقال في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت » وقال عن الكعبة ما أعظمك وأعظم حرمتك وإن حرمة المؤمن أعظم عند الله منك .

وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه » وقال معاذ أو مؤاخذون يا رسول الله بما نتكلم به ؟ فقال : « شكلك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم » وقال : « الغيبة أشد من الزنا الحديث إنّ من أرمى الرّبا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم » وقال : « اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلّمة يوم القيامة » .

وفي حديث أبي بكر الصديق إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب من عنده رواه أحمد وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أخفيت الخطيئة لم تضرّ إلاّ صاحبها وإذا ظهرت فلم تغيّر ضرّت العامّة » .

وروى أحمد عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يوشك أن تخرب القرى وهي عامرة قالوا وكيف خرابها قال إذا علا فجّارها على أبرارها وساد القبيلة مُناققوها وروى أحمد من حديث جرير أن النبي ﷺ قال : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعزّ وأكثر ممن يعمله فلم يغيّروه إلاّ عمّهم الله بعقاب » وروى البخاري عن أنس قال : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ في أعينكم من الشّعر كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات .

فاتّقوا الله عبادَ الله بالاقلاع عن المعاصي وتوبوا إلى ربكم توبة نصوحاً

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم واستدرخوا بقية عمر أضعتم أوله فإن بقية عمر المؤمن لا قيمة له جعلني الله وإياكم ممن أفاق لنفسه وفاق بالتحفظ أبناء جنسه وأعدّ عدة تصلح لرمسه .

إن أحس ما وعظ به الواعظون كلام من نحن لعفوه وكرمه مؤملون والله يقول ويقول به يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ فَمَا مِنْ طَفْحِي ، وَآثَرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَبَى النِّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ بَارِكْ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَنَفَعْنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

موعظة

عباد الله إن العاقل اللبيب الفطن الرشيد من يسعى في نفع نفسه وأهله ودفع الضرر عنهم ، وإنا نرى في زمننا الذي كثرت فيه المنكرات وإنحطت فيه الأخلاق وقَلَّ فيه الورع وكثُرَ فيه النفاق والرياء .
ترى الناس يخشون الناس ولا يخافون رباً قهَّاراً بطُّشُهُ شَدِيدٌ وَعَذَابُهُ أَلِيمٌ ترى الرجل يفعل المنكر جهاراً ولا تنهاه وتنسى أو تناسى قول الله تعالى : ﴿ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَأَلْحَقُ بِهِ مَنْ تَخْشَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وقوله ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ﴾ .

وقوله ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسان فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .
فقل للذي يرى تارك الصلاة ولا ينهأه لا يجوز لك ذلك إنصح أخاك

المسلم وقل للذي قد عميت بصيرته فأتى بكفار خدامين أو سواقين أو
مربين أو طباطين أو خياطين أو نحو ذلك وأمنهم على محارمه .
خف الله وإحذر من عقوبة الدنيا قبل عقوبة الآخرة كيف تأتي
بأعداء الله ورسوله والمؤمنين ، لقد أسأت إلى نفسك وأهلك والمسلمين .
أما سمعت قول النبي ﷺ « من جامع المشرك أو سكن معه فهو
مثله » .

أو ما بلغك قصة الثلاثة الذين هجرهم المسلمون نحووا من خمسين
ليلة بأيامها حين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .
أو ما بلغك أن أبا هريرة أقسم « لا يظله سقف هو وقاطع رحم »
وأنت وأعداء الله الكفار متصل بعضكم في بعض في البيت والسوق
والسيارة عيادا بالله من ذلك ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور ﴾ .

وإذا رأيتَ من يخلق لحيته ويبقي شاربه متشبها بالمجوس فقل له أما
سمعت حديث « أكرموا اللحي » وحديث « وفروا اللحي » وقول الله تعالى
﴿ فليحذر الذي يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم ﴾ وقوله ﷺ « كل أمي معافي إلا المجاهرون » وعملك هذا مجاهرة .
وإذا رأيت شارب الدخان فإنصحته وبين له مضاره في الدين والبدن
والدنيا .

وإذا رأيتَ مَنْ يَقْتُلُ وَقْتَهُ أَمَامَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ فَإِنْصَحْهُ وَبَيْنْ لَهُ
الْمُضَارَّ الَّتِي مِنْهَا تَرُكُ الصَّلَاةَ جَمَاعَةً أَوْ إِهْمَالَهَا بَتَاتًا وَالْعِيَاذَ بِاللَّهِ .
وإذا رأيتَ الذي يطارد النساء في الأسواق فقل بالله هل ترضى أن
الفسقة مثلك يُطَارِدُونَ نِسَاءَكَ إِتَّقِ اللَّهَ وَتُبَّ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْخَلْقِ الرَّذِيلِ .

وإذا رأيتَ الذي يغش المسلمين فقل له إتق الله أما بلغك حديث المصطفى ﷺ « مَنْ غشنا فليس منا » .

وإذا رأيتَ مَنْ يعامل بالربا فقل كيف تحاربُ ربَّكَ الذي أعطاك المال خَفِ اللهَ وإحذر أنَ يَمَحِّقَكَ اللهُ ويمحقَ مالك .

وإذا رأيتَ مَنْ يسافر إلى بلاد الكفر فإنصحه وقل أما سمعت قول النبي ﷺ « أنا برىء من مسلم بين أظهر المشركين لا ترى نارهما » وكان ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة يأخذ علي يد أحدهم « أن لا ترى نارك نار المشركين إلا أن تكون حربا لهم » .

وإذا رأيتَ مَنْ يَصُورُ أو يبيع صور ذوات الأرواح فإنصحه وقل له أما بلغك أن أشد عذاباً يوم القيامة المصورون ، أما بلغك أنَّ مَنْ صور صورة في الدنيا كُلِّفَ أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ ، وقل له أما سَمِعْتَ حديث كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم إتق الله قبل أن تقف بين يديه حافياً عارياً أعزلاً .

وإذا رأيتَ مَنْ يبيع الصور أو آلات اللهو كالتلفزيون والكورة والمذياع والفيديو والسيناء والورق الملهية عما خلق الانسان له وأبا الخبائث الدخان ونحو هذه البدع المُحَرَّمَة التي ضاع العمر والمال بسببها وَقُضَّتْ على الأخلاق والغيرة الدينية فقل له أترضى لنفسك أن تتجر بالمحرمات وأن تكون ممن يعين على المعاصي وينشر الفساد إتق الله قبل أن يفاجئك هادم اللذات فتندم ولا يفيدك الندم . ويصدق عليك قول الشاعر :

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مصرعه وخيم المصرع
وإذا رأيتَ مَنْ يطفف في المكيال والميزان أو يأخذ راتبه كاملاً ولا يُؤدِّي

العملَ كاملاً قل له إتق الله أما تقرأ قول رب العالمين ﴿ ويل للمطففين الذين إذا إكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوا هم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ . وقل له سَتَنَاقِشُ عَن عَمَلِكَ وَإِهْمَالِكَ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .

وإذا رأيتَ المغتائبين نَهَاشَةَ الأَعْرَاضِ أَكَّالَةَ الحُومِ الغَوَافِلِ فقل لهم أما قرأتم قول الملك الديان ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحكم أخيه ميتاً ﴾ الآية .

وإذا رأيتَ النِّهَامَ فقل له أما سمعت قول النبي ﷺ « لا يدخل الجنة نِهَامٌ » وهكذا تفعل عندما تريد أن تنصح أهل المعاصي نحو هؤلاء من مُنَافِقِينَ وَمُتَمَلِّقِينَ وكذابين وخداعين ومُرائين ومكَّارين .

ولقد تضاعفت الغيبة والنميمة والكذب أضعافاً كثيرة بعد ظهور التلفزيون والتلفون والمسجلات فقد كانت بالأول لا توجد إلا مع اجتماع الأبدان والآن تُوجَدُ ولو كان بينهم مسافات بعيدة نسأل الله العافية اللهم جَنِّبْنَا البِدْعَ والمُنْكَرَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ الزَّلَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَأَسْكِنْنَا فِيسِحِ الجَنَاتِ وَجَمِيعَ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : قال ابن القيم رحمه الله :

مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعَقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ القَلْبِ وَالبَعْدِ عَنِ اللهِ خُلِقَتِ النَّارُ لِإِذَابَةِ القُلُوبِ القَاسِيَةِ أبعَدَ القَلْبِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي ، إِذْ قَسَى قَحْطَتِ العَيْنِ .

قَسْوَةُ القَلْبِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ إِذَا جَاوَزَتْ قَدْرَ الحَاجَةِ : الأَكْلُ ،

والنوم والكلام ، والمخالطة ، كما أن البدن إذا مَرَضَ لم يَنْفَع فِيهِ الطَّعَامُ
والشَّرَابُ فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجح فيه المواعظ .
من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهواته .

القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها . شغلوا
قلوبهم بالدنيا ، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه
وآياته المشهودة ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد .
إذا غدى القلب بالتذكر ، وسقى بالتفكير ، ونقى من الدغل ،
ورأى العجائب وأهم الحكمة ، خراب القلب من الأمن والغفلة ،
وعماراته من الخشية والتذكر .

إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل
تلك الدعوة ، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد .

والقلب يمرض كما يمرض البدن وشفائه في التوبة والحمية ويصدأ
كما تصدأ المرأة وجلأؤه بالذكر ، ويعرى كما يعرى الجسد وزينته التقوى ،
ويجوع ويظماً كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل
والإنابة والخدمة .

للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها : ثلاثة سافلة وثلاثة
عالية .

فالسافلة : دنيا تتزين له ونفس تحدثه وعدو يوسوس له ، فهذه
مواطن الأرواح السافلة لا تزال تجول فيها .

والثلاثة العالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده ،
والقلوب جواله في هذه المواطن .

وقال رحمة الله : ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس
والفضة وغيرها وجلأؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرأة البيضاء ، فإذا
ترك صدىء ، فإذا ذكر جلأه .

وصداً القلب بأمرين : بالغفلة والذنب ، وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر . فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصداً متراكماً على قلبه ، وصداه بحسب غفلته ، وإذا صداً القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل ، لأنه لما تراكم عليه الصداً وأسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه ، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً . وهذا أعظم عقوبات القلب . وأصل ذلك من الغفلة وإتباع الهوى فإنها يطمسان نور القلب ويعميان بصره ، قال تعالى ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وإتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر :

هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين . وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي . فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً . ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع ، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به ، وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه . وفسر بالإسراف ، أي قد أفرط ، وفسر بالأهلاك ، وفسر بالخلاف للحق ، وكلها أقوال متقاربة .

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات ، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته واتبوعه فإن وجدته كذلك فليبعد منه وإن وجدته ممن غلب عليه ذكر الله عز وجل وإتباع السنة ، وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليتمسك بغرزه ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر ، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ وَفِي الْمُسْنَدِ مَرْفُوعاً أَكْثَرَ وَإِذْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يُقَالَ مَجْنُونٌ .

شِعْرًا: الذُّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمِ الْخَبْرَا لِأَنَّهُ قَوْلٌ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشِيرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدْ فَهَمًّا وَمَعْرِفَةً يَا ذَا النَّهْيِ كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَحْرَا

وَتَحْمَدِ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ إِذَا جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ وَانْتَشَرَ
لِلَّهِ دُرٌّ رِجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ فِيمَا يَدُقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهَرَ
قال ابن القيم رحمه الله كُلُّ آفَةٍ تَدْخُلُ عَلَى الْعَبْدِ فَسَبَّبَهَا ضَيَاعُ الْقَلْبِ
وَفَسَادُ الْقَلْبِ يَعُودُ بِضِيَاعِ حَقِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَنَقْصَانِ دَرَجَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ .
ولهذا أوصى بعضُ الشُّيوخِ فقال احذروا مُخَالَطَةَ مَنْ تُضَيِّعُ مُخَالَطَتُهُ
الْوَقْتَ وَتُفْسِدُ الْقَلْبَ فَإِنَّ ضَيَاعَ الْوَقْتِ وَفَسَادَ الْقَلْبِ انْفَرَطَتْ عَلَى الْعَبْدِ أُمُورُهُ
كُلُّهَا وَكَانَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ ﴿ وَلَا تُطِيعُوا مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ .

ومن تأمل حالَ هذا الخلقِ وجدَّهم كُلَّهُمْ إِلَّا أَقْلَ الْقَلِيلِ مِمَّنْ غَفَلَتْ
قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي بِهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ وَتَطْمَئِنُّ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَصَارَتْ
أُمُورُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ فُرْطًا ، أَي فَرَّطُوا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَعُودُ عَلَيْهِمْ بِمَصَالِحِهِمْ ،
وَاشْتَغَلُوا بِمَا لَا يَنْفَعُهُمْ بَلْ بِمَا يَعُودُ بِضَرَرِهِمْ عَاجِلًا وَآجِلًا .
وهؤلاء قد أمر الله سبحانه رسوله أَلَّا يُطِيعَهُمْ فَطَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ لَا تَمُ
إِلَّا بِعَدَمِ طَاعَةِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى مَا يُشَاكِلُهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى وَالغَفْلَةِ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

والغفلة عن ذِكْرِ اللَّهِ والدار الآخرة متى تَزَوَّجَتْ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى تُولَدُ بَيْنَهُمَا
كُلُّ شَرٍّ وَكَثِيرًا مَا يَقْتَرِنُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ وَلَا يَفَارِقُهُ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِسَادَ أَحْوَالِ الْعَالَمِ عُمُومًا وَخُصُوصًا وَجَدَهُ نَاشِئًا عَنْ هَازِلِينَ
الْأَصْلِيِّينَ فَالْغَفْلَةُ تَحُولُ بَيْنَ الْعَبِيدِ وَبَيْنَ تَصَوُّرِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ وَالْعِلْمَ بِهِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ
مِنَ الضَّالِّينَ ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى يَصْدَهُ عَنِ قَصْدِ الْحَقِّ وَإِرَادَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ ، فَيَكُونُ مِنَ
الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ .

وأما المنعم عليهم فهم الذين مَنْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ عِلْمًا
وَبِالانْقِيَادِ إِلَيْهِ وَإِثَارِهِ عَمَّا سِوَاهُ عَمَلًا وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَلَى سَبِيلِ النِّجَاةِ وَمَنْ
سِوَاهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْهَلَاكِ .

ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقول كل يوم وليلة عِدَّة مرات ﴿اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

فإن العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفا بما ينفعه في معاشه ومعاده وأن يكون مؤثرا مريدا لما ينفعه مُجْتَنِباً لما يضره فبمجموع هذين قد هدى إلى الصراط المستقيم فإن فاتته معرفة ذلك سلك سبيل الضالين .
وإن فاتته قصده واتباعه سلك سبيل المغضوب عليهم وبهذا تعرف قدر هذا الدعاء العظيم وشدت الحاجة إليه وتوقف سعادة الدنيا والآخرة عليه .

وقال آخر حافظ على الأوقات فإن الوقت رأس المال ولا تضعها بالفراغ واملأها بالإفادة أو الاستفادة أو بهما جميعا واعرف ما يذهب به ليلك ونهارك وجدد توبتك في كل وقت .

وقسم وقتك ثلاثة أقسام قسم لطلب العلم وقسم للعمل الذي تستعين به على مصالح دنياك وآخرتك وقسم لحقوق نفسك وما يلزمك واعتبر بمن مضى وتفكر في منصرف الفريقين بين يدي الله جل وعلا وتقدس فريق في الجنة وفريق في السعير .

واستحضر قرب الله منك كما في الحديث فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأكرم الكتبة الحافظين فقد أوصى رسول الله ﷺ بالجار من الناس الذي بينك وبينه جدار وأحجار فكيف بالجار الكريم الذين قال الله فيهم ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ .

فرعاية جواره أحق وإكرام قربه أوجب لأنه أسبق و الصق وليس بينك وبينه جدار ولا أحجار ولا حائل ومع الأسف الشديد أن الأذية لهم لا تفتر على مر الساعات ولكن مقل ومكثر .

اللهم اجعل الإيمان هادياً للسيئات ، كما جعلت الكفر عادياً
للحسنة ووقفنا للأعمال الصالحات ، واجعلنا ممن توكل عليك

فَكَفَيْتُهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتُهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتُهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فصل)

ثم أعلم أيها الأخ أنه ما من ساعة تمرُّ على العبدِ لا يذكُرُ اللهَ فيها إلاَّ
تأسَّفَ وتَحَسَّرَ على فواتها بغيرِ ذِكْرِ اللهِ وَلِذَلِكَ يُنْبَغِي للعاقل أن يجعلَ معه
شيئاً يذكُرُهُ لِذِكْرِ اللهِ كلما غَفَلَ عنه .

ويقال إنَّ العبدَ تُعْرَضُ عليه سَاعَاتُ عُمُرِهِ في اليومِ واللييلة فيراها
خَزَائِنَ مَصْفُوفَةً أَرْبَعٌ وَعِشْرِينَ خِزَانَةً فِيرَى في كُلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا في طَاعَةِ اللهِ
ما يَسْرُهُ . فإذا مَرَّتْ به الساعاتُ التي غَفَلَ فيها عن ذِكْرِ اللهِ رَأَاهَا فَارِعَةً
سَاءَهُ ذَلِكَ وَتَنَدَّمَ حِينَ لا يُفِيذُهُ النَّدَمُ .

وأما الساعاتُ التي كان يذكُرُ اللهُ فيها فلا تسأل عن سُرُورِهِ فيها
وفرِحهِ بها حتى يكاد أن يقتله الفرحُ والسُرورُ . قال بعضهم أوقاتُ الإنسانِ
أَرْبَعَةٌ لا خَامِسَ لها النعمةُ ، والبليَّةُ ، والطاعةُ ، والمعصيةُ .

وَلِلَّهِ عَلَيْكَ في كُلِّ وَقْتٍ مِنْهَا سَهْمٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ .
فَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الطَّاعَةَ لِلَّهِ فَسَبِيلُهُ شُهُودُ الْمِنَّةِ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ أَنْ هَدَاهُ
وَوَفَّقَهُ لِلْقِيَامِ بِهَا .

وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الْمَعْصِيَةَ فَعَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ النِّعْمَةَ فَسَبِيلُهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الْبَلِيَّةَ فَسَبِيلُهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالصَّبْرُ وَالرِّضَا رِضَى
النَّفْسِ عَنِ اللهِ ، وَالصَّبْرُ ثَبَاتُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ . أ هـ .

العُمُرُ إذا مَضَى لا عِوَضَ وما حَصَلَ لَكَ مِنْهُ لا قِيَمَةَ لَهُ . فَعُمُرُ
الإنسانِ هو مِيدَانُهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَالْمَوْجِبَةِ لَهُ جَزِيلِ
الثَّوَابِ في الآخِرَةِ . وَلَكِنْ ما يَعْرِفُ قَدْرَ الْعُمُرِ إِلَّا نَوَادِرُ الْعُلَمَاءِ .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال
تبارك وتعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ وقال
﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ الآيات .

وهذه هي السعادة التي يكسبها العبد ويسعى من أجلها وليس له منها
إلا ما سعى كما قال جل وعلا وتقدس ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ .
فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُهُ مِنَ الْعُمُرِ خَالِيًا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ .
يَفُوتُهُ مِنَ السَّعَادَةِ بِقَدْرِهِ وَلَا عَوَاضَ لَهُ مِنْهُ .

فالوقت لا يستدرك وليس شيء أعز منه وكل جزء يحصل له من العمر
غير خال من العمل الصالح يتوصل به إلى ملك كبير لا يقني ولا قيمة لما
يُوصَلُ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّرَفِ وَالنَّفَاسَةِ .

ولأجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم
لأنفاسهم ولحظاتهم وبأدروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم
في البطالة والتقصير ولم يقنعوا لأنفسهم إلا بالجد والتشمير فليله درهم ما
أبصرهم بتصرف أوقاتهم .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيهَا رُمْتَ مَغْرُورٌ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصَلُوا هَذَا وَفِي سَيْرِهِمْ جِدٌّ وَتَشْمِيرٌ
قال بعضهم أدركت أقومًا كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على
دنانيركم ودراهمكم فكما لا يخرج أحدكم دينارًا ولا درهمًا إلا فيما يعود نفعه
عليه فكذلك السلف لا يحبون أن تخرج ساعة بل ولا دقيقة من أعمارهم إلا
فيما يعود نفعه عليهم ضد ما عليه أهل هذا الزمان من قتل الوقت عند
المنكرات .

بَقِيَّةُ الْعُمُرِ عِنْدِي مَا لَهُ ثَمَنٌ وَإِنْ غَدَا غَيْرَ مَحْسُوبٍ مِنَ الزَّمَنِ
يَسْتَدْرِكُ الْمَرْءَ فِيهَا كُلَّ فَائِئَةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَمْحُو السُّوءَ بِالْحَسَنِ

آخر:

لا يَحْقِرُ الرَّجُلُ الرَّفِيعَ دَقِيقَةً فِي السَّهْوِ فِيهَا لِلْوَضِيعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغِيرَةٌ وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ كِبَائِرُ
رَأَى أَحَدُ الزُّهَادِ إِنْسَانًا يَأْكُلُ فُطُورَهُ وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى مَضْغٍ فَقَالَ هَذَا
يَسْتَعْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا فَلَمَّا أُخْرِجَ فُطُورَهُ وَإِذَا هُوَ مَا يَسْتَعْرِقُ إِلَّا وَقْتًا يَسِيرًا .
فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا فَقَالَ إِنِّي حَسَبْتُ مَا بَيْنَ الْمَضْغِ وَالسَّفِّ
سَبْعِينَ تَسْبِيحَةً .

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بلغنا أن أحد علماء السلف كان يأكل
باليمنى والكراس باليسرى .

وَإِذَا دَخَلَ الْخَلَاءُ أَمَرَ الْقَارِيءَ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ كُلَّ هَذَا مُحَافَظَةً عَلَى
الْوَقْتِ .

بَلِّغْ يَا أَخِي قِتَالَةَ الْأَوْقَاتِ عِنْدَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ مِنْ تَلْفَازٍ وَمِذْيَاعٍ
وَكُورَاتٍ وَجَرَائِدٍ وَمَجَلَاتٍ وَقِيلٍ وَقَالَ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَيَا أَخِي إِنْ كُنْتَ بِمَنْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الشُّرُورِ وَالْبَلَايَا وَالْمُنْكَرَاتِ
فَكَثِّرْ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَذِكْرِهِ وَأَسْأَلِهِ الثَّبَاتَ حَتَّى الْمَاتِ .
وَانصَحْ إِخْوَانَكَ الْمُسْلِمِينَ وَاجْتَنِبْهُمْ عَنِ ضِيَاعِ الْأَوْقَاتِ فَلَعَلَّكَ أَنْ
تَكُونَ سَبَبًا لِهِدَايَتِهِمْ .

وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَبْهَلًا وَلَا تُغْبَنَنَّ بِالنَّعْمَتِينَ بَلِ اجْهَدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ
فِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتَرَازُهَا وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِي ذُلُّ سَرْمَدِ
ثُمَّ أَعْلَمَ أَيُّهَا الْإِخَاءُ أَنَّ الْوَقْتَ لَيْسَ مِنْ ذَهَبٍ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ فَإِنَّهُ أَعْلَى
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَهْمَا بَلَغَا كَثْرَةً إِنَّهُ الْحَيَاةُ مِنْ سَاعَةِ الْمِيلَادِ إِلَى سَاعَةِ الْوَفَاةِ
فَتَنَبَّهُ لِذَلِكَ وَحَافِظٌ عَلَيْهِ وَاقْتَدُ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ الَّذِينَ عَرَفُوا قِيَمَةَ الْوَقْتِ .

قال بن مسعود رضي الله عنه ما ندمت على شيء ندمي على يومٍ غربت
شمسه نقص فيه عمري ولم يزد فيه عملي .
وقال آخر كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علماً يقربني من الله عز وجل
فلا بُورك لي في طلوع شمسِهِ .

وقال آخر من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاة أو فرض أداءه
أو مجد أثله أو حمد حصّله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عقر يومه وظلم
نفسه . ولاتسأل عن ندمه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

وإذا كان هذا حرص السلف على الوقت والمحافظة عليه وتقديره
عندهم فإن مما يُحزن المسلم ويجرحه ويذمي القلب ويمزق الكبد أسى وأسفاً
ما نشاهده عند كثيرين من المؤمنين من إضاعة للوقت تعدت حد التبذير
والاسراف والتبذير .

وبالحقيقة أن السفيه هو مُضيع الوقت لأن المال له عوض أما الوقت
فلا عوض له .

فالعامل من حفظ وقته وتجنب ما يضيعه عليه كالجلوس عند الملاهي
والمنكرات ومطالعة في الكتب الهدّامة إن من أخسر الناس أعمالاً من
شغلتهم شهواتهم عن أمور دينهم ومصالح أمورهم قال الله جل وعلا وتقدس
﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ وقال عز
من قائل ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرأه حسناً ﴾ .

اللهم يا عالم الخفيات ويا سامع الأصوات ويا باعث الأموات ويا مجيب
للدعوات ويا قاضي الحاجات يا خالق الأرض والسّموات أنت الله الأحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد الوهاب الذي لا يتخلل
والحليم الذي لا يعجل لا راداً لامرك ولا معقب لحكمك نسألك أن تغفر
ذونونا وتنور قلوبنا وتثبت محبتك في قلوبنا وتُسكننا دار كرامتك إنك على كل
شيء قدير .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ

الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصُّدُوقِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ)

عن وهب بن منبه قال : قال الحواريون : يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا ما خشوا أن يميتهم ، وتركوا ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم إياها فواتاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حُزناً ، فما عارضهم منها رفضوه ، أو من رفعتها بغير الحق وضعوه .

خلقت الدنيا عندهم فلم يجدوها ، وخربت بينهم فلم يعمروها ، وماتت في صدورهم فليسوا يحيوها .
يهدمونها فينون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، رفضوها وكانوا برفضها فرحين ، وباعوها وكانوا ببيعها رابحين .

نظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات ، فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره .

لهم خبر عجيب ، وعندهم الخبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، وبهم عُلِمَ الكتاب وبه علموا فليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا ولا أماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دُونَ ما يَحذَرُونَ ، رواه الامام أحمد .

[قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية]

عن عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه .

فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي . فطفق رجال يَعْترضُونَ الأعرابي فَيُساوِمُونَ بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه .

حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ .

فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال : إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته .

فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال : أوليس قد ابتعته منك ؟ قال الأعرابي : لا والله ما بعتك .

فقال النبي ﷺ : بلى قد ابتعته منك . فطفق الناس يَلُودُونَ بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول : هلمّ شهيداً يشهد أني بايعتك .

فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : وَيْلَكَ إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً .

حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي وطفق الأعرابي يقول : هلمّ شهيداً أني بايعتك .

فقال خُزَيْمَةُ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ . فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ : بِمَ تَشْهَدُ ؟ قَالَ : بِتَصَدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ .

وقد روي في بعض طرق هذا الحديث أن النبي ﷺ قال لخزيمة : بِمَ تَشْهَدُ وَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَصَدِّقُكَ بِخَيْرِ السَّمَاءِ أَفَلَا أَصَدِّقُكَ بِهَا تَقُولُ ؟

قال الخطابي : ووجه هذا الحديث أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه إذ كان النبي ﷺ صادقاً باراً وجرّت شهادته خزيمة في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه . فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين في سائر القضايا . رحمه الله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : قال الواقدي عن أشياخ له : إن شيبَةَ بنَ عَثْمَانَ كان يُحَدِّثُ عن إسلامِهِ فيقول : ما رأيتُ أعجبَ مما كُنّا فيه من لُزومِ ما مَضَى عليه أبائونا من الضَّلالاتِ .

فلما كان عام الفتح ودخل النبي ﷺ عُنُوةً قُلْتُ : أَسِيرٌ مَعَ قُرَيْشٍ إِلَى هَوَازِنَ بِحُنَيْنٍ فَعَسَى أَنْ اخْتَلَطُوا أَنْ أُصِيبَ مِنْ مُحَمَّدٍ غِرَّةً فَأَثَارُ مِنْهُ فَأَكُونُ أَنَا الَّذِي قُمْتُ بِثَارِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا ، وَأَقُولُ : وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَحَدٌ إِلَّا اتَّبَعَ مُحَمَّدًا مَا اتَّبَعْتَهُ أَبَدًا .

فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بَعْلَتِهِ وَأَصْلَتِ السِّيفَ فَدَنَوْتُ أُرِيدُ مَا أُرِيدُ مِنْهُ وَرَفَعْتُ سَيْفِي ، فَرَفَعَ لِي سُوَاظُ مِنْ نَارٍ كَالْبُرْقِ حَتَّى كَادَ يَمْحَشُنِي فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى بَصْرِي خَوْفًا عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَادَانِي : يَا شَيْبَ بْنَ مَنِ .

فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَمَسَحَ صَدْرِي وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ

الشيطان » .

فوالله لهو كان سَاعَتِيذِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَبَصْرِي وَنَفْسِي
وَأَذْهَبَ اللهُ عِزَّ وَجَلِي مَا كَانَ بِي .

ثم قال : أَدْنُ فِقَاتِلٍ . فَتَقَدَّمْتُ أَمَامَهُ أَضْرَبُ بِسَيْفِي ، اللهُ
يَعْلَمُ أَنِي أَحَبُّ أَنْ أَقِيَهُ بِنَفْسِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَوْ لَقِيتُ تِلْكَ السَّاعَةَ
أَبِي لَوْ كَانَ حَيًّا لَأَوْقَعْتُ بِهِ السَّيْفَ .

فلما تراجع المسلمون وكرؤا كرهة رجل واحد قرئت بغلة
رسول الله ﷺ فاستوى عليها فخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل
وجه ، ورجع إلى معسكره فدخل خبائه ، فدخلت عليه فقال :
يأشيب ، الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك .

ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد
قط . فقلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم
قلت : استغفر لي يا رسول الله . فقال : غفر الله لك .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « كم من
ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن
مالك » .

وإن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في
المسلمين .

فقالوا له : يا براء إن رسول الله ﷺ قال إنك لو أقسمت على
الله لأبرك فأقسم على الله فقال : أقسمت عليك يارب لما منحتنا
أكتافهم فمنحوا أكتافهم .

ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين فقالوا :
أقسم على ربك ، فقال : أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم
والحقتني ببيك ﷺ فمنحوا أكتافهم وقيل البراء شهيداً والله أعلم

فصل : أَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى الْكُوفَةِ مِنْ يَسْأَلُ عَنْ سَعْدٍ فَكَانَ النَّاسُ يَثْنُونَ عَلَيْهِ خَيْرًا حَتَّى سئِلَ عَنْهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبَسَ .
فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أَنْشَدْتُمُونَا عَنْ سَعْدٍ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يُخْرَجُ فِي السَّرِيَّةِ وَلَا يَعْدِلُ بِالرَّعِيَّةِ وَلَا يَقْسِمُ بِالسُّوِيَّةِ .

فَقَالَ سَعْدٌ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطْلُ عُمُرَهُ وَعَظْمُ فَقْرِهِ وَعَرَضُهُ لِلْفِتَنِ .

فَكَانَ يَرَى وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ تَدَلَّى حَاجِبَاهُ مِنَ الْكِبَرِ يَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي يَغْمِزُهُنَّ فِي الطَّرَقَاتِ ، وَيَقُولُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ .

وَكَذَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ كَانَ مَجَابِ الدَّعْوَةِ فَقَدْ رَوَى أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أَوْسٍ اسْتَعَدَّتْ مِرْوَانَ عَلَى سَعِيدٍ وَقَالَتْ : سَرَقَ مِنْ أَرْضِي وَأَدْخَلَهُ فِي أَرْضِهِ .

فَقَالَ سَعِيدٌ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَذْهَبْ بَصَرَهَا وَأَقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا فَذْهَبَ بَصَرُهَا وَمَاتَتْ فِي أَرْضِهَا .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمٍ : مَرَضَ بَعْضُ الْعِبَادِ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُوذُهُ ، فَجَعَلَ يَتَنَفَّسُ وَيَتَأَسَفُ ، فَقُلْتُ لَهُ : عَلَى مَاذَا تَتَأَسَفُ ؟ قَالَ : عَلَى لَيْلَةٍ نَمْتُهَا ، وَيَوْمٍ أَفْطَرْتُهُ ، وَسَاعَةٍ غَفَلْتُ فِيهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَبَكَى بَعْضُ الْعِبَادِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَصُومَ الصَّائِمُونَ وَلَسْتُ فِيهِمْ ، وَيَذْكَرُ الذَّاكِرُونَ وَلَسْتُ فِيهِمْ ، وَيُصَلِّي الْمَصَلِّونَ وَلَسْتُ فِيهِمْ . تَأْمَلُ يَا أَخِي هَذِهِ الْأَمَانِي لِلَّهِ دَرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل : عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ رَكِبَ عِكْرَمَةُ بْنُ

أبي جهل البحر هارباً فخبَّ بهم البحرُ ، فجعلتِ الصَّراري (أي الملاحون) يَدْعُونَ اللهَ وَيُوَحِّدُونَهُ .

فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مَكَانٌ لا ينفع فيه إلا الله .

قال : هذا إلهُ محمدٍ الذي يدعوننا إليه ، فأرجعوا بنا .
فَرَجَعَ فَأَسْلَمَ .

وعن مصعب بن سعد ، عن عكرمة بن أبي جهل قال :
قال النبي ﷺ يومَ جئتهُ : مَرْحَبًا بِالرَّكَّابِ الْمُهَاجِرِ ، مَرْحَبًا بِالرَّكَّابِ الْمُهَاجِرِ ، قلت : والله يارسول الله لا أدعُ نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْفَقْتُ مِثْلَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وعن عبدالله بن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ قَالَ : لا وَالَّذِي نَجَّأَنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ يَضَعُ الْمُصْحَفَ عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ : كِتَابُ رَبِّي ، كِتَابُ رَبِّي .
اسْتَشْهَدَ عِكْرَمَةَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَوَجَدُوا فِيهِ بَضْعًا وَسَبْعِينَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَيْهِ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : قال الزبير : وَحَدَّثَنِي عَمِّي مِصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : جَاءَ الْإِسْلَامَ وَدَارُ النَّدْوَةِ بِيَدِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَبَاعَهَا بَعْدَ مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

فقال له عبدالله بن الزبير : بعت مكرمة قريش ؟ فقال حَكِيمٌ : ذَهَبْتُ الْمَكَارِمُ إِلَّا التَّقْوَى ، يَا بْنَ أَخِي إِنِّي اشْتَرَيْتُ بِهَا دَارًا فِي الْجَنَّةِ أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وعن أبي بكر بن سليمان قال : حج حَكِيمٌ بِنِ حِزَامٍ مَعَهُ مِائَةٌ بَدَنَةٌ قَدْ أَهْدَاهَا وَجَلَّلَهَا الْحَبْرَةَ وَكَفَّهَا عَنْ أَعْجَازِهَا وَوَقَّفَ مِائَةَ وَصَيْفٍ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي أَعْنَاقِهِمْ أَطُوقَةً . الْفِضَّةُ قَدْ نُقِشَ فِي رُؤُوسِهَا :

« عتقاء الله [عز وجل] عن حكيم بن حزام . وأعتقهم وأهدى ألف شاة .

وعن محمد بن سعد يرفعه : أن حكيم بن حزام بكى يوماً ، فقال له ابنه : ما يبكيك ؟ قال : خصالٌ كلها أبكاني : أما أولها فبطءُ إسلامي حتى سُبقتُ في موطنِ كلِّها صالحة ، ونجوتُ يومَ بدرٍ واحدٍ فقلتُ : لا أخرجُ أبداً من مكة ولا أوضعُ مع قريشٍ ما بقيتُ .

فأقمتُ بمكة ويأبى الله [عز وجل] أن يشرح صدري للإسلام وذلك أني أنظرُ إلى بقايا من قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه من أمر الجاهلية فأقتدي بهم ، وياليت أني لم أقتد بهم فما أهلكنا إلا الإقتداء بآبائنا وكبرائنا .

فلما غزا النبي ﷺ مكة جعلتُ أفكراً ، فخرجتُ أنا وأبو سفيان نستروحُ الخبرَ فلقي العباسُ أبا سفيان فذهبَ به إلى النبي ﷺ ورجعتُ فدخلتُ بيتي ، فأغلقتُهُ عليّ ودخلَ النبي ﷺ مكة فآمنَ الناسَ ، فجئته فأسلمتُ وخرجتُ معه إلى حنين .

وعن عروة أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مائة رقبة ، وفي الإسلام مائة رقبة وحمل على مائة بعير .

قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : قدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبنى بها داراً ، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .
فصل : عن أبي بركة الأسلمي أن جليبيبا كان امرأ من الأنصار ، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيم (أي لا زوج لها) لم يزوجها حتى يعلم النبي ﷺ : هل له فيها حاجة أم لا ؟
فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار : يا فلان

زَوْجِي ابْتَنَكَ . قَالَ : نَعَمْ وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ . قَالَ : إني لَسْتُ لِنَفْسِي
أُرِيدُهَا قَالَ : لِمَنْ ؟ قَالَ : جَلِيئِب . قَالَ : يارسول الله ﷺ حتى
استأمرَ (أي أشاورها) وأمها .

فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يَخْطُبُ ابْتَنَكَ . قالت :
نَعَمْ وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ ، زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قال : إنه لَيْسَ لِنَفْسِهِ يُرِيدُهَا . قالت : فلمَنْ ؟ قال :
جَلِيئِب . قالت : حَلَقَى الْجَلِيئِب ؟ لا لَعَمْرُ اللَّهِ لا أَرْوِجُ
جَلِيئِبًا .

فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاةُ مِنْ خِدْرِهَا
لأَبَوَيْهَا : مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمَا ؟ قالَا : رسولُ الله ﷺ . قالت :
أَفَرُدُونِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ ؟ اذْفَعُونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَنْ
يُضَيِّعَنِي .

فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : شَأْنُكَ بِهَا . فزَوَّجَهَا
جَلِيئِبًا .

قال اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : أتدري ما
دَعَا لها به النبي ﷺ ؟ قال : وما دَعَا لها به النبي عليه السلام ؟
قال : اللهم صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا .
قال ثابت : فزَوَّجَهَا إِيَّاهُ ، فبينما رسولُ الله ﷺ فِي مَغزَى لَهُ
قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قالوا : نَفَقِدُ فُلَانًا وَنَفَقِدُ
فُلَانًا . ثم قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قالوا : نَفَقِدُ فُلَانًا وَنَفَقِدُ
فُلَانًا .

ثم قال : هل تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قالوا : لا .
قال : لَكِنِّي أَفْقِدُ جَلِيئِبًا فَطَلَبُوهُ فِي الْقَتْلِ .

فَنظَرُوا فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ .
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، أَقْتَلُ سَبْعَةً ثُمَّ
 قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ أَقْتَلُ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ .
 فَوَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ ثُمَّ حَفَرُوا لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ
 إِلَّا سَاعِدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ .

لِلَّهِ دَرُّ هَذِهِ الْأَنْفُسِ فَمَا أَعَزَّهَا وَهَذِهِ الْهِمَمِ فَمَا أَرْفَعَهَا !
 وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مَذَلَّةً عَلَيْهِمْ وَعِزَّ الْمَوْتِ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
 أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ وَالذَّمَّ وَقَعِ عَلَيْهِ وَمَاتُوا مَيْتَةً لَمْ تُذَمَّ
 وَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِيِّ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
 فَحَرْبُهُ وَحَشِيُّ سَقَتِ حَمَزَةُ الرَّدَى وَحَتَفُ عَلِيٍّ فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ
 رَوَى مُسْلِمٌ فِي أَفْرَادِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :
 انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى بَدْرٍ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ ،
 وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَوْمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ .

قَالَ : عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَارَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟ ! قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : بَيْخُ بَيْخٍ يَارَسُولَ اللَّهِ .
 فَقَالَ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَيْخُ بَيْخٍ ؟ قَالَ [لَا] وَاللَّهِ يَارَسُولَ
 اللَّهِ إِلَّا رَجَاءً أَنْ أَكُونَ مِنَ أَهْلِهَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا .
 قَالَ : فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُهُنَّ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ
 أَنَا حَيِّيتُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ . فَرَمَى بِهَا كَانِ
 مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلَّ : قَالَ الْوَاقِدِيُّ : لَمَّا أَرَادَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ الْخُرُوجَ إِلَى أَحَدٍ ،
 مَنَعَهُ بَنُوهُ ، وَقَالُوا : قَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ . فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ :

إن بَنِي يَرِيدُونَ حَبْسِي عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بَعْرُجَتِي
[هذه] فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : « أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَّرَكَ اللَّهُ » ثُمَّ قَالَ
لَبْنِيهِ : لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ .
فَخَلَوْا سَبِيلَهُ .

قَالَتْ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ خُرَّامٍ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ
مَوْلِيًّا ، قَدْ أَخَذَ دَرَقَتَهُ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِي إِلَى خَرْبِي وَهِيَ
مَنَازِلُ بَنِي سَلَمَةَ .

قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : فَانظَرْتُ إِلَيْهِ حِينَ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ ثُمَّ
ثَابُوا ، وَهُوَ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ظَلْعِ فِي رِجْلِهِ وَهُوَ
يَقُولُ : أَنَا وَاللَّهِ مُشْتَقٌّ إِلَى الْجَنَّةِ !
ثُمَّ أَنْظُرُ إِلَى ابْنِهِ خَلَادٍ [وَهُوَ] يَعْدُو [مَعَهُ] فِي إِثْرِهِ حَتَّى
قَتَلَا جَمِيعًا .

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ دُفِنَ عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ
وَأَبُو جَابِرٍ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، فَخَرَّبَ السَّيْلُ قُبُورَهُمْ ، فَحَفَرَ عَنْهُمْ بَعْدَ
سِتِّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً فَوَجَدُوا لَمْ يَتَغَيَّرُوا كَأَنَّهُمْ مَاتُوا بِالْأَمْسِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
فَصَلَّ : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَ : يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ
الْأَنْصَارِ تَنْظِفُ لِحْيَتَهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشَّهَالَ .
فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مِثْلُ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ
الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ
ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَحْيِي أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ

ثلاثاً، فإن رأيت أن تُؤويني إليك حتى تمضي فَعَلْتُ . قال : نعم .
قال أنسُ : فكانَ عبد الله يُحَدِّثُ أَنَّهُ باتَ معه تلكَ الثلاثِ
الليالي فلم يَرَهُ يَقُومُ مِنَ الليلِ شيئاً غير أَنَّهُ إِذا تَعَارَّ تَقَلَّبَ على
فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عز وجل ، وكبر حتى لَصَلَاةِ الفجرِ .

قال عبد الله : غَيْرَ أَنِّي لم أَسْمِعُهُ يَقُولُ إِلا خَيْراً ، فَلَمَّا مَضَتْ
الثلاثُ الليالي ، وكِدْتُ أَن أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ .

قُلْتُ : يا عبد الله لم يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ ولا هُجْرَةٌ ،
ولكن سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ لَكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ
الآنَ رَجُلٌ مِنَ أَهلِ الجنةِ ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثلاثَ المَرَّاتِ ، فَأَرَدْتُ
أَن آوِيَ إِلَيْكَ .

فَأَنْظَرَ ما عَمَلُكَ ، فَأَقْتَدَيْ بِكَ ، فلم أَرَكَ عَمِلْتَ كَبِيرَ
عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ ما قال رسولُ الله ﷺ ؟

قال : ما هُوَ إِلا ما رَأَيْتُ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فقال : ما هُوَ إِلا
ما رَأَيْتَ غيرَ أَنِّي لا أَجِدُ في نَفْسي لأَحَدٍ مِنَ المُسلمينَ غِشاً ولا أَحْسُدُ
أحداً على خَيْرِ أعطاهُ اللهُ إِيَّاهُ .

فقال عبد الله : هذه التي بَلَغَتْ بِكَ ، رواه أحمد بإسناد على

شرط البخاري ومسلم والنسائي والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم

فصل : عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم
رجل يقال له : حُدَيْرٌ . وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة من
قِلَّةِ الطعام ، فزودَهُم رسولُ الله ﷺ ونَسِيَ أَن يُزَوِّدَ حُدَيْراً .

فخرج حُدَيْرٌ صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله

إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة

إلا بالله . ويقول : نعم الزاد هو يارب . فهو يرددها وهو في آخر

الركب .

قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربي أرسلني إليك يُخبرك أنك زوّدت أصحابك ونسيت أن تزود حديراً ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول ، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول ، ويقول له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله ، ويُخبرك أنه كان نسي أن يزودك ، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكرني بك ، فذكره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يارب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلني إليك بزادٍ معي ، ويقول : إني إنما نسيتك فأرسل إليّ جبريل من السماء يُذكرني بك . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذكرني ربي من فوق سبع سموات ، ومن فوق عرشه ، ورحم جوعي وضعفي ، يارب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا
يَقْدِرُ عليه من عمه حتى مضت السُّنُونُ والمشاهد .
فقال لِعَمِّهِ : يا عمُّ إني قد انتظرتُ إسلامَكَ فلا أراك تريد
محمدًا ، فأذن لي في الإسلام .

فقال : والله لئن اتبعتَ محمدًا لا أتركُ بيدك شيئًا كنتُ
أعطيتهُ إلا نزعتهُ منك ، حتى ثوبيك .
قال : فأنا والله مُتَّبِعٌ محمدًا وتاركُ عِبَادَةَ الحَجَرِ ، وهذا ما
بيدي فَخُذْهُ ، فأخذ ما أعطاه حتى جرَّدهُ من إزاره .
فأتى أمَّهُ فَقَطَّعَتْ بِجَادِهَا لها بائنين فأتزَرَ بواحدٍ وارْتَدَى
بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقانٍ فاضطجع في المسجد في
السَّحَرِ .

وكان رسولُ الله ﷺ يَتَصَفَّحُ النَّاسَ إذا انصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ
فَنظَرَ إليه فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فانتسبَ لَهُ ، وكان اسمه عبدُ العزى .
فقال : أَنْتَ عبدُ الله ذُو البَجَادِينَ .
ثم قال : انزِلْ مِنِّي قَرِيبًا . فكان يكون في أضيافِهِ حتى قرأ
قرآنًا كثيرًا .

فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال : ادْعُ لي بالشهادة . فَرَبَطَ
النبي ﷺ على عَضِدِهِ لِحَى سَمُرَةٍ وقال : اللهم إني أحرمُ دَمَهُ على
الكفار .

فقال : ليسَ هذا أردتُ .

قال النبي ﷺ : إنك إذا خرجتَ غازيًا فأخذتَكَ الحُمَى
فَقَتَلتَكَ فَأَنْتَ شَهِيدٌ ، أو وَقَصتَكَ دَابَّتُكَ فَأَنْتَ شَهِيدٌ . فأقاموا
بتبوك أيامًا ثم توفى .

قال بلالُ بنُ الحارثِ : حَضَرْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ وَمَعَ بِلالِ
المُؤذِنُ شُعْلَةٌ مِنْ نارِ عِنْدِ القَبْرِ واقِفاً بِها .
وَإِذا رَسولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقولُ : «أَذِنِا إِلى أَحاكِمِا . فلِما هِياهُ
لِشِقِّهِ في اللِّحْدِ قالَ : اللهُمَّ إِنِى قَدِ أَمَسِيتُ عَنهُ راضِياً فارَضُ
عَنهُ» .

فقال ابنُ مسعودٍ : لَيتَنى كُنْتُ صَاحِبَ اللِّحْدِ .
وعن أبي وائلٍ ، عن عَبْدِ اللهِ قالَ : وَاللهُ لَكَأنى أرى رَسولَ
اللهِ ﷺ في غَزوةِ تَبوكِ وَهُوَ في قَبْرِ عَبْدِ اللهِ ذِي البِجَادِينِ ، وَأبو بكرِ
وَعُمَرُ يَقولُ : أَذِنِا إِلى أَحاكِمِا .
وَأخَذَهُ مِنَ القِبْلَةِ حَتى أَسَكَنَهُ في لِحْدِهِ ثم خَرَجَ النَبِيُّ ﷺ
وَوَلِيَاهُمَا العَمَلِ .

فلِما فرَغَ مِنَ دَفْنِهِ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ رافِعاً يَدَيْهِ يَقولُ : « اللهُمَّ
إِنِى أَمَسِيتُ عَنهُ راضِياً فارَضُ عَنهُ » .

وَكانَ ذلِكَ ليلاً فَوَاللهُ لو دَدْتُ أَنى مَكَانَهُ ، وَلَقَدِ اسلَمْتُ قَبْلَهُ
بِخَمَسِ عَشَرَ سَنَةً . وَاللهُ أَعَلِمَ وَصَلَى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَاسلَمَ .
فَصَلَّ : عَن مُحَمَّدِ بْنِ سَعَدٍ قالَ : أَتى وَأَثَلَةُ رَسولَ اللهِ ﷺ فَصَلَّى
مَعَهُ الصَبِحَ . وَكانَ رَسولَ اللهِ ﷺ إِذا صَلَّى وانصَرَفَ تَصَفَّحَ
أَصْحابَهُ . فلِما دَنَا مِنَ وَأَثَلَةَ قالَ : مِنَ أَنْتَ ؟ فَأخبرَهُ .

فقالَ : ما جِاءَ بِكَ ؟ قالَ : جِئتُ أَبايُعُ . فقالَ رَسولَ اللهِ
ﷺ : فيما أَحَبَّبتَ وَكَرِهْتَ ؟ قالَ : نَعَمَ . قالَ : فيما أَطَقْتَ ؟
قالَ : نَعَمَ . فاسلَمَ وَبَأيَعَهُ .

وَكانَ رَسولَ اللهِ ﷺ يَتَجَهَّزُ يَومئذِ إِلى تَبوكِ فَخَرَجَ وَأَثَلَةُ إِلى
أهلِهِ فَلَقِيَ أَباهُ الأَسقَعَ فلِما رَأى حالَهُ قالَ : قَدِ فَعَلتِها؟ قالَ :
نَعَمَ . قالَ أبوهُ : وَاللهُ لا أَكَلِمُكَ أَبَدًا .

فأتى عمه فسَلَّمَ عليه فقال : قَدْ فَعَلْتَهَا ؟ قال : نَعَمْ .
قال : فلامه أيسر من ملامه أبيه وقال : لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا
بأمر .

فَسَمِعَتْ أُخْتُ وَائِلَةَ كَلَامَهُ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ
بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ . فقال وائلة : أنى لك هذا يا أختي ؟ قالت :
سَمِعْتُ كَلَامَكَ وَكَلَامَ عَمِّكَ فَاسَلَّمْتُ .

فقال : جَهْزِي أَخَاكَ جَهَازِ غَازٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى
جَنَاحِ سَفَرٍ . فَجَهَّزْتُهُ فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَحَمَّلَ إِلَى تَبُوكَ
وَبَقِيَ غُبَرَاتٌ مِنَ النَّاسِ وَهُمْ عَلَى الشُّخُوصِ .
فَجَعَلَ يُنَادِي بِسُوقِ بَنِي قَيْنِقَاعَ : مَنْ يَحْمِلُنِي وَلَهُ سَهْمِي ؟
قال : وَكُنْتُ رَجُلًا لَا رُحْلَةَ بِي .

قال : فدعاني كعب بن عجرة فقال : أنا أحملك عقبه
بالليل وعقبه بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي . قال وائلة :
نعم .

قال وائلة : جزاه الله خيراً لقد كان يحملي ويزيدني وأكل
معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى
أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل .

خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فيئاً كثيراً
فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص فأقبلت أسوقها حتى
جئت بها خيمة كعب بن عجرة فقلت : أخرج رحمك الله فانظر إلى
قلائصك فاقبضها .

فخرج وهو يتسبم ويقول : بآرك الله لك فيها ما حملتك وأنا
أريد أن آخذ منك شيئاً .

عن بشر بن عبد الله عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه
قال : كُنَّا أَصْحَابَ الصَّفَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِيْنَا رَجُلٌ
لَهُ ثَوْبٌ .

وَلَقَدْ اتَّخَذَ الْعَرَقُ فِي جُلُودِنَا طُرُقًا مِّنَ الْغُبَارِ ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « لَيَبْشِرُ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ » ثَلَاثًا وَاللَّهِ أَعْلَمُ .
فَصَلَّ : عَنْ نَعِيمِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : كُنْتُ أَخْدِمُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعُ ، حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
العشاء الآخرة .

فَأَجْلَسُ عَلَى بَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ، أَقُولُ : لَعَلَّهَا أَنْ تُحَدِّثُ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَاجَةً . فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، سُبْحَانَ
اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ حَتَّى أَمَلُّ فَأَرْجِعُ أَوْ تَغْلُبُنِي عَيْنِي فَأَرْقُدُ .
فَقَالَ لِي يَوْمًا لَمَّا رَأَى مِنِّي حَفْتِي (أَيِ الْعِنَايَةِ وَالْخِدْمَةِ) لَهُ
وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ ، يَا رَبِيعَةُ سَلْنِي أَعْطِكَ . قَالَ : فَقُلْتُ : أَنْظِرْ فِي
أَمْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ أَعْلِمْكَ ذَلِكَ .

فَقَالَ : فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ
وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيِّئًا لِي ، قَالَ : فَقُلْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
لَاخِرَتِي فَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ .
فَجِئْتُهُ فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ ؟ فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيَعْتَقِنِي مِنَ النَّارِ .

فَقَالَ : مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ ؟ فَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْنِي أَعْطِكَ وَكُنْتُ مِنَ اللَّهِ
بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ
وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيِّئًا لِي .

فَقُلْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَأَخِرَتِي . قَالَ : فَصَمَّتْ رَسُولُ

الله ﷻ طويلاً ثم قال لي: إني فاعِلٌ فأعني على نفسك بكثرة السجود.
شعرا:

يا أيها الرّاقِدُ كم تَرُقُدُ قُم يا حَبِيبِي قَد دَنَا المَوْعِدُ
وَخُذْ مِنَ اللَّيْلِ وَسَاعَاتِهِ حَظًّا إِذَا مَا هَجَعَ الرُّقُدُ
مَنْ نَامَ حَتَّى يَنْقُضِي لَيْلَهُ لَمْ يَبْلُغِ المَنْزِلَ لَوْ يَجْهَهُدُ
قُلْ لِدُنِّي الأَبَابُ أَهْلُ التَّقَى قَنَطَرَةُ الحَشْرِ لَكُمْ مَوْعِدُ
اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الخِزْيِ وَالبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمَ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَالجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمُ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاثٍ ويكتب بذلك بعضهم إلى بعض من
عَمِلَ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عِلَانِيَتَهُ وَمَنْ
أَصْلَحَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

وقال محمد بن كعب القرظي إذا أراد الله تعالى بعد خيراً جعل فيه
ثلاثٍ خِلالٍ : فِقْهٍ فِي الدِّينِ وَزَهَادَةٍ فِي الدُّنْيَا وَبُصْرٍ بِعُيُوبِهِ .

وقال الحسن بن صالح : العَمَلُ بِالحَسَنَةِ قُوَّةٌ فِي البَدَنِ وَنورٌ فِي القَلْبِ
وَضوءٌ فِي البَصْرِ وَالعَمَلُ بِالسَّيِّئَةِ وَهَنٌ فِي البَدَنِ وَظُلْمَةٌ فِي القَلْبِ وَعَمَى فِي
البَصْرِ .

وَكَتَبَ الحَسَنُ البَصْرِي إِلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِالعَزِيزِ يَعْظُمُهُ : اِحْتِمَالِ المُوْتَةِ
الْمُنْقَطِعَةِ الَّتِي تَعْقِبُهَا الرَّاخَةُ الطَّوِيلَةُ خَيْرٌ مِنْ تَعْجَلِ رَاحَةِ مَنقَطِعَةٍ تَعْقِبُهَا مُوْتَةٌ
بَاقِيَةٌ وَنَدَامَةٌ طَوِيلَةٌ .

واعلم أن الهول الأعظم أمامك ومن وراء ذلك داران إن أخطأتك هذه
صرت إلى هذه وكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل .

وكتب أحد عمال عمر بن عبدالعزيز إليه « إن مدينتنا قد تهدمت فإن

رأى أمير المؤمنين ، أن يَقْطَعَ لنا مالا تُرْمِئُهَا بِهِ فَعَلَّ فَكُتِبَ عَمْرٍ إِليه إِذَا قرأت كتابي هذا فحفظها بالعدل ونقي طرفها من الظلم فإنه عِمَارَتُهَا .

وقيلَ الدِّينُ وَالْمُلْكُ أَخوانٌ توأمانٌ لا قوامَ لِأحدهما إِلا بِصاحبه لأنَّ الدِّينَ أساسُ الْمُلْكِ ثم صارَ الْمُلْكُ بَعْدَ حارساً لِلدِّينِ فلا بُدَّ لِلْمُلْكِ مِنْ أساسٍ ولا بُدَّ لِلدِّينِ مِنْ حارسٍ وما لا حارسَ لَهُ فهو ضائعٌ وما لا أساسَ لَهُ فهو مَهْلُومٌ .

كان جماعة من الملوك يُوعظون فيؤثر الوعظ في قلوبهم فيخرجون من ملكهم ودنياهم ويذهبون وكان فيهم من يتفكر في نفسه ويعلم انقطاع الدنيا عنه وقرب رحيله منها ويخاف شدة الحساب وأحوال القيامة وما إلى ذلك فينفر من الدنيا ويذهب في الولاية وكل من تدبر القرآن وتأمل أحوال من مضى لا بد أن يتأثر ويتجافى عن الدنيا ولكن مقل ومكثر إلا من عميت بصيرته .

شعراً :

يا خدُّ إنك إن تؤسدَ كَيْناً وَسَدَّتْ بَعْدَ الموتِ صَمَّ الجندلِ
فامهذَ لِنَفْسِكَ صالحاً تَسْعُدُ بِهِ فلتتندمَنَّ غَداً إذا لم تَقْعَلِ
قال تعالى ﴿ اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ ﴾ وقال تعالى ﴿ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه ﴾ وقال ﴿ اقترَبَ للناسِ حسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ .
قال تعالى ﴿ إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾ وقال ﴿ وما أمرُ الساعةِ إِلا كلمح البصرِ أو هو أقرب ﴾ .

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينا رجل ممن كان قبلكم في مملكته تفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه وأن الذي هو فيه قد شغله عن عبادة ربه تعالى فخرج ذات ليلة من قصره فأصبح في مملكة غيره فأتى ساحل البحر وكان يضرب اللين بالأجرة فيأكل ويتصدق بالفضل من قوته فلم يزل كذلك حتى رُفِعَ أمره إلى ملك تلك الناحية .

فأرسل الملك إليه أن يأتيه فأبى فأعاد إليه الرسول فأبى وقال ماله وإيائي فركب الملك فلما رآه الرجل ولي هارباً فلما رأى ذلك الملك جَدُّ في أثره فلم

يدركه فناداه يا عبد الله إنه ليس عليك مِنِّي بَأْسٌ فَأَقَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُ .
 فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ يَرَحِمُكَ اللَّهُ قَالَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ صَاحِبُ كَذَا وَكَذَا
 فَقَالَ وَمَا شَأْنُكَ فَقَالَ تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَنَا فِيهِ مُنْقَطِعٌ عَنِّي لَا
 مَحَالَةَ وَأَنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي فَتَرَكْتُهُ وَجِئْتُ هُنَا أَعْبُدُ رَبِّي عَزُّ وَجَلَّ .
 فَقَالَ مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنِّي فَتَزَلْ عَن دَابَّتِهِ فَسَيِّبَهَا وَإِلَى نِيَابِهِ
 فَأَلْقَى بِهَا ثُمَّ اتَّبَعَهُ فَكَانَا جَمِيعاً فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُمِيتَهُمَا جَمِيعاً فَمَاتَا قَالَ بُنْ
 مَسْعُودٌ وَلَوْ كُنْتُ بَرْمَلِيَّةً مِصْرَ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَيْهِمَا بِالنُّعْتِ الَّذِي نَعَتَ لَنَا رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى بِنَحْوِهِ .

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَوْمْ نَفْسٍ شَجِيحَةٍ عَلَى الْخَيْرِ قَدْ أَضْنَى فَوَادِي عِلَاجُهَا
 إِذَا سَأَلْتَنِي شَهْوَةً قَدْ مَنَعْتَهَا إِذَا مَتَّ سُوَالِي وَاسْتَمَرَّ لِحَاجُهَا
 وَإِنْ سُمْتُهَا خَيْرًا تَفُوزُ بِنَفْعِهِ غَدًا تَفَرَّتْ مِنِّي وَدَامَ انزِعَاجُهَا
 فَقَدْ ضِيقْتُ يَا مَوْلَايَ ذَرْعًا وَأَظْلَمْتُ عَلَيَّ الْأَرْضِي الْوَاسِعَاتِ فَجَاجُهَا
 فَهَبْ لِي يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ فِطْرَةً يُضِيءُ لِعَيْنِي فِي السُّلُوكِ سِرَاجُهَا
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : ثم أعلم أن الدنيا بأسرها وبجميع لذاتها لا تُساوي في باب
 السَّعَادَةِ وَاللَّذَّةِ الرَّوْحِيَّةِ شَيْئاً قَالَ الْأَمَامُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَصَابَ الدُّنْيَا مَنْ
 حَذَرَهَا وَأَصَابَتْ مَنْ أَمِنَهَا وَقَالَ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ وَلَا
 تَخْلُوا مِنْ فِتْنَةٍ وَلَا تَنكُشُ إِلَّا عَنِ مِخْنَةٍ .

فَأَعْرِضْ بِقَلْبِكَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ تُعْرِضَ عَنْكَ وَاسْتَبْدِلْ بِهَا خَيْراً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ
 تَسْتَبْدِلَ بِكَ فَإِنْ نَعِمَ مَا مَتَحَوَّلَ وَأَحْوَالُهَا مُتَنَقِّلَةٌ وَلِذَلِكَ فَايَةٌ وَتَبَعَاتُهَا بَاقِيَةٌ .
 وَاعْلَمْ أَنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سُمُّهَا فَاقْتَصِدْ فِيمَا
 يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا وَكُنْ أَخْذَرَهُ مَا تَكُونُ لَهَا وَأَنْتَ آئِسٌ بِهَا
 فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ مِنْهَا إِلَى سُرُورٍ اشْتَخَصَهُ ذَلِكَ إِلَى مَكْرُوهٍ أَوْ غُرُورٍ .
 وَقَالَ آخَرُ : وَجُمَلْتُ الْأَمْرَ أَنْكَ إِذَا نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَعَلِمْتُ

أن الدنيا لا بقاء لها وأن نفعها لا يفي بضرها وتبعاتها من كد البدن وشغل
القلب في الدنيا والعذاب الأليم والحساب الطويل في الآخرة الذي لا طاقة لك
به .

فإذا علمت ذلك جداً زهدت في فضول الدنيا فلا تأخذ منها إلا ما لا يبدأ
لك منه في عبادة ربك وتدع التعم والتلذذ إلى الجنة دار النعيم المقيم في جوار
رب العالمين الملك القادر الغني الكريم وعلمت أن الخلق لا وفاء لهم . قال
الواصف لحال أهل وقته :

غاص الوفاء فما تلقاه في عدة وأعوز الصدق في الأخبار والقسم
وعلمت أن مؤنة الخلق أكثر من مؤنتهم فيما يعينك وتركت
مخالطتهم إلا فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم وتجنب من ضرهم وتجعل
صحبك لمن تريح في صحبتته ولا تخسر ولا تندم على خدمته وأنسك بكتابه
وملازمك إياه .

فشمّر ولذ بالله واحفظ كتابه فيه الهدى حقاً وللخير جامع
هو الذخر للملهور والكنز والرجاء ومنه بلا شك تنال المنافع
به يهتدي من تاه في مهمه الهوى به يتسلى من ذهته الفجائع

فقرى منه كل جميل وإفضال وتجده عند كل نائبة في الدنيا والآخرة كما
في الحديث : (احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك وفي رواية تجده
أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) الحديث .

واعلم أن الشيطان خبيث قد تجرد لمعاداتك فاستعذ بربك القادر
القاهر من هذا الكلب اللعين ولا تغفل عن مكائده فطرده بذكر الله
والاستعاذة من شره .

فإنه يسير إذا ظهرت منك عزيمة صادقة وأنه كما قال الله تعالى ﴿ إنه
ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ نسأل الله أن يوفقنا
للعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

وقال آخر ما الدنيا وما إبليس ، أما الدنيا فما مضى منها فحلم وما بقي فآماني وأما الشيطان فوالله لقد أطيحَ فما نفعَ بل ضرٌّ ولقد عُصِيَ فما ضرٌّ .
وعلمتَ جهالةَ هذه النفسِ وجماعها إلى ما يضرُّها ويهلكها فنظرت إليها رحمةً لها نظرةَ العقلاء والعلماء الذين ينظرون في العواقب .

لأنظر الجهال والصبيان الذين ينظرون في الحال ولا يفتنون لغائلة الأذى وينفرون من مرارة الدواء فألجمها بلجام التقوى بأن تمنعها عما لا تحتاج إليه بالحقيقة من فضول الكلام والنظر والتليس بخصلة فاسدة من طول أمل أو حسد أو كبر أو نحو ذلك .

ثم إعلم أن الشيطانَ قاسمَ أباك وأمك حواءَ إنه لهما لَمِنَ الناصحين وقد عَلِمْتَ كِذْبَهُ وَغِشَّهُ ورأيتَ فعله بهما وأما أنتَ فقد أقسمتَ أن يُغويكَ قال ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾ فأخذره وشمر عن ساقِ الجد في الفرارِ عن مكائدهِ والعجبُ ممن يُصدِّق في عداوته ويتبعُ غوايته .

والنفسُ كالطفلٍ إن تُهملهُ شبَّ على حُبِّ الرضاع وإن تُفطمهُ ينفطم
وراعها وهي في الأعمالِ سائمةٌ وإن هي استحلَّت المرعى فلا تُسِم
كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَانِلَةٌ مِن حيثَ لم يَدْرِ أن السُّمَّ في الدُّسَمِ
وخالِفَ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعصِيهما وإن هما مَحْضَاكَ النَّصْحَ فائِهَمِ
واستفْرِغِ الدَّمْعَ مِن عينٍ قد امتلأتْ مِن المحارمِ والزَّمِ حِمِيَةَ التَّدَمِ
قال في الفنون مِن عجيبِ ما نَقَدتْ مِن أحوالِ الناسِ كثرةٌ ما نأحوا على
خرابِ الدِّيارِ وموتِ الأقاربِ والأسلافِ والتَّحسُّرِ على الأرزاقِ بِذمِّ الزمانِ وأهله
وذكرِ نَكِدِ العَيْشِ فيه .

وقَد رَأوا مِن انهدامِ الإسلامِ وشَعَثِ الأديانِ وموتِ السُّنَنِ وظُهُورِ البِدَعِ
وارتكابِ المعاصيِ وتَقْضِيِ العُمُرِ في الفارغِ الذي لا يُجدي والقبيحِ الذي يُوبِقُ
ويؤذي فلا أجدُ منهم مَن نأخِ على دينِهِ ولا بَكَى على فارِطِ عُمُرِهِ ولا آسى على
فائتِ دَهْرِهِ .

وما أرى لذلك سبباً إلا قلةُ مبالاتهم بالأديانِ وعِظَمِ الدنيا في عُيونهم ضدَّ

ما كان عليه السلف الصالح يرضون بالبلاغ وينوحون على الدين ، قلت فكيف لو
رأى أهل هذا الزمن الذي كثرت فيه المعاصي والملاهي وانفتحت فيه الدنيا على
كثير من الناس فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن عجيب ما رأيتُ أنا أن أحدنا إذا ناداه أمير أو وزير أو مساعد أو
مدير يبادر ويقوم بسرعة لداعي الدنيا ولا يتأخر ويسمع داعي الله يدعوه إلى
الصلاة التي هي الصلة بينه وبين ربه جل وعلا وتقدس فيتناقل ولا يهتم لها وإن
قام بعد التريث فكانه مكررة يُدفع إليها دفعا عكس ما عليه السلف الصالح من
المبادرة والمرابطة وترك الأعمال فوراً عند ما يسمعون « حي على الصلاة حي
على الفلاح » وكثير من المساجد عندهم تجمد الصف الأول يتم قبل الأذان وقد
ازداد الطين بلة بما حدث عندنا من المنكرات قتالة الأوقات ، مفرقة النفوس
والأبدان ، ومشتتة القلوب ، وذلك كالتلفزيون والمذياع والفيديو والجرائد
والمجلات ومخالطة المنحرفين والفاسقين والمنافقين والكافرين والمجرمين أبعدهم
الله .

سِيرَ المنايا إلى أعمارنا حَبَبٌ فما تينٌ ولا يَغْتاقها نَصَبٌ
كَيْفَ النُّجَاءِ وَأَيْدِيهَا مُصَمَّمَتٌ يَذْبِحْنَا بِمُدَى لَيْسَتْ لَهَا نُصَبٌ
وَهَلْ يُؤْمَلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلْتَمَأٌ سَفَرٌ لَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ رِحْلَةٌ عَجَبٌ
وَمَا إِقَامَتُنَا فِي مَنْزِلٍ هَتَفَتْ فِيهِ بِنَا مُذْ سَكْنَا رَبْعَهُ نُوبٌ
وَأَذِنَتْنَا وَقَدْ تَمَّتْ عِمَارَتُهُ بِأَنَّهُ عَنِ قَرِيبٍ دَائِرٌ خَرِبٌ
أَزْرَتْ بِنَا هَذِهِ الدُّنْيَا فَمَا أَمَلٌ إِلَّا لِرَيْبِ المنايا عِنْدَهُ أَرْبٌ
هَذَا وَلَيْسَتْ سِيَهَامُ المَوْتِ طَائِشَةٌ وَهَلْ تَطْيِشُ سِيَهَامٌ كُلَّهَا نُصَبٌ
وَنَحْنُ أَغْرَاضُ أَنْوَاعِ البَلَاءِ بِهَا قَبْلَ المَمَاتِ فَمَرِيٌّ وَمُرْتَقِبٌ
أَيَّنَ الَّذِينَ تَنَاهَوْا فِي ابْتِنَائِهِمُوهَا صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا
اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَتَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا
أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

آخر : هَذِهِ قَصِيدَةٌ وَعَظِيمَةٌ أَلْقَى لَهَا سَمْعَكَ :

أَبْسُتُ بِأَلْوَاءِ الزَّمَانِ وَذَلِيلِهِ
إِلَى كَمِّ أَعَانِي تَبْتَهَاهَا وَذَلَالِهَا
وَقَدْ أَخْلَقَ الْأَيَّامُ جَلِيَابَ حُسْنِهَا
عَلَى حِينٍ شَيْبٌ قَدْ أَلَمَ بَمَفْرِقِي
طَلَائِعُ ضَعِيفٍ قَدْ أَعَارَتْ عَلَى الْقَوَى
فَلَا هِيَ فِي بُرْجِ الْجَمَالِ مُقِيمَةٌ
تَقَطَّعَتْ الْأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَعَادَتْ قُلُوصُ الْعَزْمِ عَنِّي كَلِيلَةٌ
كَأَنَّي بِهَا وَالْقَلْبُ زُمْتُ رِكَابُهُ
وَسَيِّقَتْ إِلَى دَارِ الْحُمُولِ حُمُولُهُ
حَيْنَ عَجُولٍ غَرَّهَا الْبُؤْ فَانْتَشَتْ
تَوَلَّتْ لِيَالٍ لِلْمَسْرَاتِ وَانْقَضَتْ
فَسْرَعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا
دُهُورٌ تَقَضَّتْ بِالْمَسْرَاتِ سَاعَةً
فَلِلَّهِ دَرُّ الْعَمِّ حَيْثُ أَمَلْتَنِي
أَسِيرٌ بِتَيْمَاءِ التَّخْيِيرِ مُفْرَدًا
وَكَمْ عِشْرَةَ مَا أَوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةَ
فَمَا عِشْتُ لَا أَنْسَى حُقُوقَ صَنِيْعِهِ
كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ
حَبَّتْ نَارَ أَعْلَامِ الْمَعَارِفِ وَالْهُدَى
وَكَانَ سَرِيرَ الْعِلْمِ صَرْحًا مُفْرَدًا
مَتِينًا رَفِيعًا لَا يُطَارُ غُرَابُهُ
يَلُوحُ سَنَابِقِ الْهُدَى مِنْ بُرُوجِهِ

فِيَا عِزَّةَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ سَلَامٌ
أَلَمْ يَأْنِ عَنْهَا سَلْوَةٌ وَسَامٌ
وَأَضْحَتْ وَدِيْبَاجُ الْبَهَاءِ مَسَامٌ
وَعَادَ رُهَامُ الشَّعْرِ وَهُوَ نَعَامٌ
وَنَارَ بِمَيْدَانِ الْمِزَاجِ قَتَامٌ
وَلَا أَنَا فِي عَهْدِ الْمُجُونِ مُتَامٌ
وَلَمْ يَتَّقِ فِينَا نِسْبَةَ وَرِفَامٌ
وَقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَتَامٌ
وَقَوَّضَ أَيْتَ لَهْ وَخِيَامٌ
يَحْنُ إِلَيْهَا وَالذُّمُوعُ رُهَامٌ
إِلَيْهِ وَفِيهَا أَنَّهُ وَضَعَامٌ
لِكُلِّ زَمَانٍ غَايَةٌ وَتَمَامٌ
تَلُومٌ وَلَكِنْ مَا لَهْنُ دَوَامٌ
وَيَوْمٌ تَوَلَّى بِالْمَسَاءَةِ عَامٌ
يَطُولُ حَيَاةٍ وَالْهُمُومُ سِهَامٌ
وَلِيٍّ مَعَ صَحْبِي عِشْرَةَ وَنَدَامٌ
وَرُبُّ كَلَامٍ فِي الْقُلُوبِ كَلَامٌ
وَهَيْهَاتَ أَنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَامٌ
عَلَيْهِ فَمَامٌ إِثْرَ ذَاكَ فِيمَامٌ
وَشُبُّ لَيْسِرَانِ الضُّلَالِ ضُرَامٌ
يُنَاغِي الْقِيَابَ السَّبْعَ وَهِيَ عِظَامٌ
عَزِيْزًا مَنِيْعًا لَا يَكَادُ يَرَامٌ
كَبْرَقَ بَدَا تَيْسَنَ السَّحَابِ يُشَامٌ

فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّاسِيَاتُ ذُبُولَهَا
وَسَيَقُ إِلَى دَارِ الْمَهَانَةِ أَهْلُهُ
كَذَا تَجْرِي الْأَيَّامُ بَيْنَ الْوَرَى عَلَى
فَمَا كُلُّ مَا قَدْ قِيلَ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ
وَاللَّذَهْرُ تَارَاتُ ثَمْرٌ عَلَى الْفَتَى
وَمَنْ يَكُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَتَّبِعُهَا
أَجْدُكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا مَتَاعُهَا
تَشْكَلُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ بِشَكْلِ مَا
تَرَى النَّقْصَ فِي زِيٍّ الْكَمَالِ كَأَنَّمَا
فَدَعُوهَا وَنَعْمَاهَا هَنِيئاً لِأَهْلِهَا
تَعَاْفُ الْعَرَايِنُ السِّمَاطَ عَلَى الْخَوَى
عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا
وَلَوْ أَنَّكَ تَسْعَى إِثْرَهَا أَلْفَ حَاجَةٍ
رَجَعْتَ وَقَدْ ضَلَّتْ مَسَاعِيكَ كُلَّهَا
هَبْ إِنْ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ مَلَكَتْهَا
وَمُتِعْتَ بِاللَّذَاتِ دَهْرًا بِغَبْطَةٍ
فَيِنَّ الْبَرَايَا وَالْخُلُودِ تَبَايُنٌ
قَضِيَّةٌ انْقَادَ الْأَنَامِ لِحُكْمِهَا
ضُرُورِيَّةٌ تَقْضِي الْعُقُولُ بِصَدَقِهَا
سَلِ الْأَرْضَ عَنْ حَالِ الْمُلُوكِ الَّتِي خَلَتْ
بِأَبْوَابِهِمُ لِلْوَافِدِينَ تَرَكَمُ
تُجِبُكَ عَنْ أَسْرَارِ السِّيُوفِ الَّتِي جَرَّتْ
بِأَنَّ الْمَنَايَا أَقْصَدَتْهُمْ نِبَالُهَا
وَسَيَقُوا مَسَاقَ الْغَايِبِينَ إِلَى الرَّدَى

فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ
مَسَاقِ أَسِيرٍ لَا يَزَالُ يُضَامُ
طَرَائِقُ مِنْهَا جَائِرٌ وَقِرَامُ
وَمَا كُلُّ أَفْرَادِ الْحَدِيدِ حُسَامُ
نَعِيمٌ وَبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وَسَقَامُ
فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ وَمَلَامُ
وَمَاذَا الَّذِي تَبْغِيهِ فَهَوَ حُطَامُ
يُعَانِدُهُ وَالنَّاسُ عَنْهُ يَنَامُ
عَلَى رَأْسِ رَبَاتِ الْحِجَالِ عِمَامُ
وَلَأَنَّكَ فِيهَا رَاعِيًا وَسَوَامُ
إِذَا مَا تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَعَامُ
لِمَا لَيْسَ فِيهِ عُرْوَةٌ وَعِصَامُ
وَقَدْ جَاوَزَ الطَّبِيبِينَ مِنْكَ حِزَامُ
بِخُفْيِ حُنَيْنٍ لِإِثْرَالِ تُلَامُ
وَدَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ هُمَامُ
أَلَيْسَ بِحَتْمٍ بَعْدَ ذَلِكَ حِمَامُ
وَيِنَّ الْمَنَايَا وَالنُّفُوسَ لِرِزَامُ
وَمَا حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وَغُلَامُ
سَلِ إِنْ كَانَ فِيهَا مِرْيَةٌ وَخِصَامُ
لَهُمْ فَوْقَ ، فَوْقَ الْفِرْقَدِينَ مَقَامُ
بِاعْتَابِهِمُ لِلْعَاكِفِينَ زِحَامُ
عَلَيْهِمْ جَوَاباً لَيْسَ فِيهِ كَلَامُ
وَمَا طَاشَ عَنْ مَرْمَى لَهْنٍ سِهَامُ
وَأَقْفَرَ مِنْهُمْ مَزَلٌ وَمَقَامُ

وَحَلُّوا مَحَلًّا غَيْرَ مَا يَعْمَلُونَهُ فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْقِيَامِ قِيَامٌ
 أَلَمْ يَهُمِ رَبُّ الْمَنُونِ فَعَالُهُمْ فَهَمَّ يَتَنَ أَطْبَاقِ الرُّغَامِ رُغَامٌ
 أَنْتَهَى

اللهم اغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك واعف عن تقصيرنا في طاعتك وشكرك وأدم لنا لزوم الطريق إليك وهب لنا نوراً نهتدي به إليك واسئلك بنا سبيل أهل مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا عن سبيلك ونسر لنا ما يسرته لأهل محبتك وأيقظنا من غفلاتنا والهنا رشدنا وحقق بكرمك قصدنا واسترنا في دنيانا وآخرتنا واحشرنا في زمرة المتقين والحقنا بعبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
 شِعْراً:

أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ، مُعَافِي وَ مُبْتَلَى
 مَضَى فِي جَمِيعِ النَّاسِ سَابِقُ عِلْمِهِ
 وَ لَسْنَا عَلَى حُلُوقِ الْقَضَاءِ وَ مَرِهِ
 بَلَا خَلَقَهُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فِتْنَةً
 وَ لَمْ يَتَّبِعْ إِلَّا أَنْ يُبَوِّءَ بِفَضْلِهِ
 هُوَ الْأَخْذُ الْقَيُومُ مِنْ بَعْدِ خَلْقِهِ
 وَ مَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِغَايَةٍ
 كَفَى عِبْرَةً أَنِّي وَ أَنْتَ ، يَا أُخِي
 كَانَا ، وَ قَدْ صِرْنَا حَدِيثًا لغيرنا
 تَوَهَّمْتُ قَوْمًا قَدْ خَلُّوا ، فَكَانَهُمْ
 وَ لَسْتُ بِأَبْقَى مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ
 وَ مَا النَّاسُ إِلَّا مَيِّتٌ وَ ابْنُ مَيِّتٍ
 وَ لَا تُحْسِبَنَّ اللَّهُ يُخْلِفُ وَ عَدُهُ
 هُوَ الْمَوْتُ يَا ابْنَ الْمَوْتِ وَ الْبَعْثُ بَعْدُهُ
 وَ مِنْ بَيْنِ مَسْحُوبٍ عَلَى حُرِّ وَ جِهَةٍ
 وَ مَا زَالَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مُرْسَلًا
 وَ فَصَلَهُ ، مِنْ حَيْثُ شَاءَ ، وَ وَصَلًا
 تَرَى حَكْمًا فِينَا ، مِنْ اللَّهِ ، أَعْدَلًا
 لِيُرْغَبَ بِمَا فِي يَدَيْهِ وَ يُسْأَلًا
 عَلَيْنَا ، وَ إِلَّا أَنْ تُتُوبَ ، فَيَقْبَلًا
 وَ مَا زَالَ فِي ذِمَّةِ الْمَلِكِ أَوْلَا
 وَ لَمْ يَتْرِكِ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ مُهْمَلًا
 نُصَرِّفُ نُصَرِّيفًا لَطِيفًا ، وَ نُبْتَلَى
 نُخَاضُ كَمَا حُضْنَا الْحَدِيثَ لِمَنْ خَلَا
 بِأَجْمَعِيهِمْ كَانُوا خِيَالًا نُحَيِّلًا
 وَ لَكِنَّ لِي فِيهَا كِتَابًا مُؤَجَّلًا
 تَأْجَلُ حَيِّ مِنْهُمْ ، أَوْ تَعَجَّلًا
 بِمَا كَانَ أَوْصَى الْمُرْسَلِينَ ، وَ أَرْسَلَا
 فَمِنْ بَيْنِ مَبْعُوثٍ مُخْفًا ، وَ مُتَقَلَا
 وَ مِنْ بَيْنِ مَنْ يَأْتِي أَعْرَ مُحَجَّلَا

عَشِقْنَا، مِنَ اللَّذَاتِ، كُلِّ مَحْرَمٍ
رَكْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَطَالَ رُكُونُنَا
لَقَدْ كَانَ أَقْوَامٌ مِنَ النَّاسِ قَبْلَنَا
فَلِلَّهِ دَارٌ مَا أَحْتَّ رَجِيلَهَا
أَبَى الْمَرْءُ إِلَّا أَنْ يَطُولَ اغْتِرَارُهُ
إِذَا أَمَلَ الْإِنْسَانُ أَمْرًا، فَنَالَهُ
وَكَمَ مِنْ ذَلِيلٍ عَزَّ مِنْ بَعْدِ ذِلَّةٍ
وَلَمْ أَرَ إِلَّا مُسْلِمًا فِي وَفَاتِهِ
وَكَمَ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ
أَيَا صَاحِبِ الدُّنْيَا وَثِقَتْ بِمَنْزِلِ
تُنَافِسُ فِي الدُّنْيَا لَتَبْلُغَ عِزَّهَا
إِذَا اصْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَدْلَهُمْ
وَمَا الْفَضْلُ فِي أَنْ يُؤَثِّرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
آخِرُ:

يَا أَيُّهَا الْمُغْتَرُّ بِاللَّهِ
وَلِذِّبِهِ وَاسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَقُمْ لَهُ وَاللَّيْلُ فِي جَنَحِهِ
وَائْتَلْ مِنَ الْوَحْيِ وَلَوْ آيَةً
وَعَفَّرِ الْوَجْهَ لَهُ سَاجِدًا
فَمَا نَعِيمٌ كَمُنَاجَاتِهِ
وَابْعُدْ عَنِ الذَّنْبِ وَلَا تَاتِهِ
يَا طَالِبًا جَاهًا بغيرِ التَّقَى
لَا جَاهَ إِلَّا جَاهُ يَوْمِ الْقَضَا
وَصَارَ مَنْ يُسَعِدُ فِي جَنَّةٍ

فَأَفَّ عَلَيْنَا مَا أُغَرَّ وَأَجْهَلَا
وَلَسْنَا تَرَى الدُّنْيَا، عَلَى ذَاكَ، مَنزِلَا
يَعَافُونَ مِنْهُنَّ الْحَلَالَ الْمُحَلَّلَا
وَمَا أَعْرَضَ الْأَمَالَ فِيهَا وَأَطْوَلَا
وَتَأْتِي بِهِ الْحَالَاتُ إِلَّا تَنَقَّلَا
فَمَا يَبْتَغِي فَوْقَ الَّذِي كَانَ أَمَلَا
وَكَمَ مِنْ رَفِيعِ صَارَ فِي الْأَرْضِ أَسْفَلَا
وَإِنْ أَكْثَرَ الْبَاكِي عَلَيْهِ، وَأَعْوَلَا
تَلَجَّفَ فِيهَا بِالْتَرَى، وَتَسْرَبَلَا
تَرَى الْمَوْتَ فِيهِ، بِالْعِبَادِ، مُوَكَّلَا
وَلَسْتَ تَنَالُ الْعِزَّ حَتَّى تُذَلَّلَا
لِأَصْحَابِهِ نَفْسًا، أَبْرًا وَأَفْضَلَا
وَلَكِنَّ فَضْلَ الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَضَّلَا
إِنْتَهَى

فِرٌّ مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ
فَقَدْ نَجَا مَنْ لاذَّ بِاللَّهِ
فَحَبِّدَا مَنْ قَامَ لِلَّهِ
تُكْسَى بِهَا نُورًا مِنَ اللَّهِ
فَعَزَّ وَجْهَهُ ذَلَّ لِلَّهِ
لِقَائِهِ يُخْلِصُ لِلَّهِ
فَبُعْدُهُ قُرْبٌ مِنَ اللَّهِ
جَهَلْتَ مَا يُدْنِي مِنَ اللَّهِ
إِذْ لَيْسَ حُكْمٌ لِسِوَى اللَّهِ
عَالِيَةً فِي رَحْمَةِ اللَّهِ

مِنْ لَوْلُو فِي جِيزَةِ اللَّهِ
 فِي جَاحِمٍ فِي سَخَطِ اللَّهِ
 بِسَابِقِ الْحُكْمِ مِنَ اللَّهِ
 وَهُوَ قَلِيلُ الْخَوْفِ لِلَّهِ
 بِأَمْنِهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ
 أَصَابَهُ سَهْمٌ مِنَ اللَّهِ
 أَصَمَّتْ وَتُضْمِي أَسْهُمُ اللَّهِ
 أَجْدَاثٍ وَاسْتَسَلَّمَ لِلَّهِ
 يُخْشَى عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ
 الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ
 مَا فَوْقَهَا مِنْ عِبَرِ اللَّهِ
 فِي أُمَّمٍ صَارَتْ إِلَى اللَّهِ
 حَشْرَهُمْ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ
 وَمَا بِهَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ
 شَاهِدَةٌ بِالْمَلِكِ لِلَّهِ
 - أَوْ دُونَهَا - خَوْفًا مِنَ اللَّهِ
 تُخْشَى الَّذِي يُخْشَى مِنَ اللَّهِ
 مِنْ آيَةٍ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ
 فِي غَيْبِهِ فَالْأَمْرُ لِلَّهِ
 وَالْأَرْضُ غَيْرُ اللَّهِ بِاللَّهِ
 يَقْرُبُ شَيْءٌ مِنْ حِمَى اللَّهِ
 وَحِيدٍ وَالتَّمْجِيدِ لِلَّهِ
 يَعْمُرُهُ بِالذِّكْرِ لِلَّهِ
 أَمْسَكَ عَنْهَا خَشْيَةَ اللَّهِ

يَسْكُنُ فِي الْفِرْدَوْسِ فِي قُبَّةِ
 وَمَنْ يَكُنْ يُقْضَى عَلَيْهِ الشَّقَا
 يُسْحَبُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ
 يَا عَجَبًا مِنْ مُوقِنٍ بِالْجَزَا
 كَأَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ نُخْبِرُ
 يَا رَبُّ جَبَّارِ شَدِيدِ الْقُوَى
 فَأَنْقِذَ الْمَقْتَلِ مِنْهُ وَكَمْ
 وَاسْتَلَّ قَسْرًا مِنْ قُصُورِ إِلَى الْ
 مُرْتَنَا فِيهَا بِمَا قَدْ جَنَى
 لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةُ
 يَا صَاحِ سِرِّ فِي الْأَرْضِ كَيْمَا تَرَى
 وَكَمْ لَنَا مِنْ عِبْرَةٍ تَحْتَهَا
 مِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ وَمِنْ سُوقَةٍ
 وَالْحِظِّ بِعَيْنَيْكَ أَدِيمِ السَّمَاءِ
 تَرَى بِهَا الْأَفْلَاكَ دَوَّارَةً
 مَا وَقَفَتْ مُذْ أُجْرِيَتْ سَاعَةٌ
 وَمَا عَلَيْهَا مِنْ حِسَابٍ وَلَا
 وَهِيَ وَمَا غَابَ وَمَا قَدْ بَدَا
 تُوحِّدُ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ
 وَمَا تَسَمَّى أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ
 إِنْ حَمَى اللَّهُ مَنِيعٌ فَمَا
 لَا شَيْءَ فِي الْأَفْوَاهِ أَحْلَى مِنَ التَّ
 وَلَا أَطْمَأَنَّ الْقَلْبُ إِلَّا لِمَنْ
 وَإِنْ رَأَى فِي دِينِهِ شُبُهَةً

أَوْ عَرَضَتْهُ فَاقَةً أَوْ غِنَى
 وَمَنْ يَكُنْ فِي هَدْيِهِ هَكَذَا
 وَكَانَ فِي الدُّنْيَا وَفِي قَبْرِهِ
 وَفِي غَدٍ تُبْصِرُهُ آمِنًا
 مَا أَقْبَحَ الشَّيْخَ إِذَا مَا صَبَا
 وَهُوَ مِنَ الْعُمَرِ عَلَى بَازِلٍ
 هَلَّا إِذَا أَشْفَى رَأَى شَيْبَهُ
 كَأَنَّمَا رَيْنَ عَلَى قَلْبِهِ
 مَا يُعْذَرُ الْجَاهِلُ فِي جَهْلِهِ
 دَارَيْنِ لَا بُدَّ لَنَا مِنْهُمَا
 وَلَسْتُ أُدْرِي مَنْزِلِي مِنْهُمَا
 فَاعْجَبْ لِعَبْدٍ هَذِهِ حَالُهُ
 وَاسْوَأَاتَا إِنْ خَابَ ظَنِّي عَدَا
 وَكُنْتُ فِي النَّارِ أَخَا شِقْوَةٍ
 كَمْ سَوْءَةٍ مَسْتُورَةٍ عِنْدَنَا
 فِي مَشْهَدٍ فِيهِ جَمِيعُ الْوَرَى
 وَكَمْ تَرَى مِنْ فَائِزٍ فِيهِمْ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْ

لاقَاهُمَا بِالشُّكْرِ لِلَّهِ
 كَانَ خَلِيقًا بِرِضَى اللَّهِ
 وَيَعْدُهُ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ
 لِحَوْفِهِ الْيَوْمَ مِنَ اللَّهِ
 وَعَاقَهُ الْجَهْلُ عَنِ اللَّهِ
 يَجْمَلُهُ حَتَّى إِلَى اللَّهِ
 يَنْعَاهُ فَاسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ
 فَصَارَ مُحْجُوبًا عَنِ اللَّهِ
 فَضْلًا عَنِ الْعَالَمِ بِاللَّهِ
 بِالْفَضْلِ وَالْعَدْلِ مِنَ اللَّهِ
 لَكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ
 كَيْفَ نَبَأَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ
 وَلَمْ تَسْغِنِي رَحْمَةُ اللَّهِ
 تَعُودُ مِنْ ذَلِكَ بِاللَّهِ
 يَكْشِفُهَا الْعَرَضُ عَلَى اللَّهِ
 قَدْ نَكَسُوا الْأَذْقَانَ لِلَّهِ
 جَلَّلَهُ سِتْرٌ مِنَ اللَّهِ
 إِسْلَامٌ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ

(فَضْل)

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم أني
 أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي
 لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .
 فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سأل الله

باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دجوا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السنن .

عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذى النون إذ دُعِيَ وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين » .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

اللهم إنا نعوذ بك من شرِّ أَسْمَاعِنَا وَمِنْ شَرِّ أَبْصَارِنَا وَمِنْ شَرِّ أَسِنَّاتِنَا وشرِّ قُلُوبِنَا وشرِّ مَيمِنَاتِنَا .

اللهم عافنا و أبداننا وفي أَسْمَاعِنَا وفي أَبْصَارِنَا اللهم إنا نعوذ بك من الفقرِ والكفرِ ، اللهم إنا نعوذُ بك من عَذَابِ القَبْرِ لا إله إلا أَنْتُ .

اللهم إنا نعوذُ بك من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لا يَرْفَعُ ودُعَاءٍ لا يُسْمَعُ . اللهم إنا نعوذُ بك من زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، اللهم أَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلَّمْنَا مَا يُنْفَعُنَا وَزِدْنَا عِلْمًا الحمد لله على كل حال وأعوذُ بالله من حَالِ أَهْلِ النارِ .

اللهم اغْنِنَا بالعلم وَزَيِّنَا بالحلم وَأَكْرِمْنَا بالتَّقْوَى وَجَمِّلْنَا بالعَافِيَةِ .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ صِحَّةً في إِيمَانٍ وَإِيمَانًا في حُسْنِ خُلُقٍ وَتَجَاحًا بِتَبِعِهِ فَلَاحٌ ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا .

اللهم إنا نعوذُ بوجهك الكريم واسمِكَ العَظِيمِ مِنَ الكُفْرِ والفِقرِ .
اللهم إنا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تُهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ،
وَتُلِمُّ بِهَا شِعْرَنَا ، وَتَرُدُّ بِهَا أَلْفَتَنَا ، وَتُصَلِّحُ بِهَا دِينَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وَتَرْفَعُ
بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتُرْزِئُ بِهَا عِلْمَنَا ، وَتُبَيِّضُ بِهَا وُجُوهَنَا وَتُلْهِمَنَا بِهَا رُشْدَنَا
وَتُعْصِمَنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

اللهم أَعْطِنَا إِيمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ وَرَحْمَةً تَنَالُ بِهَا شَرَفَ
كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ الفُوزَ عِنْدَ القَضَاءِ وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَعَيْشَ السُّعْدَاءِ
والتَّصَرُّعَ عَلَى الأَعْدَاءِ وَمِرَافِقَةَ الأنبياءِ .

اللهم مَا قَصَرَ غِنَى رَأْيِنَا وَضَعَفَ عَنْهُ عَمَلْنَا وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتْنَا وَأَمْنِيَّتْنَا مِنْ خَيْرٍ
وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ وَخَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَإِنَا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِيهِ
وَنَسْأَلُكَ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .

اللهم ارزُقْنَا أَعْيُنًا هَطَّالَةً تُشْفِيَانِ القَلْبَ بِدُرُوفِ الدُّمُوعِ مِنْ حُشِينِكَ
قَبْلَ أَنْ تُكُونِ الدُّمُوعُ دَمًا والأَضْرَاسُ جَمْرًا .

اللهم اجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ وَسِلْمًا
لِأَوْلِيائِكَ نُحِبُّ بِحُبِّكَ النَّاسَ وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ
اللهم إنا نَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ مِنَ العَذَابِ الشَّدِيدِ وَنَسْأَلُكَ الجَنَّةَ
دارَ الخلودِ معَ المقربينَ الشُّهُودِ وَالرَّكْعَ السُّجُودِ وَالْمَوْقِينَ بِالعَهودِ وَالوَعُودِ إِنَّكَ
غَفُورٌ رُؤُوفٌ وَدُودٌ .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ المَبَارِكِ الأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا
دُعِيتَ بِهِ أُجِبْتَ وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ وَإِذَا اسْتُرْجِئتَ بِهِ رَجِئتَ وَإِذَا
اسْتَفْرِجْتَ بِهِ فَرَّجْتَ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا وَاحِدٌ أَحَدٌ يَا فَرْدٌ صَمَدٌ يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ أَنْ تَفْتَحَ لِذُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ
وَالإِجَابَةِ .

اللهم ارحم ذلنا يومَ الأَشهادِ وأمنَ نَحُونَا من فزعِ المعادِ ووقفنا لما تُنجينا
به من الأعمالِ في ظلمِ الإلحادِ ولا تخزنا يومَ القيامةِ إنك لا تخلفُ الميعادِ واغفر
لنا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينِ الأحياءِ منهم والميتينِ برحمتك يا أرحمَ الرَّاحمينِ

قال بَعْضُهُمْ :

أَقَلُّ كُتُبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَا وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْيَدَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَسَّكْتُ لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُعْتُ فِيهَا مُنْضِدًا
وَأَحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تُنَالَ بِنَائِلِ مَهِينٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّنِي لَسْتُ بِأَقِيًّا فَيَأَلَيْتُ شِعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا غَدَا
آخِرُ : الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
لَوْ كَانَ هَذَا الْعِلْمُ يَحْصُلُ بِالْمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا فَنَدَامَةُ الْعُقَبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

(فَوَائِدُ عَظِيمَةُ النَّفْعِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ)

وَأَعْجَبًا مِنْكَ يَضِيغُ مِنْكَ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ وَتَتَكَدَّرُ وَتَتَأَسَّفُ ، وَقَدْ ضَاعَ
أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ عِنْدَكَ وَهُوَ عُمْرُكَ الَّذِي لَا عَوَظَ لَهُ وَأَنْتَ عِنْدَ قِتَالَاتِ
الْأَوْقَاتِ ، الْكُورَةِ وَالتَّلْفَازِ وَالمِذْيَاعِ وَنَحْوِهَا مِنْ قُطَاعِ الطَّرِيقِ عَنِ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ ، وَلَكِنْ سَتَنْدَمُ « يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ
الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ » .

شعرا: أَرَى النَّاسَ سَفْرَافِي طَرِيقِ الْمَتَالِفِ فَمِنْ بَالِغِ أُخْرَى الْمَدَى وَمُشَارِفِ
وَمَا بَطْنُ هَذِي الْأَرْضِ إِلَّا قَرَارَةٌ وَأَرْوَاحُنَا مِثْلُ السُّيُولِ الْجَوَارِفِ
وَمَا الْعُمُرُ إِلَّا جَوْلَةٌ ثُمَّ أَوْلَةٌ وَنَحْنُ بِمِرْصَادِ الرَّقِيبِ الْمُشَارِفِ

(عَالِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيحَةٌ)

إِعْلَمَ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا
يَجِبُ الْاِعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ .
وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَقَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْتُ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا
تَيَسَّرَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهَا عَنْه كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ .
وَمِنَ الْفَقْهِ مَخْتَصَرَ الْمَنْعِ لِيَتَيَسَّرَ لَهُ اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلَ لِأَوْلَادِهِ مَا
يَحْتُهم عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ
آلِافٍ أَوْ أَزِيدُ أَوْ أَقَلُّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغِنَى .
وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ اللُّوْلُؤِ وَالْمُرْجَانَ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلِافٍ .

فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظَهَا ثَلَاثَةَ
آلِافٍ ، أَوْ الْأَرْبَعِينَ التَّوَابِعَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا .

وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ الْمُقْنَعِ فِي الْفِقْهِ الْفَيْنِ مِنَ الرِّيَالِاتِ فَالْقَيْبُ
سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ لِسُرْعَةِ اسْتِخْرَاجِ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْكَلَ
مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ
مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِمِيِّ الْمُتَمَازِ الْبَاقِي الْبَاقِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي
حَلَقَاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَسَاجِدِ .

فَقَرَأَ :

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ كَعَلِمِ الشَّرْعِ يُؤَخِّدُ عَنْ ثَقَاتِ
بَيْتِ اللَّهِ مَنْرَمَةِ الْأَوَالِي لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ
فَمَنْ وَقَفَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنْ
اللَّهِ وَسَبَبًا لِيَرْهَمَ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا
مُبَارَكًا يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَلَهُمْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ

الْجَمِيعَ لِحُسْنِ النَّيَّةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

تَمَّ الْجُزْءُ الْخَامِسُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيمَ
الْعَظِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذُلَ الْكُفْرَةَ
وَالْمُشْرِكِينَ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مَنْ فِي صَلَاحِهِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ
وَيُهْلِكَ مَنْ فِي هَلَاكِهِ عِزًّا وَصَلَاحًا لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلْمَ شَعَثَ
الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ
أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِي مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى
كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا هَذَا خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ نَفْعًا
عَامًا إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مَجِيبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

عبد العزيز المحمد السَّلْمَان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

شِعْرًا:

تَمَنَيْتُ فِي الدُّنْيَا عُلُومًا أَبْثُهَا وَأَنْشُرُهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ
دُعَاةً إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي تَنَاسَى رِجَالٌ ذِكْرَهَا فِي الْمَحَاضِرِ
وَقَدْ أَبْدَلُوهَا بِالْجُرَائِدِ تَارَةً وَتَلْفَازِهِمْ رَأْسُ الشُّرُورِ الْمَنَاطِرِ
وَمِذْيَاعِهِمْ أَيْضًا فَلَا تَنْسَ شَرَّهُ فَكَمْ ضَاعَ مِنْ وَقْتِ بِهَا بِالْحَسَائِرِ

فصل : وإليك طرفاً مما حدث بأسباب النظر إلى النساء مما أدى
بالإنسان إلى ضياع الوقت والأمراض وآخرها الموت نسأل الله العافية سقناها
لتأخذ حذرَكَ ولا تهمل طرفَكَ فيجني عليك وأسمع إلى قول من تولعوا بنساء
عفيفات وكن متيقظاً حذراً لئلا تقع في شبكة العشق المؤدية إلى ضياع الوقت
من النظر إلى النساء الأجنبية منك خشية أن تقع فيما وقع به بعضهم .

قال بعض من ابتلي بذلك فمرض وأشرف على الموت نسأل الله العافية .

(١) ماذا عليك إذا حُبرت بي دنفاً رهن المنية يوماً أن تعوديني
وتجعلني نطفة في القعب باردة فتغمسي فاك فيها ثم تسقينني

آخر :

(٢) قالوا تصبر فما هذا الجنون بها فقلت يا قوم ليس القلب من قبلي

آخر :

قل للبخيلة بالسلام تورعاً هل تسمعين يذلل أيسر نائل
كيف استبخت دماً ولم تتورعي أن اشتكي بشئ إليك وتسمعي

آخر :

(٣) أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم

(٤) آخر: فإليت أني يوم تدنومني

وليت غسيلني كان ريقك كله

آخر :

(٥) وقائلة ماذا الشحوب وذو الضنى فقلت لها قول المشوق المتيم

أنا هواك وهو ضيف أعره فاطمته لحمي وأسقيته دمي

آخر :

(٦) لكن ساني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك

(٧) آخر : يَصِفُ حَالَهُ مَعَ مَعْشُوقَتِهِ التي تَوَلَّعَ بِهَا :

كَعَصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يَهِينِهَا تَذُوقُ مَرَارِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مَتْرُوكُ الْجَنَاحَيْنِ يَذْهَبُ
(٨) آخر :

إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْوَشَاةُ بِمَجْلِسِ فَلَيْسَ لِنَارِ سُلِّ سَوَى الطَّرْفِ لِلطَّرْفِ
وإنْ غَفَلَ الْوَأَشُونَ فُزْتُ بِنَظْرَةٍ وَإِنْ نَظَرُوا نَحْوِي نَظَرْتُ إِلَى السَّقْفِ
(٩) آخر :

أَفْدي بَرُوجِي مَنْ شَبَّهْتُ طَلَعَتَهَا بَطَلَعَتِ الشَّمْسِ فَاغْتَاضَتْ لِتَشْبِيهِي
قَالَتْ أَلِلشَّمْسِ طَرْفٌ مِثْلُ طَرْفِي ذَا إِنْ كُنْتُ تَفْهَمُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ
أَوْ هَلْ بِهَا مِثْلُ حَدِّي فِي تَوَرُّدِهِ أَوْ هَلْ بِهَا مِثْلُ قَدِّ فِي تَنْتِيهِ
فَقُلْتُ دُونَكَ فَاقْنِصِي بِلَا حَرْجِ هَذَا لِسَانِي الَّذِي أَخْطَأَ فَعُضِيهِ
(١٠) آخر : مُبَالِغٌ فِي الْكَذِبِ

قَدْ كَانَ لِي قَبْلَ الْهَوَى حَاتَمٌ وَالْيَوْمَ لَوْ شِئْتُ تَمَنَّطَقْتُ بِهِ
فَبِئْتُ حَتَّى صِرْتُ لَوْ زُجَّ بِي فِي مُقْلَةِ الْوَسْئَانِ لَمْ يَنْتَبَهُ
(١١) آخر :

وَهَيْئَاءَ لَا أَصْغِي إِلَى مَنْ يُلُومُنِي عَلَيْهَا وَيُعْرِنِي بِهَا أَنْ أَعِيبَهَا
أَمِيلُ بِأَحَدِي مُقْلَتِي إِذَا بَدَتْ إِلَيْهَا وَبِالْأُخْرَى أُرَاعِي رَفِيبَهَا
وَقَدْ غَفَلَ الْوَأَشِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّي أَخَذْتُ لِعَيْنِي مِنْ سُلَيْمَى نَصِيبَهَا
(١٢) آخر :

ثَقِي بِالذِي فِي الْقَلْبِ مِنْكَ فَإِنَّهُ عَظِيمٌ لَقَدْ حَصَّنْتُ سِرِّكَ فِي سِرِّي
(١٣) آخر :

أَعَانِفُهَا وَالنَّفْسُ بَعْدَ مَشُوقَةٍ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِي
وَأَلِثُمُ فَأَهَا كَي تَرْوُلَ حَرَارَتِي فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِي

(١٤) آخر :

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالذُّمُوعَ سَوَاجِمَ
حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الْحَوَائِجَ بَيْنَنَا

(١٥) آخر :

تَسَاهَمَ ثُوبَاهَا فِي الدَّرَجِ رَأْدَةٌ
فَوَ اللَّهُ مَا أُدْرِي أَزِيدَتْ مَلَاحَةً

آخر: لَيْنَ طَلَبُوا مِنِّي لِذَعْوَايَ شَاهِدًا
نُحُولٌ وَذُلٌّ وَأَشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ
آخر: أَمَا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ

آخر :

سَلَبْتِ عِظَامِي كُلَّهَا فَتَرَكْتَهَا
وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ مِخْطَا فَكَانَتْهَا
إِذَا سَمِعْتِ بِاسْمِ الْحَبِيبِ تَقَفَعْتِ
خُذِي يَدِي ثُمَّ ارْفَعِي الثُّوبَ تَنْظُرِي
وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا

آخر :

وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرَاكِ رَوْعَةً
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَةً

آخر :

هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ
وَقَيْضُ دُمُوعٍ تَسْتَهْلُ إِذَا بَدَا
وَحَرَ عَلَى الْأَجْسَادِ لَيْسَ لَهُ بَرْدٌ
لَنَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَيْتُونُ

آخر :

دُمُوعُ نَهَاهَا الْوُجُدُ أَنْ تَتَوَقَّفَا
يَبْقَى فَقَطَّعْنَ الْقُلُوبَ تَأْسُفَا

وَلَمَّا وَقَفْنَا وَالرَّسَائِلُ بَيْنَنَا
ذَكَرْنَا اللَّيَالِي فِي الْعَقِيقِ وَظِلَّهَا أَلْ

آخر :

كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

وَإِنِّي لَتَعْرُونَ لِذِكْرِكَ هَزَّةً

آخر :

أُحَدِّثُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السِّرِّ خَالِيَا

وَأُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلِّي

فَبِعَيْنَيْنِ فَلَسْتُ مِنْهَا أَشْبَعُ

آخِر : لَيْتَنِي إِذَا رَأَيْتَهَا كُلِّي عِيُونَ

وَشُهُودُ كُلِّ قَضِيَّةٍ إِثْنَانِ

آخِر : لِي فِي مَحَبَّتِهَا شُهُودُ أَرْبَعُ

وَنُحُولُ جِسْمِي وَانْعِقَادُ لِسَانِي

خَفَقَانُ قَلْبِي وَاضْطِرَابُ جَوَانِحِي

عَلَى حَوْلِ أَعْنَى عَنِ النَّظْرِ الشَّرِي

آخِر : حَمِدْتُ إِلَهِي إِذْ بَلَّانِي بِحُبِّهَا

نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعُذْرِ

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَظُنُّنِي

فَكُنْتُ كَأَنَّ حَنْفَهُ وَهَوَّ طَائِعِ

أَتَّبِكُنِي عَلَى لَبْنِي وَأَنْتِ تَرَكْتَهَا

بِلَبْنِي وَبَانَتِ عَنْكَ مَا أَنْتِ صَانِعُ

فَمَا قَلْبُ خَبِرَنِي إِذَا شَطَبَتِ التَّوَى

وَالْيَكُ مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ قِيلَ إِنَّهُ إِدْعَاهَا شِعْرَاءُ كَثِيرُونَ نَقَتِصِرُ عَلَى سِيَاقِ

بَعْضِهَا خَوْفَ الْمَلَلِ لِأَنَّهَا حَوْلَ الْمِائَةِ مِنْهَا :

رَأَيْتُ بَعِينَ فِي أَنَامِلِهَا دَمِي

تُحَلُّوْا بِدَمِي ذَاتَ الْوَشَاحِ فَإِنِّي

وَلَكِنْ سَلُّوْهَا كَيْفَ حَلَّ لَهَا دَمِي

وَلَا تَقْتُلُوْهَا إِن ظَفِرْتُمْ بِقَتْلِهَا

فَتَيْلُ الْهَوَى وَالْعِشْقِ لَوْ كُنْتُ تَعْلَمِي

وَقُولُوا لَهَا يَا مَنِيَةَ النَّفْسِ إِنِّي

آخر :

لَكُنْتُ أُمْلِكُ مَا آتَى وَمَا أَدَعُ

لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي

كَأَدَتْ لَهُ شُعْبَةً مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ

إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا دَاعٍ لِيُحْزِنَنِي

آخر :

إِلَّا وَلِلشَّوْقِ فِي خَافَاتِهِ عَمَلُ

لَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَكُمْ رَسْمٌ وَلَا طَلُّ

إِذَا شَمَمْتُ نَسِيمًا مِنْ بِلَادِكُمْ
آخِر :

أَدِيرُ لِحَاظَ الْقَلْبِ فِي لِنْتِظَرِي
وَلَا تُرْسِلِي هَذِي اللَّوَاظَ كُلَّهَا
آخِر :

أَقُولُ لِعَيْنِي حِينَ جَادَتْ بِدَمْعِهَا
تُحِذِي بِنَصِيبٍ مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
آخِر :

أَقُولُ لَهَا رُدِّي الْحَدِيثَ الَّذِي انْقَضَى
يُجَدِّدُ تَذْكَارَ الْحَدِيثِ مَوَدَّتِي
أُنَاشِدُهَا إِلَّا تُعِيدُ حَدِيثَهَا
آخِر: أَفِدِي بَرُوجِي مَنْ شَبَّهْتُ طَلَعَتْهَا
قَالَتْ أَلِلشَّمْسِ طَرْفٌ مِثْلُ طَرْفِي ذَا
أُوهِلَ بِهَا مِثْلُ حَدْيِي فِي تَوَرُّدِهِ
آخِر : يَعُدُّ عَلَيَّ الْوَاشِيَانِ ذُنُوبَهَا
آخِر: وَإِيَّاكَ ذِكْرَ الْعَامِرِيَّةِ إِنِّي
أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ أَيْنِهَا وَأُمَّهَا
أَغَارُ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ ثِيَابِهَا
وَأَحْسُدُ كَاسَاتٍ يُقْبَلْنَ نَفْرَهَا
عِرَاقِيَّةُ الْأَطْرَافِ مَكِيَّةُ الْحَشَا
ومنها :

لَهَا حُكْمُ لُقْمَانَ وَصُورَةُ يُوسُفِ
وَلِي ضُرُّ أَيُّوبٍ وَوَحْشَةُ يُوسُفِ

فَقَدْتُ عَقْلِي كَأَنِّي شَارِبٌ ثَمَلٌ

إِلَى مُفْلِسٍ مِنْ صَبْرِهِ عَنْكَ مُعِدِمِ
فَوَاحِدَةً تُكْفِيكَ قَتْلَ الْمُتِيمِ

وَإِنْسَانُهَا فِي لُجَّةِ الدَّمْعِ يَغْرَقُ
ذَرِي الدَّمْعِ لِلْيَوْمِ الَّذِي تَتَفَرَّقُ

وَذِكْرَاكَ مِنْ ذَاكَ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
فَذِكْرُكَ عِنْدِي وَالْحَدِيثُ جَدِيدُ
كَأَنِّي بَطِيءُ الْفَهْمِ حِينَ تُعِيدُ
بِطَلْعَةِ الشَّمْسِ فَاعْتَاطَتْ لِتَشْبِيهِ
إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ
أُوهِلَ لَهَا مِثْلُ قَدْيِي فِي تَشْبِيهِ
وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبُ
أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ فَمِ الْمُتَكَلِّمِ
وَمِنْ مَضْغَةِ الْمِسْوَاكِ إِذْ مُصٌّ فِي الْفَمِ
إِذَا وَضَعْتَهَا فَوْقَ جِسْمٍ مُنْعَمِ
إِذَا وَضَعْتَهَا مَوْضِعَ اللُّثْمِ فِي الْفَمِ
حِجَازِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ طَائِيَّةُ الْفَمِ

وَنَعْمَةُ دَاوُودَ وَعِقَّةُ مَرْيَمَ
وَأَحْزَانُ يَعْقُوبَ وَحَسْرَةُ آدَمَ

آخر :

والله ما طَلَعْتُ شَمْسٌ وَلَا غَرَبْتُ
وَلَا جَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ أَحَدُهُمْ
وَلَا هَمَمْتُ بِشُرْبِ الْمَاءِ مِنْ عَطَشٍ

آخر :

رُوجِي إِلَيْكَ بِكُلِّهَا قَدْ أُجْمِعَتْ
تَبْكِي عَلَيْكَ بِكُلِّهَا عَنْ كُلِّهَا

آخر :

وَلِي عِبْرَاتٌ تَسْتَهْلُ صَبَابَةً
أَلْفَتْ الْهَوَى حَتَّى حَلَّتْ لِي صُرُوفُهُ
وَأَذْهَلُ حَتَّى أَحْسَبُ الصَّدَّ وَالنَّوَى
فَهَا أَنَا ذُو حَالَيْنِ أَمَا تَلْدُذِي

آخر: مَا كَانَ ضَرْكَ يَأْسُقِيَّةً مُهَجَّتِي

عَلَيْكَ إِذَا بَرَقَ الْعَمَامُ تَأَلَّقَا
وَرُبَّ نَعِيمٍ كَانَ جَالِبُهُ شَقَا
بِمُعْتَرِكِ الذِّكْرَى وَصَلَاً وَمُلْتَقَى
فَحَيٌّ وَأَمَّا سَلَوْتِي فَلَكَ الْبَقَا
لَوْ أَنَّ بَعَثْتَ تَحِيَّةً تُحِينِي

زَكِّي جَمَالاً أَنْتَ عَنْهُ غَنِيَّةٌ

آخر: وَرَأَيْتُهَا فِي الطَّرْسِ تَكْتُبُ مَرَّةً

فَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي أَكُونُ صَحِيفَةً

آخر: أُمْسِي وَأَصْبَحُ مِنْ تَذْكَارٍ كَمَقْلَقَا

قَدْ خَلَدَ اللَّذْمُ خَدِّي مِنْ تَذْكَرْكُمْ

وَوَدِدْتُ أَنْ لَا تَهْتَدِي لِصَوَابِهَا

يَرِي لِي الْمُسْتَفْقَانِ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

وَاعْتَادِي الْمُضْنِيَّانِ الشُّوقُ وَالْكَمْدُ

وَخَانِي الْمُسْعِدَانِ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ

وَنَحْتَهُ الْحَاقِقَانِ الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ

يَعْتَادُهُ الضَّارِيَانِ الذُّبُّ وَالْأَسَدُ

فِدَاؤُكَ الْبَاقِيَانِ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ

آخر :

رُدُّوا الْمَطِيَّيْ وَإِلَّا رَدَّهَا نَفْسِي

وَأُدْمِعِي فَهَمَا سَيْلٌ وَيَنْرَانُ

يَأْسَائِقُ الظَّنِّ قَلْبِي فِي رِحَالِكُمَا
آخِر :

وَكَانَ فُوَادِي حَالِيَا قَبْلَ حُبِّكُمْ
فَلَمَّا دَعَى قَلْبِي هَوَاكَ أَجَابَهُ
رُمِيْتُ بِبُعْدِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا
فَإِنْ شِئْتَ وَاصَلْتَنِي وَإِنْ شِئْتَ فَاقْطَعِي
آخِر :

وَإِنِّي إِذَا اصْطَلَكْتَ رِقَابُ مَطِيَّكُمْ
أُخَالِفُ بَيْنَ الرَّاحَتَيْنِ عَلَى الْحَشَا
آخِر :

وَفِي حُبِّ ذَاتِ الْحَالِ لَامَتْ عِصَابَةٌ
يَقْيُسُونَ حَالِي فِي الْغَرَامِ بِحَالِهِمْ
آخِر :

وَعِزَّةُ اللَّهِ مَا لِي عَنْكُمْ عَرَضٌ
وَمِنْ حَدِيثِي بِكُمْ قَالُوا بِهِ مَرَضٌ
آخِر : فَمَيِّ بَعْدَهَا عَنِّي وَفَاتِي وَقُرْبَهَا
وَمِنْ وَجَنَّتِيهَا نَارٌ وَجِدِي وَخَصَرُهَا
فَكُنْ عَاذِرِي يَا عَاذِلِي فَدَلَالُهَا

آخِر : تَجُولُ خَلَاخِيلَ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى
أُحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهَا

آخِر : نَأَلْتُ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَتَلَهُ يَدِي
كَأَنَّهُ طُرُقُ نَمْلِ فِي أَنْامِلِهَا
سَأَلْتُهَا الْوَصَلَ قَالَتْ لَا تُكُنْ عَبَا

أَمَانَةٌ رَعِيهَا وَالْحِفْظُ إِيمَانٌ

وَكَانَ يَذْكَرُ الْخَلْقَ يَلْهُو وَيَمْرُحُ
فَلَيْسَ آرَاهُ عَن فِتَائِلِكَ يَتَمْرَحُ
وَإِنْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِكَ أَفْرَحُ
فَلَسْتُ أَرَى قَلْبِي لِغَيْرِكَ يَصْلَحُ

وَتَوَرَّأُ حَادِي بِالرَّفَاقِ عَجُولُ
وَأَنْظُرُ أَنِّي مِلْتَمُ فَايْمِيلُ

يَظُنُّونَ أَنِّي لَسْتُ بِالرُّوحِ أَسْمَحُ
وَكَأَنَّ إِيَاءِي بِالذِّي فِيهِ يَنْضَحُ

وَلَيْسَ لِي بِسِوَاكُمْ بَعْدَكُمْ غَرَضُ
فَقُلْتُ لَا زَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْمَرَضُ
حَيَاتِي وَإِسْعَادِي وَتَيْلُ مَرَامِي
نُحُولِي وَمِنْ سُقْمِ الْجُفُونِ سِقَامِي
دَلِيلُ عَلَيَّ وَجِدِي بِهَا وَغَرَامِي

لِرِ مَلَّةٍ خَلَخَلَا يَجُولُ وَلَا قَلْبَا
وَمِنْ أَجْلِهَا أُحِبُّتُ أَوْحَالَهَا كَلْبَا
نَقَشْتُ عَلَى مِعْصَمِ أَوْهَتْ بِهِ جَلْدِي
أَوْ رَوْضَةً رَصَعْتَهَا السُّحْبُ بِالْبَرْدِ
مَنْ رَامَ مِنَّا وَصَالًا مَاتَ بِالْكَمْدِ

إلى أن قال :

واسترجعت سألت عني فقيل لها
ما فيه من رمق دقت يداي يدي
آخر :

يأمنية القلب ماجيد بمنعطف
لولا الحبة ما أكثر ذكركم
ولا وقفت على الوادي أسأله
إلى سواك ولا حبلني بمنقاد
ولا سألت حمام الروح إسعادي
بالدمع حتى رثي ساكن الوادي
آخر :

ما أقتل الحبر والإنسان يجهله
وكل ما لم يدقه فهو مجهول
راح الرماة إلى بعض المها فإذا
بعض الرماة ببعض الصيد مقتول
آخر :

إذا وصلتم إلى وادي الحب سلو
وقشوا عن فؤاد هائم قلبي
عن حال منقطع أودى به السهر
قد ضاع مني فلا عين ولا أثر
آخر : ودعت قلبي حين ودعتهم

آخر : عشقتك طفلاً واتخذتك سيداً فجرعتني بالصد فاتحة الرعد
فبالله ذاويني كما قد جرحيتني
يريد بفاتحة الرعد رسم السورة لأن رسمها (الم) وبفاتحة الأعراف
لأن رسمها (المص) يريد مص لسان المعشوقة لتزول حرارة الشوق والوجد
والحرمان .

آخر : ولو أن ما بيني من جوى وصباية
على حمل لم يدخل النار كافر
إشارة إلى قول الله جل وعلا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَأَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ
الْخِيَاطِ ﴾ .

آخر : حملت جبال الحب فيك وإنني
لأعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة
ولكنه شيء به الروح تكلف

آخر : لو عَايَنَتْ عَيْنَاكَ حَسَنُ مُسَقِّمَتِي
عَيْنُ الرَّشَاقِدُ النَّقَارِدُفُ النَّقَا
آخر : أَقُولُ وَقَدْ جَدُّ الْغَرَامُ بِمُهْجَتِي
إِذَا شِئْتُ أَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مِيتًا
آخر :

وَأَنْتَ الَّذِي مَا مِنْ صَدِيقِي وَلَا أَخٍ
أُحِبُّ مِنْ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا
وَإِنِّي لَا أَسْتَعِينُ وَمَا بِي نِعْسَةٌ
هِيَ السِّحْرُ إِلَّا أَنْ لِلْسِّحْرِ رُقِيَّةٌ
إِذَا نَحْنُ أَذْلَجْنَا وَأَنْتِ أَمَانَا
إلى إن قال :

عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
آخر :

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
وَأُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ السُّيُوتِ لَعْنِي
آخر :

وَلَمَّا دَنَى مِنِّي السِّيَاقُ تَعَطَّفَتْ
أَنْتِ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
واسمَع إلى قول أحد العشاق المبالغين في

كُلُّ الْعَذَابِ الَّذِي فِي النَّاسِ مُسْتَرَقٌّ
لَوْلَا مَدَامِعُ عُشَاقٍ وَلَوْ عَثُّهُمْ
فَكُلُّ نَارٍ فَمِنْ أَنْفَاسِهِمْ قَدَحَتْ
آخر : سَأَلْتُهَا عَنْ فَوَادِي أَيْنَ مَوْضِعُهُ
قَالَتْ لَدَيْنَا قُلُوبٌ جَمَّةٌ جُمِعَتْ

مَا لُمْتَنِي وَلَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَذَرَ
شَعْرُ الدُّجَى شَمْسُ الضُّحَى وَجْهُ الْقَمَرِ
وَفَاضَتْ جُفُونِي بَعْدَ أَذْمَعِهَا دَمَا
عَلَى صُورَةِ الْأَحْيَاءِ فَالْقَى مُتِيماً

يَرَى نِضُومًا أَبْقَيْتِ إِلَّا أَوْى لِيَا
وَأَشْبَهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا
وَإِنِّي لَا أَلْقَى لِسِحْرِي رَاقِيَا
كَفَى لِمَطَايِنَا بِذِكْرِكَ هَادِيَا

وَإِنْ كَانَ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْهَجْرِ طَاوِيَا

وَقَدْ عِشْتُ ذَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا
أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ بِاللَّيْلِ خَالِيَا

عَلَيَّ وَعِنْدِي عَنْ تَعَطُّفِهَا شُغْلُ
وَجَادَتْ بَوَصْلٍ حَيْنَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

واسمَع إلى قول أحد العشاق المبالغين في الكذب واسأل رَبَّكَ الْعَافِيَةَ .

مِمَّا بِقَلْبِي مِنْ شَوْقٍ وَتَذْكَارِ
لَبَانَ فِي النَّاسِ عِزُّ الْمَاءِ وَالنَّارِ
وَكَلُّ مَاءٍ فَمِنْ دَمْعِ لَهُمْ جَارِي
فَإِنَّهُ ضَلَّ عَنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا
فَأَيُّهَا أَنْتَ تَعْنِي قُلْتُ أَشْفَاهَا

آخر: وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَحْرَسُوكَ بِخَادِمٍ
عِذَارُكَ رِيحَانٌ وَتَعْرُكُ جَوْهَرٌ
آخر: بَدَالِي مِنْهَا مِعْصَمٌ حِينَ جَمَّرْتِ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا
آخر:

وَخُدَّامُ هَذَا الْحُسْنِ مِنْ ذَلِكَ أَكْثَرُ
وَخَدُّكَ يَأْقُوتُ وَخَالَكَ عَنَبَرُ
وَكَفَّ خَضِيْبُ زَيْنَتْ بَيْنَانِ
يَسْبَعُ رَمِيْنُ الْجَمْرِ أَمْ يَكْمَانِ

وَكُنْتُ كَذَّبَاحِ الْعَصَافِيرِ دَائِباً
فَلَا تُنْظِرِي لِيَلِي إِلَى الْعَيْنِ وَانْظِرِي
آخر:

وَعَيْنَاهُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِنَّ تُهْمِلُ
إِلَى الْكَفِّ مَاذَا بِالْعَصَافِيرِ تَفْعَلُ

فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بِوَاحِدٍ
وَلَكِنَّمَا أَحْيَا بِقَلْبٍ مُرْوَعٍ
تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ سُحْطِهَا
آخر:

وَوَخَلَيْتُ قَلْباً فِي هَوَاكِ يُعَدُّبُ
فَلَا الْعَيْشُ يَصْفُو لِي وَلَا الْمَوْتُ يَقْرُبُ
وَعَلَّمَهَا حُجِّي لَهَا كَيْفَ تُغْضَبُ

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَنِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَيَقَّنْتُ أَنَّكَ
آخر:

وِفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتِي غُرُوبُ
أَمْرٌ بِوَادٍ أَنْتِ مِنْهُ قَرِيبُ

أُسِيرُ الَّذِي بِي وَالِدُمُوعُ تُبْزُوحُ
وَبَيْنَ ظُلُوعِي لَوْعَةٌ لَمْ أَرَلْ بِهَا
آخر:

وَجِسْمِي سَقِيمٌ وَالْفُؤَادُ قَرِينُحُ
أَذُوبُ إِشْتِيَاقاً وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ

عَلَقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدَا فَلَمْ يَزَلْ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُيُوتَةَ قَاتِلِي
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشِ بِهِ
آخر:

إِلَى الْيَوْمِ يَنْجِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
مِنَ الْحَبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَلِكَ مِنْكَ بَعِيدُ

وَأِنِّي لِمُسْتَقٍّ إِلَى رِيحِ جَيْبِهَا

وَحَلَّتْ مَكَاناً لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ

آخر :

مَحَاحِبُهَا حُبُّ الْأَوَّلِ كُنَّ قَبْلَهَا
آخر: لَيْلِي وَلَيْلِي نَفَى نَوْمِي اخْتِلا فُهُمَا
يَجُودُ بِالطُّولِ لَيْلِي كُلَّمَا بَخِلَتْ
آخر: بَرِّغَمِي أُطِيلُ الصَّدْعَ عَنْهَا إِذَا نَأَتْ
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أُعْرِفَ الْهَوَى
آخر: نَهَارِي نَهَارِ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ
أُقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى
آخر :

وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ
فِي الطُّولِ وَالطُّولِ طُوبَى لِي لَوْ اعْتَدَلَا
بِالطُّولِ لَيْلِي وَإِنْ جَادَتْ بِهِ بَخْلًا
أَحَازِرُ أَسْمَاعًا عَلَيْهَا وَأَعْيُنَا
فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَمَتَمَكَّنَا
لِي اللَّيْلِ هَزَّنْتِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ

فَمَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
وَتَذْهَلُ حَتَّى مَا تَجِيبُ الْمُنَادِيَا
تَوَلَّتْ وَمَاءَ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ
إِلَى الْبِنَاتِ أَسْبَلْتَهُ الْمَحَاجِرُ
أَتَى الْمَرْءَ مَا يَخْشَى مَنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
لَهُمُوا وَصَاغَ الْأَقْحُونَ تُغُورًا
إِلَّا شَهَقْتُ لَهُ فَعَادَ سَعِيرًا
قَنَاصُ إِنْ رَامَ صَيْدَ الْآبِدِ اسْتَتَرَا
فِي الْبَيْتِ حِينَ أُكَبْتُ تَلْتُمُ الْحَجَرَا
لَتَمَّ الْخُدُودِ لِبَنَاتٍ وَأُوطَارُ
أَوْلَا فَدَعْنِي وَمَا أَهْوَى وَأَخْتَارُ
فَا النَّاسُ فِي دَرَجَاتِ الْحُبِّ أَطْوَارُ
فَتَبًّا لِقَلْبٍ لَا يَبِيْتُ بِهِ مُعْرَا

وَلَمَّا شَكُوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَّبْتِي
فَلَا حُبَّ حَتَّى يَلْصُقَ الْجِلْدُ بِالْحَشَا
آخر: وَمِمَّا دَهَانِي أَنَّهُ أَيَوْمَ أُعْرَضْتُ
فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظْرَةٍ
آخر : وَلَكِنَّمَا أَفْشَاهُ دَمْعِي وَرُبَّمَا
آخر: لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْعَصُونَ مَعَاطِفًا
مَا مَرَّ رِيحُ الصَّبَا مِنْ أَرْضِهِمْ
آخر: رَمَنْتِي وَاسْتَتَرْتُ فِي خِذْرِهَا وَكَذَّالُ
قَرَّبْتُ صَبًّا تَمَنَّى أَنَّهُ حَجَرٌ
آخر: لِي فِي الْقُدُودِ فِي ضَمِّ النَّهْدِ وَفِي
هَذَا اخْتِيَارِي فَوَافِقُ إِنْ رَضِيَتْ بِهِ
لُمْنِي جُزَافًا وَسَامِحْنِي مُصَارَفَةً
آخر: بَدَأَ فَا رَانِي الظُّبْيِ وَالْعُصْنَ وَالْبَدْرَا

بَدِيعُ جَمَالٍ كُلُّ مَا فِيهِ مُعْجِزٌ
 أَقَامَ بِلَالُ الْخَالِ فِي صَحْنِ خَدِّهَا
 آخِرُ : يُذَكِّرُنِي عَهْدَ النَّجَاشِيِّ خَالَهَا
 يَمِيلُ بِهَا خَمْرُ الدَّلَالِ كَأَنَّمَا
 آخِرُ : وَمَنْ لِي بِجِسْمِ أَشْتَكِي مِنْهُ بِالْفَنَاءِ
 وَمَا عِشْتُ حَتَّى الْآنَ إِلَّا لِأَنْتِي
 وَلَوْ أَنَّ عُمْرِي عُمُرُ نُوحٍ وَبَعْتُهُ
 إِذَا الْيَأْسُ نَاجَى النَّفْسَ مِنْكَ بِلَنْ وَلَا
 آخِرُ : أَضْمُ عَلَى الدَّاءِ الدَّفِينِ جَوَانِحِي
 وَلَيْسَ تَلَا فِي مُدِّ رُمِيَتْ بِهَجْرِهَا
 لَهَا قَدْ عَسَّالٍ وَحُسْنُ مُعْتَقٍ
 آخِرُ : وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّوَى وَرَقِينَا
 فَلَمْ أَرَى بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا
 ظَلُومٌ كَمَتْنِيهَا لِصَبِّ كَخَصْرِهَا
 بِفَرَجٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيْرٌ
 أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى
 آخِرُ : قَالُوا عَهْدَنَاكَ مِنْ أَهْلِ الرَّشَادِ فَمَا
 مِنْ صَاغَهَا اللَّهُ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ وَقَدْ
 مَاذَا تَرَى فِي مُحِبِّ مَا ذُكِرَتْ لَهُ
 كَمْ لَيْلَةٍ بَتُّهَا وَالتَّجَمُّ يَشْهَدُ لِي
 آخِرُ :

مِنَ الْحُسْنِ لَكِنْ وَجْهَهَا الْآيَةُ الْكُبْرَى
 يُرَاقِبُ مِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتْهَا الْفَجْرَا
 وَأَجْفَانُهَا الْوَسْنَى تُذَكِّرُنِي كِسْرَى
 مِعَاطِفَهَا مِنْ خَمْرِ الْحَاضِيهَا سَكْرَى
 وَقَلْبٍ فَأَشْكُوا مِنْهُ بِالْحَقْفَانِ
 خَفِيْتُ فَلَمْ يَذُرْ الْجِمَامُ مَكَانِي
 بِسَاعَةٍ وَصَلَّ مِنْكَ قُلْتُ كَفَانِي
 أَجَابَتْ ظَنُونِي رُبَّمَا وَعَسَانِي
 وَأَظْهَرُ مِنْ خَوْفِ الرَّقِيبِ بِشَاشَتِي
 عَجِيبًا وَلَكِنَّ الْعَجِيبَ سَلَامَتِي
 وَلِي قَلْبٌ مَحْزُونٍ وَنَظْرَةٌ بَاهِتٍ
 غُفْلَانٍ عَنَّاظَلْتُ أَبْكِي وَتَسْبِيحُ
 وَلَمْ تَرَى قَلْبِي مَيِّتًا يَتَكَلَّمُ
 ضَعِيفُ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ
 وَوَجْهِ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ
 وَرَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمُ
 أَغْوَاكَ قُلْتُ أَطْلُبُوا مِنْ لَحِظِهَا السَّبِيَا
 أُجْرَى بِقَتِيهَا فِي نُغْرَهَا شَبَا
 إِلَّا بَكَى أَوْ شَكَأَ أَوْ حَنَّ أَوْ طَرَبَا
 رَهِينَ شَوْقٍ إِذَا غَالَبَتْهُ غَلَبَا
 نُمَازِجُهُ وَالْحَدُّ بِالْحَدِّ مُلْصَقُ

فِيَا حُسْنَنَا وَالِدَمْعُ بِالِدَمْعِ وَاشْجُ

وَقَدْ ضَمَّنَا وَشَكَ التَّلَاقِي وَوَلَّفْنَا
فَلَمْ تَرَ إِلَّا مُخْبِرًا عَنْ صَبَابَةٍ
وَمِنْ قَبْلِ قَبْلِ التَّلَاقِي وَبَعْدَهُ
آخِر :

عِنَاقٍ عَلَى أَعْنَاقِنَا ثُمَّ ضَيِّقُ
بِشَكْوَى وَإِلَّا عُبْرَةً تَتَرَقَّرُ
نَكَادُ بِهَا مِنْ شِدَّةِ اللَّسْمِ نَشْرُقُ

كَيْفَ التَّخْلُصُ وَالْجُفُونُ نَوَاعِسُ
وَأَحِبُّ تَلْسَعُنِي عَقَارِبُ صُدْغِهَا
آخِر: وَمَهْزُوزَةٌ هَذَا الْقَضِيْبِ إِذَا مَشَتْ
أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَمَتْ
فُوَادِي مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي فَإِنَّهُ
آخِر :

وَبِمَا التَّسْلِي وَالْقُدُودُ رِشَاقُ
عِلْمًا بَأَنَّ رُضَا بِهَا تَرِيَاقُ
تَنَّتْ عَلَى دَلٍ وَحُسْنِ قِيَامِ
بِلَا سَبَبٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَلَامِي
حُشَّاشَةٌ حُبٌّ فِي نُحُولِ عِظَامِي

وَلَمْ أُنْسَ ضَمِّي لِلْحَبِيْبِ عَلَى رِضَا
وَلَا قَوْلَهَا لِي عِنْدَ تَقْيِيلِ خَدَّهَا
آخِر :

وَرَشْفِي رِضَابًا كَالرَّحِيْقِ الْمُسْلَسِلِ
تَنْقُلُ فَلَذَاتُ الْهَوَى فِي التَّنْقِيلِ

دُرِّيَّةُ الْقَصْرِ لَوْلَا سَمَطُ مَنْطِقِهَا
سِيَانَ يَبِضُّ ثَنَائِهَا إِذَا ضَحَكَتْ
فُرْسَانُ طَعْنٍ وَضَرْبٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ
شَوْسٌ عَلَى الشَّوْسِ بِالْبَيْضِ الرَّقَاقِ سَطَوْا
آخِر : لَهَا نَحَالٌ عَلَى صَفَحَاتِ خَدِ
وَأَجْفَانٍ بِأَسْيَافٍ تُنَادِي
آخِر :

وَظَبِيَّةُ الْقَفْرِ لَوْلَا الْحَلِي وَالْعَطْلُ
وَمَبْسَمَ الْبَرِّقِ لَوْلَا النَّظْمُ وَالرَّتْلُ
أَمْضَى سِلَاحِهِمُ الْقَامَاتُ وَالْمُقْلُ
وَبِالْجُفُونِ عَلَى أَهْلِ الْهَوَى حَمَلُوا
كَنْقَطَةَ عَنَبٍ فِي صَحْنِ مَرْمَرٍ
عَلَى عَاصِيِ الْهَوَى اللَّهُ أَكْبَرُ

تَصَبَّرْتُ عَنْهُمْ وَأَنْشَيْتُ إِلَيْهِمْ
فَلَا حَاجِزٌ بَيْنَ الْأَحْبَةِ حَاجِزٌ

وَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ التَّصَبُّرِ مَنْزَعٌ
وَلَا لَعْلَعٌ مُذْ فَارَقَ الْحَيُّ لَعْلَعٌ

لَهَا مِنْ مَهَاةِ الرَّمْلِ عَيْنٌ مَرِيضَةٌ
وَلَا عَجَبٌ فَالْبُحْلُ فِي الْغَيْدِ وَالْذُّمَى
آخِر :

وَجِيْدٌ كَجِيْدِ الطَّبِي أَعْيِدُ أَتْلَعُ
طَبِيْعَةُ نَفْسٍ لَيْسَ فِيهَا تَصْنَعُ

تَمِيْسَ إِذَا عَايَنْتُ غُصْنَ قَوَامِهَا
وَلِي دَهْشَةُ السَّاهِي إِلَيْهَا إِذَا بَدَتْ
سَرَتْ فَوْقَ خَدَيْهَا مِيَاهُ جَمَالِهَا
وَشَى النَّاسُ أَتِي فِي هَوَاهَا مُتِيْمٌ
آخِر :

وَتَكْسِرُ كَسْرَاتِ الْجُفُونِ تَحْرُشَنَا
وَلَمْ تُبْدِ ذَاكَ الْخَدَّ إِلَّا لِتُدْهِشَنَا
فَمَدَّ مِنَ الْأَصْدَاغِ كَرَمًا مُعْرَشَنَا
لَقَدْ صَدَقَ الْوَأَشِي النَّمُومُ بِمَا وَشَى

دَعُوا الْوُشَاةَ وَمَا قَالُوا وَمَا نَقَلُوا
لَهَا سَرَائِرُ فِي قَلْبِي مُحَبَّاءُ
آخِر :

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَا لَيْسَ يَنْفَصِلُ
لَا الْكُتُبُ تَنْفَعُنِي فِيهَا وَلَا الرَّسُلُ

هَزُّوا الْقُدُودَ وَأَرْهَفُوا سَمْرَ الْقَنَا
وَتَقَدَّمُوا لِلْعَاشِقِينَ فَكُلُّهُمْ
يَا قَلْبَهَا الْقَاسِي وَرِقَةَ خِصْرَهَا
لَمَا انْتَثَ فِي حُلَّةٍ مِنْ سُنْدُسٍ
وَبِخَدِّهَا وَبِشَعْرِهَا وَعِذَارِهَا
آخِر :

وَتَقَلَّدُوا عَوْضَ السُّيُوفِ الْأَعْيُنَا
أَحَذَ الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنَا
هَلَّا انْتَقَلْتِ مِنْ هُنَاكَ إِلَى هُنَا
قَالَتْ غُصُونُ الْبَانِ مَا أَبَقْتَ لَنَا
مَعْنَى الْعَقِيْقِ وَبَارِقِ وَالْمُنْحَنِ

مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مَا مِقْدَارُ وَصَلِّكَ لِي
أَرْضِي وَأَسْحَطُ أَوْ أَرْضِي تَلَوْنَهَا
آخِر : وَمَنْ كَانَ ذَا صَبُوءٍ بِالْمِلاخِ
بِرِذْفٍ ثَقِيْلٍ وَخِصْرِ نَحِيْلٍ
وَتَلِّكَ الْقُدُودِ وَتَلِّكَ الْعُيُونُ

حَتَّى هَجَرْتِ وَبَعْضُ الْهَجْرِ تَأْدِيبُ
وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبُ
فَلَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا قَلِيْلٌ
وَخَدِ أَسِيْلٍ وَطَرْفِ كَجِيْلٍ
فَكَمْ مِنْ جَرِيْحٍ وَكَمْ مِنْ قَتِيْلٍ

آخر: وما هجرتك النفسُ أُنكَّ عندها
ولكنهم يا أجمل الناسِ أولعوا
آخر: وأمر ما لاقيتُ من ألمِ الهوى
كالعيسِ في البيداءِ يقتلها الظما
آخر: أما طت كساءَ الخزعنِ حرَّ وجهها
من اللاءِ لم يحججنِ بينينِ حسبةً
آخر: يا من إذا نظرت عيني محاسنها
يا للرجالِ أما في الحبِّ من حكيمٍ
لا تطلبنَّ من الأعطافِ عاطفةً
آخر:

قليلٌ وإن قد قلَّ منك نصيبها
بقولٍ إذا ما زرتُ هذا حبيبها
قربُ الحبيبِ وما إليه وصولُ
والماءُ فوقَ ظهورها محمولُ
وأرخت على المتنينِ برداً مهلهلاً
ولكن ليقتلن البريء المعقلاً
ألومها في هواها ثم أعذرهما
ينهى العيونَ إذا جارت ويا أمرها
فإن أعدلها في الحبِّ أجورها

متى أوعدت أولت وإن وعدت لوت
وإن عرَضت أطرق حياءً وهيبةً
بها قيسُ لبني هام بل كل عاشقٍ
مواطنُ أفراحي ومربِّي مآربي
أخذتم فؤادي وهو بعضي عندكم
كأنِّي هلالُ الشكِّ لولا تاوهمي
آخر:

وإن أقسمت لا تبرىء السقم برت
وإن أعرضت أشفق ولم أتلفت
كمجنون ليلى أو كثير عزة
وأطوار أوطاري وتخفيف خيفتي
فماضركم لو كان بعضي جملتي
خفيت فلم تُهد العيون لرؤيتي

خذوا من صبا نجد أماناً لقلبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى
أغار إذا آنت في الحي أنة
ولست على وجدني بأول عاشق
آخر:

فقد كان رياها يطير بلبه
يتوق ومن يعلق به الحبُّ يصبه
حذاراً وخوفاً أن تكون لخبه
أصا بت سهام الحب حبة قلبه
إليها ما لقيت على انتحاب

خططت مثالها وجلست أشكو

إِيَّهَا وَالشَّكَاءُ إِلَى التُّرَابِ
أَصَحَّتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِي الْهَجْرُ
كَرَى النَّوْمَ أَوْ مَالَتْ بِأَعْكَافِهَا الْحَمْرُ
بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ بِلِخْضِهِمَا السَّحْرُ

ما ضل في شرع العِرامِ وما غوى
فيها الملام وقد حوت ما قد حوى
وفُتورِ عَيْنَيْهَا وهَلْ مَوْتِي سِوَى
يَا طِيبَ مَا نَقَلَ الْأَرَاكُ وَمَا رَوَى

قُلُوبُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ صُخُورُ
لَعَلَّ خَيْالاً فِي الْمَنَامِ يَزُورُ

هَزَزْتَ سِوْفاً وَاسْتَلَنْ خَنَاجِرَا
فَعَادَرَنْ قَلْبِي بِالتَّصْصِيرِ غَادِرَا
وَمِسْنِ غُصُوناً وَالتَّفْتِنِ جَادِرَا
جُعِلْنَ لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ ضَرَائِرَا

وَالْقَلْبَ مَرَعَى وَالْمَدَامِعَ مَوْرِدَا
فَضَحَ الْغَزَالَةَ وَالْغَزَالَ الْأَغْيِدَا
وَالضَّيِّبَ جِيداً وَالْقَضِيبَ تَأْوِدَا
يَأْبَى بَغَيْرِ جَوَانِحِي أَنْ يُعْمِدَا

كَأَنِّي عِنْدَهَا أَشْكُو هُمُومِي
آخِر: إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى
تَوَهَّمْتُهَا الْوَى بِأُجْفَانِهَا الْكَرَى
وَلَوْ مَا تَشَنَّتْ لِلْوُدَاعِ وَسَلِمَتْ
آخِر:

فَخُذُوا أَحَادِيثَ الْهَوَى مِنْ صَادِقِ
وَبِمُهَجَّتِي رَشَأُ أَطَالَتْ عُدْلِي
قَالُوا أَفِيهَا سِوَى رَشَاقَتِ قَدَّهَا
يُرْوَى الْأَرَاكُ مَحَاسِنَا عَنْ ثَعْرَهَا
آخِر:

أُظُنُّ وَمَا جَرَيْتُ مِثْلَكَ إِتْمَا
ذَرِينِي أُنْمَ إِنْ لَمْ أَنْلِ مِنْكَ زُورَةً
آخِر:

وَبِيضِ بِالْحَاطِظِ الْعِيُونِ كَأَنَّمَا
تَصَدَّقِينَ لِي يَوْمًا بِمُنْعِرِجِ اللَّوَى
سَفَرْنَ بُدُوراً وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً
وَاطَّلَعْنَ بِالْأَجْيَادِ بِالْدُرِّ أَنْجُمًا
آخِر:

رَشَاقِدُ اتَّخَذَا الضُّلُوعَ كِنَاسَهُ
سَلَبَ الْفُؤَادَ إِذَا بَدَا وَإِذَا رَنَا
كَالْوَرْدِ حَدَا وَالْهَيْلَالِ تَبَاعُدَا
سَيْفٌ تَرَفَّرَقَ فِي شِبَاهِهِ فِرْنَدُهُ

آخر :

لَوْ كُنْتُ سَاعَةً بَيْنَنَا مَا بَيْنَنَا وَشَهِدْتُ كَيْفَ نُكْرِرُ التَّوَدِّيعَا
أُيَقِّنْتَ أَنَّ مِنَ الدُّمُوعِ مُحَدَّثًا وَعَلِمْتَ أَنَّ مِنَ الْحَدِيثِ دُمُوعَا

آخر :

يَا لَأَيْمِي فَيَمَنَ تَمَنَعَ وَصَلُّهَا عَنْ حِبِّهَا أَهْلَى الْهَوَى مَمْنُوعُهُ

آخر :

نُفُورٌ عَرَّتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَادَبَتْ سَوَّالِفُهَا وَالْحَلِيُّ وَالْحَصْرُ وَالرُّدْفُ
وَحَيْلٌ مِنْهَا مَرَطُهَا فَكَأَنَّمَا تَشَّى لَنَا حُوطٌ وَلَا حَضْنَآ خَشْفُ
وَقَابَلْنَا رُمًا نَتَاغَصُنِ بَانَةٍ يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ
آخر : فِي الْبَدْرِ مِنْ صَفْحَتِهَا لَمْحَةٌ وَلَمْحَةٌ فِي الظُّبِي مِنْ طَرْفِهَا
إِنْتَهَى إِذَا مَشَتْ جَادَبَهَا رِدْفُهَا كَأَنَّمَا تَمْشِي إِلَى خَلْفِهَا
آخر وَلَوْلَا أَدَى التَّطْوِيلِ سُقْتُ زِيَادَةً لَهَا صَاحِبِ التَّعْكِيرِ يَخْشَى وَيَحْذُرُ

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٧	فصل في التهمة والأدلة على تحريمها
١٣	موعظة جليله
١٦	الباعث على التهمة أمور متنوعة
٢٠	المدح من الآفات المهلكة
٢٥	موعظة ويلها قصيدة زهدية
٢٧	مما يتأكد اجتنابه في رمضان وغيره
٣٣	موعظة في التحذير عن المعاصي
٣٤	فصل في تحريم الظلم والأدلة على ذلك
٣٥	أمثلة لآثاره ويلها موعظة
٣٨	قصيدة زهدية فيها عبر ومواعظ
٤١	الاحاديث الواردة في التحذير من الظلم واتقاء دعوة المظلوم
٤٣	وأبيات في وصفها
٤٤	ذكر طرف من ما في صحف إبراهيم وموسى يليها موعظة بليغة في الحث على نصر المظلوم ، الظلم لا يختص بآرباب الوظائف
٤٥	موعظة بليغة في التحذير من الشر وأهله
٤٨	كلام نفيس لشيخ الاسلام حول الظلم والأمثلة الموضحة لذلك
٥٥	ذكر بعض الكبائر والتحذير من الظلمة واعوانهم
٥٧	مشهد يوضح لك ما يكون امامك بعد البعث
٦٢	قصيدة في التحذير من الظلم وأنه سيقبض من الظالم
٦٥	موعظة في التحذير من الظلم وسائر المعاصي
٦٦	فصل في مشهد من مشاهد القيامة عند نشر الصحف
٦٨	وبعدها أبيات فيها تمجيد لله وتضرع
٦٩	موعظة في الحث على التزود للآخرة وفيها عبر ومواعظ
٧٠	ويلها قصيدة زهدية في الحث على الاستعداد للموت وما بعده
٧٢	فصل في تحريم القتل وذكر آثار السيئة وعواقبه الوحيمة
٧٤	ما قاله العلماء حول جريمة القتل وبعده الأدلة على تحريم القتل

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٧٦	أدلة على تحريم القتل وانه لا توبة للقاتل عند بعض أهل العلم
٧٩	ذكر من يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً وعدواناً
٨١	جرمة قتل الانسان نفسه والأدلة على ذلك
٨٣	موعظة في الحث على طاعة المولى جل وعلا والحث على العمل
٨٥	فصل في التحذير من الزنا وبيان خطره واضرارہ
٨٧	ما قاله العلماء في الزنا ومضاره وآثاره في الدنيا والآخرة
٨٩	قصيدة زهدية فيها مواعظ وعبر
٩٠	موعظة في الحث على التوبة من الذنوب
٩١	وبعدها أبيات تتضمن حكم وزهد وعبر
٩٣	ادلة على تحريم الزنا وبيان اعظم انواع الزنا وعظم حق الجار
٩٦	موعظة في التحذير من الزنا وذكر مفسده
٩٨	من مضار الزنا وآثاره السيئة على الزاني
٩٨	والزانية والمجتمع
١٠٢	الزنا تختلف درجاته وما قال ابن القيم حول موضوع الزنا
١٠٤	كثرة الزنا من اشراط الساعة ، ما اختص به حد الزنا من بي سائر الحدود ذكر بعض اسباب الزنا والحث على العفاف ويليہ قصيدة زهدية في الحث على
١٠٦	التزود للآخرة والاستعداد للموت
١٠٩	فاحشة اللواط وبيان قبحه ومخالفته لمقتضى الطبيعة
١١٠	آثار اللواط السيئة وذكر بعض مضاره ومفسده
١١٢	والأدلة على تحريمه وخصال قوم لوط قبحهم الله
١١٣	ما قاله ابن القيم حول فاحشة اللواط
١١٦	موعظة في التحذير من اللواط والعياذ بالله
١١٨	مما جرى لقوم لوط وما حاق بهم من العقوبة
١٢٠	التحذير عن النظر إلى الأمرد والخلوة به وبعده أبيات حكم
١٢٢	موعظة لأبي الدرداء رضي الله عنه وبعدها ليس الغريب

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
١٢٦	فصل في التحذير عن تعاطي المسكرات وقبل ذلك مقدمة توطئه لذلك
١٢٩	وأدلة على تحريم تعاطي الخمر وجميع المسكرات
١٣٤	وجوب مقاطعة مجالس الخمر وشرابها وتحريم بيع الخمر واهدائها
١٣٦	موعظة في التحذير عن الخمر وبيان ما ينشأ عن شرها
١٣٨	الخمر نجسه ، وما نبه عليه ابن القيم وما قاله شيخ الاسلام في الحشيشة
١٤٠	ذكر بعض مفايد الخمر واضرارها وشؤمها ولؤمها وقبحها
١٤٤	نظم يتضمن ذم الخمر والتحذير عنها وحدها وحكمها
١٤٥	موعظة وبيان مفتاح سعادة الانسان ويلها قصيدة زهدية
١٥٠	في تحريم حلق اللحية وقصها ونتفها وانه تشبه بالكفار
١٥٢	الأدلة على تحريم حلق اللحية وان النبي ﷺ واصحابه يعفونها
١٥٤	قال بعض العلماء حلق اللحية صفة المخنثين من الرجال ، في اللحية خصال نافعة
١٥٥	حلق اللحية تشبه بالنساء والمرد والافرنج وتمثيل بالشعر
١٥٦	حلق اللحية إذا أزيلت ولم تعد فيه دية كاملة وبعدها قصيدة
١٦١	موعظة بليغة
١٦٥	فصل في صيانة الوقت
١٦٦	سماع الغناء من المرأة الأجنبية
١٦٨	الغناء ينبت النفاق لأن له خواص لها تأثير ، في القلوب
١٧٠	ايات من النونية تناسب الموضوع
١٧٢	موعظة بليغة ويلها قول بعض العارفين في السماع
١٧٥	تسمية الغناء بالصوت الأحق وقرآن الشيطان
١٧٩	كلام نفيس لشيخ الاسلام ، الشرائع هي غذاء القلوب في قوتها
١٨١	من الأدلة على تحريم الغناء ، خمس عشرة خصلة إذا عملت حل البلاء
١٨٣	القلوب عند عرض الفتن عليها نوعان ، كلام لشيخ الاسلام
١٨٤	على حديث عقبة ويليها قصيدة زهدية

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
١٨٧	موعظة بليغة لبعض العلماء على قول الله تعالى ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى
١٨٨	يغيروا م بانفسهم ﴿
١٩٠	فصل في بيان تحريم الدخان والأدلة على ذلك
١٩٢	ذكر بعض مضر الدخان - من الأدلة على تحريمه ايضاً
١٩٣	ذكر بعض آثار مضر الدخان
١٩٥	ما قاله الشيخ عبدالله بن محمد لما سئل عن الدخان رحمه الله
١٩٦	حد شارب الدخان أو زارعه أو من وجدت منه رائحته
١٩٦	وما قاله العلماء لما سئلوا عن حكمة الشيخ حمد بن معمر والشيخ عبدالله
١٩٩	ابو بطين والشيخ خالد بن محمد من فهاء المالكية
٢٠١	ما ذكره في تبصرة الأخوان فيما يتعلق بالدخان من الأضرار
٢٠٧	الدخان لا يتشبه به غالباً الا وقت السفه وقلة المعرفة
٢٠٨	اما إذا ميز وعقل وعلم مضاره الصحية والدينية والمالية
٢١٣	والاخلاقية والاجتماعية فلا وبلي ذلك قصائد في ذم الدخان
٢١٨	ما قاله الشيخ محمد الطريشي المالكي في الدخان
٢١٩	فصل في تحريم التصوير والأدلة على تحريمه استعمالاً
٢٢١	واقْتناء وبيعا وشراء وهبة واتهابا إذا كانت الصور لذوات الأرواح
٢٢٥	الفوائد المأخوذة من الأحاديث المتقدمة في التصوير
٢٢٦	قصيدة في الحث على قيام الليل والزهد في الدنيا والوصية بالتقوى
٢٢٨	موعظة بليغة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
٢٣١	فصل في تحريم الرشوة وبيان اضرارها ومفاسدها
٢٣٢	معنى الراشي والمرتشي والأدلة على تحريمها
٢٣٧	قصيدة زهدية فيها عبر ومواعظ
٢٣٧	موعظة بليغة في الحث على الورع وتجنب اكل الأموال بالباطل
٢٣٧	حكم التأمين وصفة التأمين والأدلة على تحريمه
٢٣٧	التأمين على الحياة والمال ابطاله من وجوه عديدة
٢٣٧	التأمين على السيارات وحوادثها

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٨	موعظة وبعدها قصيدة في الحث على الاستعداد للموت
٢٤١	فصل في التحذير من الغش
٢٤٤	الغش يدخل في أشياء كثيرة نذكر بعضها
٢٤٨	آيات في الحث على التوبة والالتجاء إلى الله جل وعلا وتقدس
٢٤٩	اضرار انتقاص الحقوق بالبخس والتطفيف
٢٥٠	من اضرار الغش مسائل متعددة
٢٥٥	القصيدة زهدية ويلها موعظة بليغة وبعدها قصيدة
٢٦٠	اليمين الغموس والأدلة على تحريمها والحث على تجنبها
٢٦٣	تهاون الناس بالآيمان وبالأخص عند البيع والشراء والاجارة
٢٦٤	قصيدة في الحث على تدبر القرآن
٢٦٥	موعظة بليغة في الحث على تعظيم الله والاستحياء منه
٢٦٧	آيات في الحث على التزود للآخرة
٢٦٨	القذف والتحذير من فعله والأدلة على تحريمه
٢٧٠	اضرار القذف كثيرة ويلها موعظة بليغة وبعدها قصيدة
٢٧٥	صرخ القذف وما يترتب عليه ويحصل باللسان والاشارة
٢٧٦	من الأخرص ويلى ذلك شروط الكلام لمن اراد السلامة من الزلل غالباً
٢٧٨	موعظة في الحث على حفظ الوقت في الباقيات الصالحات
٢٨١	فصل في ذكر علامات الساعة وانها ثلاثة أقسام
	من علامات الساعة المتوسطة فشو التجارة واعانة المرأة زوجها في التجارة
٢٨٣	وأشياء أخرى وبعد ذلك قصيدة
٢٨٨	موعظة في الحث على الزهد في الدنيا والتزود للآخرة
٢٩١	ذكر قتال وفتن تقع في آخر الزمان ويلها قصيدة
٢٩٢	زهديية ثم موعظة في الحث على التفتيش على النفس
	موعظة بليغة في ذكر الجنة وصفتها وما اعد الله
٢٩٣	لأهلها والحث على طاعة الله عز وجل
٢٩٧	فصل في ذكر بعض الأحاديث التي وردت في الفتن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٧	وما يقع في آخر الزمان من الفتن والمنكرات.....
٣٠٣	خطبة في ذم الفتن لأحد العلماء رحمة الله عليه.....
٣٠٦	موعظة بليغة تتضمن الحث على التفتيش على النفس والسبب في نزع البركة من الأموال والأعمار والأولاد والأعمال.....
٣٠٨	اعمال يزيد بن معاوية وعقبة المري الاجرامية الفظيعة في المدينة المنورة وابطحها للعسكر ثلاثا نعوذ بالله من حالهما واعمالهما الاجرامية.....
٣١٠	قسوة الحجاج وتجريه على الله بانتهاك حرمت المسلمين وعدم وقوفه على حدود الله وعدد من قتل ومن سجن فيما نقل.....
٣١٣	موعظة تتضمن بيان من هو العارف بالله حقيقة.....
٣١٤	ذكر بعض علامات الساعة المتوسطة.....
٣١٦	قصر الصلاة واطالة الخطبة من اشراط الساعة.....
٣١٨	قصيدة زهدية ويلها موعظة في الحث على الزهد.....
٣٢٩	العلامة الثالثة من اشراط الساعة خروج الدجال ، وذكر صفته.....
٣٣٢	واتباعه ومكته ومقتله.....
٣٣٥	خطبة عظيمة كلها امثال وحكم للنبي ﷺ.....
٣٣٧	من علامات الساعة العظمى المسيح عيسى بن مريم.....
٣٣٩	من علامات الساعة العظمى خروج يأجوج ومأجوج.....
٣٤٠	من علامات الساعة العظمى هدم الكعبة شرفها الله والدخان.....
٣٤١	من علامات رفع القرآن من الصدور والسطور.....
٣٤٢	من علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها.....
٣٤٤	كلام نفيس حول هذه العلامة.....
٣٤٧	من علامات الساعة خروج الدابة من الأرض.....
٣٤٨	ومن علامات الساعة خروج النار من قعر عدن.....
٣٥٠	علامات الساعة الكبار مجموعة في ثمانية ابيات.....
٣٥٢	فصل يحتوي على تحويف وتشويق وتزهيد في الفاني.....
٣٥٣	ويوضح لك مشهد من مشاهد القيامة.....

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٣٥٧	نظم لابن القيم في الأرض تحدث وتشهد بما كان عمل عليها
٣٦٠	الميزان حقيقي ، نشر صحف الأعمال فيها جميع الأعمال
٣٦٣	فصل في الحساب وأخذ الكتب بالايمن والشمائل
٣٦٦	قصيدة في علامات صحة القلب وطهارته من أدران الذنوب
٣٧٣	ذكر بعض المعاصي والذنوب التي قد تلبس بها أو ببعضها
٣٧٤	كثير من الناس لِيَتَّبِعَ عنها ويحذر عنها لأنها أمراض فتاكة
٣٧٦	الطراط وأحواله وعظم خطبه ودهشته وبعد موعدة
٣٧٨	قصيدة وعظية ثم خطبة في اشرط الساعة
٣٩١	قصيدة رحلة ومصير تحتوي على عبر وتزهيد ومواعظ
٣٩٦	نصيحة هارون الرشيد
٣٩٩	رسالة الامام مالك لهارون الرشيد
٤٢١	أغاز بَعْدَهَا أَجْوَبُهَا
٤٢٨	الأعرابي وهارون الرشيد
٤٣٤	موعدة ويلها قصيدة وعظية
٤٣٦	موعدة ويلها قصيدة وعظية
٤٣٨	ميمية ابن القيم رحمه الله
٤٥٩	الشفاعة العظمى وما يتعلق بها وبعد قصيدته في مدح
٤٦١	رب العزة تبارك وتعالى
٤٦٢	فصل في مجيئ جهنم الى الموقف، آيات حول هذا الموضوع تكاد
٤٦٤	تصدع لها القلوب ، جهنم لها عينان وذكر علماء السوء والمصورين
٤٦٥	أول الناس يقضى بينهم وأول من تسعر بهم النار
٤٦٨	طعام أهل النار وشرابهم وجوعهم وعطشهم وطلبهم
٤٦٩	شرابهم غسلين وغساق وحميم والطعام ضريع زقوم
٤٧٠	الأدلة على ذلك سابقا ولاحقا وبعدها
٤٧١	قصيدة زهدية
٤٧٣	كسوة أهل النار ، فرشهم وأعطيتهم واللوان من العذاب وبعد
٤٧٩	ذلك قصيدة زهدية

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٤٨٠ موعظة تتضمن التخويف من النار والحث ما يقرب الى الله
٤٨٢ ذكر عدد ابواب النار، صفة أبوابها، صفة ذهابهم
٤٨٤ الى النار، طبقات النار، محاولة أهل النار للخروج منه
٤٨٦ وسؤالهم وجوابهم وبعد ذلك موعظة بليغة
٤٨٨ قصيدة زهدية فيها عبر ومواعظ
٤٩٠ حالة أهل النار فيها وهم بالمذاب وشدة حرارتها وبعد قمرها وما تحتوى عليه وما قيل في جب الحزن وذكر ثمني أهل النار وبعد ذلك قصيدة
٤٩٨ فصل في الثناء على أهل الجنة ، ما قاله ابن رجب حول حجاب أهل النار
٥٠١ آيات من التوبة تشوق الى الجنة وتحث على الاعمال
٥٠٣ الصالحة وبعدها موعظة بليغة في فصل يحتوى على
٥٠٣ ترغيب وترهيب
٥٠٤ ما يقال لأهل الجنة عند دخولهم لها وما يقولونه هم
٥٠٥ أبواب الجنة وهيأت أهلها وشرابهم وما يطاف عليه به
٥٠٧ وما يطوف عليهم وطعامهم ومقامهم
٥٠٩ أنهار الجنة وثمرات الجنة والحرور التي فيها - كلام أهل الجنة اطيب الكلام
٥١٢ زوجات أهل الجنة وسرورهم وفرحهم وأنسهم وأمنهم
٥١٣ وتزايد ما هم فيه من النعيم المقيم وبعده نظم من التوبة
٥١٨ حلل أهل الجنة ومساحتهم الفاخرة العالية
٥٢٠ ذبح الموت بين الجنة والنار في صورة كبش أملح
٥٢٠ لطف الله بعباده المؤمنين وتكريمه لهم وتأمينهم
٥٢٤ وتطمينهم عند الفزع والخوف والقلق وتكرمه عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبعده نظم من التوبة
٥٢٩ المتقون هم الذين يورثهم الله الجنة ، آيات
٥٣٠ من القرآن تطير القلوب فرحا وسرورا وتحننها على الاجتهاد
٥٣٣ في الطاعات رجاء أن يكونوا من أهلها ويلها أحاديث في سن أهل الجنة وعرضهم وطولهم
٥٣٤ في بيان أدنى أهل الجنة منزلة وأعلامهم منزلة
٥٣٨ غرف الجنة وما بين مصراعها
٥٤٠ الكوثر وأبهر الجنة من ماء ولبن وعسل وحمير
٥٤١ الخوض المورود، صفته، لونه، طعمه، موضعه، من يرده
٥٤٤ ومن يرد عنه ، عدد كبرانه، الكوثر
٥٤٤ صفة عرائس أهل الجنة، ونعيمهم

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٥٤٦	يأكل أهل الجنة ولا يخاط ولا بول ولا غائط ولا قدر
٥٤٨	طير الجنة، خدم أهل الجنة فاكهة أهل الجنة
٥٥١	ثياب أهل الجنة وحللهم صورهم خيامهم نورهم
٥٥٣	قصيدة زهدية جامعة لكثير من أحوال يوم القيامة
٥٦٦	موعظة بليغة
٥٦٨	قصيدة زهدية وعظيمة
٥٧٠	فصل في وصف نساء أهل الجنة وما يحصل لهم عند اللقاء
٥٧٢	نظم لابن القيم في الحور العين
٥٧٥	من كلام ابن القيم فيما يتعلق بالجنة وأهلها وهو كلام نفيس
٥٧٨	فصل في سماع أهل الجنة ويلييه تنمة كلام له أيضا في أهل الجنة
٥٨٥	قصيدة زهدية وعظيمة لأبي العتاهية
٥٨٨	فصل في نظر أهل الجنة الى ربهم تبارك وتعالى وتقدس
٥٩٠	موعظة بليغة في الحث على التزود للأخرة ويليها قصيدة فيها حكم
٥٩٥	يوم الجمعة يوم من أيام الرب عظيم يجمع الله فيه أهل الجنة في دار المزيد السوق الذي يلتقى فيه أهل الجنة ونظم لابن القيم حول هذا الموضوع
٥٩٩	كلام نفيس جداً
٦٠٣	خطبة للإمام علي بن أبي طالب
٦٠٥	قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام في قصيدة
٦٠٨	خطبة في التحذير عن المعاصي ويليها موعظة
٦١٤	كلام لابن القيم ويلييه قصيدة ثم الدعاء والله أعلم وصلى الله على محمد
٦٢٤	قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية
٦٣٩	فصل كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث
٦٤٥	قصيدة وعظيمة
٦٥٣	فوائد عظيمة النفع
٦٥٤	خاتمة ، وصية ، نصيحة

